

إحياء علوم الدين

للامام الغزالي

مع مقدمة في التصوف الإسلامي ودراسة تحليلية لشخصية الغزالي
وفلسفته في الإحياء
بمقدّم

الدكتور عبد رزاق طيّب

الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم
بجامعة القاهرة

فيها كتب قيمة

مكتبة محمد بن إسماعيل حمزي القفري

المجلد الثالث

From the Library of
Muhammad T. Hosain

مكتبة وطبعة "كرياطه فوترا" سماراغ

« إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ »

(فرقان كرم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(كتاب شرح عجائب القلب)

وهو الأول من ربع للهلاكات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تحرير دون إدراك جلاله القلوب والخواطر ، وتدهنى في مبادئ إشراق أنواره الأحداق والنواظر ، للطلع على خفيات السرائر ، العالم بمكنونات الضمائر ، السخنى في تدبير ملكوته عن المشاور والوازر ، مقرب القلوب وغفار الذنوب ، وستر العيوب ، ومفرج الكرب . والصلاة على سيد المرسلين ، وجامع شمل الدين ، وقاطع دابر الملحدين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وسلم كثيرا .

أما بعد : فحرف الانسان وفضيلته التي فاق بها جملة من أصناف الخلق باستعداده لمعرفة الله سبحانه التي هي في الدنيا جماله وكاله وغره وفي الآخرة عذبه وذخره . وإنما استعداده معرفة بقلبه لا بمجرد جوارحه ، فالقلب هو العالم بالله وهو التقرب إلى الله وهو العامل لله وهو الساعى إلى الله وهو المكشف بما عند الله ولديه ، وإنما الجوارح أتباع وخدم وآلات يستخدماها القلب ويستعملها استعمال المالك للميد واستخدام الراعى للرعية والصانع والآلة فالقلب هو القبول عند الله إذا سلم من غير الله وهو المحبوب عن الله إذا صار مستغفرا بغير الله وهو الطالب وهو المخاطب وهو العاتب وهو الذى يسعد بالتقرب من الله فيبلغ إذا زكاه وهو الذى يحجب ويشقى إذا دنسه ودسا وهو الطمع بالحقيقة لله تعالى وإنما الذى ينتشر على الجوارح من العبادات أنواره ، وهو العاصى للتمرد على الله تعالى وإنما السارى إلى الأعضاء من الفواحش أنواره ، وباطلامه واستتارته تظهر بحاسن الظاهر وسوايه إذ كل إناء ينضح بما فيه ، وهو الذى إذا عرفه الانسان فقد عرف نفسه وإذا عرف نفسه فقد عرف ربه وهو الذى إذا جهل الانسان قد جهل نفسه وإذا جهل نفسه قد جهل ربه ومن جهل قلبه فهو بغيره أجهل إذ أكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وأنفسهم وقد حيل بينهم وبين أنفسهم فان الله يحول بين المرء وقلبه ويحولته بأن يمنعه عن مشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفية قلبه بين أصبعين من أصابع الرحمن وأنه كيف يهوى مرة إلى أسفل السافلين وينخفض إلى أفق الشياطين وكيف يرتفع أخرى إلى أعلى عليين ويرتقى إلى عالم اللاتكئة القربين . ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراياه ويرصد لما يلوح من خزان المكوث عليه وفيه فهو بمن قال الله تعالى فيه - نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون - لمعرفة القلب وحقيقة أوصافه أصل الدين وأساس طريق السالكين . وإذ فرغنا

(كتاب عجائب القلب)

[الباب الثلاثون في

تفاصيل أخلاق

الصوفية]

من أحسن أخلاق

الصوفية التواضع ولا

يلبس العبد ليلسة أفضل

من التواضع ومن ظفر

بكنز التواضع والحكمة

يقيم نفسه عند كل

أحد مفدارا يعلم أنه

بقيمه وبقيم كل أحد

على ما عنده من نفسه

ومن رزق هذا فقد

استراح وأراح وما

يقطعها إلا العالمون .

أخبرنا أبو زرعة عن

أبيه الحافظ القديس

قال أنا عثمان بن عبد الله

قال أنا عبد الرحمن

ابن إبراهيم قال ثنا

عبد الرحمن بن حمدان

قال ثنا أبو حاتم الرازي

من الشطر الأول من هذا الكتاب من النظر فيما يجري على الجوارح من العبادات والعادات وهو العلم الظاهر وعدنا أن نشرح في الشطر الثاني ما يجري على القلب من الصفات الملهكات والنجيات وهو العلم الباطن فلا بد أن تقدم عليه كتابين كتابا في شرح عجائب صفات القلب وأخلاه وكتابا في كيفية رياضة القلب وتهذيب أخلاقه ثم تندفع بعد ذلك في تفصيل الملهكات والنجيات فلنذكر الآن من شرح عجائب القلب بطريق ضرب الأمثال ما يقرب من الأفهام فإن التصريح بعجائبه وأسرايره الداخلة في جملة عالم الملكوت مما يكمل عن دركه أكثر الأفهام .

(بيان معنى النفس ، والروح ، والقلب ، والعقل ، وما هو المراد بهذه الأسماء)

اعلم أن هذه الأسماء الأربعة تستعمل في هذه الأبواب ، ويقال في حقول العلماء من يحيط بهذه الأسماء واختلاف معانيها وحدودها ومسمياتها ، وأكثر الأغاليط منشؤها الجهل بمعنى هذه الأسماء واشتركا بين مسميات مختلفة ونحن نشرح في معنى هذه الأسماء ما يتعلق بفرضا . اللفظ الأول : لفظ القلب وهو يطلق لمعنيين : أحدهما اللحم الضویری الشكل اللودع في الجانب الأيسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم أسود هو منبع الروح ومعدنه ، ولنا قصد الآن شرح شكله وكيفيته إذ يتعلق به غرض الأطباء ولا يتعلق به الأغراض الدينية وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود للبيت ونحن إذا أطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب لم نعن به ذلك فإنه قطعة لحم لا قدر له وهو من عالم الملك والشهادة إذ تذكره البهائم بحاسة البصر فضلا عن الآدميين . والمعنى الثاني هو لطيفة ربانية روحانية لها هذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسان وهو لذلك العالم العارف من الانسان وهو مخاطب والمقاب والمغاب والطالب ولها علاقة مع القلب الجسماني وقد عبرت عقول أكثر الحائق في إدراك وجه علاقته فان تعلقه به يضاهي تعلق الأغراض بالأجسام والأوصاف بالوصفات أو تعلق الستمل لآلة بالآلة أو تعلق المتمكن بالمكان وشرح ذلك مما نتوهم لمعنيين : أحدهما أنه متعلق بموهم السكافة وليس غرضنا من هذا الكتاب إلا علوم المعاملة .

والثاني أن تحقيقه يستدعي إفشاء سر الروح وذلك مما يتكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) فليس لغيره أن يتكلم فيه ، والقصد أننا إذا أطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب أردنا به هذه اللطيفة وغرضنا ذكر أوصافها وأحوالها لا ذكر حقيقتها في ذاتها وعلم المعاملة يقتصر إلى معرفة صفاتها وأحوالها ولا يقتصر إلى ذكر حقيقتها . اللفظ الثاني : الروح وهو أيضا يطلق فيما يتعلق بمحس غرضنا لمعنيين : أحدهما جنس لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني فينتشر بواسطة العروق الضواري إلى سائر أجزاء البدن وجريانه في البدن وفيض أنوار الحياة والحس والبصر والسمع والشم منها على أعضائها يضاهي فيض النور من السراج الذي يدور في زوايا البيت فإنه لا يتنهي إلى جزء من البيت إلا ويستدير به والحياة مثالها النور الحاصل في الحيطان والروح مثالها السراج وسريان الروح وحركته في الباطن مثال حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركه والأطباء إذا أطلقوا لفظ الروح أرادوا به هذا المعنى وهو بخار لطيف أنضجته حرارة القلب وليس شرحه من غرضنا إذ يتعلق به غرض الأطباء الذين يبالغون الأبدان ، فأما غرض أطباء الدين المخلصين لأقارب حتى ينساق إلى جوار رب العالمين فليس يتعلق بشرح هذه الروح أصلا . المعنى الثاني هو اللطيفة المعاملة للدركة من الانسان وهو الذي

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم لم يتكلم في الروح منفق عليه من حديث ابن مسعود في سؤال اليهود عن الروح وفيه فأمسك النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم فقلت أنه يوحى إليه الحديث وقد تقدم .

قال ثنا النضر بن عبد الجبار قال أنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن سعد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله تعالى أوحى إلى أن تواضوا ولا يفتخروا بفضلكم على بعض » وقال عليه السلام في قوله تعالى - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني - قال على البر والتقوى والرهبة وذلة النفس ، وكان من تواضع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحب دعوة الحر والعبد ويقبل الهدية ولو أنها جرة عين أو غنڈارب ويكافئ عليها وياكلها

شرحناه في أحدهما القلب وهو الذى أرادته الله تعالى بقوله - قل الروح من أمر ربي - وهو أمر عبيد ربي تعجز أكثر العقول والأفهام عن دركه حقيقته . اللفظ الثالث : النفس وهو أيضا مشترك بين معانٍ ويتعلق بضررنا منه معيان : أحدها أنه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الإنسان على ما سأتى شرحه وهذا الاستعمال هو الغالب على أهل التصوف لأنهم يريدون بالنفس الأصل الجامع للصفات الذمومة من الإنسان فيقولون لا بد من مجاهدة النفس وكسرها وإليه الإشارة بقوله عليه السلام « أعدى عدوك نفسك التي بين جنبك ^(١) » . للمعنى الثاني هي اللطيفة التي ذكرناها التي هي الإنسان بالحقيقة وهي نفس الإنسان وذاته ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها فإذا سكنت تحت الأمر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات حيث النفس الطمئة قال الله تعالى في مثلها - يا أيها النفس الطمئة ارجعي إلى ربك راضية مرضية - والنفس بالمعنى الأول لا يتصور رجوعها إلى الله تعالى فإنها مبعدة عن الله وهي حزب الشيطان وإذالم يتم حكمونها ولكنها حارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعتزلة عليها حيث النفس اللوامة لأنها تلوم صاحبها عند تنصيره في عبادة مولاه قال الله تعالى - ولا أقسم بالنفس اللوامة - وإن تركت الاعتراض وأذعنت وأطاعت لمتنصي الشهوات ودواعي الشيطان حيث النفس الأمارة بالسوء قال الله تعالى إخبارا عن يوسف عليه السلام وأمرأة العزيز - وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء - وقد يجوز أن يقال للراد بالأمر بالسوء هي النفس بالمعنى الأول فاذن النفس بالمعنى الأول مذمومة غاية الذم وبالمعنى الثاني حميدة لأنها نفس الإنسان أي ذاته وحقيقته العالة بالله تعالى وسائر المعلومات . اللفظ الرابع : العقل وهو أيضا مشترك لمعان مختلفة ذكرناها في كتاب العلم ، والمتعلق بضررنا من جعلنا معيان : أحدها أنه قد يطلق ويراد به العلم بحقائق الأمور فيكون عبارة عن صفة العلم الذي عمله القلب . والثاني أنه قد يطلق ويراد به الدرك للعلوم فيكون هو القلب أعني تلك اللطيفة ، ونحن نعلم أن كل عالم فله في نفسه وجود هو أصل قائم بنفسه والعلم صفة حالة فيه والصفة غير الموصوف والعقل قد يطلق ويراد به صفة العالم وقد يطلق ويراد به محل الإدراك أعني الدرك وهو الراد بقوله عليه السلام « أول ما خلق الله العقل ^(٢) » فإن العلم عرض لا يتصور أن يكون أول مخلوق بل لا بد وأن يكون لهل مخلوقا قبله أومه ولأنه لا يمكن الخطاب معه وفي الخبر أنه قاله تعالى أوّل ما قبل ثم قال له أدبر فأدبر الحديث فاذن قد انكشف لك أن معاني هذه الأسماء موجودة وهي القلب الجنباني والروح الجنباني والنفس الشهوانية والعلوم فهذه أربعة معانٍ يطلق عليها الألفاظ الأربعة ومعنى خامس وهي اللطيفة العالة للدرك من الإنسان والألفاظ الأربعة بحملتها تتوارد عليها فالمعاني خمسة والألفاظ أربعة وكل لفظ أطلق للمعنيين وأكثر العلماء قد اتبس عليهم اختلاف هذه الألفاظ وتواردتها فترجمت حكمون في الخواطر ويقولون هذا خاطر العقل وهذا خاطر الروح وهذا خاطر القلب وهذا خاطر النفس وليس يدري الناظر اختلاف معاني هذه الأسماء ولأجل كشف الغطاء عن ذلك قدما شرح هذه الأسماء وحيث ورد في القرآن والسنة لفظ القلب فالمراد به المعنى الذي يفقه من الإنسان ويعرف حقيقة الأحياء وقد بينى عنه بالقلب الذي في الصدر لأن بين تلك اللطيفة وبين جسم القلب علاقة خاصة فإنها وإن كانت متعلقة بسائر البدن ومستعملة له ولكنها تتعلق به بواسطة القلب فتعلقها الأول بالقلب وكأنه محلها ومملكتها وعالمها ومطيتها ولذلك شبه سهل التسترى القلب بالعرش والصدر بالسكينة فقال القلب هو العرش

(١) حديث أعدى عدوك نفسك التي بين جنبك البيهقي في كتاب الزهد من حديث ابن عباس وفيه محمد بن عبد الرحمن بن غزوان أحد الوضائع (٢) حديث أول ما خلق الله العقل وفي الخبر أنه قال له أوّل ما قبل وقال أدبر فأدبر الحديث تقدم في العلم .

ولا يستبكر عن إجابة لأمة والمساكين وأخبرنا أبو زرعة إجازة عن ابن خلف إجازة عن السلي قال أنا أحمد بن علي المقرئ قال أنا محمد بن النبال قال حدثني أبي عن محمد بن جابر الجبائي عن سليمان بن عمرو بن شبيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن من رأس التواضع أن تبدأ بالسلام على من تقيت وتعد على من سلم عليك . وإن رضيت بالقدوس من المجلس وأن لا تجيب الدعة والتركية والبر » وورد أيضا عنه عليه السلام « طوبى لمن تواضع من غير

والصدر هو الكرسي ولا يظن به أنه يرى أنه عرش الله وكرسيه فان ذلك حال بل أراد به أنه ملكته
والجبري الأول تدبيره وقصره فهما بالنسبة إليه كالعرش والكرسي بالنسبة إلى الله تعالى ولا يستقيم
هذا التشبيه أيضا إلا من بعض الوجوه وشرح ذلك أيضا لا يليق بفرسنا فلتدبروه .

(بيان جنود القلب)

قال الله تعالى - وما أعلم جنودك إلا هو - فطسبحانه في القلوب والأرواح وغيرها من الموالم جنود
لا يعرف حقيقتها وتفصيل عددها إلا هو ونحن الآن نشير إلى بعض جنود القلب فهو الذي يتعلق بفرسنا
وله جندان جند يرى بالأبصار وجند لا يرى إلا بالبصائر وهو في حكم الملك والجنود في حكم الخدم
والأعوان فهذا معنى الجند فأما جنده المشاهد بالعين فهو اليد والرجل والعين والأذن واللسان وسائر
الأعضاء الظاهرة والباطنة فان جميعها خادمة لقلب ومستخرة له فهو للتصرف فيها وللرشد لها وقد
خلقت بحيلة على طاعته لا تسطيع له خلافا ولا عليه تمردا فاذا أمر العين بالانفتاح افتتحت وإذا أمر
الرجل بالحركة تحركت وإذا أمر اللسان بالكلام وجزم بالحكم به تكلم وكذا سائر الأعضاء وتسخير الأعضاء
والحواس للقلب يشبه من وجه تسخير اللائكة فه تعالى فانهم يجوبون على الطاعة لا يستطيعون
له خلافا بل لا يسمعون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وإنما يفرقان في شيء وهو أن اللائكة عليهم
السلام على بطاعتها وامتثالها والأجناف تطيع القلب في الانفتاح والانطباع على سبيل التفسير ولا خير
لها من نفسها ومن طاعتها للقلب وإنما افتقر القلب إلى هذه الجنود من حيث افتقار إلى الرب والاراد
لسفره الذي لأجله خلق وهو السفر إلى الله سبحانه وقطع للنازل إلى لقائه فلاجله خلقت القلوب قال
الله تعالى - وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون - وإنما مركبه البدن وزاده الطوارق وإنما الأسباب
التي توصله إلى الزاد وتمكنه من الزود منه هو العمل الصالح وليس يمكن العبد أن يصل إلى الله سبحانه
مالم يسكن البدن ولم يجاوز الدنيا فان المنزل الأدنى لا بد من قطعه للوصول إلى المنزل الأعلى فالدنيا
مزرعة الآخرة وهي منزل من منازل الهدى وإنما سميت دنيا لأنها أدنى المنزلين فاضطر إلى أن
يزود من هذا العالم فالبدن مركبه الذي يصل به إلى هذا العالم فاقتصر إلى تعبد البدن وحفظه وإنما
يحفظ البدن بأن يجلب إليه ما يوافقه من الغذاء وغيره وأن يدفع عنه ما ينافيه من أسباب الهلاك
فاقتصر لأجل جلب الغذاء إلى جنتين باطن وهو الشهوة وظاهر وهو اليد والأعضاء الجارية للغذاء فخلق
في القلب من الشهوات ما احتاج إليه وخلق الأعضاء التي هي آلات الشهوات فاقتصر لأجل دفع
المهلكات إلى جنتين باطن وهو الغضب الذي به يدفع المهلكات وينتقم من الأعداء وظاهر وهو اليد
والرجل الذي بهما يعمل بمقتضى الغضب وكل ذلك بأمر خارج فالجوارح من البدن كألسنة وغيرها
ثم المحتاج إلى الغذاء مالم يعرف الغذاء لم تنفعه شهوة الغذاء وإلغاه فاقتصر لمعرفة إلى جنتين باطن وهو
إدراك السمع والبصر والشم والذوق وظاهر وهو العين والأذن والأنف وغيرها وتفصيل وجه
الحاجة إليها ووجه الحكمة فيها يطول ولا تخوهر مجلدات كثيرة وقد أشرنا إلى طرف يسير منها في
كتاب الشكر فليقتنع به فجملة جنود القلب تحصرها ثلاثة أصناف صنف باعث ومستحث إما إلى
جلب النافع للوافق كالشهوة وإما إلى دفع الضار المناهي كالغضب وقد يجبر عن هذا الباعث بالارادة
والثاني هو الحركة للأعضاء إلى تحصيل هذه المقاصد ويعبر عن هذا الثاني بالقدرة وهي جنود مبنوثة
في سائر الأعضاء لا سيما العضلات منها والأوتار والثالث هو الإدراك للتعرف للأشياء كالحواس وهي
قوة البصر والسمع والشم والذوق واللمس وهي مبنوثة في أعضاء معينة ويعبر عن هذا بالعلم والإدراك
ومع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود ظاهرة وهي الأعضاء المركبة من اللحم والدم والعصب

منقصة وذلك في نفسه
من غير مسكنة مثل
الجند من التواضع
قال خفض الجناح
ولين الجانب . وسئل
الفضيل عن التواضع
قال تخضع لخلق
وتتقاد له وتقبله بمن
قاله وتسمع منه . وقال
أيضا من رأى نفسه
قيمة فليس له في
التواضع نصيب وقال
وهب بن منبه مكتوب
في كتاب الله إني
أخرجت الدر من
صلب آدم فلم أجد قلبا
أهد تواضعا إلى من
قلب موسى عليه
السلام فلذلك اصطفت
وكلمته ، وقيل من
عرف كوامن نفسه
لم يطمع في الصلوة

والدم والعظم التي أعدت آلات لهذه الجنود فان قوة البطش إنما هي بالأحابع وقوة البصر إنما هي بالعين وكذا سائر القوى ولنا تسكلم في الجنود الظاهرة أعني الأعضاء فانها من عالم الملك والشهادة وإنما تسكلم الآن فيما أبيت به من جنود لم تروها وهذا الصنف الثالث وهو للدر من هذا الجملة ينقسم إلى ما قد أسكن للنازل الظاهرة وهي الحواس الخمس أعني السمع والبصر والشم والذوق واللمس وإلى ما أسكن منازل باطنة وهي تجاويف الدماغ وهي أيضا خمسة فان الانسان بصيرة التي يفيض عنه فيدرك صورته في نفسه وهو الخيال ثم تبقى تلك الصورة معه بسبب شيء يحفظه وهو الجنود الحافظة ثم يفكر فيها حفظه فيركب بعض ذلك إلى البعض ثم يتذكر ما قد نسيه ويعود إليه ثم يجمع جملة معاني المحسوسات في خياله بالحواس المشتركة بين المحسوسات ففي الباطن حس مشترك وتخييل وتفكير وتذكر وحفظ ولولا خلق الله قوة الحفظ والفكر والذكر والتخييل لكان الدماغ غلو عنه كما غلو اليد والرجل عنه فذلك القوى أيضا جنود باطنة وأما كتبها أيضا باطنة فهذه هي أقسام جنود القلب وشرح ذلك بحيث يفكر فهم الضعفاء بضرب الأمثلة بطول ومقصود مثل هذا الكتاب أن يقتنع به الأفوياء والقحول من العلماء ولئسنا نجهد في فهم الضعفاء بضرب الأمثلة ليقرب ذلك من أنفهامهم .

(بيان أمثلة القلب مع جنوده الباطنة)

اعلم أن جندي الغضب والشهوة قد يتقادان للقلب اقتيادا تاما فينبه ذلك على طريقته الذي يسلكه وتحسن مراقبتهما في السفر الذي هو بصدده وقد يستحصيان عليه استحصاء بغير وعقد حق يملكه ويستبداه وفيه هلاكه وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله إلى سعادة الأبد وللقلب جنود آخره هو العلم والحكمة والتفكير كما سيأتى شرحه وحقه أن يستعين بهذا الجنود فانه حزب الله تعالى على الجنود الآخرين فانها قد يلتحقان بحزب الشيطان فان ترك الاستغانة وسلط على نفسه جنود الغضب والشهوة هلك قتيلا وخسر خسارانا مبينا وذلك حالة أكثر الخلق فان عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضاء الشهوة وكان ينبغي أن تكون الشهوة مسخرة لعقولهم فيما يفكر العقل إليه ونحن نقرب ذلك إلى فهمك بثلاثة أمثلة . المثال الأول : أن تقول مثل نفس الانسان في بدنه أعني بالنفس اللطيفة للذكورة كمثل ملك في مدينته ومملكته فان البدن مملكة النفس وعالمها ومستقرها ومدينتها وجوارحها وقواها بمنزلة الصناع والعملة والقوة العقلية الفكرة - كالشهير الناصح والوزير العاقل والشهوة له كالسيد السوء يجلب الطعام والليرة إلى المدينة والغضب والحيلة كصاحب الشرطة والعبد الجالب للميرة كذاب مكار خبيث يتمثل بصورة الناصح ويحث نصحه القتر الهائل والم القائل ودينه وعادته منازعة الوزير الناصح في آرائه وتديراته حتى إنه لا يخلو من منازعته ومعارضته ساعة كما أن الوالي في مملكته إذا كان مستغنيا في تديراته . بوزيره ومستشير الهومر صانع إشارة هذا العبد الخبيث مستدلا بأشارته في أن الصواب في تقيض رأيه أدبه صاحب شرطته واسمه لوزيره وجهه مؤتمرا له مسلطا من جهته على هذا العبد الخبيث وأتباعه وأصااره حتى يكون العبد موسسا لاسائسا وأمورا مدبرا لا أميرا مدبرا استقام أمر بلده وانتظم العدل بسببه فكذلك النفس متى استعانت بالعقل وأدبت بحجة الغضب وسلطها على الشهوة واستعانت باحداها على الأخرى تارة بأن تقلل مرتبة الغضب وتلوأته بمخالفة الشهوة واستندراجها وتارة بجمع الشهوة وقهرها بتسليط الغضب والحيلة عليها وتبسيح مقتضياتها اعتدلت قواها وحسنت أخلاقها ومن عدل عن هذه الطريقة كان كمن قال الله تعالى فيه - أفرايت من أخذ إله هواه وأصله الله على علم - وقال تعالى حواشع هواه فقله كمثل الكلب إن عمل عليه يلهث أو تركه يلهث - وقال عز وجل فيمن همى النفس عن الهوى

والغرف ويسلك سبيل
التواضع فلا يخاصم من
يفهمه ويشكر الله لمن
يحمده وقال أبو حنيفة
من أحب أن يتواضع
قلبه فليصحب الصالحين
وليترك مجرمتهم فمن
شدته تواضعهم في أنفسهم
يقنئ بهم ولا يتكبر .
وقال لقمان عليه السلام
لكل شيء مطعة ومطية
المعمل التواضع . وقال
النوري خمسة أشوس
أعز الخلق في الدنيا عالم
زاهد وقيع صوفي
وغنى متواضع وفقير
شاكرو شريف سني .
وقال الجلال لا ولا شرف
التواضع كما إذا مشينا
نخطو وقال يوسف بن
أبيات وقد سئل ما غاية
التواضع قال أن تخرج

- وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى - وسأيت كيفية مجاهدة هذه الجنود وتسلط بعضها على بعض في كتاب رياضة النفس إن شاء الله تعالى . الثالث الثاني : اعلم أن البدن كالمدينة والمقل أعني المدرك من الانسان كملك مدبرها وقواه المدركة من الحواس الظاهرة والباطنة كجودهم وأعضاؤه كركبته والنفس الأمانة بالسوء التي هي الشهوة والغضب كمدو يتنازع في ملكه ويسعى في إهلاك رعيته فصار بدنه كرباط وتفرغته كشم فيه مرابط فان هو جاهد عدوه وهزمه وقهره على ما يحب حمد الله إذا فاد إلى الحضرة كما قال الله تعالى - والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعد بن درجة - وإن ضيع ثمره وأهمل رعيته ذم الله فانتقم منه عند الله تعالى فيقال له يوم القيامة ياراعى السوء أكلت اللحم وشربت اللبن ولم تأو الصالة ولم تجر الكسيرة اليوم أنتم منكم (١) كالأرد في الخبر وإلى هذه المجاهدة الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم «رجنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر (٢)» للثالث الثالث : مثل المقل مثال فارس متصيد وشهوته كفرسه وغضبه ككلبه فلي كان الفارس حاذقاً وفرسه مبروفاً وكلبه مؤدباً ومسلطاً كان جديراً بالنجاح ومضى كان هو قوته أخرى وكان الفرس جوعاً والكلب غفورا فلا فرسه يثبت تحته متقاداً ولا كلبه يسترسل بأشارته مطعياً فهو خلق بأن يطلب فضلاً عن أن يتال ما طلب وإنما خرق الفارس مثل جهل الانسان وقلة حكمته وكلال بصيرته وجماع الفرس مثل غلبة الشهوة خصوصاً شهوة البطن والفرج وعقر الكلب مثل غلبة الغضب واستيلائه . نسأل الله حسن التوفيق بطلعه .

(بيان خاصة قلب الانسان)

اعلم أن جملة ما ذكرناه قد أتم الله به على سائر الحيوانات سوى الآدمي إذ للحيوان الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة أيضاً حتى إن الشاة ترى القذبة تعلم عداوتها بقلها تقرب منه فذلك هو الإدراك الباطن فلذلك ما اغتص به قلب الانسان ولأجله عظم شرفه واستأهل القرب من الله تعالى وهو راجع إلى علم وإرادة أما العلم فهو العلم بالأمور الدنيوية والأخروية والحقائق العقلية فإن هذه أمور وراء الحسوسات ولا يشارك فيها الحيوانات بل العلوم السلكية الضرورية من خواص العقل إذ عظم الانسان بأن الشخص الواحد لا يتصور أن يكون في مكانين في حالة واحدة وهذا حكم منه على كل شخص ومعلوم أنه لم يدرك بالحس إلا بعض الأشخاص فحكمه على جميع الأشخاص زائد على ما أدركه الحس وإذا قيمت هذا في العلم الظاهر الضروري فهو في سائر النظريات أظهر وأما الإرادة فانه إذا أدرك بالعقل عاقبة الأمر وطريق الصلاح فيه انبث من ذاته شوق إلى جهة للصحة وإلى تعاطي أسبابها والإرادة لها وذلك غير إرادة الشهوة وإرادة الحيوانات بل يكون على ضد الشهوة فإن الشهوة تنفر عن القصد والحجامة والمقل يريد بها ويطلبها ويسئل المال فيها والشهوة يميل إلى لذائذ الأطعمة في حين للرض والعاقل يجد في شه زاجراً عنها وليس ذلك زاجر الشهوة ولو خلق الله المقل للرفع بعواقب الأمور ولم يخلق هذا الباعث المحرك للأعضاء على مقتضى حكم العقل لكان حكم العقل ضامناً على التحقيق فاذن قلب الانسان اختص بعلم وإرادة ينفك عنها سائر الحيوانات بل ينفك عنها الصبي في أول الفطرة وإنما يحدث ذلك فيه بعد البلوغ وأما الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة فانهما موجودة في حق الصبي ثم الصبي في حصول هذه العلوم فيه لدرجتان : إحداهما أن يشتغل قلبه

(١) حديث يقال يوم القيامة ياراعى السوء أكلت اللحم وشربت اللبن ولم ترد الصالة الخبر لم أجد له أصلاً (٢) حديث رجنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر البيهقي في الزهد من حديث جابر وقال هذا إسناد فيه ضعف .

من بينك فلا تلق
أحد إلا رأيته خيراً
منك ورأيت شبيخاً
ضياء الدين أبا العريب
وسكنت معه في
سفره إلى الشام وقد
بث بعض أبناء الدنيا
له طعاماً على رؤوس
الأسارى من الأفرنج
وم في قيودهم فلما
مدت السفرة والأسارى
ينتظرون الأواني حتى
تسرع قال للخدام
أحضر الأسارى حتى
يقعدوا على السفرة مع
الفقراء فجاء بهم
وأقدم على السفرة
صفوا واحداً قائم الشيخ
من سجداته ومضى
إليه وقعد بينهم
كالواحد منهم فأكل
وأكلوا وظهر لنا على
وجهه ما نازل باطنه

على سائر العلوم الضرورية الأولية كالمعلم باستحالة المستحيلات وجواز الجائزات الظاهرة فتكون العلوم النظرية فيها غير حاصلة إلا أنها صارت ممكنة قريبة الامكان والحصول ويكون حاله بالاضافة إلى العلوم كحال الكاتب الذي لا يعرف من الكتابة إلا الدواة والقلم والحروف المفردة دون المركبة فإنه قد قارب الكتابة ولم يلفها بعد . الثانية أن تحصل له العلوم المكتسبة بالتجارب والفكر فتكون كالخزونة عنده فإذا شاء رجع إليها وحاله حال الحاذق بالكتابة إذ يقال له كاتب وإن لم يكن مباشرًا للكتابة بقدرته عليها وهذه هي غاية درجة الإنسانية ولكن في هذه الدرجة مراتب لأخصى يتفاوت الخلق فيها بكثرة للعلوم وقلتها وبسرف المعلومات وخستها وبطريق تحصيلها إذ تحصل لبعض القلوب بالإلهام إلى سبيل البادئة والكاشفة لبعضهم يتم واكتساب وقد يكون سريع الحصول وقد يكون بطيء الحصول وفي هذا القام ثبائين منازل العلماء والحكماء والأنبياء والأولياء فدرجات الترقى فيه غير محصورة إذ معلومات الله سبحانه لا نهاية لها وأقصى الرتبة التي التي تنكشف له كل الحقائق أو أكثرها من غير اكتساب وتكسب بل بكشف إلهي في أسرع وقت وبهذه السعادة يقرب العبد من الله تعالى قربا بالمعنى والحقيقة والصفة لا بالمكان والسافة ومراق هذه الدرجات هي منازل السائرين إلى الله تعالى ولا حصر لتلك المنازل وإنما يعرف كل ساكن منزله الذي بلغه في سلوكه فيعرفه ويعرف ما خلفه من المنازل فأما ما بين يديه فلا يحيط بحقيقته علما لكن قد يصدق به إيمانا بالغيب كما أننا نؤمن بالنبوة والنبي ونصدق بوجوده ولكن لا يعرف حقيقة النبوة إلا النبي وكما لا يعرف الجنين حال الطفل ولا الطفل حال المميز وما يغتفح له من العلوم الضرورية ولا المميز حال العاقل وما اكتسبه من العلوم النظرية فكذلك لا يعرف العاقل ما اقتض الله على أوليائه وأنبيائه من مزايا لطفه ورحمته - ما يغتفح الله للناس من رحمة فلا يحسك لها - وهذه الرحمة مبذولة بحكم الجود والكرم من الله سبحانه وتعالى غير مضمون بها على أحد ولكن إنما تظهر في القلوب للعرضة لنفحات رحمة الله تعالى كما قال صلى الله عليه وسلم « إن لربكم في أيام دهركم لنفحات ألا تضرعوا لها ^(١) » والتعرض لها بتطهير القلب وتزكيت من الحب والكدورة الحاصلة من الأخلاق السمومة كما سيأتي بيانه وإلى هذا الجود الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « ينزل الله كل ليلة إلى صماء الدنيا فيقول هل من داع فأستجيب له » ويقول عليه الصلاة والسلام حكاية عن ربه عز وجل « لقد طال شوق الأبرار إلى لقائي وأنا إلى لقاءهم أشد شوقا ^(٢) » ويقول تعالى « من تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا ^(٣) » كل ذلك إشارة إلى أن أنوار العلوم لم تختب عن القلوب ليخل ومنع من جهة النعم ، تعالى عن البخل والنع علوا كبيرا ولكن حببت لبحث وكدورة وغفل من جهة القلوب فإن القلوب كالأواني لمادامت ممتلئة بالماء لا يدخلها الهواء فالقلوب المشغولة بغير الله لا تدخلها النعمة بجلال الله تعالى وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « لولا أن الشياطين يهيمون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء ^(٤) » ومن هذه الجملة يتبين أن خاصة الانسان العلم والحكمة

من التواضع لله والانكسار في نفسه وانسلاخه من التكبر عليهم بايمانه وعلوه وعمله . أخيرا تأبوررة إجازة عن أبي بكر بن خلف إجازة عن السلي قال سمعت أبا الحسين الفارسي يقول سمعت الجريري يقول صح عند أهل العرق أن للدين رأسا من خمسة في الظاهر وخمسة في الباطن فأما اللوائ في الظاهر فصدق في القنآن وسخاوة في الملك وتواضع في الأبدان وكف الأذى واحتائه بلاياء . وأما اللوائ في الباطن فحب وجود سيده خوف القرقي من سيده ورجاء الوصول إلى سيده

- (١) حديث إن لربكم في أيام دهركم نفحات الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد وقد تقدم (٢) حديث يقول الله عز وجل قد طال شوق الأبرار إلى لقاء الحديث لم أجده أصلا إلا أن صاحب الفردوس خرجه من حديث أبي الدرداء ولم يذكر له ولمه في مسند الفردوس إسنادا (٣) حديث يقول الله من تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث لولا أن الشياطين يهيمون على قلوب بني آدم الحديث أحمد من حديث أبي هريرة بنحوه وقد تقدم في الصيام .

وأشرف أنواع العلم هو العلم بالله وصفاته وأفعاله فيه كمال الانسان وفي كماله سعاده وصلاحه لجوار
حضرة الجلال والكمال فالبدن مركب للنفس والنفس محل للعلم والعلم هو مقصود الانسان وخاصيته
التي لأجله خلق وكأن القرس يشارك الحمار في قوة الحمل ويغتنس عنه بخاصية السكر والقر
وحسن الهيئة فيكون القرس مخلوقاً لأجل تلك الخاصية فان تعطلت منه نزل إلى حضن رتبة الحمار
وكذلك الانسان يشارك الحمار والقرس في أمور ويافرقهما في أمور هي خاصيته وتلك الخاصية من
صفات الملائكة المقربين من رب العالمين والانسان على رتبة بين الالهائم والملائكة فان الانسان من
حيث يتغذى وينسل فنبات ومن حيث يحس ويتحرك بالاخبار الحيوان ومن حيث صورته وقامته
فكالمصورة للنقوشة على الحائط وإنما خاصيته معرفة حقائق الأشياء فمن استعمل جميع أعضائه وقواه
على وجه الاستعانة بها على العلم والعمل فقد تشبه بالملائكة تحقيق بأن يلحق بهم وجدير بأن يسمى
ملكاً وربانياً كما أخبر الله تعالى عن صواحيب يوسف عليه السلام بقوله - ما هذا بشراً إن هذا
إلا ملك كريم - ومن صرف همه إلى اتباع اللذات البدنية يأكل كما تأكل الأنعام فقد انحط إلى
حضن أفق الالهائم فيصير إما غمراً كثوراً وإما شرها كغزير وإما ضرياً ككلب أو سنوراً أو حقوداً
كجمل أو متكبراً كعمر أو فداً روغان كغلاب أو يجمع ذلك كله كشیطان مريد وبامن عضو من
الأعضاء ولا حاسة من الحواس إلا ويعكن الاستعانة به على طريق الوصول إلى الله تعالى كما سيأتي
بيان طرف منه في كتاب الشكر فمن استعمله فيه فقد فاز ومن عدل عنه فقد خسر وخاب وجملة
السعادة في ذلك أن يجعل لقاء الله تعالى مقصده والدار الآخرة مستقره والدنيا منزله والبدن مركبه
والأعضاء خدمه فيستقر هو أعني المدرك من الانسان في القلب الذي هو وسط مملكة كالملك والمجمرى
القوة الخيالية الودنة في مقدم الدماغ يجرى صاحب بریده إذ تجتمع أخبار الحواس وتغلب عنده ويجرى
القوة الحافظة التي مسكنها مؤخر الدماغ يجرى خازنه ويجرى اللسان يجرى ترجمانه ويجرى الأعضاء
المتحركة يجرى كتابه ويجرى الحواس الخمس يجرى جواسيسه فيوكل كل واحد منها بأخبار مضمّن من
الأصقاع فيوكل العين بعالم الألوان والسمع بعالم الأصوات والشم بعالم الروائح وكذلك سائر أفعالها
أصحاب أخبار يلتقطونها من هذه العوالم ويؤدونها إلى القوة الخيالية التي هي كصاحب البريد
ويسلها صاحب البريد إلى الخازن وهي الحافظة ويعرضها الخازن على الملك فيقبض الملك منها
ما يحتاج إليه في تدبير مملكته وإعصام سفره الذي هو بصدده وقمع عدوه الذي هو مبتلى به ودفع
قواطع الطريق عليه فإذا فعل ذلك كان موقفاً سعيداً شاكرًا نعمة الله وإذا عطل هذه الجملة
أو استعملها لكن في مراعاة أعدائه وهي الشهوة والغضب وسائر الحفظ والحوار في عمارة طريقه
دون منزله إذ الدنيا طريقه التي عليها عبوره ووطنه ومستقره الآخرة كان عذلاً لا حقياً كافراً بنعمة
الله تعالى مضياً لجنود الله تعالى ناصراً لأعداء الله مخذلاً لحزب الله فيستحق الموت والابادة في القلب
والعاد نعوذ بالله من ذلك وإلى المثال الذي ضربناه أشار كعب الأخبار حيث قال دخلت على عائشة
رضي الله عنها فقلت للانسان عيناها هاد وأذناه قمع ولسانه ترجمان ويده جناحان ورجلاه بريد
والقلب منه ملك (١) فإذا طاب الملك طابت جنوده فقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول . وقال على رضي الله عنه في تمثيل القلوب : إن لله تعالى في أرضه آية وهي القلوب فأحبها

والنسم على فصله
والحياء من ربه وقال
يجي بن معاذ التواضع
في الخلق حسن ولكن
في الأغنياء أحسن
والتكبر مع في الخلق
ولكن في الفقراء
أجمع . وقال ذو النون
ثلاثة من علامات
التواضع تصغير النفس
معرفة باليأس وتعظيم
الناس حرمة للتوحيد
وقبول الحق والصليحة
من كل واحد . وقيل
لأبي يزيد متى يكون
الرجل متواضعا قال إذا
لم يرى نفسه حقاً ولا
حلاً من حله بشراً
وازدرأها ولا يرى أن
في الخلق شراً منه .
قال بعض الحكماء
وجدنا التواضع مع
الجهل والبخل أحد

(١) حديث عائشة الانسان عيناها هاد وأذناه قمع ولسانه ترجمان الحديث أبو نعم في الطب النبوي
والطبراني في مسند الشاميين والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة نحوه وله لأحمد من حديث
أبي ذر أما الأذن قمع وأما العين فثمرة لما يوعى القلب ولا يصح منها شيء .

إليه تعالى وأرقها وأصفها وأصلها ثم فسره قل أصلها في الدين وأصفها في اليقين وأرقها على الإخوان وهو إشارة إلى قوله تعالى - أشد على الكفار رحما بينهم - وقوله تعالى - مثل نوره كشكة في مأصباح - قال أبي بن كعب رضى الله عنه مناه مثل نور المؤمن وقلبه وقوله تعالى - أو كظلمات في بحر لجي - مثل قلب المنافق وقال زيد بن أسلم في قوله تعالى - في لوح محفوظ - وهو قلب المؤمن وقال سهل مثل القلب والصدر مثل العرش والكرسي فهذه أمثلة القلب .

(بيان مجاميع أوصاف القلب وأمثله)

اعلم أن الإنسان قد اصطلح في خلقه وتركيبه أربع شوائب فلذلك اجتمع عليه أربعة أنواع من الأوصاف وهى الصفات السبية والبهيمية والشيطنية والزبانية فهو من حيث سلب عليه الغضب يتعاطى أفعال السباع من العداوة والبغضاء والتبرج على الناس بالفرص والتم من حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى أفعال البهائم من الشره والحرص والشيق وغيره ومن حيث إنه في نفسه أمر رباني كما قال الله تعالى - قل الروح من أمر ربي - فإنه يدعى لنفسه الزبوية وبهجه الاستلاء والاستلاء والتخصص والامتداد بالأمور كلها والتفرد بالرياسة والانسلاخ عن رتبة العبودية والتواضع ويشتهى الاطلاع على العلوم كلها بل يدعى لنفسه العلم والمعرفة والاحاطة بحقائق الأمور ويغضب إذا نسب إلى العلم ويحزن إذا نسب إلى الجهل والاحاطة بجميع الحقائق والاستيلاء بالظهر على جميع الخلق من أوصاف الزبوية وفي الإنسان حرص على ذلك ومن حيث يغضب من البهائم بالتميز مع مشاركته لها في الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية صار شريفا يستعمل التمييز في استنباط وجوه الشر ويتوصل إلى الأغراض بالمكر والحيلة والخداع ويظهر الشر في مرض الجبر وهذه أخلاق الشياطين وكل إنسان فيه شوب من هذه الأصول الأربعة أغنى الرأية والشيطنية والسبية والبهيمية وكل ذلك مجموع في القلب فكان المجموع في إهاب الإنسان خنزير وكلب وشيطان وحكيم فالخنزير هو الشهوة فإنه لم يكن الخنزير منموما لونه وشكله ومصورته بل لجشمة وكلبه وحرصه والكلب هو الغضب فإن السبع الضاري والكلب العقور ليس كلبا وسبعا باعتبار الصورة واللون والشكل بل روح معنى السبعة الضراوة والعدوان والعقور في باطن الإنسان ضراوة السبع وغضبه وحرص الخنزير وشبقه فالخنزير يدعو بالشره إلى الفحشاء والمنكر والسبع يدعو بالغضب إلى الظلم والإبذاء والشيطن لا يزال يهيج شهوة الخنزير ويغبط السبع ويرى أحدهما بالآخر ويحسن لها ماها يجهولان عليه والحكيم الذي هو مثال العقل مأثور بأن يدفع كبد الشيطان ومكره بأن يكشف عن تلبسه بصبره النافذة ونوره للشرق الواضح وأن يكسر شره هذا الخنزير بتسلط السكب عليه إذ بالغضب يكسر سورة الشهوة ويدفع ضراوة السكب بتسلط الخنزير عليه ويجعل السكب مقهورا تحت سياسته فإن فعل ذلك وقدر عليه اعتدل الأمر وظهر المدلى مملكة البدن وجرى السكب على الصراط السقيم وإن مجز عن قهرها قهره واستخدموه فلا يزال في استنباط الحيل وتدقيق الفكر ليشبع الخنزير ويرضى السكب فيكون دائما في عبادة كلب وخنزير وهذا حال أكثر الناس مهما كان أكثر همهم البطن والفرج ومنافسة الأعداء والعجب منه أنه ينكر على عبدة الأصنام عبادتهم المحجارة ولو كشف الغطاء عنه وكشف حقيقة حاله ومثل حقيقة حاله كما يمثل للمكاشفين إما في النوم أو في اليقظة لراى نفسه مائلا بين يدي خنزير ساجدا لعمرة دورا كما أخرى ومنتظرا لإشارته وأمره فلها حاج الخنزير لطاب شيء من شهواته أثبت على الفور في خدمته وإحسان شهوته أو رأى نفسه مائلا بين يدي كلب عقور عابدا لمطعمه ما لم يقتضيه ويتمتع به مدحا

من الكبير مع الأدب والسخاء وقيل لبعض الحكماء هل تعرف نعمة لا يحسد عليها وبلاء لا يرسم صاحبه عليه قال نعم أما النعمة فتواضع وأما البلاء فالعجز والكبر عن حقيقة التواضع أن التواضع رعاية الاعتدال بين الكبير والضعف فالكبير رفع الإنسان نفسه فوق قدره والضعف وضع الإنسان نفسه مكانا يذرى به ويغضى إلى تضييع حقهم وقد اتهم من كثير من إشارات الشايع في شرح التواضع أشياء إلى حد أقاموا التواضع فيه مقام الضعة ويروج فيه المحسوى من أوج

بالفكر في حيل الوصول إلى طاعته وهو بذلك ساع في مسرة شيطانه فانه الذي يهيج الخنزير ويشير
الكب ويضجها على استخدامه فهو من هذا الوجه يبعد الشيطان بعبادتها فليزأب كل جسد حر كانه
وسكانته وسكوته ونطقه وقياه وقموده ولينظر بين البصرة فلا يرى إن أنصف نفسه لإساعيا طول
التهار في عبادة هؤلاء وهذا غاية الظلم إذ جعل المالك مملوكا والرب مربوبا والسيد عبدا والظاهر مقبورا
إذ القهل للستحق للسيادة والتهر والاستيلاء وقد سخره لخدمة هؤلاء الثلاثة فلا جرم ينتشر إلى قلبه
من طاعة هؤلاء الثلاثة صفات تراكم عليه حتى يصير طابعا وربنا مهلكا القلب ومجتهاله أماغطة خنزير
الشهوة فيصدر منها صفة الواقعة والحث والتبذير والتفتير والرياء والهنكة والمجانة والبث والحرس
والجشع واللاق والحسد والحقد والشائنة وغيرها وأما طاعة كلب الغضب فتنتشر منها إلى القلب صفة
التهور والبذلة والبذخ والصلف والاستعانة والتكبر والعجب والاستهزاء والاستخفاف وتخفيف الحق
وإرادة الشر وشهوة الظلم وغيرها وأما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فيحصل منها صفة السكر
والخداع والحيلة والدهاء والجراءة والتلبس والتضريب والقش والحب والحناء وأمثالها ولو عكس
الأمر وقهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية لاستقر في القلب من الصفات الربانية العلم والحكمة
واليقين والاستحقاق بمقامات الأغنياء ومعرفة الأمور على ما هي عليه والاستيلاء على الكل بقوة العلم
والبصرة واستحقاق التقدم على الخلق لكمال العلم وجلاله ولا يستغنى عن عبادة الشهوة والغضب ولا تنتشر
إليه من ضبط خنزير الشهوة وردة إلى حد الاعتدال صفات شريفة مثل العفة والمحدو والزهد
والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف والمساعدة وأمثالها ويحصل فيه من ضبط
قوة الغضب وقهرها وردها إلى حد الواجب صفة الشجاعة والكرم والتجدة وضبط النفس والصبر والحلم
والاحتياط والعفو والتبذير والتبذل والشهامة والورع وغيرها فلهذا قلب في حكم امرأة قد اكتشفته هذه
الأمرات مؤثرة فيه وهذه الآثار على التواصل واصله إلى القلب أما الآثار المحمودة التي ذكرناها فانها تزيد
مرأة القلب جلالة وإشراقا ونورا وضياء حتى يتلأف فيه جلابة الحق وينكشف فيه حقيقة الأمر للطلوب
في الدين وإلى مثل هذا التلبس الإشارة بقوله عَلَيْهِ السَّلَام «إذا أراد الله بعبده خيرا جعل له واعظا من قلبه» (١)
ويقوله صلى الله عليه وسلم «من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ» (٢) وهذا القلب هو الذي
يستقر فيه الذر كقول الله تعالى - ألا يذكر الله تطمئن القلوب - وأما الآثار المذمومة فانها مثل دخان
مظلم يتصاعد إلى مرآة القلب ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد أخرى إلى أن يحوط ويظلم ويصير كالكبابة
محبوبا عن الله تعالى وهو بالطبع وهو الرين قال الله تعالى - كلاب يران على قلوبهم ما كانوا يكسبون -
وقال عز وجل - أن لو نشاء أصنامهم بذنوبهم ونطيع على قلوبهم فهم لا يسمعون - فربط عدم السماع
بالطبع بالذنوب كاربط السماع بالقوى فقال تعالى - واتقوا الله واسمعوا - واتقوا الله وسمعون الله -
ومهما تراكت الذنوب طبع على القلوب وعند ذلك معنى القلب عن إدراك الحق وصلاح الدين ويستبين
بأمر الآخرة ويستنظم أمر الدنيا ويصير مقصور الهم عليها فاذا قرع سمعه أمر الآخرة وما فيها من
الأخطار دخل من أذن وخرج من أذن ولم يستقر في التلبس ولم يحركه إلى التوبة والتدارك وأولئك
الذين - يسوا من الآخرة كما يشك الكفار من أصحاب القبور - وهذا هو معنى أسوداد القلب بالذنوب
كما نطق به القرآن والسنة قال ميمون بن مهران : إذا أذنبت العبد ذنبا نسكت في قلبه نسكة سوداء

(١) حديث إذا أراد الله بعبده خيرا جعل له واعظا من قلبه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس
من حديث أم سلمة وإسناده جيد (٢) حديث من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ
لم أجده أصلا .

الافراط إلى حضيض
التضرب يوم
انحرافا من حد
الاعتدال ويكون
قصد من ذلك المبالغة
في قمع قوس الريدين
خوف عليهم من العجب
والكبر فقل أن
ينفك مريد في مبادى
ظهور سلطان الجال
من العجب حتى لقد
نقل عن جمع من
الكبار كلمات مؤدنة
بالعجب وكل ما نقل
من ذلك القليل من
الشارح لبقايا السكر
عندهم وانحصرهم في
مضيق سكر الحال
وعدم الخروج إلى
فضاء الصحو في ابتداء
أمرهم وذلك إذا حدق
صاحب البصرة نظره
يعلم أنه من استراق

فإذا هو تزعم وتاب عقل وإن عاد زيد فيها حق يعوق قلبه فهو الران وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر وقلب الكافر أسود منكوس» (١) فطاعة الله سبحانه بمخالفة الشهوات مصفة للقلب ومعاينه مسودات له فمن أقبل على المعاصي أسود قلبه ومن أتبع السيئة الحسنة ومحاً أثرها لم يظلم قلبه ولكن ينقص نوره كالمرآة التي ينقص فيها ثم تمسح وينقص ثم تمسح فانها لا تخلو عن كدورة وقد قال صلى الله عليه وسلم «القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب أسود منكوس فذلك قلب الكافر وقلب أغلف مربوط على غلظه فذلك قلب للتافق وقلب مصفح فيه إيمان وثاق» (٢) فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة بعدها الماء الطيب ومثل التفاف فيه كمثل القرحة بعدها التبيح والصديد فأى اللادين غلبت عليه حكم لها وفي رواية ذهب به قال الله تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون - فأخبر أن جلاء القلب وإبصاره يحصل بالذكر وأنه لا يتمكن منه إلا الذين اتقوا فالتقوى باب الذكر والذكر باب الكشف والكشف باب الفوز الأكبر وهو الفوز ببقاء الله تعالى .

(بيان مثل القلب بالاضافة إلى العلوم خاصة)

اعلم أن محل العلم هو القلب أعنى اللطيفة اللدنية لجميع الجوارح وهي الطاعة المهدومة من جميع الأعضاء وهي بالاضافة إلى حقائق المعلومات كالمرآة بالاضافة إلى صور التلونات فكأن للتعاون صورة ومثال تلك الصورة ينطبق في المرآة ويحصل بها كذلك لكل معلوم حقيقة وتلك الحقيقة صورة تنطبق في مرآة القلب وتوضح فيها وكأن المرآة غير وصور الأشخاص غير وحصول مثالها في المرآة غير في أمور فكذا هنا ثلاثة أمور القلب وحقائق الأشياء وحصول نفس الحقائق في القلب وحضورها فيه فالعلم عبارة عن القلب الذي فيه محل مثال حقائق الأشياء والعلوم عبارة عن حقائق الأشياء والعلم عبارة عن حصول التمثال في المرآة وكأن القبض مثلاً يستدعى قابضاً كاليد ومقبوضاً كاليف ووصولاً بين السيف واليد بحصول السيف في اليد ويسمى قبضاً فكذا حصول وصول مثال العلوم إلى القلب يسمى علماً وقد كانت الحقيقة موحودة والقلب موجوداً ولم يكن العلم حاصل لأن العلم عبارة عن وصول الحقيقة إلى القلب كأن السيف موجود واليد موجودة ولم يكن اسم القبض والأخذ حاصل لعدم وقوع السيف في اليد ، نعم القبض عبارة عن حصول السيف بينه وبين العلم والمعلوم بينه لا يحصل في القلب فن علم النار لم تحصل عين النار في قلبه ولكن الحاصل حدها وحقيقتها المطابقة لصورتها فتتمثله بالمرآة أولى لأن عين الانسان لا تحصل في المرآة وإنما يحصل مثال مطابق له وكذا حصول مثال مطابق لحقيقة العلوم في القلب يسمى علماً كأن المرآة لا تنكشف فيها الصورة لجهة أمور : أحدها نقصان صورتها كيوهر الحديد قبل أن يدور ويشكل ويسقل : والثاني لحيث وضعته وكدورته وإن كان تام الشكل . والثالث لكونه معدولاً به عن جهة الصورة إلى غيرها كما إذا كانت الصورة وراء المرآة . والرابع لحيث مرسل بين المرآة والصورة . والخامس للحيث بالجبهة التي فيها الصورة المطاوعة حتى يتعذر بسببه أن يحاذيها شطر الصورة وجهتها فكذا القلب مرآة مستعدة لأن ينجلي فيها حقيقة الحق في الأمور كلها وإنما خلت القلوب عن العلوم التي خلت عنها لهذه الأسباب الخمسة أولها نقصان في ذاته كقلب الصبي فإنه لا ينجلي له المعلومات لنقصانه . والثاني

النفس السمع عند نزول الوارد على القلب والنفس إذا استرقت السمع عند ظهور الوارد على القلب ظهرت بصفتها على وجه لا يجفو على الوقت وصلافة الحال فيصكون من ذلك كلمات مؤذنة بالعجب كقول بعضهم من تحت خضراء السماء مثل وقول بعضهم قدى على رقة جميع الأولياء وكقول بعضهم أسرحت وألحت وطلعت في أفطار الأرض وقلت هل من مبارز فلم يخرج إلى أحد إشارة منه في ذلك إلى فقره في وقته ومن أشكل عليه ذلك ولم يعلم أنه من

(١) حديث قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر الحديث أحمد والطبراني في الصغير من حديث أبي سعيد وهو بعض الحديث الذي يليه (٢) حديث القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر الحديث أحمد والطبراني في الصغير من حديث أبي سعيد الحدرى وقد تقدم .

لكدورة للماضي والحب الذي يترآكم على وجه القلب من كثرة الشهوات فان ذلك يمنع صفاء القلب وجلاءه فينتج ظهور الحق فيه لظلمته وترآكه وإليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم «من قارف ذنباً فارق عقل لا يعود إليه أبداً» (١) أي حصل في قلبه كدورة لا يزال أثرها إنفاغيتاً بتمه بحسنة يعمده بها فلو جاء بالحسنة ولم تتقدم السيئة لازداد لاهالة إشتراق القلب فلما خدمت السيئة سقطت فائدة الحسنة لكن عاد القلب بها إلى ما كان قبل السيئة ولم يزد بها نوراً فهذا خسران مبين وتقصان لاحية له فليست للراءة التي تدنس ثم تنسح بالمسئلة كالتي تنسح بالمسئلة زيادة جلالها من غير دنس سابق فالإقبال على طاعة الله والاعراض عن مقتضى الشهوات هو الذي يجلو القلب وصفه وذلك قاله الله تعالى - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلاً - وقال صلى الله عليه وسلم «من عمل بماعلم ورثه الله علم ما لم يعلم» (٢) . الثالث أن يكون معدولاً به عن جهة الحقيقة المطلوبة فان قلب الطبع الصالح وإن كان صافياً فانه ليس يتضح فيه جلية الحق لأنه ليس يطلب الحق وليس هادياً بمرآته مطهر المطلوب بل ربما يكون مستوجب المم بتفصيل الطاعات البدنية أو بتبسيط أسباب المعيشة ولا يصرف فكره إلى التأمل في حضرة الربوبية والحقائق الخفية الإلهية فلا ينكشف له إلا ما هو متفكر فيه من دقائق آفات الأعمال وخفايا عيوب النفس إن كان متفكراً فيها أو مصالح المعيشة إن كان متفكراً فيها وإذا كان تقييد المم بالأعمال وتفضيل الطاعات مانعاً عن انكشاف جلية الحق لمناظرك فيمن صرف المم إلى الشهوات الغيبية وقلداتها وعلاقتها فكيف لا يمنع عن الكشف الحقيقي . الرابع الحجاب فان الطبع القاهر لشهوته التجرد الفكر في حقيقة من الحقائق فلا ينكشف له ذلك لكونه محجوباً عنه باعتقاد سبق إليه منذ الصبا على سبيل التقليد والقبول بحسن الظن فان ذلك يحول بينه وبين حقيقة الحق ويمنع من أن ينكشف في قلبه خلاف ما تلقاه من ظاهر التقليد وهذا أيضاً حجاب عظيم به حجب أكثر التكلمين والتصنيفين للمذاهب بل أكثر الصالحين للتفكيرين في ملكوت السموات والأرض لأنهم محجوبون باعتقادات تقليدية جمدت في نفوسهم ورسخت في قلوبهم وصارت حجاباً بينهم وبين ذلك الحقائق . الخامس الجهل بالجهة التي تقع منها الشور على المطلوب فان طالب العلم ليس يمكنه أن يحصل العلم بالمجهول إلا بالتدكر للعلوم التي تناسب مطلوبه حتى إذا تدكرها ورتبها في نفسه ترتيباً مخصوصاً يفرقه الماء بطرق الاعتبار فند ذلك يكون قد عثر على جهة المطلوب فتجلى حقيقة المطلوب لقلبه فان العلوم المطلوبة التي ليست فطرية لا تقتضى إلا بشبكة العلوم الحاصلة بل كل علم لا يحصل إلا عن علمين سابقين بألفان ويزدوجان على وجه مخصوص فيحصل من ازدواجهما علم ثالث على مثال ما يحصل النتاج من ازدواج الفحل والأنثى ثم كما أن من أراد أن يستخرج مكملاً يسكنه ذلك من حمار وبير وإنسان بل من أصل مخصوص من الحبل الله كروا الأئمة وذلك إذا وقع بينهما ازدواج مخصوص فكذلك كل علم فله أصلان مخصوصان وبينهما طريق في الازدواج يحصل من ازدواجهما العلم السفاد المطلوب فالجهل بتلك الأصول وبكيفية الازدواج هو السانع من العلم ومثاله ما ذكرناه من الجهل بالجهة التي الصورة فيها بل مثاله أن يريد الإنسان أن يرى تمامه مثلاً بالمرآة فإنه إذا فرغ المرآة بأزواجه لم يكن قد حاذى بها شطر القفا فلا يظهر فيها القفا وإن رضاء القفا وحاذاه كان قد عدل بالمرآة عن عينه فلا يرى المرآة ولا صورة القفا فيها فيحتاج إلى مرآة أخرى ينصهارا والقفا وهذه في مقابلتها بحيث يصيرها ويرى مناسبة بين وضع المرآتين حتى تنطبق صورة القفا في المرآة الهادى للقفا ثم تنطبق صورة

(١) حديث من قارف ذنباً فارق عقل لا يعود إليه أبداً لم أره أصلاً (٢) حديث من عمل بماعلم ورثه الله علم ما لم يعلم أبو نعيم في الحلية من حديث أنس وقد تقدم في العلم.

إشتراق النفس السمح
فلين ذلك بميزان
أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم وتواضعهم
واجتنابهم أمثال هذه
الكلمات واستنبه آدم
أن يجوز لعبد التظاهر
بشيء من ذلك ولكن
يجعل الكلام الصادق
وجه في الصحة ويقال
إن ذلك طمع عليهم
في سكر الحال وكلام
السكراني يحمل فالشايخ
أرباب التمكن لما علوا
في النفوس هذا الماء
الذيق بالقوا في شرح
التواضع إلى حد الحقوه
بالضمة تداء والمردين
والاعتدال في التواضع
أن يرتضى الإنسان
بذلة دون ما يستحقه
ولو أمن الشخص
جموح النفس لأوقتها

هذه للآلة في الآلة لأخرى التي في مقابلة العين ثم تدرك العين صورة القفا كذلك في اقتناص العلوم طرق هجينة فيها ازوورات وتحريجات أعجب عما ذكرناه في الآلة يمر على بسيط الأرض من يهتدى إلى كيفية الجلبة في تلك الازوورات فهذه الأسباب النافعة للقلوب من معرفة حقائق الأمور والافتكال قلب فهو بالقطرة صالح لمعرفة الحقائق لأنه أمر رباني شريف فارق سائر جواهر العالم بهذه الخاصة والشرف وإليه الإشارة بقوله عز وجل - إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان - إشارة إلى أنه خاصة تميز بها عن السموات والأرض والجبال بها صلا مطلقا لحل أمانة الله تعالى وتلك الأمانة هي للفرقة والتوحيد وقلب كل آدمي مستند لحل الأمانة ومطبق لها في الأصل ولكن يشطه عن الهوى بأعبائها والوصول إلى تحقيقها الأسباب التي ذكرناها وذلك قال صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه وينصرانه ويجعلونه » وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء » إشارة إلى بعض هذه الأسباب التي هي الحجاب بين القلب وبين الملكوت وإليه الإشارة بما روى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قيل لرسول الله « يا رسول الله ابن الله في الأرض أوفى السماء » قال في قلوب عباده المؤمنين ^(١) وفي الخبر « قال الله تعالى: لم يبق في أرض ولا سماوي ووسفي قلب عبد المؤمن اللين الوديع » ^(٢) وفي الخبر « أنه قيل يا رسول الله من خير الناس قال كل مؤمن بحموم القلب فقيل وما حموم القلب فقال هو التي التي الذي لا غش فيه ولا بلى ولا غدر ولا غل ولا حسد » ^(٣) ولذلك قال عمر رضي الله عنه رضي قلبي ربى إذا كان قد دفع الحجاب بالقوى ومن ارتفع الحجاب بينه وبين الله تجل صورة الملك والملكوت في قلبه فبى جنة عرض بعضها السموات والأرض أما جعلتها فأكثر سعة من السموات والأرض لأن السموات والأرض عبارة عن عالم الملك والشهادة وهو وإن كان واسع الأطراف متباعد الأكثاف فهو مثناه على الجملة وأما عالم الملكوت وهي الأسرار الغائبة عن مشاهدة الأبصار المخصوصة بادرالاصناف فلا نهاية له، نعم الذي يلوح للقلب منه مقدار مثناه ولكنه في نفسه وبالإضافة إلى علم الله لا نهاية له وجملة عالم الملك والملكوت إذا أخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية لأن الحضرة الربوبية محطة بكل الوجودات إذ ليس في الوجود شيء سوى الله تعالى وأفعاله ومملكته وعباده من أفعاله فيأتي من ذلك القلب هي الجنة بعينها عند قوم وهو سبب استحقاق الجنة عند أهل الحق ويكون سعة ملكه في الجنة بحسب سعة معرفته وتقدير ما تجل له من الله وصفاته وأفعاله وإيماء مراد الطائعات وأعمال الخواص كلها تصفية القلب وتزكيتة وجلاؤه قد أطلع من زكاه ومراد تزكيتة حصول أنوار الإيمان فيها عن إشراق نور للفرقة وهو المراد بقوله تعالى - فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام وبقوله أفمن يشرح الله

(١) حديث كل مولود يولد على الفطرة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٢) حديث لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم الحديث تقدم (٣) حديث ابن عمر أن الله قال في قلوب عباده المؤمنين لم أجده بهذا اللفظ وللطبراني من حديث أبي عتبة الجولاني رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله آتية من أهل الأرض وآتية ركب قلوب عباده الصالحين الحديث فيه بقية بن الوليد وهو مدلس لكنه صرح فيه بالتحدث (٤) حديث قال الله ما وسعني أرضي ولا سماوي ووسعني قلب عبد المؤمن اللين الوديع لم أره أصلا وفي حديث أبي عتبة قبله عند الطبراني بد قوله وآتية ركب قلوب عباده الصالحين وأحبها إليه ألينها وأرقها (٥) حديث قيل من خير الناس قال كل مؤمن بحموم القلب الحديث هـ من حديث عبد الله بن عمر بإسناد صحيح .

على حد يستحقه من غير زيادة ولا نقصان ولكن لما كان الجروح في جلبة النفس لكونها مخلوقة من صلال كالتمخار فيها نسبة النارية وطلب الاستعلاء بطبعها إلى مركز النار احتاجت للتدأوى بالتواضع وإيقاف أدوين ما تستحقه لتلا يتطرق إليها الكبر فالكبر ظن الإنسان أنه أكبر من غيره والتكبر إظهاره ذلك وهذه صفة لا يستحقها إلا الله تعالى ومن ادعاه من المخلوقين يكون كاذبا والكبر يتولد من الإعجاب والإعجاب من الجهل بحقيقة المحاسن والجهل الانسلاخ من الانسانية حقيقة وقد

صدره للإسلام فهو على نور من ربه - ثم هذا التجلي وهذا الإيمان له ثلاث مراتب . الرتبة الأولى : إيمان العوام وهو إيمان التقليد المحض . والثانية : إيمان التكميلين وهو مزيج بنوع استدلال ودرجته قريبة من درجة إيمان العوام . والثالثة : إيمان العارفين وهو للشاهد بنور اليقين وبنين لك هذه للراتب مثال وهو أن تصديقك يكون زيد مثلا في الدار له ثلاث درجات . الأولى : أن يخبرك من جريته بالصدق ولم تعرفه بالكذب ولا تهتمت في القول فإن قلبك يسكن إليه ويطمئن بخبره بمجرد السماع وهذا هو الإيمان بمجرد التقليد وهو مثل إيمان العوام فانهم لما بلغوا سن التمييز سمعوا من آبائهم وأمهاتهم وجود الله تعالى وعلمه وإرادته وقدرته وأسْرَفاته وبينة الرسل وصدقهم وما جادوا به وكما سمعوا به قبلوه وثبتوا عليه وأطاعوا إليه ولم يخطر ببالهم خلاف ما قالوه لهم لحسن ظنهم بآبائهم وأمهاتهم ومعلمهم وهذا الإيمان سبب النجاة في الآخرة وأهله من أوائل رتب أصحاب اليمين وليسوا من القربين لأنه ليس فيه كشف وبصيرة وانسراح صدر بنور اليقين إذ الخطأ يمكن فباسم من الأحاد بل من الأعداد فلها يتعلق بالاعتقادات فتلوب اليهود والنصارى أيضا مطمئنة بما يسمعون من آبائهم وأمهاتهم إلا أنهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطأ لأنهم ألقى إليهم الخطأ واللسون واعتقدوا الحق للاطلاعهم عليه ولكن ألقى إليهم كلمة الحق . الرتبة الثانية : أن تسمع كلام زيد وصوته من داخل الدار ولكن من وراء جدار فتستدل به على كونه في الدار فيكون إيمانك وتصديقك ويقينك بكونه في الدار أقوى من تصديقك بمجرد السماع فانك إذا قيل لك إنه في الدار ثم سمعت صوته ازدادت به يقينا لأن الأصوات تدل على الشكل والصورة عند من يسمع الصوت في حال مشاهدة الصورة فيحكم بأنه فأن هذا صوت ذلك الشخص وهذا إيمان مزوج بدليل والخطأ أيضا يمكن أن ينطرق إليه إذ الصوت قد يشبه الصوت وقد يمكن التكاف بطريق المحاكاة لأن ذلك قد لا يخطر ببال السامع لأنه ليس يعمل للتمتع موحدا ولا يقدر في هذا التلبس والمحاكاة غرضا . الرتبة الثالثة : أن تدخل الدار فتنظر إليه عينك وتشاهده وهذه هي المعرفة الحقيقية والمباشرة اليقينية وهي تشبه معرفة القربين والصدقين لأنهم يؤمنون عن مشاهدة ينطوي في إيمانهم إيمان العوام والتكميلين ويتميزون بحجة بينة يستحيل معها إمكان الخطأ ثم وهم أيضا يتفاوتون بتقدير العلوم وبدرجات الكشف أما درجات العلوم فتثاله أن يصير زيدا في الدار عن قرب وفي ضمن الدار في وقت إشراق الشمس فيكمل إدراكه والآخر يدركه في بيت أومن بمد أوفى وقت غشية فيتمثل له في صورته ما يستيقن معه أنه هو ولكن لا يتمثل في نفسه الدقة والحقايق من صورته ومثل هذا منصور في تفاوتات المشاهدة للأشياء والالهية وأما مقادير العلوم فهو بأن يرى في الدار زيدا وعمرا وبكرا غير ذلك وآخر لا يرى إلا زيدا لفرقة ذلك تزيد بكرة العلوم لا محالة فهذا حال القلب بالاضافة إلى العلوم والله تعالى أعلم بالصواب .

(بيان حال القلب بالاضافة إلى أقسام العلوم العقلية والدينية والادبية والأخرى)

اعلم أن القلب بغير رتبة مستند لقبول حقائق المعلومات كما سبق ولكن العلوم التي تحمل فيه تنقسم إلى عقلية وإلى شرعية والعقلية تنقسم إلى ضرورية ومكتسبة والمكتسبة إلى دنيوية وأخرية أما العقلية فنقسمها مناضى بها غريزة العقل ولا توجد بالتقليد والجماع وهي تنقسم إلى ضرورية لا يدري من أين حصلت وكيف حصلت كعلم الانسان بأن الشخص الواحد لا يكون في مكانين والشيء الواحد لا يكون خادتا قديما موجودا مع دوما فان هذه علوم يجد الانسان نفسه منذ الصبا مفطورا عليها ولا يدري متى حصل له هذا العلم ولا من أين حصل له أي أنه لا يدري له - بياقريا وإلا فليس معنى عليه أن الله الذي خلقه وهدهم إلى علوم مكتسبة وهي الاستفادة بالتأمل والاستدلال وكلا القسمين قديسي عقلا على رضى الله عنه :

عظم الله تعالى شأن
الكبرجوه تعالى - إنه
لا يحب للتكبرين -
وقال تعالى - أليس في
جهنم مثوى للتكبرين -
وقد ورد في قوله الله
تعالى : الكبرياء رداً
والعظمة إزارى فمن
نازعى واحدا منها
قصته وفي رواية قد ثبت
في نار جهنم . وقال عز
وجل رداً للانسان في
طغيانه إلى حده :
- ولا تحسب الأرض
مرحاً إنك لن تحرق
الأرض ولن تبلغ
الجبال طولا - وقال
تعالى - فلينظر الانسان
م - خلق خلق من ماء
دافق - وأبلغ من هذا
قوله تعالى - قلل الانسان
ما أكفره من أي شيء
خلقته من نقطة خلقه

وأيت العقل عقلين فطبع ومسموع ولا ينفع مسموع
إذا لم يك مطبوع بكالاتع الشمس وضوء العين مسموع

والأول هو الراد قوله صلى الله عليه وسلم لى «ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل»^(١) والثانى هو الراد بقوله صلى الله عليه وسلم لى رضى الله عنه «إذا تقرب الناس إلى الله تعالى بأنواع البر فخرّب أنت بمقلك»^(٢) إذ لا يمكن التقرب بالقرينة القطرية ولا بالعلوم الضرورية بل بالمكتسبة ولكن مثل على رضى الله عنه هو الذى يقدر على التقرب باستعمال العقل في اقتناص العلوم التى بها يتال القرب من رب العالمين فالقلب جار مجرى العين وغريزة العقل فيه جارية مجرى قوة البصر في العين وقوة الإبصار لطيفة فتقد في العمى وتوجد في البصر وإن كان قد غمض عينه أو جن عليه الليل واللم الحاصل منه في القلب جار مجرى قوة إدراك البصر في العين ورويته لأعيان الأشياء وتأخر العلوم عن عين العقل في مدة الصبا إلى أوان التمييز أو البلوغ يضاهى تأخر الرؤية عن البصر إلى أوان إشراق الشمس وفيضان نورها على البصائر والقلم الذى سطر الله به العلوم على صفحات القلوب مجرى مجرى قرص الشمس وإنما لم يحصل العلم في قلب الصبي قبل التمييز لأن لوح قلبه لم يتبأ بعد لقبول نفس العلم والقلم عبارة عن خلق من خلق الله تعالى جعله سبباً لحصول نفس العلوم في قلوب البشر قال الله تعالى - الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم - وقلم الله تعالى لا يشبه قلم خلقه كما لا يشبه وصفه وصف خلقه فليس قلبه من قصب ولا خشب كما أنه تعالى يس من جوهر ولا عرض فالموازنة بين البصرة الباطنة والبصر الظاهر صحيحة من هذه الوجوه إلا أنه لا مناسبة بينهما في الكثرة فان البصرة الباطنة هي عين النفس التى هي اللطيفة للمدركة وهي كالقارس والبدن كالقارس وعين القارس أضرب على القارس من عى القارس بل لانية لأحد الضررين إلى الآخر ولموازنة البصرة الباطنة للبصر الظاهر صماء الله تعالى باسمه تعالى - ما كذب القواد ما رأى - مى إدراك القواد رؤية وكذلك قوله تعالى - وكذلك رى إبراهيم ملكوت السموات والأرض - وما أراد به الرؤية الظاهرة فان ذلك غير مخصوص إبراهيم عليه السلام حتى يعرض في معرض الاستئنان ولذلك مى عند إدراكه عى قال تعالى - فانها لاتعمى الأبيار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور وقال تعالى - ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا - فهذا يان العلم العقل . أما العلوم الدينية فهي الأخوة بطريق التقليد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وفهم ما فيها بعد السماع وبه كمال صفة القلب وسلامته عن الأدواء والأمراض فالعلوم العقلية غير كافية في سلامة القلب وإن كان محتاجاً إليها كما أن العقل غير كاف في استدامة صحة أسباب البدن بل محتاج إلى معرفة خواص الأدوية والعقاقير بطريق التعلم من الأطباء إذ مجرد العقل لا يهتدى إليه ولكن لا يمكن فهمه بدمساعه إلا بالعقل فلاغنى بالعقل عن السماع ولاغنى بالسماع عن العقل فالداعى إلى بعض التقليد مع عزل العقل بالكيفية جاهل والمكتفى بمجرد العقل عن أنوار القرآن والسنة مغرور فلابد أن تكون من أحد الفريقين وكن جامعا بين الأصلين فان العلوم العقلية كالأغذية والعلوم الشرعية كالأدوية والشخص الرضى يستضر بالذواء متى فاته الدواء فكذلك أمراض القلوب لا يمكن علاجها إلا بالأدوية للاستفادة من الشريعة وهي وظائف العبادات والأعمال التى ركبها الأنبياء صلوات الله عليهم لإصلاح القلوب فمن لا يداوى قلبه

تقدر مسوقه قال بعضهم لبعض للتكبرين أولئك نطفة مذرة وآخرك حيفة قدرة وأنت فيها بين ذلك حامل العذرة وقد نظم الشاعر هذا المعنى :

كيف زهو من رجيحه
أبد الدهر ضجيحه
وإذا ارغى التواضع
من القلب وسكن
السكبر انتشر أمره في
بعض الجوارح وترشح
الانام بما فيه خاترة
يظهر أثره في النقى
بالغمايل وتارة في الحد
بالنصير قال الله تعالى
- ولا تصغر خدك
للناس - وتارة يظهر
في الرأس عند استعصاء
النفس قال الله تعالى
- لو اوا رهوسهم
ورأيهم يصدون وهم

(١) حديث ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من: نقلت الحكيم في نوادر الأصول باسناد ضعيف وقد تقدم في العلم (٢) حديث إذا تقرب الناس إلى الله بأنواع البر فخرّب أنت بمقلك أبو نعيم من حديث على باسناد ضعيف .

لارض بمعالجات المبادء الشرعية واكتفى بالعلوم العقلية استغنى بها كما يستغنى الرضيع بالعداوطن من بطن أن العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية وأن الجمع بينهما غير ممكن هوطن صادر عن جمعي في عين البصيرة نعوذ بالله منه بل هذا القائل ربما يناقض عنده بعض العلوم الشرعية لبعض فيعجز عن الجمع بينهما فيظن أنه تناقض في الدين فيتحو به فينسل من الدين انسال الشرع من العيين وإنما ذلك لأن مجرته في نفسه خيل إليه هضا في الدين وهبات وإنسانا له مثال الأعمى الذي دخل دار قوم فتمش فيها بأواقي الدار فقال لهم ما بال هذه الأواني تركت على الطريق إلا ترد إلى مواضعها فقالوا له تلك الأواني في مواضعها وإنما أنت لست تهتدي للطريق لماذاك فالعجب منك أنك لا تخيل عثرك على عماك وإنما تخيلها على تصغير غيرك فهذه نسبة العلوم الدينية إلى العلوم العقلية . والعلوم العقلية تنقسم إلى دنيوية وأخروية فالدنيوية كعلم الطب والحساب والهندسة والنجوم وسائر الحرف والصناعات والأخروية كعلم أحوال القلب وآفات الأعمال والعلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله كالعلماء في كتاب العلم وهما علمان متنافيان أعني أن من صرف عنايته إلى أحدهما حتى تعمق فيه قصرت بصيرته عن الآخر على الأكثر ولذلك ضرب على رضى الله عنه للدنيا والآخرة ثلاثة أمثلة فقال لها ككفى البران وكالمشرق والقرب وكالضريتين إذا أرضيت إحداها أسخطت الأخرى ولذلك ترى الأكياس في أمور الدنيا وفي علم الطب والحساب والهندسة والفلسفة جهلا في أمور الآخرة والأكياس في دقائق علوم الآخرة جهلا في أكثر علوم الدنيا لأن قوة العقل لا تنفي بالأميرين جميعا في الغالب فيكون أحدهما ناعدا من الكمال في الثاني ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إن أكثر أهل الجنة إليه ^(١) » أي الله في أمور الدنيا . وقال الحسن في بعض مواظله لقد أدركنا أقواما لو أرتدوا لم يبق لهم من الدنيا ولو أدركوا لم يبق لهم من الآخرة . وقال الحسن في سائر العلوم فلا يترك وجودهم عن قبوله إذ من الهال أن يظفر سالك طريق المشرق بما يوجد في المغرب فكذلك يجري أمر الدنيا والآخرة ولذلك قال تعالى - إن الدين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها - الآية وقال تعالى - يملكون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون - وقد عز وجل - فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك لمنهم من العلم - فالجمع بين كمال الاستبصار في مصالح الدنيا والدين لا يكاد يتيسر إلا لمن رسخه الله لتدبير عياده في معاشهم ومعادهم وهم الأنبياء لتؤيدون روح القدس المستودون من القوة الالهية التي تنسج لجميع الأمور ولا تضيق عنها فأما قلوب سائر الخلق فانها إذا استغلت بأمر الدنيا انصرفت عن الآخرة وقصرت عن الاستكمال فيها .

(بيان الفرق بين الإلهام والتعلم والفرق بين طريق الصوفية في استكشاف الحق وطريق النظائر) اعلم أن العلوم التي ليست ضرورية وإنما تحصل في القلب في بعض الأحوال تختلف الحال في حصولها فتارة تهيم على القلب كأنه ألقى فيه من حيث لا يدري وتارة تنكسب بطريق الاستدلال والتعلم فالتدريس يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى إلهاما والذي يحصل بالاستدلال يسمى اعتبارا واستبصارا ثم الواقع في القلب شئير حيلة وتعلم واجتهاد من المبدئ ينقسم إلى ما لا يدري المبدئ أنه كيف حصل له ومن أين حصل إلى ما يطلع معه على السبب الذي منه استفاد ذلك العلم وهو مشاهدة اللطيف للثق في القلب والأول يسمى إلهاما وثقا في الروع . والثاني يسمى وحيا وتخص به الأنبياء والأول يختص به الأولياء والأصفاء والذي قبله لا ينكسب وهو بطريق الاستدلال يختص به ^(١) حديث أكثر أهل الجنة إليه ، البراز من حديث أنس وضعفه وصححه القرطبي في التذكرة وليس كذلك فقد قال ابن عدي إنه منكر .

مستكبرون - وكان
الكبر له انقسام على
الجوارح والأعضاء
تتشعب منه شعب
فكذلك بعضها ككف
من البعض كالتيه
والزهو والعزة وغير
ذلك إلا أن العزة تشبه
بالكبر من حيث
الصورة وتختلف من
حيث الحقيقة كاشيائه
التواضع بالضمعة
والتواضع محمود والضمعة
مذمومة والكبر
مذموم والعزة محمود
قال الله تعالى - وقد
العزة وللمؤمنين - والعزة
غير الكبر ولا يجل
لمؤمن أن يذل نفسه
فالعزة معرفة الانسان
بحقيقة نفسه وإكرامها
أن لا يضعها لأغراض

الماء وحقيقة القول فيه أن القلب مستعد لأن تنجلي فيه حقيقة الحق في الأشياء كلها وإياها يحل بينه وبينها بالأسباب المحسة التي سبق ذكرها فهي كالحجاب للسند الحائل بين مرآة القلب وبين اللوح المحفوظ الذي هو منقوش بجميع ماضى الله به إلى يوم القيامة وتجلي حقائق العلوم من مرآة اللوح في مرآة القلب يضاهي انطباع صورة من مرآة في مرآة تقابلها والحجاب بين المرأتين تارة زال باليد وأخرى يزول بهبوب الرياح تحركه وكذلك قد تهب رياح الألفاظ وتكشف المحجب عن أعين القلوب فينجل فيها بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ ويكون ذلك تارة عند المنام فيعلم به ما يكون في المستقبل وتنام ارتفاع الحجاب بالموت فيه ينكشف النطاء وينكشف أيضاً البقعة حتى يرتفع الحجاب بلطف خفي من الله تعالى فيلعب في القلوب من وراء ستار الغيب شيء من غرائب العلم تارة كالبرق الخاطف وأخرى على التوالي إلى حد ما ودوامه في غاية التدور فلم يفارق الإلهام إلا اكتساب في نفس العلم ولا في عمله ولا في سببه ولكن يفارقه من جهة زوال الحجاب فان ذلك ليس باختيار العبد ولا يفارق الوحي الإلهام في شيء من ذلك بل في مشاهدة الملك اللبدي للعلم فان العلم إنما يحصل في قلبه بوابطة للاتكافؤ إليه الإشارة بقوله تعالى - وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب - ورسول رسول ولا يوحى بأذنه ما يشاء - فإذا عرفت هذا فاعلم أن ميل أهل التصوف إلى العلوم الإلهامية دون التعليمية فذلك لم يحرموا على دراسة العلم وتحصيل ماضيه للصنفون والبحث عن الآقوال والأدلة للذ كورة بل قالوا الطريق تقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والاقبال بكه الهمة على الله تعالى ومهما حصل ذلك كان الله هو التولى لقلب عبده وللتكفل له بتقريبه بأنوار العلم وإذ اتولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة وأشرق النور في القلب وانشرح الصدر وانكشف لهر للكموت واثبت عن وجه القلب حجاب الغيرة بلطف الرحمة وتلافت فيه حقائق الأرواح الإلهية فليس على العبد إلا الاستعداد بانصافه المجردة وإحضار الهمة مع الإرادة الصادقة والتطش التام والترصد بدوام الانتظار لما يفتح الله تعالى من الرحمة فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر وقاضى صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة والكتابة للكتب بل بالزهد في الدنيا والتبري من علائقها وتفرغ القلب من شواغلها والاقبال بكه الهمة على الله تعالى فمن كان لله كان الله له وزعموا أن الطريق في ذلك ألا بابتغاء علائق الدنيا بالكلية وتفرغ القلب منها بقطع الهمة عن الأهل والوالد والوطن وعن العلم والولاية والجاه بل يصير قلبه إلى حالة يستوى فيها وجود كل شيء وعدمه ثم يغلو بنفسه في زاوية مع الانحصار على الفرائض والرواتب ويجلس فارغ القلب مجموع الهم ولا يفرق فكره براءة فقرأ ولا بالتأمل في تفسير ولا بكتب حديث ولا غيره بل لا يجتهد أن لا يخطر بباله شيء سوى الله تعالى فلا يزال يمد جلوسه في الخلوة قائلاً يا الله الله على الدوام مع حضور القلب حتى ينتهي إلى حالة يترك تحريك اللسان ويرى كأن الكلمة جارية على لسانه ثم يصير عليه إلى أن يبعث أثره عن اللسان ويصادف قلبه مواظب على الذكر ثم يواظب عليه إلى أن يبعث عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة ويبيق معنى الكلمة مجرداً في قلبه حاضر أيقانه لازم له لا يفارقه وله اختيار إلى أن ينتهي إلى هذا الحد واختيار في استدامة هذا الحالة بدفع الوسواس وليس له اختيار في استعجاب رحمة الله تعالى بل هو ماضيه صار مستمر في التفات رحمة الله فلا يبقى إلا الانتظار لما يفتح الله من الرحمة كفتحهم على الأنبياء والأولياء بهذه الطريق وعند ذلك إذا صدقت إرادته وصفت همة وحسنت مواظبته فلم تجاذبه شهواته ولم يشغله حديث النفس بعلائق الدنيا فانتفع لواعم الحق في قلبه ويكون في ابتدائه كالبرق الخاطف لا يثبت ثم يعود وقد تأنى وأخر وإن عاد قد يثبت وقد يكون غمطاً وإن ثبت قد يطول ثباته وقد لا يطول وقد يتظاهر أمثاله على التلاحق وقد يقتصر على دفن واحد ومنازل أولياء الله تعالى

حاجة دنوية كأن
الكبر جهل الإنسان
بنفسه وإزالم فوق
مزلتها . قال بعضهم
لحسن ما أعظمك في
تصك قال لست بعظيم
ولكن عزى ولما
كانت العزة غيبز
مذمومة توفى ما شاكه
بالكبر قال الله تعالى
- تستكبرون في
الأرض بغير الحق -
فيه إشارة خفية لإنبات
العزة للحق فالوقوف
على حد التواضع من
غير انحراف إلى الضعة
وقوف على صراط العزة
للتصوب على متن نار
الكبر ولا يؤيد في
ذلك ولا يثبت عليه
إلا أقدماء العلماء
الراسخين والسادة
للقرين ورؤساء
الأبدال والصديقين .

فيه لا يحصر كما لا يحصى تفاوت خلقهم وأخلاقهم وقد رجع هذا الطريق إلى تعابير محض من جانبك وتصفية وجلاء ثم استمداد وانتظار فقط ، وأما النظار وذو الاعتبار فلم يشكروا وجود هذا الطريق وإمكانه وإنضاته إلى هذا المقصد على التدور فإنه أكثر أحوال الأنبياء والأولياء ولكن استوعروا هذا الطريق واستبطؤوا ثمجته واستبدوا اجتماع شروطه وزعموا أن سمو الملائق إلى ذلك الحد كالتمتدز وإن حصل في حال كنياته أبعد منه إذ أدنى وسواس وخاطر يشوش القلب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قلب المؤمن أشد ثقلًا من القدر في غلبتها » (١) وقال عليه أفضل الصلاة والسلام « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » (٢) وفي أثناء هذه المجاهدة قد غسدت الزواج وبغثظ العقل وبمرض البدن وإذا لم تقدم رياضة النفس وتهذيبها بحقائق العلوم نشبت بالقلب خيالات فاسدة تطمئن النفس إليها مدة طويلة إلى أن يزول وينقضي العمر قبل النجاح فيها فكيف من صوفي سلك هذا الطريق ثم بقي في خيال واحد عشرين سنة ولو كان قد اتقن العلم من قبل لا تنتج له وجه الباس ذلك الخيال في الحال فلا اشتغال بطريق التعلم أوفق وأقرب إلى الغرض ، وزعموا أن ذلك يضاهي ما لو ترك الإنسان تعلم الفقه ، وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلم ذلك وصار قتيها بالوحي والهام من غير تكرير وتعليق وأنا أيضا ربما انتهت في الرياضة والواظية إليه ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه وضيع عمره بل هو كمن يترك طريق السكسب والحراثة رجاء العثور على كنز من الكدور فان ذلك ممكن ولكنه بعيد جدا . فكذلك هذا . وقالوا لا بد أولًا من تحصيل ماحصل العلماء وفهم ما قالوه ثم لا بأس بعد ذلك بالانتظار لما لم ينكشف لسائر العلماء فضاء ينكشف بعد ذلك بالمجاهدة .

(بيان الفرق بين القامين بمثال محسوس)

اعلم أن عجائب القلب خارجة عن مدركات الحواس ، لأن القلب أيضا خارج عن إدراك الحس وماليس مدركا بالحواس تصنف الأفيام عن دركه إلا بمثال محسوس ونحن نقر ذلك إلى الأفيام الضعيفة بمثلين : أحدهما أنه لو فرضنا حوضا مغمورا في الأرض احتمل أن يساق إليه الماء من فوقه بأن يأتى بفتح فيه ويحتمل أن يخرج أسفل الحوض ويرفع منه التراب إلى أن يقرب من مستقر الماء الصادق فينفجر الماء من أسفل الحوض ويكون ذلك الماء أصفى وأدوم وقد يكون أغزر وأكثر فذلك القلب مثل الحوض والعلم مثل الماء وتكون الحواس المحسوسات كالأفهام ، وقد يمكن أن تساق العلوم إلى القلب بواسطة أهوار الحواس والاعتبار بالمشاهدات حتى يتلى علما ويمكن أن تسد هذه الأهوار بالحلوة والعزلة وغض البصر ويعد إلى عمق القلب بطهره ورفع طبقات الحجب عنه حتى تنفجر ينابيع العلم من داخله . فان قلت فكيف ينفجر العلم من ذات القلب وهو خال عنه . فاعلم أن هذا من عجائب أسرار القلب ولا يسمح بذكره في علم العامة بل القدر الذي يمكن ذكره أن حقائق الأشياء مسطورة في اللوح المحفوظ بل في قلوب اللائكة القربين ، فكما أن للمهندس يصور أبنية الدار في ياض ثم يخرجها إلى الوجود على وفق تلك النسخة فكذلك فاطر السموات والأرض كتب نسخة العالم من أوله إلى آخره في اللوح المحفوظ ثم أخرجه إلى الوجود على وفق تلك النسخة والعالم الذي خرج إلى الوجود بصورته تتأدى منه صورة أخرى إلى الحس والخيال فان من ينظر إلى السماء والأرض ثم يفيض بصره يرى صورة السماء والأرض في خياله حتى كأنه ينظر إليها ولو انعدمت السماء والأرض وبقي هو في نفسه لوجد صورة السماء والأرض في نفسه كأنه يشاهدها وينظر إليها ثم يتأدى من خياله أثر إلى القلب

(١) حديث قلب المؤمن أشد ثقلًا من القدر في غلبتها ، أحمد وك وصححه من حديث اللقادر بن الأسود (٢) حديث قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن م من حديث عبد الله بن عمر .

قال بعضهم من تكبر قد أخبر عن ندالة نفسه ومن تواضع قد أظهر كرم طبعه . وقال الترمذي التواضع على ضربين : الأول أن يتواضع البعد لأمر الله ونبيه فان النفس لطلب الراحة تلهي عن أمره والشهوة التي فيها تهوى في نبيه فاذا وضع نفسه لأمره ونبيه فهو تواضع . والثاني أن يضع نفسه لعظمة الله فان اهتنت نفسه شيئا مما أطلق له من كل نوع من الأنواع منعها ذلك وجهه ذلك أن يترك مشيئة لمشيئة الله تعالى . واعلم أن البعد لا يبلغ حقيقة التواضع إلا عند لمان نور للشاهدة في قلبه فبعد ذلك تنوب

فيحصل فيه حقائق الأشياء التي دخلت في الحس والخيال والحاصل في القلب موافق للعالم الحاصل في الخيال والحاصل في الخيال موافق للعالم الموجود في نفسه خارجا من خيال الانسان وقلبه والعالم الموجود موافق للنسخة الموجودة في اللوح المحفوظ فكأن للعالم أربع درجات في الوجود : وجود في اللوح المحفوظ وهو سابق على وجوده الجسائي ويتبع وجوده الحقيقي ويتبع وجوده الحقيقي وجوده الخيالي أي وجود صورته في الخيال ويتبع وجوده الخيالي وجوده العقلي أي وجود صورته في القلب ويتبع هذه الوجودات روحانية وبضها جسيانية والروحانية بوضها أشد وروحانية من البعض وهذا اللطف من الحكمة الإلهية ، إذ جعل حدثك على صغر حجمها بحيث تنطبع صورة العالم والسماوات والأرض على اتساع أكتافها فيها ثم يسرى من وجودها في الحس وجود إلى الخيال ثم منه وجود في القلب فانك أبدا لا تدرك إلا ما هو واصل إليك فلو لم يحصل للعالم كله مثالا في ذاتك لما كان لك خبر مما يبين ذاتك فصبجان من دبر هذه العجائب في القلوب والأبصار ثم أعمى عن دركها القلوب والأبصار حتى صارت قلوب أكثر الخلق جاهلة بأشهرها وبمجاها . ولترجع إلى الفرض المقصود فتقول : القلب قد يتصور أن يحصل فيه حقيقة العالم وصورته تارة من الحواس وتارة من اللوح المحفوظ كما أن العين يتصور أن يحصل فيها صورة الشمس تارة من النظر إليها وتارة من النظر إلى الماء الذي يقابل الشمس ويحكي صورتها فبما أرتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ رأى الأشياء فيه وتغبر إليه العلم منه فاستغنى عن الاقتباس من داخل الحواس فيكون ذلك ككشف حجر لآلء من عمق الأرض ، ومهما أقبل على الخيلات الحاصلة من الحواس كان ذلك حجابا له عن مطالعة اللوح المحفوظ كما أن الماء إذا اجتمع في الأنهار منع ذلك من التفجر في الأرض وكما أن من نظر إلى لآلء الذي يحكي صورة الشمس لا يكون ناظرا إلى نفس الشمس ، فاذن للقلب بابان : باب مفتوح إلى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم اللائكة وباب مغلق إلى الحواس الخمس المتمسكة بالممالك والضمادة وعالم الشهادة والملك أيضا يحاكي عالم الملكوت نوعا من الممالك كما فاما افتتاح باب القلب إلى الاقتباس من الحواس فلا يخفى عليك وأما افتتاح بابه الداخل إلى عالم الملكوت ومطالعة اللوح المحفوظ فتعلمه علما يقينيا بالتأمل في عجائب الرؤيا وإطلاع القلب في النوم على ما سيكون في المستقبل أو كان في الماضي من غير اقتباس من جهة الحواس وإنما يفتح ذلك الباب لمن اتفرد بذكر الله تعالى وقال **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْمَعُوا لِقَوْلِ رَبِّهِنَّ خَفَافًا نَهْمًا** قال المترجمون بذكر الله تعالى وضع الله في قلوبهم نوراً من وجهه بوجهي يعلم أحد أي شيء يريد أن أعطيته ثم قال تعالى أول ما أعطيهم أن أصدقوا النور في قلوبهم فنجبرون على ما أخبر عنهم ^(١) ومدخل هذه الأخبار هو الباب الباطن فاذا الفرق بين علوم الأولياء والأنبياء وبين علوم العلماء والحكماء هذا وهو أن علومهم تأتي من داخل القلب من الباب اللطيف إلى عالم الملكوت وعلم الحكمة يأتي من أبواب الحواس المفتوحة إلى عالم الملك ومحجبان عالم القلب وترده بين عالم الشهادة والقلب لا يمكن أن يستغنى في علم العامة فهذا مثال يملك الفرق بين مدخل العالمين .

النفس وفي ذواتها صفاؤها من غش الكبير والمحب قتلين وتطيع للحق والخلق لها آثاره وسكون وهبها وغبارها وكان الحظ الأوفر من التواضع لينتال عليه السلام في أوطان القرب كما روى عن عائشة رضي الله عنها في الحديث الطويل قالت « قد رأت رسول صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فأخذني ما يأخذ النساء من القبرة فلما مضى أنه عند بعض أزواجه فطلبت في حجر نسائه فلم أجده فوجدته في المسجد ماجدا كالثوب الخلق وهو يقول في سجوده سجد لك سوادي وخیالی وآمن بك

(١) حديث سبق المفردون قيل ومن هم قال المستهترون بذكر الله الحديث من من حديث أبي هريرة مقتصر على أول الحديث وقال فيه وما المفردون قالوا كرون الله كثيرا والذاكرات ورواه له بلفظ قال الذين يستهترون بذكر الله وقال صحيح على شرط الشيخين وزاد فيه البيهقي في الشعب يضع الذكر عنهم اتقاهم ويأتون يوم القيامة خفافا ورواه هكذا الطبراني في المعجم الكبير من حديث أبي هريرة دون الزيادة التي ذكرها المصنف في آخره وكلامها ضعيف .

الثالث أن يترك الفرق بين الصلبي : أعنى عمل العلماء وعمل الأولياء فان العلماء يعملون في اكتساب
 نفع العلوم واجتلابا إلى القلب وأولياء الصوفية يعملون في جلاء القلوب وتطهيرها وتصفيها وتصجيلها
 قطع . فقد حكى أن أهل الصين وأهل الروم يباهون بدي بعض اللووك بحسن صناعة النقش والنصور
 فاستقر رأي الملك على أن يسلم إليهم صفة لينقش أهل الصين منها جانباً وأهل الروم جانباً ويرعى بينهما
 حجاب يمنع اطلاع كل فريق على الآخر ففعل ذلك فجعل أهل الروم من الأصابع الثرية مالا ينحصر
 ودخل أهل الصين من غير صبيغ وأقبلوا يعملون جانبهم ويصفونونه فلما فرغ أهل الروم ادعى أهل الصين
 أنهم قد فرغوا أيضاً فصب الملك من قولهم وأنهم كيف فرغوا من النقش من غير صبيغ قبيلاً وكيف
 فرغتم من غير صبيغ فقالوا ما عليكم ارفوا الحجاب فرفعوا وإذا بجانبهم يتلألأ منه حجاب الصنائع
 الرومية مع زيادة إشراق وبريق إذا كان قد صار كالمرآة المحلوة لكثرة التصجيل فازداد حسن جانبهم
 بمزيد التصجيل ؛ فكذلك غاية الأولياء بتطهير القلب وجلالته وتزيينه وصفائه حتى يتلألأ به جلية
 الحق بنهاية الاشراق كفضل أهل الصين وعناية الحكماء والطباء بالاكتساب ونقش العلوم وتخصيل
 نقشها في القلب كفضل أهل الروم . فكيفما كان الأمر قلب المؤمن لا يوت وعده عند الموت لا يبعث
 وصفاءه لا يتسكدر وإليه أشار الحسن رحمه الله عليه بقوله التراب لا يأكل عمل الإيمان بل يكون
 وسيلة وقربة إلى الله تعالى ، وأما ما حصله من نفس العلم وما حصله من الصفاء والاستعداد لقبول نفع
 العلم فلا غنى به عنه ولا إعادة لأحد إلا بالعلم والمعرفة وبعض السعادات أشرف من بعض كانه لا غنى
 إلا بالمال فصاحب الدرهم غنى وصاحب الخزانة المترعة غنى وتفاوت درجات السعادات بحسب تفاوت المعرفة
 والإيمان كما تفاوتت درجات الأغنياء بحسب ثقل المال وكثرتة فالعارف أنوار ولا يسعى المؤمنون إلى
 لقاء الله تعالى إلا بأثوارهم قال الله تعالى - يسمى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم - وقد روى في الخبر
 « إن بضهم يعطى نوراً مثل الجبل وبضهم أصفر حتى يكون آخرهم رجلاً يعطى نوراً على إهام
 قدميه فيضه مرة وينطفئ أخرى فاذا أضاء قدم قدميه فثنى وإذا أطفئ قام ومرورهم على الصراط
 على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من
 يمر كاقطاض الكواكب ومنهم من يمر كالفرس إذا اشتد في ميدانه ، والذي أعطى نوراً على إهام
 قدمه يحوجوا على وجهه ويديه ورجليه يمر بدا ويلقى أخرى ويصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك
 حتى يخلص ^(١) » الحديث فهذا يظهر تفاوت الناس في الإيمان ولو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالمين
 سوى النبيين والمرسلين لرجح ، فهذا أيضاً يضاهي قول القائل : لو وزن نور الشمس بنور السرج كلها
 لرجح ، فإيمان آحاد العوام نوره مثل نور السراج وبضهم نوره كنور الشمع وإيمان الصديقين
 نوره كنور القمر والنجوم وإيمان الأنبياء كالشمس ، وكما يتكشف في نور الشمس صورة الآفاق
 مع اتساع أقطارها ولا يتكشف في نور السراج إلا زاوية ضيقة من البيت فكذلك تفاوت انشراح
 الصدر بالعارف وانكشاف سعة للكويت لقلوب العارفين ، ولذلك جاء في الخبر « أنه يقال يوم القيامة
 أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان ونصف مثقال ذرة من ربح مثقال ذرة ^(٢) »
 كل ذلك تنبيه على تفاوت درجات الإيمان وأن هذه القادير من الإيمان لا تمنع دخول النار ، وفي

نؤاى وأقر بك لسانى
 وها أنا ذا بين يديك
 يا عظيم يا غافر الذنب
 العظيم « وقوله عليه
 السلام » سجد لك
 سواى وخيالى »
 استقصاء فى التواضع
 بمحو آثار الوجود حتى
 لم يتخلف ذرة منه عن
 السجود ظاهر أو باطن
 وفق لم يكن للصوفى .
 حظ من التواضع
 الخاص على بساط
 القرب لا يتوفر حظه فى
 التواضع الخلق وهذه
 سعادات إن أقبلت
 جاءت بكليتها والتواضع
 من أشرف أخلاق
 الصوفية . ومن أخلاق
 الصوفية : للدلالة
 واحتساب الأدنى من
 الخلق وبلغ من مداراة

(١) حديث إن بضهم يعطى نوراً مثل الجبل حتى يكون أصفرهم رجل يعطى نوره على إهام قدمه
 الحديث الطبراني و لا من حديث ابن مسعود قال لا صحيح على شرط الشيخين (٢) حديث يقال
 يوم القيامة أخرجوا من النار من كان في قلبه ربع مثقال من إيمان الحديث متفق عليه من حديث
 أبي سعيد وليس فيه قوله ربع مثقال

مفهومه أن من إيمانه يزيد على مثقل فانه لا يدخل النار إذ لو دخل لأمر بإخراجه أولاً ومن في قلبه مثقل فذة لا يستحق الخلود في النار وإن دخلها وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم «ليس شيء خيراً من ألف مثله إلا الإنسان المؤمن» (١) إشارة إلى تفضيل قلب العارف بالله تعالى للوفيق فانه خير من ألف قلب من العوام وقد قال تعالى - وأتمم الأعلون إن كنتم مؤمنين - تفضيل المؤمنين على السليين والرايد به للمؤمن العارف دون القلة - وقال عز وجل - رفع الله الدين آمنوا المؤمنين وأوتوا العلم درجات - فأراد هنا بالدين آمنوا الدين صدقوا من غير علم ويميز عن الدين أو العلم وبدل ذلك على أن اسم المؤمن يقع على القلة وإن لم يكن تصديقه عن بصيرة وكشف - وفسر ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى - والدين أوتوا العلم درجات - بقوله رفع الله العالم فوق المؤمنين بسبعمائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، وقال عليه السلام «أكثر أهل الجنة إليه وعليون لدوى الألباب» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي» (٣) وفي رواية «كفضل التمر لقة البدر على سائر السكاكب» فهذه الشواهد تبين لك تفاوت درجات أهل الجنة بحسب تفاوت قلوبهم ومعارفهم ، ولهذا كان يوم القيامة يوم التناوب إذ المحروم من رحمة الله عظيم التنب والحسران والمحروم يرى فوق درجته درجات عظيمة فيكون نظره إليها كنظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى النبي صلى الله عليه وسلم من الشرق إلى المغرب وكل واحد منهما غنى ولكن ما أعظم الفرق بينهما وما أعظم التنب على من يخسر حظه من ذلك ولا خيراً كبره درجاً وأكبر تفضيلاً .

(بيان شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف في الكتاب

الفرقة لامن التلم ولا من الطريق المتاد)

اعلم أن من انكشف له شيء ولو الشيء اليسير بطريق الإلهام والوقوف في القلب من حيث لا يدري فقد صار عارفا بصحة الطريق ومن لم يدرك نفسه قط فيقيني أن يؤمن به فإن درجة المعرفة عن رتبة جدا ، ويشهد لذلك شواهد الشرع والتجارب والحكايات : أما الشواهد فقوله تعالى - والدين جاهدوا فينا لهديتهم سبيلنا - فكل حكمة تظهر من القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو بطريق الكشف والإلهام ، وقال صلى الله عليه وسلم «من عمل بمساعله ورثه الله علمه ما لم يعلم ووقته فيما يعمل حتى يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما يعلم فانه لم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار» (٤) وقال الله تعالى - ومن يتق الله يجعل له مخرجاً - من الإشكالات والشبه - ويزكاه من حيث لا يحتسب - يعلمه علماً من غير تعلم ويعطيه من غير تجربة وقال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا إن تدعوا الله يجعل لكم فرقاناً - قيل نورا يفرق به بين الحق والباطل ويخرج به من الشبهات ، ولذلك كان عليه السلام يكثر في دعائه من سؤال النور فقال عليه الصلاة والسلام «اللهم أعطني نوراً وزدني نوراً واجعل لي في قلبي نوراً وفي قبري نورا وفي سمعي نوراً وفي بصري نوراً حتى قال في شمسي وفي لحي ودمي وعظمي» (٥) و«مثل

رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه وجد نبلاً من أصحابه بين اليهود فلم يحف عليهم ولم يزد على مر الحق بل ودام عناية ناقصين قبله وإن بأصحابه حاجة إلى بصر واحد يتقون به . وكان من حسن مداراته أن لا يئتم طاماً ولا ينهر خادماً . أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب ابن علي قال أنا أبو الفتح الكرخي قال أنا أبو نصر الترياق قال أنا الجراحي قال أنا أبو العباس الجبوري قال أنا أبو عيسى الترمذي قال حدثنا قتيبة قال ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال خدمت

(١) حديث ليس شيء خيراً من ألف مثله إلا الإنسان أو المؤمن ، الطبراني من حديث سلمان بلقظ الانسان ولأحمد من حديث ابن عمر لا تعلم شيئاً خيراً من مائة مثله إلا الرجل المؤمن وإسناده حسن (٢) حديث أكثر أهل الجنة إليه وعليون لدوى الألباب تقدم دون هذه الزيادة وأجد لهذه الزيادة أصلاً (٣) حديث فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي ت من حديث أبي أمامة وصححه وقد تقدم في العلم وكذلك الزيادة الثانية (٤) حديث من عمل بمساعله ورثه الله العلم دون قوله ووقته فيما يعمل فلم أرهما (٥) حديث ألقم أعطني نوراً وزدني نوراً الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس .

صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى - فمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه - ما هذا الشرح فقال هو التوسعة إن النور إذا قذف به في القلب اتسع له الصدر واتشرح ^(١) وقال صلى الله عليه وسلم لأن عباس « اللهم ققه في الدين وعله التأويل ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم ما عندنا شيء أسره النبي صلى الله عليه وسلم إلينا إلا أن يؤتى الله تعالى عبدا فيها في كتابه وليس هذا بالتلمس ^(٣) وقيل في تفسير قوله تعالى - يؤتى الحكمة من يشاء - إنه القه في كتاب الله تعالى وقال تعالى - فقهناها سليمان - خسر ما انكشف باسم القههم . وكان أبو البرداء يقول للؤمن من ينظر بنور الله من وراء ستر رقيق والله إنه لحق يقذه الله في نلوجهم ويجره على ألسنتهم ، وقال بعض السلف ظن المؤمن كمانة ، وقال صلى الله عليه وسلم « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى ^(٤) » وإليه يشير قوله تعالى - إن في ذلك لآيات للمتوسمين - وقوله تعالى - قد بينا الآيات لقوم يوقنون - وروى الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « العلم علان فعلم باطن في القلب فذلك هو العلم النافع ^(٥) » ومثل بعض العلماء عن العلم الباطن ما هو قتال هوس من أسرار الله تعالى يقذه الله تعالى في قلوب أجيال لم يطلع عليه ملكا ولا جبرا وقد قال ^(٦) « إن من أمم محدثين ومعلمين ومكلمين وإن عمر منهم ^(٧) » وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما - وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى ولا محدث - يني الصديقين والمحدثين هو للعلم وللهم هو الله انكشف له من باطن قلبه من جهة الداخل لامن جهة المحسوسات الخارجة والقرآن مصرح بأن التقوى مفتاح الهداية والكشف وذلك علم غير تعلم ، وقال الله تعالى - وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقون - خصصها بهم وقال تعالى - هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين - وكان أبو يزيد وغيره يقول ليس العالم الذي يحفظ من كتاب فإذا نسي ما حفظه صار جاهلا إنما العالم الذي يأخذ علمه من ربه أي وقت شاء يلاحظ ولا درس ، وهذا هو العلم الزباني وإليه الإشارة بقوله تعالى - وعلمناه من لدنا علما - مع أن كل علم من لدته ولكن بعضها بوسائط تعليم الخلق فلا يسمى ذلك علما لدنيا بل اللدني الذي يفتح في سر القلب من غير سبب مألوف من خارج فهذه شواهد النقل ولو جمع كل ماورد فيه من الآيات والأخبار والآثار خرج عن الحصر . وأما مشاهدة ذلك بالتجارب فذلك أيضا خارج عن الحصر وظهور ذلك على الصحابة والتابعين ومن بعدهم . وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما نثتة رضى الله عنها عند موته : إنما هما أخواك وأختاك وكانت زوجته حاملا فولدت بنتا فكان قد عرف قبل الولادة أنها بنت ، وقال عمر رضي الله عنه في أثناء خطبته بإسارية الجبل الجبل ، إذ انكشف له أن العدو قد شارب عليه فخره لمعرفه ذلك ثم بلغ صوته إليه من جهة الكرامات العظيمة ، وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال دخلت على عثمان رضى الله عنه وكنت قد لقيت امرأة في طريق فنظرت إليها شزرا وتأملت محاسنها فقال عثمان رضى الله عنه لما دخلت يدخل على أحدكم وأثر الزنا ظاهر على عينه أماعلت أن زنا البنتين

(١) حديث مثل عن قوله تعالى - أفمن شرح الله صدره للإسلام - الحديث وفي المستدرك من حديث ابن مسعود وقد تقدم في العلم (٢) حديث اللهم ققه في الدين وعله التأويل قاله لأن عباس متفق عليه من حديث ابن عباس دون قوله وعله التأويل فأخرجه بهذه الزيادة أحمد وحب ولا وصححه وقد تقدم في العلم (٣) حديث صلى الله عليه وسلم ما عندنا شيء أسره إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يؤتى الله عبدا فيها في كتابه وليس هذا بالتلمس (٤) حديث اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله الحديث ت من حديث أنس سيد وقد تقدم (٥) حديث العلم علان الحديث تقدم في العلم (٦) حديث إن من أمم محدثين ومكلمين وإن عمر منهم خ من حديث أبي هريرة لقد كان قبا قبلكم من الأم محدثون فإن بك في أمم أحد فانه عمر رواه م من حديث عائشة .

رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر متين لما قال أف قط وما قال شيء صنعت لم صنعت ولا شيء تركته لم تركته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا وما مسست خزا قط ولا حرا ولا وليثا كان ألين من كفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تحمت مسكا قط ولا عطرا كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم فالمدارات مع كل أحد من الأهل والأولاد والجيران والأصحاب والخلق كحافة من أخلاق الصوفية وباحتمال الأدنى يظهر جوهر النفس وقد قيل

النظر لتوبن أو لأعزرتك قلت أوحى بديانتي ؟ فقال لا ولكن بصيرة وبرهان وفراسة صادقة . وعن أبي سعيد الخراز قال دخلت المسجد الحرام فرأيت قهرا عليه خرقان قلت في نفسي هذا وأشابهه كل على الناس فنادى وقال - والله يعلم ما في أنفسكم فأحذروه - فاستغفرت الله في سري فنادى وقال - وهو الذي يقبل التوبة عن عباده - ثم غاب عني ولم أره . وقال زكريا بن داود دخل أبو البباس بن مسروق على أبي الفضل الهاشمي وهو غليل وكان ذاعبال ولم يعرفه سبب يميز به قال فلما قلت قلت في نفسي من أين يأكل هذا الرجل قال فصاح بي بأبأ الباس رد هذه الهمة الدنية فلن تنال العلى الخفية . وقال أحمد النقيب دخلت على الشبل قال مفتونا بأحمد قلت ما الخبر ؟ قال كنت جالسا جري بخاطري أنك غيل قلت ما أنا غيل فنادى بخاطري وقال بل أنت غيل قلت ما فتح اليوم على بشي ؟ إلا دفنة إلى أول قهر يلغاني قال لما استتم الخاطر حتى دخل على صاحب المؤمنين الخادم ومعه خمسون ديناراً فقال اجلس في مصالحك قال قلت فأخذتها وخرجت وإذا بغير مكثوف بين يدي مزين يعلق رأسه فتقدمت إليه وناولته الله نائير فقال أعطها للزبن قلت إن جعلتها كذا وكذا قال أليس قد قلنا لك إنك غيل قال فناولتها للزبن قال للزبن قد سعدنا لما جلس هذا الفقير بين أيدينا أن لا تأخذ عليه أجرا قال فرميت بها في دجلة وقلت ما أعزك أحد إلا أدله الله عز وجل . وقال حمزة بن عبد الله العلوي دخلت على أبي الخير التيناني واعتقدت في نفسي أن أسلم عليه ولا آكل في داره طعاما فلما خرجت من عنده إذا به قد لحقني وقد حمل طبقا فيه طعام وقال يا فتى كل فقد خرجت الساعة من اعتقادك وكان أبو الخير التيناني هذا مشهورا بالكرامات . وقال إبراهيم الرقي قصده مسما عليه فحضر صلاة للترب فم بكه يقرأ الفاتحة مستويا قلت في نفسي شاعرة سفرى فلما خرجت إلى الطيارة قصدني سبع فعدت إلى أبي الخير وقلت قصدي سبع فخرج وصاح به وقال ألم أقل لك لا تعرض لضيقاتي فتنتي الأسد فظهرت فلما رجعت قال لي اشتدتم بتقويم الظاهر فظمت الأسد واشتدلت بتقويم الباطن فغفنا الأسد . وما حكى من غرس للشايخ وإخبارهم عن اعتمادات الناس وضائرهم مخرج عن الحصر بل ما حكى عنهم من مشاهدة الحضر عليه السلام والسؤال منه ومن مماع صوت الهاتف ومن فزون الكرامات خارج عن الحصر والحكاية لا تنفع الجاحدا ما لم يشاهد ذلك من نفسه ومن أنكر لأهل أنكر التفضيل . والدليل القاطع الذي لا يتدرأ أحد على جبهته أمران : أحدهما عجب الرؤيا الصادقة فإنه ينكشف بها القرب وإذا جاز ذلك في النوم فلا يستجلب أيضا في اليقظة فلم يفارق النوم اليقظة إلا في ركود الحواس وعدم اشتغالها بالهوسات فك من مستيقظ غافل لا يسمع ولا يصر لا يشغله بنفسه . الثاني إخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القرب وأمور في المستقبل كما اشتمل على القرآن وإذا جاز ذلك للنبي صلى الله عليه وآله الذي يصارو عن شخص كوشف بمخاتق الأمور وشغل بإصلاح الخلق فلا يستجلب أن يكون في الوجود شخص مكاشف بالحقائق ولا يشغل بإصلاح الخلق وهذا لا يسمى نبيا بل يسمى وليا فمن آمن بالأنبياء وصدق بالرؤيا الصحيحة لزمه لا محالة أن يقرب إلى القلب بالباب الخارج وهو الحواس وباب إلى اللسكون من داخل القلب وهو باب الإلهام والنفث في الروح والوحي فاذا أفرهما جميعا لم يمكنه أن يحصر العلوم في التعلم ومباشرة الأسباب المألوفة بل يجوز أن تكون المجاهدة ميلا إليه فهذا ما ينبغي به حقيقة ما ذكرناه من عيب تردد القلب بين عالم الشهادة وعالم لللكوت وأما السبب في انكشاف الأمر في المنام بالثال المحوج إلى التعبير وكذلك نزل للملائكة للأنبياء والأولياء بصور مختلفة فذلك أيضا من أسرار هجاب القلب ولا يليق ذلك إلا بعلم السكاكة فلنقتصر على ما ذكرناه فإنه كاف للاستحسان على المجاهدة وطلب الكشف منها فقد قال بعض المكشفين ظهر لي الملك فسأني أن أمل عليه شيئا من ذكرى الحق في عبادته

لكل شيء جوهر
وجوهر الإنسان العقل
وجوهر العقل الصبر .
أخبرنا أبو زرعة
طاهر عن أبيه الحافظ
للقدس قال أنا أبو محمد
الصريغني قال أنا
أبو القاسم عبيد الله
ابن حبة قال أنا
أبو القاسم عبيد الله بن
محمد بن عبد العزيز قال
حدثنا أبو الجعد قال
أنا شعبة عن الأعمش
عن يحيى بن وثاب
عن شيخ من أصحاب
رسول الله صلى الله
عليه وسلم قلت من
هو قاله ابن عمر عن
النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قاله للؤمن
الذي ياتر الناس
ويصبر على أذى خير
من الذي لا ياترهم

من التوحيد وقال ما تكتب لك عملا ونحن نحب أن نمدلك بعمل تقرب به إلى الله عز وجل قلت السبحة
تسكين القرائن قالا بل قلت فيكيفيكاذك وهذه إشارة إلى أن الكرام الكائين لا يطلعون على أسرار
القلب وإنما يطلعون على الأعمال الظاهرة . وقال بعض العارفين سألت بعض الأبدال عن مسألة من
مشاهدة اليقين فالتفت إلى شبابه فقال ما تقول رحمك الله ثم التفت إلى بينة قالما تقول رحمك الله ثم
أطرق إلى صدره وقال ما تقول رحمك الله ؟ ثم أجاب بأغرب جواب سمعته فسألت عن الفتاة فقال ليكن
عندي في المسألة جواب عتيده فسألت صاحب الحال فقال لا أدري فسألت صاحب اليقين وهو أعلم منه
فقال لا أدري فتطرت إلى قلبي وسألته لخدمتي بما أجبته كاذها وأعلم منها وكان هذا هو معنى قوله عليه
السلام « إن في أمي حديثين وإن عمر منهم » وفي الأثر : إن الله تعالى يقول يا عبد المخلص طي قلبك فزأيت
القالب عليه التمسك بكري تولى سياسة وكنت جليسه ومحادته وأنيسه . وقال أبو سليمان الداراني
رحمة الله عليه القلب بمنزلة القبة الضروبة حولها أبواب مغلقة فأبى فتح له حمل فيه قد ظهر
افتتاح باب من أبواب القلب إلى جهة لللكوت وللأعلى ويفتح ذلك الباب بالمجاهدة والورع
والإعراض عن شهوات الدنيا ولذلك كتب عمر رضي الله عنه إلى أمراء الأجناد احفظوا ما سمعتم
من اللطيفين فأنهم ينجل لهم أمور صادقة . وقال بعض العلماء يد الله على أنفوا الحكماء لا ينطقون إلا
بما هبأ الله لهم من الحق . وقال آخر لو شئت لقلت إن الله تعالى يطلع الخاشعين على بعض سره .
(بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسوس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها)

اعلم أن القلب كذا ذكرناه مثال قبة ضروبة لها أبواب تصب إليه الأحوال من كل باب ومثاله أيضا
مثال هدف تصب إليه سهام من الجوانب أو هو مثال المرأة منصوبة تحتها عليا أصفاء الصور المختلفة
فتراعى فيها صورة بعد صورة ولا تخلو عنها أوشال حوض تصب فيه مياه مختلفين أنهار مفتوحة
إليه وإنما مداخل هذه الآثار المتجددة في القلب في كل حال أمان من الظاهر فالحواس الخمس وأمان من
الباطن فالخيال والشهوة والغضب والأخلاق الربكة من مزاج الإنسان فانه إذا أدرك بالحواس شيئا
حصل منه أثر في القلب وكذلك إذا حاجت الشهوة مثلا بسبب كثرة الأسكل وبسبب قوة الزواج
حصل منها في القلب أثر وإن كلف عن الاحساس فالحوالات الحاصلة في النفس تبقى وينتقل الخيال
من شيء إلى شيء وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال إلى حال آخر والقصد أن القلب
في التغير والتأثر دائما من هذه الأسباب وأخص الآثار الحاصلة في القلب هو الحواطر وأعني بالحواطر
ما يحصل فيه من الأفكار والأذكار وأعني به إدراكه علوما إما على سبيل التجدد وإما على
سبيل التذكر فاتها تسمى خواطر من حيث إنها تخطر بعد أن كان القلب غافلا عنها والحواطر هي الحركات
للأرادات فإن النية والعزم والرغبة تحرك العزم والعزم يحرك النية والنية تحرك الأعضاء
والحواطر المحركة للرغبة تنقسم إلى الشر أعني إلى ما يضر في العاقبة وإلى ما يمدد إلى
الحير أعني إلى ما ينفع في الدار الآخرة فهما خاطران مختلفان فاقتر إلى اسمين مختلفين في خاطر الحمود
يسمى إلهاما والخاطر للغموم أعني الداعي إلى الشر يسمى وسواسا ثم إنك تعلم أن هذه الحواطر حادثة
ثم إن كل حدث فلا بد من محدث ومهما اختلفت الحوادث دل ذلك على اختلاف الأسباب هذا
ما غفر من سنة الله تعالى في ترتيب السبب على الأسباب فهما استنارت حيطان البيت بنور النار
وأظلم سقته ولمود بالبخان غلبت أن بسبب السواد غير سبب الاستنارة وكذلك أنوار القلب وظلمته
سببان مختلفان فببب الحاطر الداعي إلى الخير يسمى ملكا وسبب الحاطر الداعي إلى الشر يسمى شيطانا

والألف الذي ينهياً به القلب لقبول إلهام الخير يسمى توقفاً والذي به يتبرأ لقبول سواوس الشيطان يسمى إغواءً وخذلاناً فإن للعاني المختلفة خفتار إلى أسامي مختلفة واللك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شأنه إفاضة الخير وإفاضة العلم وكشف الحق والوعد بالخير والأمر بالمعروف وقد خلقه وعصره ذلك والشيطان عبارة عن خلق شأنه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والأمر بالقبحاء والتخويف عند الملم الخير بالقر بالوسوسة في مقابلة الإلهام والشيطان في مقابلة لللك والتوثيق في مقابلة الخذلان وإليه الإغارة بقوله تعالى - ومن كل شيء خلقنا زوجين - فإن الوجودات كلها مقابلة لمزدوجة إلا الله تعالى فإنه فرد لا مقابل له بل هو الواحد الحق الخالق للأزواج كلها فالقلب متجاذب بين الشيطان واللك وقد قال صلى الله عليه وسلم « في القلب لثان لمة من لللك إبعاد الخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه وليحمد الله ولما من العدو إبعاد الشر وتكذيب بالحق ونهى من الخير فمن وجد ذلك فليستد بالهمن الشيطان الرجيم ثم تلا قوله تعالى - الشيطان يمدكم الفقر ويأمركم بالفتنة - الآية وقال الحسن إنما هما جان مجولان في القلب ثم من الله تعالى وم من العدو قرع الله عبداً وقف عنده فساكن من الله تعالى أمضاه وما كان من عدوه جاهدوا لتجاذب القلب بين هذين السلطين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قلب للؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » (١) فالتعالي عن أن يكون له أصبع مركبة من لحم وعظم ودم وعصب منقسمة بالأفانيل ولكن روح الأصبع سرعة القلب والقدرة على التحريك والتخير فأنك لا تريد أصبعك لشخص بل لقمة في القلب والترديد كما أنك تساطي الأفعال بأصابعك والله تعالى يعمل ما يعمل باستخار لللك والشيطان وهما مخران بقدرة في قلب القلوب كما أن أصابعك مسخرة لك في قلب الأجسام مثلاً والقلب أصل القطرة صالح لقبول آثار لللك ولقبول آثار الشيطان صلاحاً وسوءاً ليس يترجع أحدهما على الآخر إنما يترجع أحد الجانبين باتجاه الهوى والإكباب على الشهوات أو الإعراض عنها ومخالفاتها فإن اتبع الإنسان مقتضى النضب والشهوة ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عسى الشيطان ومعدن له الهوى هو مرضى الشيطان ومرضه وإن جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه وتنبه بأخلاق لللائكة عليهم السلام صار قلبه مستقر لللائكة ومهيئهم ولما كان لا يخالق قلب عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول أمل إلى غير ذلك من صفات البشرية للشبهة عن الهوى لاجرم لم يخل قلب عن أن يكون الشيطان فيه جولان بالوسوسة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « ما منكم من أحد إلا وله شيطان قالوا أو أنت يا رسول الله قال وأنا إلا أن الله أعاني عليه فأسلم فلا يأمر إلا بخير » (٢) وإنما كان هذا لأن الشيطان لا يتصرف إلا بواسطة الشهوة فمن أعانه الله على شهوته حتى حارثت لا تبسط إلا حيث ينفى وإلى الحد الذي ينفى فشهوته لا تدعو إلى الشر فالشيطان التدرج بها لا يأمر إلا بالخير ومهما غلب على القلب ذكر الدنيا بفتنات الهوى وجد الشيطان مجالاً فوسوس ومهما انصرف القلب إلى ذكر الله تعالى ارتحل الشيطان وضاق مجاله وأقبل لللك والهمن والتضاريد بين جندي لللائكة والشياطين في معركة القلب دائماً إلى أن يفتح القلب لأحدهما فيستوطن ويستمكن ويكون اجتياز الثاني اختلاصاً وأكثر القلوب قد فتحها جنود الشياطين وتملكتها فامتلات بالسواوس الداعية إلى إظهار العاجلة وإطراح الآخرة ومبدأ استيلائها اتباع الشهوات والهوى ولا يمكن فتحها بعد ذلك إلا بتخلي القلب عن قوت الشيطان وهو الهوى

« استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عنده فقال يش ابن العشرة أو أخو العشرة ثم أذن له فالأن له القول فماخرج قلت يا رسول الله قلت له ما قلت ثم أنت له القول قال ياأخاه إن من شر الناس من ترك الناس أو بدع الناس إتباعه فحسه وروى أبو فر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « اتق الله حيث كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن » فاشته يستدل به على قوة عقل الشخص ووفور علمه وحله كحسن السدارة، والنفس

(١) حديث في القلب لثان لمة من لللك إبعاد الخير الحديث ث وحنه ون في الكبرى من حديث ابن مسعود (٢) حديث للؤمن بين أصبعين الحديث تفهم (٣) حديث ما منكم من أحد إلا وله شيطان الحديث م من حديث ابن مسعود

والشبهات وعمارته يذكر الله تعالى الذي هو مطرح أثر اللاتسكة . وقال جابر بن عبيدة الصدوي شكوت إلى العلاء بن زياد ما أجند في صدري من الوسوسة فقال : إنما مثل ذلك مثل البيت الذي يمر به القصوص فإن كان فيه شيء عالجوه وإلا مضوا وتركوه . يعني أن القلب الخالي عن الهوى لا يدخله الشيطان ولذلك قال الله تعالى - إن عبادي ليس لك عليهم سلطان - فكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبد الله ولذلك سلب الله عليه الشيطان وقال تعالى - أفرأيت من اتخذ إلهه هواه - وهو إشارة إلى أن من الهوى إلهه ومعجوده فهو عبد الهوى لا عبد الله ولذلك قال عمرو بن العاص [١]

لنبي صلى الله عليه وسلم « يا رسول الله حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقراءتي فقال ذلك شيطان يقال له خنزب فإذا أحسسته فتوضأ بالله منه واتق على يارك ثلاثا قال ففعلت ذلك فأذهب الله عني (٢) » وفي الخبر « إن للوسوء شيطانا يقال له الولهان فاستبدوا بالله منه (٣) » ولا ينجو وسوسة الشيطان من القلب إلا ذكر ماسوي مايوسوس به لأنه إذا خطر في القلب ذكر شيء الغد منه ما كان فيه من قبل ولكن كل شيء سوى الله تعالى وسوى ما يتعلق به فيجوز أيضا أن يكون مجالاً للشيطان وذكر الله هو الذي يؤمن جانبه ويعلم أنه ليس للشيطان فيه مجال ولا يبالغ الشيء إلا بضده وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله بالاستعاذة والتبري عن الحلول والقوة وهو معنى قولك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وذلك لا يقدر عليه إلا التتقون الغالب عليهم ذكر الله تعالى وإنما الشيطان يطوف عليهم في أوقات الفئات على سبيل الخلسة قال الله تعالى - إن الدين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون - وقال مجاهد في معنى قول الله تعالى - من شر الوسواس الخناس - قال هو منبسط على القلب فإذا ذكر الله تعالى خنس وانقبض وإذا غفل انبسط على قلبه فالتطارد بين ذكر الله تعالى ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار ولضادها قال الله تعالى - استحوذ عليهم الشيطان فأنسأهم ذكر الله - وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان وأضغ خرطوم على قلب ابن آدم فإن هو ذكر الله تعالى خنس وإن نسي الله تعالى التعم قلبه (٤) » وقال ابن وضاح في حديث ذكره : إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان وجهه يده وقال بأبي وجه من لا يفلح (٥) وكما أن الشهوات تمزجة يلحم ابن آدم ودعه فسلطة الشيطان أيضا سارية في لحمه ودعه ومحيطه بالقلب من جوانبه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع (٦) » وذلك لأن الجوع يكسر الشهوة ويجري الشيطان الشهوات لأجل اكتشاف الشهوات لقلب من جوانبه قال الله تعالى إخبارا عن إبليس - لأقمن لهم صراطك المستقيم

(١) حديث ابن أبي العاص إن الشيطان حال بيني وبين صلاتي الحديث م من حديث ابن أبي العاص (٢) حديث ابن اللؤلؤء شيطانا يقال له الولهان الحديث م ت من حديث أبي بن كعب وقال غريب وإبسن إسناده بالقوي عند أهل الحديث (٣) حديث أنس إن الشيطان وأضغ خطمه على قلب ابن آدم الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب مكابد الشيطان وأبو يعلى اللوصلي وابن عدي في الكامل وضفه (٤) حديث ابن وضاح إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان يده وجهه وقال بأبي وجه من لا يفلح لم أجده أصلا (٥) حديث إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم تقدم

[٦] قوله عمرو بن العاص كذا في النسخ قال الشارح والصاب غثان بن أبي العاص ، وفي العراق ما يشير لذلك اهـ .

لازال تشتمر بمن
يكس مرادها
ويستغرها التيق
والغضب والمداواة قطع
حمة النفس ورد طيشها
وتقورها . وقد ورد
« من كظم غيظا وهو
يستطيع أن يفذه
دعاه الله يوم القيامة على
ردوس الخلائق حتى
يخبره في أي الحول
شاء » . وروى جابر
رضي الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال « ألا أخبركم
على من تحرم النار ؟ على
كل حين لين سهل
قريب » . وروى
أبو مسعود الأنصاري
رضي الله عنه قال أتى
النبي عليه السلام رجل
فكلمه فأرعد فقال
هون عليك فاني لست

ثم لاثنين من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم - وقال صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان قد لائن آدم بطرق قدمه له بطريق الاسلام فقال أتسلم وتترك دينك ودين آبائك فصاه وأسلم ثم قدم له بطريق الحجرة فقال أتهاجر أتدع أرضك وممالك فصاه وهاجر ثم قدم له بطريق الجهاد فقال أتجاهد وهو تلف النفس والمال فتقاتل فتقتل فتسبح نساؤك ويقيم مالك فصاه وجاهد (١) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فمن فعل ذلك فمات كان حقاً على الله أن يبدخه الجنة » فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى الوسوسة وهي هذه الخواطر التي تخطر للمجاهد أنه يقتل وتسبح نساؤه وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد وهذه الخواطر مملوءة ، فإذا الوسواس معلوم بالمشاهدة وكل خاطر قلعه سبب ويقتضي اسم يعرفه فاسم سببه الشيطان ولا يصور أن ينفك عنه آدمي وإنما يختلفون ببسيانته ومتابته ولذلك قال عليه السلام « مامن أحد إلا وله شيطان (٢) » قد اتضح بهذا النوع من الاستبصار معنى الوسوسة والإلصاق والشيطان والتوفيق والحذلان فبعد هذا نظر من ينظر في ذات الشيطان أنه جسم لطيف أو ليس بجسم وإن كان جسماً فكيف يدخل بدن الانسان ما هو جسم فهذا الآن غير محتاج إليه في علم المأملة بل مثال الباحث عن هذا مثال من دخلت في ثيابه حية وهو محتاج إلى إزالتها ودفع ضررها فاشتغل بالبحث عن لونها وشكلها وطولها وعرضها وذلك عن الجهل فصادمة الخواطر الباغية على الشر قد علمت ودل ذلك على أنه عن سبب لاهلته وعلم أن الداعي إلى الشر المندور في المستقبل عدو قد عرف العدو لاهلته ، فبينما أن يشتغل بمجاهدته وقد عرف الله سبحانه عداوته في مواضع كثيرة من كتابه ليؤمن به ويحترز عنه فقال تعالى - إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً وإنما يدعو حزب ليسكونوا من أصحاب المعير - وقال تعالى - ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين - فبينما للبد أن يشتغل بدفع العدو عن نفسه لا بالسؤال عن أصله ونسبه ومسكنه ، نعم ينبغي أن يسأل عن سلاحه ليدفعه عن نفسه وسلاح الشيطان الهوى والشهوات وذلك كاف للامنين ، فأما معرفة ذاته وصفاته وحقيقته نموذجاً لله منه وحقيقة الملاصقة فذلك ميدان العارفين للتخلفين في علوم الكاشفات فلا يحتاج في علم المأملة إلى معرفته ، نعم ينبغي أن يعلم أن الخواطر تنقسم إلى ما يملأ قطعا أنه داع إلى الشر فلا ينبغي كونه وسوسة وإلى ما يملأ أنه داع إلى الخير فلا يشك في كونه إلهاً وإلى ما يتردد فيه فلا يدري أنه من لمة للشيطان فإن من مكابد الشيطان أن يمرض الشر في معرض الخير والتمييز في ذلك غامض وأكثر العباد به يهلكون فإن الشيطان لا يقدر على دعائهم إلى الشر الصريح فيصور الشر بصورة الخير كما يقول العالم بطريق الوعظ أمانتظر إلى الحق وهم موفون من الجهل هلكت من الغفلة قد أضرعوا على النار أما للرحمة على عباده أن تقدم من العاطب بنصحك ووعظك وقد أتم الله عليك قلب بصير ولسان ذلق ولهجة مقبولة فكيف تسكر نعمة الله تعالى وتعرض لسخطه وتسكت عن إشاعة العلم ودعوة الحق إلى انصراف السليم ؟ ولا يزال يقرر ذلك في نفسه ويستجده بلطيف الجليل إلى أن يشتغل بوعظ الناس ثم يدعوهم بعد ذلك إلى أن يتزين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ وإظهار الخير ويقول له إن لم فعل ذلك سقط وقع كلامك من قلوبهم ولم يهتدوا إلى الحق ولا يزال يقرر ذلك عنده وهو في أثناءه يؤكد فيه شواهد الرباء وقبول الحق ولادة الجاه والتعزز بكثرة الأتباع والعلم والنظر إلى الخلق بين الاحتقار فيستندرج

ملك إنما أنا ابن امرأة من قريش وكانت تأكل القديد » وعن بعضهم في معنى لائن جانب الصوفية : هينون لينون أيسار بؤيسر سواس مكرمة أبناء أيسار لا ينطقون عن الفخشاء إن نطقوا ولا يمارون إن ماروا على كشار من تلق منهم تقل لاقت سيدم مثل النجوم القيسري بها الساري وروى أبو الفداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من أعطى حظه من الرفق قد أعطى حظه من الخير ومن حرم حظه من الرفق

(١) حديث إن الشيطان قد لائن آدم بأطرقه الحديث ن من حديث صبرة بن أبي فاكه بإسناد صحيح (٢) حديث مامن أحد إلا له شيطان الحديث تقدم .

للسكين النصح إلى الهلاك فتبكم وهو يظن أن قصده الخير وإنما قصده الجاه والقبول فبهلك بسببه وهو يظن أنه عند الله بكان وهو من الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله ليؤيد هذا الدين بقوم لا خلاق لهم» (١) . «وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر» (٢) . ولذلك روى أن إبليس لعنه الله مثل لعيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم فقال له قل لا إله إلا الله فقال كلمة حق ولا أقولها بقولك لأن له أيضاً تحت الخير تلبيسات وتلبيسات الشيطان من هذا الجنس لا تنتهي وبها يهلك العلماء والعباد والزهاد والفقراء والأغنياء وأصناف الخلق ممن يكرهون ظاهر الشر ولا يرضون لأنفسهم الخوض في المعاصي المكشوفة ، وسندكر جملة من مكاييد الشيطان في كتاب الثرور في آخر هذا الربع ولعلنا إن أمهل الزمان صنفنا فيه كتاباً على الخصوص نسبب [تلبيس إبليس] فانه قد انتشر الآن تلبيس في البلاد والعباد لا سبب في المذاهب والاعتقادات حتى لم يبق من الخيرات إلا رمعها كل ذلك إذعاناً لتلبيسات الشيطان ومكاييده حتى على العبد أن يقف عند كل مخطر له ليعلم أنه من ملة لللك أولمة الشيطان وأن يحسن النظر فيه بعين البصيرة لا بهوى من الطبع ولا يطلع عليه إلا بنور التقوى والبصيرة وغزارة العلم كما قال تعالى - إن الذين اتوا إذا هم طائف من الشيطان تذكروا - أي رجعوا إلى نور العلم - فإذا هم مبصرون - أي ينكشف لهم الإشكال فأما من لم يرض نفسه بالتقوى فيميل طبعه إلى الإذعان بتلبيسه بتأية الهوى فيكثر فيه غلظه ويتجمل فيه هلاكه وهو يشعر وفي مثله قال سبحانه وتعالى - وبدأ لهم من الله ما لم يكونوا يحسبون - قيل هي أعمال ظنوها حسناً فإذا هي سيئات ، وأغشى أنواع علوم العامة الوقوف على خدع النفس ومكاييد الشيطان وذلك فرض عين على كل عبد وقد أمهله الخلق واشتغلوا بعلوم تستجر إليهم الوسواس وتسلط عليهم الشيطان وتسيبهم عداوته وطريق الاحتراز عنه ولا ينجي من كثرة الوسواس إلا سد أبواب الخواطر وأبواب الحواس الخمس وأبوابها من داخل الشهوات وعلائق الدنيا والغلبة في بيت مظلم تسد باب الحواس والتجرد عن الأهل والسال يقلل الوسواس من الباطن ويبقى مع ذلك مداخل باطنة في التخليلات الجارية في القلب وذلك لا يدفع إلا بشغل القلب بذكر الله تعالى ثم إنه لا يزال يجاذب القلب وينازعه ويليه عن ذكر الله تعالى فلا بد من مجاهدته وهذه مجاهدة لا آخر لها إلا الموت إذ لا يتخلص أحد من الشيطان مادام حياً ، ثم قد يقوى بحيث لا يتفادله ويدفع عن نفسه شره بالجهد ولكن لا يستغنى قط عن الجهاد والدافعة مادام العلم يجري في بدنه فانه مادام حياً فأبواب الشيطان مفتوحة إلى قلبه لا تنغلق وهي الشهوة والغضب والحسد والطمع والشره وغيرها كما سيأتي شرحها ، ومهما كان الباب مفتوحاً والعدو غير غافل لا يدفع إلا بالحراسة والمجاهدة . قال رجل لحسن ياباً سيد أبنام الشيطان فبسم وقال لولنا لاسترحنا فاذن لخلص للؤمن منه ، ثم له سبيل إلى دفعه وتضعيف قوته . قال صلى الله عليه وسلم «إن المؤمن ينضى شيطانه كما ينضى أحدكم بميرة في سفره» (٣) وقال ابن مسعود شيطان المؤمن مهزول ، وقال قيس بن الحجاج قال لي شيطاني دخلت فيك وأنا مثل الجزور وأنا الآن مثل المصغور قلت ولهذا ؟ قال قد تذبذب بذكر الله تعالى فأهل التقوى لا يتعذر عليهم سد أبواب الشيطان وحفظها بالحراسة أعني الأبواب الظاهرة والطرق الجليلة التي تنضى إلى المعاصي الظاهرة وإنما يتعذبون في طرقه القامضة فاتهم لا يبتدون إليها

(١) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم من حديث أنس بإسناد جيد (٢) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم في العلم (٣) حديث إن المؤمن ينضى شيطانه الحديث أحمد من حديث أبي هريرة وفيه ابن لهجة .

قد حرم حظ من
الحبر « حدثنا شيخنا
زياد الدين أبو النجيب
إسماعيل قال ثنا أبو
عبد الرحمن محمد بن
أبي عبد الله السائي قال
أنا أبو الحسين
عبد الرحمن بن أبي
طلحة الهادي قال أنا
أبو محمد عبد الله
الحجوي الرخسي
قال أنا أبو محمد
عيسى بن محمد
السرقي قال أنا
عبد الله بن عبد الرحمن
الدارمي قال أنا محمد بن
أحمد بن أبي خلف قال
شاعبد الرحمن بن محمد
عن محمد بن إسحاق قال
حدثني عبد الله بن أبي
بكر عن رجل من
الربيع قال زحمت رسول
الله صلى الله عليه وسلم

فيحرسونها كما نثرنا إليه في غرور العلماء والوعاظ . والمشكل أن الأبواب المفتوحة إلى القباب لا شيطان كثيرة وباب للالشك باب واحد وقد التبس ذلك الباب الواحد بهذه الأبواب الكثيرة فالعبد فيها كلسافر الذي يتيق في بادية كثيرة الطرق غامضة السالك في ليلة مظلمة فلا يكاد يعلم الطريق إلا بمن بصيرة وطلوع شمس مشرقة واليمن البصرة هي القباب المنيق بالقوى والشمس الشرقة هو العلم الغرير السفاد من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مما يهدي إلى غوامض طرقه وإلا فطرقه كثيرة وغامضة . قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه « خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا وقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم تلا . وأن هذا صراطى مستقي فاتبوه ولا تتبعوا السبل - لتلك الخطوط (١) » فبين صلى الله عليه وسلم كثرة طرقه وقد كرنا مثالا للطريق الغامض من طرقه وهو الذي يندفع به العلماء والعباد السالكين لشهواتهم السالكين عن المعاصي الظاهرة . فأنذر كرمثالا لطريقه الواضح الذي لا يخفى إلا أن يضطر الأدي إلى سلوكه وذلك كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « كان راهب في بني إسرائيل فصد الشيطان إلى جارية خنقتها وألقى في قلوب أهلها أن دواها عند الراهب فأتوا بها إليه فأبى أن يقبلها فلم يزلوا به حتى قبلها فلما كانت عنده لبعالها أتاه الشيطان فزين له مقاربتها ولم يزل به حتى واقبها فحملت منه فوسوس إليه وقال الآن تنفض يأتيك أهلها فاقبلها فان سألوها قتل ماتت فقتلها ودقها فأتى الشيطان أهلها فوسوس إليهم وألقى في قلوبهم أنه أحبلها ثم قتلها ودقها فأتاه أهلها فسألوها عنها فقالت ماتت فأخذوه ليقتلوه . فأتاه الشيطان فقال أنا الذي خنقتها وأنا الذي ألقى في قلوب أهلها فطعن تيج وأصلحك منهم قال عبادا ؟ قال اسجد لي سجدتين فسجد له سجدتين فقال له الشيطان إني برىء منك ، فهو الذي قال الله تعالى فيه - كثر الشيطان إذ قال للانسان اكفر فكا كفر قال إني برىء منك - (٢) » فانظر الآن إلى حيله واضطراره الراهب إلى هذه الكبائر وكل ذلك لطاعته له في قبول الجارية للمعالجة وهو أمرهين وربما بظن صاحبه أنه خير وحسنه فيحسن ذلك في قلبه بخفي الهوى فيقدم عليه كالراغب في الخير فيخرج الأمر بعد ذلك عن اختياره ويحرمه البهيم إلى البعض بحيث لا يجد محيصا فتعود بالله من تضيق أوائل الأمور وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه (٣) »

(بيان تفصيل مداخل الشيطان إلى القلب)

اعلم أن مثال القلب مثال حصن والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن فيملكه ويستولى عليه ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو إلا بخزعة أبواب الحصن ومداخله ومواضع لمهله لا يقدر على حراسة أبوابه من لا يدري أبوابه لحاية القلب من وسواس الشيطان واجبة وهو فرض عين على كل عبد مكلف وملا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو أيضا واجب ولا يتوصل إلى دفع الشيطان إلا بمعرفة

(١) حديث ابن مسعود خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا فقال هذا سبيل الله هذا سبيل الحديث في الكبرى و ك وقال صحيح الاسناد (٢) حديث كان راهب في بني إسرائيل فأخذ الشيطان جارية خنقتها وألقى في قلوب أهلها أن دواها عند الراهب بطوله في قوله تعالى - كثر الشيطان إذ قال للانسان اكفر - ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان وابن مردويه في تفسيره في حديث عبيد بن أبي رفاعه مرثالا وللحاكم نحوه موقوف على طي بن أبي طالب وقال صحيح الاسناد ووصله بطيخ في مسنده من حديث طي (٣) حديث من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه متفق عليه من حديث الثمان بن بشير من يترع حول الحمى يوشك أن يواقعه فقط ع .

يوم حنين وفي رجله فعل كشيعة فوطئت بها على رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ففتحن فتحة بوسطى يعم وقال باسم الله أوجعتني قال فبت نفسي لأخا أقول أوجعت رسول الله قال فبت ليلة كما يعلم الله فلما أصبحنا إذا رجل يقول أين فلان قلت هذا والله الذي كان معي بالأمس قال فانطلقت وأنا متخوف فقال لي إنك وطئت بذلك على رجل بالأمس فأوجعتني ففتحت فتحة بالوسط فهذه ثمانون نعمة غفناها . ومن أخلاق الصوفية الإيتار والواساة ويعملهم على ذلك فرط الشفقة

مداخله فصارت معرفة مداخله واجبة ومداخل الشيطان وأبواب صمات البدوي كثيرة ولكننا نشير إلى الأبواب العظيمة الجارية بحرى الدروب التي لاتضيق عن كثرة جنود الشيطان . فمن أبواب العظيمة الغضب والتهوة فإن الغضب هو غول العقل وإذا ضعف جند العقل هم جند الشيطان ومهما غضب الانسان لعب الشيطان به كما يلعب الصبي بالكرة ، فقد روى أن موسى عليه السلام تلبه إبليس فقال له يا موسى أنت الذى اصطفاك الله برمائه ولكم تسكيبا وأنا خلق من خلق الله أذنبت وأريد أن أتوب فافتح لى إلى ربى أن يتوب لى قال موسى نعم فلما صعد موسى الجبل وكلمه ربه عز وجل وأراد النزول قال له ربه اذ الأمانة فقال موسى يا رب عبدك إبليس يريد أن يتوب عليه فأوحى الله تعالى إلى موسى يا موسى قد أضيت حاجتك مره أن يسجد لقبر آدم حتى يتاب عليه فأتى موسى إبليس فقال له قد ضيبت حاجتك أموت أن تسجد لقبر آدم حتى يتاب عليك فغضب واستكبر وقال لم أسجد له حيا ! أسجد له ميتا ثم قال له يا موسى إن لك لى حقا بما ضعت لى إلى ربك فاذكرنى عند ثلاث لأهلكك فيهن : اذكرنى حين تغضب فإن روحى فى قلبك وعينى فى عينك وأجرى منك بحرى الدم ، اذكرنى إذا غضبت فإنه إذا غضب الانسان تضعت فى أنفه فإيدى ما يصنع واذكرنى حين تلقى الرخف فأتى ابن آدم حين تلقى الرخف فأذكره زوجته وولده وأهله حتى يولى وإياك أن تجلس إلى امرأة ليست بذات همم فأتى رسولها إليك وسوءك إليها فلا أزال حتى أفتك بها وأختها بك . قد أشار بهذا إلى الشهوة والغضب والحرس فإن القرار من الرخف حرص على الدنيا وامتناعه من السجود لآدم ميتا هو الخسار وهو أعظم مداخله وقد ذكر أن بعض الأولياء قال لإبليس أرى كيف تغلب ابن آدم فقال أخذه بعيد الغضب وعند الهوى ، قد حكي أن إبليس ظهر لراهب فقال له لى راهب أى أخلاق بنى آدم أعون لك قال الحدة فإن العبد إذا كان حديدا فقلبه كما يقبل الصبيان الكرة ، وقيل إن الشيطان يقول كيف يغلبى ابن آدم وإذا رضى جئت حتى أكون فى قلبه وإذا غضب طردت حتى أكون فى رأسه ومن أبواب العظيمة الحسد والحرس فهما كان العبد حرصا على كل شئ إحماء حرصه وأوصه إذ قال صلى الله عليه وسلم « حيك لئى يعمى ويصم » (١) ونور البصرة هو الذى يعرف مداخل الشيطان فإذا غطاه الحسد والحرس لم يصر فينفذ بمداخل الشيطان فرصة فيحسن عند الحرس كل ما يوصله إلى شهوته وإن كان منكرا وفاحشا فقد روى أن نوحا عليه السلام لما ركب السفينة حمل فيها من كل زوجين اثنين كما أمره الله تعالى فرأى فى السفينة شيئا لم يعرفه فقال له نوح ما أدخلك فقال دخلت لأصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معى وأبدانهم معك فقال له نوح أخرج منها يا عبدو الله فانك لعين فقال له إبليس : خمس أهلك بهن الناس وأسد حثك شين ثلاث ولا حثك باثنين فأوحى الله تعالى إلى نوح أنه لا حاجة لك بالثلاث ليحذرك بالاثنتين فقال له نوح ما الاثنتان فقال هما اللتان لا تسكذبانى هما اللتان لا تخافانى هما أهلك الناس : الحرس والحسد ، فبالحسد لغت وجعلت شيطانا رجيا وأما الحرس فإنه أبيع لآدم الجنة كلها إلا الشجرة فأصبت حاجتى منه بالحرس . ومن أبواب العظيمة الشبع من الطعام وإن كان حلالا صافيا فإن الشبع يقوى الشهوات والشهوات أسلحة الشيطان ، فقد روى أن إبليس ظهر ليحيى بن زكريا عليهما السلام فرأى عليه معاليق من كل شئ . فقال له يا إبليس ما هذا للمعاليق ؟ قال هذه الشهوات التى أصبت بها ابن آدم فقال فهل فيها من شئ ؟ قال ربما هيئت فتغفلنا عن الصلاة وعن الذكر قال فهل فيه ذلك ؟ قال لا قال له لى أن لا أملا بطمن الطعام أبدا فقال له إبليس والله لى أن لا نصنع مسلما أبدا . ويقال فى كثرة

(١) حديث حيك لئى يعمى ويصم أو داود من حديث أبى الدرداء بإسناد ضعيف .

والرحمة طيبا وقوة
البقي شرما يؤثرون
بالموجود ويصبرون لى
للقعود . قال أبو يزيد
البسطامى ما غلبنى
أحد ما غلبنى شاب من
أهل بلغ قدم علينا
حاجا فقال لى يا أبا يزيد
ما حسد الزهد عندهم
قلت إذا وجدنا أكلنا
وإذا قد ناصبرنا قال
هكذا عندنا كلاب
بلغ قلت له وما حسد
الزهد عندهم ، قال
إذا قد ناصبرنا وإذا
وجدنا آثرنا . وقاله
ذو النون من علامة
الزهد للشروح صدره
ثلاث : تفرق الجموع
وترك طلب اللقود
والإثار بالقوت . روى
عبد الله بن عباس
رضى الله عنهما قال

الأكل ست حال مذمومة : أولها أن يذهب خوف الله من قلبه . الثاني أن يذهب رحمة الخلق من قلبه لأنه يظن أنهم كلهم شرايع . والثالث أنه يتقل عن الطاعة . والرابع أنه إذا سمع كلام الحكمة لا يجد له فائدة . والخامس أنه إذا تكلم بالموعظة والحكمة لا يقع في قلوب الناس . والسادس أن يبيع فيه الأمراض . ومن أبواب حب التزين من الأثاث والثياب والدار فإن الشيطان إذا رأى ذلك غالبا على قلب الإنسان باض فيه وفتح فلا يزال يدعو إلى عماره الدار وتزيين مقوفها وحيطاتها وتوسيع أسبنتها وبدعوه إلى التزين بالثياب والدواب ويستخره فيها طول عمره وإذا أوقفه في ذلك قد استغنى أن يدعو إليه ثانية فإن بعض ذلك يجره إلى البعض فلا يزال يؤذيه من شيء إلى شيء إلى أن يساق إليه أجله فيموت وهو في سبيل الشيطان واتباع الهوى ويخفى من ذلك سوء العاقبة بالكفر تنوذ بالله منه . ومن أبواب العظيمة الطمع في الناس لأنه إذا غلب الطمع على القلب لم يزل الشيطان يحب إليه التمتع والتزين لمن طمع فيه بأنواع الرياء والتلبس حتى يصير للطموع فيه كأنه معبود فلا يزال يتفكر في حيلة التودد والتعجب إليه ويدخل كل مدخل للوصول إلى ذلك ، وأقل أحواله التناء عليه بما ليس فيه وللدهانة له بترك الأمور بالعرف والتبهي عن السكر ، فقد روى صفوان بن سليم أن إبليس عمل لعبد الله بن حنظلة فقبله يابن حنظلة أحفظ عني شيئا أعلمك به فقال لأحاجة لي به قال انظر فإن كان خيرا أخذت وإن كان شرا رددت يابن حنظلة لا تسأل أحدا غير الله سؤال الرغبة وانظر كيف تكون إذا غضبت فاني أعلمك إذا غضبت . ومن أبواب العظيمة العجلة وترك الثبوت في الأمور وقال صلى الله عليه وسلم « العجلة من الشيطان والثبات من الله تعالى » (١) وقال عز وجل - خلق الإنسان من عجل - وقال تعالى - وكان الإنسان عجولا - وقال لبيد صلى الله عليه وسلم - ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه - وهذا لأن الأعمال ينبغي أن تكون بعد البصيرة والعرفه والتبصرة تحتاج إلى تأمل وتعمل والعجلة تمنع من ذلك وعند الاستعجال يروج الشيطان شره على الإنسان من حيث لا يدري ، وقد روى أنه لما ولد عيسى ابن مريم عليه السلام أتت الشياطين إبليس فقالوا أصبحت الأصنام قد نسكت ردوسها فقال هذا حادث قد حدثت مكانكم فطار حتى أتى خافق الأرض فلم يجد شيئا ثم وجد عيسى عليه السلام قد ولد وإذا للامسكة حافين به فرجع إليهم فقال إن نبيا قد ولد البارة ماحملت أثني قط ولا وضعت إلا وأنا حاضرها إلا هذا فأيسوا من أن تمبد الأصنام بهذه الليلة ولكن اتوا بني آدم من قبل العجلة والحفنة . ومن أبواب العظيمة الدرامم والدنانير وسائر أصناف الأموال من المروض والدواب والعقار فإن كل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان فإن من معه قوته فهو فارغ القلب فهو وجدانة دينار مثلا على طريق انبث من قلبه عشر شهوات يحتاج كل شهوة منها إلى مائة دينار أخرى فلا يكفيه ما وجد بل يحتاج إلى تسعةائة أخرى وقد كان قبل وجود المائة مستغنيا فالآن لما وجد مائة ظن أنه صار بها غنيا وقد صار محتاجا إلى تسعةائة ليشتري دارا يعمرها وليشتري جارية وليشتري أثاث البيت وليشتري الثياب الفاخرة وكل شيء من ذلك يستدعي شيئا آخر يليق به وذلك لا آخر له فيقع في هاوية آخرها عمق جهنم فلا آخر لها سواه . قال ثابت البناني (٢) لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إبليس لشياطينه لقد حدث أمر فانتظروا ما هو فانتظروا حتى أعيوا ثم جاؤا وقالوا ما ندري قال أنا أتيتكم بالحر فذهبتم جاء وقال قد بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم قال فجعل يرسل شياطينه إلى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فينصرفون خائبين ويقولون ما صجنا قوما قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون إلى مسلاتهم فيمحي ذلك فقال إبليس رويدا بهم عبي الله أن يفتح لهم الدنيا

(١) حديث العجلة من الشيطان والثبات من الله ت من حديث سهل بن سعد بلفظ الأمانة وقال حسن

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النضير للأنصار « إن شتمت قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم ونصار كونهم في هذه الغنيمة وإن شتمت كانت لكم دياركم وأموالكم وكقسم لكم شيئا من الغنيمة، وقالت الأنصار بل قسم لهم من أموالنا وديارنا ونوترهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها ، فأقر الله تعالى - ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أصابه جهد فقال يا رسول الله إني جائع فأطعمني فيبت النبي صلى الله عليه وسلم إلى

فصيب منهم حاجتا (١) . وروى أن عيسى عليه السلام توسد يوما حجرا فر به إبليس فقال يا عيسى رغبت في الدنيا فأخذه عيسى صلى الله عليه وسلم فرمى به من تحت رأسه وقال هذا لك مع الدنيا وعلى الحقيقة من يملك حجرا يتوسد به عند النوم قد ملك من الدنيا ما يمكن أن يكون عنه للشيطان عليه فان القائم بالليل مثلا للصلاة مهما كان بالقرب منه حجر يمكن أن يتوسده فلا يزال يدعو إلى النوم وإلى أن يتوسده ولو لم يكن ذلك لكان لا يحظر له ذلك يال ولا تحرك رغبته إلى النوم هذا في حجر فكيف بمن يملك الهاد الوثير والقرش الوطية والتزهات الطيبة فلي ينشط لعبادة الله تعالى . ومن أبواب العظيمة البخل وخوف الفقر فان ذلك هو الذي يمنع من الاغنى والتصدق ويدعو إلى الادخار والكز والذاب الأليم وهو للوعود للمكاذبين كما نطق به القرآن العزيز . قال خيشة بن عبد الرحمن إن الشيطان يقول ماغلبني ابن آدم غلبة فلن يظني على ثلاث أن أمره أن يأخذ المال من غير حقه وإغافه في غير حقه ومنعه من حقه . وقال سفيان ليس للشيطان سلاح مثل خوف الفقر فاذا قبل ذلك منه أخذ في الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوى وظن بره عن سوء . ومن آفات البخل الحرص على ملازمة الأسواق بلج السال والأسواق هي معشع الشياطين . وقال أبو أمامة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن إبليس لما نزل إلى الأرض قال يارب أنزلتني إلى الأرض وجعلتني رجيا فاجعل لي بيتا قال الجاهل قال اجعل لي مجلسا قال الأسواق وجميع الطرق قال اجعل لي طعاما قال طعامك ما لم يذكر اسم الله عليه قال اجعل لي شرايا قال كل مسكر قال اجعل لي مؤذنا قال الزمير قال اجعل لي قرآنا قال الشعر قال اجعل لي كتابا قال الوشم قال اجعل لي حديثا قال الكذب قال اجعل لي مصايد قال الفساق (٢) ومن أبواب العظيمة التوصل: التصب للماذاهب والأمواء والحدق على الحصور والنظر إليهم بين الأزدراء والاستخفاف وذلك بما يهلك البعاد والفساق جميعا فان الطعن في الناس والاستخفاف بذكر تصهم صفة مجبولة في الطبع من الصفات السببية فاذا خيل إليه الشيطان أن ذلك هو الحق وكان موافقا لطبعه غلبت حالته على قلبه فاشتغل به بكل همته وهو بذلك فرحان مسرور يظن أنه يسمى في الدين وهو ساع في اتباع الشياطين فترى الواحد منهم يتصب لأبي بكر الصديق رضى الله عنه وهو آكل الحرام ومطلق اللسان بالفضول والكذب ومتعاط لأنواع الفساد ولو رآه أبو بكر لكان أول عدو له إذ موالى أبي بكر من أخذ سبيله وسار بسيرته وحفظ ما بين لحية . وكان من سيرته رضى الله عنه أن يضع حصاة في فيه ليكشف لسانه عن الكلام فيا لا يسيه فأتى لهذا الفضولى أن يدعى ولاده وجبه ولا يسير بسيرته وترى فضولا آخر يتصب لعلى رضى الله عنه وكان من زهد على وسيرته أنه ليس في خلافة ثوبا اشتراه بثلاثة دراهم وقطع رأس الكمين إلى الرنغ ورى الفاسق لابسا ثياب الحرير ومتجملا بأموال اكتسبها من حرام وهو يتعاطى حب على رضى الله عنه ويدعيه وهو أول خصائه يوم القيامة ولبت شعري من أخذ ولدا عزيزا لئسان هوقرة عينه وحرارة قلبه فأخذ يضربه ويمزقه وينتف شعره ويقطعه بالقرض وهو مع ذلك يدعى حب أبيه ولاده فكيف يكون حاله عنده ومعلوم أن الدين والشرع كانا أحب إلى أبي بكر ومهر وعثمان وعلى وسائر الصحابة رضى الله عنهم من الأهل والولد بل من أنفسهم

(١) حديث ثابت لما بعث صلى الله عليه وسلم قال إبليس للشياطين لقد حدث أمر الحديث ابن أبي الدنيا في مكاييد الشيطان هكذا مرسل (٢) حديث أبي أمامة إن إبليس لما نزل إلى الأرض قال يارب أنزلتني إلى الأرض وجعلتني رجيا فاجعل لي بيتا قال الجاهل الحديث الطبراني في الكبير وإسناده ضيف جدا ورواه نحوه من حديث ابن عباس بإسناد ضيف أيضا .

وَعَالِي خَنْجِ السَّنَا
لَصِيفِ رَسُولِ اللَّهِ
شَيْعِ صِيفِ رَسُولِ
اللَّهِ قَامَتْ إِلَى الصَّبَا
فَهَلَّلَتْهُنَّ حَتَّى نَامُوْنَ
قَوْمَهُنَّ وَبَطْنُوْنَ
قَامَتْ فَاتَّوَدَّتْ
وَأَسْرَجَتْ فَلَا أُخَذَ
الصِّيفِ لِأَنَّ كُلَّ قَامَتْ
كَأَنَّهَا تَصْلَحُ السَّرَاجَ
فَأَطْلَعَتْهُ بَجَلَا عِصْمَانَ
السَّخْمَاءُ الصَّفَرِيَّةَ رَسُولِ
اللَّهِ وَظَنَّ الصِّيفِ أَنَّهَا
يَكُونُ نَمْعٌ حَقَّ شَيْعِ
الصِّيفِ وَبَانَا طَوْبِيْنَ
فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَا
إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا نَظَرَ
إِلَيْهَا تَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ لَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ مِنْ
فَلَانِ وَفَلَانَةِ هَذِهِ اللَّيْلَةِ
وَأَزَلَّ اللَّهُ تَعَالَى -
وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ

(١٧) حديث فاطمة بضعة مني متفق عليه من حديث السور بن حمره (٢) حديث أبي لاغى عنك من الله شيئا قاله فاطمة متفق عليه من حديث أبي هريرة (٣) حديث عائشة إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول من خلقك فيقول الله الحديث أحمد والبخاري وأبو يعلى في مسانيدهم ورأه ثقات وهو متفق عليه من حديث أبي هريرة .

كن يركب لجة البحر وهو لا يعرف السباحة ومكايد الشيطان فيها يتعلق بالعقائد والمذاهب لأخصر وإنما أردنا بما أوردناه للثال . ومن أبوابه سوء الظن بالمسلمين قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم - فمن يحكم بشر على غيره بالظن يث الشيطان على أن يطول فيه اللسان بالنسبة فيهلك أو يقصر في القيام بختوفه أو يوتئ في إكراهه وينظر إليه بين الاحتقار ويرى نفسه خيرا منه وكل ذلك من الهلكات ولأجل ذلك منع الشرع من التعرض لغيرهم فقال صلى الله عليه وسلم « اتوا مواضع التهم » حتى احتذروهم عليه السلام من ذلك روى عن ابن حسين أن صفية بنت حيى بن أخطب أخبرته « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان معتكفا في المسجد قالت فأتيته فتحدثت عنده فلما سميت انصرفت قام يمشى معي فرب به رجلا من الأنصار فلما سم انصرفا فناداهما وقال إنها صفية بنت حيى قالوا يا رسول الله ما نظن بك إلا خيرا قال إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم من الجسد وإنى خشيت أن يدخل عليكما » فانظر كيف أشفق عليه السلام على دينهما فخرسهما وكيف أشفق على أمته فسلمهم طريق الاحتراز من التهمة حتى لا يتساهل العالم الورع المعروف بالدين في أحواله فيقول مثل لا يظن به إلا الخير إجماعا منه بنفسه فإن أروع الناس وأندم وأعلمهم لا يظن الناس كلهم إليه بين واحدة بل بين الرضا بعضهم وبين السخط بعضهم ولذلك قال الشاعر :

وعين الرضا عن كل عيب كلية ولكن عين السخط تدرى المساويا

فيجب الاحتراز عن ظن السوء وعن تهمة الأشرار فإن الأشرار لا يظنون بالناس كلهم إلا الشر فلهما رأيت إنسانا يسمى الظن بالناس طالبا لليوب فاعلم أنه خبيث في الباطن وأن ذلك خبثه يترشح منه وإنما رأى غيره من حيث هو فإن المؤمن يطلب العاذر وللناقد يطلب العيوب والمؤمن سليم الصدر في حق كافة الخلق فهذه بعض مداخل الشيطان إلى القلب ولو أردت استقصاء جميعها لم أقدر عليه وفي هذا التقدير ما ينبه على غيره فليس في الآدمي صفة مذمومة إلا وهي سلاح الشيطان ومدخل من مداخله . فان قلت فما العلاج في دفع الشيطان لئول يكتفى في ذلك ذكر الله تعالى وقول الإنسان لاحول ولا قوة إلا بالله . فاعلم أن علاج القلب في ذلك سدهذه المداخل بتطهير القلب من هذه الصفات الذمومة وذلك مما يطول ذكره وغرضنا في هذا الربع من الكتاب بيان علاج الصفات الهلكات وتحتاج كل صفة إلى كتاب منفرد على ماسياتي شرحه ، ثم إذا قطعت من القلب أصول هذه الصفات كان الشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار وينعمه من الاجتياز ذكر الله تعالى لأن حقيقة الذكر لا تمكن من القلب إلا بعد محاربة القلب بالقوى وتطهيره من الصفات الذمومة والإفكيكون الذكر حديث نفس لاساطيل على له القلب فلا يدفع ساطان الشيطان ولذلك قال الله تعالى - إن الذين آمنوا إذا هم من طامب من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون - خصص بذلك التقي فثقل الشيطان كمثلك كلب جائع يقرب منك فإن لم يكن بين يديك خبز أو لحم فإنه يترجر بأن تقول له احسأ فيجرد الصوت يدفعه فإن كان بين يديك لحم وهو جائع فإنه يهجم على اللحم ولا يندفع بمجرد الكلام فالقلب الخالي عن قوت الشيطان يترجر عنه بمجرد الذكر فأما الشهوة إذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر إلى حواشي القلب فلم يتمكن من سويدها فيستقر الشيطان في سويده القلب وأما قلوب التقيين الحالية من الهوى والصفات للذمومة فإنه يطررها الشيطان للاقتباصات بل لحلوها بالنفقة عن الذكر فإذا عاد إلى الذكر خشي الشيطان ودليل ذلك قوله تعالى - فاستمد بالله من الشيطان الرجيم - وسائر الأخبار والآيات

(١) حديث اتوا مواضع التهم لم أجده إلا أصلا (٢) حديث صفية بنت حيى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان معتكفا فأتيته فتحدثت عنده الحديث وفيه إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم متفق عليه .

ولو كان بهم خاصة -

وقال أنس رضى الله

عنه أهدى لبعض

أصحابه رأس شاة

مشوى وكان مجهودا

فوجه به إلى جاره

فتداوله سبعة أناس

ثم عاد إلى الأول فأنزلت

الآية لذلك . وروى أن

أبا الحسن الأنطاكي

اجتمع عنده نيف

وثلاثون رجلا بقرية

بقرى الروى له أرغفة

معدودة لم تشبع

خسة منهم فكسروا

الزغفان وأطفئوا

السراج وجلسوا للطعام

فلما رفضوا الطعام فإذا

هو بحاله لم يأكل أحد

منهم إشارة منه على

نفسه . وحكى عن

حذيفة الصدى قال

انطلقت يوم اليرموك

لطاب ابن عم لى

الواردة في القدر . قال أبو هريرة التقي شيطان المؤمن وشيطان الكافر فإذا شيطان الكافر دهن معين كاس وشيطان المؤمن مهزول أضعف أغبر عار قال شيطان الكافر لشيطان المؤمن مالك مهزول قال أنا مع رجل إذا أكل مني الله فأظلم جاعاً وإذا شرب مني الله فأظلم عطشاناً وإذا لبس مني الله فأظلم عرياناً وإذا ادهن مني الله فأظلم شعثاً قال لكى مع رجل لا يمل شيئاً من ذلك فأنا أشاركه في طعامه وشرا به ولباحه . وكان محمد بن واسع يقول كل يوم بعد صلاة الصبح : اللهم إنك سلطت علينا عدواً بصيراً بيوتنا يرانا هو وقبيله من حيث لا نأراهم اللهم فآيسه منا كما آيسته من رحمتك وقطعه منا كما قطعت من عفوك وابعد بيننا وبينه كما بعدت بينه وبين رحمتك إنك على كل شيء قدير قال كتملت له إبليس يوماً في طريق للسجد فقال له يا ابن واسع هل تعرفني قال ومن أنت قال أنا إبليس قال وما تريد قال أريد أن لا تعلم أحداً هذه الاستخافة ولا تعرض لك قال والله لا ألتصمها من أرواحها فاصنع ما شئت . وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال كان شيطان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم شعة من نار فيقوم بين يديه وهو يصلي فيقرأ ويصوم فلا يذهب فأناه جبرائيل عليه السلام قال له قل أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يرجع فيها ومن شقق الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار إلا طارقاً يطرق بخبر يحيى من قال ذلك فطفت شعلته وخر على وجهه (١) وقال الحسن (٢) نبئت أن جبرائيل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن غفرتا من الجن بكيدك فإذا أويت إلى فراشك اقرأ آية الكرسي (٣) وقال الله صلى الله عليه وسلم « لقد أتاني الشيطان فآذاني فآذني ثم نازعني فأخذت بحلقه فوالذي بيثني بالحلق ما أرسلته حتى وجدت برد ماء لسانه على يدي ولولا دعوة أخي سليمان عليه السلام لأصبح طريحاً في السجد (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « ماسلك عمر فجاء لإسلك الشيطان فجاء غير الذي سلكته عمر (٥) » وهذا لأن القلوب كانت مبطرة عن مرعى الشيطان وقوته وهي الشهوات فهما طمعت أن يدفع الشيطان عنك بمجرد الذكر كما أن دفع عن عمر رضي الله عنه كان محالاً وكنت كمن يطعم أن يحرب دواء قبل الاحتياء والصدمة مشغولة بتأليظ الأطعمة ويطعم أن ينفعه كما تنفع الذي شر به بسد الاحتياء وتحلية للذة والذكر الدواء والتفوي احتياء وهي تغل القلوب عن الشهوات فإذا نزل الله كرهاً فارتقا عن غير الذكر اندفع الشيطان كما تندفع الحقة ينزول الدواء في المدة الحالية عن الأطعمة قال الله تعالى - إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب - وقال تعالى - كتب

ومعنى من ماء وأنا أقول إن كان به رمق سقيته ومسحت وجهه فإذا أتاه قتلت أسفك فأشار إلى أن نعم فإذا رجل يقول آم قال ابن عمي انطلق به إليه فبغت إليه فإذا هو هشام بن العاص قلت أسفك فسمع هشام آخر يقول آم قال انطلق به إليه فبغت إليه فإذا هو قد مات ثم رجعت إلى هشام فإذا هو أيضاً قد مات ثم رجعت إلى ابن عمي فإذا هو أيضاً قد مات . وسئل أبو الحسن البوشنجي عن الفتوة قال الفتوة عندي ما وصف الله تعالى به الأنصار في قوله « والذين تبوءوا الدار والإيمان - قال ابن

(١) حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى قال كان الشيطان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم يده شعة من نار الحديث ابن أبي الدنيا في مكاييد الشيطان هكذا مرسلًا ولمالك في اللوطا نحوه عن يحيى بن سعيد مرسلًا ووصله ابن عبد البر في التمهيد من رواية يحيى بن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة عن عياش الشامي عن ابن مسعود . ورواه أحمد والبراز من حديث عبد الرحمن بن جبير وقيل له كيف صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة كادته الشياطين فذكر نحوه (٢) حديث الحسن نبئت أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن غفرتا من الجن بكيدك الحديث ابن أبي الدنيا في مكاييد الشيطان هكذا مرسلًا (٣) حديث أناسي شيطان فآذاني ثم نازعني فأخذت بحلقه الحديث ابن أبي الدنيا من رواية الشامي مرسلًا هكذا والبخاري من حديث أبي هريرة أن غفرتا من الجن قتلت على البارحة أو كلة نحوها ليقطع على صلاتي فأمكنني الله منه الحديث و ن في الكبرى من حديث عائشة كان يصلي فأناه الشيطان فأخذه فصرعه فغفقه قال حتى وجدت برد لسانه على يدي الحديث وإسناده ضيف (٤) حديث ماسلك عمر فجاء لإسلك الشيطان فجاء غير فبغت ففتح عليه من حديث سعد بن أبي وقاص بلفظ يا ابن الخطاب ما تليق الشيطان سالكا فجاء .

عليه أنه من تولاه فإنه ضله ويهديه إلى عذاب السعير - ومن ساعد الشيطان بعمله فهو مواليه وإن ذكر الله بلسانه وإن كنت تقول الحديث قد ورد مطعاً بأن الله ذكر يطرد الشيطان (٢) ولم تنهم أن أكثر عموماً الشرع مخصوصة بشروط قلها علماء الدين إلى تفكك فليس الحبر كالحمار وتأمل أن منتهى ذكرك وعبادتك الصلاة فراقك فليك إذا كنت في صلاتك كيف يجاذبه الشيطان إلى الأسواق وحساب العالمين وجواب الماعدين وكيف يمر بك في أودية الدنيا ومهاكحها حتى إنك لا تذكر ما قد نسيت من فضول الدنيا إلا في صلاتك ولا يزدحم الشيطان على قلبك إلا إذا صليت بالصلاة محك القلوب فيها يظهر محاسنها ومساوئها والصلاة لا تقبل من القلوب المشحونة بشهوات الدنيا فلا جرم لا يطرده عنك الشيطان بل ربما يزيد عليك الوسواس كما أن الدواء قبل الاحتيال ربما يزيد عليك الضرر فإن أردت الخلاص من الشيطان قدم الاحياء بالتقوى ثم أوردته بدواء الله كرفز الشيطان منك كما فر من عمر رضى الله عنه ، وذلك قال وهب بن منبه : اتق الله ولا تسب الشيطان في العارية وأنت صديق في السر أى أنت مطيع له . وقال بعضهم يا محبا لمن يعصى الحسن بعد معرفته باحسانه وطيع اللعين بعد معرفته بطغيانه ، وكما أن الله تعالى قال - ادعوني أستجب لكم - وأنت تدعوه ولا يستجيب لك فكذلك تذكر الله ولا يهرب الشيطان منك لفقده شروط الذكروا له ، قيل لا يراهيم ابن آدم ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا وقد قال تعالى - ادعوني أستجب لكم - ؟ قال لأن قلوبكم ميتة قيل وما الذى أماتها ؟ قال ثمان خصال : عرقم حق الله ولم تقوموا بحقه وقرأتم القرآن ولم تعملوا بحدوده وقلتم نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تعملوا بسنته وقلتم نخشى الله ولم نستمده والله وقال تعالى - إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا - فوطأوه على المعاصى وقلتم نخاف النار وأرهقتم أبدانكم فيها وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها وإذا قمتم من فرشكم رميتم عيوبكم رواه ظهوركم وارتضتم عيوب الناس أمامكم فأفسختم ربكم فكيف يستجيب لكم . فان قلت الداعى إلى المعاصى المختلفة شيطان واحد أو شياطين مختلفون ؟ فاعلم أنه لا حاجة لك إلى معرفة ذلك في الماملة فاشتغل بدفع العدو ولا تسأل عن صفته كل البقل من حيث يؤتى ولا تسأل عن البقلة ولكن الذى يتضح بنور الاستبصار في شواهد الأخبار : أنهم جنود مجتدة وأن لكل نوع من المعاصى شيطانا يخصه ويدعو إليه فأما طريق الاستبصار فذكره يطول ويكتفيك القدر الذى ذكرناه وهو أن اختلاف السميات يدل على اختلاف الأسباب كما ذكرناه في نور النار وسواد الدخان . وأما الأخبار فقد قال مجاهد لإبليس خمسة من الأولاد قد جعل كل واحد منهم على شيء من أمره : ثور والأعور وميسوط وداسم وزلتبور ، فأما ثور فهو صاحب اللصائب الذى يأمر بالبور وشق الجيوب ولطم الحنود ودعوى الجاهلية وأما الأعور فإنه صاحب الزنا يأمر به وبزينة وأما ميسوط فهو صاحب الكذب وأما داسم فإنه يدخل مع الرجل إلى أهله يرميهم باليبس عنده ويضبه عليهم وأما زلتبور فهو صاحب السوق فيسببه ليزالون متظلمين وشيطان الصلاة يسمى خزب (٣) وشيطان الوضوء يسمى الوهان (٤) وقصوره في ذلك أخبار كثيرة ، وكما أن الشياطين فيهم كثرة فكذلك في اللاتكة كثرة ، وقد كرتنا في كتاب الشكر السر في كثرة اللاتكة واختصاص كل واحد منهم بعمل منفرد به ، وقد قال أبو أمامة الباهلي : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه

عطاء يؤثرون على أنفسهم جودا وكربا ولو كان بهم خصاصة يئس جوعا وقفرا . قال أبو حمص الإيثار هو أن يقدم حظوظ الاخوان على حظوظه في أمر الدنيا والآخرة وقال بعضهم الإيثار لا يكون عن اختيار إنما الإيثار أن تقدم حقوق الخلق أجمع على حقا ولا تحيز ذلك بين أخ وصاحب وذى معرفة . وقال يوسف ابن الحسين من رأى لنفسه ملكا لا يصح منها الإيثار لأنه يرى نفسه أحق بالثمة برؤية ملكه إنما الإيثار من يرى الأشياء كلها للحق فمن وصل إليه فهو أحق به فإذا وصل شيء من ذلك

(١) الحديث الوارد بأن الله ذكر يطرد الشيطان تقدم (٢) حديث إن شيطان الصلاة يسمى خزب م من حديث عثمان بن أبي العاص وقد تقدم أول الحديث (٣) حديث إن شيطان الوضوء يسمى الوهان تقدم وهو عند ث من حديث أبي .

ما لم يقدر عليه من ذلك لصر سبية أملاك يذون عنه كما يذب القباب عن قصعة الفصل في اليوم
الصائف وما لو بدالكم لأبوتوه على كل سهل وجبل كل باسط يده فاغراه ولو وكل البعد إلى تسه
طرفة عين لاختطفته الشياطين (١) وقال أيوب بن يونس بن يزيد : بلغنا أنه بولدمع أبناء الإنس
من أبناء الجن ثم ينشرون معهم . وروى جابر بن عبد الله أن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض
قال يارب هذا الذي جعلت بيني وبينه عداوة إن لم تحني عليه لأتوى عليه قال لا يؤذوك وله لإلاكل
ه ملك قال يارب زدني قال أجزى بالسنة سنة والحسنة عسرا إلى ما رددت قال رب زدني قال يارب

التوبة مفتوح مدام في الجسد الروح قال إبليس يارب هذا عبد الذي كرمته طي إلى لافض على
لأنوى عليه قال لا يولد له ولد إلا ولد لك ولد قال يارب زدني قال تجرى منهم جرى اليهم تتخذون
صدورهم يوتا قال رب زدني قال أجلب عليهم بخيلك ورجلك إلى قوله غرورا ، وعن أبي الورداء
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خلق الله الجن ثلاثة أصناف : صنف حيات
وعقارب وخشاش الأرض وصف كالرجل في الهواء وصف عليهم الثواب والعقاب وخلق الله تعالى
الانس ثلاثة أصناف : صنف كاهنهم كما قال تعالى - لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم آعين لا يبصرون بها
ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل - وصف أجسامهم أجسام بني آدم وأرواحهم
أرواح الشياطين وصف في ظل الله تعالى يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله » وقال وهيب بن الورد
بلغنا أن إبليس نحل ليحي بن زكريا عليهما السلام وقال إني أريد أن أصحك قال لاحتاجة لي في
نصحك ولكن أخبرني عن أبي آدم قال هم عندنا ثلاثة أصناف : أما صنف منهم وهم أشد الأصناف
علينا قبل على أحدهم حتى يقتله وتمسكن منه فيفزع إلى الاستغفار والتوبة ويفسد علينا كل شيء
أذكر كما ثم ثم نود عليه فيعود فلا نحن نأيس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا فنحن منه في عناه
وأما الصنف الآخر فهم في أيدينا بمنزلة الكرة في أيدي صبيانكم تقلبهم كيف تشاء فكفوا نأثمهم وأما
الصنف الثالث فهم مثلك معصومون لا تدر منهم شيء ، فان قلت فكيف يمثّل الشيطان لبعض الناس
دون البعض وإذا رأى صورة فهل هي صورته الحقيقية أو هو مثال يمثل له بهان كان على صورته الحقيقية
فكيف يرى بصور مختلفة وكيف يرى في وقت واحد في مكانين وعلى صورتين حتى يراه شخصان بصورتين
مختلفتين ، فاعلم أن الملك والشيطان معا صورتان هي حقيقة صورتها ولا تدرك حقيقة صورتها بما تشاهده
إلا بأبوار التوبة لما رأى النبي ﷺ جبرائيل عليه أفضل الصلوات والسلام في صورته بالامرئين (١) وذلك
أنه سأله أن يريه نفسه في صورته فواعده بالبيع وظهر له بجراه فسد الأفق من الشرق إلى الغرب
ورآه مرة أخرى على صورته ليلة العراج عند سدرة المنتهى وإنما كان يراه في صورة الأدمي غالبا (٢)

فكان يراه في صورة دحية الكلبي^(١) وكان رجلا حسن الوجه والأكثر أنه يكشف أهل الكشافة من أرباب القلوب بمثل صورته فيتمثل الشيطان له في اليقظة فيراه بينه ويسمع كلامه بأذنه فيقوم ذلك مقام حقيقة صورته كما ينكشف في المنام لأكثر الصالحين وإنما الكشف في اليقظة هو الذي انتهى إلى رتبة لا يعميه اشتغال الحواس بالدنيا عن للكشفة التي تكون في المنام فيرى في اليقظة ما يراه غيره في المنام كما روى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أن رجلا سأل ربه أن يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم فرأى في النوم جسدا رجلا شبه البوري داخله من خارجه ورأى الشيطان في صورة ضئيف قاعد على منكبه الأيسر بين منكبه وأذنه له خرطوم دقيق قد أدخله من منكبه الأيسر إلى قلبه يوسوس إليه فإذا ذكر الله تعالى خنس، ومثل هذا قد يشاهد بينه في اليقظة فقد رآه بعض الكشفين في صورة كلب جائم على جيفة يدعوا الناس إليها وكانت الجيفة مثال الدنيا، وهذا يجري مجرى مشاهدة صورته الحقيقية فإن القلب لابد وأن تظهر فيه حقيقة من الوجه الذي يقابل عالم الملكوت وعند ذلك يحرق أثره على وجهه الذي يقابل عالم الملك والشهادة لأن أحدهما متصل بالآخر وقد بينا أن القلب له وجهان وجه إلى عالم النبي وهو مدخل الألهام والوحي وجه إلى عالم الشهادة فالذي يظهر منه في الوجه الذي على جانب عالم الشهادة لا يكون إلا صورة متخيلة لأن عالم الشهادة كله متخيلات إلا أن الخيال تارة يحصل من النظر إلى ظاهر عالم الشهادة بالحس فيجوز أن لا تكون الصورة على وفق المعنى حتى يرى شخصا جميل الصورة وهو خبيث الباطن فيبعث السر لأن عالم الشهادة عالم كبير للتبليس. أما الصورة التي تحصل في الخيال من إشراق عالم الملكوت على باطن سر القلوب فلا تكون إلا محكية للصفة ومواقفة لها لأن الصورة في عالم الملكوت تابعة للصفة ومواقفة لها فلا جرم لا يرى المعنى القبيح إلا بصورة قبيحة فيرى الشيطان في صورة كلب وضئيف وخنزير وغيره ويرى الملك في صورة جميلة فتكون تلك الصورة عنوان المعاني ومحكية لها بالصدق ولذلك يدل القرد والخنزير في المنام على أن الإنسان خبيث وتدل الشاة على أن الإنسان سليم الصدر وهكذا جميع أبواب الرؤيا والتعبير وهذه أسرار محكية وهي من أسرار محجبات القلب ولا يلبق ذكرها بعم العامة وإنما المقصود أن تصدق بأن الشيطان ينكشف لأرباب القلوب وكذلك الملك تارة بطريق التثليل والمحاكاة كما يكون ذلك في النوم وتارة بطريق الحقيقة والأكثر هو التخييل بصورة محكية للمعنى هو مثال المعنى لا عين إلا أنه يشاهد بالعين مشاهدة عميقة وينفرد بمشاهدته للكشف دون من حوله كالتأني.

(٢) يان ما يؤخذ به العبد من وساوس القلوب وهما وخاوها

وقصودها وما يبقى عنه ولا يؤخذ به

اعلم أن هذا أمر غامض، وقد وردت فيه آيات وأخبار متعارضة يلتبس طريق الجمع بينها إلا على مجازة العلماء بالشرع فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «عني عن أمي ما حدثت به نفوسا لم تتكلم به أو تعمل به»^(٢) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى يقول للعظيمة إذا هم عبدي ببيتة فلا تكتبوها فإن عملها فاكذبوها بيتة وإذا هم بمسنة لم يعملها فاكذبوها حسنة فإن عملها فاكذبوها عترة»^(٣) وقد خرج البخاري ومسلم في الصحيحين وهو

(١) حديث أنه كان يرى جبريل في صورة دحية الكلبي الشيخان من حديث أسامة بن زيد أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أمهلة فجعل يحدث ثم قام قال النبي صلى الله عليه وسلم «لأم سلمة من هذا قالت دحية الحديث (٢) حديث عني لأمي عما حدثت به نفوسا متفق عليه من حديث أبي هريرة إن الله تجاوز لأمي عما حدثت به أنفسها الحديث (٣) حديث أبي هريرة يقول الله إذا هم عبدي ببيتة

آخرنا الشيخ ضياء الدين أبو النجم إجازة قال أنا أبو حفص عمر ابن الصغار النيسابوري قال أنا أبو بكر أحمد ابن خلف الشيرازي قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا القاسم الرازي يقول سمعت أبا بكر بن أبي سعدان يقول: من محب الصوفية فليصحبهم بلا نفس ولا قلب ولا عن بلوغ مقصده. وقال سهل بن عبد الله الصوفي من يرى دمه هدرًا وملكه مباحًا وقال روم التصوف مبني على ثلاث خصال المحسك بالقر والافتقار والتحقق بالبدن

دليل على الغفوة عن عمل القلب وهمه بالسبئية وفي لفظ آخر « من م بحسنة فلم يعملها كسبت له حسنة ومن م بحسنة فلم يعملها كسنت له إلى سبائة خفف ومن م بسبئية فلم يعملها لم تسكب عليه وإن عملها كسبت » وفي لفظ آخر « وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنما أغفرها له مالم يعملها » وكل ذلك يدل على الغفوة فأما ما يدل على التأخذ بقوله سبحانه - إن تبدوا مالي أنافسكم أو تخفوه بحاسبكم به الله فيخفر لمن يشاء ويغضب من يشاء - وقوله تعالى - ولا تخف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مشعولا - فدل على أن عمل الفؤاد كعمل السمع والبصر فلا يمتنع عنه وقوله تعالى - ولا تسكثوا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه - وقوله تعالى - لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم - والحق عندنا في هذه المسألة لا يوقف عليه مالم يقع الاحتاطة بتفصيل أعمال القلوب من مبدأ ظهورها إلى أن يظهر العمل للجوارح . فنقول : أول ما يرد على القلب الحاطر كما لو خطر له مثلا صورة امرأة وأنها وراء ظهره في الطريق لو انفتحت إليها لركبها . والثاني هيجان الرغبة إلى النظر وهو حركة الشهوة التي في الطبع وهذا يتولد من الحاطر الأول ونسبه ميل الطبع ويسمى الأول حديث النفس . والثالث حكم القلب بأن هذا ينبغي أن يفعل أي ينبغي أن ينظر إليها فإن الطبع إذا مال لم ينبعث الهمة والنية مالم تدفع الصوارف فإنه قد يمنه جاء أو خوف من الالتفات وعدم هذه الصوارف ربما يكون بتأمل وهو على كل حال حكم من جهة العقل ويسمى هذا اعتقادا وهو يتبع الحاطر والليل . الرابع تصميم العزم على الالتفات وجزم النية فيه وهذا نسبه لما بالقول ونية وقصدا وهذا المهم قد يكون له مبدأ ضعيف ولكن إذا أسمى القلب إلى الحاطر الأول حتى طالت مجاذبته للنفس تأكد هذا المهم وصار إرادة مجزومة فإذا انجزمت الإرادة فرميا يتم بعد الجزم فيترك العمل وربما يفعل بعارض فلا يعمل به ولا يلتفت إليه وربما يوفيه عائق فيمتنع عليه العمل فهنا أربع أحوال للقلب قبل العمل بالجراحة : الحاطر وهو حديث النفس ثم الليل ثم الاعتقاد ثم الهمة . فنقول : أما الحاطر فلا يؤاخذ به لأنه لا يدخل تحت الاختيار وكذلك الليل وهيجان الشهوة لأنها لا يدخلن أيضا تحت الاختيار وهما اللذان يقولهن عليه السلام « عني عن أمي ما حدثت به نفوسها » حديث النفس عبارة عن الخواطر التي تمجس في النفس ولا يتبعها عزم على الفعل ، فأما الهمة والعزم فلا يسمى حديث النفس بل حديث النفس كما روى عن عثمان بن مظعون حيث قال للنبي صلى الله عليه وسلم « يا رسول الله تسمى تحدثني أن أطلق خولة . قال مهلا إن من سقى النكاح . قال تسمى تحدثني أن أرتب . قال مهلا رهبانية أمي الجهاد والحج قال تسمى تحدثني أن أترك اللحم . قال مهلا فاني أحبه ولواصبته لا كلفته ولو سألت الله لأخصيه ^(١) »

فلا تسكبوها عليه الحديث قال المصنف أخرجه م في الصحيحين قلت هو كما قال واللفظ لمسلم فلهذا والله أعلم قدمه في الذكر (١) حديث إن عثمان بن مظعون قال يا رسول الله تسمى تحدثني أن أطلق خولة قال مهلا إن من سقى النكاح الحديث ت الحكيم في نوادر الأصول من رواية أبي بن زيد عن سعيد بن المسيب مرسل نحوه وفيه القاسم بن عبيد الله العمري كذب أحمد بن حنبل وعنه بن معين والدارمي من حديث سعد بن أبي وقاص لما كان من أمر عثمان بن مظعون الذي كان من ترك النساء يمت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عثمان إنني لم أومر بالرهانية الحديث وفيه من رضى عن سقى فليس منى وهو عند م بلفظ رد رسول الله صلى الله عليه وسلم في عثمان بن مظعون التبتل ولو أخذنا له لاختصنا بالنعوى والطيراني في معجمي الصحابة بإسناد حسن من حديث عثمان بن مظعون أنه قال يا رسول الله إنني رجل تشق على هذه الزبوة في الغاوى تأذن لي يا رسول الله في الحساء فأخصني قال لا

والإيثار وترك التصرص والاختيار . قيل لما سمى بالقسوة وتميز بالجنيد بالقسوة وقبض على الشحام والرقام بالثورى وبسط النطق لضرب رقهم تقدم الثورى قيل له إلى ماذا تبارك ؟ فقال أوتر إخواني بفضل حياة ساعة ، وقيل دخل الثرى يبارى دار بعض أصحابه فوجده غائبا فرباب بته فمقل فقال صوفى له باب مقام السكسروا الباب فسكره وأمر بجميع ما وجدوا في البيت أن يباع فأقتصدوه إلى السوق واغتفوا رقما من اللبن وقصدوا في الثمار فدخل صاحب الثوب ولم يقل شيئا ودخلت امرأة وعليها

فهذه الحواطر التي ليس معها عزم على الفعل هي حديث النفس ولذلك شاور رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ لم يكن معه عزم وهم بالفعل . وأما الثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب بأنه ينبغي أن يفعل فهذا تردد بين أن يكون اضطراباً أو اختياراً والأحوال تختلف فيه فالاختيارى منه يؤخذ به والاضطرابى لا يؤخذ به . وأما الرابع وهو الهمّ بالفعل فانه يؤخذ به إلا أنه إن لم يفعل نظر فإن كان قد تركه خوفاً من الله تعالى ونداماً على همه كتبت له حسنة لأن همه سيئة وامتناعه ومجاهدته نفسه حسنة والهم على وفق الطبع مما يدل على تمام الثقة عن الله تعالى والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج إلى قوة عظيمة بقده في غفلة الطبع هو العمل لله تعالى والعمل لله تعالى أشد من جده في موافقة الشيطان بموافقة الطبع فكسبه حسنة لأنه رجع جده في الامتناع وهمه به على همه بالفعل وإن تموق الفعل باق أو تركه بعذر لاخوف من الله تعالى كتبت عليه سيئة فإن همه لم يزل من القلب اختيارى . والدليل على هذا التفصيل ما روى في الصحيح منفصلاً في لفظ الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قالت اللائكة عليهم السلام رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به قال ارقبوه فإن هو عملها فاكثبوا له بمثلها وإن تركها فاكثبوا له حسنة إنما تركها من جرائي^(١) » وحيث قال فإن لم يعملها أراد به تركها لله فاما إذا عزم على فاحشة فتمذرت عليه بسبب أو غفلة فكيف تكتب له حسنة وقد قال صلى الله عليه وسلم « إنما يحشر الناس على نياتهم^(٢) » ونحن نعلم أن من عزم ليلاً على أن يصبح ليقول مسلماً أو يزني بأمرأة فاشتت تلك الليلة مات مصراً ويحشر على نيته وقد همّ بسيئة ولم يعملها . والدليل القاطع في ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا اتقى المسلمان بغيرهما فاقفالا والقتول في النار قليل يا رسول الله هذا القاتل لما بال القتل قال لأنه أراد قتل صاحبه^(٣) » وهذا نص في أنه صار بمجرد الإرادة من أهل النار مع أنه قتل مظلوماً فكيف يظن أن الله لا يؤخذ بالنية والهم بل كل هم دخل تحت اختيار العبد فهو مؤاخذ به إلا أن يكفره بحسنة وتقض العزم بالندم حسنة فذلك كتبت له حسنة فأما قوت الراد باق فليس بحسنة وأما الحواطر وحديث النفس وهجران الرغبة فكل ذلك لا يدخل تحت اختيار فالأخذ به تكليف ما لا يطاق ولذلك لما نزل قوله تعالى - وإن تبدوا

ولكن عليكم يا ابن مظلوم بالصيام فإنه مجفرة ولأحمد والطبراني بإسناد جيد من حديث عبد الله ابن عمرو خضاء أمي الصيام والقيام وله من حديث سعيد بن العاص بإسناد فيه ضعف إن عثمان بن مظلوم قال يا رسول الله ائذن لي في الاختصاص فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله قد أبدلنا بالرهانية الخفيفة السمحة والتكبير على كل شرف الحديث وه بسند ضعيف من حديث عائشة النكاح من سق وأحمد وأبو يلى من حديث أنس لكل نبي وقال أبو يلى لكل أمة رهانية ورهانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله وفيه زيد العلى وهو ضعيف ولأبي داود من حديث أبي أمامة إن سياحة أمي الجهاد في سبيل الله وإسناده جيد (١) حديث قالت اللائكة رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر الحديث قال الصنف إنه في الصحيح وهو كما قال في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث إنما يحشر الناس على نياتهم من حديث جابر دون قوله إنما وله من حديث أبي هريرة إنما يحشر الناس على نياتهم وإسنادهما حسن وم من حديث عائشة يختم الله على نياتهم وله من حديث أم سلمة يخشون على نياتهم (٣) حديث إذا اتقى المسلمان بغيرهما فاقفالا والقتول في النار الحديث متفق عليه من حديث أبي بكر .

كساء قدخلت بيتاً
فرمت بالكساء وقالت
هذا أضامن بية للتاع
فيوم قال الزوج لها
لم تكلف هذا باختيارك
قالت استكث مثل
الشيخ يأسطنا وبكم
علينا ويقي لنا شي
ندخره عنه ، وقيل
مرض قيس بن سعد
فاستطأ إخوانه في
عبادته فسأل عنهم
فقالوا إنهم يستحيون
بمالك عليهم من الدين
فقال أخزى الله ما لا يمنع
الاخوان عن الزيارة ثم
أمر منادياً ينادى من
كان لقيس عليه مال
فهو منه في حل
فكسرت عتبة داره
بالعش لكثرة عواده .
وقيل آتى رجل صدقاً
له ودق عليه الباب
فلما خرج قال لماذا

ما في أنفسكم أو تخفوه بحاسبكم به الله - وجاء ناس من الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا كفتنا ما لا نطبق إن أحدنا يحدث نفسه بما لا يجب أن يثبت في قلبه ثم يحاسب بذلك قال **عليه السلام** : **للمسلم تقولون كما قالت اليهود صمنا وصمنا قولوا صمنا وأطمانا فقالوا صمنا وأطمانا** (١) **فأنزل الله التوراة بعد ستة بقوله - لا يكلف الله قسرا إلا وسعها - فظهر به أن كل ما لا يدخل تحت الوسع من أعمال القلب هو الذي لا يؤخذ به فهذا هو كشف النطاء عن هذا اللباس وكل من يظن أن كل ما يجري على القلب يسمى حديث النفس ولم يفرق بين هذه الأنعام الثلاثة فلا بد وأن يخطئ وكيف لا يؤخذ بأعمال القلب من الكبر والعجب والرياء والنفاق والحسد وجملة الجبايات من أعمال القلب بل السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا أي ما يدخل تحت الاختيار فلو وقع البصر بغير اختيار على غير ذي هرم لم يؤخذ به فإن أعجبها نظرة ثانية كان مؤاخذا به لأنه مختار فكذا خواطر القلب تجري هذا الجري بل القلب أولى بمؤاخذته لأنه الأصل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «التقوى ههنا وأشار إلى القلب (٢)» وقال الله تعالى - إن نال الله لحومها ولا مفاوها ولكن بناله التقوى منكم - وقال صلى الله عليه وسلم «الإثم حواز القلوب (٣)» وقال «البر ما اطمان إليه القلب وإن أدرك وأتوك (٤)» حتى إذا تقول إذا حكم القلب الملقى بإيجاب شيء وكان عطايا فيه صار مثابا عليه بل من قد ظن أنه تطهر فعليه أن يصلي فإن صلى ثم تذكر أنه لم يتوسأ كان له ثواب بفضله فإن تذكر ثم تركه كان معاقبا عليه ومن وجد له فراشه امرأة فظن أنها زوجته لم يمس بوطئها وإن كانت أجنبية فان ظن أنها أجنبية ثم وطئها عصى بوطئها وإن كانت زوجته وكل ذلك نظر إلى القلب دون الجوارح .**

(بيان أن الوسواس هل يتصور أن ينقطع بالكلية عند الذكر أم لا)

اعلم أن العلماء للراغبين للقلوب الناظرين في صفاتها وعما بها اختلفوا في هذه المسألة على خمس فرق :
 ١- قالت فرقة الوسوسة تنقطع بذكر الله عز وجل لأنه عليه السلام قال «فاذا ذكر الله خنس (٥)» والخنس هو السكوت فكأنه يسكت . وقالت فرقة لا يندم أصله ولكن يجري في القلب ولا يكون له أثر لأن القلب إذا صار مستوعبا بالذكر كان محبوبا عن التأثير بالوسوسة كالمشغول بهجه فانه قد يكلم ولا يهجم وإن كان الصوت يمر على سمعه . وقالت فرقة لا تسقط الوسوسة ولا أثرها أيضا ولكن تسقط غلبتها القلب فكأنه يوسوس من بعد على ضعف . وقالت فرقة يندم عند الذكر في لحظة ويندم الذكر في لحظة ويتعاقبان في أزمنة متقاربة يظن لتقاربها أنها متساوية وهي كالسكرة التي عليها تقط متفرقة فانك إذا أردتها بسرعة رأيت النقط دوائر بسرعة توأصلها بالحركة واستدل هؤلاء بأن الخنس قد ورد ونحن نشاهد الوسوسة مع الذكر ولا وجه له إلا هذا . وقالت فرقة الوسوسة والله كيتساوقا في الدوام على القلب تساوقا لا ينقطع وكأن الإنسان قد يرى بينه شيئين في حالة واحدة فكذلك

(١) حديث لما نزل قوله تعالى - وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله - جاء ناس من الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا كفتنا ما لا نطبق الحديث م من حديث أبي هريرة وابن عباس نحوه (٢) حديث التنوي ههنا وأشار إلى القلب م من حديث أبي هريرة وقال إلى صدره (٣) حديث الإثم حواز القلوب تقدم في العلم (٤) حديث البر ما اطمان إليه القلب وإن أدرك وأتوك الطبراني من حديث أبي ثعلبة وأحمد نحوه من حديث وابصة وفيه وإن أفتاك الناس وأتوك وقد تقدم (٥) حديث وإذا ذكر الله خنس ابن أبي الدنيا وابن عدى من حديث أنس في أثناء حديث إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم الحديث وقد تقدم قريبا .

جنتي قال لأرميائة

درم دين على قدخل

الدار ووزن أر بمائة

درم وأخرجها إليه

ودخل الدار باسكيا

فالت امرأته هلا تملكت

حين شق عليك الاجابة

فقال إسماعيل لأن لم

أفقد حاله حتى أحتاج

أن يخافني . وأخبرنا

الشيخ أبو زرعة عن

أبيه الحافظ القدسي

قال أنا محمد بن محمد إمام

جامع أصمهان قال ثنا

أبو عبد الله الجرجاني

قال أنا أبو طاهر محمد بن

الحسن الحمد آبادي

فلا ثنا أبو البختري قال

ثنا أبو أسامة قال ثنا

زيد بن أبي ردة عن

أبي موسى قال قال

رسول الله صلى الله

عليه وسلم «إن

الأشعرين إذا أرملا

القلب قد يكون مجرى لشئين قد قال صلى الله عليه وسلم « مامن عبد إلا وله أربعة أعين عيان في رأسه يصير بها أمر دنياه وعيانه في قلبه يصير بها أمر دينه ^(١) » وإلى هذا ذهب المحاسي والصحيح عندنا أن كل هذه المذاهب صحيحة ولكن كلها قاصرة عن الإحاطة بأصناف الوسواس وإنما نظر كل واحد منهم إلى صنف واحد من الوسواس فأخبر عنه . والوسواس أصناف: الأول أن يكون من جهة التليس بالحق فإن الشيطان قد يلبس بالحق فيقول للإنسان ترك التمس بالذات فإن العمر طويل والصبر عن الشهوات طول العمر أله عظيم فند هذا إذا ذكر البعد عظيم حق الله تعالى وعظيم نوابه وعقابه وقال لنفسه الصبر عن الشهوات شديد ولكن الصبر على النار أشد منه ولا بد من أحدهما فإذا ذكر البعد وعد الله تعالى ووعد به وجد إعانة وبقيته خنس الشيطان وهرب إذ لا يستطيع أن يقول له النار أيسر من الصبر على المصاع ولا يمكنه أن يقول للصبي لا تضيق إلى النار فإن إعانة بكتاب الله عز وجل يدفعه عن ذلك فينقطع وسواسه وكذلك يوسوس إليه بالسبب بعبه فيقول أي عبد يعرف الله كما تعرفه ويبدد كما تبذره فما أعظم مكانك عند الله تعالى فيندكر البعد حينئذ أن معرفته وقلبه وأعضائه التي بها عمله وعله كل ذلك من خلق الله تعالى فمن أين يجب به فيخنس الشيطان إذ لا يمكنه أن يقول ليس هذا من الله فإن المعرفة والإيمان يدفعه فهذا نوع من الوسواس ينقطع بالكلية عن العارفين المستبصرين بنور الإيمان والمعرفة . الصنف الثاني : أن يكون وسواسه بتحريك الشهوة وهيجانها وهذا ينقسم إلى ما يعلو البعد فيقتل أنه مصيبة وإلى ما يظنه بظالم الظن فإن علو يقينا خنس الشيطان عن تهيج يؤثر في تحريك الشهوة ولم يخنس عن التهيج وإن كان مظنونا فربما يبق مؤثرا بحيث يحتاج إلى مجاهدة في دفعه فتكون الوسوسة موجودة ولكنها مدفوعة غير غالبة . الصنف الثالث : أن تكون وسوسة بمجرد الحواطر وتذكر الأحوال الغالية والتفكير في غير الصلاة مثلا فإذا أقبل على الذكر تصور أن يدفع ساعة يعود ويندفع ويودع فتعاقب الذكر والوسوسة ويتصور أن يساقو جميعا حتى يكون الفهم مشتتلا على فهم معنى القراءة وعلى تلك الحواطر كأنهما في موضعين من القلب ويبعد جدا أن يدفع هذا الخنس بالكلية بحيث لا يخطر ولكنه ليس محالا إذ قال عليه السلام « من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من أمر الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه ^(٢) » فلو أنه متصور لما ذكره إلا أنه لا يتصور ذلك إلا في قلب استولى عليه الحب حتى صار كالمشتر فإنما قد نوى التسويع القلب بعدو تأذي به قد يفكر بتدابر ركعتين وركعات في مجاهدة عدوه بحيث لا يخطر بباله غير حديث عدوه وكذلك المستغرق في الحب قد يفكر في محادثة محبوبه بقلبه ويفوس في فكره بحيث لا يخطر بباله غير حديث محبوبه ولو كلفه غم لم يسمع ولو اجتاز بين يديه أحد لكان كأنه لا يراه وإذا تصور هذا في خوف من عدو وعند الحرص على مال وجهه فكيف لا يتصور من خوف النار والحرص على الجنة ولكن ذلك عزيز لضعف الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر وإذا تأملت جملة هذه الأصناف وأصناف الوسواس علمت أن لكل مذهب من المذاهب وجهها ولكن في محل مخصوص . وبالجملة فالخلاص من الشيطان في لحظة أو ساعة غير بعيد ولكن الخلاص منه عمر أطول لا يسجدوا بحال

في القز وقل طعام
عالمهم جمعوا ما كان
عندهم في ثوب واحد
اقتسموا في إناء واحد
بالسوية فهم مني وأنا
منهم . وحدث جابر
عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم « أنه إذا أراد
أن يغزو قال : يا مشر
المهاجرين والأنصار
إن من إخوانكم قوما
ليس لهم مال ولا عدة
فليسم أحدكم إليه
الرجل والرجلين
والثلاثة لأحدكم من
ظهر جملة إلا عقبة
كعبة أحدهم » قال
فضممت إلى اثنين
أو ثلاثة مالي إلا عقبة
كعبة أحدهم من جملة.
وروي أنس قال لما قدم
عبد الرحمن بن عوف
للدنية أخى النبي عليه
السلام بينه وبين سعد

(١) حديث مامن عبد إلا وله أربعة أعين عيان في رأسه يصير بها أمر دنياه وعيانه في قلبه يصير بها أمر دينه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ بلطف الأخرى مكان دينه وفيه الحديث بن أحمد بن محمد الهروي السامري الحافظ كذبه ك والآفة منه (٢) حديث من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا تقدم في الصلاة .

في الوجود ولو تخاف أحد من وساوس الشيطان بالمخاطر وتيسر الرغبة لتخلص رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دروي ٥ أنه نظر إلى علم توبه في الصلاة فلما سلم رمى بذلك التوب وقال شطني عن الصلاة وقال اذهبوا به إلى أبي جهنم واتقوا بأبجائنه (١) ٥ وكان في يده خاتم من ذهب فظفر إليه وهو على التبر ثم رمى به وقال نظرة إليه ونظرة إليكم (٢) ٥ وكان ذلك لوسوسة الشيطان بتبريك الله النظر إلى خاتم الذهب وعلم التوب وكان ذلك قبل تحريم الذهب فذلك لأنه ثم رمى به فالتقط وسوسة عروضا الدنيا وعدها إلا بالرمي والفرقة فادام على ذلك شيئا ورا حاجته ولود ياروا أحدا لا يده الشيطان في صلاته من الوسوسة في الفكر في ديناره وأنه كيف يحفظه وفيماذا ينفقه وكيف يخفيه حتى لا يعلم به أحدا وكيف يظهره حتى يتباهى به إلى غير ذلك من الوساوس فمن أنشب بحاله في الدنيا وطمع في أن يتخلص من الشيطان كان كمن انغمس في السيل وظن أن الدباب لا يقع عليه فهو حال فالدنيا باب عظيم لوسوسة الشيطان وليس له باب واحد بل أبواب كثيرة قال حكيم من الحكماء الشيطان يأتي ابن آدم من قبل للعاصي فان امتنع أتاه من وجه النصيحة حتى يلقيه في بدعة فان أبي أمره بالخرج والشدة حتى يجرم ما ليس بهرام فان أبي شككه في وصوته وصلاته حتى يخرج من العلم فان أبي خفف عليه أعمال البر حتى يراه الناس صابرا غافيا فتدمل قلوبهم إليه فيحب بنفسه وبه يهلكه وعند ذلك تشتد الحاجة فانها آخر درجة ويعلم أنه لو جاوزها أفلت منه إلى الجنة .

(بيان سرعة قلب القلب واشمام القلوب في التبر والتائب)

اعلم أن القلب كما ذكرناه تكتنفه الصفات التي ذكرناها وتصب إليه الآثار والأحوال من الأبواب التي وصفناها فكأنه هدف يصاب على الدوام من كل جانب فإذا أصابه شيء متأثر به أصابه من جانب آخر ما يضافه فتغير صفته فان زل به الشيطان فدعا إلى الحموى زل به لك وصرفه عن غير جاذبه شيطان إلى شرب جاذبه شيطان آخر إلى غيره وإن جاذبه ملك إلى خير جاذبه آخر إلى غيره فتارة يكون متنازعا بين ملكين وتارة بين شيطانين وتارة بين ملك وشيطان لا يكون قطعه لاهل الإشارة بقوله تعالى - وقلب أقدمهم وأبصارهم - ولا طاع رسول الله صلى الله عليه وسلم على عيب صنع الله تعالى في محائب القلب وتقلب كان يخلف به فيقول « لا ومقلب القلوب (٣) » وكان كثير ما يقول « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالوا أو تخاف يا رسول الله قال وما يؤمنني والقلب بين أصمعين من أصابع الرحمن يلقبه كيف يشاء (٤) » وفي لفظ آخر « إن شاء الله أقامه وإن شاء الله أزاله » وضرب له صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثلة فقال « مثل القلب مثل الصغور يتقلب في كل ساعة » (٥) وقال عليه السلام

ابن الريح قال ٥ أقاسمك ما لي نصفين ولي امرأتان فأطلق إحداهما فإذا انقضت عدتها فزوجها قال ٥ عبد الرحمن برك الله لك في أهلك ومالك فما حمل الصوفى على الاشارة لإطهارة نفسه وشرف غريزته وما جله الله تعالى صوفيا إلا بسند أن سوى غريزته لذلك وكل من كانت غريزته السخاء والسخي يوشك أن يصير صوفيا لأن السخاء صفة القربة وفي مقاينه الشح والشح من لوازم صفة النفس قال الله تعالى - ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون - حكم الفلاح ابن يوق الشح وحكم بالفلاح

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم نظر إلى علم في توبه في الصلاة الحديث تقدم فيه (٢) حديث كان في يده خاتم من ذهب فظفر إليه على التبر فرماه فقال نظرة إليه ونظرة إليكم ن من حديث ابن عباس وتقدم في الصلاة (٣) حديث لا ومقلب القلوب خ من حديث ابن عمر (٤) حديث ما ثبت القلوب ثبت قلبي على دينك الحديث ت من حديث أنس وحسنه و ك من حديث جابر وقال ابن أبي الدنيا صحيح على شرطه وسلم من حديث عبد الله بن عمرو اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك ون في الكبرى ٥ ك وصححه على شرطه م من حديث التواس بن صمان مامن قلب إلا بين أصمعين من أصابع الرحمن إن شاء الله أقامه وإن شاء الله أزاله ون في الكبرى بإسناد جيد نحوه من حديث عائشة (٥) حديث مثل القلب مثل الصغور يتقلب في كل ساعة ك في الاستدراك وقال صحيح على شرطه والبيهقي في الشعب من حديث أبي عبيدة بن الجراح . قلت رواه البهقي في معجمه من حديث أبي عبيدة غير منسوب وقال لا أدري له صحة أم لا .

«مثل القلب في قلبه كالقدر إذا استجمعت غلبانا»^(١) وقال «مثل القلب كمثل ريشة في أرض فلاة قلبها الرياح ظهرا لبطن»^(٢) وهذه التمثيلات وهجاء صنع الله تعالى في قلبها من حيث لا تهتدى إليه للرفة لايرفها إلا للاقبون والراعون لأحوالهم مع الله تعالى . والقلوب في الثبات على الخير والشر والتردد بينهما ثلاثة : قلب عمر بالتقوى وزكا بالرياسة وطهر عن خبايا الأخلاق تندفع فيه خواطر الخير من خزائن القلب ومداخل للسكرات فينصرف العقل إلى التفكير فيما خطره ليرفد دقائق الخير فيه وينطلق على أسرار قوائمه فيكشف له بنور البصيرة وجهه فيحكم بأنه لابد من فله فيستحث عليه ويدعوه إلى الصلابة وينظر للثبات إلى القلب فيجده طيا على جوهره طاهرا بثقواه مستقبرا بضياء العقل معمورا بأنوار الرفة فيراه سالما لأن يكون له مستقرا ومهيئا عند ذلك بعمد مجنود لأزرى ويهديه إلى خيرات أخرى حتى ينجر الخير إلى الخير وكذلك على الدوام ولا يتأخر إمداده بالترغيب بالخير وتيسير الأمر عليه وإليه الإشارة بقوله تعالى - «فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسيسرهُ اليسرى - وفي مثل هذا القلب يشرق نور الصباح من مشكاة الربوبية حتى لا يخفى فيه الشر كالحق الذي هو أخفى من ديب الخلة السوداء في الليلة الظلماء فلا يخفى على هذا النور خافية ولا يروج عليه شيء من مكاييد الشيطان بل يقف الشيطان ويوحى زخرف القول غرورا فلا يلتفت إليه وهذا القلب بمدطاراته من اللبسكات يصير على القرب معمورا بالمنجيات التي سذكراها من الشكر والعبادة والخوف والرجاء والفقر والزهو والمحبة والرضا والشوق والتوكل والتفكير والمجاهدة وغير ذلك وهو القلب الذي أقبل الله عز وجل بوجهه عليه وهو القلب للطمأنين الذي أراد بقوله تعالى - «ألا بدرك الله أنطمئن القلوب - وبقوله عز وجل - «يا أيها النفس اللطمة - . القلب الثاني : القلب الخندول للشجون بالهوى للدنس بالأخلاق للنومة والحباث الفتن في أبواب الشياطين السدود عنه أبواب اللامعة وبدأ الشر فيه أن يتدحج فيه خاطر من الهوى ويهيج فيه فينظر القلب إلى حاكم العقل ليستغنى منه ويستكشف وجه الصواب فيه فيكون العقل قد ألف خدمة الهوى وأنس به واستمر على انبساط الحيل له وعلى مساعدة الهوى فتستولى النفس وتساعد عليه فيشرح الصدر بالهوى وتبسط فيه ظلمات الانحجاب جند العقل عن مدافعتة فيقوى سلطان الشيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار الهوى فيقبل عليه بالتزيين والفرور والأمانى ويوحى بذلك زخرفا من القول غرورا فيضعف سلطان الإيمان بالوعد والوعيد ويخرب نور اليقين لحوق الآخرة إذ يتصاعد عن الهوى دخان مظلم إلى القلب يعلو جوانبه حتى تنطفئ أنواره فيصير العقل كالعين التي ملأ الدخان أجفانها فلا يقدر على أن ينظر وهكذا تغفل غلبة الشهوة بالقلب حتى لا يبقى للقلب إمكان التوقف والاستبصار ولو بصرة واعظ وأصمعه ماهو الحق فيه مما عن القهم وصم عن السمع وهاجت الشهوة فيه وسطا الشيطان وتحركت الجوارح على وفق الهوى فظلمت الصبية إلى عالم الشهادة من عالم القلب بقضاء من الله تعالى وقدره وإلى مثل هذا القلب الإشارة بقوله تعالى - «أرايت من أخذ خذله هواه فأفانت تكون عليه وكلا - . أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إنهم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا - وبقوله عز وجل - «قد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون - وبقوله تعالى - «سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون - ورب قلب هذا حاله بالاضافة إلى بعض الشهوات كالذي يتورع عن بعض الأشياء ولكنه إذا رأى

لن أخق وبذل قال
سومارز قدام ينفقون
أولئك على هدى من
ربهم وأولئك هم
الفلحون - والفلاح
أجمع اسم لسعادة
الدارين والتي عليه
السلام به بقوله ثلاث
مهلكات ، وثلاث
منجيات فجعل إحدى
المهلكات شحا مطاعا
ولم يقل مجرد الشح
يكون مهلكا بل يكون
مهلكا إذا كان مطاعا
فأما كونه موجودا في
النفس غير مطاع فانه
لا ينكر ذلك لأنه من
لوازم النفس مستمدا
من أصل جبلتها التراب
وفي التراب قبض
وإسكاف وليس ذلك
بالعجب من الآدمي
وهو جبل في وإنما
العجب وجود السخاء

(١) حديث مثل القلب في قلبه كالقدر إذا استجمعت غلبانا أحمد وك وقال صحيح على شرط من
حديث للقداد بن الأسود (٢) حديث مثل القلب كمثل ريشة في أرض فلاة الحديث الطبراني في الكبير والبيهقي
في الشعب من حديث أبي موسى الأشعري بإسناد حسن والبراز نحوه من حديث أنس بإسناد ضعيف .

وجاهنا لم يملك عينه وقلبه وطاش عقله وسقط مساك قلبه أوكادى لا يملك قسه فبافيه الجاه والرياسة والكبر ولا يلقى معه مسكة فثبت عند ظهور أسبابه أوكادى لا يملك قسه عند الضرب مهما استنفر وذكر عيب من عيوبه أوكادى لا يملك قسه عند القدرة على أخذ درهم أو دينار بل ينهك عليه نهالك الواله للسهر فيفسى فيه الرودة والتقوى فكل ذلك لتساعد دخان الهوى إلى القلب حتى ينظر وتطحن منه أنواره فيطحن نور الحياء والرودة والإيمان ويسعى في تحصيل مراد الشيطان . القلب الثالث قلب يبدو فيه خراطيم الهوى فتدعوه إلى الشر فيلجته خاطر الإيمان فيدهو إلى الخير فتثبت النفس بسبوتها إلى نصرة خاطر الشر فتقوى الشهوة وتحسن التمعق والتتم فيثبت العقل إلى خاطر الجور ويدفع في وجه الشهوة ويحبس قلبها وينسحب إلى الجهد ويشبهها بالبيضة والسبع في تهجمها على الشر وقلة اكتراثها بالمواقب فتبيل النفس إلى نصع العقل فيحمل الشيطان حمة على العقل فتقوى داعي الهوى ويقول ماهذا التخرج البارد ولم تنتع عن هواك فتؤذي نفسك وهل ترى أحدا من أهل عصرك بخالف هواه أو ترك غرضه أفترك لهم ملاذ الدنيا يستمتعون بها وتجرع على نفسك حتى تبقى محروما عقيما متعوبا يضحك عليك أهل الزمان أقرب أن يزيد منصبك على فلان وفلان وقد فعلوا مثل ما اقتريت ولم ينتموا أمارى العالم القلاني ليس يترز من مثل ذلك ولو كان ذلك شرا لانتع منه فحبل النفس إلى الشيطان وتنقلب إليه فيحمل تلك حمة على الشيطان ويحول هل هلك إلا من اتبع قلة الحال ونسى العاقبة أفتضع بقعة يسيرة وترك لذة الجنة وفيها أبدأ الآباد أم تستقل ألم الصبر عن شهوتك ولا تستقل ألم النار أفتتر بفضلة الناس عن أنفسهم واتباعهم هوام ومساعدتهم الشيطان مع أن عذاب النار لا يخففه عنك مصيبة غيرك أرايت لو كنت في يوم صائف شديد الحر ووقف الناس كلهم في الشمس وكان لك بيت بارد أكنت تساعد الناس أو تطلب لنفسك الخلاء فكيف تخالف الناس خوفا من حر الشمس ولا تخالفهم خوفا من حر النار ضد ذلك تمتل النفس إلى قول الملك فلازال يتردد بين الجنتين متجادبا بين الحزبين إلى أن يقلب على القلب ماهو أولى به فإن كانت الصفات التي في القلب الغالب عليها الصفات الشيطانية التي ذكرناها غلب الشيطان ومال القلب إلى جنسه من أحزاب الشيطان معرضا عن حزب الله تعالى وأوليائه ومساعدوا لحزب الشيطان وأعدائه وجري على جوارحه بسابق القدر ماهو سبب يمه عن الله تعالى وإن كان الأغلب على القلب الصفات لللكية لم يصنع القلب إلى إغواء الشيطان وغرضه إياه على العاجلة وتهوينه أمر الآخرة بل مال إلى حزب الله تعالى وظهرت الطاعة بموجب ماسبق من القضاء على جوارحه قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن أي بين تحاذب هذين الجنتين وهو الغالب أعنى القلب والانتقال من حزب إلى حزب أما الثبات على الهدم مع حزب للالتصا أومع حزب الشيطان فنادر من الجانبين وهذه الطاعات والمعاصي تظهر من خزانة القلب إلى عالم الشهادة بولسطة خزانة القلب فانه من خزانة للسكرت وهي أيضا إذا ظهرت كانت علامات تعرف أرباب القلوب سابق القضاء فمن خلق لجنه يسر له أسباب الطاعات ومن خلق للنار يسر له أسباب المعاصي وسلط عليه أقران السوء وألقى في قلبه حكم الشيطان فانه بأنواع الحكم يشر الحق بقوله إن الله رحيم فلا تبال وإن الناس كلهم ما يخافون الله فلا تخافهم وإن العمر طويل فاصبر حتى توب غدا - يمدحهم وعينهم وما يمدح الشيطان إلا غرورا - يمدح التوبة وعينهم للفرقة قبلهم باذن الله تعالى بهله الحيل وما يجري مجراها فيوسع قلبه قبول الثرور ويضيقه عن قبول الحق وكل ذلك بغضا من الله وقدره فنرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن رد أن يضيق صدره فيقارحها كاتما يصعد في السماء . - إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده - فهو الهادي

في التريزة وهو نفوس الصوفية الداعي لهم إلى البذل والإيثار والسخاء أم وأكل من الجود في مقابلة الجود البخل وفي مقابلة السخاء الشح والجود والبخل يتطرق إليهما الاكتساب بطريق العادة بخلاف الشح والسخاء إذا كان من ضرورة التريزة وكل سخي جواد وليس كل جواد سخيا والحق سبحانه وتعالى لا يوصف بالسخاء لأن السخاء من نتيجة الرأى والله تعالى منزّه عن التريزة والجود يتطرق إليه الرضاء ويأتى به الانسان متطلعا إلى عوض من الخلق أو الحق بمقابل ما من

والفضل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا أراد لحكمه ولا مقب لقصائه خلق الجنة وخلق لها أهلاً مستعملهم بالطاعة وخلق النار وخلق لها أهلاً فاستعملهم بالمعاصي وعرف الحاق علامة أهل الجنة وأهل النار قال - إن الأبرار لن ينعم وإن الفجار لن يجمع - ثم قال تعالى في روى عن نبيه صلى الله عليه وسلم « هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي » فقال الله الملك الحق لا يستل عما يفعلون ويستلون ولتقتصر على هذا القدر اليسير من ذكر هجاب القلب فإن استقصاءه لا يليق ببل للجامعة وإنما ذكرنا منه ما يحتاج إليه لمعرفة أغوار علوم الجامعة وأسرارها ليتنفع بها من لا يفتح بالظواهر ولا يجزى بالقشر عن اللباب بل يتشوق إلى معرفة دقائق حقائق الأسباب وفيما ذكرناه كفاية له ومقنع إن شاء الله تعالى والله ولي التوفيق . تم كتاب هجاب القلب وفيه الحمد لله ، ويثوبه كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق ، والحمد لله وحده وصلى الله على كل عبد مصطفى .

﴿ كتاب رياضة النفس ﴾

(وتهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلب ، وهو الكتاب الثاني من ربيع المهلكات)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي صرف الأمور بتدبيره وعدل تركيب الحقائق وأحسن في تصويره وزين صورة الإنسان بحسن تقويمه وتقديره وحرسه من الزيادة والنقصان في شكله ومقاديره وفوض تحسين الأخلاق إلى اجتهد البعد وتسميره واستحله على تهذيبها وتخفيفه وتحذيره وسهل على خواص عباده تهذيب الأخلاق بتوفيقه وتيسيره وامتن عليهم بتسهيل صعبه وغيره . والصلاة والسلام على محمد عبد الله ونبيه وحبيه وصفيه وبشيره ونذيره الذي كان يلوغ أنوار النبوة من بين أسراربه ويستشرف حقيقة الحق من مخايله وتزائيره وعلى آله وأصحابه الذين طهروا وجه الاسلام من ظلمة الكفر وديابجره وحسموا مادة الباطل فلم يتدنسوا بقليله ولا بكثيره .

أما بعد : فالخلق الحسن صفة سيد المرسلين وأفضل أعمال الصديقين وهو على التحقيق شرط الدين ونعمة مجاهدة التقين ورياضة للتعبدين والأخلاق السيئة هي السموم القاتلة والهلكات الدائمة والمخازي الفاضحة والذائل الواضحة والنجاسات البعيدة عن جوار رب العالمين المخروطة بصاحبها في سلك الشياطين وهي الأبواب المفتوحة إلى نار الله تعالى للوقدة التي تطلع على الأفتدة كأن الأخلاق الجليقة هي الأبواب المفتوحة من القلب إلى نعم الجنان وجوار الرحمن والأخلاق الجليقة أمراض القلوب وأسقام النفوس إلا أنه مرض يفوت حياة الأبد . وأين منه المرض الذي لا يفوت إلا حياة الجسد . ومهما اشتدت رعاية الألباء بضبط قوانين العلاج للأبدان وليس في مرضها إلا فوت الحياة الفانية فالعناية بضبط قوانين العلاج لأمراض القلوب وفي مرضها فوت حياة باقية أولى وهذا النوع من الطب واجب تعلمه على كل ذي لب إذ لا يخفى قلب من القلوب عن أسقام لو أهملت تراكت وتردأت الملل وتظاهرت فيحتاج البعد إلى تأتق في معرفة عللها وأسبابها ثم إلى تشهير في علاجها وإصلاحها فالجناب هو المراد بقوله تعالى - قد أفلح من زكاه - وإصلاحها هو المراد بقوله - وقد خاب من دساها - ونحن نشير في هذا الكتاب إلى جمل من أمراض القلوب وكيفية القول في معالجتها على الجملة من غير تفصيل

(١) حديث قال الله عز وجل: هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي. أحمد وابن حبان من حديث عبد الرحمن بن قتادة السلمي وقاله ابن عبد البر في الاستيعاب إنه مضطرب الاستناد .

﴿ كتاب رياضة النفس ﴾

النساء وغيره من
الحلق والثواب من
الله تعالى والسخاء
لا يتطرق إليه الرياء
لأنه ينبع من النفس
الزكية الرضعة . عن
الأعوان ذبنا وآخره
لأن طلب العوض مشعر
بالخل لكونه معلولا
بطلب العوض فما
عوض سخاء فالسخاء
لأهل الصفاء والابتناء
لأهل الأنوار ويجوز
أن يكون قوله تعالى
- إنما نطمعكم لوجه -
الله لا يزيد منكم
جزاء ولا شكورا - أنه
نفي في الآية الإطعام
لطلب الأعوان حيث
قال لا يزيد بعد
قوله لوجه الله
فما كان له لا يشر
بطلب العوض بل
الفرصة لطهارتها
تجذب إلى مراد الحق

للامرض وذلك أكل
السخاء من أطهر
الترثر. روت أحما، بفت
قلت : أي بكر قالت : قلت
يا رسول الله ليس لي من
شيء إلا ما أدخل على
الزير فأعطى، قال نعم
الأنوك فبوك عليك .
ومن أخلاق الصوفية
التجاوز والعموم مقابلة
السيف بالحسنة . قال
سفيان الاحسان أن
تحسن إلى من أساء
إليك فإن الاحسان
إلى الحسن متاجرة
تكتفد الدوق خذ
شيئا وهات شيئا وقال
الحسن الاحسان أن
تم ولأخص كالشمس
والربع والنبي .
ودوي أنس قال
قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم
« رأيت تصورا مشرقا

قال الله تعالى فبنيه مثنيًا عليه ومظهرًا نعمته لديه - وإنك لمل خلق عظيم- وقالت عائشة رضي الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن ^(١) » وسأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حسن الخلق فقال قوله تعالى - خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين - ثم قال صلى الله عليه وسلم : هو أن تصل من قطعك وتعطى من حرملك وتقفو عمن ظلك ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم : « إنما بشت لأتكم بكارم الأخلاق ^(٣) » وقال **عليه السلام** « أتقوا ما يوضع في اليزان يوم القيامة فتوى الله وحسن الخلق ^(٤) » وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقال « يا رسول الله ما الدين قال حسن الخلق فأما من قبل بينه فقال يا رسول الله ما الدين قال حسن الخلق ثم أتاه من قبل فحماه فقال ما الدين فقال حسن الخلق ثم أتاه من ورائه فقال يا رسول الله ما الدين قالفت إليه وقال أما تفقه هو أن لاتصعب ^(٥) » وقيل « يا رسول الله ما الشوم قال هو سوء الخلق ^(٦) » وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني فقال « اتق الله حيث كنت قال زدني قال أتبع السيئة الحسنة تمحها قال زدني قال خالق الناس بحلق حسن ^(٧) » وسئل عليه السلام « أي الأعمال أفضل قال خلق حسن ^(٨) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما حسن الله خلق عبد وخلقه فيقطع له النار ^(٩) » وقد الفضيل [] قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم « إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها قال لاخير فيها هي من أهل النار » وقال أبو بردة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أول ما يوضع في اليزان حسن الخلق والسخاء والمساخلة الله الأيمان

[١] قوله وقال الفضيل الح لم يخرج العراقي ولم ينه عليه وقد تقدم في باب الصفة فليتأمل.

قال اللهم قوتى فقواه بحسن الخلق والسخاء ولما خلق الله السكر قال اللهم قوتى فقواه بالسوء الخلق (١) وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لديكم إلا السخاء وحسن الخلق ألا فزبنوا دينكم بهما» (٢) وقال عليه السلام «حسن الخلق خلق الله الأعظم» (٣) وقيل «يارسول الله أي المؤمنين أفضل إيماناً قال أحسنهم خلقاً» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فدعهم ببسط الوجه وحسن الخلق» (٥) وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم «سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل الصل» (٦) وعن جرير بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنك امرؤ قد حسن الله خلقك فحسن خلقك» (٧) وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً (٨) وعن أبي مسعود البدرى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه «اللهم حسنت خاقي فحسن خلقي» (٩) وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثّر الدعاء فيقول «اللهم إني أسألك الصحة والعافية وحسن الخلق» (١٠) وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «كرم المؤمن دينه وحسبه حسن خلقه ومروءته عقله» (١١) وعن أسامة بن شريك قال «شهدت الأعراب يسألون النبي صلى الله عليه وسلم يقولون ما أعطى العبد قال : خلق حسن» (١٢)

(١) حديث أبي الدرداء أول ما يوضع في اللزبان حسن الخلق الحديث لم أتف له على أصل هكذا ولأبي داود وث من حديث أبي الدرداء ما من شيء في اللزبان أثقل من حسن الخلق وقال غريب وقال في بعض طرقه حسن صحيح (٢) حديث إن الله استخلص هذا الدين لنفسه الحديث الهاروطى في كتاب المستجاد والخرابى في مكارم الأخلاق من حديث أبي سعيد الخدرى بإسناد فيه لين (٣) حديث حسن الخلق خلق الله الأعظم الطبرانى في الأوسط من حديث عمار بن ياسر بسند ضيف (٤) حديث قيل يارسول الله أي المؤمنين أفضلهم إيماناً قال أحسنهم خلقاً دونك من حديث أبي هريرة وتقدم في النكاح بلفظ أكل المؤمنين والطبرانى من حديث أبي أمامة أفضلكم إيماناً أحسنكم خلقاً (٥) حديث إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فدعهم ببسط الوجه وحسن الخلق البزار وأبو بلى والطبرانى في مكارم الأخلاق من حديث أبي هريرة وبعض طرق البزار رجاله ثقات (٦) حديث سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل الصل ابن حبان في الضعفاء من حديث أبي هريرة والبيهقى في الشعب من حديث ابن عباس وأبي هريرة أيضاً وضعفهما ابن جرير (٧) حديث إنك امرؤ قد حسن الله خلقك فأحسن خلقك الخرابى في مكارم الأخلاق وأبو العباس الدغولى في كتاب الآداب وفيه ضعف (٨) حديث البراء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً الخرابى في مكارم الأخلاق بسند حسن (٩) حديث أبي مسعود البدرى اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي الخرابى في مكارم الأخلاق هكذا من رواية عبد الله بن أبي الهذيل عن أبي مسعود البدرى وإنما هو ابن مسعود أي عبد الله هكذا رواه ابن حبان في صحيحه ورواه أحمد من حديث عائشة (١٠) حديث عبد الله بن عمرو اللهم إني أسألك الصحة والعافية وحسن الخلق الخرابى في مكارم الأخلاق بإسناد فيه لين (١١) حديث أبي هريرة حكيم للرء دينه ومروءته عقله وحسن خلقه حب و لا وصحه على شرطه والبيهقى . قلت فيه مسلم بن خالد الزنجى وقد تكلم فيه قال البيهقى وروى من وجهين آخرين ضعيفين ثم رواه موقوفاً على عمر وقال إسنادة صحيح (١٢) حديث أسامة بن شريك شهدت الأعراب يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى العبد قال خاقي حسن ه وتقدم في آداب الصعبة .

على الجنة قلت
يا جبريل لمن هذه
قال للكاملين النيط
والعافين عن الناس
روى أبو هريرة رضى
الله عنه «أن أبا بكر
رضى الله عنه كان
مع النبي صلى الله
عليه وسلم في مجلس
جاء رجل فوقع في
أبي بكر وهو ساكنة
والنبي عليه السلام
يتبسم ثم رد أبو بكر
عليه بعض الذي قال
فغضب النبي وقام
فلحقه أبو بكر فقل
يارسول الله شتمنى
وأنت تبسم ثم رددت
عليه بعض ما قال
فغضبت وقلت فقال
إنك حيث كنت
ساكناً كان معك
ملك يرد عليه فسا
تكلمت وقع الشيطان

وقال صلى الله عليه وسلم «إن أحبكم إلى وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا» (١) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ثلاث من لم تكن فيه أو واحدة منهن فلا تعدوا بشيء من عمله: تقوى يحجزه عن معاصي الله أو حلم يكف به الضيق أو خلق يبيت به بين الناس» (٢) وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم في افتتاح الصلاة «اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت» (٣) وقال أنس يينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما إذ قال «إن حسن الخلق ليزيب الخبيثة كما تذيب الشمس الجليد» (٤) وقال عليه السلام «من سعادة للره حسن الخلق» (٥) وقال صلى الله عليه وسلم «اليمين حسن الخلق» (٦) وقال عليه السلام لأبي ذر «يا أبا ذر لا تغفل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق» (٧) وعن أنس قال «قالت أم حبيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أرايت للرأة يكون لها زوجان في الدنيا فتتو وتبعونان ويدخلون الجنة لأيهما هي تسكن، قال لأحسنهما خلقا كان عندها في الدنيا يأم حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة» (٨) وقال صلى الله عليه وسلم «إن للسلم للسدد ليدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه وكرم مرتبته» (٩) وفي رواية «درجة الطمأن في المواجه» وقال عبد الرحمن بن مرة كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم قال «إني رأيت البارحة عجبا رأيت رجلا من أمي جاثيا على ركبتيه وبينه وبين الله حجاب فجاء حسن خلقه فأدخله على الله تعالى» (١٠) وقال أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم «إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف للنازل وإنه لضعيف في العبادة» (١١) وروى «أن عمر رضي الله عنه استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من نساء قريش يكلمنه ويستكرهن عالية أصواتهن على صوته

فلم أكن لأقصد في مقعد فيه الشيطان يا أبا بكر ثلاث كلمن حق ليس عبد يظلم بظلمة فيفو عنها إلا أعز الله نصره وليس عبد يفتح باب مسئلة يريد بها كثرة إلا زاده الله فقه وليس عبد يفتح باب عطية أو صلة ينتهي بها وجهه إلا زاده الله بها كثرة». أخبرنا ضياء الدين عبد الوهاب بن علي قال أنا السرخسي قال أنا الترياق قال أنا الجراحي قال أنا الهوي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال ثنا أبو هشام الرقاعي قال ثنا محمد ابن فضيل عن الوليد ابن عبد الله بن جميع عن أبي الطفيل عن

(١) حديث إن أحبكم إلى الله وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا طمس طمس من حديث أنس هريرة إن أحبكم إلى الله أحاسنكم أخلاقا ولطبراني في معارج الأخلاق من حديث جابر إن أقربكم مني مجلسا أحاسنكم أخلاقا وقد تقدم الحديثان في آداب الصبيحة (٢) حديث ابن عباس ثلاث من لم يكن فيه واحدة منهن فلا يمتد بشيء من عمله الحديث الحرايطي في معارج الأخلاق باسناد ضعيف ورواه الطبراني في الكبير وفي معارج الأخلاق من حديث أم سلمة (٣) حديث اللهم اهدني لأحسن الأخلاق الحديث م من حديث علي (٤) حديث أنس إن حسن الخلق ليزيب الخبيثة كما يذيب الشمس الجليد الحرايطي في معارج الأخلاق بسند ضعيف ورواه طب وطس والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس وضعفه وكذا رواه من حديث أبي هريرة وضعفه أيضا (٥) حديث من سعادة للره حسن الخلق الحرايطي في معارج الأخلاق والبيهقي في الشعب من حديث جابر بسند ضعيف (٦) حديث اليمين حسن الخلق الحرايطي في معارج الأخلاق من حديث علي باسناد ضعيف (٧) حديث يا أبا ذر لا تغفل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق ه جب من حديث أبي ذر (٨) حديث أنس قالت أم حبيبة يا رسول الله أرايت للرأة يكون لها زوجان البزار والطبراني في الكبير والحرايطي في معارج الأخلاق باسناد ضعيف (٩) حديث إن للسلم للسدد ليدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه الحديث أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بالرواية الأولى ومن حديث أبي هريرة بالرواية الثانية وفيها ابن لهيعة (١٠) حديث عبد الرحمن بن مرة إني رأيت البارحة عجبا الحديث الحرايطي في معارج الأخلاق بسند ضعيف (١١) حديث إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة الحديث طب والحرايطي في معارج الأخلاق وأبو الشيخ في كتاب معارج الأخلاق وأبو الشيخ في كتاب طبقات الأصفيين من حديث أنس باسناد جيد

فما استأذن عمر رضي الله عنه بتأديرن الحجاب فدخل عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم بضحك فقال عمر رضي الله عنه "تم فضحك بأبي أنت وأمي يا رسول الله فقال بحيث لهؤلاء اللاتي كن عندي لما سمعن صوتك بتأديرن الحجاب فقال عمر أنت كنت أحق أن يهينك يا رسول الله ثم أتبل عليهن عمر فقال يا عدوات أنفسهن آتيني ولا تهنين رسول الله صلى الله عليه وسلم قلن نعم أنت أغاظ وأغظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم إياها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيدي مالتيك الشيطان قط سالكا لجا لإصلاح لجا غيرك^(١) وقال صلى الله عليه وسلم "سوء الخلق ذنب لا يغير وسوء الظن خطيئة تفوح"^(٢) وقال عليه السلام "إن البديلين من سوء خلقه أسفل درك جهنم"^(٣) الآثار : قال ابن لقمان الحكيم لأبيه يا أبت أي الحصول من الإنسان خير قال الدين قال فإذا كانت اثنتين قال الدين والمال قال فإذا كانت ثلاثا قال الدين والمال والحياة قال فإذا كانت أربعا قال الدين والمال والحياة وحسن الخلق وحسن الحياء وحسن الخلق والسخاء قال فإذا كانت ستا قال يا بني إذا اجتمعت فيه الخمس خصال فهو شقي تقي لله ولي ومن الشيطان برى وقال الحسن : من ساء خلقه عذب نفسه ، وقال أنس بن مالك : إن البديلين بحسن خلقه أعلى درجة في الجنة وهو غير عابد ويبلغ بسوء خلقه أسفل درك في جهنم وهو عابد ، وقال يحيى بن معاذ في سمة الأخلاق كنوز الأرزاق ، وقال وهب بن منبه : مثل السيء الخلق كشل الفخارة المكسورة لا ترفع ولا تهاد طينا ، وقال الفضيل : لأن يصحبني فأجر حسن الخلق أحب إلي من أن يصحبني فأبد سيء الخلق . وحسب ابن المبارك رجلا سيء الخلق في سفر فكان يحتمل منه ويداريه فلما فارقته بكى قتيلا له في ذلك فقال بكيت رحمة له فارقته وخلقه معه لم يفارقه . وقال الجني : أربع ترفع البديل إلى أعلى الدرجات وإن قل عمل وعلمه : العلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق وهو كمال الإيمان ، وقال السكاني التصوف خلق فن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف . وقال عمر رضي الله عنه خالطوا الناس بالأخلاق وازيلوهم بالأعمال ، وقال يحيى بن معاذ سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات وحسن الخلق حسنة لا تضر معها كثرة السيئات ، ومثل ابن عباس ما الكرم فقال هو ما بين الله في كتابه العزيز - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - قيل فما الحسب قال أحسنكم خلقا أفضلكم حسبا ، وقال لكل بنيان أساس وأساس الإسلام حسن الخلق ، وقال عطاء : ما ارتفع من ارتفع إلا بالخلق الحسن ولم ينل أحد كماله إلا بالعطف على الله عليه وسلم فأقرب الخلق إلى الله عز وجل السالكون آثاره بحسن الخلق .

(بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق)

اعلم أن الناس قد تكلموا في حقيقة حسن الخلق وأنه ماهو وما تعرضوا لحقيقته وإتماموا لثمرته ثم لم يستوصوا جميع ثمراته بل ذكر كل واحد من ثمراته ما خطر له وما كان حاضرا في ذهنه ولم يصفروا الناية إلى ذكر حده وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل والاستيعاب وذلك كقول

(١) حديث إن عمر استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من قريش يكنه ويستكثرهن الحديث متفق عليه (٢) حديث سوء الخلق ذنب لا يغير الحديث طعن من حديث عائشة مامن شيء إلا له توبة إلا صاحب سوء الخلق فإنه لا يتوب من ذنب إلا عاد في شر منه واستأذنه ضيف (٣) حديث إن البديلين من سوء خلقه أسفل درك جهنم الطبراني والحرابي في مكارم الأخلاق وأبو الشيخ في طبقات الأصحابين من حديث أنس بإسناد جيد وهو بعض الحديث الذي قبله بحديثين .

حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تكونوا إمامة تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أسأوا فلا تظلموا » وقال بعض الصعابة « يا رسول الله الرجل أمر به فلا يقربني ولا يضيفني فيعربني فأفجزه قال لا أقره » وقال الفضيل القنوة الصنع عن عثرات الإخوان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس الواصل للكافي » ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها » وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مكارم الأخلاق

الحسن : حسن الخلق بسط الوجه وبذل الذي وكف الأذى . وقال الواسطي هو أن لا يخصم ولا يخصم من شدة معرفته بالله تعالى ، وقال شاه الكرمانى : هو كف الأذى واحتال الزمن . وقال بعضهم هو أن يكون من الناس قريبا وفيما بينهم غريبا وقال الواسطي مرة هو إرضاء الخلق في السراء والضراء وقال أبو عبيان هو الرضا عن الله تعالى ، وسئل سهل التستري عن حسن الخلق فقال أدناه الاحتال وترك للكفاة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه ، وقال مرة أن لا يتم الحق في الرزق وشق به ويسكن إلى الوفاء بما ضمن فبطيه ولا يصيبه في جميع الأمور فما بينه وبينه وفيما بينه وبين الناس . وقال على رضى الله عنه حسن الخلق في ثلاث خصال اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسعة على العيال ، وقال الحسين بن منصور هو أن لا يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك للحق ، وقال أبو سعيد الخزاز هو أن لا يكون لك هم غير الله تعالى فهذا وأمثاله كثير وهو فرض تقررت حسن الخلق لنفسه ثم ليس هو محيط بجميع الثمرات أيضا وكشف القطاء عن الحقيقة أولى من قل الأتاول المختلفة فتقول الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معا يقال فلان حسن الخلق والخلق أى حسن الباطن والظاهر فيراد بالخلق الصورة الظاهرة ويراد بالخلق الصورة الباطنة ، وذلك لأن الانسان مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة ، ولكل واحد منهما هيئة وصورة إما فيجبه وإما جبهة فالنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر ولذلك عظم الله أمره بأضافته إليه إذا قال تعالى - إني خالق بشر من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقموا له ساجدين - فيه على أن الجسد منسوب إلى الطين والروح إلى رب العالمين ، ولراد بالروح والنفس في هذا المقام واحد فالخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجبلية المحمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خلقا حسنا وإن كان الصادر عنها الأفعال النتيجة سميت الهيئة التي هي للصدر خلقا سيئا وإنما قلنا إنها هيئة راسخة لأن من يصدر منه بذل اللال في النذور لحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء مالم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ وإنما اشتربنا أن تصدر منه الأفعال بسهولة من غير روية لأن من تكلف بذل اللال أو الكسوت عند الغضب بمجد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم ، فهنا أربعة أمور : أحدها فعل الجليل والقيس . والثاني القدرة عليها . والثالث للفرقة بهما . والرابع هيئة للنفس بها تميل إلى أحد الجانبين ويتيسر عليها أحد الأمرين إما الحسن وإما القبيح وليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخاء ولا يذلل إما تقصد اللال أو لماغف وربما يكون خلقه البخل وهو يذلل إما لباعث أولرياء وليس هو عبارة عن القوة لأن نسبة القوة إلى الامساك والاعطاء بل إلى الضدين واحد وكل إنسان خلق بالنطرة قادر على الاعطاء والامساك وذلك لاوجب خلق البخل ولاخلق السخاء وليس هو عبارة عن الفرقة فان للفرقة تعلق بالجميل والقبيح جيبا على وجه واحد بل هو عبارة عن الشيء الرابع وهو الهيئة التي بها تستمد النفس لأن يصدر منها الامساك أو البذل فالخلق إذن عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة وكذا أن حسن الصورة الظاهر مطلقا لايم بحسن العين دون الأنف والقدم والحد بل لابد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر فكذلك في الباطن أربعة أركان لابد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق فإذا استوت الأركان الأربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق وهو قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث . أما قوة العلم فحسنها وصلاحتها في أن تصير بحيث يسهل بها ذلك القرني بين الصدق والكذب في الأقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الجميل والقبيح في الأفعال فإذا

أن تفوه من ظلك
وتصل من قطك
وتعطى من حرمك
ومن أخلاق الصوفية
البشر وطلاقة الوجه.
الصوفي يكأ في خلوته
وجهره وطلاقة وجهه
مع الناس فاليشر على
وجهه من آثار أنوار
قلبه وقد تنازل بطن
الصوفي منازل إلهية
ومواهب قدسية
يرتوى منها القلب
ويعتلى فرحا وسورا
قل بفضل الله وبرحمته
فبذلك فليفرحوا -
والسرور إذا تمكن من
القلب فاض على الوجه
آثاره قال الله تعالى
موجوه يومئذ مسفرة
أبصار مضيئة مشرفة
معمشرة سائر فرحة
قبل أشرفت من طول
ما اشغرت في سبيل

صلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة رأس الأخلاق الحسنة وهي التي قال الله فيها - ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا - وأما قوة الغضب فحسبنا في أن يصير انقباضها وانساطها على حد ما تنضبه الحكمة وكذلك الشهوة حسنها وصلاحها في أن تكون تحت إشارة الحكمة أعنى إشارة العقل والشرع . وأما قوة العدل فهو ضبط الشهوة والغضب تحت إشارة العقل والشرع فالعدل مثله مثال الناصح للشر وقوة العدل هي القدرة ومثاله مثال للنفس المضى لإشارة العقل والغضب وهو الذي تنفذ فيه الإشارة ومثاله مثال كلب الصيد فإنه يحتاج إلى أن يؤدب حتى يكون استرساله وتوقفه بحسب الإشارة لا بحسب هيجان شهوة النفس والشهوة مثاله مثال الفرس الذي يركب في طلب الصيد فإنه تارة يكون مروضا مؤدبا وتارة يكون جموحا فمن استوت فيه هذه الحصال واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقا ومن اعتدلت فيه بعضها دون البعض فهو حسن الخلق بالإضافة إلى ذلك المعنى خاصة كالذي يحسن بعض أجزائه وجهه دون بعض وحسن القوة النفسية واعتدالها يعبر عنه بالشجاعة وحسن قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنه بالعرفة فإن مالت قوة الغضب عن الاعتدال إلى طرف الزيادة تسمى هورا وإن مالت إلى الضعف والتقصان تسمى جينا وخورا وإن مالت قوة الشهوة إلى طرف الزيادة تسمى شرها وإن مالت إلى التقصان تسمى جودا والمجود هو الوسط وهو الفضيلة والطرفان رذيلتان مذمومتان والعدل إذا فات فليس له طرفا زيادة وتقصان بل له ضد واحد ومقابل وهو الجور . وأما الحكمة فيسمى إفراطها عند الاستعمال في الأغراض الفاسدة خيلا وجبرة ويسمى تغريطها يلها والوسط هو الذي يغتنى باسم الحكمة فاذا نهب الأخلاق وأصولها أربعة : الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ، ونعني بالحكمة حالة للنفس بها يدرك الصواب من الخطأ في جميع الأعمال الاختيارية ، ونعني بالعدل حالة للنفس وقوة بها تتوسد الغضب والشهوة وتحملهما على مقتضى الحكمة وتضبطهما في الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها ، ونعني بالشجاعة كون قوة الغضب متقادة للعقل في إقدامها وإحجامها ونعني بالعرفة تأدب قوة الشهوة بتأديب العقل والشرع فمن اعتدال هذه الأصول الأربع تصدر الأخلاق الجلية كلها إذ من اعتدال قوة العقل يحصل حسن التدبير وجودة الفهم وثقابة الرأي وإصابة الظن والتنظير لدقائق الأعمال وخفايا آفات النفوس ومن إفراطها تصدر الجبرة والسكر والخداع والدهاء ومن تغريطها يصدر البله والفجارة والحق والجنون ، وأعنى بالعارفة قلة التجربة في الأمور مع سلامة التخيل فقد يكون الإنسان غمرا في شيء دون شيء والفرق بين الحق والجنون أن الأخير مقصوده صحيح ولكن سلوكه الطريق فاسد فلا تكون له روية صحيحة في سلوك الطريق الوصول إلى الترض . وأما الجنون فإنه يختار مالا ينبغي أن يختار فيكون أصل اختياره وإثارة فاسدا . وأما خلق الشجاعة فيصدر منه الكرم والتجدة والشهامة وكسر النفس والاحتيال والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتودد ومثاله وهي أخلاق محمودة وأما إفراطها وهو التهور فيصدر منه الملقح والتمسح والاستساقطة والتكبر والعجب . وأما تغريطها فيصدر منه الهانة والذلة والجزع والخساسة وضعف النفس والانقباض عن تناول الحق الواجب . وأما خلق العفة فيصدر منه السخاء والحياء والصبر والساعة والقناعة والورع واللطافة والسعادة والظرف وقلة الطمع . وأما ميلها إلى الإفراط أو التغريط فيحصل منه الحرس والشره والوقاحة والخيث والتبذير والتقصير والرياء والمتكبر والمجانة والبغث والملاق والحسد والشهامة والتذلل للأغنياء واستحقار الفقراء وغير ذلك فأهميات محاسن الأخلاق هذه الفضائل الأربع بمقتضى الحكمة والشجاعة والعفة والعدل والباقي فروعهما ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الأربع إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه فكل من قرب منه في هذه الأخلاق فهو قريب من الله تعالى بقدر قربه من

الله ومثال قبح التور
على الوجه من القلب
كفيضان نور السراج
على الزجاج والشكاة
فالوجه مشكاة والقلب
زجاج والروح مصباح
فاذا تلم القلب بلبذ
السامة ظهر البشر
على الوجه قال الله تعالى
- تعرف في وجوههم
نضرة النعيم - أي
نضارته وبريقه قال
أنضر الثبات إذا أزه
ونور - وجوه يومئذ
ناضرة إلى ربها ناظرة -
فما نظرت ففرت
فأرباب المشاهدة من
الصوفية تنورت
بضائرهم بنور المشاهدة
وانصرفت مرآة قلوبهم
وانعكس فيها نور
الجمال الأزلي ولذا
شرقت الشمس على
المرآة الصقولة استنارت

رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل من جمع كمال هذه الأخلاق استحق أن يكون بين الخلق ملكاً مطاعاً يرجع الخلق كلهم إليه ويقتدون به في جميع الأعمال، ومن اتقى عن هذه الأخلاق كلها واتصف بأصداها استحق أن يخرج من بين البلاد والعباد فانه قد قرب من الشيطان العين البعد فينبغي أن يعد كما أن الأول قريب من ذلك القرب فينبغي أن يتدبى به ويتقرب إليه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمت إلا ليتهم مكارم الأخلاق كما قال (١) وقد أشار القرآن إلى هذه الأخلاق في أواسف المؤمنين فقال تعالى - إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون - فالإيمان بالله ورسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين وهو عمدة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو السخاء الذي يرجع إلى ضبط قوة الشهوة والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع إلى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال فقد وصف الله تعالى الصالحين فقال - أشداء على الكفار رحماء بينهم - إشارة إلى أن للشهوة مضاعفان الرحمة ومضاعفان الكلال في الشدة بكل حال ولا في الرحمة بكل حال فهذا بيان معنى الخلق وحسنه وقبحه وبيان أركانه وثمراته وفروعه.

(بيان قبول الأخلاق للتغير بطريق الرياضة)

اعلم أن بعض من غلبت البطالة عليه استغفل المجاهدة والرياضة والاشتغال بتركة النفس وتهذيب الأخلاق فلم يسمع نفسه بأن يكون ذلك لقصوره ونقصه وخبط دخلته فزعم أن الأخلاق لا يتصور تغييرها فان الطباع لا تتغير واستدل فيه بأمرين : أحدهما أن الخلق هو صورة الباطن كأن الخلق هو صورة الظاهر فالخلق الظاهر لا يقدر على تغييرها فالقصور لا يقدر أن يجعل نفسه طويلاً ولا الطويل يقدر أن يجعل نفسه قصيراً ولا التبيح يقدر على تحسين صورته فكذلك القبح الباطن يجري هذا المجرى والثاني أنهم قالوا حسن الخلق يجمع الشهوة والغضب، وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة وعرفنا أن ذلك من متغضى الزاج والطبع فانه قط لا ينقطع عن الأدنى فاشتغاله به تصديق زمان بغير فائدة فان المطلوب هو قطع التفات القلب إلى المحظوظ المعالجة وذلك محال وجوده. فتقول لو كانت الأخلاق لا تتغير للتغير بلطت الوصايا والوعظ والتأديبات ولما قال رسول الله ﷺ «حسنوا أخلاقكم» (٢) وكيف يشكر هذا في حق الأدنى وتغيير خلق البرية يمكن إذ ينقل البازي من الاستبحاش إلى الأمن والكلب من شره إلى الكلى إلى التأديب والامساك والتخيلة والفرس من الجراح إلى السلامة والاعتقاد وكل ذلك تغيير للأخلاق. والقول السكاف للقطاع عن ذلك أن قول الموجودات منقسم إلى ما لا مدخل للأدنى واختياره في أصله وتفصيله كالسما والسماء كبل أعضاء البدن داخل خارجاً وسائر أجزاء الحيوانات وبالجملة كل ما هو حاصل كامل وقع الفراغ من وجوده وكاله إلى ما وجد وجوداً ناقصاً وجعل فيه قوة لقبول الكمال بعد أن وجد شرطه وشرطه قد يرتبط باختيار العبد بأن النواة ليست بتفاح ولا نخل إلا أنها خلقت خلقة يمكن أن تصبح نخل إذا اضاف التربة إليها ولا تصبح تفاحاً أصلاً ولا بالترية فإذا صارت النواة متأثرة بالاختيار حتى تقبل بعض الأحوال دون بعض فكذلك الغضب والشهوة لو أردنا قمعهما وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما أثر لم نهدر عليه أصلاً ولو أردنا سلاستهما وقودهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه وقد أمرنا بذلك وصار ذلك سبب نجاستنا ووصولنا إلى الله تعالى. نعم الجلات مختلفة بعضها سرية القبول وبعضها بطيئة القبول ولاختلافها سببان : أحدهما قوة التربة في أصل الجيلة وامتناده مدة الوجود فدان قوة الشهوة والغضب والتكبر موجود في الإنسان ولكن أعصم أمراً وأعصاها

الجدران قاله الله تعالى
- سبحانه في وجوههم
من آراء السجود وإذا
تأثر الوجه بسجود
الظلاد وهي القلوب
في قول الله تعالى
- وظلالهم بالسجد
والأصا - كيف لا يتأثر
بشهود الجلال. أخبرنا
ضياء الدين عبد الوهاب
ابن علي قال أنا
السرخسي قال أنا
الترياق قال أنا الجراحي
قال أنا المجهول قال أنا
أبو عيسى الترمذي قال أنا
ثنا قتيبة قال ثنا
للكندر بن محمد بن
السكندر عن أبيه عن
جابر بن عبد الله قال
قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم «كل معروف
صديق وإن من المعروف
أن تلقى أخاك بوجه
طلق وأن تخرج من

(١) حديث بثت لأنهم مكارم الأخلاق تقدم في آداب الصفة (٢) حديث حسنوا أخلاقكم أي بكونوا
ابن لاني مكارم الأخلاق من حديث معاذ بن عمرو عن خلقك للناس منقطع ورجاله ثقات

على التغير قوة الشهوة فاتها آدم وجودا إذ الصي في مبدأ الفطرة تخلق له الشهوة ثم بعد سبع سنين ربما يخلق له الغضب وبعد ذلك يخلق له قوة التمييز والسبب الثاني أن الخلق قديماً كما بكثرة العمل بعقضاء والطاعة له واعتقاد كونه حسناً ومرضياً والناس فيه على أربع مراتب : الأولى وهو الإنسان الغفل الذي لا يميز بين الحق والباطل والجبل والقيح بل يبق كفاطر عليه خالياً عن جميع الاعتقادات ولم تستم شهوته أيضاً باتباع الذات فهذا سريع القبول للملاجج جداً فلا يحتاج إلا إلى معلم ومرشد وإلى باع من نفسه يعمل على المجاهدة فيحسن خلقه في أقرب زمان . والثانية أن يكون قد عرف قبح القبيح ولكنه لم يتعود العمل الصالح بل يزين له سوء عمله فتعاطاه اعتياده لشهواته وإعراضاً عن صواب رأيه لاستيلاء الشهوة عليه ولكن علم تقصيره في عمله فأمره أصعب من الأول إذ قد تعاضت لوظيفة عليه إذ عليه قلع مارسع في نفسه أولاً من كثرة الاعتداء للفساد والآخر أن يفسد في نفسه صفة الاعتداء للصالح ولكنه بالجملة محل قابل للرياضة إن اتهم لها يجد وتشعر وحزم . والثالثة أن يعتقد في الأخلاق القبيحة أنها الواجبة للسمحة وأنها حق وجبيل وتربي عليها فهذا يكاد تنتج معالجته ولا يرجى صلاحه إلا على الدور وذلك لتضاعف أسباب الضلال . والرابعة أن يكون مع نشئه على الرأي القاسد وتربيته على العمل به يرى الفضيلة في كثرة الشر واستهلاك النفوس ويأبى به ويظن أن ذلك يرفع قدره وهذا هو أصعب للراتب وفي مثله قيل ومن النماء رياضة المحرم ومن التعذيب تهذيب القلب والأول من هؤلاء جاهل فقط والثاني جاهل وضال والثالث جاهل وضال وفاسق والرابع جاهل وضال وفاسق وشرب ، وأما الحياتل الآخر الذي استدلوا به وهو قولهم إن الأذى مادام حياً فلا تنقطع عنه الشهوة والغضب وحب الدنيا وسائر هذه الأخلاق فهذا غلط وقع لطائفة ظنوا أن القصد من المجاهدة قلع هذه الصفات بالكيفية ومحوها وهيئات فإن الشهوة خلقت لمانعة وهي ضرورة في الجلبه فلو انقطعت شهوة الطعام لمهلك الإنسان ولو انقطعت شهوة الوطع لانتقطع التنسل ولو انعدم الغضب بالكيفية لم يدع الإنسان عن نفسه ما يهلكه ولملك ومهما بقي أصل الشهوة يبقئ لا محالة حب المال الذي يوصله إلى الشهوة حتى يعمل ذلك على إمسالك المال وليس المطلوب إمالة ذلك بالكيفية بل المطلوب ردّها إلى الاعتدال الذي هو وسط بين الإفراط والتفريط والمطلوب في صفة الغضب حسن الحمية وذلك بأن يخلو عن التهور وعن الجبن جميعاً وبالجملة أن يكون في نفسه قويا ومع قوته متقاداً للعقل ولذلك قال الله تعالى - أشداه على الكفار رحماً بينهم - وصفهم بالشدّة وإنما تصدر الشدة عن الغضب ولو بطل الغضب لبطل الجهاد وكيف قصد قلع الشهوة والغضب بالكيفية والأنبياء عليهم السلام لم ينفكوا عن ذلك إذ قال صلى الله عليه وسلم «إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر»^(١) . «وكان إذا تكلم بين يديه بما يكره يغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول إلا حقا فكان لا يخرج غضبه عن الحق»^(٢) وقال تعالى - والكاذبين القبيظ والعافين عن الناس - ولم يقل والقاذبين القبيظ فرد الغضب والشهوة إلى حد الاعتدال بحيث لا يهين واحد منهما العقل ولا يغلبه بل يكون العقل هو الضابط لها والغالب عليهما

(١) حديث إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر م من حديث أنس وله من حديث أبي هريرة «إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر» (٢) حديث أنه كان يتكلم بين يديه بما يكره فيغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول إلا حقا فكان لا يخرج غضبه عن الحق الشيخان من حديث عبد الله بن الزبير في قصة شراح الحرة فقال لأن كان ابن عمك فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهما من حديث أبي سعيد الخدري وكان إذا كره شيئا عرفناه في وجهه لها من حديث عائشة وما اتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه إلا أن تنهك حرمة الله ولمسلم ما ينال منه شيء قط فينتقم من صاحبه الحديث .

دلوك في إناء أخيك»

وقال سعد بن

عبد الرحمن الزبيدي

يسجنى من القراء كل

سهل طلق مضحك .

فأما من تلقاه بالبشر

وبلقاك بالبوس كأنه

يعن عليك فلا أكثر

الله من القراء مثله ومن

أخلاق الصوفية السهولة

ولين الجانب والتزول

مع الناس إلى أخلاقهم

وطباعهم وترك

التصنف والتكلف

وقد روى في ذلك عن

رسول الله صلى الله

عليه وسلم أخبار

وأخلاق الصوفية

تحاكي أخلاق رسول

الله صلى الله عليه وسلم

وكان يقول عليه الصلاة

والسلام «أما إنى أمرح

ولا أقول إلا حقا» وروى

أن رجلا له زاهر

يمكن وهو المراد بتبشير الخلق فانه ربما تستولى الشهوة على الانسان بحيث لا يقوى عقله على دفعها على الانبساط إلى الفواحش وبالريضة تعود إلى حد الاعتدال فدل أن ذلك يمكن والتجربة بوقول الشاهدة تدل على ذلك دلالة لا شك فيها والذي يدل على أن المطلوب هو الوسط في الأخلاق دون الطرفين أن السخاء خاف محمود شرما وهو وسط بين طرفي التبذير والتقتير وقد أنشأ الله تعالى عليه فقال - والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما - وقال تعالى - ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط - وكذلك المطلوب في شهوة الطعام الاعتدال دون الشره والجود قال الله تعالى - سوكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب السفرفين - وقال في الغضب - أشداه على الكفار رحماء بينهم - وقال عليه السلام «خير الأمور أوسطها» (١) وهذا ليس وتحقيق وهو أن السعادة منوطه بسلامة القلب عن عوارض هذا العالم قال الله تعالى - إلامن آتى الله قلب سليم - واليخ من عوارض الدنيا والتبذير أيضا من عوارض الدنيا وشرط القلب أن يكون سليما منها أي لا يكون ملتفتا إلى اللال ولا يكون حريصا على إنفاقه ولا على إمساكه فان الحريص على الاتفاق مصروف القلب إلى الاتفاق كما أن الحريص على الامساك مصروف القلب إلى الامساك فكان كمال القلب أن يصفو عن الوصفين جميعا وإذا لم يكن ذلك في الدنيا طلبنا ماهو الأشبه لعدم الوصفين وأبعد عن الطرفين وهو الوسط فان الفاتر للاحار ولا بارد بل هو وسط بينهما فكأنه خال عن الوصفين فكذلك السخاء بين التبذير والتقتير والشجاعة بين الجبن والتهور والعفة بين الشره والجود وكذلك سائر الأخلاق فكلما طرفي الأمور ذميم هذا هو المطلوب وهو ممكن ، نعم يجب على الشيخ الرشد المرشد أن يبيع عنده الغضب رأسا ويذم إمساك المال رأسا ولا يرخس له في شيء منه لأنه لو رخص له في أدنى شيء أخذ ذلك عنرا في استيقاظ غلبه وغضبه وظن أن القدر الرخص فيه فاذا قصد قطع الأصل وبالغ فيه ولم يتيسر له إلا كسر سوره بحيث يعود إلى الاعتدال فالصواب له أن يقصد قلع الأصل حتى يتيسر له القدر للتصود فلا يشك هذا السر المرشد فانه موضع غرور الحق إذ يظن نفسه أن غضبه بحق وأن إمساكه بحق .

(بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق على الجملة)

قد عرف أن حسن الخلق يرجع إلى اعتدال قوة العقل وكال الحكمة وإلى اعتدال قوة الغضب والشهوة وكونها للعقل مطبوع وللشرع أيضا وهذا الاعتدال يحصل على وجهين : أحدهما يعود إلى على وكال فطري بحيث خلق الله الانسان وبولد كامل العقل حسن الخلق قد كفى سلطان الشهوة والغضب بل خلقنا معتدلين متقادين للعقل والشرع فيصير عالما بفنير تعليم ومؤدبا بفنير تأديب كميبي بن مرهم ويحي بن زكريا عليهما السلام وكذا سائر الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ولا يبعد أن يكون في الطبع والقطرة ما قد ينال بالاكتساب ومخالطة التخلقين بهذه الأخلاق وربما يحصل بالتعلم والوجه الثاني اكتساب هذه الأخلاق بالمجاهدة والريضة وأعلى به حمل النفس على الأعمال التي تقتضيها الخلق المطلوب فمن أراد مثلا أن يحصل لنفسه خلق الجود فطره أن يتكلف تعاطي فعل الجواد وهو بذل المال فلا يزال يطالب نفسه وبواجب عليه تكلفا بمجاهدة نفسه فيه حتى يصير ذلك طبيعا له ويتيسر عليه فيصير به جوادا وكذا من أراد أن يحصل لنفسه خلق التواضع وقد غلب عليه الكبر فطره أن يواظب على أفعال التواضعيين مدة مديدة وهو فيها بمجاهدة نفسه ويتكلف إلى أن يصير ذلك خلقا له وطبيعا فيتيسر عليه وجميع الأخلاق المحموده شرعا تحصل بهذا الطريق وغايته أن يصير القمل الصادر منه قديما فالسعي هو الذي يستل بذل اللال الذي يذله دون الذي يذله عن كراهة والتواضع هو الذي يستل التواضع ولن ترسخ (١) حديث خير الأمور أوسطها البيهقي في شعب الإيمان من رواية مطرف بن عبد الله مضلا .

ابن حرام وكان بدويا وكان لا يأتي إلى رسول الله إلا جاء بطرفة يهديها إلى رسول الله فجاء يوما من الأيام فوجده رسول الله في سوق المدينة يبيع سلعة له ولم يكن أتاه ذلك اليوم فاحتضنه النبي عليه السلام من ورائه بكفيه فالتفت فأبصر النبي عليه السلام قبل كفيه فقال النبي عليه السلام من يشتري العبد قال إذن تجدين كاسدا يارسول الله فقال ولكن عند الله ربيع ثم قال عليه السلام لكل أهل حضر بادية وآل محمد زاهر بن حرام .

وأخبرنا أبو زرعة طاهر بن الحافظ القدسي عن أبيه قال

الأخلاق الدينية في النفس مالم تعود النفس جميع العادات الحسنة ومالم تترك جميع الأفعال السيئة ومالم تواظب عليها مواظبة من يشاق إلى الأفعال الجليلة ويتعم بها ويكره الأفعال القبيحة وتبذلها كقَالَ صلى الله عليه وسلم « وجعلت قرة عيني في الصلاة ^(١) » ومهما كانت العبادات وتركها المحظورات مع كراهة واستقلال فهو نقصان ولا ينال كمال السعادة به ، نعم الواظبة عليها بالمجاهدة خير ولكن بالإضافة إلى تركها لا بالإضافة إلى فعلها عن طوع ولذلك قال الله تعالى - وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين - وقال صلى الله عليه وسلم « اعبد الله في الرضا فإن لم تستطع في الصبر على ما تكره خير كثير ^(٢) » ثم لا يمكن في نيل السعادة الموعودة على حسن الخلق استلذاذ الطاعة واستكراه النصية في زمان دون زمان بل ينبغي أن يكون ذلك على الدوام وفي جملة العمر وكلما كان العمر أطول كانت الفضيلة أرسخ وأكمل ولذلك « لما مثل صلى الله عليه وسلم عن السعادة فقال : طول المعرف في طاعة الله تعالى ^(٣) » ولذلك كره الأنبياء والأولياء الموت فإن الدنيا مزرعة الآخرة وكلما كانت العبادات أكثر بطول العمر كان الثواب أجزل والنفس أذكى وأطهر والأخلاق أقوى وأرسخ وإنما مقصود العبادات تأثيرها في القلب وإنما كذا تأثيرها بكرة للواظبة على العبادات وغاية هذه الأخلاق أن ينقطع عن النفس حب الدنيا ويرسخ فيها حب الله تعالى فلا يكون شيء أحب إليه من لقاء الله تعالى عز وجل فلا يستعمل جميع ماله إلا على الوجه الذي يوصله إليه وغضبه وشهوته من اللسخرات له فلا يستعملها إلا على الوجه الذي يوصله إلى الله تعالى وذلك بأن يكون موزونا يميز الشرع والعقل ثم يكون بعد ذلك فرحا بمستقله لا ولا ينبغي أن يستعبد مصير الصلاة إلى حد تصير هي قرة العين ومصير العبادات للبدنة فإن العادة تقتضي في النفس عجائب أغرب من ذلك فانا قد نرى للوكلو والنعمين في أحزان دائمة ونرى القمار للفلس قد دخل عليه من الفرح واللذة قماره وما هو فيه ما يستقل معه فرح الناس بغير قمار مع أن القمار بماسبه ماله وخرب بيتهم تركه مفسلا ومع ذلك فهو يحبه ويلتذ به وذلك لطول إقامته له وصرف نفسه إليه مدة وكذلك اللاعب بالحمام قد يقف طول النهار في حر الشمس قائما رجليه وهو يحس بألمها وفرحه بالطير وروحها وطيراتها وتحديقها في جو السماء بل نرى الفاجر البارد يتفخر بمقابلته من الضرب والقطع والصبر على السياطوط على أن يتقدم به للصلب وهو مع ذلك متبجح بنفسه ويقوته في الصبر على ذلك حتى يرى ذلك غفرا لنفسه ويقطع الواحد منهم إربا إربا على أن يمر بما تطاها أو تطاها غيره فيصير على الانتكار ولا يبالى بالعقوبات فرحا بما يستفد كالأشجاعة ورجولية قد صارت أحواله مع ما فيها من النكال قرة عينه وسبب افتخاره بل لاجالة أخس وأقبح من حال الخشث في تشبه بالاناث في تنف الشعر ووشم الوجه ومخالطة النساء قترى الخشث في فرج بحاله وافتخار بكأله في تخشع يتباهى به مع الخشث حتى يجري بين الحجابيين والكساكين التفاخر والبهادة كما يجري بين اللوكلو والنساء فكل ذلك نتيجة العادة والواظبة على نعت واحد على الدوام مدة مدبرة ومشاهدة ذلك في المخالطين والعارف فإذا كانت النفس بالعادة تستلذ الباطل وتجمل إليه وإلى القايح فكيف لا تستلذ الحق لو ردت إليه مدة والزمت الواظبة عليه بل بل في هذه الأمور الشقية خارج عن الطبع يضاهي الليل إلى أكل الطين قد يغلب على بعض الناس ذلك العادة ،

(١) حديث وجعلت قرة عيني في الصلاة ن من حديث أنس وقد تقدم (٢) حديث اعبد الله في الرضا فإن لم تستطع في الصبر على ما تكره خير كثير طب (٣) حديث سئل عن السعادة فقال طول العمر في عبادة الله رواء القضاة في مسند الشهاب وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف ولترمذي من حديث أن بكره وصححه أي الناس خير قاله من طالع عمره وحسن عمله.

أنا للطهر بن محمد
القبية قال أنا أبو
الحسن قال أنا أبو عمرو
ابن حكيم قال أنا
أبو أمية قال حدثنا
عبد بن إسحق الطار
قال ثنا سنان بن
هرون عن حميد عن
أنس قال « جاء رجل
إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال :
يا رسول الله احملني
على جبل فقال أحملك
على ابن الناقة قال أقول
لك احملني على جبل
وتقول أحملك على
ابن الناقة قال عليه
السلام فاجل ابن
الناقة « وروى صيب
قال « أئنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم
وبين يديه تمر يأكل
قال أصب من هذا
الطعام فجعلت آكل

فأما ميله إلى الحكمة وحب الله تعالى ومعرفة وعبادته فهو كالميل إلى الطعام والشراب فإنه مقتضى طبع القلب فإنه أمر رباني وميله إلى مقتضيات الشهوة غريب من ذاته وعارض على طبعه وإنما غذاء القلب الحكمة والمعرفة وحب الله عز وجل ولكن انصرف عن مقتضى طبعه لمرض قد حل به كما قد يعمل المرض بالمعدة فلا تشتهى الطعام والشراب وهما سببان لحياتها فكل قلب مال إلى حب شيء سوى الله تعالى فلا ينفك عن مرض به إلا إذا كان أحب ذلك الشيء لكونه معينا له حب الله تعالى وعلى دينه فنفذ ذلك لا بدل ذلك على المرض فإذا نفذت بهذا قطعان هذه الأخلاق الجلية يمكن اكتسابها إلى ياضه وهي تكلف الأفعال الصادرة عنها ابتداء لصير طبعها انتهاء وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح أعنى النفس والبدن فإن كل صفة تظهر في القلب يفيض أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك إلا على وقعها لا محالة وكل فعل يجري على الجوارح فإنه قد يرتفع منه أثر إلى القلب والأمر فيه دور ويصرف ذلك مثال وهو أن من أراد أن يصير الخلق في الكتابة له صفة تقسية حتى يصير كتابا بالطبع فلا طريق له إلا أن يتعاطى بمحارحة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق وبواجب عليه مدة طويلة يحاكي الخط الحسن فإن فعل الكاتب هو الخط الحسن فيتشبه بالكاتب تكلفا ثم لا يزال بواجب عليه حتى يصير صفة راسخة في نفسه فيصدر منه في الآخر الخط الحسن طبعاً كما كان يصدر منه في الابتداء تكلفاً فكان الخط الحسن هو الذي جعل خطه حسناً ولكن الأول بتكلف إلا أنه ارتفع منه أثر إلى القلب ثم انخفض من القلب إلى المحارحة فصار يكتب الخط الحسن بالطبع وكذلك من أراد أن يصير قلبه النفس فلا طريق له إلا أن يتعاطى أفعال القهواء وهو التكرار للفتنة حتى تمتص منه على قلبه صفة الفتنة فيصير قلبه النفس وكذلك من أراد أن يصير سخياً غريب النفس حلماً متواضعاً فيلزمه أن يتعاطى أفعال هؤلاء تكلفاً حتى يصير ذلك طبعاً له فلا علاج له إلا ذلك وكما أن طالب قه النفس لا يأس من نيل هذه الرتبة بتعطيل ليله ولا يبالغ بتكرار ليله فكذا طالب تزكية النفس وتكليفها وتخليتها بالأعمال الحسنة لا يبالغ بعبادة يوم ولا يجرم عنها بصيان يوم وهو معنى قولنا إن الكبرياء الواحدة لا توجب الشقاء المؤبد ولكن العطلة في يوم واحد تدعو إلى مثلها ثم تنداعى قليلاً قليلاً حتى تأتس النفس بالسكل وتتهجر التصديق رأساً فيفوتها فضيلة القه وكذلك صفائر المعاصي يجر بعضها إلى بعض حتى يفوت أصل السعادة بهدم أصل الإيمان عند الخاتمة وكما أن تكرار ليله لا يحس تأثيره في قه النفس بل يظهر قه النفس شيئاً فشيئاً على التدرج مثل نحو البدن وارتفاع القامة فكذا الطاعة الواحدة لا يحس تأثيرها في تزكية النفس وتطهيرها في الحال ولكن لا ينبغي أن يستهان بقليل الطاعة فإن الجملة الكبيرة منها مؤثرة وإنما اجتمعت الجملة من الأحاد فأسكل واحد منها تأثير فاسم طاعة لا أولها أثروا في قلبه بواجب لا محالة فإن الثواب بازاء الأثر وكذلك المعصية وكما من قبه يستهين بتعطيل يوم وليلة وهكذا على التوالى يوسف نفسه يوماً فوما إلى أن يخرج طبعه عن قول الفتنة فكذا من يستهين صفائر المعاصي ويوسف نفسه بالثوبة على التوالى إلى أن يخطئه اللوث بنته أو تتراكم ظلمة الذنوب على قلبه وتعتذر عليه التوبة إذ التليل يدعو إلى الكثير فيصير القلب مقيداً بسلاسل شهوات لا يمكن تخليصه من محالها وهو الخلق بالسناد باب التوبة وهو الراد بقوله تعالى - وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً - الآية ولذلك قال على رضى الله عنه : إن الإيمان ليبدو في القلب نكتة بيضاء كما ازداد الإيمان ازداد ذلك البياض فإذا استكمل العبد الإيمان أبيض القلب كله وإن النفاق ليبدو في القلب نكتة سوداء كلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد فإذا استكمل النفاق اسود القلب كله فإذا عرفت أن الأخلاق الحسنة تارة تكون بالبطع والفتنة وتارة تكون باعتياد الأفعال الجميلة وتارة بمشاهدة أرباب الصالحات الجميلة

من التمر فقال إنما كل وأنت رمد قلت إذن أمضغ من الجانب الآخر فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ذات يوم يا أبا الأذنين . وسئلت عائشة رضى الله عنها « كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خلا في البيت قالت كان ألين الناس بساما ضحاكاً وروثاً أيضاً « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقها فسبقت ثم سابقها بعد ذلك فسبقتها قال هذه بتلك . وأخبرنا الشيخ العالم أعلام الدين عبد الوهاب بن على قال أنا أبو الفتح المروى قال أنا أبو نصر

ومصاحبهم وهم قرناء الخير وإخوان الصلاح إذ الطبع يسرق من الطبع الشر والخير جميعا فمن
تظاهرت في حق الجهات الثلاث حتى صار ذا فضيلة طبا واعتادا وتلما فهو في غاية الفضيلة ومن
كان ردلا بالطبع وافق له قرناء السوء فعمل منهم وتيسر له أسباب الشر حتى اعتاده فهو في غاية
البد من الله عز وجل وبين المرتبتين من اختلفت فيه من هذه الجهات ولكل درجة في القرب
والبعد بحسب ما تخفى صفته وحاله - فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة
شرا يره .. وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون - .

(بيان فصيل الطريق إلى تهذيب الأخلاق)

قد عرفت من قبل أن الاعتدال في الأخلاق هو صحة النفس والليل عن الاعتدال سقم ومرض فيها
كما أن الاعتدال في مزاج البدن هو صحة له وللليل عن الاعتدال مرض فيه فلتتخذ البدن مثالا . فتقول
مثال النفس في علاجها بمحو الرذائل والأخلاق الرديئة عنها وجاب الفاضل والأخلاق الجيدة إليها مثال
البدن في علاجها بمحو العال عنه وكسب الصحة له وجلبها إليه وكما أن الغالب على أصل المزاج الاعتدال
وإنما تفتري للمدة الضرر بواضع الأغذية والأهوية والأحوال فكذلك كل مولود يولد معتدلا
صحيح الفطرة وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه أي بالاعتدال والتعليم تتكسب الرذائل
وكما أن البدن في الابداء لا يخلق كاملا وإنما يكمل ويقوى بالشوق والتربية بالغذاء فكذلك النفس
تخلق ناقصة قابلة للتكامل وإنما تكمل بالتربية وتهذيب الأخلاق والتغذية بالملم وكما أن البدن إن كان
صحيا فشأن الطبيب تهذيب القانون الحافظ للصحة وإن كان مريضا فشأنه جلب الصحة إليه فكذلك
النفس منك إن كانت زكية طاهرة مهذبة فينبغي أن تسعى لحفظها وجلب مزيد قوة إليها واكتساب
زيادة صفاتها وإن كانت عدية الكلال والصفاء فينبغي أن تسعى لجلب ذلك إليها وكما أن الله النيرة
لاعتدال البدن الملوحة للرض لا تهالج إلا بصحتها فإن كانت من حرارة في البرودة وإن كانت من برودة
في الحرارة فكذلك الرذيلة التي هي مرض القلب علاجها بضدها فيعالج مرض الجبل بالتمل ومرض
البخل بالتسخي ومرض الكبر بالتواضع ومرض الشره بالكف عن الشئ وكما أنه لا بد من
الاحتياط لمراعاة الدواء وشدة الصبر عن الشهوات للعلاج الأبدان للريضة فكذلك لا بد من احتياط لمراعاة
المجاهدة والصبر لمداواة مرض القلب بل أولى فإن مرض البدن يخلص منه بالموت ومرض القلب
والعباد بالله تعالى مرض يدمر بدلاوت أباد الآباد وكما أن كل مبرد لا يصلح لعله سبها الحرارة إلا إذا
كان على حد مخصوص ويختلف ذلك بالشدة والضعف والدوام وعدمه بالكثرة والقلة ولا بد له من
مقياس يعرف به مقدار النافع منه فانه إن لم يحفظ مقياسه زاد الفساد فكذلك التقاض التي تتعالي بها
الأخلاق لا بد لها من مقياس وكما أن مقياس الدواء مأخوذ من غير العلة حتى إن الطبيب لا يبالغ مالم يعرف
أن العلة من حرارة أو برودة فإن كانت من حرارة فيعرف درجتها أي شدة أم قوة فإذا عرف
ذلك التفت إلى أحوال البدن وأحوال الزمان وصناعة المريض وسائر أحواله ثم يبالغ بمحبة فكذلك
الشيخ للتبوع الذي يطيب قوس للريدين ويبالغ قلوب للشرعدين فينبغي أن لا يجمع عليهم بالريضة
والتكاليف في فن مخصوص وفي طريق مخصوص مالم يعرف أخلاقهم وأمراضهم وكما أن الطبيب
لوعالج جميع الرضى يبالغ واحد قتل أكثرهم فكذلك الشيخ لو أشار على الريدين بنعط واحد من
الريضة أمهلكم وأما قلوبهم بل ينبغي أن ينظر في مرض الريد وفي حاله وسنه وزاجه وما عتله
بنته من الريضة وينبى على ذلك رباطه فن كان الريد مبتدئا جاهلا بحدود الشرع فيله أولا
الطهارة والصلاة وظواهر العبادات وإن كان مشغولا بجمال حرام أو متعارفا لمصية فأمره أولا بتركها

الترقي قال أنا

أبو محمد الجراحي

قال أنا أبو العباس

المجسوبي قال أنا

أبو عيسى الحافظ

الترمذي قال أنا

عبد الله بن الوضاح

الكوفي قال أنا

عبد الله بن إدريس

عن شعبة عن أبي

التياب عن أنس رضي

الله عنه قال إن كان

رسول الله صلى الله

عليه وسلم ليخاطبنا

حتى إنه كان يقول

لأخ لي صغير يا أعمير

ما نمل الغيرة والغيرة

عصفور صغير . وروى

أن عمر سابق زهرا

رضي الله عنها فسبته

الزير فقال : سبتك

ورب الكلبة تهمة

مرة أخرى فسبته عمر

فقال عمر : سبتك

فإذا تزين ظاهره بالمباديات وطهر عن المعاصي الظاهرة جوارحه فليتنظر إلى باطنه ليتنظن لأخلاته وأمراض قلبه فإن رأى معه مالا فاسلا عن قدر ضرورته أخذ منه وصرفه إلى الخيرات وفرغ قلبه منه حتى لا يلتفت إليه وإن رأى الرعونة والكبر وعزة النفس غالبية عليه فيأمره أن يخرج إلى الأسواق للكدية والسؤال فإن عزة النفس والرياسة لا تتكسر إلا بالقلد ولذا لأعظم من ذل السؤال فيكلفه الواظبة على ذلك عدة حتى يتكسر كبره وعز نفسه فلن الكبر من الأمراض المهلكة وكذلك الرعونة وإن رأى الثالب عليه النظافة في البدن والثياب ورأى قلبه مائلا إلى ذلك فرحاه بملفتنا إليه استخدمه في تمديد بيت الماء وتنظيفه وكس اللوامع القذرة وملزمة الطبخ ومواسع الدخان حتى تتشوش عليه رعونته في النظافة فإن الدين ينظفون ثيابهم وزيئونها ويطلبون للرفعات النظيفة والسجادات الملونة لافرق بينهم وبين العروس التي تزين نفسها طول النهار فلا فرق بين أن يبد الإنسان نفسه أو يجد ضايفها عبد غير الله تعالى قد حجب عن الله ومن راعى في ثوبه شيئا سوى كونه حلالا وطاهرا مراعاة بلفت إليها قلبه فهو مشغول بنفسه ومن لطائف الرياضة إذا كان للريد لا يسوغ بترك الرعونة رأسا أو بترك صفة أخرى ولم يسمح بضدها دفعة فينبغي أن يتعلم من الحق للمذموم إلى خلق مذموم آخر أخف منه كالتى يسل الدم بالبول ثم يسل البول بالماء إذا كان الماء لا يزيل الدم كما يرغب الصبي في الكذب باللعب بالكرة والصولجان وما أشبه ثم ينقل من اللعب إلى الزينة وفاخر الثياب ثم ينقل من ذلك بالترغيب في الرياضة وطلب الجاه ثم ينقل من الجاه بالترغيب في الآخرة فكذلك من لم تسمح نفسه بترك الجاه دفعة فليقل إلى جاء أخف منه وكذلك سائر الصفات وكذلك إذا رأى شره الطعام غالباً عليه ألزمه الصوم وتقليل الطعام ثم يكلفه أن يهيئ الأطعمة اللذيذة ويقدمها إلى غيره وهو لا يأكل منها حتى يقوى بذلك نفسه فيتعود الصبر ويتكسر شرهه وكذلك إذا رآه شاباً متشوقاً إلى التكاثر وهو عاجز عن الطول فيأمره بالصوم وربما لاتسكن شهوته بذلك فيأمره أن يضطر ليلة على الماء دون الحزب و ليلة على الحزب دون الماء وينعم اللحم والأدم رأساً حتى تتدل نفسه وتتكسر شهوته فلا علاج في مبدأ الإرادة أشنع من الجوع وإن رأى الغضب غالباً عليه ألزمه الحلم والساكوت وسلط عليه من يصحبه ممن فيه سوء خلق ويلزمه خدمة من ساء خلقه حتى يعز نفسه على الاحتمال معه كالحكي عن بعضهم أنه كان يهود نفسه الحلم ويؤزل عن نفسه شدة الغضب فكان يستأجر من يشتمه على ملأ من الناس ويكلف نفسه الصبر ويكظم غيظه حتى صار الحلم عادة له بحيث كان يضرب به للكل وبعضهم كان يستشعر في نفسه الجبن وضمف القلب فأراد أن يحصل لنفسه خلق الشجاعة فكان يركب البحر في الشتاء عند اضطراب الأمواج وعباد الهند يمارسون الكسل عن العبادة بالقيام طول الليل على نضبة واحدة وبعض الشيوخ في ابتداء إرادته كان يكسل عن القيام فأنزم نفسه القيام على رأسه طول الليل ليسمع بالقيام على الرجل عن طوع وعالج بعضهم حب النال بأن باع جميع ماله ورمى به في البحر إذ خاف من فقره حتى الناس رعونة الجود والرياء بالبذل فهذه الأمثلة تعرفك طريق معالجة القلوب وليس غرضنا ذكر دواء كل مرض فإن ذلك سيأتي في بقية الكتب وإنما غرضنا الآن التنبيه على أن الطريق السلكي فيه سلوك مسلك الضادة لكل ما هو النفس وتميل إليه وقد جزم الله ذلك كله في كتابه العزيز في كلمة واحدة فقال تعالى - وأما من حاف مقام ربه وهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى - والأمر لله في المجاهدة الوفاء بالعزم وأداعى عن ترك شهوة قد تيسرت أسبابها ويكون ذلك ابتلاء من الله تعالى واختباراً فينبغي أن يصبر ويستمر قامه إن عود نفسه ترك العزم ألقت ذلك فصعدت وإذا انفق منه قرض عزم

ورب الكعبة وروى
عبد الله بن عباس
قال قال لى عمر تعالى
أنافسك فى الماء أينا
أطول نفساً ونحن
محمرون . وروى
بكر بن عبد الله قال
كان أصحاب رسول
الله صلى الله عليه
وسلم يتنازعون حتى
يتبادحون بالبطيخ
فاذا كانت الحقائق
كانوا هم الرجال يقال
يدح يدح إذا رمى
أى يترامون بالبطيخ
وأخبرنا أبو زرعة
عن أبيه قال أنا الحسن
ابن أحمد الكرخي
قال ثنا أبو طالب
محمد بن محمد بن
إبراهيم قال ثنا
أبو بكر محمد بن محمد
ابن عبد الله قال حدثني
إسحاق الحربي قال ثنا

فينبغي أن يلزم نفسه عقوبة عليه كما ذكرناه في معاناة النفس في كتاب الحامسة والرقابة وإذا لم يخوف النفس بقوبة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة فتفسد بها الرياضة بالكيفية .

(بيان علامات أمراض القلوب وعلامات عودها إلى الصحة)

اعلم أن كل عضو من أعضاء البدن خلق للفعل خاص به وإنما مرضه أن يتدنر عليه فله الذي خلق له حتى لا يصدر منه أصلاً أو يصدر منه مع نوع من الاضطراب لمرض البدن يتدنر عليها البطش ومرض العين أن يتدنر عليها الإبصار وكذلك مرض القلب أن يتدنر عليه فله الخاص به الذي خلق لأجله وهو العلم والحكمة والمعرفة وحسب الله تعالى وعبادته والتلذذ بذكره وإيثاره ذلك على كل شهوة سواه والامتانة بجميع الشهوات والأعضاء عليه قال الله تعالى - وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون - ففي كل عضو فائدة وفائدة القلب الحكمة والمعرفة وخاصة النفس التي لا تدنى ما يتميز بها عن البهائم فانه لم يتميز عنها بالقوة على الأكل والشوق والإبصار وغيرها بل بعمرة الأشياء على ما هي عليه وأصل الأشياء وموجدتها ومعتزها هو الله عز وجل الذي جعلها أشياء فلو عرف كل شيء ولم يعرف الله عز وجل فكأنه لم يعرف شيئاً وعلامة للمعرفة المحبة فمن عرف الله تعالى أحبه وعلامة المحبة أن لا يؤثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات كما قال الله تعالى - قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم - إلى قوله - أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله ترصوا حتى يأتي الله بأمره - فمن عنده شيء أحب إليه من الله فقلبه مريض كما أن كل معدة صار الطين أحب إليها من الخبز وللماء أو سقطت شهوتها عن الخبز وللماء فهي مريضة فهذه علامات المرض وبهذا يعرف أن القلوب كلها مريضة إلا ما شاء الله إلا أن من الأمراض ما لا يعرفها أصحابها ومرض القلب مما لا يعرفه صاحبه فذلك يفضل عنه وإن عرفه صب عليه الصبر على مرارة دوائه فإن دواءه مخالفة للشهوات وهو نزع الروح فان وجد من نفسه قوة الصبر عليه لم يجد طبيباً حاذقاً يعالجه فان الأطباء المماء وقد استولى عليهم المرض فالطبيب للمريض قلما يلتفت إلى علاجه فلهذا صار الداء عضالاً والمرض مزمناً واندرس هذا العلم وأنكر بالكيفية طب القلوب وأنكر مرضها وأقبل الخلق على حب الدنيا وعلى أعمال ظاهرها عبادات وباطنها عادات ومراآت فهذه علامات أصول الأمراض وأما علامات عودها إلى الصحة بعد للعلاج فهو أن ينظر في العلة التي يعالجها فان كان يعالج الداء البخل فهو للهالك للبدن عن الله عز وجل وإنما علاجه يذل المال وإغناقه ولكنه قد يذل المال إلى حد يصير به مبذراً فيكون التبذير أيضاً داء فكان كمن يعالج البرودة بالحرارة حتى تغلب الحرارة فهو أيضاً داء بل للطولوب الاعتدال بين الحرارة والبرودة وكذلك للطولوب الاعتدال بين التبذير والتقتير حتى يكون على الوسط وفي غاية البدن عن الطرفين فان أدت أن تعرف الوسط فانظر إلى القمل الذي يوجبه الخلق المهدور فان كان أسهل عليك وألذ من الذي يضاهه فالتألب عليك ذلك الخلق للوجوب له مثل أن يكون إسماك لئال وجهه ألد عندك وأيسر عليك من بذله لمستحقه فاعلم أن الغالب عليك خلق البخل فزد في الواظبة على البذل فان صار البذل على غير المستحق ألد عندك وأخف عليك من الاسماك بالخلق قد غلب عليك التبذير فارجع إلى الواظبة على الاسماك فلا تزال تراقب نفسك وتستدل على خلقك بفسير الأفعال وتسيرها حتى تنقطع علاقة قلبك عن الالتفات إلى المال فلا تميل إلى بذله ولا إلى إسمأك بل يصير عندك كالماء فلا تطلب فيه إلا إسمأك لحاجة محتاج أو بذله لحاجة محتاج ولا يرجع عندك البذل على الاسماك فكل قلب صار كذلك قد آن الله سلباً عن هذا التمام خاصة ويجب أن يكون سلباً عن سائر الأخلاق حتى لا يكون له علاقة بشيء مما يتعلق

أبو سلمة قال تباحثنا
ابن خالد قال أنا محمد بن
عمرو بن علقمة قال ثنا
أبو الحسن بن عيص
الشي عن يحيى بن
عبد الرحمن بن ساطب
ابن أن بلعة قال إن
عائشة رضى الله عنها
قالت وأتيت النبي صلى
الله عليه وسلم بحبرة
طبختها لوقلت لسودة
والتي صلى الله عليه
وسلم بيني وبينها كلى
فأبقت قتلها لكلى
فأبقت قتلها لكلى
أو لأطعن بها وجهك
فأبقت فوضعت يدي
في الحريرة فاططخت بها
وجهها فضحك النبي
صلى الله عليه وسلم
فوضع غصنه وقال
لسودة الطعن وجهها
فلطخت بها وجهي
فضحك النبي صلى الله

بالدنيا حتى ترخّل النفس عن الدنيا منقطعة العلائق منها غير ملتفة إليها ولا منشوقة إلى أسبابها فند ذلك ترجع إلى ربها رجوع النفس للطمعة راضية مرضية داخلة في زمرة عباد الله القربين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . ولما كان الوسط الحقيقى بين الطرفين في غاية التعموض بل هو أدق من الشعر وأحد من السيف فلا جرم يؤمن استوى على هذا الصراط للمستقيم في الدنيا جاز على مثل هذا الصراط في الآخرة وقلم يترك البعد عن ميل عن الصراط للمستقيم أعنى الوسط حتى لا يميل إلى أحد الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب الذى مال إليه ولذلك لا يترك عن عذاب ما واجتياز على النار وإن كان مثل البرق قال الله تعالى - وإن منكم إلا وإرادها كان على ربك حتما مقضيا . ثم تنجى الذين اتقوا - أى الذين كان قهرهم إلى الصراط المستقيم أكثر من بدمهم عنه ولأجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد أن يدعو الله تعالى في كل يوم سبع عشرة مرة في قوله - اهدنا الصراط المستقيم - إذ وجب قراءة القافحة في كل ركعة فقد روى أن بعضهم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال قد قلت يا رسول الله شيئى هود فلم قلت ذلك ؟ فقال عليه السلام قوله تعالى - فاستقم كما أمرت - فالاستقامة على سواء السبيل في غاية التعموض ولكن ينبغي أن يجتهد الإنسان في القرب من الاستقامة إن لم يقدر على حقيقتها فكل من أراد النجاة فلا نجاة له إلا بالعمل الصالح ولا تصدر الأعمال الصالحة إلا عن الأخلاق الحسنة فليتقّد كل عبد صفاته وأخلاقه وليعددها وليشتغل بعلاج واحد واحد فيها على الترتيب . فنسأل الله الكريم أن يجعلنا من التقيين .

(بيان الطريق الذى يعرف به الإنسان عيوب نفسه)

اعلم أن الله عز وجل إذا أراد بعد خيرا بصره بعيوب نفسه فمن كانت بصيرته نافذة لم تخف عليه عيوبه فاذا عرف العيوب أمكنه العلاج ولكن أكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم يرى أحدم القضى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه فمن أراد أن يعرف عيوب نفسه فله أربعة طرق: الأول أن يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه في نفسه ويتبع إشارته في مجاهدته وهذا شأن الريد نفع شيخه والتلميذ مع أستاذه فيعرف أستاذوه وشيخه عيوب نفسه ويعرف طريق علاجه وهذا قد عز في هذا الزمان وجوده . الثانى أن يطلب صديقا صدوقا بصيرا متدينا فنضبه رقيقا على نفسه ليلاحظ أحواله وأفعاله فمساكره من أخلاقه وأفعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبيه عليه فيذكرها كان يقول الأكراس والأكار من أئمة الدين . كان عمر رضى الله عنه يقول : رحم الله امرأ أهدى إلى عيوبى وكان يسأل سلمان عن عيوبه فلما قدم عليه قال له مالذى بلغك عنى مما تسكره فاستمعى فأخبر عليه فقال بلغنى أنك جمعت بين إدامين على مائدة وأن لك حاتنين حلة بالثار وحلة بالليل قال وهل بلغك غير هذا ؟ قال لا فقال أما هذان فقد كتبتكما وكان يسأل حذيفة ويقول له أنت صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين فهل ترى على شيئا من آثار النفاق فهو على جلالة قدره وعلو منصبه هكذا كانت تهمة لنفسه رضى الله عنه فكل من كان أوفر عقلا وأعلى منصبا كان أقل إعجابا وأعظم اتهاما لنفسه إلا أن هذا أيضا قد عز قتل في الأصدقاء من يترك المداينة فيجبر باليب أو يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب فلا تخلو في أصدقاتك عن حدود أو صاحب غرض يرى ما ليس بيب عيا أو عن مدامن يخفى عنك بعض عيوبك ولهذا كان داود الطائى قد اعزل الناس قتيلا لم لا تخطئ الناس ؟ وقال وماذا أصنع بأقوام يخفون عنى عيوبى فكانت شهوة دوى الدين أن يتنبهوا لعيوبهم ينبيه غيرهم

عليه وسلم فمر عمر رضى الله عنه على الباب فنادى يا عبد الله يا عبد الله فظن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سيدخل فقال قوما فأغسلا وجهك كقالت عائشة رضى الله عنها فما زلت أهاب عمر لهية رسول الله صلى الله عليه وسلم ياه ووصف بعضهم ابن طائوس فقال كان مع الصبي صيا ومع الكهل كهل وكان فيه مزاحه إذا خلا . وروى معاوية بن عبد الكريم قال كنا ننذاكر الشعر عند محمد بن سيرين وكان يقول ونمزج عنده ويمازحنا وكان يخرج من عنده ونحن نهضحك وكان إذا دخلنا

وقد آل الأمر في أمثالنا إلى أن أبغض الخلق إلينا من ينصحا ويرفقا عيوبنا ويكاد هذا أن يكون منصحا عن ضعف الإيمان فإن الأخلاق السيئة حيات وعقارب لصاعقة فلو نهينا منه على أن تحت ثوبنا عقربا لتقدمنا منه منة رفرحنا به واشتغلنا بأزالة العقرب وإبادةها وتلتها وإبما نكسيتها على البدن ويدوم ألها يوما لما دونه ونكسية الأخلاق الرديئة على صمم القلب أخصى أن تدوم بعد للوث أبدأ أو آلافا من السنين ثم إنا لا نخرج من يهينا عليها ولا نشغل بازالتها بل نشغل بمقابلة الناسج بثل مقاتله فتقول له وأنت أيضا تصنع كيت وكيت وتشغلنا العداوة معك عن الانتفاع بنصحه ويشبه أن يكون ذلك من قساوة القلب التي أثمرتها كثرة الذنوب وأصل كل ذلك ضعف الإيمان فنبأ الله عز وجل أن يلهمنا رشدنا ويصيرنا عبيونا ويشغلنا بمداوتها ويوقنا للقيام بشكر من يطلنا على مساوينا بمنه وفضله . الطريق الثالث : أن يستفيد معرفة عيوب نفسه من السنة أعدائه فان عين السخط تبدي المساويا ، ولعل انتفاع الإنسان بدو مشاحن يذكره عيوبه أكثر من انتفاعه بصديق مدهان يثني عليه ويمدحه وغنى عنه عيوبه إلا أن الطبع يعول على تكذيب الدمو وحمل ما يؤوله على الحمد ولكن البصير لا يغلو عن الانتفاع بقول أعدائه فان مساويه لا بد وأن تنتشر على ألسنتهم . الطريق الرابع : أن غلط الناس فكل مارآه مذموما فيها بين الحاق فليطالب نفسه به وينسبها إليه فان المؤمن مرآة المؤمن فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم أن الطباع متقاربة في اتباع الحمى لما ينصف به واحد من الأقران لا ينفك القرن الآخر عن أسله أو عن أعظم منه أو عن شيء منه فليفتقد نفسه وبطهرها من كل ما يذمه من غيره وناهيك بهذا تأنيبا فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن اللؤب . قيل لعيسى عليه السلام من أوبك ؟ قال ما أدبني أحد رأيت جهل الجاهل شيئا فاجتنبته وهذا كله جل من قد شينا عارفا ذكيا بصيرا يبيوب النفس مشفقا ناهما في الدين فارغا من تهذيب نفسه مشغلا بتهذيب عباد الله تعالى ناهما لهم فن وجد ذلك قد وجد الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه وينجي من الهلاك الذي هو بسده .

(بيان شواهد النقل من أرباب البصائر وشواهد الشرع على أن الطريق في معالجة

أمراض القلوب ترك الشهوات وأن مادة أمراضها هي اتباع الشهوات)

اعلم أن ما ذكرناه إن تأملته بعين الاعتبار افتتحت بعيرتك وانكشفت لك علل القلوب وأمراضها وأدويتها بخور العلم واليقين فان هجرت عن ذلك فلا ينبغي أن يفوتك التصديق والإيمان على سبيل التلقي والتقليد لمن يستحق التقليد فان للإيمان درجة كما أن للعلم درجة والعلم يحصل بعد الإيمان وهو وراءه قال الله تعالى - رفع الله الدين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجة - فمن صدق بأن مخالفة الشهوات هي الطريق إلى الله عز وجل ولم يطلع على سببه وسره فهو من الذين آمنوا وإذا اطعم لي ما ذكرناه من أعوان الشهوات فهو من الذين أوتوا العلم وكلا وعد الله الحسنى والذي يقتضى الإيمان بهذا الأمر في القرآن والسنة وأقوال العلماء أكثر من أن يحصر قال الله تعالى - ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى - وقال تعالى - أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى - قيل تزعم مناهجة الشهوات وقال صلى الله عليه وسلم «للمؤمن بين خمس شئائد : مؤمن بمحمد ومنافق يفضله وكافر يقاتله وشيطان يضله ونفس تنازعه» (١) «دين أن النفس عدو متنازع يحب عليه مجاهدتها .

(١) حديث للمؤمن بين خمس شئائد : مؤمن بمحمد ومنافق يفضله الحديث أبو بكر بن لا في مكارم الأخلاق من حديث أنس بسند ضعيف .

على الحسن تخرج من
عنده ونحن نكاد
ننسى نهذه الأخبار
والآثار دالة على حسن
لبن الجانب وصحة حال
الصوفية وحسن
أخلاقهم فلما يسمدونه
من للدابة في الربط
وينزلون مع الناس
على حسب طباعهم
لنظرم إلى سمة رحمة الله
فاذا خاوا وقوا وقوا
الرجال واكتسوا
ملابس الأعمال
والأحوال ولا يقف في
هذا الفن على حد
الاعتدال إلا صوفى
قاهر للنفس عالم
بأخلاقها وطباعها
سائل لها بوفور العلم
يقف في ذلك على
صراط الاعتدال بين
الإفراط والتفريط

وروى أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام داود حذروا نذر أصحابك أكل الشهوات فإن القلوب للشهوة الشهوات الدنيا عقولها على محبوبة وقال عيسى عليه السلام طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لم يعود غائب لم يره وقال نبينا ﷺ لقوم قدموا من الجهاد «مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الأسفر إلى الجهاد الأكبر قيل يا رسول الله وما الجهاد الأكبر قال جهاد النفس» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله عز وجل» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «كف أذاك عن نفسك ولا تابع هواها في مصيبة الله تعالى إذ نكح نفسك يوم القيامة فيلزم بفسادك بعضا إلا أن يضرب الله تعالى ويستر» (٣) وقال سفيان الثوري ما عالج شيئا أشد على من نفسه مرة لى ومرة على وكان أبو العباس الوصلى يقول لنفسه يا نفس لا في التنازع أبناء للوك تقممين ولا في طلب الآخرة مع العباد تجهدين كأن بك بين الجنة والنار تحبين يا نفس الاستحباب وقال الحسن ماله الجاهل الجوع بأجور إلى الجاهل الشديد من نفسك وقال يحيى بن معاذ الرازي جاهد نفسك بأسيا في الرياضة والرياضة على أربعة أوجه القوة من الطعام والتمنع من اللام والحاجة من السلام وحمل الأذى من جميع الأنام فيقول لمن قلة الطعام موت الشهوات ومن قلة اللام صفو الإرادات ومن قلة السلام السلامة من الآفات ومن احتال الأذى البلوغ إلى الغايات وليس على البدن شيء ما خدمت الحلم عند الجفاء والصبر على الأذى وإذا تحركت من النفس إرادة الشهوات والآنام وهاجت منها حلالة فضول السلام جردت عليها صوف قلة الطعام من غير التجدد وقلة اللام وضربها بأيدي الخمول وقلة الكلام حتى تنقطع عن الظلم والانتماء فأن من يواتها من بين سائر الأنام وتمضيها من ظلمة شهواتها تنجو من عوائل آفاتنا تصير عند ذلك نظيفة ونورية خفيفة روحانية فتجول في ميدان الحريات وتسير في مسالك الطاعات كالفرس الفاره في الميدان وكذلك التنزه في البستان وقال أيضا أعداء الانسان ثلاثة دنياه ويطعانه وقصه فاحترس من الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان بخالفته ومن النفس بترك الشهوات وقال بعض الحكماء من استولت عليه النفس صار أسيرا في حب شهواتها محصورا في سجن هواها مقهورا مغلولاً زمامه في بدنها تجر حيث شاءت تخضع قلبه من الفوائد وقال جعفر بن حميد أجمت النساء والحكماء على أن النعيم لا يدرك إلا بترك النعيم قال أبو يحيى الوراق من أرض الجوارح بالشهوات قد غرس في قلبه شجر الندامات وقال وهيب بن الورد ما زاد على الحزب فهو شهوة وقال أيضا من أحب شهوات الدنيا فليترأ للذل . وروى أن امرأة العزيز قالت ليوסף عليه السلام يبدآن ملك خزائن الأرض وقصدت له على راية الطريق في يوم موكبها وكان يركب في زهاء اثني عشر ألفا من عظماء ملكه تسبعان من جمل الملوك عبيد بالمصيبة وجمل العبيد ملوكا بطاعتهم له إن الحرم والشهوة صيرا الملوك عبيدا وذلك جزاء المفسدين وإن الصبر والتقوى صيرا العبيد ملوكا فقال يوسف كما أخبر الله تعالى عنه - إنهم يتقون ويصبرون فإن الله لا يضيع أجر المحسنين - وقال الجنيد أرقت ليلة قمت إلى وردى فلم أجد الحلوة التي كنت أجدتها فأردت أن أنام فلم أقدر فجلست فلم أطلق المجلس فخرجت فإذا رجل ملتصق بعبادة مطروح على الطريق فلما أحس بي قال يا أبا القاسم إلى الساعة قتلت يا سيدي من غير موعد فقال بي سألت الله عز وجل أن يحرك لي قلبك فقلت قد فعل فما حاجتك قال فحق بصير داء النفس دواءها قلت إذا خالفت النفس

ولا جلع الاكثار من ذلك للبردين للتدبير لقله عليهم ومعرفتهم بالنفس وتعددهم حد الاعتدال قللنفس في هذه المواطن فضات ووثبات تخرج إلى الفساد وتخرج إلى العناد فالزول إلى طبع الناس يحسن بن سعد عنهم وترقى لعل حاله ومقامه فيزول إليهم وإلى طبعهم حين يزول بالعلم فأما من لم يصعد بصفاء حاله عنهم وفيه بقية مزج من طبعهم وهو سيم الجماعة الأمارة بالسوء إذا دخلت في هذه للداخل أخذت النفس حظها واغتنمت ما ربحها واستروححت إلى الرخصة والزول إلى الرخصة يحسن لمن يركب

- (١) حديث مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الأسفر إلى الجهاد الأكبر البيهقي في الزهد وقد تقدم في شرح محباب القلب (٢) حديث المجاهد من جاهد نفسه في أنيابه حديث وصحه وه من حديث فضالة بن عبيد (٣) حديث كف أذاك عن نفسك ولا تابع هواها في مصيبة الله المحببت لم أجبه بهذا السياق .

هو أقبال على نفسه فقال اسمي فقد أجبك بهذا سبع مرات فأبيت أن تسميه إلا من الجنبها ما قد سميت به ثم انصرف وما عرفه . وقال يزيد الرقاشي إليكم على الماء البارد في الدنيا لئلا تحرمه في الآخرة . وقال رجل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى متى أنكم قال إذا اشتيت الصمت قال متى أصمت قال إذا اشتيت السلام . وقال علي رضي الله عنه من اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات في الدنيا . وكان مالك بن دينار يطوف في السوق فإذا رأى الشيء يشتهيه قال لنفسه اصبري فوالله ما امتنع إلا من كرامتك علي ، فاذن قد اتفق العلماء والحكماء على أن لا طريق إلى سعادة الآخرة إلا بنبه النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات بالإيمان بهذا واجب . وأما عمل تفصيل ما يترك من الشهوات وما يترك لا يدرك إلا بما قدمناه . وحاصل الرياضة وسرها أن لا تمتنع النفس بشيء مما لا يوجد في القبر لا بقدر الضرورة فيكون مقتصرًا من الأكل والنساج واللباس والسكن وكل ما هو مضطر إليه على قدر الحاجة والضرورة فإنه لو تمتع بشيء منه أنس به وآله فإذا مات تخلى الرجوع إلى الدنيا بسببه ولا يخفى الرجوع إلى الدنيا إلا من لاحظ له في الآخرة بحال ولا خلاص منه إلا بأن يكون القلب مشغولاً بعمرة الله وجهه والتفكير به والاعتطاع إليه ولا قوة على ذلك إلا بالله ويقتصر من الدنيا على ما يدفع عوائق الذكر والتفكير قط فمن لم يقدر على حقيقة ذلك فليقرب منه والناس فيه أربعة : رجل يستغرق قلبه بذكر الله فلا يلتفت إلى الدنيا إلا في ضرورات اللبشة فهو من الصديقين ولا يتنهي إلى هذه الرتبة إلا بالرياضة الطويلة والصبر عن الشهوات مدة مديدة . الثاني رجل استغرق الدنيا قلبه ولم يبق له تعالى ذكر في قلبه إلا من حيث حديث النفس حيث يذكره باللسان لا بالقلب فهذا من المالكين . والثالث رجل اشتغل بالدنيا والدين ولكن القلب على قلبه هو الدين فهذا لا بد له من ورود النار إلا لأنه ينجو منها سريعاً بقدر غلبة ذكر الله تعالى على قلبه . والرابع رجل اشتغل بهما جميعاً لكن الدنيا أغلب على قلبه فهذا يطول مقامه في النار لكن يخرج منها لاهالة لقوة ذكر الله تعالى في قلبه وتسكته من صميم قواده وإن كان ذكر الدنيا أغلب على قلبه ، اللهم إنا نعوذ بك من خزيك فإني أنت لماذا وربما يقول القائل إن التمس بالمباح مباح فكيف يكون التمس سبب البعد من الله عز وجل وهذا خيال ضئيف بل حب الدنيا رأس كل خطيئة وسبب إبطاء كل حسنة واللباح الخارج عن قدر الحاجة أيضاً من الدنيا وهو سبب البعد وسيأتي ذلك في كتابهم الدنيا . وقد قال إبراهيم الخواص كنت مرة في جبل السكام فرأيت رماناً فاشتيتي فأخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فضيت وتركها فرأيت رماناً مطروحاً وقد اجتمعت عليه الأثرانير قلت السلام عليك قال وعليك السلام يا إبراهيم قلت كيف برقتي فقال من عرف الله عز وجل لم يخف عليه شيء قلت أرى لك حلال مع الله عز وجل فلو سأله أن يحبيك من هذه الأثرانير فقال وأرى لك حلال مع الله تعالى فلو سأله أن يحبيك من شهوة الرمان فإن نفع الرمان يجداً الإنسان أنه في الآخرة ولعمري الأثرانير يجداً له في الدنيا وتركته ومضيت . وقال السري أمانتني أربعين سنة تطالبي حتى أن أغشى خيرة في ديبى لها أطعمتها فاذن لا يمكن إصلاح القلب لسلك طريق الآخرة ما لم يمنع هسه عن التمس بالمباح فإن النفس إذا لم تمنع بعض الباحات طعمت في المحظورات فمن أراد حفظ لسانه عن النية والفصول خلقه أن يلزمه السكوت إلا عن ذكر الله وإلا عن الهمات في الدين حتى تموت منه شهوة السكام فلا يشكك إلا بحق فيكون سكوت عبادة وكلام عبادة ومهما اعتادت العين رمي البصر إلى كل شيء جميل لم تحفظ عن النظر إلى ما لا يحل وكذلك سائر الشهوات لأن الذي يشتهى به الحلال هو بينه الذي يشتهى الحرام فالشهوة واحدة وقد وجب على العبد منها من الحرام فإن لم يوجد الاقتصار على قدر الضرورة من الشهوات غلبته ، فهذه إحدى آفات الباحات

المرغبة غالب أوقاته وليس ذلك شأن اليدي فالمرغبة العلماء فيها ذكرته روع يطولون حاجة القلب إلى ذلك والشيء إذ اوضح الحاجة يقتدر بقدر الحاجة ومعيار مقدار الحاجة في ذلك علم فامض لا يسلم لكل أحد قال سعيد بن العاص لانه اقتصدي مزاحك فالافراط فيه يذهب بالباه ويجري عليك السفهاء وتركه يفيظ للواضع ويوحش الخاطلين قال بعضهم الزنا سبلة للباه مقطعة للاخاء وكما يجب معرفة الاعتدال في ذلك يجب معرفة الاعتدال في الضحك والضحك من خدائس الانسان

ووراءها آفات عظيمة أعظم من هذه وهو أن النفس تفرح بالنعم في الدنيا وتركن إليها وتطمئن إليها أشراً وبطراً حتى تصير ثمة كالسكران الذي لا يفيق من سكره وذلك القرح بالدينامية قاتل يسرى في العروق فيخرج من القلب الحوف والحزن وذكر للوت وأحوال يوم القيامة وهذا هو موت القلب قال الله تعالى - ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها - وقال تعالى - وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع - وقال تعالى - اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد - الآية وكل ذلك فم لما فسأل الله السلامة فأولو الحزن من أرباب القلوب جربوا قلوبهم في حال القرح بمؤاناة الدنيا فوجدوها قاسية خرة بعيدة التأثير عن ذكر الله واليوم الآخر وجربوها في حالة الحزن فوجدوها لينة رقيقة صافية قابلة لأثر الله كرفسوا أن النجاة في الحزن الدائم والتباعد من أسباب القرح والبطر ففطموها من ملاذها وهودوها الصبر عن شهواتها حلالها وحرامها وعلوا أن حلالها حساب وحرامها عقاب ومثابها عتاب وهو نوع عذاب فمن توفى الحساب في عرسات القيامة قد عذب غلظوا أنفسهم من عذابها وتوصلوا إلى الحرية والملك الدائم في الدنيا والآخرة بالخلاص من أسر الشهوات ورفقا والأنس بذكر الله عز وجل والاعتغال بطاعته وفعلوا بها ما يغفل بالبازي إذ قصد تأديبه وقته من التوب والاستمحاء إلى الأقياد والتأديب فانه يحبس أولاً في بيت مظلم وتقاط عيناه حتى يحصل به القطام عن الطيران في جواهر الهواء وينسى ما قد كان آله من طبع الاسترسال ثم يرفق به بالقم حتى يأني يصاحبه ويأقنه إذا دعاه أجيابه ومهما مع صوته رجع إليه فكذلك النفس لتألف ربه ولا تأني بذكره إلا إذا فطمت عن عادتها بالخلة والمزلة أولاً ليحفظ السمع والبصر عن المألوفات ثم عودت التناء والذكر والثناء ثانياً في الخلوة حتى ينضب عليها الأنس بذكر الله عز وجل عروضا عن الأنس بالدنيا وسائر الشهوات وذلك يتقل للريد في البداية ثم يتم به في النهاية كالصبي يطم عن الثدي وهو شديد عليه إذا كان لا يصبر عنه ساعة فلذلك يشتد بكآؤه وجزعه عند القطام ويشد فؤاده عن الطعام الذي يقدم إليه بدلا عن اللبن ولكنه إذا منع اللبن رأسا يوما فيوما وعظم تبه في الصبر عليه وغلبه الجوع تناول الطعام تكلفا ثم صبر له طمعا فلو رد بعد ذلك إلى الثدي لم يرجع إليه في هجر الثدي ويصاف اللبن ويألف الطعام وكذلك الدابة في الابتداء تفر عن السرج واللبام والركوب فتحمل على ذلك فقرا وتنع عن السرج التي ألقته بالسلال والقيود أولا ثم تأني به بحيث تترك في موضعها فتغف فيه من غير قيد فكذلك تؤدب النفس كما يؤدب الطير والدواب وتأديبها بأن تمنع من النظر والأنس والفرح ينعم الدنيا بل بكل ما يزيها بالوت إذ قيل له أحب ما أحببت فانك مفارقة فإذا علم أنه من أحب شيئا يلزمه فراقه ويشق له محالة لفرقه شغل قلبه بحب ما لا يفارقه وهو ذكر الله تعالى فان ذلك يصعبه في القبر ولا يفارقه وكل ذلك يتم بالصبر أولا أياما قلائل فان العمر قليل بالإضافة إلى مدة حياة الآخرة وما من قاتل إلا وهو راض باحتال الشقة في سفر وتعلم صناعة وغيرها شهرا ليتم به سنة أودرها وكل العمر بالإضافة إلى الأبد أقلا من الشبر بالإضافة إلى عمر الدنيا فلا بد من الصبر والمجاهدة فند الصباح محمد القوم السرى وتذهب عنهم حمايات الكرى كما قاله على رضى الله عنه . وطريق المجاهدة والرياضة لكل إنسان تختلف بحسب اختلاف أحواله والأصل فيه أن يترك كل واحد ما به خرجه من أسباب الدنيا فالتى يفرح بالمال أو بالجاه أو بالبول في الوعظ أو بالز في القضاء والولاية أو بكثرة الأتباع في التدريس والافادة فينبغي أن يترك أولا ما به فرحه فانه إن منع عن شيء من ذلك وقيل له هو اليك في الآخرة لم ينفس بالنع فكره ذلك وتألم به فهو بمن فرح بالحياة الدنيا واطمأن بها وذلك مهلك في حقه ثم إذا ترك أسباب القرح

ومعبره عن جنس الحيوان ولا يصكون الضحك إلا عن ساقية تعجب والتعجب يستدعى الفكر والفكر شرف الانسان وخاصيته ومعرفة الاعتدال فيه أيضا فان من رضى قدمه في العلم ولهذا قيل ليالك وكثرة الضحك فانه ييمت القلب وقيل وكثرة الضحك من الهرمونة . وروى عن عيسى عليه السلام أنه قال: إن الله تعالى يفضض الضحك من غير هيب للشاة في خير أرب وف كرفق بين للدابة وللزاح قيل للدابة ما لا يضبط جده وللزاح ما يضبط جسده وقد جعل أبو حنيفة رحمه الله القهقهة في الصلاة

فليتمزل الناس وليتفرد بنفسه وليراقب قلبه حتى لا يشتغل إلا بذكر الله تعالى والمكر فيه وليترصد لما يبدو في نفسه من شهوة ووسواس حتى يجمع مادته مهما ظهر فإن لكل وسوسة سيئ ولا يزول إلا بقطع ذلك السبب والعلاقة ويلزم ذلك بقية العمر فليس للجهاذ آخر إلا بالموت .

(بيان علامات حسن الخلق)

اعلم أن كل إنسان جاهل بيبوب نفسه فإذا جاهد نفسه أدنى مجاهدة حتى ترك فواحش العاصي ربما يظن بنفسه أنه قد هذب نفسه وحسن خلقه واستغنى عن الجهاد فلا بد من إضاح علامة حسن الخلق فإن حسن الخلق هو الإيمان وسوء الخلق هو النفاق وقد ذكر الله تعالى صفات المؤمنين والنافقين في كتابه وهي بجملتها بحمة حسن الخلق وسوء الخلق فلنورد جملة من ذلك لتعلم آية حسن الخلق . قال الله تعالى - قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن الفحشاء معصون - إلى قوله - أولئك هم الوارثون - وقال عز وجل - التائبون العابدون الحامدون - إلى قوله - وبشر المؤمنين - وقال عز وجل - إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم - إلى قوله - أولئك هم المؤمنون حقا وقال تعالى - وعباد الرحمن الذين يتشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما - إلى آخر السورة . فمن أشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الآيات فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق وقد جميعها علامة سوء الخلق ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض دون البعض فليشتغل بتحصيل ما يقدره وحفظ ما وجبه وقد وصف رسول الله ﷺ المؤمن بصفات كثيرة وأشار بجميعها إلى محاسن الأخلاق فقال « المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ^(١) » وقال عليه السلام « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ^(٣) » وقال « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت ^(٤) » وذكر أن صفات المؤمنين هي حسن الخلق فقال صلى الله عليه وسلم « أكل المؤمنين إيمانا أحسنهم أخلاقا ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم المؤمن طموتا وقورا فادنوا منه فإنه يلحق بالحكمة ^(٦) » وقال « من سرت حسنة وساءت سميتها فهو مؤمن ^(٧) » وقال « لا يحل لمؤمن أن يشر إلى أخيه بنظرة تؤذيه ^(٨) » وقال عليه السلام « لا يحل لمسلم أن يروع مسلما ^(٩) » وقال صلى الله عليه وسلم « إنما يتجالى التجالسان بأمانة الله عز وجل فلا يحل لأحدهما أن ينشئ على أخيه ما يكرهه ^(١٠) » وجميع بعضهم علامات حسن الخلق فقال: هو أن يكون

(١) حديث المؤمن من يحب لأخيه ما يحب لنفسه الشيخان من حديث أنس لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه (٢) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه متفق عليه من حديث أبي شريح الخزاعي ومن حديث أبي هريرة (٣) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره متفق عليه من حديثهما وهو بعض الحديث الذي قبله (٤) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت متفق عليه أيضا من حديثهما وهو بعض الذي قبله (٥) حديث أكل المؤمنين إيمانا أحسنهم أخلاقا متفق عليه من حديث أبي هريرة (٦) حديث إذا رأيتم المؤمن طموتا وقورا فادنوا منه فإنه يلحق بالحكمة من حديث أبي خلد بلطف إذا رأيتم الرجل قد أعطى زهدا في الدنيا وقلعة منطلق فاقربوا منه فإنه يلحق بالحكمة (٧) حديث من سرت حسنة وساءت سميتها فهو مؤمن أحمد والطبراني وك وصحه على شرطهما من حديث أبي موسى ورواه طبرك وصحه على شرط الشيخين من حديث أبي أمامة (٨) حديث لا يحل لمسلم أن يشر إلى أخيه بنظر يؤذيه ابن المبارك في الزهد والرقائق وفي البر والصلة ومرسل وقد تقدم (٩) حديث لا يحل لمسلم أن يروع مسلما طبرك من حديث التميمي بن بشر والبراء من حديث ابن عمر وإسناده ضعيف (١٠) حديث إنما يتجالى التجالسان بأمانة الله

من الذنب وحكم
ييطان الوضوء بها
وقال يقوم الائم مقام
خروج الخارج
فلاعتدال في المزاج
والضحك لا يتأتى إلا
إذا خلص وخرج من
مضيق الخوف والقبض
والهسية فانه يقوم
بكل مضيق من هذه
المضايق بعض التقويم
فيقتل الحال فيه
ويستقيم فاليسقط
والرجاء بنشأن المزاج
والضحك والخوف
والقبض يحكان فيه
بالعدل . ومن أخلاق
الصوفية ترك التكلف
وذلك أن التكلف
تصنع وتعمل وتمايل
على النفس لأجل الناس
وذلك يبين حال
الصوفية وفي بضخفي
منازعة للأندار وعدم

كثير الحياء قليل الأذى كثير الصلاح صدق اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل الفضول برا وصولا وقورا صبورا شكورا راضيا حلما رقيقا غافيا متقاعلا نالوا ليا ميا بالانعاما ولمنعا بالواجب ولا حقودا ولا غيلا ولا حسودا بشاشا هاشاشا يحب في الله ويفض في الله ويرضى في الله وينضب في الله فهذا هو حسن الخلق . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علامة المؤمن والمنافق فقال « إن المؤمن همة في الصلاة والصيام والعبادة والمنافق همة في الطعام والشراب كالبهيمة (١) » وقال حاتم الأصم « المؤمن مشغول بالفكر والعبر والمنافق مشغول بالحرص والأمل وللاؤمن آيس من كل أحد إلا من الله والمنافق راج كل أحد إلا الله وللاؤمن آمن من كل أحد إلا من الله وللاؤمن خائف من كل أحد إلا من الله والمنافق يسهو ويضحك والمؤمن يحب الخلوة والوحدة والمنافق يحب الخلقة والملا والمؤمن يزرع ويحني القصاد والمنافق يقطع ويرجو الحصاد والمؤمن يأمر وينهى للسياسة فيصلح والمنافق يأمر وينهى للرياسة فيفسد وأولى ما يتجن به حسن الخلق الصبر على الأذى واحتمال الجفام ومن شككتم - وخلق غيره ذلك على سوء خلقه فان حسن الخلق احتمال الأذى . قد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يوما معي ومعه أنس فأدركه أعرابي فجذبه جذبا شديدا وكان عليه برد نحراني غليظ الحاشية قال أنس رضي الله عنه حتى نظرت إلى عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد آثرت فيه حاشية البرد من شدة جذبه فقال يا محمد هب لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه رسول الله ﷺ وضحك ثم أمر باعطائه (٢) » ولما كثرت قریش إيذاؤه وضربه قال « اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون (٣) » قيل إن هذا يوم أحد فذلك أنزل الله تعالى فيه - وإنك لعل خلق عظيم - ويحكى أن إبراهيم بن آدم خرج يوما إلى بعض البراري فاستقبله رجل جندي فقال أنت عبد قال نعم فقال له أين العمران فأشار إلى المقبرة فقال الجندي إنما أردت العمران فقال هو المقبرة فتناظروا ذلك فضرب رأسه بالسوط ففجبه ورده إلى البلد فاستقبله أصحابه فقالوا ما الخبر فأخبرهم الجندي ما قال له فقالوا هذا إبراهيم بن آدم فمزل الجندي عن فرسه وقيل يديه ورجليه وجعل يتنذر إليه فقيل بعد ذلك له لم قلت له أنا عبد فقال إنه لم يأتني عبيد من أنت بل قال أنت عبد قلت نعم لأنني عبد الله فلما ضرب رأسي سألت الله له الجنة قيل كيف وقد ظلمك فقال علت أني أوجر على ما نالني منه فلم أرد أن يكون نصيبي منه الخير ونصيه من الشر . ودعى أبو عثمان الخيري إلى دعوة وكان الداعي قد أراد تخرجه فلما بلغ منزله قال له ليس لي وجه فرج أبو عثمان فلما ذهب غير بعيد دعاه ثانيا فقال له يا أستاذ ارجع فرجع أبو عثمان فقال له مثل مقالته الأولى فرجع ثم دعاه الثالثة وقال ارجع على ماوجب الوقت فرجع فلما بلغ الباب قال له مثل مقالته الأولى فرجع أبو عثمان ثم جاءه الرابعة فترده حتى عامله بذلك مرات وأبو عثمان لا يتخير من ذلك فأكب على رجليه وقال يا أستاذ إنما أردت أن أختبرك لما أحسن خلقك فقال إن الذي رأيت مني هو خلق السكبان السكب إذ ادعى أجاب وإذا جاز أن جرح . وروى عنه أيضا أنه اجتاز يوما في سكة فطرحت عليه إبانة مراد فزل عن دابته فجد سجد الشكر ثم جعل ينفض الرمد عن ثيابه ولم يقل شيئا قليل ألا زبرتهم فقال إن من استحق النار فصول على الرمد لم يجزله

الرضا بما قسم الجبار ويقال التصوف ترك التكلف والتكلف تخلف وهو تخلف عن شأو الصادقين . روى أنس ابن مالك قال شهدت ولية لرسول الله ما فيها خبر ولا علم وروى عن جابر أنه أتاه تاس من أصحابه فأناهم بخبر وخل وقال كلوا فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « نعم الآدمي الخل » وعن سفيان بن سلفة قال دخلت على سلمان الفارسي فأخرج إلى خبزا وماعا وقال كل لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا أن يتكلف أحدنا أحد شككت لسمك والتكلف مذموم في جميع

الحديث تقدم في آداب الصلحة (١) حديث سئل عن علامة لاؤمن والمنافق فقال إن المؤمن همه في الصلاة والصيام الحديث لم أجد له أصلا (٢) حديث كان يمشي فأدركه أعرابي فجذبه جذبا شديدا وكان عليه برد نحراني غليظ الحاشية الحديث متفق عليه من حديث أنس (٣) حديث اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون حب واليهي في دلائل النبوة من حديث سهل بن سعد وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود أنه حكاه صلى الله عليه وسلم عن نبي من الأنبياء ضربه قومه .

أن يضرب ، وروى أن علي بن موسى الرضا رحمه الله عليه كان لوته ميل إلى السواد إذ كانت أمه سوداء وكان ينيبها برحماهم على باب داره وكان إذا أراد دخول الحمام فرغه له الحمامي فدخل ذات يوم فأغلق الحمامي الباب ومضى في بعض حوائجه فتقدم رجل رستاق إلى باب الحمام ففتحته ودخل فترزع ثيابه ودخل فرأى علي بن موسى الرضا فظن أنه بعض خدام الحمام فقال له قم واحمل إلى الماء فقام علي بن موسى واستمل جميع ما كان بأمره به فرجع الحمامي فرأى ثياب الرستاق وسمع كلامه مع علي بن موسى الرضا غاف وهرب وخلاها فلما خرج علي بن موسى سأل عن الحمامي فقليل له إنه خاف مما جرى فهرب قال لا ينبغي له أن يهرب إنما التنبأ أن يضع ماله عند أمة سوداء ، وروى أن أبا عبد الله الحياطة كان يجلس على دكانه وكان له حريف مجوسي يستعمله في الحياطة فكان إذا خاط له شيئا حمل إليه دراهم زائفة فكان أبو عبد الله يأخذها منه ولا يجزئه بذلك ولا يردها عليه فاتفق يوما أن أبا عبد الله قام لبعض حاجته فأتى المجوسي فلم يجده فدفع إلى تلميذه الأجرة واسترجع ما قد خاطه فكان درهما زائفا فلما نظر إليه التلميذ عرف أنه زائف فردده عليه فلما عاد أبو عبد الله أخبره بذلك فقال بشي عملت هذا المجوسي بما قام بي منه للعامة منذ سنة وأنا أصبر عليه وأخذ الدرهم منه وأقبلها إلى البئر للتلايمر بهامسما . وقال يوسف بن أسباط علامة حسن الحائق عشر خصال : قلة الخلاف وحسن الانصاف وترك طلب المرات وتحسين ما يبدو من الديارات والناس العذرة واحتيال الأذى والرجوع باللامة على النفس والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون عيوب غيره وطبقة الوجه للصغير والكبير ولطف الكلام لمن دونه ولين فوته . وسئل سهل عن حسن الحائق فقال : أدناه احتيال الأذى وترك السكافة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه ، وقيل للأحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم فقال من قيس بن عاصم قيل وما بلغ من حلمه قال ينيبها وجالس في داره إذ أتته جارية له بسقود عليه شواء فسقط من يدها فوقع على ابن له صغير فأت فدعشت الجارية فقل لها لا روع عليك أنت حررة لوجه الله تعالى . وقيل إن أوسا القرنى كان إذا رآه الصبيان يرمونه بالحجارة فكان ية ولهم بإخوتاه إن كان ولا بد فارموني بالصغار حتى لا تدموا ساقى فتعذوني عن الصلاة ، وشتم رجل الأحنف بن قيس وهو لا يجيبه وكان يتبعه فلما قرب من الحى وقف وقال إن كان قد بقي في نفسك شيء قله كي لا يسمعك بعض سفهاء الحى فيؤذوك . وروى أن عليا كرم الله وجهه دعا غلاما فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فلم يجبه فقام إليه فرأه مضطجعا فقال أما تسمع يا غلام قال بلى قال فما حملك على ترك إجابتي قال أمنت عقوبتك فكسكت فقال امض فأنت حر لوجه الله تعالى ، وقالت امرأة لمالك بن دينار رحمه الله يامرأى فقال باهذه وجدت اسمي الذي أشبه أهل البصرة ، وكان ليحيى بن زياد الحارثي غلام سوء فقليل لم تحمكه فقال لا تعلم الحلم عليه فهذه نفوس قد ذلت بالرياسة فاعدت أخلاقها وتقت من النفس والغل والمقد بواطها فافترت الرضا بكل ما قدره الله تعالى وهو منتهى حسن الحائق فإن من يكره فعل الله تعالى ولا يرضى به فهو غاية سوء خلقه ، فهو لاء ظهرت العلامات على ظواهرهم كاذكرنا . فمن لم يصادف من نفسه هذه العلامات فلا ينبغي أن يفتن بنفسه فيظن بها حسن الحائق بل ينبغي أن يشتغل بالرياسة والمجاهدة إلى أن يبلغ درجة حسن الحائق فانها درجة رفيعة لا ينالها إلا للثريون والصديقون .

(بيان الطريق في رياضة الصبيان في أول نشوم ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم)

اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها والصي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهره نفيسة سادجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل ما تشق ومائل إلى كل ما يغال به

الأشياء كاللبوس للناس من غير نية فيه والتكلف في الكلام وزيادة التناق الذي صار دأب أهل الزمان فإ يكاد يسلم من ذلك إلا آحاد وأفراد وكمن متعلق لا يعرف أنه تعلق ولا يظن له فقد يتعلق الشخص إلى حد يخرج به إلى صريح التناق وهو مبين لحال الصوفي . أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن علي قال أنا أبو الفتح الهروي قال أنا أبو نصر الترياق قال أنا أبو محمد الجراحي قال أنا أبو العباس المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال أنا أحمد بن منيع قال أنا يزيد بن هرون عن

إليه ونعود الحبر وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤيد وإن عود الشر وأهل إهمال الهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالى له وقد قال الله عز وجل - يا أيها الذين آمنوا اتقوا أنفسكم وأهلكم ناراً - ومهما كان الأدب يصونه عن نار الدنيا فبأن يصونه عن نار الآخرة أولى وصيائته بأن يؤدبه ويؤذبه ويعلمه بحاسن الأخلاق ويحفظه من القراءات السوء ولا يهوده التثمم ولا يحب إليه الزينة وأسباب الرفاهية فيضيع عمره في طلبها إذا كبر فبك هلاك الأبد بل ينبغي أن يراقبه من أول أمره فلا يستعمل في حشاشته وإرضاعه إلا امرأة سالمة متدنية تأكل الحلال فإن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه فإذا وقع عليه نشو الصبي انجسنت طينته من الحب فيجبل طبعه إلى ما يناسب الحباثت ومما رأى فيه تحايل التمييز فينبى أن يحسن مراقبته وأول ذلك ظهور أوائل الحياة فإنه إذا كان يحتمس ويستحي ويترك بعض الأعمال فليس ذلك إلا لاشراق نور العقل عليه حتى يرى بعض الأشياء قبيحا وغالبا لبعض صار يستحي من شيء دون شيء وهذه هدية من الله تعالى إليه وبشارة تدل على اعتدال الأخلاق وصفاء القلب وهو مبشر بكل العقل عبدالوهاب فالصبي المستحي لا ينبغي أن يهمل بل يستعان على تأديبه بجائته أو تميزه وأول ما ينبغي عليه من الصفات شره الطعام فينبى أن يؤدب فيه مثل أن لا يأخذ الطعام إلا يمينه وأن يقول عليه باسم الله عند أخذه وأن يأكل مما يليه وأن لا يبادر إلى الطعام قبل غيره وأن لا يحمد النظر إليه ولا إلى من يأكل وأن لا يسرع في الأكل وأن يجيد المضغ وأن لا يوالى بين اللحم ولا يطلع يده ولتأنيبه وأن يسود الحبر القفار في بعض الأوقات حتى لا يصير بحيث يرى آدم حقا ويتجشع عنده كثرة الأكل بأن يشبه كل من يكثر الأكل بالهائم وبأن يدم بين يديه الصبي الذي يكثر الأكل ويمدح عنده الصبي للتأدب القليل الأكل وأن يحب إليه الايثار بالطعام وقلة اللبالة به والقناعة بالطعام الحشون في طعامه وأن يحب إليه من الثياب البيض دون الملون والابرسم ويقرر عنده أن ذلك شأن النساء والحشيت وأن الرجال يستكفون منه ويكرر ذلك عليه ومهما رأى على صبي ثوبا من إبرسم أو ملون فينبى أن يستكره ويذمه ويحفظ الصبي عن الصبيان الذين عودوا التثمم والرفاهية ولبس الثياب الفاخرة وعن مخالطة كل من يسمعه ما يرغب فيه فإن الصبي مهما أهمل في ابتداء نشوه خرج في الأغلب ردى الأخلاق كذابا حودا سروقا تماما لحوحا ذافضول وضحك وكيد ومجانة وإمنا يحفظ عن جميع ذلك بعين التأديب يشغل في الكتب فيتعلم القرآن وأحاديث الأخبار وحكايات الأبرار وأحوالهم لينرس في نفسه حب الصالحين ويحفظ من الأضمار التي فيها ذكر الشقي وأهله ويحفظ من مخالطة الأدياء الذين يزعمون أن ذلك من الظرف ورقة الطبع فإن ذلك يفسد في قلوب الصبيان بفسادهم مما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود فينبى أن يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح بين أظهر الناس فإن خالف ذلك في بعض الأحوال مرة واحدة فينبى أن يتناقل عنه ويهتك ستره ولا يكشفه ولا يظهر له أنه يتصور أن يتجاسر أحد على مثله ولا يبا إذا ستره الصبي واجتهد في إخفائه فإن إظهار ذلك عليه ربما يفيد عسارة حتى لا يبالى بالمكاشفة فعد ذلك إن عاد ثانيا فينبى أن يجانب سرا ويعظم الأمر فيه ويقال له إياك أن تعود بعد ذلك لثل هذا وأن يطلع عليك في مثل هذا فتفتنح بين الناس ولا تستكثر القول عليه بالتناوب في كل حين فإنه يهون عليه سماع الثلاثة وركوب القبايح ويستقطر وقع الكلام من قلبه وليكن الأب حافظا هية الكلام معه فلا يوجه إلا أحيانا والأم تخوفه بالأدب وترجعه عن القبايح وينبى أن يمنع عن النوم نهارا فإنه يورث الكسل ولا يمنع منه ليلا ولكن يمنع القرض الوطئ حتى تصلب أعضاؤه ولا يسمن يده فلا يصبر عن التثمم بل وجود الحشونة للقرش

محمد بن مطرف عن
حسان بن عطية عن
أبي أمانة عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال
والحياء والعلى شعبتان
من الإيمان والبذاء
والبيان شعبتان من
النفاق البذاء الفحش
وأراد بالبيان ههنا
كثرة الكلام والتكاف
للسناس زيادة تناق
وتناء عليهم وإظهار
التفصح وذلك ليس
من شأن أهل الصدق
وحكى عن أبي وائل
قال مضيت مع صاحب
لى نزور سلمان فقدم
إلينا خبز شعير وماء
جريشا فقال صاحي
لو كان في هذا اللع
سفر كان أطيب غرج
سلمان ورهن مطهرته
وأخذ شعرا فحدا كذا
قال صاحي الحمد لله

والليس والطعم وينبئ أن يمنع من كل ما يفسده في خفية فانه لا يخفيه إلا وهو يعتقد أنه يقيح فاذا ترك تعود فعل التقيح ويعود في بعض التبارك والحركة والرياضة حتى لا يظلب عليه السكسل ويعود أن لا يكشف أطرافه ولا يسرع اللشي ولا يرخى يديه بل يضمهما إلى صدره ويمنع من أن يفتخر على أقرانه شيء مما يملكه والداه أو شيء من مطامعه وملاسه أو لوجه ودواته بل يورد التواضع والاكرام لكل من عاشره والتلطف في الكلام معهم ويمنع من أن يأخذ من الصبيان شيئا بدا له حشمة إن كان من أولاد المحتسبين بل يعلم أن الرفعة في الإعطاء لا في الأخذ وأن الأخذ لوم وخسرة ودناءة وإن كان من أولاد الفقراء فليعلم أن الطمع والأخذ مهانة وذلة وأن ذلك من دأب الكلب فانه يصعب في انتظار لقمة والطمع فيها . وبالجملة يقيح إلى الصبيان حب الذهب والفضة والطمع فيهما ويحذر منهما أكثر مما يحذر من الحيات والعقارب فان آفة حب الذهب والفضة والطمع فيهما أضر من آفة السموم على الصبيان بل على الأكبر أيضا وينبئ أن يوجد أن لا يسقى في جلسته ولا يتخطو ولا يتقارب بحضرة غيره ولا يستدبر غيره ولا يضع رجلا على رجل ولا يضع كفه تحت ذقنه ولا يمد يده بسانعه فان ذلك دليل السكسل ويعلم كيفية الجلوس ويمنع كثرة الكلام ويبين له أن ذلك يدل على الوقاحة وأنه فضل أبناء الثناء ويمنع الجبن رأسا صادقا كان أو كاذبا حتى لا يعتاد ذلك في الصغر ويمنع أن يبتدىء بالكلام ويعود أن لا يتكلم إلا جوابا وبقدر السؤال وأن يحسن الاستماع مهما تكلم غيره عن هو أكبر منه سنا وأن يقوم لمن فوقه ويوسع له المكان ويجلس بين يديه ويمنع من لقو الكلام وغشه ومن اللعن والسب ومن مخالطة من يجري على لسانه شيء من ذلك فان ذلك يسرى لا محالة من القرناء السوء وأصل تأديب الصبيان الحفظ من قرناء السوء وينبئ إذا ضربه المعلم أن لا يكثر الصراخ والشغب ولا يستشفع بأحد بل يصبر وبذلك له أن ذلك دأب الشجعان والرجال وأن كثرة الصراخ دأب للمايك والنسوان وينبئ أن يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لمبا جلا يسترع إليه من تعب للكتب بحيث لا يتعب في اللعب فان منع الصبي من اللعب وإرهاقه إلى التمل دائما يعب قلبه ويضل ذكاه وينقص عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأسا ، وينبئ أن يعلم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه وكل من هو أكبر منه سنا من قرب وأجنبي وأن ينظر إليهم بعين الجلالة والتعظيم وأن يترك اللعب بين أيديهم ومهما بلغ سن التمييز ، فينبئ أن لا يسمح في ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم في بعض أيام رمضان ويوجب لبس الديباغ والحرير والذهب ويعلم كل ما يحتاج إليه من حدود الشرع ، ويخوف من السرقة وأكل الحرام ومن الحيانة والكذب والفحش وكل ما ينال على الصبيان فاذا وقع نشوه كذلك في الصبا فهم أقرب البلوغ أسكن أن يعرف أسرار هذه الأمور ، فيذكر له أن الأطعمة أدوية وإنما للتقصد منها أن يرضى الإنسان بها على طاعة الله عز وجل ، وأن الدنيا كلها لأصل لها إذ لا بقاء لها ، وأن الموت يقطع نعيمها ، وأنها دار مجرلادار مقر ، وأن الآخرة دار مقر لادار عمر ، وأن الموت منتظر في كل ساعة وأن الكيس العاقل من تزود من الدنيا للآخرة حتى تعظم درجته عند الله تعالى ويقنع نعيمه في الجنان فاذا كان التشو صالحا كان هذا الكلام عند البلوغ واقعا مؤثرا ناجعا ثبت في قلبه كما ثبت النقش في الحجر ، وإن وقع التشو بخلاف ذلك حتى ألب الصبي اللعب والفحش والوقاحة وشربه الطعام والبأس والزّين والتفاخر بنا قلبه عن قبول الحق نبوة الحائط عن التراب اليابس فأوائل الأمور هي التي ينبغي أن تراعى فان الصبي بمجوهه خلق قابلا للخير والشر جميعا وإنما أبواه يميلان به إلى أحد الجانبين . قال صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة وإنما

الذي فطنا بما رزقنا
 فقال سلمان لو قتلت
 بما رزقك لم تكن
 مطهرتي مرهونة وفي
 هذا من سلمان ترك
 التكسلف قولاً وفعل
 وفي حديث يونس النبي
 عليه السلام أنه زاره
 إخوانه قسم إليهم
 كراماً من خبز شعير
 وجز لهم جفلاً كان
 يزرعونهم قال لولا أن
 الله لمن للتكفين
 لتكلفت لكم قال
 بعضهم إذا قصدت
 للزيارة قدم ماحضر
 وإذا استزرت فلاتبقى
 ولا تندر وروى الزبير
 ابن العوام قال نادى
 منادى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم
 يوماً يا الله اغفر
 للذين يدعون

أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه (١) قال سهل بن عبد الله التستري كنت وأنا ابن ثلاث سنين أنوم بالليل فأظفر إلى صلاة خالي محمد بن سوار فقال لي يوما ألا تذكر الله الذي خلقتك قلت كيف أذكره قال قل بقلبك عند قلبك في ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك الله معي الله ناظر إلى الله شاهد قلت ذلك ليالي ثم أعلته فقال قل في كل ليلة سبع مرات قلت ذلك ثم أعلته فقال قل ذلك كل ليلة إحدى عشر مرة قتله فوقع في قلبي حالوته فلما كان بعد سنة قال لي خالي احفظ ما علمتكم ودم عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لذلك حالوة في سري ثم قال لي خالي يوما يسأل من كان الله معه وناظرا إليه وشاهده أيعصيه إياك والعمية فكنت أخلو بنفسى فبعثوا بي إلى السكب قلت إني لأخشى أن يتفرق على همى ولكن شارطوا العلم أتى أذهب إليهم ساعة فأعلمهم ثم أرجع فضيت إلى الكتاب فقلت القرآن وحفظته وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين وكنت أصوم الدهر وقوتى من خبز الشعير اثنتي عشرة سنة فوقعت لي مسألة وأنا ابن ثلاث عشرة سنة فسألت أهل أبي يعقوب إلى أهل البصرة لأسأل عنها فأتيبت البصرة فسألت علماءهم فلم يشف أحد عني شيئا فخرجت إلى عبادان إلى رجل يعرف بأبي حبيب حمزة بن أبي عبد الله العباداني فسلته عنها فأجابني فأقلت عنده مدة أستمع بكلامه وأتأدب بأدابه ثم رجعت إلى تستر فجلست قوتي اقتصادا على أن يشتري لي يدرم من الشعير الفرق فيطحن ويغزى لي فأفطر عند البحر على أوقية كل ليلة بختا بغير مبيع ولا أدم فكان يكفيني ذلك الدرهم سنة ثم عزمت على أن أطوى ثلاث ليال ثم أظفر ليلة ثم خسمت سبعاً ثم خمساً وعشرين ليلة فكنت على ذلك عشرين سنة ثم خرجت أسبح في الأرض سنين ثم رجعت إلى تستر وكنت أقوم الليل كله ماشاء الله تعالى قال أحمد لما رأته أكل الملح حتى لقي الله تعالى .

(بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة وتدرج الريد في سلوك سبيل الرياضة)

واعلم أن من شاهد الآخرة بقلبه مشاهدة يقين أصبح بالضرورة مريداً حارث الآخرة مشتاقاً إليها سالكاً سبيلها مستبشراً بنعيم الدنيا ولذاتها فإن من كانت عنده خمرة فرأى جوهرة نقيصة لم يبق له رغبة في الخمرة وقويت إرادته في بيعها بالجوهرة ومن ليس مريداً حارث الآخرة ولا طالباً للقاء الله تعالى فهو لعدم إيمانه بالله واليوم الآخر ولست أعنى بالإيمان حديث النفس وحركة اللسان بكلمتي الشهادة من غير صدق وإخلاص فإن ذلك يضاهي قول من صدق بأن الجوهرة خير من الخمرة إلا أنه لا يدرى من الجوهرة إلا لفظها وأما حقيقتها فلا ومثل هذا الصدق إذا ألف الخمرة قد لا يتركها ولا يعظم اشتياقه إلى الجوهرة فاذن السانع من الوصول عدم السلوك والسانع من السلوك عدم الارادة والسانع من الارادة عدم الإيمان وسبب عدم الإيمان عدم الهداية والذكرين والعلم بالله تعالى المهادن إلى طريقه والنهين على حقارة الدنيا وإغراضها وعظم أمر الآخرة ودوامها فالخلق غافلون قد انهمكوا في شهواتهم وغاصوا في رقدهم وليس في علماء الدين من يتبينهم فإن تنبيه منهم متنبه هجر عن سلوك الطريق لجهله فإن طلب الطريق من العلماء وجدتم مائلين إلى الهوى عادلين عن سبيل الطريق فصار ضعف الارادة والجهل بالطريق ونطق العلماء بالهوى سبباً لغلو طريق الله تعالى عن السالكين فيه ومهما كان المطلوب محبوباً والدليل مفقوداً والهوى طالباً والطالب غافلاً امتنع الوصول وتمطلت الطرق لاهماله فإن تنبيه متنبه من نفسه أو من تنبيه غيره وانبثت له إرادة في حارث الآخرة ونجارتها فينبئني أن علم أن له شروطاً لابد من تقديمها في بداية الارادة وله مصمم

(١) حديث كل مولود يولد على الفطرة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة .

لا بد من التمسك به وله حصن لا بد من الحصن به ليأمن من الأعداء القطاع لطريقه وعليه وظائف لا بد من ملازمته في وقت سلوك الطريق. أما الشروط التي لا بد من تقديمها في الارادة فهي رفع السد والحجاب الذي بينه وبين الحق فان حرمان الخلق عن الحق سببه تراكم الحجب ووقوع السد على الطريق قال الله تعالى - وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون - والسد بين الريد وبين الحق أربعة: المال والجاء والتقليد والعصية وإعبار رفع حجاب المال بخروجه عن ملكه حتى لا يائق له لا قدر الضرورة فيما دام يائق له درهم يلتفت إليه قلبه فهو مقيد به محبوب عن الله عز وجل وإنما يرتفع حجاب الجاء بالبعد عن موضع الجاء بالتواضع وإشارة الخمول والمهرب من أسباب التذكر وتعاطي أعمال تنفر قلوب الخلق عنه وإنما يرتفع حجاب التقليد بأن يترك التعصب للذهاب وأن يصدق بمنى قوله لا إله إلا الله محمد رسول الله تصديق إيمان ويحرص في تحقيق صدقه بأن يرفع كل معبود له سوى الله تعالى وأعظم معبود له الهوى حتى إذا فعل ذلك انكشف له حقيقة الأمر في معنى اعتقاده الذي تلقفه تقليداً فينبغي أن يطلب كشف ذلك من المجاهدة لامن المجاهدة فان غلب عليه التعصب لمعتقده ولم يبق في نفسه متسع لغيره صار ذلك قيده له وحجاباً إذ ليس من شرط الريد الانثناء إلى مذهب معين أصلاً وأما العصية فهي حجاب ولا يرفعها إلا التوبة والخروج من الظالم وتقصيم العزم من ترك العود وتحقيق الندم على ماضى ورد المظالم وإرضاء المحكوم فان من لم يصحح التوبة ولم يهجر للعاصي الظاهرة وأراد أن ينفى كل أسرار الدين بالمكاشفة كان كمن يريد أن ينفى كل أسرار القرآن وتفسيره وهو بعد لم يتعلم لغة العرب فان ترجمة عرية القرآن لا بد من تقديمها أولاً ثم الترقى منها إلى أسرار معانيه فكذلك لا بد من تصحيح ظاهر الشريعة أولاً وأخيراً ثم الترقى إلى أغوارها وأسرارها فاذا قدم هذه الشروط الأربعة وتجرد عن للمال والجاء كان كمن تطهر وتوضأ ورفع الحديث وصار صالحاً للصلاة فيحتاج إلى إمام يقتدى به فكذلك الريد يحتاج إلى شيخ وأستاذ يقتدى به ليعالجه ليهديه إلى سواء السبيل فان سبيل الدين غامض وسبيل الشيطان كثيرة ظاهرة فمن لم يكن له شيخ يهديه فاده الشيطان إلى طرقة لا تحلة فمن سلك سبيل البوادي الهلكة بغير خفير فقد خاطر بنفسه وأهلكها ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التي تثبت بنفسها فانها تحجب على القرب وإن بقيت مدة وأورقت لم تثمر فتمتصم الريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخة فليتمسك به متمسكاً على شاطئ التهر بالقائد بحيث يفوض أمره إليه بالسكينة ولا يخالفه في ورده ولا صدره ولا يائق في متابته شيئاً ولا يذر وليعلم أن نفعه في خطأ شيخة لو أخطأ أكثر من نفعه في صواب نفسه لو صاب فاذا وجد مثل هذا المتصم وجب على متصمه أن يحبه ويصمه بمحسن حصين يدفع عنه قواطع الطريق وهو أربعة أمور : الخلوة والصمت والجوع والسر وهذا حصن من القواطع فان مقصود الريد إصلاح قلبه ليشاهد به ربه ويصلح لقربه أما الجوع فانه ينقص دم القلب ويبيضه وفي ياضته نوره ويذيب شحم القواد وفي ذوبانه رفته ، ورفته مفتاح المكاشفة كما أن قساوته سبب الحجاب ومهما نقص دم القلب ضاقت مسلك العدو فان مجاريه العروق الممتلئة بالشهوات وقال عيسى عليه السلام يامعشر الحوارين جوعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم وقال سهل بن عبد الله تسترى ما صار الأبدال أبدالاً إلا بأربع خصال : بإخماس البطون ، والسر ، والصمت ، والاعتزال عن الناس فائدة الجوع في تنوير القلب أمر ظاهر يشهد له التجربة وسيأتى بيان وجه التدريج فيه في كتاب كسر الشهوتين . وأما السر فانه يحلو القلب وينفيه وينوره فيضاف ذلك إلى الصفاء الذي حصل من الجوع فيصير القلب كالكوكب الدرري والراة المجلوة فيلوح فيه جمال

من هو مقبب على شاطئ بحر ولتقيم على شاطئ البحر لا يدخر الساء في قربته وروايته . روى أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « مامن يوم إلاه ملسكان يناديان فيقول أحدهما اللهم أعظمنا خلتا ويقول الآخر اللهم أعظمنا نلقا » وروى أنس قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئاً لده . وروى أنه « أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث طوائر فأظم خادمه طيرا فلما كان النداء أتاه به فقال رسول الله ألم أنك أن تحباً شيئاً لند فان الله تعالى أتى

الحق ويشاهد فيه رفيع الدرجات في الآخرة وحقارة الدنيا وآفاتنا قسم بذلك رغبته عن الدنيا وإقباله على الآخرة والسر أيضاً نتيجة الجوع فإن السر مع الشبع غير ممكن والنوم ينسى القلب ويمنه إلا إذا كان بقدر الضرورة فيكون سبب للسكفة لأسرار التيب قد قيل في صفة الأبدال إن أكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة وقال إبراهيم الحواس رحمه الله أجمع رأى سبعين صديقاً على أن كثرة النوم من كثرة شرب الماء . وأما الصمت فانه تسهله العزلة ولكن للزمن لا يغلو عن مشاهدة من يقوم له بطعامه وشربه وتدير أمره فينبى أن لا يتكلم إلا بقدر الضرورة فإن الكلام يشغل القلب وشبه القلوب إلى الكلام عظيم فانه يستروح إليه ويستقل التجرد ولذا ذكر والسكر فيستريح إليه فالصمت يلحق العقل ويجلب الورع ويعلّم التقوى . وأما الخلوة فقد ألفتها دفع الشواغل ومنبط السمع والبصر فانها دهليز القلب والقلب في حكم حوض تنصب إليه مياه كربة كدرة قدرة من أثمار الحواس ومقصود الرياضة تفرغ الحوض من تلك المياه ومن الطين الحاصل منها لينفجر أصل الحوض فيخرج منه للقاء التنظيف الطاهر وكيف يصح له أن ينزع للقاء من الحوض والأنهار مفتوحة إليه فيتجدد في كل حال أكثر مما ينقص فلا بد من ضبط الحواس إلا من قنن الضرورة وليس يتم ذلك إلا بالخلوة في بيت مظلم وإن لم يكن له مكان مظلم فليأخذ رأسه في حبه أو يتدثر بكساء أو إزار في مثل هذه الحالة يسمح نداء الحق ويشاهد جلال الحضرة الربوية أما ترى أن نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم بلته وهو على مثل هذه الصفة قليل له يأبها للزمن يأبها للثر (١) فهذه الأربعة جنة وحسن بها تدفع عنه القواطع وتفتح العوارض القاطعة للطريق فإذا فعل ذلك اشتغل بعده بسلوك الطريق وإيما سلوكه قطع العقبات ولا عبة على طريق الله تعالى لإصفات القلب التي سببها الالتفات إلى الدنيا وبعض تلك العقبات أعظم من بعض والترتيب في قطعها أن يشغل بالأسهل فالأسهل وهي تلك الصفات أغنى أسرار الملائق التي قطعها في أول الإرادة وآثارها أغنى للال والجاه وحسب الدنيا والالتفات إلى الخلق والتشوف إلى العاصي فلا بد أن يغنى الباطن عن آثارها كما أغنى الظاهر عن أسبابها الظاهرة وفيه تطول المجاهدة ويختلف ذلك باختلاف الأحوال فرب شخص قد كفى أكثر الصفات فلا تطول عليه المجاهدة وقد ذكرنا أن طريق المجاهدة مضادة الشهوات ومخالفة الهوى في كل صفة غالبة على نفس الريد كما سبق ذكره فإذا كفى ذلك أوصف بالمجاهدة ولم يبق في قلبه علاقة شغله بعد ذلك بذكر يلزم قلبه على الدوام وعينه من تشكيز الأوراد والظاهرة بل يقتصر على الفرائض والروايب ويكون ورده وردا واحدا وهو لباب الأوراد ويمرّها أغنى ملازمة القلب له ذكر الله تعالى بسد الخلق من ذكر غيره ولا يشغله به مادام قلبه ملتفتا إلى علاقته قال الشيخ للحصري إن كان خطر قلبك من الجملة التي تأتينا فيها إلى الجملة الأخرى شيء غير الله تعالى فغرام عليك أن تأتيني وهذا التجرد لا يحصل إلا مع صدق الإرادة واستيلاء حب الله تعالى على القلب حتى يكون في صورة العاشق للشيء الذي ليس له إلا هم واحد فإذا كان كذلك أزمه الشيخ زاوية ينفر بها ويوكله به من

يرزق كل غسد .

وروى أبو هريرة

رضي الله عنه « أن

رسول الله صلى الله

عليه وسلم دخل على

بلال وعنده صبرة من

تمر فقال ماهذا يا بلال

قال أدخر يا رسول

الله قال أما تخشى أنفق

بلالا ولا تخشى من

ذي العرش إن لا .

وروى أن عيسى ابن

مريم صلى الله عليه

وسلم كان يأكل الشجر

ويلبس الشعر ويبعث

حيث أمسى ولم يكن

له ولد يموت ولا يمت

يخرب ولا يخبأ شيئا

لقد فالصوفي كل خياله

في خزان الله صدق

توكله وتسه به

فالدنيا للصوفي كدار

التربة ليس له فيها

ادخار ولا له منها

(١) حديث بدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مدثر قليل له يأبها للزمن يأبها للثر متفق عليه من حديث جابر جاورت بهاء فلما قضيت جوارى هبطت فنوديت فنظرت عن يميني الحديث وفيه فأنتيت خديجة قلت دثروني وصبا على الماء باردا فدثروني وصبا على ماء باردا قال فزلت بأبها للثر وفي رواية قلت زملوني زملوني ولما من حديث عائشة قال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الورع .

يقوم له بقدر يبرهن القوت الحلال فان أصل طريق الدين القوت الحلال وعند ذلك يلقنه ذكراً من الأذكار حتى يشغل به لسانه وقليه فيجلس ويقول مثلاً الله الله أو سبحان الله سبحان الله أو ما يراه الشيخ من الكلمات فلا يزال يواظب عليه حتى تسقط حركة اللسان وتكون الكلمة كأنها جارية على اللسان من غير تحريك ثم لا يزال يواظب عليه حتى يسقط الأثر عن اللسان وتبقى صورة اللفظ في القلب ثم لا يزال كذلك حتى يضي عن القلب حروف اللفظ وصورته وتبقى حقيقة معناه لازمة للقلب حاضرة معه غالباً عليه قد فرغ عن كل ما سواه لأن القلب إذا شغل بشئ خلا عن غيره أي شئ كان فإذا اشتغل بذكر الله تعالى وهو المقصود خلا لأمالة عن غيره وعند ذلك يلزمه أن يراقب وساوس القلب والخواطر التي تتنافس باللبنة وما يتذكر فيه مما قدم في من أحواله وأحوال غيره فانه معها اشتغل بشئ منه ولو في لحظة خلا قلبه عن الذكر في تلك اللحظة وكان أيضاً قصصاً فيجب في دفع ذلك ومهما دفع الوسواس كلها ورد النفس إلى هذه الكلمة جاءت الوسواس من هذه الكلمة وأنها ما هي وماضيها فقولنا الله ولأى معنى كان لها وكان مبدوداً ويترتب عند ذلك خواطر تفتح عليه باب الفكر وربما يرد عليه من وساوس الشيطان ما هو كافر وبدعة ومهما كان كل هذا لذلك ومتشعراً لإباطنه عن القلب بل يضمره ذلك وهي منقسمة إلى ما يعلو قطعاً أن الله تعالى منزّه عنه ولكن الشيطان يلقي ذلك في قلبه ويجريه على خاطره فشرطه أن لا يبالى به ويغزو إلى ذكر الله تعالى ويبتل إليه ليدفعه عنه كما قال تعالى - وما يزيغك من الشيطان نزع فاستمع بالله إنه مبعث علم - وقال تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون - وإلى ما يشك فيه فينبغي أن يرضى ذلك على شيخه بل كل ما يجد في قلبه من الأحوال من قرة أو نشاط أو التفات إلى عقله أو صدق في إرادة فينبغي أن يظهر ذلك لشيخه وأن يستر عنه غيره فلا يطلع عليه أهدأ ثم إن شيخه ينظر في حاله ويتأمل في ذكائه وكياسته فلو علم أنه لو تركه وأمره بالفكر تنبه من نفسه على حقيقة الحق فينبغي أن يحمله على الفكر ويأمره بملازمته حتى يقذف في قلبه من التور ما يكشف له حقيقته وإن علم أن ذلك مما لا يقوى عليه مثله رده إلى الاعتقاد القاطع بما يحمله قلبه من وعظ وذكر ودليل قريب من فهمه وينبغي أن يتأنق الشيخ ويتلطف به فان هذه مهالك الطريق ومواضع أخطارها فكم من مرید اشتغل بالرياضة فقلب عليه خيال فاسد لم يقو على كشفه فاهطع عليه طريقه فاشتغل بالبطالة وسلك طريق الاباحة وذلك هو الهلاك العظيم ومن تجرد للذكر ودفع العلائق الشاغلة عن قلبه لم يخل عن أمثال هذه الأفكار فانه قد ركب سفينة الخطر فان سلم كان من ملوك الدين وإن أخطأ كان من المالكين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «عليكم بدین الصبائر» (١) وهو تلقى أصل الإيمان وظاهر الاعتقاد بطريق التقليد والاشتغال بأعمال الخير فان الخطر في المدول عن ذلك كبير ولذلك قيل يجب على الشيخ أن يفرس في الريد فان لم يكن ذكياً فظناً متمكناً من اعتقاد الظاهر لم يشغله بالذكر والفكر بل يردّه إلى الأعمال الظاهرة والأوراد للتوارة أو يشغله بخدمة التجردين لفكر لتشمه بركتهم فان العاجز عن الجهاد في صف القتال يبنى أن يسقى القوم ويحصد دواهم ليحسر يوم القيامة في زمرتهم وتسمه بركتهم وإن كان

(١) حديث عليكم بدین الصبائر قال ابن طاهر في كتاب التذكرة هذا اللفظ تداوله العامة ولم أقف له على أصل يرجع إليه من رواية صحيحة ولا سقيمة حتى رأيت حديثاً لعمد بن عبد الرحمن بن السلمان عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان في آخر الزمان واختلف الأهواء فليسلم بدین أهل البادية والنساء وابن السلمان عن أبيه عن ابن عمر نسخة كان يتهم بوضعها انتهى، وهذا اللفظ من هذا الوجه رواه حب في الضعفاء في ترجمة ابن السلمان والله أعلم .

استكثر الله عليه السلام «لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تندوناً من غير بطانة» أخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو الجيب قال أنا أبو عبد الرحمن محمد بن أبي جعد الله اللائي قال أنا أبو الحسن عبد الرحمن الداودي قال أنا أبو محمد عبد الله السرخسي قال أنا أبو عمران السمرقندي قال أنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي قال أنا محمد ابن يوسف عن صفيان عن ابن النكدر عن جابر قال ما مثل النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً قط فقال لا قال ابن عيينة إذا لم يكن عنده وعد وبالإسناد

لا يبلغ درجتهم ثم الريد للتجرد للذكر والفكر قد يقطعه قواطع كثيرة من العجب والرهاء والفرح بما يتكشف له من الأحوال وما يدوم من أوائل الكرامات ومهما انفتحت إلى شيء من ذلك وشغلت به نفسه كان ذلك فتورا في طريقه ووقفا بل يثني أن يلزم حاله جملة عمره ملازمة الطشان الذي لأزويه الجوار ولو أقيمت عليه ويدوم على ذلك ورأس ماله لا يتطلع من الخلق إلى الحق والحلو قال بعض السابحين قلت ليس الأبدال للتطمين عن الخلق كيف الطريق إلى التحقيق قال أن تكون في الدنيا كأنك عابر طريق وقال مرة قلت له داني على عمل أجد قلبي فيه مع الله تعالى على الدوام قال لي لا تنظر إلى الخلق فإن النظر إليهم ظلمة قلت لا بد لي من ذلك قال فلا تسع كلامهم فإن كلامهم قسوة قلت لا بد لي من ذلك قال فلا تسلمهم فإن معاملتهم وحشة قلت أنا ناسن أظفرهم لا بد لي من معاملتهم قال فلا تسكن إليهم فإن السكون إليهمهلكة قلت هذا لمة قال يا هذا أنتظر إلى الغافلين وتسع كلام المجاهدين وتعامل البطالين وتريد أن تحب قلبك مع الله تعالى على الدوام ؟ هذا ما لا يكون أبدا فإذا منى الرياضة أن يجد قلبه مع الله تعالى على الدوام ولا يمكن ذلك إلا بأن يغلو من غيره ولا يغلو عن غيره إلا بطول المجاهدة فإذا حصل قلبه مع الله تعالى انكشف له جلال الحضرة الربوبية ونجليه الحق وظهر له من لطائف الله تعالى ما لا يجوز أن يوصف بل لا يحيط به الوصف أصلا وإذا انكشف للريد شيء من ذلك فأعظم القواطع عليه أن يتكلم به وعظا ونصحا ويتصدى لفتنة كبر فوجد النفس فيه قلة ليس وراءها قلة فتدعوه تلك القلة إلى أن يتفكر في كيفية إيراد تلك اللماي وتعين الألفاظ للمرة عنها وترتيب ذكرها وترتيبها بالحكايات وشواهد القرآن والأخبار وتعين صفة الكلام لتقل إليه القلوب والأصماع فرعا يغفل إليه الشيطان أن هذا إحياء منك لقبول اللوق الغافلين من الله تعالى وإنما أنت واسطة بين الله تعالى وبين الخلق تدعو عباده إليه ومالك فيه نصيب ولا تنسك فيه قلة ويتفك كيد الشيطان بأن يظهر في أقرانه من يكون أحسن كلاما منه وأجزل لفظا وأقصد على استجلاب قلوب الدوام فإنه يتحرك في باطنه عقرب الحسد لاهلته إن كان محركة كيد القبول وإن كان محركة هو الحق حرصا على دعوة عباده الله تعالى إلى صراطه المستقيم فيعظم به فرحه ويقول الحمد لله الذي صدقني وأيدني بمن وأزرنى على إصلاح عباده كالذي وجب عليه مثلا أن يحمل ميتا يدفنه إذ وجده ضالما وتعين عليه ذلك شرعا لجاء من أعانه عليه فإنه يفرح به ولا يهصد من مينة والغافلون موتى القلوب والوطا هم للبهون والحيون لهم ففي كثرتهم استرواح وتناصر فينبني أن يعظم الفرح بذلك وهذا عزز الوجود جدا فينبني أن يكون للريد على حذر منه فإنه أعظم حبال الشيطان في قطع الطريق على من اختصت له أوائل الطريق فإن إشار الحياة الدنيا طبع غالب على الانسان ولذلك قال الله تعالى - بل تؤثرون الحياة الدنيا - ثم بين أن الشر قديم في الطباع وأن ذلك مذكور في الكتب السابقة فقال - إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى - فهذا مناج رياضة الريد وتربيته في التدريج إلى لقاء الله تعالى . فأما تفصيل الرياضة في كل صفة فسيأتي فإن أغلب الصفات على الانسان بطنه وفرجه ولسانه أعنى به الشهوات المتعلقة بها ثم الغضب الذي هو كالجنيد لحماية الشهوات ثم مهما أحب الانسان شهوة البطن والفرج وأنس بهما أحب الدنيا ولم يتمكن منها إلا بالمال والجاء وإذا طلب للمال والجاء حدث فيه الكبر والعجب والرياضة وإذا ظهر ذلك لم تسمح نفسه بترك الدنيا رأسا وتمسك من الدين بما فيه الرياضة وغلب عليه الضرور فلهذا وجب علينا بعد هدم هذين الكتائين أن نستكمل ربع اللهلكت بتأني كتب إن شاء الله تعالى : كتاب في كسر شهوة البطن والفرج وكتاب في آفات اللسان وكتاب في كسر الغضب والمقد والحسد وكتاب في كسر الدنيا

عن الله ارضى قال أنا يعقوب بن حميد قال أنا عبد العزيز بن محمد عن ابن أخى الزهرى قال إن جبريل عليه السلام قال ما في الأرض أهل عشرة من آيات إلا قلبهم لما وجدت أحدا أشد إثمًا لهذا اللال من رسول الله صلى الله عليه وسلم [ومن أخلاق الصوفية القناعة باليسير من الدنيا] . قال ذوالنون المصري :

من قنع استراح من أهل زمانه واستطاع على أقرانه وقال بشر ابن الحرث لو لم يكن في القناعة إلا التمتع بالعرز لكفى صاحبه وقال بنان الجمال :

الحر عبد ماطع والمبد حر مافتع

وتفصيل خدعها وكتاب في كسر حب المال وذم البخل وكتاب في ذم الرياء وحب الجاه وكتاب في ذم السكر والعجب وكتاب في مواقع التورور وبذكر هذه الهللكات وتعليم طرق المعالجة فيها يتم غرضنا من ربيع الهللكات إن شاء الله تعالى فإن ما ذكرناه في الكتاب الأول هو شرح لصفات القلب الذي هو معدن الهللكات والتحذيرات وما ذكرناه في الكتاب الثاني هو إشارة كلية إلى طريق تهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلوب أما تفصيلها فانه يأتي في هذه الكتب إن شاء الله تعالى.

ثم كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب كسر الشهوتين والحد في وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء وما توفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

﴿ كتاب كسر الشهوتين ﴾

(وهو الكتاب الثالث من ربيع الهللكات)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الفرد الجلال في كبرياته وتعالیه المستحق للتحديد والتعديس والتسبيح والتثنية القائم بالعدل فيما يرمه ويقضيه التطول بالفضل فيما ينم به ويسديه التكفل بحفظ عبده في جميع موارد ومحاريه للتم عليه بما يزيد على مهذات مقاصده بل بما يفي بأمانيه فهو الذي يرشده ويهديه وهو الذي يبينه ويحييه وإذا مرض فهو يشفيه وإذا ضفف فهو يقويه وهو الذي يوقه للطاعة ويرتضيه وهو الذي يطعمه ويسقيه ويحفظه من الهلاك ويحميه ويحرسه بالطعام والشراب عما يهلكهم ويرده ويكفه من القناعة بقليل القوت ويقره حتى تضيق به مجارى الشيطان الذى يناويه ويكسر به شهوة النفس التى تعاديه فيدفع شرها ثم يعيد ربه ويثبته هذا بعد أن يوسع عليه ما يلذ به ويشتهيه ويكثر عليه ما يهيج بواعثه ويؤكد دواعيه كل ذلك يمتحنه به ويبتليه فينظر كيف يؤثر على ما هو به وينتجبه وكيف يحفظ أوامره وينتهى عن نواهيه ويواظب على طاعته ويترجز عن معاصيه والصلاة على محمد عبده النبي وسوله الوجيه صلاة نزلته ونحظيه وترفع منزلته وتعليه وعلى الأبرار من عترته وأقربيه والأخيار من صحابته وتابعيه .

[أما بعد] فأعظم الهللكات لابن آدم شهوة البطن فيها أخرج آدم عليه السلام وحواء من دار القرار إلى دار الدل والافتقار إذ نهيها عن الشجرة فلبت بها مشهوراتها حتى أكل منها فبذلت لها مساوئها والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الأدوية والآفات إذ يقبها مشهوره الفرج وشدة الشوق إلى المنكوحات ثم تتبع شهوة الطعام والسكراسة شدة الرغبة في الجاه والمسال الذين هم وسيلة إلى التوسع في المنكوحات والمطعومات ثم يتبع استكثار المسال والجاه أنواع الرعونات وضروب المناسبات والمجاهدات ثم يتولد بينهما آفة الرياء وغائلة التفاخر والتكبرياء ثم يتداعى ذلك إلى المجد والحمد والحمد والاعادة والبعضاء ثم يقضى ذلك صاحبه إلى اقتحام البغي والمنكر والقهشاه وكل ذلك ثمرة إجمال المدة وما يتولد منها من بطر الشبع والامتلاء ولو ذلل البدن نفسه بالجوع وضيق به مجارى الشيطان لأذعن لطاعة الله عز وجل ولم تسلك سبيل البطر والطفقان ولم ينجر به ذلك إلى الانهماك في الدنيا وإيثار المعالجة على الصقي ولم يشكأ كل هذا الشكالب على الدنيا وإنما عظمت آفة شهوة البطن إلى هذا الحد ونجيب شرح غوائلها وأقاتها تحذيرا منها ووجب إيضاح طريق المجاهدة لها والنتية على فضلهما وتوغيها

﴿ كتاب كسر الشهوتين ﴾

وقال بعضهم انتم من حرمك بالقناعة كما تنتقم من عدوك بالقصاص . وقال أبو بكر المرغاني العاقل من دبر أمر الدنيا بالقناعة والتسويق ودبر أمر الآخرة بالحرص والتجمل . وقال يحيى بن معاذ من نفع بالرزق فقد ذهب بآخرة وطاب عيشه . وقال أمير المؤمنين على بن أنس طالب كرم الله وجهه القناعة سيف لا ينيو . أخبرنا أبو زرعة عن أبيه أن الفضل قال أنا أبو القاسم عبد الله بن الحسن الخلال ينفدنا قال أنا أبو حفص عمر بن إبراهيم قال حدثنا أبو القاسم البغوي قال

فيها وكذلك شرح شهوة الفرج فانها تابعة لها ونحن نوضح ذلك بيون الله تعالى في فصول
بجمعها بيان فضيلة الجوع ثم فوائده ثم طرق الرياضة في كسر شهوة البطن . بالتخيل من الطعام
والتأخير ثم بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف أحوال الناس ثم بيان الرياضة في ترك الشهوة
ثم القول في شهوة الفرج ثم بيان ما على المرء في ترك الزواج وفعله ثم بيان فضيلة من يخالف شهوة
البطن والفرج والعين .

(بيان فضيلة الجوع ودم الشبع)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فان الأجر في ذلك كأجر المجاهد في
سبيل الله وأنه ليس من عمل أحب إلى الله من جوع وعطش» (١) وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه
وسلم « لا يدخل ملكوت السماء من ملأ بطنه » (٢) وقيل يا رسول الله أي الناس أفضل قال « من قل مطعمه
وضمكه ورضى بما يستر به عورته » (٣) وقال النبي صلى الله عليه وسلم « سيد الأعمال الجوع وذل النفس
لباس الصوف » (٤) وقال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « البسوا كلوا واشربوا
في أنصاف البطون فانه جزء من النبوة » (٥) وقال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم « الفكر نصف العبادة وقلة الطعام
هي العبادة » (٦) وقال الحسن أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفضلكم عند الله منزلة يوم القيامة
أطولكم جوعا وتضكروا في الله سبحانه وأنفسكم عند الله عز وجل يوم القيامة بكل شئ ثم أكل
شروب » (٧) وفي الخبر « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجوع من غير عوز » (٨) أي اختار ذلك وقال
صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يباهي لللائكة بمن قل مطعمه وشربه في الدنيا يقول الله تعالى
انظروا إلى عبدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فصر وتركهما شهدوا بإملائي ما من أكلة
بدعها إلا أبدلته بأدراج في الجنة » (٩) وقال صلى الله عليه وسلم « لا تبتئز القلوب بكثرة الطعام
والشراب فان القلب كالأرزع يموت إذا كثرت عليه الماء » (١٠) وقال صلى الله عليه وسلم « ماملأ ابن آدم
وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيات يقمن عليه وإن كان لا بد فاعلا ثلث لطمته مئولت لشرابه
وثلث لنفسه » (١١) وفي حديث أسامة بن زيد وحديث أبي هريرة الطويل ذكر فضيلة الجوع إذا قال
فيه « إن أقرب الناس من الله عز وجل يوم القيامة من طام جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا الأخيام
الأخياء الذين إن شهدوا لم يعرفوا وإن غابوا لم يفتقدوا وترغمهم بغاي الأرض ونحفهم بملأ شاك السماء
ثم الناس بالدنيا وتعموا بطاعة الله عز وجل اقترش الناس القرش الوثيرة واقترشوا الجباه والركب
ضجع الناس قمل الدين وأخلاقهم وحفظوها ثم تبكى الأرض إذا قدمت ويسخط الجبار على كل

(١) حديث جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش لم أجده له أصلا (٢) حديث ابن عباس لا يدخل ملكوت
السموات من ملأ بطنه لم أجده أيضا (٣) حديث أي الناس أفضل قال من قل مطعمه وضمكه ورضى بما
يستر عورته يأتي الكلام عليه وعلى ما يبد منه من الأحاديث (٤) حديث سيد الأعمال الجوع وذل النفس لباس
الصوف (٥) حديث أبي سعيد الخدري البسوا كلوا واشربوا في أنصاف البطون (٦) حديث الفكر نصف
العبادة وقلة الطعام هي العبادة (٧) حديث الحسن أفضلكم عند الله أطولكم جوعا وتضكروا في الله
أجد لهذه الأحاديث التقدمة أصلا (٨) حديث كان يجوع من غير عوز أي اختار ذلك البيهقي في
شعب الإيمان من حديث عائشة قالت لو شئنا أن نشبع لشبعنا ولكن محمدا صلى الله عليه وسلم كان يؤثر على
نفسه وإسناده معضل (٩) حديث إن الله يباهي لللائكة بمن قل مطعمه في الدنيا الحديث ابن عدى
في الكامل وقد تقدم في الصيام (١٠) حديث لا تبتئز القلوب بكثرة الطعام والشراب الحديث أقف
له على أصل (١١) حديث ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه الحديث تسمن حديث التقديم وقد تقدم.

حدثنا محمد بن حبان
قال حدثنا أبو سعيد
عن صدقة بن الربيع
عن عمارة بن عزية
عن عبد الرحمن بن
أن سعيد عن أبيه
قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم
وهو على الأعداء يقول
« ما قل وكفى خير مما
كثر وألمسى » وروى
عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه قال « قد
أفلق من ألم وكان
رزقه ككفانا » ثم
صبر عليه » وروى
أبو هريرة رضى الله
عنه أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم دعا
وقال « اللهم اجعل رزقي
آل محمد قوتا » وروى
جابر رضى الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال « القناعة مال

بلدة ليس فيها منهم أحد لم يتكالبوا على الدنيا تكالب الكلاب على الحيف أكلوا العلق ولبسوا الحرق شعثا غبرا إراهم الناس فيقتلون أن بهم داء وما بهم داء ويقال قد خولطوا فذهبت عقولهم وما ذهبت عقولهم ولكن نظر القوم بقاؤهم إلى أمر الله الذي أذهب عنهم الدنيا فهم عند أهل الدنيا يمشون بلا عقول عقوا حين ذهبت عقول الناس لهم الشرف في الآخرة يا أسامة إذا رأيته في بلدة فاعلم أنهم أمان لأهل تلك البلدة ولا يندب الله قوما هم فيهم الأرض بهم فرحة والخياب عنهم راض اتخذهم لنفسك إخوانا عسى أن تجو بهم وإن استطعت أن يأتيك الموت ويظنك جائع وكبدك طمان فاضل فانك تترك بذلك شرف للنازل وتحل مع النبيين وتفرح بقدم روحك لللائكة ويصلى عليك الجبار ^(١) .

روى الحسن على أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «البسوا الصوف وحمروا وكلوا في أنصاف البطون تدخلوا في ملكوت السماء» ^(٢) وقال عيسى عليه السلام : يا معشر الحوارين أجمعوا أكبادكم وأعروا أجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل ^(٣) وروى ذلك أيضا عن نينا صلى الله عليه وسلم رواه طاوس وقيل مكتوب في التوراة إن الله لينض الحبر السمين لأن السمن يدل على الغفلة وكثرة الأكل وذلك قبيح خصوصا بالحيز ولأجل ذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه : إن الله تعالى ينفض القاري السمين وفي خبر مرسل «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيّقوا مجاريه بالجوع والبطش» ^(٤) وفي الخبر «إن الأكل على الشبع يورث البرص» ^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم «للمؤمن يأكل في معي واحد وللنفاق يأكل في سبعة أمعاء» ^(٦) أي يأكل سبعة أمصاف ما يأكل المؤمن أو يكون شهوته سبعة أمصاف شهوته وذكر للمع كناية عن الشهوة لأن الشهوة هي التي تقبل الطعام وتأخذها كما يأخذ المع وليس للمع زيادة عدد معي للنافق على معي للمؤمن . وروى الحسن عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول «أدعوا قرع باب الجنة فيفتح لكم قلت كيف ندعهم قرع باب الجنة قال بالجوع والظما» ^(٧) وروى «أن أبا جحيفة تمسحا في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أقصر من جشائك فإن أطول الناس جوعا يوم القيامة أكثرهم شبعاً في الدنيا» ^(٨)

(١) حديث أسامة بن زيد وأبي هريرة أقرب الناس من الله يوم القيامة من طال جوعه وعطشه الحديث بطوله الخطيب في الزهد من حديث سعيد بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل على أسامة بن زيد فذكره مع تقديم وتأخير ومن طريقه رواه ابن الجوزي في اللوؤص وفيه حباب بن عبد الله بن جيلة أحد الكذابين وفيه من لا يعرف وهو منقطع أيضا ورواه الحارث بن أبي أسامة من هذا الوجه (٢) حديث الحسن عن أبي هريرة البسوا الصوف وحمروا وكلوا في أنصاف البطون تدخلوا في ملكوت السماء أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضيف (٣) حديث طاوس مرسلأجمعوا أكبادكم الحديث لم أجده أيضا (٤) حديث ابن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم الحديث تقدم في الصيام دون الزيادة التي في آخره وذكر الصنف هنا أنه مرسل والمرسل رواه ابن أبي الدنيا في مكاييد الشيطان من حديث علي بن الحسين دون الزيادة أيضا (٥) حديث إن الأكل على الشبع يورث البرص لم أجده أصلا (٦) حديث للمؤمن يأكل في معي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء متفق عليه من حديث عمر وحديث أبي هريرة (٧) حديث الحسن عن عائشة أدعوا قرع باب الجنة الحديث لم أجده أيضا (٨) حديث إن أبا جحيفة تمسحا في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أقصر من جشائك فإن أطول الناس جوعا يوم القيامة أكثرهم شبعاً في الدنيا البيهقي في الشعب من حديث أبي جحيفة وأصله عند ت وحسنه وه من حديث ابن عمر تمسحا رجل الحديث لم يذكر أبا جحيفة .

لايفد » وروى عن
عمر رضي الله عنه أنه
قال كونوا أوعية
الكتاب ونباع
الحكمة وعدوا أضكم
في اللؤن واسألوا الله
تعالى الرزق يوما بيوم
ولا يضركم أن لا يكثر
لكم . وأخبرنا
أبو زرعة طاهر عن أبي
الفضل والده قال أنا
أبو القاسم إسماعيل بن
عبد الله الشاذلي قال أنا
أحمد بن علي الحافظ قال
أنا أبو عمرو بن حمدان
قال حدثنا الحسن بن
سفيان قال حدثنا عمرو
ابن مالك البصري قال
حدثنا مروان بن
معاوية قال حدثنا
عبد الرحمن بن أبي
سلة الأنصاري قال
أخبرني سلة بن
عبد الله بن حصن

وكانت عائشة رضي الله عنها تقول «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلئ قط شبعاً وربما بكيت رحمة بما أرى به من الجوع فأمسح بطنه يدي وأقول هنيئك القضاء لو بلغت من الدنيا بقدر ما يتوكف وتنعك من الجوع فيقول يا عائشة إخواني من أولى العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا لمضوا على حالهم قدموا على ربهم فأكرم مأهم وأجزل ثوابهم فأجذبني أستحي إن ترفعت في معيشتي أن يتصر بي غدا دونهم فالصبر أليماً أسيرة أحب إلي من أن ينقص حظي غدا في الآخرة وما من شيء أحب إلي من الحقوق بأحباب وإخواني قالت عائشة فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله إليه (١)» وعن أنس قال «جاءت فاطمة رضوان الله عليها بكسرة خبز إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا الكسرة قالت قرص خبزته ولم تطب نفسي حتى أبيتك منه بهذه الكسرة فقال رسول الله ﷺ أما إنه أول طعام دخل قم أليك منذ ثلاثه أيام (٢)» وقال أبو هريرة «ما شبع النبي صلى الله عليه وسلم أهله ثلاثة أيام تباعاً من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا (٣)» وقال صلى الله عليه وسلم «إن أهل الجوع في الدنيا هم أهل الشبع في الآخرة وإن أبغض الناس إلى الله للثمنون للثمنى وماترك عبد أكلة يشتهيها إلا كانت له درجة في الجنة (٤)». وأما الآثار فقد قال عمر رضي الله عنه إياكم والبطنة فانها تقل في الحياة تن في المات وقال شقيق البلخي العباد حرفة حانوتها الحلوة وآلتها المجاعة وقال لقمان لابنه يا بني إذا امتلات العدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وتهدت الأعضاء عن العبادات وكان الفضيل بن عياض يقول لنفسه أي شيء تخافين أخافين أن تجوعي لأخافني ذلك أنت أهون على الله من ذلك إنما يجوع محمد ﷺ وأصحابه وكان كهمس يقول إلهي اجبتني وأعزيتني وفي ظلم الليالي بلا مصباح أجلسني في أي وسيلة بلغتني ما بلغتني وكان فتح اللوصلي إذا اشتد مرضه وجوعه يقول إلهي ابتليني بالمرض والجوع وكذلك تفعل بأوليائك في أي عمل أؤدي شكر ما أنعمت به علي وقال مالك ابن دينار قلت لحمد بن واسع يا أبا عبد الله طوبى لمن كانت له غلبة قوته وتغلبه عن الناس فقال لي يا أبا يحيى طوبى لمن أمسى وأصبح جائعاً وهو عن الله راض وكان الفضيل بن عياض يقول إلهي اجبتني وأجبت علي وتركتني في ظلم الليالي بلا مصباح وإنما تفعل ذلك بأوليائك في أي منزلة نلت هذا منك وقال يحيى بن معاذ جوع الراغبين منبهة وجوع التائبين تجربة وجوع المهتدين كرامة وجوع الصابرين سبابة وجوع الزاهدين حكمة وفي التوراة اتق الله وإذا شبعنا فاذكر الجائع وقال أبو سليمان لأن أترك لقمة من عشاء أحب إلي من قيام ليلة إلى الصبح وقال أيضاً الجوع عند الله في خزيته لا يصطبه إلا من أحبه وكان سهل بن عبد الله التستري يطوي ثياباً وعشرين يوماً لا يأكل ولا يشرب طعامه في السنة درهم وكان يعظم الجوع ويبالغ فيه حتى قال لا يوافي القيامة عمل بر أفضل من ترك فضول الطعام اعتقاد بالنبي صلى الله عليه وسلم في أكله وقال لم ير إلا كياس شيئاً اتبع من الجوع للدين والدنيا وقال لا أعلم شيئاً أضر على طلاب الآخرة من الأكل وقال وضعت الحكمة والعلم في الجوع وضعت

عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أصبح آتياً في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا » وتقول في تفسير قوله تعالى - فليحبه حياة طيبة - هي القناعة فالصوفى قوام على نفسه بالقسط عالم بطائع النفس وجدوى القناعة والتوصل إلى استخراج ذلك من النفس لهله بدائها ودوائها . وقال أبو سليمان الداراني القناعة من الرضا كما أن الورع من الزهد . ومن أخلاق الصوفية ترك للرء والمجاهلة والتغلب للإيجى واعتماد الرفق والحلم وذلك أن النفوس تشب وتظهر

[١] وجد بهامش المرقى ما يأتي ، قلت : بل له أصل أخرجه أبو موسى اللدني مطولاً في كتاب استعلاء اللوت وأورد منه عياض في الشفاء ١٥١ .

الحمية والجهل في الشبع وقال ماعبد الله بشيء أفضل من مخالطة الهوى في ترك الحلال وقدا في الحديث «ثلث للطعام فمن زاد عليه يأكل من حسنة»^(١) وسئل عن الزيادة فقال لا يجد الزيادة حتى يكون الترك أحب إليه من الأكل ويكون إذا جاع ليلة سأل الله أن يجعلها ليلتين فإذا كان ذلك وجد الزيادة وقال ما صار الأبدال أبدالاً إلا بالخاص البطون والسهر والصمت والخوف والحر والسر كل بر نزل من السماء إلى الأرض الجوع ورأس كل فجور ينهها الشبع وقال من جوع نفسه تطعت عنه الوسواس وقال إقبال الله عز وجل على البعد بالجوع والسم والبلاء لإيمان شاء الله وقال أعلو أن هذا زمان لا ينال أحد فيه النجاة إلا بذيغ نفسه وقتلها بالجوع والسهر والجهد وقال مامر على وجه الأرض أحد شرب من هذا الماء حتى روى فسلم من الحمية وإن عسكر الله تعالى فكيف الشبع من الطعام. وسئل حكيم بأي قيد أقيد نفسي قال قيدها بالجوع والعطش وذلكها بأخلاقك كورتك والعز وصبرها بوضعها تحت أرجل أبناء الآخرة وأكرها بترك زى القراء عن ظاهرها وأجمن أقاتها بدوام سوء الظن بها وصحبها بخلاف هواها. وكان عبد الواحد بن زيد يقسم بالله تعالى إن الله تعالى ما سأل أحدًا إلا بالجوع ولا مشوا على الماء إلا به ولا طويتم لهم الأرض إلا بالجوع ولا تولام الله تعالى إلا بالجوع وقال أبو طالب للسكي مثل البطن مثل الزهر وهو العود المحوف ذو الأوتار إنما حسن صوته لحفته وحقته ولأنه أجوف غير محتلى وكذلك الجوف إذا خلا كان أعذب للتلاوة وأدوم للقيام وأقل للنمام. وقال أبو بكر بن عبد الله المزني ثلاثة يهجم الله تعالى رجل قليل النوم قليل الأكل قليل الراحة. وروى أن عيسى عليه السلام مكث يناجي ربه ستين صباحاً لم يأكل غطط رياه الحبز فاطمعت عن النجاة فإذا رغيغ موضوع بين يديه فجلس يبكي على فقد النجاة وإذا شيخ قد أظله قال له عيسى بارك الله فيك يا ولي الله ادع الله تعالى لي فاني كنت في حالة غطط رياي الحبز فاطمعت عن فقال الشبع اللهم إن كنت تعلم أن الحبز خطر ياللى منذ عرفتك فلا تخفر لي بل كان إذا حضر لي شيء أكلته من غير فكر وخاطر. وروى أن موسى عليه السلام لما قربه الله عز وجل نجيا كان قد ترك الأكل أربعين يوماً ثلاثين ثم عسرا على ماورد به القرآن لأنه أمسك بغير ثيببت يوماً فزيد عشرة لأجل ذلك.

(بيان فوائد الجوع وآفات الشبع)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فإن الأجر في ذلك» [١] أو لعلك تقول هذا الفضل العظيم للجوع من أين هو وما سببه وليس فيه إلا إيلام للمدة ومقاساة الأذى فإن كان كذلك فينبغي أن أعظم الأجر في كل ما يتأذى به الإنسان من ضرر به نفسه وقطعه للحمة وتناوله الأشياء السكرهه وما يجري مجراه فاعلم أن هذا ضاهي قول من شرب دواء فانتفع به وطن أن منفعته لسكرهه الدواء ومرارته فأخذ يتناول كل ما يكرهه من اللذائق وهو غلط بل تقه في خاصة في الدواء وليس لكونه مرا وإمسا يقف على تلك الخاصة الأطباء فكذلك لا يقف على علة تنفع الجوع إلا صامرة العلماء ومن جوع نفسه ممدقا لما جاء في الشرع من مدح الجوع انتفع به وإن لم يعرف علة للنفع كما أن من شرب الدواء انتفع به وإن لم يعلم وجه كونه نافعاً ولكننا نشرح لك ذلك إن أردت أن ترتقي من درجة الاعسان إلى درجة العلم قال الله تعالى لا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات فتقول في الجوع عشر فوائد : الفائدة الأولى صفاء القلب وإيقاد القريحة وإيقاد البصيرة فإن الشبع يورث البلاء ويحصى القلب ويكثر البخار في الدماغ شبه السكر حتى يحتوى على معادن السكر فيقتل القلب بسببه عن

(١) حديث ثلث لطعام تقدم .

[١] بث جاه : يا أنفسكم لم يخرجكم العرائ .

في المارين والصوفى
سلكا رعى حسن صاحبه
ظاهرة قابلها بالقلب
وإذا قولت النفس
بالقلب ذهب الوحشة
وانطلقت الفتنة قال
الله تعالى تطلب لعباده
- ادفع بالتي هي أحسن
فاذا الذى ينك وبينه
عداوة كانه ولى
حبيب ولا ينزع الراه إلا
من قوس زكية أنزع
منها القل ووجود القل
في النفوس مراد الباطن
وإذا انتزع المرء من
الباطن ذهب من
الظاهر أيضا وتكون
القل في النفس مع من
يشاكله ويمانه لوجود
النفسة ومن استعصى
في تدوير النفس بنار
الرهادة في الدنيا ينمحي
القل من باطنه ولا يبقى
عنده منافسة دنيوية

الجران في الأفكار وعن سرعة الإدراك بل الضي إذا أكثر الأكل بطل حفظه وفسد ذهنه وصار بطي، الفهم والإدراك . وقال أبو سليمان الداراني عليك بالجوع فإنه مذلة للنفس ورقة للقلب وهو يورث العلم السامى وقال صلى الله عليه وسلم « أحيوا قلوبكم بقلة الضحك وقلة الشبع وطهروها بالجوع تصفو وترقى (١) » ويقال مثل الجوع مثل الرعد ومثل القناعة مثل السحاب والحكمة كالطير وقال النبي صلى الله عليه وسلم « من أجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه (٢) » وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم « من شبع ونام قسا قلبه ثم قال لكل شيء زكاة وزكاة البدن الجوع (٣) » وقال الشبلى ما جعت لله يوما إلا رأيت في قلبي بابا مفتوحا من الحكمة والعبرة ما رأيت قط وليس يعني أن غاية المقصود من العبادات الفكر الوصول إلى المعرفة والاستبصار بمخائيق الحق والشبع يمنع منه والجوع يفتح بابه والمعرفة باب من أبواب الجنة فبالجوع أن تكون ملازمة الجوع قرعا لباب الجنة ولهذا قال لقمان لابنه يابن إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخسرت الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة وقال أبو يزيد البسطامي الجوع سحاب فإذا جاع البعد أمطر القلب الحكمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم « نور الحكمة الجوع والتابع من الله عز وجل الشبع والقربة إلى الله عز وجل حب المساكين والدنوا منهم . لا تشبعوا فتفتشوا نور الحكمة من قلوبكم ومن بات في خفة من الطعام بات الحور حوله حتى يصبح (٤) » الفائدة الثانية : رقة القلب وصفاته التي به ينهأ الإدراك لذة الثائرة والتأثر بالذكر فكمن ذكر يجرى على اللسان مع حضور القلب ولكن القلب لا يلتذ به ولا يتأثر حتى كأن بينه وبينه حجابا من قسوة القلب وقد يرق في بعض الأحوال فيعظم تأثره بالذكر وتلذذه بالناجاة وخلو المعدة هو السبب الأظهر فيه . وقال أبو سليمان الداراني أحلى ماتكون إلى العبادة إذا التصق ظهري يطيني . وقال الحنيد يجعل أحدم بينه وبين صدره خلاة من الطعام ويريد أن يجد حلاوة الناجاة . وقال أبو سليمان إذا جاع القلب وعطش صبا ورق وإذا شبع عسى وغلظ فإذا تأثر القلب بلذة الناجاة أمر وراء تبسّر الفكر واقتنص المعرفة فهي فائدة ثانية . الفائدة الثالثة : الانكسار والذل وزوال البطر والفرح والأشرف الذي هو مبدأ الظناني والفلة عن الله تعالى فلا تنكسر النفس ولا تميل بشيء كما تذلل بالجوع فعنده تنكسر لربها وتخضع له وتذف على عجزها وذلك إذ ضفت منها وضاعت حيلها بليقة طعام فاتها وأظلمت عليها الدنيا لثيرة ماء تأخرت عنها وما لم يشاهد الإنسان ذل نفسه وعجزه لارى عزة مولاه ولا فخره وإنما سعادته في أن يكون دائما مشاهدا نفسه بين الدل والمجزوم ولا بين الدل والقدرة والقهر فليكن دائما جامعا مضطرا إلى مولاه مشاهدا للانضطرار بالدق ولأجل ذلك لما عرضت الدنيا وخزائنها على النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا بل أجوع يوما وأشبع يوما فإذا جعت صبرت وتضرعت وإذا شبعت شكرت (٥) » أو كما قال الباطن والفرج باب من أبواب النار وأمله الشبع والقلب

(١) حديث أحيوا قلوبكم بقلة الضحك وطهروها بالجوع تصفو وترقى لم أجده له أصلا (٢) حديث من أجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه كذلك لم أجده له أصلا (٣) حديث من شبع ونام قسا قلبه ثم قال إن لكل شيء زكاة وإن زكاة الجسد الجوع . من حديث أبي هريرة لكل شيء زكاة وزكاة الجسد الصوم وإسناده ضعيف (٤) حديث نور الحكمة الجوع والتابع من الله عز وجل الشبع والقربة . ذكره أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة وكتب عليه إنه مسند ومن علامة مارواه بإسناده (٥) حديث أجوع يوما وأشبع يوما الحديث تقدم وهو عند ت .

في حظوظ عاجلة من جاء وما قال الله تعالى في وصف أهل الجنة المتقين - وزعنا ما في صدورهم من غل - قال أبو حفص كيف يبق القلب في قلوب المتلطف بالله وانفتحت على محبته واجتمعت على مودته وأنست بذكره فإن تلك قلوب صافية من هواجس النفوس وظلمات الطبايع بل كحلّت بنور التوفيق ضارت إخوانها هكذا قلوب أهل التصوف والمجتتمين على الكلمة الواحدة ومن الزم شروط الطريق والانكباب على النظر بالتحقيق . والنسائرجلان : رجل طالب ما عند الله تعالى ويدعو إلى ما عند الله

والانكسار باب من أبواب الجنة وأصله الجوع ومن أغلق باباً من أبواب النار فقد فتح باباً من أبواب الجنة بالضرورة لأنهما متقابلان كالشرق والغرب من أحدهما بعد من الآخر .
 القائمة الرابعة : أن لا ينسى بلاء الله وعذابه ولا ينسى أهل البلاء فإن الشبان ينسى الجامع وينسى الجوع والعبد القطن لا يشاهد بلاء من غيره إلا ويتذكر بلاء الآخرة فيذكر من عطشه عطش الخلق في عرصات القيامة ومن جوعه جوع أهل النار حتى إنهم ليجوعون فيطمعون الضريع والزقوم ويسقون السناق والمهل فلا ينفى أن يغييب عن العبد عذاب الآخرة وآلامها فإنه هو الذي يبيح الخوف لمن لم يكن في ذلة ولا علة ولا قلة ولا بلاء نسي عذاب الآخرة ولم يمتثل في نفسه ولم يفلح على قلبه فينبغي أن يكون العبد في مقاساة بلاء أو مشاهدة بلاء وأولى ما يقاسيه من البلاء الجوع فإن فيه فوائد جمّة سوى تذكر عذاب الآخرة وهذا أحد الأسباب التي اقتضى اختصاص البلاء بالأنبياء والأولياء والأئمة فالأئمة ولذلك قيل ليوسف عليه السلام لم تجوع وفي يدك خزائن الأرض فقال أخاف أن أشبع فأنسى الجامع فذكر الجائع والمحتاجين إحدى فوائد الجوع فإن ذلك يدعو إلى الرحمة والإطعام والشفقة على خلق الله عز وجل والشبان في غفلة عن ألم الجامع . القائمة الخامسة : وهي من أكبر الفوائد كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلاء على النفس الأمارة بالسوء فإن منشأ المعاصي كلها الشهوات والقوى ومادة القوى والشهوات لا محالة الأطعمة فتقليلها يضعف كل شهوة وقوة وإيما السعادة كلها في أن يملك الرجل نفسه والشقاوة في أن تملكه نفسه وكما أنك لا تملك الدابة الجوح إلا بضعف الجوع فإذا شبت قوت وشردت وجمحت فسد ذلك النفس كما قيل لبعض ما بالك مع كرك لا تهتد بدلك . وقد أهد فقال لأنه سريع فاحش الأثر فأخاف أن أجمع في فيوزط في فلان أحله على الشدائد أحب إلى من أن يعملني على الفواحش . وقال ذو النون ما شبت قط إلا غضبت أوهمت بمصيبة . وقالت عائشة رضي الله عنها أول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع إن التوم لما شبت بطونهم جمحت بهم تقوسهم إلى هذه الدنيا وهذه ليست فائدة واحدة بل هي خزائن الفوائد ولذلك قيل الجوع خزنة من خزائن الله تعالى وأقل ما يندفع بالجوع شهوة الفرج وشهوة الكلام فإن الجامع لا يتحرك عليه شهوة فضول الكلام فينخلص به من آفات اللسان كالنية والفحش والكذب والتمية وغيرها فيجتمعه الجوع من كل ذلك وإذا شبع اغترى إلى فاكهة فيفسكه لا محالة بأعراض الناس ولا يكتب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم . وأما شهوة الفرج : فلا تخفى غائلتها والجوع يكتفي شرها وإذا شبع الرجل لم يملك فرجه وإن منعه الفتوى فلا يملك عينه فالعين ترى كما أن الفرج يرى فإن ملك عينه بنض الطرف فلا يملك فكره فيخطر له من الأفكار الرديئة وحديث النفس بأسباب الشهوة وما يتشوش به مناجاته وربما عرض له ذلك في أثناء الصلاة وإيما ذكرنا آفة اللسان والفرج مثلاً وإلا فجميع معاصي الأعضاء السبعة سببها القوة الحاصلة بالشبع قال حكيم كل مرهبد صبر على السيادة فيصير على الجبر البحث سنة لا يخطئ به شيئاً من الشهوات ويأكل في نصف بطنه رفع الله عنه مؤنة النساء . القائمة السادسة : دفع النوم ودوام السهر فإن من شبع كثيراً ومن كثّر شربه كثّر نومه ولأجل ذلك كان بعض الشيوخ يقول عند حضور الطعام معاشر الريدين لا تأكلوا كثيراً فتشربوا كثيراً فترقدوا كثيراً فتخسروا كثيراً وأجمع رأى سبعين صديقاً على أن كثرة النوم من كثرة التبرج وفي كثرة النوم ضياع العمر وفوت التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب والعمر أنفاس الجواهر وهو رأس مال العبد فيه يتجر والنوم موت خشكثيره ينقص العمر ثم فضيلة التهجد لا تخفى وفي النوم فوائدها ومهما

نفسه وفيه . فالصحيح الصوفي مع هذا منافسة ومراء وغل فإن هذا معه في طريق واحد ووجهة واحدة واخوه ومعينه والؤمنون كالبنيان يشد بضه بضاً ورجل مفتتح بجى من عجة الجاه والمال والرياسة ونظر الخلق لما للصوفي مع هذا منافسة لأنه زهد فيها فيه رغب في شأن الصوفي أن ينظر إلى مثل هذا نظر رحمة وشفقة حيث يراه محبوا مفتتاً فلا ينطوى له على غل ولا يماريه في الظاهر على شيء لعله يظهر ونفسه الأمارة بالسوء في الرأه والمجادلة . أخبرنا الشيخ العالمضياء الدين عبد الوهاب بن على

غلب النوم فإن تهجد لم يجد حلاوة العبادة ثم التزهد إذا نام على الشبع احتم وبمنه ذلك أيضا من التهجد وبحوجه إلى الفصل إما بالماء البارد فيتأذى به أو يحتاج إلى الحمام وربما لا يجدر عليه بالليل فيفوته الوتر إن كان قد أخره إلى التهجد ثم يحتاج إلى مؤنة الحمام وربما تقع عينه على عورة في دخول الحمام فإن فيه أخطارا ذكرناها في كتاب الطهارة وكل ذلك أثر الشبع . وقد قال أبو سليمان الداراني الاحتلام عقوبة وإنما قال ذلك لأنه يمنع من عبادات كثيرة لعدم التسلف في كل حال فالنوم منبغ الآفات والشبع مجلبة له والجوع مقطعة له . الفائدة السابعة : تيسر للمواظبة على العبادة فإن لأكل يمنع من كثرة العبادات لأنه يحتاج إلى زمان يشتغل فيه بالأكل وربما يحتاج إلى زمان في شراء الطعام وطبخه ثم يحتاج إلى غسل اليد والحلال ثم يكثر تراده إلى بيت الماء لكثرة شربه والأوقات للصوفة إلى هذا لوصفها إلى الذكر وللناجاة وسائر العبادات لكثرة ربحه . قال السري رأيت مع علي الجرجاني سويقا يستف منه قلت ماحمك على هذا قال إنى حسبت ما بين الضغ إلى الاستفاف سبعين تسبيحة فما مضت الخبر منذ أربعين سنة فانظر كيف أشفق على وقته ولم يضيعه في الضغ وكل نفس من العمر جوهرة ثمينة لا قيمة لها فينبغي أن يستوفي منه خزنة باقية في الآخرة لا آخر لها وذلك بصرفه إلى ذكر الله وطاعته . ومن جملة ما يندثر بكثرة الأكل الدوام على الطهارة وملازمة المسجد فإنه يحتاج إلى الخروج لكثرة شرب الماء وإراقة . ومن جلته الصوم فإنه ييسر لمن تعود الجوع فالصوم ودوام الاعتكاف ودوام الطهارة وصرف أوقات شغله بالأكل وأسبابه إلى العبادة أرباح كثيرة وإنما يستحقها الغافلون الذين لم يعرفوا قدر الدين لكن رضوا بالحياة الدنيا وأطمأنوا بها - يملكون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون - وقد أشار أبو سليمان الداراني إلى ست آفات من الشبع فقال : من شبع دخل عليه ست آفات قد حلاوة المناجاة وتعدر حفظ الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق لأنه إذا شبع ظن أن الخلق كلهم شباع وتقل العبادة وزيادة الشهوات وأن سائر المؤمنين يدورون حول الساجد والشباع يدورون حول الزايل . الفائدة الثامنة : يستفيد من قلة الأكل صحة البدن ودفع الأمراض فإن سببا لكثرة الأكل وحصول فضلة الأخلاط في اللمة والعروق ثم للرض يمنع من العبادات ويشوش القلب وينتج من الفكر والفكر وينقص العيش ويحوج إلى التصدد والحجامة والدواء والطبيب وكل ذلك يحتاج إلى مؤن وتنفقات لا يخلو الإنسان منها بعد التبع عن أنواع من اللصص واتقاع الشهوات وفي الجوع ما يمنع ذلك كله . حكى أن الرشيد جمع أربعة أطباء هندي ورومي وعراقي وسوادي وقال ليصف كل واحد منكم الدواء التي لاداء فيه فقال الهندي الدواء الذي لاداء فيه عندي هو الإهليلج الأسود وقال العراقي هو حب الرشايد الأبيض وقال الرومي هو عندي الماء الحار وقال السوادي وكان أعلمهم الإهليلج بنفس اللمة وهذا داء وحب الرشايد يزلق اللمة وهذا داء والماء الحار يرضى اللمة وهذا داء قالوا فما عندك فقال الدواء الذي لاداء معه عندي أن لاتأكل كل الطعام حتى تشتهي وأن ترفع يدك عنه وأنت تشتهي فقالوا صدقت . وذكر بعض الفلاسفة من أطباء أهل الكتاب قول النبي صلى الله عليه وسلم « ثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس ^(١) » فجنب منه وقال ما سمعت كلاما في قلة الطعام أحكم من هذا وإنه لكلام حكيم وقال صلى الله عليه وسلم « البطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء وعودوا كل جسم ما اعتاد ^(٢) » وأظن تعجب الطبيب جري من هذا الخبر لامن ذلك وقال ابن سالم :

(١) حديث ثلث للطعام تقدم أيضا (٢) حديث البطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء وعودوا

قال أنا أبو الفتح
المروئي قال أنا أبو نصر
الترقي قال أنا أبو محمد
الجراحي قال أنا
أبو عباس الجبوبي
قال أنا أبو عيسى
الترمذي قال حدثنا
زيد بن أيوب قال
حدثنا الهاربي عن
ليث عن عبد الله عن
عكرمة عن ابن عباس
رضي الله عنهما عن
النبي صلى الله عليه وسلم
قال « لا خمار أحاكم ولا
تعده موعدا فخلقته »
وفي الخبر « من ترك
المراء وهو مبطل بئله
بيت في ربيع الجنة
ومن ترك للمراء وهو
عق بئله في وسطها
ومن حسن خلقه بئله
في أعلاها . » وأخبرنا
شيخنا شيخ الإسلام
أبو العجيب قال أنا

من أكل خبز الحنطة بحثاً بأدب لم يستل إلا علة الموت قبل وما الأدب قال نأكل بعد الجوع وترفع قبل الشبع . وقال بعض أفاضل الأطباء قدّم الاستكثار إن أنشع ما أدخل الرجل بطنه الرمان وأخضر ما أدخل معدته الدالغ ولأن يقلل من الدالغ خير له من أن يستكثر من الرمان وفي الحديث « صوموا تصحوا » (١) ففي الصوم والجوع وتقليل الطعام صحة الأجسام من الأسقام وصحة القلوب من سقم الطغيان والبطر وغيرها . الفائدة التاسعة : خفة اللثة فإن من تعود قلة الأكل كفاء من المال قدر

يسر والذي تعود الشبع صار بطنه غريباً ملازماً له أخذاً بمخنته في كل يوم فيقول ماذا تأكل اليوم فيحتاج إلى أن يدخل للداخل فيكتسب من الحرام فيصير أو من الحلال فيذل وربما يحتاج إلى أن يعد أعين الطمع إلى الناس وهو غاية الدل والثمن خفيف اللثة . وقال بعض الحكماء إنى لأتقى عامة حوائجي بالترك فيكون ذلك أروح قلبي . وقال آخر إذا أردت أن استقرض من غيبي لشهوة أو زيادة استقرضت من نفسي فتركت الشهوة فهي خير غريم لي وكان إبراهيم بن آدم رحمه الله يسأل أصحابه عن سرهما كولات فيقال إنها غالية فيقول أرخصوها بالترك . وقال سهل رحمه الله الأكل مذموم في ثلاثة أحوال : إن كان من أهل العبادة فيكسل وإن كان مكتسباً فلا يسلم من الآفات وإن كان ممن يدخل عليه شيء فلا ينصف الله تعالى من نفسه . وبالجملة سبب هلاك الناس حرصهم على الدنيا وسبب حرصهم على الدنيا البطن والفرج وسبب شهوة الفرج شهوة البطن وفي تقليل الأكل ما يحسم هذه الأحوال كلها وهي أبواب النار وفي حسمها فتح أبواب الجنة كما قال صلى الله عليه وسلم « أدعوا قرع باب الجنة بالجوع » فمن قنع برغيف في كل يوم قنع في سائر الشهوات أيضاً وصار حراً واستغنى عن الناس واستراح من التعب ونحلى لبيادة الله عز وجل وتجارة الآخرة فيكون من الذين لا تلهمهم تجارة ولا يسع عن ذكر الله وإنما لا تلهمهم لاستغنائهم عنها بالقناعة وأما المحتاج فلهذه لاهالة . الفائدة العاشرة : أن يتمكن من الإتيار والتصدق بما فضل من الأطعمة على النباه والمساكين فيكون يوم القيامة في ظل صدقته (٢) كما ورد به الخبر . فما يأكله كان خزانته الكنيف وما يتصدق به كان خزانته فضل الله تعالى فليس للعبد من ماله إلا ما تصدق فأبقى أو أكل فأبقى أو لبس فأبقى فالتصدق بفضلات الطعام أولى من التخمة والشبع . وكان الحسن رحمه الله عليه إذا تلا قوله تعالى - إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً - قال عرضها على السموات السبع الطباق والطرائق التي زينها بالنجوم وحملت العرش العظيم فقال لها سبحانه وتعالى هل تحملين الأمانة بما فيها قالت وما فيها ؟ قال إن أحسنت جوزيت وإن أسأت عوقبت فقالت لا ، ثم عرضها كذلك على الأرض فأبت ثم عرضها على الجبال التم الشوامخ الصلاب الصعاب فقال لها هل تحملين الأمانة بما فيها قالت وما فيها ؟ فذكر الجزاء والعقوبة فقالت لا ، ثم عرضها على الإنسان فحملها إنه كان ظلوماً لنفسه جهولاً بأمر ربه فقد رأيناكم والله اشتروا الأمانة بأسواقهم فأصابوا آلافاً فإذا صنعوا فيها وسعوا بها دورهم وضيقوا بها قبورهم وأصنعوا براذجهم وأهزلوا دينهم وأنصأوا أنفسهم بالفسد والرواح إلى باب السلطان يترضون

كل بدن بما اعتاد لم أجد له أصلاً (١) حديث صوموا تصحوا الطبراني الأوسط وأبو نعيم في الطب النبوي من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٢) حديث كل امرئ في ظل صدقته ك من حديث حبة بن طاهر وقد تقدم .

أبو جسد الرحمن
المهرودي محمد بن
أبي عبد الله السالني
قال أنا أبو الحسن
عبد الرحمن الداودي
قال أنا أبو محمد عبدالله
ابن أحمد الجوى قال أنا
أبو عمران عيسى
المهرقدي قال أنا
أبو محمد عبدالله بن
عبد الرحمن الدارمي
قال حدثنا يحيى بن
بسطام عن يحيى ابن
حمزة قال حدثنا النعمان
ابن مكيحول عن ابن
عباس رضي الله عنهما
قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم « من
طلب العلم ليدي به
الطماء أو يماري به
الشفاه أو يريد أن
يقبل بوجوه الناس
إليه أدخله الله تعالى
جهنم » انظر كيف

للبلاء وهم من الله في عافية يقول أحدهم تبيى أرض كذا وكذا وأزيدك كذا وكذا يشك على شمله وبأكل من غير ماله حديثه سخرة وماله حرام حتى إذا أخذته السكطة ونزلت به البطنة قال يا غلام اتقني بشئ أهضم به طعاسي بالكع أطامك تهضم إنما دينك تهضم أين الفقير أين الأرملة أين للسكين أين البيت الذي أمرك الله تعالى بهم فيه إشارة إلى هذه الفائدة وهو صرف فاضل الطعام إلى الفقير ليدخر به الأجر فذلك خير له من أن يأكله حتى يتضاعف الوزر عليه « ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رجل من البطن فأومأ إلى بطنه بأصبعه وقال : لو كان هذا في غير هذا لكان خيراً لك (١) أي لو قدمت لآخرتك وآثرت به غيرك . وعن الحسن قال والله لقد أدركت أفواها كان الرجل منهم يسعى وعنده من الطعام ما يكفي ولولو شاء لأكله فيقول والله لأجمل هذا كله لبطنى حتى أجمل بعضه فله فيه عشر فوائد للجوع ينشعب من كل فائدة فوائد لا ينحصر عددها ولا تقتضي فوائد ما فاجوع خزائن عظيمة لتوائد الآخرة ولأجل هذا قال بعض السلف الجوع مفتاح الآخرة وباب الزهد والشبع مفتاح الدنيا وباب الرغبة بل ذلك صريح في الأخبار التي رويها وبالوقوف على تفصيل هذه القوائد تدرك معاني تلك الأخبار إدراك علم وبصيرة فاذا لم تعرف هذا وصدقت بفضل الجوع كانت لك رتبة للتقدين في الإيمان والله أعلم بالصواب .

(بيان طريق الرياضة في كسر شهوة البطن)

اعلم أن على الريد في بطنه وما كوله أربع وظائف : الأولى أن لا يأكل إلا حلالاً فإن العادة مع أكل الحرام كالبلاء على أمواج البحار وقد ذكرنا ما يجب مراعاته من درجات الورع في كتاب الحلال والحرام وتبقى ثلاث وظائف خاصة بالأكل وهو تقدر قدر الطعام والكملة وتقدر وقته في الإبطاء والسرعة وتعين الجنس للأكل في تناول للشهيات وتركها . أما الوظيفة الأولى : في تحليل الطعام فسيبيل الرياضة فيه التدريج فمن اعتاد الأكل الكثير وانتقل دفعة واحدة إلى القليل لم يحمله مزاجه وضعف وعظمت مشقة فينبغي أن يتدرج إليه قليلاً قليلاً وذلك بأن ينقص قليلاً قليلاً من طعامه المعتاد فإن كان يأكل رغيفين مثلاً وأراد أن يرد نفسه إلى رغيف واحد فينقص كل يوم ربع سبع رغيف وهو أن ينقص جزءاً من ثمانية وعشرين جزءاً أو جزءاً من ثلاثين جزءاً فيرجع إلى رغيف في شهر ولا يستعربه ولا يظهر أثره فإن شاء فعل في ذلك بالوزن وإن شاء للمشاهدة فيترك كل يوم مقدار لقمة وينقص عما أكله بالأمس ثم هذا فيه أربع درجات أصحها أن يرد نفسه إلى قدر القوام الذي لا يبقى دونه وهو عادة الصديقين وهو اختيار سهل التيسر رحمة الله عليه إذ قال إن الله استعبد الخلق بثلاث : بالحياة والعقل والقوة فإن خاف البعد على اثنين منها وحى الحياة والعقل أو أكل وأفطر إن كان صائماً وتكلف الطلب إن كان فقيراً وإن لم يخف عليهما بل على القوة قال فينبغي أن لا يبالي ولو ضعف حتى صلى قاعدا ورأى أن صلاته قاعدا مع ضعف الجوع أفضل من صلاته قائماً مع كثرة الأكل . وسئل سول عن بدائه وما كان يقات به فقال كان قوياً في كل سنة ثلاثة دراهم كنت أخذ بدهم ديباً وبدهم دقيق الأرز . وبدهم صنناً وأنشط الجميع وأسمى منه ثلثه وستين أكرة أخذ في كل ليلة أكرة أفطر عليها قليله فالساعة كيف تأكل قال بشر حد ولا توقيت . ويحكى عن الرهايين أنهم قد يردون أنفسهم إلى مقدار درهم من الطعام . المرحلة الثانية أن يرد نفسه بالرياضة في اليوم واليلة إلى نصف مد وهو رغيف وشئ مما يكون الأربعة منه منا

جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم للمارة مع السفهاء سبياً لدخول النار وذلك بظهور نفوسهم في طاب التهر والقلبة والتهر والقلبة من صفات الشيطنة في الآدمي . قال بعضهم : الجادل للمارى يضع في نفسه عنه الجحش في الجدال أن لا يقع بشئ ومن لا يقع إلا أن لا يقع فما إلى فاعته سيل نفوس الصوفى تبدلت صفاتها وذهب عنه صفة الشيطنة والسبعية وتبدل بالبين والرفق والسهولة والطمأنينة روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «والذى نعى يده لا يسل عبيد

(١) حديث نظر إلى رجل من البطن فأومأ إلى بطنه بأصبعه وقال لو كان هذا في غير هذا لكان خيراً لك أحمد وك في الاستدرك والبيهقي في الشعب من حديث جملة الجعفى وإسناده جيد .

ويشبه أن يكون هذا مقدار ثلث البطن في حق الأكثرين كما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم وهو فوق اللقمة لأن هذه الصيغة في الجمع للقة فهو لما دون العشرة وقد كان ذلك عادة عمر رضي الله عنه إذا كان يأكل سبع لقم أو تسع لقم . الدرجة الثالثة : أن يردّها إلى مقدار اللدوهو رغيفان ونصف وهذا يزيد على ثلث البطن في حق الأكثرين ويكاد ينتهي إلى ثلث البطن ويبقى ثلث للشراب ولا يبقى شيء للذكر وفي بعض الألفاظ ثلث للذكر بدل قوله للنفس . الدرجة الرابعة : أن يزيد على اللد إلى الن ويشبه أن يكون ما وراء اللد إسرافاً مخالفاً لقوله تعالى ولا تسرفوا فما أغنى في حق الأكثرين فإن مقدار الحاجة إلى الطعام يختلف بالنسب والشخص والعمل الذي يشتغل به وههنا طريق خامس لا تخدر فيه ولكنه موضع غلط وهو أن يأكل إذا صدق جوعه ويقبض يده وهو على شهوة صادقة بعد ولكن الأغلب أن من لم يقدر نفسه رغيفاً ورغيفاً فلا يقبض له حد الجوع الصادق ويشبه عليه ذلك بالشهوة الكاذبة وقد ذكر للجوع الصادق علامات : إحداها أن لا تطلب النفس الأدم بل تأكل الحبز وحده بشهوة أي خبز كان فهما طلبت نفسه خبزاً بعينه أو طلبت أدماً فليس ذلك بالجوع الصادق وقد قيل من علامته أن يصق فلا يقع اللذاب عليه أي لم يبق فيه دهنية ولا دسومة فدل ذلك على خلو المعدة ومعرفة ذلك غامض فالصواب المبرهان يقدر مع نفسه التقدر الذي لا يصفه عن العبادة التي هو يصددها فإذا انتهى إليه وقف وإن بقيت شهوته على الجملة فتقدر الطعام لا يمكن لأنه يختلف بالأحوال والأشخاص نعم قد كان قوت جماعة من الصحابة صاعاً من حنطة في كل جمعة فإذا أكلوا التمر اقتاتوا منه صاعاً ونصفاً وصاع الحنطة أربعة أمدا فيكون كل يوم قريباً من نصف مد وهو ما ذكرناه أنه قدر ثلث البطن واحتيج في التمر إلى زيادة لمد قوت النوى منه وقد كان أبو ذر رضي الله عنه يقول طعامي في كل جمعة صاع من شعير على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا أزيد عليه شيئاً حتى ألقاه فأتى سمعته يقول « أقربكم من مجلسي يوم القيامة وأجسكم إلى من مات على ما هو عليه اليوم »^(١) وكان يقول في إنكاره على بعض الصحابة قد غيّرتم ينخل لكم الشعير ولم يكن ينخل وخبرتم للرفق وجمتم بين إدامين واختلف عليكم . ألوان الطعام وغدا أحدكم في ثوب وراح في آخر ولم تكونوا هكذا على عهد رسول الله ﷺ وكان قوت أهل الصفه مد من تمرين اثنين في كل يوم^(٢) والد رطل وثلث ويسقط منه النوى . وكان الحسن رحمة الله عليه يقول المؤمن مثل الضئيرة يكفيه الكسف من الحشف والقبضة من السويق والجرع من الماء والنافق مثل السبع الضاري بلعاً ولساناً وسطاً وسطاً لا يطوي بطنه لجاره ولا يؤثر أخاه بفضل وجهه وهذه الفضول أماسكم . ولة لسهل لو كانت الدنيا دماً عبيطاً لكان قوت المؤمن منها حلالاً لأن أكل المؤمن عند الضرورة بقدر القوام فقط . الوظيفة الثانية : في وقت الأكل ومقدار تأخيرها وفيه أيضاً أربع درجات : الدرجة العليا أن يطوى ثلاثة أيام فلا فوقها وفي الريدين من رد الرياضة إلى الطي لا إلى التقدير حتى انتهى بهم في ثلاثين يوماً وأربعين يوماً وانتهى إليه جماعة من العلماء بكثر عدهم منهم محمد بن عمرو والقرني وعبد الرحمن بن إبراهيم ورحم إبراهيم التيمي وحجاج بن فرافصة وحفص العابد الصيمى والسلم ابن سعيد وزهير وسليمان الحواص وسهل بن عبد الله التستري وإبراهيم بن أحمد الحواص وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يطوى ستة أيام وسكان عبد الله بن الزبير يطوى سبعة أيام

(١) حديث أبي ذر أقربكم من مجلسي يوم القيامة وأجسكم إلى من مات على ما هو عليه اليوم أحمد في كتاب الزهد . ون طريقه أبو نعيم في الحلية دون قوله وأجسكم إلى وهو منقطع (٢) حديث كان قوت أهل الصفه مد من تمرين اثنين في كل يوم ك وصحح إسناده من حديث طلحة البصري .

حق يسل قلبه ولسانه ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائه » انظر مكيف جعل النبي صلى الله عليه وسلم من شرط الاسلام سلامة القلب واللسان وروى عنه عليه السلام أنه من يقوم وهم معدون حجراً قال ما هذا قالوا هذا حجر الأعداء قال ألا أخبركم بأشد من هذا رجل كان بينه وبين أخيه غضب فأتاه قلب شيطانه وشيطان أخيه فكلمه وروى أنه جاء غلام لأبي ذر وقد كسر رجله فقال أوفد من كسر رجل هذه الشاة فقال أنا قال ولم قلت ذلك قال ولم قلت ذلك قال فخرني أغيظك فخرني

وكان أبو الجوزاء صاحب ابن عباس يطوى سبعا . وروى أن الثوري وإبراهيم بن آدم كانا يطويان ثلثتا ثلاثا كل ذلك كانوا يستعينون بالجوع على طريق الآخرة . قال بعض العلماء من طوى لله أربعين يوما ظهرت له قدرة من اللكوت أى كوشف بعض الأسرار الإلهية . وقد حكى أن بعض أهل هذه الطائفة مر برأهب فذاكره بحاله وطعم في إسلامه وترك ما هو عليه من الغرور فلكمه في ذلك كلاما كثيرا إلى أن قال له الراهب إن المسيح كان يطوى أربعين يوما وإن ذلك معجزة لا تكون إلا لنبي أو صديق قال له الصوفي فأن طويت خمسين يوما ترك ما أنت عليه وتدخل في دين الإسلام وتعلم أنه حق وأنت على باطل ؟ قال نعم نجس لا يرحح إلا حيث يراه حتى طوى خمسين يوما ثم قال وأزيدك أيضا فطوى إلى تمام الستين فتعجب الراهب منه وقال ما كنت أظن أن أحدا يجاوز المسيح فكان ذلك سبب إسلامه وهذه درجة عظيمة قل من يبلغها لا يمكن أن يفتن بشغل عيشة ما قطعه عن طبعه وعادته واستوفى نفسه في لذته وأنساه جوعته وحاجته . الدرجة الثانية : أن يطوى يومين إلى ثلاثة وليس ذلك خارجا عن العادة بل هو قريب بمسكن الوصول إليه بالجد والمجاهدة . الدرجة الثالثة : وهي أدناها أن يقتصر في اليوم واليلية على أكلة واحدة وهذا هو الأقل وما جاوز ذلك إسراف ومداومة للشبع حتى لا يكون له حالة جوع وذلك فعل الترفين وهو بعيد من السنة فقد روى أبو سعيد الحدرى رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا تصدى لم يشئ وإذا تعشى لم يتعد (١) وكان السلف يأكلون في كل يوم أكلة وقال النبي ﷺ لما شئت إياك والسرف فان أكلتين في يوم من السرف وأكلة واحدة في كل يومين إقتاروا كلة في كل يوم قوام بين ذلك (٢) وهو المعمود في كتاب الله عز وجل ومن اقتصر في اليوم على أكلة واحدة يستحب له أن يأكلها سحر قبل طلوع الفجر فيكون أكله بعد التهجيد وقبل الصبح فيحصل له جوع النهار للصيام وجوع الليل للقيام وخلق القلب لفرار اللذة ورقة الفكر واجتماع الهم وسكون النفس إلى العلوم فلا تنازعه قبل وقته . وفي حديث عاصم بن كليب عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيامكم هذا قتل وإن كان ليقوم حتى تورم قدماء وما واصل وصالحكم هذا قط غير أنه قد أخر القطر إلى السحر (٣) وفي حديث عائشة رضى الله عنها قالت كان النبي ﷺ يواصل إلى السحر (٤) فإن كان يلبث قلب الصائم بعد المغرب إلى الطعام وكان ذلك يشغله عن حضور القلب في التهجيد فالأولى أن يقسم طعامه نصفين فإن كان رغبين مثلا أكل رغبيا عند الفطر ورغبيا عند السحر لتسكن نفسه ويخفف بدنه عند التهجيد ولا يشتد به التمار جوعه لأجل التسحر فيستعين بالرغب الأول على التهجيد والثاني على الصوم ومن كان يصوم يوما ويفطر يوما فلا بأس أن يأكل كل يوم فطره وقت الظهر ويوم صومه وقت السحر فهذه الطرق في مواقيت الأكل وتباعده وتعارفه . الوظيفة الثالثة : في نوع الطعام وترك الإدام وأعلى الطعام مع البر فإن نخل فهو غاية الترفه وأوسطه شعرين ونحوه وأدناهم شعر لم ينخل وأعلى الأدم اللحم والحلوة وأدناهم الملح

(١) حديث أبي سعيد الحدرى كان إذا تصدى لم يشئ وإذا تعشى لم يتعد لم أجده له أصلا
(٢) حديث قال لعائشة إياك والاسراف فان أكلتين في يوم من السرف البيهقي في الشعب من حديث عائشة وقال في إسناده ضعف (٣) حديث عاصم بن كليب عن أبيه عن أبي هريرة ما قام رسول صلى الله عليه وسلم قيامكم هذا قط وإن كان ليقوم حتى ترزق قدماء رومان غنمرا كان يصلى حتى ترزق قدماء وإسناده جيد (٤) حديث عائشة كان يواصل إلى السحر لم أجده من فعله وإنما هو من قوله فأبكم أراد أن يواصل فليواصل حتى السحر رواه من حديث أبي سعيد وأما هو فكان يواصل وهو من خصائصه

فأبكم فقال أبو ذر لأغظن من حشك على غيظي فأعنته . وروى الأصمعي عن أعمر بن قال إذا أشكل عليك أمران لا تدرى أيهما أرشد تخالف أقربهما إلى هواك فان أكثر ما يكون الخطأ مع متابعة الهوى . أخبرنا أبو زرعة عن أبيه عن الفضل قال أنا أبو بكر محمد بن أحمد بن علي قال أنا خورشيد قال ثنا إبراهيم بن عبد الله قال ثنا أحمد بن محمد ابن سليم قال ثنا الزبير ابن بكار قال ثنا سعيد ابن سعد عن أخيه عن جده عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قل

والخل وأوسطه للزورات بالأدهان من غير علم وعادة سالكى طريق الآخرة الامتناع من الإدام على الدوام بل الامتناع عن الشهوات فان كل لذيذ يشتهي الانسان وأكله اتقى ذلك بطرا في نفسه وقوة في قلبه وأسا له بلاد الدنيا حتى يألفها ويكره للوث ولقاء الله تعالى وتصير الدنيا جنة في حقه ويكون للوث سجناء وإذا منع نفسه عن شهواتها وضيق عليها وحرمها فلهاتها صارت الدنيا سجناء عليه ومعيقا لها فاشتبهت نفسه الافلات منها فيكون للوث إطلاقها وإليه الإغارة بقول يحيى ابن سعاد حيث قال معاشر الصديقين جوعوا فأنفسم لولية الفردوس فان شهوة الطعام على قدر مجموع النفس فكل ما ذكرناه من آفات الشبع فانه يجري في كل الشهوات وتناول اللذات فلا تطول بإعادته فذلك يظم الثواب في ترك الشهوات من اللباحات ويظم الخطر في تناولها حتى قال صلى الله عليه وسلم و شرار أمتي الذين يأكلون مع الحنطة ^(١) وهذا ليس بتحريم بل هو مباح على معنى أن من أكله مرة أو مرتين لم يمس ومن دام عليه أيضا فلا يمس بتأوله ولكن تربي نفسه بالنعيم فتأنس بالذات وتأنف اللذات وتسمى في طلبها فيجرها ذلك إلى العاصي فهم شرار الأمة لأن مع الحنطة يقومون إلى اقتحام أمور تلك الأمور معاص وقال صلى الله عليه وسلم « شرار أمتي الذين غدوا بالنعيم ونبتت عليه أجسامهم ^(٢) » وإنما همته ألوان الطعام وأنواع اللباس ويتشققون في الكلام وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام اذكر أنك ساكن القبر فان ذلك يمنعك من كثير الشهوات وقد اشتد خوف السلف من تناول لذيق الأطعمة وتغري النفس عليها ورأوا أن ذلك علامة الشقاوة ورأوا منع الله تعالى منه غاية السعادة حتى روى أن وهب بن منبه قال التقى ملكان في الساء الراية فقال أحدهما للآخر من أين ؟ قال أمرت بسوق حوت من البحر اشتبه فلان اليهودي لئنه الله وقال الآخر أمرت بأهراق زيت اشتبه فلان العابد فبهذا تنبيه على أن تيسر أسباب الشهوات ليس من علامات الخير ولهذا امتنع عمر رضى الله عنه عن شربة ماء بارد يصل وقال اعزوا عني حسابها فلاعبادة لله تعالى أعظم من مخالفة النفس في الشهوات وترك اللذات كما أوردناه في كتاب رياضة النفس وقد روى نافع أن ابن عمر رضى الله عنهما كان مريضا فاشتى ممكة طرية فالتصته بالمدينة فلم توجد ثم وجدت بدكذا وكذا فاشتريت له بدرهم ونصف فشوت وحملت إليه على رغيف فقام سائل على الباب فقال للامام لها برغيفها وادفها إليه فقال له اللامام أصلحك الله قد اشتيتها منذ كذا وكذا فلم نجد لها فلو وجدتها اشتريتها بدرهم ونصف فحين نطق بها قال لها وادفها إليه ثم قال للامام لاسأل هل لك أن تأخذ درهما وتركها قال نعم فأعطاه درهما وأخذها وأتى بها فوضها بين يديه وقال قد أعطيتها درهما وأخذتها منه فقال لها وادفها إليه ولا تأخذ منه الدرهم فان سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أيما امرئ اشتى شهوة فرد شهوته وآثر بها على نفسه غفر الله له ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا مددت كلب الجوع برغيف وكوز من الماء

ثلاث نعيمات وثلاث مهلكات فأما النعيمات غلبة الله في السر والملاينة والحكم بالحق عند الغضب والرضا والاتصاف عند الفقر والغنى وأما المهلكات فتح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه فالحكم بالحق عند الغضب والرضا لا يصح إلا من علم رآنى أمير على نفسه بصرها بقل حاضر وقلب يقظان ونظر إلى الله بحسن الاحتساب - قتل أنفسهم كانوا يتوضأون عن إظهار السلم يقول بعضهم لأن أنوضأ من كفة خبيثة أحب إلى من أن أنوضأ من طعام طيب - وقال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما الحديث

(١) حديث شرار أمتي الذين يأكلون مع الحنطة لم أجده أصلا (٢) حديث شرار أمتي الذين غدوا بالنعيم الحديث ابن عدى في الكامل ومن طريقه البيهقي في شعب الإيمان من حديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى أبو نعيم في الحلية من حديث عائشة باستناد لأبى به (٣) حديث نافع أن ابن عمر كان مريضا فاشتى ممكة الحديث وبعه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أيما امرئ اشتى شهوة فرد شهوته وآثر بها على نفسه غفر الله له أبو الشيخ ابن جبان في كتاب الثواب باستناد ضيف جدا ورواه ابن الجوزى في اللوغات

القراح فقل الدنيا وأهلها الدمار^(١) أشار إلى أن القصوردة أُم الجوع والبطش ودفع ضررهما دون التمتع بملذات الدنيا ، وبلغ عمر رضى الله عنه أن يزيد بن أبي سفيان يأكل أنواع الطعام فقال عمر لمولى له إذا علمت أنه قد حضر عشاؤه فأعلمني فأعلمه فدخل عليه قُرب عشاؤه فأتوه بريد لحم فأكل معه همهم قُرب الشواء وبسط يزيد يده وكف حمريده وقال الله يا يزيد بن أبي سفيان أتعلم بعد طعام والذي نفس حمريده لئن خالفتي عن ستمهم ليخالفن بك عن طريقهم ، وعن يسار بن عمير قال ما غلبت لعمري دقيقتاً قط إلا وأنا له عاص ، وروى أن عتبة الغلام كان يسجن دقيقه ويخفقه في الشمس ثم يأكله ويقول كسرة وملح حتى يتبأ في الآخرة الشواء والطعام الطيب وكان يأخذ الكوز فينرف به من حب كان في الشمس نهاره فتقول مولاه له يا عتبة لو أعطيتني دقيقتك غلبت لك وردت لك الماء فيقول لها يا أم فلان قد شردت عني كلب الجوع . قال شقيق بن إبراهيم : لقيت إبراهيم ابن آدم بكفة في سوق الليل عند مولد النبي صلى الله عليه وسلم يبكي وهو جالس ساجداً من الطريق فدخلت إليه وقعدت عنده وقلت إيش هذا البكاء يا أبا إسحاق فقال خير فهاودت مرة واثنين وثلاثاً فقال يا شقيق استر طي قلت يا أخى قل ما شئت فقال لي اشتيت نسي منذ ثلاثين سنة سكباجاً فتمتها جهدى حتى إذا كان البارحة كنت جالسا وقد غلبني الناس إذ أنا بغنى شاب يده قسح أخضر يماو منه بخار ورائحة سكباج قال فاجتمعت بهمى عنه قُربه وقال يا إبراهيم كل قلت ما أكل قد تركته لله عز وجل فقال لي قد أعلمك الله كل فأكلت في جواب إلا أني بكيت فقال لي كل رحمك الله قلت قد أمرنا أن لا نطرح في وعائنا إلا من حيث نعلم فقال كل عافاك الله فأنا أعطيتني قليل لي ياخضر اذهب بهذا وأطعمه نفس إبراهيم بن آدم قد رحمها الله من طول صبرها على ما عملها من منها . اعلم يا إبراهيم أني سمعت الملائكة يقولون من أعطى ظم يأخذ ظم لم يبعظ قلت إن كان كذلك فما أنا بين يديك لأجل المقد مع الله تعالى ثم التفت فاذا أنا بغنى آخر ناوله شيئا وقال ياخضر لعمري أنت ظم بزل يلقمى حتى نمست فانتبهت وحلاوته في فمي ، قال شقيق قلت أرى كنفك فأخذت بكفه فقبلها وقلت يا من يعلم الجياح الشهوات إذا صححوها اللع يا من يقدح في الضمير البقن يا من يشفي قلوبهم من محبته أرى لشقيق عندك حالا ثم رفست يد إبراهيم إلى السماء وقلت بقدر هذا الكف عندك وقدر صاحبه وبالجلود الذي وجد منك جد على عبدك الفقير إلى فضلك وإحسانك ورحمتك وإن لم يستحق ذلك قال قدام إبراهيم ومضى حتى أدركنا البيت . وروى عن مالك بن دينار أنه بق أربعين سنة يشتهي لنا ظم يأكله وأهدى إليه يوم اطلب قال لأصحابه كلوا فاذتته منذ أربعين سنة . وقال أحد بن أبي الحوارى : اشتهى أبوسليمان الداراني رغيفا حارا بلع بفتح به إليه ففض منه عنة ثم طرعه وأقبل يبكي ومجئت إلى شهوتي بعد إطالة جهدى واشفقوني قد عجزت على التوبة فألقى قال أحمد فأرايته أكل للحم حتى لقي الله تعالى ، وقال مالك بن خنيم مررت بالبصرة في السوق فنظرت إلى البقل فالتالى نسي لواطمتني الليلة من هذا فأنتست أن لا أطعمها إياه أربعين ليلة ، ومكث مالك بن دينار بالبصرة خمسين سنة ما أكل رطبة لأهل البصرة ولا بسرة قط وقال يا أهل البصرة عشت فيكم خمسين سنة ما أكلت لكم رطبة ولا بسرة فما زاد فيكم ما نفس منى ولا نفس منى ما زاد فيكم وقال طلقت الدنيا منذ خمسين سنة اشتيت نفسي لبنا منذ أربعين سنة فوائه لا أطعمها حتى ألحق بالله تعالى وقال حماد بن أبي حنيفة أنبت داود الطائي والباب مفلق عليه فسمعت يقول نسي اشتيت جزرا فأطعمتك جزرا ثم

حدثان حدث من
فرجك وحدث من
فيك فلا عمل حبة
الوقار والحلم إلا القشب
ويخرج عن حد المدل
إلى المدوان يتجاوز
الحد في القشب يورهم
القلب فان كان القشب
على من فوقه مما يميز
عن إغذاء القشب فيه
ذهب الدم من ظاهر
الجلد واجتمع في القلب
ويصير منه الهم والحزن
والانكاد ولا ينطوى
الصوفي على مثل هذا
لأنه يرى الحوادث
والإعراض من الله
تعالى فلا يتكبد ولا يتم
والصوفي صاحب الرضا
صاحب الروح والراحة
والتي عليه السلام
أخبر أن الهم والحزن
في الشك والخط .
سئل عبد الله بن

(١) حديث إذا سددت كلب الجوع برغيف وكوز من الماء القراح فقل الدنيا وأهلها الدمار أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة بإسناد ضيف .

اشتبهت نمرًا فأليت أن لاتأكله أبداً فسلت ودخلت فاداهو وحده ومراً أبو حازم يوماً في السوق
 فرأى الفأكة فاشتباها فقال لانه اشترا من هذه الفأكة المقطوعة المنوعة لعلنا نذهب إلى الفأكة
 التي لامة - أوعه - والامنوعة فلما اشتراها وآتى بها إليه قال لنفسه قد خدعتني حتى نظرت واشتيت وعليتني
 حتى اشتريت والله لا أدقته فيمت بها إلى يثامى من الفقراء ، وعن موسى الأشعج أنه قال نفس تشتهي
 ملحا جريشا منذ عشرين سنة ، وعن أحمد بن خليفة قال نفس تشتهي منذ عشرين سنة ما طلبت
 مني إلا الله ، حتى تروى فآزوتها ، وروى أن عتبة الغلام اشتى لما سبع سنين فلما كان بعد ذلك قال
 استجيت من نفسى أن أدافعها منذ سبع سنين سنة بعد سنة فاشتريت قطعة لحم على خبز وشويتها
 وتركها على أرغيف فقلت صيا قلت ألت أنت ابن فلان وقد مات أبوك قال بلى فلو تته إياها قالوا
 وأقبل يبيك وغيراً - وبطمعون الطعام على حبه مسكينا ويتيا وأسيرا - ثم لم يذقه بعد ذلك ومكث
 يشتهي نمرًا سنين فلما كان ذات يوم اشترى نمرًا بقرط ورثه إلى الليل ليفطر عليه قال فبهت ربح
 شديدة حتى أظلمت الدنيا ففرغ الناس فأقبل عتبة على نفسه يقول هذا لجراعتى عليك وشرائى التمر
 بالقرط ثم قال لنفسه ما أظن أخذ الناس إلا بذهبك على أن لاتذوقيه . واشترى داود الطائي بنصف
 فلس قفلا وبغلس خلا وأقبل ليلته كلها يقول لنفسه وبلك يا داود ما أطول حسابك يوم القيامة ثم
 لم يأكل بعده إلا قناراً وقال عتبة الغلام يوماً لبدا الواحد بن زيد إن فلان يصف من نفسه منزلة ما أعرفها
 من نفسى فقال لأنك تأكل مع خبزك نمرًا وهو لا يزيد على الخبز شيئاً قال فإن أنا تركت أكل التمر عرفت
 تلك الميزة قال نعم وغيرها فأخذ يبيك فقال له بعض أصحابه لا يبيك الله عينك أهل التمر تسبى فقال
 عبد الواحد دعه فإن نفسه قد عرفت صدق عزمه في التمر وهو إذا ترك شيئاً لم يعاوده . وقال جعفر بن
 نصر أمرني الجعيد أن اشترى له الثين الوزبرى فلما اشترته أخذ واحدة عند الطور فوضعتها في فم
 ثم ألقاها وجعل يبيك ثم قال احمله فقلت له في ذلك فقال هتف في هاتف أما تستحي تركته من أجل
 ثم تعود إليه ، وقال صالح المري قلت لعطاء السلمي في متكفلك شيئاً فلا ترد على كرامتي فقال افعل
 ما تريد قال فبعت إليه مع ابني شربة من سوق فدلته بسمن وعسل فقلت لا تبرح حتى يشربها فلما
 كان من الغد جعلت له نحوها فردها ولم يشربها فصابته ولته على ذلك وقلت سبحان الله رددت على
 كرامتي فلما رأى وجدى لذلك قال لا يسؤوك هذا إنى قد شربتها أول مرة وقد راودت نفسى في المرة
 الثانية على شربها فلم أقدر على ذلك كلما أردت ذلك ذكرت قوله تعالى - بتجرعه ولا يكاد يسيغه -
 الآية . قال صالح فيكيت وملت في نفسى أنا في واد وأنت في واد آخر ، وقال البري السقطي نفسى منذ
 ثلاثين سنة تطالبني أن أغشى جزيرة في ديس فإطعمتها . وقال أبو بكر الجلاء أعرف رجلاً يقول له
 نفسه أنا أصير لك على عشرة أيام وأطعمني بعد ذلك شهوة أشتريها فيقول لها لا تريد أن تطوى
 عشرة أيام ولكن اتركي هذه الشهوة . وروى أن عابدا دعا بعض إخوانه فقرأ إليه رغبانا فجعل
 أخوه يقلب الأربعة ليختار أجودها فقال له العابد مه أى شيء تصنع أما علمت أن في الرغيف الذى
 رغبته عنه كذا وكذا حكمة وعمل فيه كذا وكذا صانعا حتى استدار من السحاب الذى يعمل الماء
 والماء الذى يسقى الأرض والرياح والبهايم وبني آدم حتى صار إليك ثم أنت بعد هذا تقلبه
 ولا ترضيه وفي الخبر لا يستدبر الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلثة وستون صانعا أولهم
 ميكائيل عليه السلام الذى يكبل للاء من خزائن الرحمة ثم لللائكة التى ترجى المسحاب والشمس والقمر
 والأفلاك وملائكة الهواء ودواب الأرض وآخرهم الحجاز - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها - (١) هـ

عباس رضى الله عنهما
 عن التمر والنضب قال
 مخرجهما واحد واللفظ
 يختلف فمن نازع من
 يقوى عليه أظهره
 غضبا ومن نازع من
 لا يقوى عليه كنهه
 حزنا والحرد غضب
 أيضا ولكن يستعمل
 إذا قصد الغضب عليه
 وإن كان الغضب على
 من يشاكله ويمثله
 ممن يتردد في الانتقام
 منه يتردد القلب بين
 الانقباض والانبساط
 فيتولد منه التل والحقد
 ولا يأتى مثل هذا إلى
 قلب الصوفى قال الله
 تعالى - ونزعنا ما في
 صدورهم من غل -
 وسلامة قلب الصوفى
 وحاله يقدف زبد القل
 والحقد كأيذف البحر
 الزبد لما فيه من تلطم

(١) حديث لا يستدبر الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلثة وستون صانعا أولهم ميكائيل

وقال بعضهم أنيت قاصدا الجرعى فسأته عن الزهد أي شيء هو فقال أي شيء سمعت فيه فعددت أقوالا فسمكت قلت وأي شيء تقول أنت فقال : اعلم أن البطن دنيا العبد فيقدر ما يملك من بطنه يملك من الزهد ويقدر ما يملكه بطنه يملكه الدنيا ، وكان يصر بن الحارث قد اعتل مرة فأتى عبد الرحمن الطبيب يسأله عن شيء يوافقه من للأكلات فقال تسألني فإذا وصفت لك لم تقبل مني قال صفتي حتى أجمع قال تشرب سكرين سكرين وتعمس سكرين وتأكلي بعد ذلك اسفد باجا فقال له جرهل تلم شيئا أقل من السكبين يقوم مقامه قال لا قال أنا أعرف قال ماهو قال المذنب بالخل ثم قال أنصرف شيئا أقل من السفرجل يقوم مقامه قال لا قال أنا أعرف قال ماهو قال الحرنوب الشامي قال خصرف شيئا أقل من الاسفند باج يقوم مقامه قال لا قال أنا أعرف ماء الحمص بسمن البقر فيعنه قال له عبد الرحمن أنت أعلم مني بالطيب فلم تسألني ، قد عرفت بهذا أن هؤلاء امتنعوا من الشهوات ومن الشبع من الأقوات وكان امتناعهم للفوائد التي ذكرناها وفي بعض الأوقات لأنهم كانوا لا يصفو لهم الحلال فلم يرضوا لأنفسهم إلا في قدر الضرورة والشهوات ليست من الضرورات حتى قال أبو سليمان للتح شهوة لأنه زيادة على الحيز وما وراء الحيز شهوة وهذا هو النهاية ، فمن لم يقدر على ذلك فينبغي أن لا ينقل عن نفسه ولا يهتك في الشهوات فكفي بالمرء إسرافا أن يأكل كل ما يشتهيه ويفعل كل ما يهواه فينبغي أن لا يوظف على أكل اللحم . قال علي كرم الله وجهه من ترك اللحم أربعين يوما ساء خلقه ومن دوام عليه أربعين يوما تساقط عليه ، وقيل إن للدوايمة على اللحم ضررا كضرارة الخمر ومهما كان جائعا وتأقت نفسه إلى الجماع فلا يبغي أن يأكل ويجمع فيعطى نفسه شهوتين فتقوى عليه وربما طلبت النفس الأكل لينشط في الجماع ، ويستحب أن لا ينام على الشبع فيجمع بين غفلتين فيمتد الفتور ويقبض عليه لذلك ولكن ليصل أولي جلس فيذكر الله تعالى فإنه أقرب إلى الشكر ، وفي الحديث « أذنبوا طعامكم بالذكر والصلاة ولا تاتموا عليه فتفسد قلوبكم » (١) وأقل ذلك أن يصلي أربع ركعات أو يسبح مائة تسبيحة أو يقرأ جزءا من القرآن عقيب أكله ، فقد كان سفيان الثوري إذا شبع ليلة أحياءه وإذا شبع في يوم واصله بالصلاة والذكر وكان يقول أشبع الزنجي وكده ومرة يقول أشبع الحمار وكده ومهما اشرب شيئا من الطعام وطيبات الفواكه فينبغي أن يترك الحيز وبأكلها بدلا منه لتكون قوتها لا تكون تخفها ثلاثا يجمع لنفسه بين عادة وشهوة . فطرس هل إلى ابن سالم وفي يده خبز وتمر فقال له أبدا بالتمر فإن قامت كفايتك به وإلا أخذت من الحيز بعده بقدر حاجتك ومهما وجد طعاما لطيفا وغليظا فليقدم اللطيف فإنه لا يشتهي الغليظ بعده ولو قدم الغليظ لأكل اللطيف أيضا للطائفه وكان بعضهم يقول لأصحابه لا تأكلوا الشهوات فإن أكلتموها فلا تطلبوها فإن طلبتموها فلا تحبوها وطالب بعض أنواع الحيز شهوة قال عبدالله بن عمر رحمة الله عليهما ما تأتينا من العراق فأكهة أحب إلينا من الحيز فرأى ذلك الحيز فأكهة ، وعلى الجملة لا سبيل إلى إهمال النفس في الشهوات المباحات واتباعها بكل حال فيقدر ما يستوفي العبد من شهوته فيغنى أن يقال له يوم القيامة أذهب طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتع بها . ويقدر ما يجاهد نفسه ويترك شهوته يتمتع في الدار الآخرة بشهواته قال بعض أهل البصرة نازعتني تسى خبز أرز ومما كنتها قوت مطايلتها واعتدت مجاهدتها عشرين سنة فلما مات قال بعضهم رأيته في المنام قلت ماذا فعل الله بك قال لا أحسن أن أصف ما تلقاني به ربي من النعم والكرامات وكان أول شيء استقبلني به خبز أرز ومما قال كل اليوم شهواتك ههنا بغير حساب وقد قال تعالى - كلوا واشربوا ههنا

أمواج الأنس والهيبة
وإن كان الغضب على
من دونه ممن يقدري
الانتقام منه نار دم
القلب والقلب إذا غار
دمه يحمر ويقتسو
ويتصب وتذهب عنه
الزفة والبياض ومنه
تحمز الوجتان لأن
الدم في القاب ثار وطلب
الاستعلاء وانتفضت
منه العروق فظهر
عكسه وأثره على الحد
فيتمدى الحدود حيث
بالضرب والشم
ولا يكون هذا في
الصوف إلا عند تلك
الحرمات والغضب في
تعالى فأما في غير ذلك
فينظر الصوفي عند
الغضب إلى الله تعالى
ثم يتقوا عمله على أن
يزن حرصه وقوله

الحديث لم أجده أصلا (١) حديث أذنبوا طعامكم بالصلاة والذكر ولا تاتموا عليه فتفسد قلوبكم طرس وابن السني في اليوم واليلية من حديث عائشة بسند ضعيف .

عسا أسلفتم في الأيام الحالية - وكانوا قد أسلفوا ترك الشهوات ولذلك قال أبو سليمان ترك شهوة من الشهوات أشنع للقلب من صيام سنة وقباض الله لها برضيه .

(بيان اختلاف حكم الجوع وفوائده واختلاف أحوال الناس فيه)

اعلم أن المطلوب الأقصى في جميع الأمور والأخلاق الوسط إذ خير الأمور أوسطها وكلما طرفي قصد الأمور ذمهم وما أردناه في فضائل الجوع ربما يوسى إلى أن الإفراط فيه مطلوب وهيمت ولكن من أسرار حكمة الشريعة أن كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الأقصى وكان فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة في المنع على وجه يوسى عند الجاهل إلى أن المطلوب مضادة ما يقضيه الطبع بغاية الامكان والعالم يدرك أن المقصود الوسط لأن الطبع إذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبئ أن يمدح غاية الجوع حتى يكون الطبع باعثا والشرع مانعا فيتقاربان ويحصل الاعتدال فإن من يقدر على قمع الطبع بالكسبية بعيد فيعلم أنه لا ينتهي إلى الغاية فإنه إن أسرف سرف في مضادة الطبع كان في الشرع أيضا ما يدل على إيسائه كما أن الشرع بالغ في الشاء على قيام الليل وصيام النهار ثم لما علم النبي صلى الله عليه وسلم من حال بعضهم أنه يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله نهى عنه (١) فإذا عرفت هذا فاعلم أن الأفضل بالإضافة إلى الطبع المعتدل أن يأكل بحيث لا يحس بنقص المعدة ولا يحس بألم الجوع بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه الجوع أصلا فإن مقصود الأكل بقاء الحياة وقوة العبادة وتقلل المعدة بمنع من العبادة وألم الجوع أيضا يشغل القلب ويمنع منها فالمقصود أن يأكل أكلا لا يبق للمأكل فيه أثر ليكون متشبها بالملائكة فإنهم مقدسون عن ثقل الطعام وألم الجوع وغاية الانسنان الاعتناء بهم وإذا لم يكن للانسان خلاص من الشبع والجوع فأبعد الأحوال عن الطرفين الوسط وهو الاعتدال ومثال طلب آدمي البعد عن هذه الأطراف المتقابلة بالرجوع إلى الوسط مثال غلة ألقبت في وسط حلقة محمية على النار مطروحة على الأرض فإن الغلة تهرب من حرارة الحلقة وهي محيطة بها لا تقدر على الخروج منها فلا تزال تهرب حتى تستقر على للركز الذي هو الوسط فلو ماتت ماتت على الوسط لأن الوسط هو أبعدها الواضع عن الحرارة التي في الحلقة المحيطة فكذلك الشهوات محيطة بالانسان إحاطة تلك الحلقة بالغلة والملائكة خارجون عن تلك الحلقة ولا مطعم للانسان في الخروج وهو يريد أن يقتبسه بالملائكة في الخلاص فأشبه أحواله بهم وأبعد الواضع عن الأطراف الوسط فصار الوسط مطلوبيا في جميع هذه الأحوال المتقابلة وعنه عبر بقوله صلى الله عليه وسلم « خير الأمور أوسطها » (٢) وإليه الإشارة بقوله تعالى - « وكأولوا واشربوا ولا تسرفوا - ومهما لم يحس الانسان بجوع ولا شبع تيسرت له العبادة والفكر وخفف في نفسه وقوى على العمل مع خفته ولكن هذا بعد اعتدال الطبع أما في بداية الأمر إذا كانت النفس جموحا متشوقة إلى الشهوات مائلة إلى الإفراط فلا اعتدال لا ينفعها بل لابد من المبالغة في إيلامها بالجوع كما يبالغ في إيلام الدابة التي ليست مروضنة بالجوع والضرب وغيره إلى أن تعتدل فإذا ارتاضت واستوت ورجعت إلى الاعتدال ترك تعذيبها وإيلامها ولأجل هذا السر يأمر الشيخ مرديه عسا لا يعطاه هو في نفسه فأمره بالجوع وهو لا يجوع ويمنه القوا كهو الشهوات وقد لا تمتنع هو منها لأنه قد فرغ من تأديب نفسه فاستغنى عن التعذيب ولما كان أغلب أحوال النفس الشره والشهوة والجحاح والامتناع عن العبادة كان الأصلح لها الجوع الذي تحس بألمه في أكثر الأحوال لتتكسر نفسه وللقصود أن تنكسر حتى تعتدل فتد بعد ذلك في الغذاء أيضا إلى الاعتدال وإعسا

(١) حديث النبي عن صوم الدهر كله وقيام الليل كله تقدم (٢) حديث خير الأمور أوسطها البرقي في الشعب مرسل وقد تقدم .

بميزان الشرع والعدل
وبتهم النفس بعد
الرضا بالقضاء ، قيل
لبعضهم : من أظفر
الناس لنفسه قال
أرضاهم بالقصور
وقال بعضهم أصبحت
ومالي سرور إلا ما وقع
القضاء وإذا اتهم
الصوفي النفس عند
الغضب تداركه العلم
وبذا لاح علم الصلح
قوى القلب وسكنت
النفس وعاد هم القلب
إلى موضعه ومقره
واعتدل الحال وغاضت
حرارة الخلد وبانت
فضيلة العلم قال عليه
السلام « السم
الحسن والتؤدة
والاقتصاد جزء من
أربعة وعشرين جزءا
من النبوة » . وروى
حارثة بن قدامة قال

يتمتع من ملازمة الجوع من سلكي طريق الآخرة إما صديق وإما مفرور أحق أما الصديق فلا مقامه نفسه على الصراط المستقيم واستغناؤه عن أن يساق بسياط الجوع إلى الحق وأما المفرور فلفظه نفسه أنه الصديق المستغنى عن تأديب نفسه الطان بها خيرا وهذا غرور عظيم وهو الأغلب فإن النفس فلما تأدب تأدبا كاملا وكثيرا ماتت فتتظر إلى الصديق ومساعدته نفسه في ذلك فيسمع نفسه كالمرضى ينظر إلى من قد صح من مرضه فيتناول ما يتناوله ويظن بنفسه الصحة فبهلك والذي يدل على أن تقدير الطعام بمقدار يسير في وقت مخصوص ونوع مخصوص ليس مقصودا في نفسه وإنما هو مجاهدة نفس متناهية عن الحق غير بالغة رتبة الكمال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له تقدير وتوقيت لطعامه قالت عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى يقول لا يظطر ويظطر حتى يقول لا يصوم ^(١) وكان يدخل على أهله فيقول : هل عندكم من شيء فإن قالوا نعم أكل وإن قالوا لا قال إني إذن صائم ^(٢) وكان يقدم إليه الشيء ويقول : «إني أمانى قد كنت أردت الصوم ثم يأكل ^(٣) » وخرج ^(٤) يوما وقال : «إني صائم» فقال له عائشة رضى الله عنها قد أهدى إلينا حبس فقال كنت أردت الصوم ولكن قريبه ^(٥) » ولذلك حتى عن سهل أنه قال له كيف كنت في بدايتك فأجبر بضروب من الرياضات منها أنه كان يقات ورق البيق مدة ومنها أنه أكل دقائق التبن مدة ثلاث سنين ثم ذكر أنه أقات ثلاثة دراهم في ثلاث سنين فقيل له فكيف أنت في وقتك هذا فقال أكل بلا حد ولا توقيت وليس الراد بقوله بلا حد ولا توقيت أتى أكل كثيرا بل أنى لا أقدر بقدر واحد ما أكله وقد كان معروف السكرخي يهدى إليه طبيا الطعام فيأكل فقيل له إن أكل بشرا لا يأكل مثل هذا فقال إن أخى بشرا قبضه الورع وأنا بسطنى للفرقة ثم قال إنما أنا ضيف في دار مولاي فإذا أطعمني أكلت وإذا جوعني صبرت مالى والاعتراض والقيز ودفع إبراهيم بن آدم إلى بعض إخوانه دراهم وقال خذ لنا بهذه الدرام زيدا وعسلا وخبزا حواليا قيل يا أبا إسحق بهذا كله قال ويحك إذا وجدنا أكلنا أكل الرجال وإذا عدنا صبرنا صبر الرجال وأصلع ذات يوم طعاما كثيرا ودعا إليه فقرا يسيرا فيهم الأوزاعي والثوري فقال له الثوري يا أبا إسحق أما تخاف أن يكون هذا إسرافا فقال ليس في الطعام إسراف إنما الاسراف في لباس والأثاث فالذي أخذ العلم من السماع والنقل تقليدا يرى هذا من إبراهيم بن آدم ويسمع عن مالك بن دينار أنه قال ما دخل بيتي للصح منذ عشرين سنة . وعن سري السقطي أنه منذ أربعين سنة يشتهي أن يمس جزرة في دبس فما فعل ففراه متناقضا فيتحير أو يقطع بأن أحدهما غطى والبصير بأسرار القول يعلم أن كل ذلك حق ولكن بالإضافة إلى اختلاف الأحوال ثم هذه الأحوال المختلفة يسميها فطن غمط أو غي مفرور فيقول الغمط ما أنا من جملة المارين حتى أسمع نفسي فائس نفسي أطوع من نفس سري السقطي ومالك بن دينار وهؤلاء من المتعبدين عن الشهوات فيقتدى بهم والمفرور يقول ما نفسى بأعصى على من نفس معروف

(١) حديث عائشة كان يصوم حتى يقول لا يظطر ويظطر حتى يقول لا يصوم متفق عليه (٢) حديث عائشة كان يصوم حتى يقول لا يظطر ويظطر حتى يقول لا يصوم متفق عليه (٣) حديث كان يقدم إليه الشيء يقول أما إني كنت أريد الصوم البهقي من حديث عائشة بلفظ وإن كنت قد فرضت الصوم وقال إسناده صحيح وعند م قد كنت أصبحت صائما (٤) حديث خرج وقال إني صائم فقالت عائشة يا رسول الله قد أهدى إلينا حبس فقال كنت أردت الصوم ولكن قريبه م بلفظ قد كنت أصبحت صائما وفي رواية له أدنيه فلقد أصبحت صائما فأكل وفي لفظ البيهقي إني كنت أريد الصوم ولكن قريبه .

قلت يا رسول الله أوصنى وأقل لى أعيه قال لا تنضب فأعاد عليه كل ذلك يقول لا تنضب قل عليه السلام «إن الضب جرة من النار ألم تنظروا حمرة عينيه وافتاح أوداجه من وجد ذلك منكم فإن كان قائما فليجاس وإن كان جالسا فليضطجع » . أخبرنا ضياء الدين عبد الوهاب ابن على قال أنا أبو الفتح الهروي قال أنا أبو نصر الترياق قال أنا الجراحى قال أنا المجوبى قال أنا أبو عيسى الترمذى قال حدثنا محمد بن عبد الله قال حدثنا بشر بن الفضل عن قرة بن خالد عن أبي حمزة عن ابن عباس رضى الله

الكرخي وإبراهيم بن آدم فقد دى بهم وأرفع التقدير فيما كولى فأنا أبا ضيف في درمولاي فألى ولا اعتراض ثم إنه لوصر أحد في حقه وتوقيره أوفى ماله وجاهه بطريقة واحدة قامت القيامة عليه واشتغل بالاعتراض وهذا مجال رحب للشيطان مع الحق بل رفع التقدير في الطعام والصيام وأكل الشهوات لايسلم إلا لمن ينظر من مشكاة الولاية والنوبة فيكون بينه وبين الله علامة في استرساله وإشباعه ولا يكون ذلك إلا بعد خروج النفس عن طاعة الهوى والعادة بالسكية حتى يكون أكله إذا أكل طرية كما يكون إمساكه بنية فيكون عاملاً لله في أكله وإفطاره فينبغي أن يتم الحزم من عمر رضى الله عنه فإنه كان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل ويأكله (١) ثم لم يقصر نفسه عليه بل لما عرضت عليه فربة باردة مزوجة بعسل جعل يدير الأناة في يده ويقول أشربها وتذهب حلاوتها وتبقى بضعاً اعز لواعى حسابها وتركها وهذه الأسرار لا يجوز لشيخ أن يكشفها مريده بل يقتصر على مدح الجوع فقط ولا يدعو إلى الاعتدال فإنه يقصر لاجالة عما يدعو إليه فينبغي أن يدعو إلى غاية الجوع حتى يتيسر له الاعتدال ولا يذكر له أن العرف الكامل يستغنى عن الرياضة فإن الشيطان يجد متعلقاً من قلبه فيبقى إليه كل ساعة إنك عارف كامل وما الذى فاتك من المعرفة والكمال بل كان من عادة إبراهيم الخواص أن يغوض مع الريد في كل رياضة كان يأمره بها كيلا يخطر ياله أن الشيخ لم يأمره بما لم يفعل فينفرد ذلك من رياضته والقوى إذا اشتغل بالرياضة وإصلاح الثبر لزمه النزول إلى حد الصفاء تشبهاتهم وتلطفاً في سياقتهم إلى السعادة وهذا ابتلاء عظيم للأتباع والأولياء وإذا كان حد الاعتدال خفياً في حق كل شخص فالحزم والاحتياط فينبغي أن لا يترك في كل حال ولذلك أدب عمر رضى الله عنه ولده عبد الله إذ دخل عليه فوجده يأكل لحماً مادوماً بسمن فضله بالبردة وقال لأم لك كل يوماً خبزاً ولحماً يوماً خبزاً ولبناً يوماً خبزاً وحماً يوماً خبزاً وزيتاً يوماً خبزاً وملحاً يوماً خبزاً فقاراً وهذا هو الاعتدال فأما الواظفة على اللحم والشهوات فافراط وإسراف ومهاجرة اللحم بالسكية ففانار وهذا قوام بين ذلك والله تعالى أعلم .

(يان آفة الرياء المتطرق إلى من ترك أكل الشهوات وقال الطعام)

اعلم أنه يدخل على تارك الشهوات آفتان عظيمتان هما أعظم من أكل الشهوات : إحداها أن لا تقدر النفس على ترك بعض الشهوات فتشتهها ولكن لا يريد أن يعرف بأنه يشتهها فيخفى الشهوة ويأكل في الخلوة ما لا يأكل مع الجماعة وهذا هو الشرك الحق . سئل بعض العلماء عن بعض الزهاد فسكت عنه قبله هل تعلم به بأساً قال يأكل في الخلوة ما لا يأكل مع الجماعة وهذه آفة عظيمة بل حق العبد إذا ابتلى بالشهوات وحسبها أن يظهرها فإن هذا صدق الحال وهو بدل عن فوات المجاهدات بالأعمال فإن إخفاء النص وإظهار ضده من الكمال هو نقصانان متضاعفان والكذب مع الإخفاء كذبان فيكون مستحقاً لقتل ولا يرضى منه إلا بتوبتين صادقتين ولذلك شدد أمر التائبين فقال تعالى : إن التائبين في المذكر الأسفل من النار - لأن الكافر كفر وأظهر وهذا كفر وسترفكان ستره لكفره كفر آخر لأنه استخف بنظر الله سبحانه وتعالى إلى قلبه وعظم نظر الخالقين فلما الكفر عن ظاهره والعارفون يبتلون بالشهوات بل بالمعاصي ولا يبتلون بالرياء والفش والاختفاء بل كالعارف أن يترك الشهوات لله تعالى ويظهر من نفسه الشهوة إسقاطاً للزلة من قلوب الخلق وكان بعضهم يشتري الشهوات ويعلقها في البيت وهو فيها من الزاهدين وإنما يقصد به تليس حاله ليصرف (١) حديث كان يحب العسل ويأكله متفق عليه من حديث عائشة كان يحب الحلواء والعسل الحديث وفيه قصة شربه العسل عند بعض نسائه .

عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأشجع عبد الناس « إن فيك خصلتين يحبها الله تعالى الحلم والأناة » ومن أخلاق الصوفية التودد والتألف والواقفة مع الإخوان وترك المخالفة قال الله تعالى في وصف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - أشداء على الكفار - رحما بينهم - وقال الله تعالى - لو أنفقت مافي الأرض جيما ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم - والتودد والتألف من اتلاف الأرواح على ماورد في الخبر الذي أوردناه فإتعارف منها اتلف قال الله تعالى - فأصبحتم بنعمته

عن نفسه قلوب الغافلين حتى لا يشعشعوا عليه حاله فنهاية الزهد : الزهد في الاله باظهار ارضه وهذا عمل الصديقين فانه جمع بين صديقين كما أن الأول جمع بين كاذبين وهذا قد حمل على النفس بتقبل وجبرها كأس الصبر مرتين مرة يشربه ومرة يرميه فلا جرم أولئك يؤتون أجرام مرتين بها صبروا وهذا يضاهي طريق من يسطى جهرا فيأخذ ورد سرا ليكسر نفسه بالقل جهرا وبالفقر سرا لمن فاته هذا فلا يبنى أن يفته اظهار شهوته وقصائه والصدق فيه ولا يبنى أن يضره قول الشيطان إنك إذا أظهرت اقتدى بك غيرك فاستمر إصلاحا لتترك فانه لو قصد إصلاح غيره لكان إصلاح نفسه أم عليه من غيره فهذا إنما يقصد الرياء المجرد وبروجه الشيطان عليه في مرض إصلاح غيره فذلك ثقل عليه ظهور ذلك منه وإن علم أن من اطعم عليه ليس يقتدى به في الفعل أو لا يترجر باعتقاده أنه تارك للشهوات . الآفة الثانية : أن لا يقدر على ترك الشهوات لكنه يفرح أن يعرفه فيشتهر بالتفتت عن الشهوات فقد خالف شهوة ضيقة وهي شهوة الأكل وأطاع شهوة من شر منها وهي شهوة الجاه وتلك هي الشهوة الخفية فمهما أحس بذلك من نفسه فكسر هذه الشهوة أكد من كسر شهوة الطعام فلما كل فهو أولى له قال أبو سليمان إذا قدمت إليك شهوة وقد كنت تاركها فأصعب منها شيئا يسيرا ولا تمط نفسك منها فتكون قد أسقطت عن نفسك الشهوة وتكون قد نصت عليها إذ لم تعطها شهوتها وقال جعفر بن محمد الصادق إذا قدمت إلى شهوة نظرت إلى نفسي فأنى أظهرت شهوتها أطعمتها منها وكان ذلك أفضل من منعها وإن أخفت شهوتها وأظهرت المزوب عنها عاقبتها بالترك ولم أتلها منها شيئا وهذا طريق في عقوبة النفس على هذه الشهوة الخفية وبالجملة من ترك شهوة الطعام ووقع في شهوة الرياء كان كمن هرب من غرب وفرغ إلى حية لأن شهوة الرياء أضر كثيرا من شهوة الطعام والله ولي التوفيق .

(القول في شهوة الفرج)

اعلم أن شهوة الوقاع ساطت على الانسان لقائدتين : إحداها أن يدرك لذته فيقتبس به لذات الآخرة فان لذة الوقاع لو دامت لكانت أقوى لذات الأجساد كأن النار وألها أعظم آلام الجسد والترغيب والترهيب يسوق الناس إلى سعادتهم وليس ذلك إلا بألم محسوس ولذة محسوسة مدركه فان ما لا يدرك بالذوق لا يعظم إليه الشوق . الفائدة الثانية : بقاء النسل ودوام الوجود فبهذه فائدتها ولكن فيها من الآفات ما يهلك الدين والدنيا إن لم تضبط ولم تقهر ولم ترد إلى حد الاعتدال وقد قيل في تأويل قوله تعالى - ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به - معناه شدة القلة . وعن ابن عباس « في قوله تعالى - ومن شر غاسق إذا وقب - قال هو قيام الذكر » وقد أسنده بعض الرواة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لإلته قال في تفسيره « الذكر إذا دخل وقدة بل إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله ^(١) » وكان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه « أعوذ بك من شر سمعي وشمي وقلبي وعقلي ومني ^(٢) » وقال عليه السلام « النساء حائل الشيطان ولو لا هذه الشهوة لما كان للنساء سلطنة على الرجال ^(٣) » روى أن موسى عليه السلام كان جالسا في بعض مجالسه إذ أقبل إليه إبليس وعليه برنس يتلون فيه ألوانا فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم أراه فقال السلام عليك يا موسى فقال له موسى من أنت فقال أنا إبليس فقال لا حياء لك الله ما جاء بك قال جئت لألم عليك لثرتك من الله وما كنت منه قال فالذي رأيته عليك قال برنس أخطف به قلوب بني آدم قال فما

إخوانه . وقال سبحانه وتعالى - واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا - وقال عليه السلام « المؤمن آلف مأثوف لا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف » وقال عليه السلام « مثل المؤمن إذا التقي بمثل المؤمنين إذا التقي بمثل المؤمنين تفضل أحدهما الأخرى وما التقي مؤمنان إلا استفاد أحدهما من صاحبه خيرا » وقال أبو إدريس الخولاني لمعاد إنني أحببك في الله فقال أبشر ثم أبشر فأنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ينصب لطافة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة وجوهم كالقمر ليلة البدر يفرح الناس

(١) حديث بطون عباس موقوفا ومستندا في قوله تعالى - ومن شر غاسق إذا وقب - قال هو قيام الذكر وقال الذي أسنده الذكر إذا دخل هذا حديث لأصله (٢) حديث اللهم إنني أعوذ بك من شر سمعي وشمي وقلبي وعقلي ودينى تقدم في الدعوات (٣) حديث النساء حائل الشيطان الأصناف في الترغيب والترهيب من حديث خالد بن زيد الجهني بإسناد فيه جهالة .

الذي إذا منه الإنسان استحوذت عليه قال إذا أحببت نفسه واستكثر عمله ونسى ذنوبه وأحذر ك
ثلاثاً لا تدخل بمرأة لا عمل لك فانه ما خلا رجل بمرأة لا عمل له إلا كنت صاحبه دون أصاحي حتى أقتنه بها
وأقتنها به ولا تصاهد الله عبداً إلا وفيت به ولا تخرج من صدقة إلا أضيئها فانه ما أخرج رجل صدقة فلم يضئها
إلا كنت صاحبه دون أصاحي حتى أحول بينه وبين الوفا بهائم ولي وهو يقول يا ليتنا علم موسى ما يجدر
به بن آدم . وعن معبد بن السيب قال ما بيت الله نبياً فيها خلا إلا لميأس إبليس أن يهلك بالنساء ولا
شئ أخوف عندي منهن وما بالمدينة بيت أدخله إلا يثق ويبت ابنتي أغتسل فيه يوم الجمعة ثم أروح وقال
بعضهم إن الشيطان يقول للمرأة أنت نصف جندي وأنت سهمي الذي أرى به فلا أخطئ . وأنت موضع
سرى وأنت رسول في حاجتي نصف جنده الشهوة ونصف جنده الغضب وأعظم الشهوات شهوة النساء
وهذه الشهوة أيضاً لها إفراط وتفریط واعتدال فالإفراط ما يقهر العقل حتى يصرف همه الرجال إلى
الاستمتاع بالنساء والجواري فيحرم عن سلوك طريق الآخرة وأقهر الدين حتى يجرى إلى اتحام الفواحش
وقد ينتهي إفراطها بطائفة إلى أمرين شيعين : أحدهما أن يتناولوا ما يغوى همواتهم على الاستكثار من
الوقاع كما قد يتناول بعض الناس أدوية تقوى للمدة تعظم شهوة الطعام ومماثل ذلك إلا أن يبتلى
بسباع ضارية وحيات عادية فتدغم عنه في بعض الأوقات فيقتل لإثارتها وتهيجها ثم يشغل بإصلاحها
وعلاجها فان شهوة الطعام والوقاع على التحقيق آلام يريد الإنسان الخلاص منها فيدرك لذة بسبب
الخلاص . فان قلت قد روي في غريب الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « شكوت إلى
جبرائيل ضعف الوقاع فأمرني بأكل المريرة ^(١) » فاعلم أنه صلى الله عليه وسلم كان تحت نعمة نسوة
ووجب عليه تحصينهن بالامتناع وحرم على غيره نكاحهن وإن طلقهن فكان طلبة القوة لهذا الامتناع .
والأمر الثاني أنه قد تنتهي هذه الشهوة ببعض الضلال إلى العشق وهو غاية الجهل بموضع الوقاع وهو
مجاورة في البهيمية لحد البهائم لأن العشق ليس يقنع بآفاق شهوة الوقاع وهي أقبح الشهوات وأجدرها
أن يستجيا منه حتى يعتقد أن الشهوة لا تنقضي إلا من محل واحد والبهيمية تنقضي الشهوة أين اتفق
فتكفي به وهذا لا يكتفي إلا بشخص واحد معين حتى يزداد به ذلاً إلى ذل وعبودية إلى عبودية حتى
يستمر العقل لخدمة الشهوة وقد خلق ليكون مطاعاً لا ليكون خادماً للشهوة ومحتالاً لأجلها وما
العشق إلا سعة إفراط الشهوة وهو مرض قلب فارغ لاه له وإنما يجب الاحتراز من أوائله بترك
معاودة النظر والتفكير وإلا فإذا استحك عسر دفعه فكذلك عشق السالو والجماد والمقار والاولاد حتى
حب اللبب بالطور والزرد والشرطي فان هذه الأمور قد تستولى على طائفة بحيث تنفص عليهم
الدين والدنيا ولا يصبرون عنها أئنة . ومثال من يكثر سورة العشق في أول انبثاته مثال من يصرف
عنان الدابة عند توجهها إلى باب لتدخله وما أهون منها بصرف عنانها ومثال من يمالجها بعد
استكناها مثال من يترك الدابة حتى تدخل وتجاوز الباب ثم يأخذ بذنوبها ويجرها إلى ورثتها وما أعظم
التفاوت بين الأمرين في اليسر والعسر فليكن الاحتياط في بدايات الأمور فأما في آخرها فلا تقبل العلاج
إلا بمجد جيد يكاد يؤدي إلى نزاع الروح فادن إفراط الشهوة أن يثلب العقل إلى هذا الحد وهو
مدموم جداً وتفریطها بالنعمة أو بالضعف عن امتناع النكوة وهو أيضاً مدموم وإنما الحمدود أن تكون
معتدلة ومطبعة للعقل والسرع في ابتهاضها واتسائها ومنها أقرطت فكسرها بالجموع والنكاح قال

(١) حديث شكوت إلى جبريل ضعف الوقاع فأمرني بأكل المريرة الشيلي في الضعفاء طس من
حديث حذيفة وقد تقدم وهو موضوع .

صلى الله عليه وسلم « معاشر الشباب عليكم بآباء فمن لم يستطع ضليه بالصوم فالصوم له وجاء^(١) » .
(بيان ماطى اللريد في ترك التزويج وضه)

اعلم أن اللريد في ابتداء أمره ينبغي أن لا يشغل نفسه بالتزويج فان ذلك شغل شاغل يمنعه من السلوك ويستجره إلى الأنس بالزوجة ومن أنس بنير الله تعالى شغل عن الله ولا يفرته كثرة نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان لا يشغل قلبه جميع مافي الدنيا عن الله تعالى^(٢) فلا تناس للانشغال بالحدادين وقل ذلك قال أبو سليمان الداراني من تزوج قدر ركن إلى الدنيا وقال مارأيت مريدا تزوج فثبت على حاله الأول وقيل له مرة ما أحوجك إلى امرأة تأنس بها فقال لا آتسى الله بها أى إن الأنس بها ينزع الأنس بالله تعالى وقال أيضا كل ما شغل عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشوم فكيف يناس غير رسول الله صلى الله عليه وسلم به وقد كان استغراقه بحب الله تعالى بحيث كان يجد احتراقه فيه إلى حد كان يخشى منه في بعض الأحوال أن يسرى ذلك إلى قلبه فهدمه فذلك كان يضرب يده على غدة عائشة أحيانا ويقول كليني يا عائشة لتشفه بكلامها عن عظم ما هو فيه لتصور طاعة قلبه عنه^(٣) فقد كان طبعه الأنس بالله عز وجل وكان أنه بالخلق عارضا رقا يذنه ثم إنه كان لا يطبق الصبر مع الخلق إذا جالسهم فإذا ضاق صدره قال أرحنا بها بإيلا^(٤) حتى يعود إلى ما هو قرة عينه^(٥) فالضعيف إذا لاحظ أحواله في مثل هذه الأمور فهو مغرور لأن الأفيام تنصر عن الوقوف على أسرار أفعالها صلى الله عليه وسلم فشرط اللريد العزبة في الابتداء إلى أن يقوى في المرة هذا إذا لم تغلبه الشهوة فان تغلبه الشهوة فليس كسرها بلوجع الطويل والصوم الدائم فان لم تتمتع الشهوة بذلك وكان بحيث لا يقدر على حفظ العين مثلا وإن قدر على حفظ الفرج فالنكاح له أولى للسكن الشهوة وإلا فهما لم يحفظ عنه لم يحفظ عليه فكره . ويتفرق عليه همه وربما وقع في بلية لا يطيقها وزنا العين من كبار الصغار وهو يؤدي إلى القلب إلى الكبيرة الفاحشة وهى زنا الفرج ومن لم يقدر على غض بصره لم يقدر على حفظ فرجه قال عيسى عليه السلام إياكم والنظرة فانها تزرع في القلب شهوة وكلني بها فتنة . وقال سعيد بن جبير إنما جاءت الفتنة لداود عليه السلام من قبل النظرة ولذلك قال لابنه عليه السلام يا بني امش خلف الأسد والأسود ولا تمش خلف المرأة وقيل ليحيى عليه السلام ما بد الزنا قال النظر والتمش . وقال الفضيل يقول إبليس هو قوس القديعة وسهمى الذى لا أخطئه به يعنى النظر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « النظر سهم - سهم - سهم من سهام إبليس فمن تركها خاف من الله تعالى أعطاه الله تعالى إيمانا يجد حلاوته في قلبه^(٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « أترك بدي فتنة أضرب على الرجال من النساء^(٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فان أول فتنة بنى إسرائيل كانت من قبل النساء^(٨) » وقال تعالى « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم - الآية وقال عليه السلام « لكل ابن آدم حظ من الزنا فالعنان

بالشيخ والأخ بالأخ
ولهذا المسمى امرأة تعالى
باجتماع الناس في كل
يوم خمس مرات في
الساجد أهل كل درب
وكل محلة وفي الجامع
في الأسبوع مرة أهل
كل بلد وانضمام أهل
السواد إلى البلدان في
الأعياد في جميع السنة
مرتين وأهل الأقطار
من البلدان المتفرقة
في العمر مرة للرجل كل
ذلك لحكم بالغة منها
تأكيد الألفة والودة
بين المؤمنين وقال عليه
السلام « المؤمن للمؤمن
كأبنيان يشد بعضه
بعضه آخرنا أبو زرع
قال أنا والذى أنوالفضل
قال أبو نصر محمد بن
سلطان العدل قال أنا
أبو طاهر محمد بن محمد
ابن محسن الزبائدي قال

(١) حديث معاشر الشباب من استطاع منكم النكاح فليتزويج الحديث تقدم في النكاح (٢) حديث كان لا يشغل قلبه عن الله تعالى جميع مافي الدنيا تقدم (٣) حديث كان يضرب يده على غدة عائشة أحيانا ويقول كليني يا عائشة لم أجده أصلا (٤) حديث أرحنا بها بإيلا تقدم في الصلاة (٥) حديث إن الصلاة كانت قرة عينه تقدم أيضا (٦) حديث النظر سهم سهم سهم من سهام إبليس الحديث تقدم أيضا (٧) حديث ما تركت بدي فتنة أضرب على الرجال من النساء متفق عليه من حديث أسامة ابن زيد (٨) حديث اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فان أول فتنة بنى إسرائيل كانت في النساء من حديث أبي سعيد الخدري .

تزيان وزناها النظر واليدان تزيان وزناها البطش والرجلان تزيان وزناها الشئ والقلم زنى وزناه
 القبة والقلب يهيم أوشنى ويصدق ذلك الفرج أوبكذبه (١) وقالت أمسلة «استأذن ابن أم مكتوم
 الأعمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا وميمونة جالستان فقال عليه السلام احتجبا قلنا
 أوليس بأعمى لا يصبرنا فقال وأنتا لا تبصرانه؟ (٢) وهذا يدل على أنه لا يجوز للنساء مجالسة المياني
 كما جرت به العادة في الآثم والولائم فيحرم على الأعمى الخلوة بالنساء ويحرم على المرأة مجالسة الأعمى
 وتحيق النظر إليه لغير حاجة وإنما يجوز للنساء محادثة الرجال والنظر إليهم لأجل عموم الحاجة وإن
 قدر على حفظ عينه عن النساء ولم يقدر على حفظها عن الصبيان فالتكح أولى به فإن الشرع للصبيان
 أكثر فانه لو مال قلبه إلى امرأة أمكنه الوصول إلى استباحتها بالتكح والنظر إلى وجه الصبي الشهوة
 حرام بل كل من يثأثر قلبه بمجال صورة الأمرد بحيث يدرك التفرقة بينه وبين اللثمي لم يعمل له
 النظر إليه . فان قلت كذا في حسي يدرك التفرقة بين الجليل والتقيح لاحتالة ولم تزل وجوه الصبيان
 مكشوفة . فاقول لست أتعى غرفة العين قط بل ينبغي أن يكون إدراكه التفرقة كإدراكه التفرقة
 بين شجرة خضراء وأخرى يابسة وبين ماء صاف وماء كدر وبين شجرة عليها أزهارها وأنوارها
 وشجرة تساقطت أوراقها فانه يميل إلى إحداهما بعينه وطبعه ولكن ميلا خاليا عن الشهوة ولأجل
 ذلك لا يشتهي ملامسة الأزهار والأنوار وتقبيلها ولا تقبيل الماء الصافي وكذلك الشبهة الحسنة قد
 تبيل العين إليها وتدرك التفرقة بينها وبين الوجه القبيح ولكنها تفرقة لاشهوة فيها ويعرف ذلك
 يميل النفس إلى القرب واللامسة فهما وجد ذلك الليل في قلبه وأدرك تفرقة بين الوجه الجليل وبين
 النبات الحسن والأنواب اللقطة والسقوف الذهبية فنظره نظر شهوة فهو حرام وهذا مما يتهاون
 به الناس ويحرم ذلك إلى الماطب وهم لا يشعرون . قال بعض التابعين ما أنا بأخوف من السبع الضاري
 على الشاب التاسك من غلام أمرد يجلس إليه . وقال سفيان لو أن رجلا عبث بسلام بين أصبعين
 من أصابع رجله يربد الشهوة لكان لواطا . وعن بعض السلفاء ليس يكون في هذه الأمة ثلاثة أصناف
 لو طوبون : منصف ينظرون وصف يصالحون وصف يملكون فاذن آفة النظر إلى الأحداث عظيمة فهما
 يحجز الريد عن غض بصره وضبط فكره فالصواب له أن يكسر شهوته بالتكح قرب نفس
 لا يسكن توقاتها بالجويع . وقال جضهم : غلبت على شهوتي في بدء إرادتي بما لم أطق فأكثر الضجيج
 إلى الله تعالى فأريت شخصا في المنام فقال مالك فشكوت إليه فقال تقدم إلى فقدمت إليه فوضع يده
 على صدرى فوجدت بردها في فؤادي وجميع جسدى فأصبحت وقد زال ما بي فقيت معاني سنة ثم
 عاودنى ذلك فأكثر الاستغاثة فأتانى شخص في المنام فقال لي أعجب أن يذهب مانجده وأمر ب
 عنك قلت نعم فقال مد رقبتيك فمدتها فجرد سيفا من نور فضرب به عنق فأصبحت وقد زال ما بي
 فقيت معاني سنة ثم عاودنى ذلك أوشد منه فأريت كأن شخصا فها بين جنبي وصدرى يخطبني
 ويقول وعليك كم تسأل الله تعالى رفع مالا يحب رفضه قال فتزوجت فاقطع ذلك عني وولك في ومهما
 احتاج الريد إلى التكح فلا ينبغي أن يترك شرط الإرادة في ابتداء التكح ودوامه أما في ابتدائه
 فيألية الحسنة وفي دوامه بحسن الحلق وسداد السيرة والقيام بالحقائق الواجبة كما فصلنا جميع ذلك
 في كتاب آداب التكح فلا نطول بإعادته وعلامة صدق إرادته أن يكبح قهيرة متدبنة ولا يطلب

(١) حديث لسك ابن آدم حظه من الزنا فالبغى تزيان الحديث م هـ واللفظ له من حديث
 أبي هريرة وافق عليه الشيخان من حديث ابن عباس عوه (٢) حديث أمسلة استأذن ابن
 أم مكتوم الأعمى وأنا وميمونة جالستان فقال احتجبا الحديث د ن وقال حسن صحيح .

أنا أبو العباس محمد بن
 ابن يعقوب الكرماني
 قال حدثنا يحيى
 الكرماني قال حدثنا
 حماد بن زيد عن حماد
 ابن سمع عن الشعبي
 عن الثمان بن بشير
 قال سمعت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم
 يقول «ألا إن مثل
 المؤمنيين في توادهم
 وتغابهم وتراحمهم
 كمثل الجسد إذا
 اشتكى عضو منه تداعى
 سائرُه بالسهر والحمى»
 والتسائف والتودد
 يؤكدان أسباب الصحة
 والصحة مع الأخيار
 مؤثرة جدا . وقد قيل
 لقاء الإخوان لقاح
 ولا شك أن البواطن
 تلقح ويتولى البعض
 بالبعض بل مجرد النظر
 إلى أهل الصلاح يؤثر

النية . قال بعضهم : من تزوج غنية كان له منها خمس خصال : مثالة الصداق وتسويف الزفاف ونوت الخدمة وكثرة النفقة وإذا أراد طلاقا لم يقدر خوفا على ذهاب مالها والفقيرة بخلاف ذلك . وقال بعضهم ينبغي أن تكون المرأة دون الرجل بأربع وإلا استحقته بالنس والطول والمال والحسب وأن تكون فوقه بأربع بالجمال والأدب والورع والخلق وعلامة صدق الإرادة في دوام النكاح الحلق . تزوج بعض الريد بن بامرأة فلم يزل يخدمها حتى استجبت المرأة وعشكت ذلك إلى أبيها وقالت قد تحيرت في هذا الرجل أنا في منزلته منذ سنين ما ذهبت إلى الخلاء قط إلا وحمل الماء قبل إليه . وتزوج بعضهم امرأة ذات جمال فلما قرب زفافها أصابها الجدري فاشتد حزن أهلها لذلك خوفا من أن يستقيها فأراهم الرجل أنه قد أصابه رمد ثم أراهم أن بصره فذهب حتى زفت إليه فزال عنهم الحزن فقيت عنده عشرين سنة ثم توفيت ففتح عينه حين ذلك فقيل له في ذلك فقال تصدعت لأجل أهلها حتى لا يحزنوا فقل لي قد سمعت إخوانك بهذا الحلق . وتزوج بعض الصوفية امرأة سيرة الحلق فكان يصبر عليها تقبيل لم لا طاعتها فقال أخشى أن يتزوجها من لا يصبر عليها فيأتى بها فان تزوج الريد فهكذا ينبغي أن يكون وإن قدر على الترك فهو أولى إذا لم يمكنه الجمع بين فضل النكاح وسلوك الطريق وعلم أن ذلك يشغله عن حاله كإروى أن محدثين سليمان الهامى كان يملك من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم في كل يوم فكتب إلى أهل البصرة وعداؤها في امرأة يتزوجها فأجمعوا كلهم على رابعة المدوية رحما الله تعالى فكتب إليها : بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد فإن الله تعالى قد ملكني من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم في كل يوم وليس غنى الأيام واليالي حتى أتتها مائة ألف وأنا أميرك مثلها ومثلها فأجيبني فكتبته إليه : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإن الزهد في الدنيا راحة القلب والبدن والرغبة فيه نورا لهم والحزن فاذا أناك كئيبا هذا فهي زادك وقدم لمعادك وكن وصي نفسك ولا تحمل الرجال أوسياءك فيقتسموا تراثك فصح الدهر وليكن فطره للوث وأما أنا فلأن الله تعالى خولني أمثال الذي خولك وأضعافه ما سرتني أن أشتغل عن الله طرفة عين . وهذه إشارة إلى أن كل ما يشغل عن الله تعالى فهو نقصان فليحذر الريد إلى حاله وقلبه فإن وجدته في الزوارة فهو الأقرب وإن عجز عن ذلك فالنكاح أولى به ودواء هذه الملة ثلاثة أمور : الجوع وغش البصر والاعتغال بشغل يستولى على القلب فإن لم تنفع هذه الثلاثة فالنكاح هو الذي يستأهل سادتها فقط ولهذا كان السلف يبادرون إلى النكاح وإلى تزويج البنات قال سعيد بن السيب ما أيس إبليس من أحد إلا وأنا من قبل النساء . وقال سعيد أيضا وهو ابن أربع وثمانين سنة وقد ذهبت إحدى عينيه وهو يشكو بالأخرى مائى : أخوف عندي من النساء . وعن عبد الله بن أبي وداعة قال كنت أجالس سعيد بن السيب فتفقدني أياما فلما أتته قال أين كنت ؟ قلت توفيت أهلي فاشتغلت بها فقال هلا أخبرتنا فشهدنا أنها قال ثم أردت أن أقوم فقال هل استحدثت امرأة ؟ قلت رحمك الله تعالى ومن يتزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة فقال أنا قلت وتعلم ؟ قال نعم ، فحمد الله تعالى وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وزوجني على درهمين أو قال ثلاثة قال فقمتم وما أدرى ما أصنع من الفرح قصرت إلى منزلي وجعلت أفكر من أخذ ومن أستدين فضليت للفرح وانصرفت إلى منزلي فأمرجت وكنت صائما فقدمت عشائي لأفطر وكان خبزنا وزيتنا وإذا باني يفرح قلت من هذا ؟ قال سعيد قال فأفكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن السيب وذلك أنه لم ير أربعين سنة إلا بين داره والمسجد قال فخرجت إليه فاذا به سعيد بن السيب فظننت أنه قد بدله قلت يا أبا محمد لو أرسلت إلي لأنتيك فقال لا أنت أقبح أن توفي قلت لما تأمر قال إنك كنت رجلا عزا فزوجت فكبرحت أن أبيتك الليلة وحداك وهذه امرأتك وإذا هي قاعة خلعة في طولها ثم أخذ بيدها

صلاحا والظرف والصور
بؤثر أخلاقا مناسبة
لخلق المنظور إليه
كدوام النظر إلى
الحزون يحزن ودوام
النظر إلى السرور
يسر . وقد قيل من
لا يفتك لحظه لا يفتك
لغظه وأجل السرود
يصير ذلولا بمقارنة الجلل
القول بالمقارنة لها تأثير
في الحسوان والنبات
والجماد والماء والهواء
يغمدان بمقارنة الجيف
والزروع تنقي عن أنواع
المسروق في الأرض
والنبات لموضع الافساد
بالمقارنة وإذا كانت
للقارنة مؤثرة في هذه
الأشياء ففي النفوس
الشريفة البشرية
أكثر تأثيرا وصح
الإنسان إنسانا لأنه
بأنس بما يراه من خير

فدفنها في الباب ورده فسقطت المرأة من الجفاء فاستوتت من الباب ثم تقدمت إلى القصعة التي فيها الخبز والزيت فوضعتها في ظل السراج لكيلا تراه ثم صعدت السطح فربت الجيران لجأهون وقالوا ما شأنك قلت فوجئك زوجي سعيد بن السيب ابنته اليوم وقد جاء بها القيلة على غفلة فقالوا وسعيد زوجك ؟ قلت نعم قالوا وهي في الدار ؟ قلت نعم فزولوا إليها وبلغ ذلك أمي فأتت وقالت وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيام قال فأنت ثلاثا ثم دخلت بها فاذا هي من أجل النساء وأحفظ الناس للكتاب الله تعالى وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ وأعرفهم بحق الزوج قال فكتكت شهرا لا يأتيني سعيد ولا آتيه فها كان بعد الشهر أنته وهو في حلقته فسلت عليه فرد علي السلام ولم يكلمني حتى تفرق الناس من المجلس قال ما حال ذلك الانسان قلت بخير يا أبا محمد على ما يجب الصديق ويكره المدون قال إن رابك منه أمر فدونك والعسا فانصرفت إلى منزلي فوجهه إلى بعشرين ألف درهم قال عبد الله بن سليمان وكانت بنت سعيد بن السيب هذه قد خطبها منه عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاء العهد فأبى سعيد أن يزوجه فلم يزل عبد الملك يحث على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ماء وألبسه جبة صوف فاستجبال سعيد في الزفاف تلك الليلة يرفك غائلة الشهوة ووجوب البادرة في الدين إلى تطفئه نارها بالنكاح رضى الله تعالى عنه ورحمه.

(يان فضيلة من يخالف شهوة القرج والعين)

اعلم أن هذه الشهوة هي أغلب الشهوات على الانسان وأعصاها عند الهيجان على العقل إلا أن مقتضاها قبيح يستحي منه ويخفى من اقتحامه وامتناع أكثر الناس عن مقتضاها إما العجز أو الخوف أو الحياء أو المحافظة على جسمه وليس في شيء من ذلك ثواب فانه إظهار حظ من حظوظ النفس على حظ آخره ، نعم من الصمة أن لا يقدر في هذه العوائق فائدة وهي دفع الائم فان من تركها ترك ما يندفع عنه إجماع بأى سبب كان تركه وإجماع الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفا من الله تعالى مع القدرة وارتفاع اللوانع وتيسر الأسباب لاسما عند صدق الشهوة وهذه درجة الصديقين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « من عشق فنف فكم لمات فهو شهيد » (١) وقال عليه السلام « سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله وعد منهم رجل دعت امرأه ذات جمال وحسب إلى نفسها فقال إني أخاف الله رب العالمين » (٢) وقصة يوسف عليه السلام وامتناعه من زليخا مع القدرة ومع رغبتها معروفة وقد أثنى الله تعالى عليه بذلك في كتابه العزيز وهو إمام لكل من وفق له هدة الشيطان في هذه الشهوة العظيمة . وروى أن سليمان بن يسار كان من أحسن الناس وجها فدخلت عليه امرأة فأسأته نفسه فامتنع عليها وخرج هاربا من منزله وتركها فيه قال سليمان فرأيت تلك الليلة في المنام يوسف عليه السلام وكأنني أقول له أنت يوسف قال نعم أنا يوسف الذي همت وأنت سليمان الذي لم يمت إشارا إلى قوله تعالى - وقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه - وعنه أيضا ما هو أعجب من هذا وذلك أنه خرج من المدينة حاجا ومعه رقيق له حتى زلأ بالأبواء فقام رفيقه وأخذ السفرة وانطلق إلى السوق ليلتاع عينا وجلس سليمان في الحيمة وكان من أجل الناس وجها وأورعهم فصرت به أعراية من قلة الجبل والمحدث إليه حتى وقفت بين يديه وعليها البرقع والتفازان فأسفرت عن وجهها كأنه فلق قمر وقالت

(١) حديث من عشق فنف فكم لمات فهو شهيد ك في التاريخ من حديث ابن عباس وقال أنكر على سويد بن سعيد م قال يقال إن يحيى لما ذكر له هذا الحديث قال لو كان لي فرس ورمح غزت سويدا ورواه الحراني من غير طريق سويد بسد فيه نظر (٢) حديث سبعة يظلهم الله في ظله الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تضمن .

وشر والتألف والتودد
مستجلب للمزيد وإعسا
العزلة والوحدة تحمد
بالنسبة إلى أرادل
الناس وأهل الشر
فأما أهل العلم والصفاء
والوفاء والأخلاق
الحيدة فينتقم مقارنتهم
والاستئناس بهم
استئناس بالله تعالى
كما أن محبتهم محبة الله
والجامع معهم رابطة
الحق ومع غيرهم رابطة
الطبع فالصوفي مع غير
الجنس كائن بأن ومع
الجنس كائن مغاير
والؤمن مرآة للمؤمن
إذا نظر إلى أخيه
يستشف من وراء أقواله
وأعماله وأحواله
تعجبات إليه وتعريفات
وتلويحات من الله
الكريم خفية غابت
عن الأغيار وأمدكها

أعشى فظن أنها تريد طعاما فقام إلى فضلة السفرة ليعطيها فقالت لست أريد ما يكون من الرجل إلى أهله فقال جهزك إلى إبليس ثم وضع رأسه بين ركبتيه وأخذ في التذلل فلم يزل يبكي فلما رأت منه ذلك سدت البرقع على وجهها وانصرفت راجعة حتى بلغت أهلها وجاء رفيقه فرآه وقد انضخت عيناه من البكاء وانقطع حاتم فقال ماييك ؟ قال خبز كرت صبيح قال والله إلا أن لك قمعة إنما عهدك بصبيحتك منذ ثلاث أو نحوها فلم يزل به حتى أخبره خبر الأعرابية فوضع رقيقته السفرة وجعل يبكي بكاء شديدا فقال سليمان وأنت ماييك ؟ قال أنا أحق بالبكاء منك لأنني أخشى أن لو كنت مكانك لما صبرت عنها فلم يزالا يتكلمان فلما انتهى سليمان إلى مكة فسمي وطاف ثم أتى الحجر فاحسب ثوبه فأخذته عنه فقام وإذا رجل وسم طوال له شارة حسنة ورأحة طيبة فقال له سليمان رحك الله من أنت ؟ قال له أنا يوسف قال يوسف الصديق قال نعم إن في شأنك وشأن امرأته العز زلجعا فقال له يوسف شأنك وشأن صاحبة الأبواء أعجب . وروى عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى أوامم البيت إلى غار فدخلوا فاطمردت صخرة من الجبل فسدت عليهم المارقة قالوا إنه لا يجيئك من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله تعالى يصلح أعمالكم فقال رجل منهم : اللهم إنك تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لأغنيق قبليهما أهلا ومالا فنأى بي طلب الشجر يوما فلم أرحع عليهما حتى نالما خلعت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فسكرت أن أغنيق قبليهما أهلا ومالا فلبثت والقدح في يدي أنظر استياظهما حتى طلع الفجر والصية يتضاغون حول قدمي فاستيقظا فصربا غبوقهما اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفجرت شيئا لا يستطيعون الخروج منه وقال الآخر : اللهم إنك تعلم أنه كان لي ابنة تميم من أحب الناس إلى فراودتها عن نفسها فامتنعت مني حتى أملت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها مائة وعشرين ديناراً على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت اتق الله لا تفضي الحاتم إلا بحقه فنحرت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي من أحب الناس إلى وتركت الذهب الذي أعطيتها اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفجرت الصخرة عنهم غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها وقال الثالث : اللهم إني استأجرت أجراً وأعطيتهم أجوراً ثم غير رجل واحد فانه ترك الأجر الذي له وذهب فتميت له أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله أعطني أجرى فقلت كل ما ترى من أجر من الإبل والبقر والغنم والرقيق فقال يا عبد الله أنهرني في قتل لأستبزيء بك غنمة فاستاقه وأخذته كله ولم يترك منه شيئا اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفجرت الصخرة فخرجوا إيشون (١) فهذه أفضل من تمسك من قضاء هذه الشهوة ففف وقرب منه من تمسك من قضاء شهوة العين فان العين مبدأ الرأفة فظنهم وهو عسر من حيث إنه قد يستهان به ولا يعظم الخوف منه والآفات كلها منه تنشأ والنظرة الأولى إذا لم تصد لا يؤاخذ بها والمعاودة يؤاخذ بها قال عليه السلام « لك الأولى عليك الثانية (٢) » أي النظرة . وقال العلامة بن زياد لا يتبع بصره رداء المرأة فان النظر يزرع في القلب شهوة وقلبا يخلو الإنسان في تردده عن وقوع البصر على النساء والصبيان فهما تخاليل إليه الحسن ماضى الطبع المعادة وعنده نبني أن يقرر في نفسه أن هذه المعادة عين الجهل فانه إن حقق النظر فاستحسن ثارت الشهوة وهجر عن الوصول فلا يحصل له

أهل الأنوار . ومن أخلاق الصوفية شكر الحسن على الاحسان والدعاء له وذلك منهم مع كمال توكلهم على ربهم وصفاء توحيدهم وقطعهم النظر إلى الأغيار ورؤيتهم النعم من النعم الجبار ولكن يفعلون ذلك اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم على ماورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فقال « ما من الناس أحد آمن علينا في محبتهم وذات يده من ابن أبي حافصة ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً » وقال « ما شئني مال كمال أبي بكر » فخلقوا حبوا عن الله بالخلق في اللع والعطاء فالصوفي في

(١) حديث ابن عمر انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى أوامم البيت إلى غار فدخلوا فاطمردت صخرة من الجبل فسدت عليهم المارقة قالوا إنه لا يجيئك من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله تعالى يصلح أعمالكم فقال رجل منهم : اللهم إنك تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لأغنيق قبليهما أهلا ومالا فنأى بي طلب الشجر يوما فلم أرحع عليهما حتى نالما خلعت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فسكرت أن أغنيق قبليهما أهلا ومالا فلبثت والقدح في يدي أنظر استياظهما حتى طلع الفجر والصية يتضاغون حول قدمي فاستيقظا فصربا غبوقهما اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفجرت شيئا لا يستطيعون الخروج منه وقال الآخر : اللهم إنك تعلم أنه كان لي ابنة تميم من أحب الناس إلى فراودتها عن نفسها فامتنعت مني حتى أملت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها مائة وعشرين ديناراً على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت اتق الله لا تفضي الحاتم إلا بحقه فنحرت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي من أحب الناس إلى وتركت الذهب الذي أعطيتها اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفجرت الصخرة عنهم غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها وقال الثالث : اللهم إني استأجرت أجراً وأعطيتهم أجوراً ثم غير رجل واحد فانه ترك الأجر الذي له وذهب فتميت له أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله أعطني أجرى فقلت كل ما ترى من أجر من الإبل والبقر والغنم والرقيق فقال يا عبد الله أنهرني في قتل لأستبزيء بك غنمة فاستاقه وأخذته كله ولم يترك منه شيئا اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفجرت الصخرة فخرجوا إيشون (١) فهذه أفضل من تمسك من قضاء هذه الشهوة ففف وقرب منه من تمسك من قضاء شهوة العين فان العين مبدأ الرأفة فظنهم وهو عسر من حيث إنه قد يستهان به ولا يعظم الخوف منه والآفات كلها منه تنشأ والنظرة الأولى إذا لم تصد لا يؤاخذ بها والمعاودة يؤاخذ بها قال عليه السلام « لك الأولى عليك الثانية (٢) » أي النظرة . وقال العلامة بن زياد لا يتبع بصره رداء المرأة فان النظر يزرع في القلب شهوة وقلبا يخلو الإنسان في تردده عن وقوع البصر على النساء والصبيان فهما تخاليل إليه الحسن ماضى الطبع المعادة وعنده نبني أن يقرر في نفسه أن هذه المعادة عين الجهل فانه إن حقق النظر فاستحسن ثارت الشهوة وهجر عن الوصول فلا يحصل له

إلا التحسر وإن استعجب لم يندم وتأم لأنه قصد الانداز فقد فعل ما آلمه فلا يخاف في كتمان حالته عن معصية وعن تألم وتحسر ومهما حفظ العين بهذا الطريق اندفع عن قلبه كثير من الآفات فان أخطأت عينه وحفظ الفرج مع التمكن فذلك يستدعي غاية القوة ونهاية التوفيق فقد روى عن أبي بكر بن عبد الله الزبي أن قصاباً أولع بجماعة بعض جيرانه فأرسلها أهلها في حاجة لهم إلى قرية أخرى فخبها وراودها عن نفسها فقالت له لا نعلم لأنا أشد حبا لك منك لي ولكن أخاف الله قال فأنت تخافينه وأنا لا أخافه فرجع تابياً فأصابه العطش حتى كاد يهلك فاذا هو برسول لبعض أنبياء بني إسرائيل فسأله فقال مالك قال العطش قال تعال حتى ندعو الله بأن نظلمنا سحابة حتى ندخل القرية قال مالي من عمل صالح فأدعو فأدعو أنت قال أنا أدعو وأمن أنت على دعائي فدعا الرسول وأمن هو فأظلمت سحابة حتى انتهت إلى القرية فأخذ القصاب إلى مكانه فالت سحابة معه فقال له الرسول زعمت أن ليس لك عمل صالح وأنا الذي دعوت وأنت الذي أمنت فأظلمت سحابة ثم تعبت لتخبرني بأمرك فأخبره فقال الرسول إن التائب عند الله تعالى بيمين أحد من الناس يكفاره . وعن أحمد بن سعيد المابد عن أبيه قال كان عندنا بالكوفة شاب متعبد لازم للسجد الجامع لا يكاد يفارقه وكان حسن الوجه حسن القامة حسن السمعت فنظرت إليه امرأة ذات جمال وعقل فشغفت وطال عليها ذلك فلما كان ذات يوم وقتله على الطريق وهو يريد السجد قالت لها يافق اسمع مني كليات أكلك بها ثم عمل ما شئت ففسي ولم يكلمها ثم وقتت له بعد ذلك على طريقه وهو يريد منزله فقالت له يافق اسمع مني كليات أكلك بها فأطرق ملياً وقال لها هذا موقف تهمة وأنا أكره أن أكون للتهمة موضعاً فقالت له والله ما وقعت موقفي هذا جهالة مني بأمرك ولكن معاذ الله أن يتشوف البعاد إلى مثل هذا مني والذي حملني على أن ألتصق في مثل هذا الأمر بنفسى لمرفق أن القليل من هذا عند الناس كثير وأنهم معاشر العباد على مثال القوارير أدنى شيء يصبها وجلة ما أنزل لك إن جوارحي كلها مشغولة بك فإله الله في أمري وأمرك قال ففسي الشاب إلى منزله وأراد أن يصلي فلم يعقل كيف يصلي فأخذ قرطاساً وكتب كتاباً ثم خرج من منزله وإذا بالمرأة واقفة في موضعها فألقى الكتاب إليها ورجع إلى منزله وكان فيه بسم الله الرحمن الرحيم اعلى أيها المرأة أن الله عز وجل إذا عصاه العبد حلم فاذا عاد إلى العصية مرة أخرى ستره فاذا لبس لها ملابسها غضب الله تعالى لنفسه غضبة تضيق منها السموات والأرض والجبال والشجر والدواب فمن ذا يطيق غضبه فمن كان ماذكرت باطلا فاني أذكرك يوماً تكون السماء فيه كالمهل وقصر الجبال كالهمون ونحو الأعم لصلوة الجبار العظيم وإني والله قد ضعفت عن إصلاح نفسي فكيف بإصلاح غيري وإن كان ماذكرت حقاً فاني أذكلك على طبيب هدى يداوى السكوم والمرصة والأوجاع المرصعة ذلك الله رب العالمين فأقصده بصدق المسألة فاني مشغول عنك بقوله تعالى - وأنذرهم يوم الآفة إذ القلوب لدى الحناجر كالظلمين من حمم ولا تخفيع بطاع . يعلم خائفة الأعين وما تخفي الصدور - فأقن للعرب من هذه الآية ثم جاءت بعد ذلك بأيام فوقفت له على الطريق فلما رآها من بعيد أراد الرجوع إلى منزله كيلا يراها فقالت يافق لا ترجع فلا كان للثقت بعد هذا اليوم أبداً لا اغدا بين يدي الله تعالى ثم بكت بكاء شديداً وقالت سأسأل لك الله الذي يده معاصيك فليكن أن يسهل ما قد عسر من أمرك ثم إنها بتمته وقالت آمين على دعوة أحملي عنك وأوسى ربه أعمل علياً فقال لها أوصيك بحفظ نفسك من هتك وأذكرك قوله تعالى - وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم باللار - قال فأطرقت وبكت بكاء شديداً أحد من يكلمها الأول ثم إنها أفانفت ولزمت بينها وأخذت في العبادة فلم تزل على

الابتداء بغنى عن الخلق
وبرى الأشياء من الله
حيث طالع ناصيته
التوحيد وخرق
الحجاب الذي منع
الخلق عن صرف
التوحيد فلا يثبت
للخلق منعا ولا عطاء
ويحببه الحق عن الخلق
فاذا ارتقى إلى ذروة
التوحيد يشكر الخلق
بعد شكر الحق ويثبت
لهم وجودا في التبع
والنظام بعد أن يرى
السبب أولا ولذلك
لسعة عله وقوة
معرفة يثبت الوسائط
فلا يحجب الخلق عن
الحق كرامة للسلوك
ولا يحجب الحق عن
الخلق كأرباب الارادة
والتبديدين فيكون
شكره لاحق لأنه للنعم
والعطى والسبب

ذلك حق ماتت كذا فكان الفق يذكرها بعد موتها ثم يسكن فيقال له لم يكؤك وأنت قد أبأسنا من نفسك ؟ فيقول إني قد ذبحت طمعي في أول أمرها وجعلت قطيعتها ذخيرة لي عند الله تعالى فأنا أمتحي منه أن أسترذ ذخيرة ادخرتها عنده تعالى . ثم كتاب كسر الشبهتين بحمد الله تعالى وكرمه . يتلو إن شاء الله تعالى كتاب آفات اللسان . والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا وصلاته على سيدنا محمد خير خلقه وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء وسلم تسليما كثيرا .

(كتاب آفات اللسان)

(وهو الكتاب الرابع من ربيع الهلكت من كتاب إحياء علوم الدين)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أحسن خلق الإنسان وعده وألمه نور الإيمان فزينه به وجهه وعلمه البيان قدسه به فضله وأفاض على قلبه خزائن العلوم فأكله ثم أرسل عليه سقرا من رحمته وأسبله ثم أمده بلسان يترجم به عما حواه القلب وعقله ويكشف عنه حتره الذي أرسله وأطلق بالحق مقوله وأضح بالشكر عما أولاه وخوله من علم حصله ونطق سبيله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله الذي أكرمته وبجله ونبيه الذي أرسله بكتاب أنزله وأسمى فضله وبين مبله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن قبله ما كبر الله عبد وهاله .

[أما بعد] فإن اللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الثمينة فإنه صغير جرمه عظيم طاعته وجرمه إذ لا يستبين الكفر والإيمان لإبشاده اللسان وهما غاية الطاعة والنسيان ثم إنه ما من موجود أومدوم خالق أو مخلوق متخيل أو معوم مظنون أو موهوم إلا واللسان يتناول ويتعرض له بإثبات أو نفي فإن كل ما يتناول العلم يرب عنه اللسان إما بحق أو باطل ولا شيء إلا والعلم متناول له وهذه خاصية لا توجد في سائر الأعضاء فإن العين لا تصل إلى غير الألوان والصور والأذان لا تصل إلى غير الأصوات واليد لا تصل إلى غير الأجسام وكذا سائر الأعضاء واللسان رطب للبدان ليس له مرد ولا لهاله منتهى واحد ، له في الخير مجال رحب وله في الشر ذيل سحب فمن أطلق عذبة اللسان وأهمله مرضى الننان سلك به الشيطان في كل ميدان وساقه إلى شفا جرف هار إلى أن يضطره إلى البوار ولا يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ولا ينجون من شر اللسان إلا من قيد بلجام الشرع فلا يطلقه إلا فبا ينفعه في الدنيا والآخرة ويكفه عن كل ما يخشى فائتة في حاجه وأجله وعلم ما يحمده فيه إطلاق اللسان أو يدم فامض عزيز والعمل بمقتضاه على من عرفه تقيل عسير وأقصى الأعضاء على الإنسان اللسان فإنه لا تمب في إطلاقه ولا مؤنة في تحريكه وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن آفاته وغوائله والحذر من مصادمه وحباله وأنه أعظم آفة الشيطان في استواء الإنسان ونحن بتوفيق الله وحسن تديره تفصل بجماع آفات اللسان ونذكرها واحدة واحدة بحمد الله وأسبابها وغوائلها ونعرف طريق الاحتراز عنها ونورد ما ورد من الأخبار والآثار في ذمها فنذكر أولا أفضل الصمت ونردفه بذكر آفة الكلام فيما لا يمين ثم آفة فضول الكلام ثم آفة الحوض في الباطل ثم آفة اللراء والجدا لم ثم آفة الحصومة ثم آفة النقم في الكلام بالتشديد وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه وغير ذلك مما جرت به عادة التفاهمين اللدعين الخطابة ثم آفة الضحى والسب وبذاءة اللسان ثم آفة الغن إما لجوان أو جواد أو إنسان ثم آفة النناء بالشعر وقد ذكرنا في كتاب السباع ما جرم من الفناء

(كتاب آفات اللسان)

ويشكر الخلق لأهم واسطة وسبب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أول ما يدعى إلى الجنة الحادون الذين يمدون الله تعالى في السراء والضراء » وقال عليه السلام « من عطس أو نحسأ فقال الحمد لله على كل حال دفع الله تعالى بها عنه سبعين ذاء أهونها الجذام » وروى جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من عبد يتم عليه نعمة لحمد الله إلا كان الحمد أفضل منها » فقوله عليه السلام كان الحمد أفضل منها يحتمل أن يراد الحق بها هكرا ويحتمل أن الحمد أفضل منها لعمه

وما يعمل فلا يفيد ثم آفة الزاح ثم آفة السخري والاستزراء ثم آفة إفشاء السر ثم آفة الوعد الكاذب ثم آفة الكذب في القول واليمين ثم بيان التعارض في الكذب ثم آفة النية ثم آفة النجاسة ثم آفة ذى السائبين الذى يتردد بين التمادين فيكلم كل واحد بكلام يوافق ثم آفة المدح ثم آفة الغفلة عن دقائق الخطأ في غفوى الكلام لاسيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بأصول الدين ثم آفة سؤال العوام عن صفات الله عز وجل وعن كلامه وعن الحروف أى قدعة أو محدثة وهى آخر الآفات وما يتعلق بذلك وجعلها عشر من آفة ونسأل الله حسن التوفيق بمنه وكرمه .

(بيان عظيم خطر اللسان وفضيلة الصمت)

اعلم أن خطر اللسان عظيم ولانجاة من خطر إلا بالصمت فذلك مدح الشرع للصمت وحث عليه فقال صلى الله عليه وسلم « من صمت نجى » (١) وقال عليه السلام « الصمت حكم وقليل فاعله » (٢) أى حكمة وحزم . وروى عبد الله بن سفيان عن أبيه قال « قلت يا رسول الله أخبرني عن الاسلام بأمر لأسأل عنه أحداً يسدك قال قل أنت بالله ثم استقم قال قلت فما أنقذ فأومأ بيده إلى لسانه » (٣) وقال عقبة بن عامر « قلت يا رسول الله ما النجاة قال أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك » (٤) وقال سهل بن سعد الساعدي قال رسول الله ﷺ « من يشكك لي بما بين لحيه ورجليه أنكفئ له بالجنة » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « من وفى شرفه وذنبه وقلقه فقد وفى الشر كله » (٦) القبح هو البطن والله يذب الفرج والخلق اللسان فهذه الشهوات الثلاث بها يهلك أكثر الخلق ولذلك اشتغلنا بذكر آفات اللسان لما فرغنا من ذكر آفة الشهوات البطن والفرج » (٧) وقد سئل رسول الله ﷺ عن أكبر ما يدخل الناس الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن أكبر ما يدخل النار فقال الأجوفان الغم والفرح » (٨) فيجمل أن يكون المراد بالغم آفات اللسان لأنه محله ويجعل أن يكون المراد به البطن لأنه منفذ فقد قال معاذ بن جبل قلت « يا رسول الله أنأخذ بما تقول فقال شككتك أمك يا ابن جبل وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم » (٩) وقال عبد الله التقي قلت « يا رسول الله حدثني بأمر أعظم به فقال قل ربى الله ثم استقم قلت يا رسول الله ما أخوف ما تخاف من » فأخذ بلسانه وقال هذا » (١٠) وروى أن معاذاً قال « يا رسول الله أى الأعمال أفضل فأخرج رسول الله

تسكون نعمة الحد
أفضل من النعمة التي
حمد عليها فإذا شكروا
النعم الأول يشكرون
الواسطة للنعم من
الناس ويدعون له .
روى أنس رضى الله
عنه قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم
إذا أفطر عند قوم
قال « أفطر عندكم
الصائمون وأكل طعامكم
الأبرار ونزلت عليكم
البركة » . أخرتها
أبو زرعة عن أبيه
قال أنا أحمد بن محمد
ابن أحمد البزار قال أنا
أبو حفص عمر بن
إبراهيم قال حدثنا
عبد الله بن محمد
البغوي قال أنا عمرو
ابن زرة قال ثنا عيسى
ابن يونس عن موسى
ابن عبيدة عن محمد بن

- (١) حديث من صمت نجى من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف وقال غريب وهو عند الطبراني بسند جيد
- (٢) حديث الصمت حكمة وقليل فاعله أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر بسند ضعيف والبيهقي في الشعب من حديث أنس باللفظ حكم بدل حكمة وقال غلط فيه عثمان بن سعد والصحيح رواية ثابت قال والصحيح عن أنس أن لقمان قال ورواه كذلك هو وابن جبان في كتاب روضة العقلاء بسند صحيح إلى أنس (٣) حديث سفيان الثوري أخبرني عن الاسلام بأمر لأسأل عنه أحداً يسدك عليك لسانك الله أنأخذ بما تقول فقال شككتك أمك وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم و . وهو عندهم دون آخر الحديث الذى فيه ذكر اللسان (٤) حديث عقبة بن عامر قلت يا رسول الله ما النجاة قال أمسك عليك لسانك الحديث ت وقال حسن (٥) حديث سهل بن سعد من يتوكل لي بما بين لحيه ورجليه ورجليه أنكفئ له بالجنة رواه (٦) حديث من وفى شرفه وذنبه وقلقه الحديث أبو منصور الديلمي من حديث أنس بسند ضعيف باللفظ فقد وجبت له الجنة (٧) حديث سئل عن أكبر ما يدخل الجنة الحديث ت وصححه و . من حديث أبي هريرة (٨) حديث معاذ قلت يا رسول الله أنأخذ بما تقول فقال شككتك أمك وهل يكب الناس على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ت وصححه و . ك وقال صحيح على شرط الشيخين (٩) حديث عبد الله التقي . قلت يا رسول الله حدثني بأمر أعظم به الحديث رواه ن قال ابن عساكر

صلى الله عليه وسلم لسانه ثم وضع عليه أصبعه^(١) وقال أنس بن مالك قال صلى الله عليه وسلم ولا يستقيم إيمان العبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة رجل لا يأمن جاره بوائحه^(٢) وقال ﷺ « من سره أن يسلم فليزم الصمت^(٣) » وعن سعيد بن جبير مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تذكر اللسان أي تقول اتق الله فينا فانك إن استقممت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا^(٤) » وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى أبا بكر الصديق رضي الله عنه وهو يمد لسانه يده فقال له ما تصنع يا خليفة رسول الله ؟ قال هذا أوردني للوارد إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ليس شيء من الجسد إلا يشكو إلى الله اللسان على حدته^(٥) » وعن ابن مسعود أنه كان على الصفا يلي ويقول بالسان قل خيراً تنم واسكت عن شر تسلم من قبل أن تتم قبيح له يا أبا عبد الرحمن أهدأ شيء^(٦) تنوله أوشي سمعت ؟ قال لا بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن أكثر خطايا ابن آدم في لسانه^(٧) » وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كف لسانه ستر الله عورته ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه ومن اعتذر إلى الله قبل الله عذره^(٨) » وروى أن معاذ بن جبل قال « يا رسول الله أوصني » قال : اعبد الله كأنك تراه وعد نفسك في اللغو وإن شئت أنباتك بما هو أملك لك من هذا كله وأشار يده إلى لسانه^(٩) » وعن صفوان بن سليم قال: قال رسول الله ﷺ « ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن الصمت وحسن الخلق^(١٠) » وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل

ثابت عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال لأخيه جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الشاء » ومن أخلاق الصوفية بذل الجاه للاخوان والسلمين كافة فإذا كان الرجل وافر العلم بصيرا بعبوب النفس وآفاتهما وشهواتها فليتوصل إلى قضاء حوائج المسلمين يذل الجاه والمعاونة في إصلاح ذات البين وفي هذا المعنى يحتاج إلى مزيد علم لأنها أمور تتعلق بالخلق وعما ظاهراً ومعاشرتهم ولا يصلح ذلك إلا لصوفى تام الحال عالم رباني . روى عن زيد بن أسلم أنه قال كان نبي من

وعوضاً والصواب سفيان بن عبد الله الثقفي كإرواء وصححه . وقد تقدم قبل هذا خمسة أحاديث (١) حديث إن معاذاً قال يا رسول الله أي الأعمال أفضل فأخرج لسانه ثم وضع يده عليه الطبراني وابن أبي الدنيا في الصمت قال أصبعه مكان يده (٢) حديث أنس لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت والخرائط في مكارم الأخلاق بسند فيه ضعف (٣) حديث من سره أن يسلم فليزم الصمت ابن أبي الدنيا في الصمت وأبو الشيخ في فضائل الأعمال والبيهقي في الشعب من حديث أنس بإسناد ضعيف (٤) حديث إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تذكر اللسان الحديث ت من حديث أبي سعيد الخدري رفته ووقع في الإحياء عن سعيد بن جبير مرفوعاً وإسما هو عن سعيد بن جبير عن أبي سعيد رفته ورواه ت موقوفاً على عمار بن زيد وقال هذا أصح (٥) حديث إن عمر اطعم على أبي بكر وهو يمد لسانه فقال ما تصنع يا خليفة رسول الله قال إن هذا أوردني للوارد إن رسول الله ﷺ قال « ليس شيء من الجسد إلا يشكو إلى الله عز وجل اللسان على حدته ابن أبي الدنيا في الصمت وأبو يونس في مسنده والدارقطني في العلل والبيهقي في الشعب من رواية أسلم مولى عمر وقال الدارقطني إن الرفوع وهم على الدراوردي قال وروى هذا الحديث عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر ولا علة له (٦) حديث ابن مسعود أنه كان على الصفا يلي ويقول بالسان قل خيراً تنم وفيه مرفوعاً إن أكثر خطايا بني آدم في لسانه الطبراني وابن أبي الدنيا في الصمت والبيهقي في الشعب بسند حسن (٧) حديث ابن عمر من كف لسانه ستر الله عورته الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت بسند حسن (٨) حديث إن معاذاً قال أوصني قال اعبد الله كأنك تراه الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت وطب ورجاله ثقات وفيه انقطاع (٩) حديث صفوان بن سليم مرفوعاً ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن الصمت وحسن الخلق ابن أبي الدنيا هكذا مرسل لا ورجاله ثقات ورواه أبو الشيخ في طبقات الهدى من حديث أبي ذر وأبي الدرداء إسناده مرفوعاً .

خيرا أو ليكت (١) » وقال الحسن ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قل « رحم الله عبدناكم فتم أو سكت فسلم (٢) » وقيل لم يسم عليه السلام دلنا على عمل ندخل به الجنة قال : لا تتلقوا أبدا قالوا لا نستطيع ذلك فقال فلا تتلقوا إلا بخير ، وقال سليمان بن داود عليهما السلام إن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب ، وعن البراء بن عازب قال « جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : دلني على عمل يدخلني الجنة ، قال أعلم الجامع واسق الظمآن وأمر بالمعروف وأنه عن الشكر فإن لم تطق فكف لسانك إلا من خير (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « اخزن لسانك لإمن خير فانك بذلك تغلب الشيطان (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله عند لسان كل قائل فليتق الله امرؤ علم مايقول » وقال عليه السلام « إذا رأيتم المؤمنين صموتا وقورا فادنوا منه فإنه يلقن الحكمة (٥) » وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الناس ثلاثة فقام وسالم وشاحب فالعالم الذي يذكر الله تعالى والسالم الساكن والشاحب الذي يغرض في الباطل (٦) » وقال عليه السلام « إن لسان المؤمن وراء قلبه فإذا أراد أن يسكنكم بشئ تديره بقلبه ثم أمضاه بلسانه وإن لسان المنافق أمام قلبه فإذا هم بشئ أمضاه بلسانه ولم يديره بقلبه (٧) » وقال عيسى عليه السلام البادة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت وجزء في الفرار من الناس . وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « من كثر كلامه كثرت سقطه ومن كثرت سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به (٨) » .

الآثار : كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يضع حصة في فيه يمنع بها نفسه عن الكلام وكان يشر إلى لسانه ويقول هذا الذي أوردني للوارد ، وقال عبد الله بن مسعود : والله الذي لا إله إلا هو ما شئ أوسع إلى طول سجن من لسان ، وقال طائوس لسانى سبع إن أرسلته أكلنى ، وقال وهب بن منبه في حكمة آل داود حق على العاقل أن يكون عارفا بزمانه حافظا للسانه مقبلا على شأنه . وقال الحسن ماعقل دينه من لم يحفظ لسانه . وقال الأوزاعي كتب إلينا عمر بن عبد العزيز رحمه الله . أما بعد : فإن من أكثر ذكر الموت رضى من الدنيا باليسير ومن عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يشبهه . وقال بعضهم الصمت يجمع للرجل فضيلتين السلامة في دينه والفهم عن صاحبه . وقال محمد بن واسع

(١) حدث أنى هزيمة من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليل خيرا أو ليكت متفق عليه .

(٢) حديث الحسن ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رحم الله عبدناكم فتم أو سكت فسلم ابن أبي الدنيا في الصمت والبريق في الشعب من حديث أنس بسند فيه ضعف فانه من رواية إسماعيل بن عياش عن الحجازيين (٣) حديث البراء جاء أعرابي فقال دلني على عمل يدخلني الجنة قال أعلم الجامع الحديث ابن أبي الدنيا بإسناد جيد (٤) حديث اخزن لسانك إلا من خير الحديث طعن من حديث أنى سعيد وفيه في اللجم الكبير ولا ين حبن في صحيحه عوه من حديث أنى ذر (٥) حديث إذا رأيتم المؤمنين صموتا وقورا فادنوا منه فإنه يلقن الحكمة . من حديث أبي خلد يلفظ إذا رأيتم الرجل قد أعطى زهدا في الدنيا وقلة منطق فاقربوا منه فإنه يلقى الحكمة وقد تقدم .

(٦) حديث ابن مسعود الناس ثلاثة فقام وشاحب الحديث الطبراني وأبو يعلى من حديث أبي سعيد الخدري يلفظ الجالس وضمنه ابن عدى ولم أجده ثلاثة من حديث ابن مسعود (٧) حديث إن لسان المؤمن وراء قلبه فإذا أراد أن يسكنكم بشئ تديره بقلبه الحديث لم أجده مرفوعا وإنما رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من روايه الحسن البصري قال كانوا يقولون (٨) حديث من كثر كلامه كثرت سقطه الحديث أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر بسند ضعيف وقد رواه أبو حاتم بن حبان في روضة القلاء والبيهقي في الشعب مودعا على عمر بن الخطاب .

الأنبياء يأخذ بركاب الملك يتألمه بذلك قضاء سويج الناس . وقال عطاء لأن يرأى الرجل سجين فيكتب جاهه جيش فيؤمن من أتم له من أن يخلص العمل لئلا تفسد وهذا باب غامض لا يؤمن أن يغتن به خلق من الجهال الدعين ولا يصلح هذا إلا لعبد اطلع الله على باطنه فلم منه أن لارغبة له في شيء من الجاه والبال ولو أن ملوك الأرض وقوا في خدمته ما طنى ولا استطال ولو دخل إلى أتون يوقد ما ظهرت نفسه بصريح الانكار لهذا الحال وهذا لا يصلح إلا لأحد من الخلق وأفراد من

لمالك بن دينار يأبى بحفظ اللسان أشد على الناس من حفظ الدينار والدرهم. وقال يونس بن عبد
 مامين الناس أحد يكون منه لسانه على بال إلا رأيت صلاح ذلك في سائر عمله. وقال الحسن تسكلم قوم
 عند معاوية رحمه الله والأحنف بن قيس ساكت فقال له مالك يا أبا بحر لا تسكلم فقال له أخشى الله إن
 كذبت وأخشاك إن صدقت. وقال أبو بكر بن عياش اجتمع أربعة ملوك الهند وملكت الصين
 وكسرى وقيسر، فقال أحدهم أنا أندم على ما قلت ولا أندم على ما أقول، وقال الآخر إنى إذا تسكلمت
 بكلمة ملكتنى ولم أملكها وإذا لم أتسكلم بها ملكتها ولم تملكنى، وقال الثالث عجبت للمتكلم إن رجعت
 عليه كلمته ضرته وإن ترجع لم تنفعه. وقال الرابع أنا على رد ما لم أقل أقدر منى على رد ما قلت،
 وقيل أقام النصور بن العز لم يتكلم بكلمة بعد العشاء الآخرة أربعين سنة، وقيل ماتسكلم الربيع بن
 خيثم بكلام الدنيا عشرين سنة وكان إذا أصبح وضع دواة وقراطوا وقد افكلم ماتسكلم به كتبتم بحاسب
 نفسه عند الساء. فان قلت فهذا الفضل الكبير لعمت ماسبه ؟ فاعلم أن سببه كثرة آفات اللسان
 من الخطأ والكذب والنية والقيمة والرياء والنفاق والفحش والراء وتزكية النفس والحوض في
 الباطل والحسومة والفضول والتعريف والزيادة والنقصان وإبداء الخلق وهتك العورات فهذه آفات
 كثيرة وهى سبابة إلى اللسان لا تتقل عليه ولها حلالة فى القلب وعليها بواعث من الطبع ومن
 الشيطان والحائض فيها قلما يقدر أن عسك اللسان فيطهه عما يجب وبكده مما لا يجب فان ذلك من
 غوامض العلم كما سأتى تفصيله فى الحوض خطر وفى الصمت سلامة فذلك عظمت فضيلته، هذامع
 مافيه من جمع الملم ودوام الوقار والفرار والفكر والذكر والعبادة والسلامة من ثيمات القول فى الدنيا
 ومن حسابه فى الآخرة فقد قال الله تعالى - ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد - وبذلك على فضل
 لزوم الصمت أمر وهو أن الكلام أربعة أقسام : قسم هو ضرر محض، وقسم هو وقع محض، وقسم فيه
 ضرر ومنفعة، وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة. أما الذى هو ضرر محض فلا بد من المكوت عنه
 وكذلك مافيه ضرر ومنفعة لا تفى بالضرر. وأما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضيق
 زمان وهو عين الحسران فلا يبقى إلا القسم الرابع قد سقط ثلاثة أرباع الكلام وبقي ربع وهذا
 الربع فيه خطر إذ يمتزج بما فيه إثم من دقائق الرياء والتصنع والنية وتزكية النفس وفضول الكلام
 امتزاجا يخفى دركه فيكون الانسان به مخاطرا، ومن عرف دقائق آفات اللسان على ما سأتدكره علم
 قطعا أن ما ذكره صلى الله عليه وسلم هو فضل الخطاب حيث قال « من صمت نجا » (١) فلتأدق
 والله جواهر الحكم قطعا وجوامع الكلم (٢) ولا يعرف ماتحت اتحاد كلامه من بخار اللسان على أحواس
 العلماء، وفيما سنذكره من الآفات وعسر الاحتراز عنها ما يعرفك حقيقة ذلك إن شاء الله تعالى ونحن
 الآن نعد آفات اللسان ونبتدىء بأخفها وترقى إلى الأغظ قليلا ونؤخر الكلام فى النية والقيمة
 والكذب فان النظر فيها أطول وهى عشرون آفة فاعلم ذلك ترشد بكون الله تعالى .

(الآفة الأولى : الكلام فيما لا ينسبك)

اعلم أن أحسن أحوالك أن تحفظ ألسانك من جميع الآفات التى ذكرناها من النية والقيمة
 والكذب والراء والجدال وغيرها وتسكلم فيها هو مباح لا ضرر عليك فيه ولا على مسلم أصلا إلا أنك
 تسكلم بما أنت مستغن عنه ولا حاجة بك إليه فانك مضيع به زمانك وحاسب على همل لسانك

(١) حديث من صمت نجا تقدم (٢) حديث أنه صلى الله عليه وسلم أوصى جوامع الكلم م من
 حديث أبي هريرة وقد تقدم .

(الآفة الأولى الكلام فيما لا ينسبك)

الصادقين يفسخون

عن إرادتهم واختيارهم

ويكاشفهم الله تعالى

برأيه منهم فيدخلون

فى الأشياء برأيه الله

تعالى فإذا علموا أن

الحق يريد منهم المخالطة

وبذل الجاه يدخلون

فى ذلك بضية صفات

النفس وهذا لأقوام

ماتوا ثم حشروا

وأشكوا مقام القضاء

ثم رقا إلى مقام البقاء

فيحكون لهم فى كل

مدخل ويخرج برهان

وبيان وإذن من الله

تعالى فهم على بصيرة

من ربهم وهذا ليس

فيهم ارتياب لصاحب

قلب مكاشف بصريح

المراد فى خفى الخطاب

فياخذ وقته أبدا من

الأشياء ولم تأخذ

الأخياء من وقته

وتستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير ، لأنك لو صرفت زمان الكلام إلى الفكر ربما كان يفتح لك من نفعات رحمة الله عند الفكر ما ينظم جدواه ولو هلتك الله سبحانه وذكرته وسبحته لكان خيرا لك فكم من كلمة بين بها قصر في الجنة ومن قدر على أن يأخذ كنزا من الكنوز فأخذ مكانه مدرة لا ينتفع بها كان خاسرا خسرانا مبينا وهذا مثال من ترك ذكر الله تعالى واشتغل بعباد لا يبينه فانه وإن لم يأثم قد خسر حيث فاته الرجع العظيم يذكر الله تعالى فان المؤمن لا يكون سمته إلا فكرا ونظرة لإعبرة ونطقه إلا ذكرا (١) هكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ، بل رأس مال العبد أوقاته ومهما صرفها إلى ما لا يبينه ولم يدخر بها ثوبا في الآخرة فقد ضيع رأس ماله . ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يبينه » (٢) بل ورد ما هو أشد من هذا قال أنس « استشهد غلام منا يوم أحد فوجدنا على بطنه حجرا مربوطا من الجوع فسحت أمه عن وجهه التراب وقالت هنيئا لك الجنة يا بني فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك لله كان يتكلم فيما لا يبينه وينسب ما لا يضره » (٣) وفي حديث آخر « أن النبي صلى الله عليه وسلم قد كفا فقال عنه قالوا مريض فخرج يمشي حتى أتاهم فدخل عليه قال أشير يا كعب فقالت أمه هنيئا لك الجنة يا كعب فقال صلى الله عليه وسلم من هذه للتأنية على الله ؟ قال هي أي يارسول الله قال وما يدريك يا أم كعب لعل كعبا قال ما لا يبينه أو منع ما لا يبينه » (٤) ومعناه أنه إنما تشبأ الجنة لمن لا يحاسب ومن تكلم فيما لا يبينه حوسب عليه وإن كان كلامه في مباح فلا تشبأ الجنة مع اللاتقاة في الحساب فانه نوع من العذاب وعن محمد بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام فقام إليه ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه بذلك وقالوا أخبرنا بأوثق عمل في نفسك ترجو به فقال إلى ضعيف وإن أوثق ما أرجو به الله سلامة الصدر وترك ما لا يبين » (٥) وقال أبو ذر قال لي رسول الله ﷺ « ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل في الزان ؟ قلت بلى يارسول الله قال هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا يبين » (٦) وقال مجاهد سمعت ابن عباس يقول خمس لمن أحب إلى من الدم الوقوفة لاتسكلم فيما لا يبين فانه فضل ولا آمن عليك الوزر ولا تسكلم فيما يبينك حتى تجد له موصفا فانه رب منكلم في أمر يبينه (١) حديث المؤمن لا يكون سمته إلا فكرا ونظرة وإعبرة ونطقه إلا ذكرا لم أجده أصلا وروى محمد بن زكريا العلاني أحد الضعفاء عن ابن عائشة عن أبيه قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن الله أمرني أن يكون نطق ذكرا وصمتي فكرا ونظري عبدة (٢) حديث من حسن إسلام المرء تركه ما لا يبينه ت وقال غريب وه من حديث أبي هريرة (٣) حديث استشهد منا غلام يوم أحد فوجدنا على بطنه صخرة مربوطة من الجوع الحديث وفيه لله كان يتكلم بما لا يبينه وينسب ما لا يضره ت من حديث أنس مختصرا وقال غريب ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت بلفظ الصنف بسند ضعيف (٤) حديث إن النبي صلى الله عليه وسلم قد كفا فقال عنه قالوا مريض الحديث وفيه لعل كعبا قال ما لا يبينه أو منع ما لا يبينه ابن أبي الدنيا من حديث كعب بن عجرة بإسناد جيد إلا أن الظاهر انقطاعه بين الصحابي وبين الراوي عنه (٥) حديث محمد بن كعب إن أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام الحديث وفيه إن أوثق ما أرجو به سلامة الصدر وترك ما لا يبينه ابن أبي الدنيا هكذا مرسل وفيه أبو نجيع اختلف فيه (٦) حديث أبي ذر « ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن الحديث وفيه هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا يبينك ابن أبي الدنيا بسند متقطع .

ولا يكون في قطر من الأقطار إلا واحد متحقق بهذا الحال . قال أبو عثمان الحيري لا يكمل الرجل حتى يستوى قلبه في أربعة أشياء للنع والمطاء والعز والذل ولثل هذا الرجل يصلح بذل الجاه والادخول فيها ذكرناه . قال سهل ابن عبد الله لا يستحق الانسان الرياسة حتى تجتمع فيه ثلاث خصال : يصرف جهه عن الناس ويحتمل جهل الناس ويترك ما في أيديهم ويذل ما في يده لهم وهذه الرياسة ليست عين الرياسة التي زهد فيها وتعين الزهد فيها لضرورة صدقه وسلوكه وإنما هذه

قد وضعه في غير موضعه فنت ولا تبارح حليا ولا سفيها فان الحليم يقلبك والسفيه يؤذك واذا ذكر أخاك
إذا غاب عنك بما تحب أن يذكرك به وأغضه عما تحب أن يفك منه وعامل أخاك بما تحب أن
بما ملك به وأعمل عمل رجل يعلم أنه مجازي بالاحسان مأخوذ بالاجترام . وقيل لقبان الحكيم ما حكمتك
قال للأسأل عما كفت ولا أنكف ما لا ينين . وقال موري العيلي : أمرنا في طلبه منذ عشرين سنة
لم أقدر عليه ولست بتارك طلبه قالوا وما هو ؟ قال السكوت عما لا ينين . وقال عمر رضي الله عنه
لا تعرض لما لا ينينك واعتزل عدوك واحذر صدقك من القوم إلا الأمين ولا أمين إلا من خشي
الله تعالى ولا صاحب الفاجر فتعلم من فجوره ولا تظلمه على شرك واستشر في أمرك الدين بخشون
الله تعالى . وحديث الكلام في لاينيك أن تتكلم بكلام لو سكنت عنه لم تأثم ولم تستضر به في حال ولا مال .
مثاله أن تجلس مع قوم فتذكر لهم أسفارك وما رأيت فيها من جبال وأنهار وما وقع لك من الوقائع
وما استحسنته من الأطعمة والنياب وما تعجبت منه من مشايخ البلاد ووقائعهم فهذه أمور لو سكنت
عنها لم تأثم ولم تستضر وإذا بالت في الجهاد حتى لم يخرج بمحكيتك زيادة ولا نقصان ولا تركية خس
من حيث التافخر بمشاهدة الأحوال العظيمة ولا غيابة لبعضي ولا منعة لشيء مما خلقه الله تعالى
فأنت مع ذلك كله مضيع زمانك وأنت تسلم من الآفات التي ذكرناها ومن جعلها أن تسأل غيرك
عما لا ينينك فأنت بالسؤال مضيع وقتك وقد ألفت صاحبك أيضا بالجواب إلى التضييع هذا إذا
كان الشيء مما لا ينطرق إلى السؤال عنه آفة وأكثر الأسئلة فيها آفات فأنك تسأل غيرك عن
عبادته مثلا فتقول له هل أنت صائم فإن قال نعم كان مظهرا لعبادته فيدخل عليه الرياء وإن لم يدخل
سقطت عبادته من ديوان السر وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات وإن قال لا كان كاذبا
وإن سكنت كان مستحقرا لك وتأذيت به وإن احتال لمدافة الجواب افترى إلى جهده وتعب فيه قد
عرضته بالسؤال إما للرياء أو للكذب أو للاستحار أو للتعجب في حيلة الدنع وكذلك سؤا لك عن سائر
عباداته وكذلك سؤا لك عن المعاصي وعن كل ما يخفيه ويستحي منه وسؤا لك عما حدث به غيرك
فتقول له ماذا تقول وفيه أنت وكذلك ترى إنسانا في الطريق فتقول من أين فرجيا بمنه مانع من
ذكره فإن ذكره تأذى به واستحيا وإن لم يصدق وقع في الكذب وكنت السبب فيه وكذلك تسأل
عن مسألة لا حاجة بك إليها والمشوول ربما لم تسمع نفسه بأن يقول لأدري فيجب عن غير بصيرة
ولست أعني بالتكلم في لاينيك هذه الأجناس فإن هذا ينطرق إليه إثم أو ضرر وإنما مثال ما لا ينين
ما روى أن لقبان الحكيم دخل على داود عليه السلام وهو يسرد درعا ولم يكن رآها قبل ذلك اليوم
فجعل يصيح بما رأى فأراد أن يسأله عن ذلك فتمت حكته فأمسك نفسه ولم يسأله فلما فرغ
قام داود ولبسه ثم قال نعم البرع للعرب فقال لقبان الصمت حكم وقليل فاعله أي حصل العلم به من
غير سؤال فاستغنى عن السؤال وقيل إنه كان يتردد إليه سنة وهو يريد أن يعلم ذلك من غير سؤال
فهذا وأمثاله من الأسئلة إذا لم يكن فيه ضرر وهتك ستر وتوريط في رياء وكذب وهو مما لا ينين
وتركه من حسن الاسلام فهذا حده . وأما سببه الباعث عليه فالحرص على معرفة ما لا حاجة به إليه
أوليا بسطة بالكلام على سبيل التردد أو تزجية الأوقات بمكايات أحوال لا فائدة فيها . وعلاج ذلك
كله أن يعلم أن اللوث بين يديه وأنه مسئول عن كل كلمة وأن أخاه رأس ماله وإن لسانه خبيكة
يقدر على أن يقتنص بها الجور العين فامحله ذلك وتضييعه خسران مبین هذا علاجه من حيث العلم
وأما من حيث العمل فالعزلة أو أن جمع حصة فيه وفيه وأن يلزم نفسه السكوت بها عن بعض ما ينين
حتى يتاد اللسان ترك ما لا يحبه وضبط اللسان في هذا على غير المعتزل هديد جدا .

رياسة أقامها الحق
لصلاح خاتمه فهو فيها
بالله يقوم بواجب حقها
وشكر نعمتها لله
تعالى .

[الباب الحادي
والثلاثون في ذكر
الأدب ومكانه من
التصوف]

روى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم
أنه قال « أذني ربي
أحسن تأديبي »
فالأدب تهذيب الظاهر
والباطن فإذا تهذب
ظاهر العبد وباطنه
صار صوفيا أديبا وإيما
صحت للأدب مادة
لا يتجاعل على أشياء
ولا يتكامل الأدب في
العبد إلا بتكامل مكارم
الأخلاق ومكارم
الأخلاق مجموعها من
تخصين الخلق بالخلق

(الآفة الثانية : فضول الكلام)

وهو أيضا مذموم وهذا يتناول الحوض فيما لا ينحى والزيادة فيما يعنى على قدر الحاجة فان من بينه أمر يمكنه أن يذكره بكلام مختصر ويمسكه أن يحمله ويقرره ويكرره ومهما تأدى مقصوده بكلمة واحدة فقد كملتين فالثانية فضول أى فضل عن الحاجة وهو أيضا مذموم لما سبق وإن لم يكن فيه إثم ولا ضرر . قال عطاء بن أبي رباح إن من كان قلبكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدون فضول الكلام ماعدا كتاب الله تعالى وستة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أمرا يعرفونها عن منكر أو أن تنطق بحاجتك في ميثقتك التي لا بد لك منها أنتكرونها أن عليكم حافظين كراما كاتبين . عن العيين وعن الثعالبي قيد ما يلفظ من قول إلا لاديه رقيب عتيد . أما يستحي أحدكم إذا نشرت صحيفة التي أملاها صدر نهاره كان أكثرها ليس من أمر دينه ولادنيته . وعن بعض الصحابة قال إن الرجل ليكتبني بالكلام لجوابه أشهى إلى من الماء البارد إلى الظمان فأترك جوابه خيفة أن يكون فضولا . وقال مطرف لعظيم جلال الله في قلوبكم فلا تذكروه عند مثل قول أحدكم للسكب والحار اللهم اخزه وما أشبه ذلك . وأعلم أن فضول الكلام لا ينحصر بل اللهم محصور في كتاب الله تعالى قال الله عز وجل - لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس - وقال صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأنفق الفضل من ماله » (١) فانظر كيف قلب الناس الأمر في ذلك فأمسكوا فضل المال وأطلقوا فضل اللسان . وعن مطرف بن عبد الله عن أبيه قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من بني عامر فقالوا أنت والدنا وأنت سيدنا وأنت أفضلنا علينا فضلا وأنت أطولنا علينا طولا وأنت الحنفية القرأنا وأنت وأنت فقال قولوا قولكم ولا يستويكم الشيطان (٢) إشارة إلى أن اللسان إذا أطلق بالثناء ولو بالصدق فيخسر أن يستويهم الشيطان إلى الزيادة المستغنى عنها . وقال ابن مسعود أنشدكم فضول كلامكم حسب امرئ من الكلام ما باغ به حاجته . وقال مجاهد إن الكلام ليكتب حق إن الرجل ليسكت ابنة فيقول أبتاع لك كذا وكذا فيكتب كذبا . وقال الحسن بن علي بن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بها مسكان كرمعان يكتبان أعمالك فاعمل ما شئت وأكثر أو أقل وروى أن سليمان عليه السلام بعث بعض غفاريته وبعث نفرا ينظرون ما يقولون ويخبرونه فأخبروه بأنه من في السوق فرفع رأسه إلى السماء ثم نظر إلى الناس وهز رأسه فسأله سليمان عن ذلك فقال هببت من اللانكة على رءوس الناس ما أسرع ما يكتبون ومن الذين أسفل منهم ما أسرع ما يملون وقال إبراهيم التيمي إذا أراد المؤمن أن ينشكلم نظرفان كان له تكلم وإلا أمسك والعاجز إنما لسانه رسلا رسلا . وقال الحسن من كثرة كلامه كثرت كذبه ومن كثرة ماله كثرت ذنوبه ومن ماء خلقه غلب نفسه وقال عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فأكثر فقال له صلى الله عليه وسلم

(الآفة الثانية : فضول الكلام)

(١) حديث طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأنفق الفضل من ماله البخاري وابن قانع في معجمي الصحابة والبيهقي من حديث ركب الصري وقال ابن عبد البر إنه حديث حسن وقال البخاري لا أدري مع من النبي صلى الله عليه وسلم أم لا وقال ابن منده مجهول لا نعرف له صحة ورواه البزار من حديث أنس بسند ضعيف (٢) حديث مطرف بن عبد الله عن أبيه قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من بني عامر فقالوا أنت والدنا وأنت سيدنا الحديث د في اليوم واليلة يلفظ آخر ورواه ابن أبي الدنيا يلفظ النصف

سورة الانسان
والخلق معناه فقال
بعضهم الخلق لاسبيل
إلى تغييره كالخلق وقد
ورد « فرغ ربكم من
الخلق والخلق والرزق
والأجل » وقدره تعالى
- لا تبدل خلق الله -
والأصح أن تبدل
الأخلاق يمكن مقدور
عليه بخلاف الخلق
وقد روى عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
أنه قال « حسنوا
أخلاقكم » وذلك أن
الله تعالى خلق الانسان
وهيأه لقبول الصلاح
والفساد وجعله أهلا
للأدب ومكارم الأخلاق
ووجود الأهلية فيه
كوجود النار في الزناد
ووجود النخل في النوى
ثم إن الله تعالى بقدرته
ألم الانسان ومكة

«كم دون لسانك من حجاب فقال شفتاي وأسأني قال أفأكان لك في ذلك ما رد كلامك^(١)»
وفي رواية أنه قال ذلك في رجل أتى عليه فاستبر في السلام ثم قال ما أوتى رجل شراً من فضل لسانه
وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه إنه ليجني من كثير من الكلام خوف للباهة . وقال بعض
الحكماء إذا كان الرجل في مجلس فأعجبه الحديث فليسكت وإن كان ساكناً فأعجبه السكوت فليتكلم
وقال يزيد بن أبي حبيب من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع فإن وجد من
يكفه فإن في الاستماع سلامة وفي الكلام تزوين وزيادة وتقصان . وقال ابن عمر إن أحق ما طهر الرجل
لسانه ورأى أبو الدرداء امرأة سليطة فقال لو كانت هذه خرساء كان خيراً لها . وقال إبراهيم بهلك
الناس خلتان فضول المال وفضول السلام فهذه مذمة فضول الكلام وكثرته وسببه الباعث عليه
وعلاجه ما سبق في الكلام فيما لا يبي .

(الآفة الثالثة : الحوض في الباطل)

وهو الكلام في العاصي ككتابة أحوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق وتتم الأغنياء ونجبر
لللوك ومراسيمهم للذمومة وأحوالهم للكرهية فإن كل ذلك مما لا يجل الحوض فيه وهو حرام
وأما الكلام فيما لا يبي أو أكثر مما يبي فهو ترك الأولى ولا يحرم فيه من يكثر الكلام فيما
لا يبي لا يؤمن عليه الحوض في الباطل وأكثر الناس يتجاسون للتفرج بالحديث ولا يعدو كلامهم
التفكه بأعراض الناس أو الحوض في الباطل وأنواع الباطل لا يمكن حصرها لكثرةها وتغنياها فذلك
لا تخفى منها إلا بالاختصار على ما بين من مهمات الدين والدنيا وفي هذا المجلس تقع كلمات يهلك
بها صاحبها وهو يستحقها فقد قال بلال بن الحرث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الرجل
ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله بها رضوانه إلى يوم
القيامة وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله عليه بها
سخطه إلى يوم القيامة^(٢)» وكان علقمة يقول كم من كلام منعه حديث بلال بن الحرث وقال
التي صلى الله عليه وسلم «إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من التريا^(٣)»
وقال أبو هريرة : إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقى لها بالاً يهوى بها في جهنم وإن الرجل ليتكلم
بالكلمة ما يلقى لها بالاً يرضه الله بها في أعلى الجنة . وقال صلى الله عليه وسلم «أعظم الناس خطايا
يوم القيامة أكثرهم خوضاً في الباطل^(٤)» وإليه الإشارة بقوله تعالى - وكنا نخوض مع الخافضين -
وبقوله تعالى - فلا تمجدوا معهم حتى يغفروا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم - وقال سلمان أكثر
الناس دنوا يوم القيامة أكثرهم كلاماً في مصيبة الله . وقال ابن سيرين كان رجل من الأنصار يمر
بمجلس لهم فيقول لهم توضعوا فإن بعض ما تقولون شر من الحديث فهذا هو الحوض في الباطل وهو

(١) حديث عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فأكثر فقال كم دون لسانك
من باب الحديث ابن أبي الدنيا هكذا مرسلًا ورجاله ثقات .

(الآفة الثالثة : الحوض في الباطل)

(٢) حديث بلال بن الحرث إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله الحديث . وقال حسن
صحيح (٣) حديث ابن أبي هريرة بسند حسن والشيخين وث إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً
يهوى بها سبعين خريفاً في النار فقط وقال حسن غريب (٤) حديث أعظم الناس خطايا يوم القيامة
أكثرهم خوضاً في الباطل ابن أبي الدنيا من حديث قتادة مرسلًا ورجاله ثقات ورواه هو والطبراني
موقوفًا على ابن مسعود بسند صحيح .

من إصلاحه بالترية
إلى أن يسير النوى
تغلا والزناد بالعلاج
حق يخرج منه نار وكا
جمل في شمس الانسان
صلاحية الخير جعل فيها
صلاحية الشر حال
الاصلاح والإنساد
فقال سبحانه وتعالى
- وتقى وما سواها
فألمها بغيرها
وتقواها - فتدويرها
بصلاحيتها للشيئين
جميعا ثم قال عز
وجل - قد أفلح من
زكاها وقد خاب من
دساها - فإذا تزكت
النفس تدبر بالفعل
واستقامت أحوالها
الظاهرة والباطنة
وتهدت الأخلاق
وسكونت الآداب
فالأدب استغراق ماني
القوة إلى القتل وهذا

وراء ماسياتي من النسيئة والنجمة والفحش وغيرها بل هو الخوض في ذكر محظورات سبق وجودها أو تدبر لتوصل إليها من غير حاجة دينية إلى ذكرها ويدخل فيه أيضا الخوض في حكاية البدع والمذاهب الفاسدة وحكاية ماجرى من قتال الصحابة على وجه يوم الطمن في بعضهم وكل ذلك باطل والخوض فيه خوض في الباطل نسأل الله حسن العون بطله وكرمه .

(الآفة الرابعة للراء والجدال)

يكفي شن ركب
السجية الصالحة فيه
والسجية فصل الحق
لا قدرة للبشر على
تكوينها كتكون
النار في الزناد إذ هو
فصل الله المحض
واستخراجه بكسب
الآدمي فهكذا الآداب
منبها السجيا الصالحة
وللمسح الإلهية ولما هيأ
الله تعالى بواطن
الصوفية بتكبير
السجيا فيها تواصلوا
بحسن الممارسة والرياسة
إلى استخراج ماله
النفوس وهو مركز
خلق الله تعالى إلى
القلل فصاروا مؤدبين
مهذبين والآداب تقع
في حق بعض الأشخاص
من غير زيادة محارسة
وربابة القوة مأودع
الله تعالى في غرائهم كما

وذلك منهي عنه قال صلى الله عليه وسلم « لا تمارأ أخاك ولا تمارأه ولا تعمد موعدا فتخلفه » (١) وقال عليه السلام « ذروا المراء فانه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فنته » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة (٣) وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أول ما عهد إلى ربي ونهاي عنه بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال » (٤) وقال أيضا « ماضل قوم بعد أن هدم الله إلّا أوتوا الجدل » (٥) وقال أيضا « لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يدع للراء وإن كان محقا » (٦) وقال أيضا « ست من كن فيه بلغ حقيقة الإيمان في الصيام في الصيف وضرب أعداء الله بالسيف وتجميل الصلاة في اليوم الدجن والصبر على المصبات وإسباغ الوضوء على الكاره وترك المراء وهو صادق » (٧) وقال الزبير لا يته لاجدال الناس بالقرآن فانك لا تستطيعهم ولكن عليك بالسنة . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه من جعل دينه عرصة للخصومات أكثر التقل . وقال مسلم بن يسار إذا كم للمراء فانه ساعة جهل العالم وعندها يبتغي الشيطان زلفه . وقيل ماضل قوم بعد أن هدم الله إلّا بالجدل . وقال مالك بن أنس رحمه الله عليه ليس هذا الجدال من الدين في شيء . وقال أيضا المراء يفسد القلوب ويورث الضغائن . وقال لقمان لابنه يا بني لا تجادل العلماء فيمقتوك ول بلال بن سعد إذا رأيت الرجل لوجا محمريا معجبا برأيه قد تمت خسارته وقال سفيان لوطا قلت أخى في رمانة فقال حاوة وقلت حافظة لسمي إلى السلطان وقال أيضا صاف من شئت ثم أغضبه بالراء فليرمينك بدهاية تمنحك العيش وقال ابن أبي ليلى لا أماري صاحبي فيما أن أكذبه وإما أن أغضبه . وقال أبو الدرداء كفي بك إنما إن ترال محمريا

(الآفة الرابعة المراء والمجادلة)

(١) حديث لا تمارأ أخاك ولا تمارأه ولا تعمد موعدا فتخلفه من حديث ابن عباس وقد تقدم
(٢) حديث ذروا المراء فانه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فنته طب من حديث أبي الدرداء وأبي أمامة وأنس بن مالك وواتلة بن الأسقع بإسناد ضعيف دون قوله لا تفهم حكمته ورواه بهذه الزيادة ابن أبي الدنيا موقوف على ابن مسعود (٣) حديث من ترك المراء وهو محق بني له بيت في أعلى الجنة الحديث تقدم في العلم (٤) حديث أم سلمة إن أول ما عهد إلى ربي ونهاي عنه بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال ابن أبي الدنيا في الصمت والطبراني والبيهقي بسند ضعيف وقد روى ابن أبي الدنيا في الراسيل من حديث عروة بن روم (٥) حديث ماضل قوم إلّا أوتوا الجدل تسمن حديث أبي أمامة وصححه وزاد بعد هدى كانوا عليه وتقدم في العلم وهو عند ابن أبي الدنيا دون هذه الزيادة كما ذكره النصف (٦) حديث لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يذر المراء وإن كان محقا ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة بسند ضعيف وهو عند أحمد بلطف لا يؤمن له مدح يترك الكذب في الزاحاة والراء وإن كان صادقا (٧) حديث ست من كن فيه بلغ حقيقة الإيمان الحديث وفيه ترك المراء وهو صادق أبو منصور الديلمي من حديث أبي مالك الأشعري بسند ضعيف بلطف ست خصال من الخير الحديث .

وقال صلى الله عليه وسلم « تكفير كل لحاء ركتان ^(١) » وقال عمر رضي الله عنه لا تعلم ثلاث ولا تترك ثلاث لا تملكه لئلا يري به ولا ترائى به ولا تتركه حياء من طلبوا لاهادة فيه أو لاهدا بالجهل منه . وقال عيسى عليه السلام من كثرت كذبه ذهب جماله ومن لاهى الرجال سقطت مروءة من كثرهم سقم جسمه ومن ساء خلقه عذب نفسه . وقيل ليعون بن مهران مالك لا تترك أخاك عن قلى قال لأنى لا أثار به ولا أمار به وما ورد في دم الراء والجدال أكثر من أن يحصى . وحد الراء هو كل اعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه إما في اللفظ وإما في المعنى وإما في قصد التكميل وترك اللراء بترك الانكار والاعتراض فنكل كلام صمته فإن كان حقا صدق به وإن كان باطلا أو كذبا ولم يكن متعلقا بأمر الدين فاستكت عنه والطمع في كلام الغير تارة يكون في لفظه باظهار خلل فيه من جهة النحو أو من جهة اللغة أو من جهة العريضة أو من جهة النظم والترتيب بسوء تقديم أو تأخير وذلك يكون تارة من قصور المعرفة وتارة يكون بطئان اللسان وكيفما كان فلا وجه لاظهار خلله وأما في المعنى فبأن يقول ليس كما تقول وقد أخطأت فيه من وجه كذا وكذا وأما في قصده فثل أن يقول هذا الكلام حق ولكن ليس صدقك منه الحق وإنما أنت فيه صاحب غرض وما يجري مجراه وهذا الجنس إن جرى في مسألة عليه ربحا خسر باسم الجدال وهو أيضا مذموم بل الواجب السكوت أو السؤال في معرض الاستفادة لاهى وجه العناد والسكارة أو التلطف في التعريف لاهى مرض الطعن وأما المجادلة فبارة عن قصد إغاثم الغير وتمجيذه وتنقيصه بالقدح في كلامه ونسبته إلى القصور والجهل فيه وآية ذلك أن يكون تنبيهه للحق من جهة أخرى مكرهاها عند المجادل يحب أن يكون هو المظهر لخطأه بل يفضل نفسه وقصص صاحبه ولا نجاة من هذا إلا بالسكوت عن كل ما لا يأنه به لو سكت عنه وأما الباعث على هذا فهو الترفع باظهار العلم والفضل والتجهم على الغير باظهار نقصه وهما شوثان باطنان للنفس قوتان لها أما إظهار الفضل فهو من قبيل تركية النفس وهى من مقتضى مافى العبد من طغيان دعوى اللو والكبرياء وهى من صفات الربوبية وأما تنقيص الآخر فهو من مقتضى طبع السبعية فانه يقتضى أن يعزق غيره ويقصمه ويصدمه ويؤذبه وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان وإنما قوتيهما اللراء والجدال فالواظب على الراء والجدال مقوله هذه الصفات المهلكة وهذا تجاوز حد الكراهة بل هو مصيبة ما حصل فيه إيذاء الغير ولا تنفك الممارسة عن الإيذاء وتتهيج الغضب وحمل المتعرض عليه على أن يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حق أو باطل ويقدم في قائله بكل ما يتصور له فيؤثر الشجار بين المتبارزين كأيثار المراس بين السكبيين يقصد كل واحد منهما أن يرض صاحبه بما هو أعل نكابة أو أقوى في إخماده وإخماده وأما علاجه فهو بأن يكسر الكبر الباعث له على إظهار فضله والسبعية الباعث له على تنقيص غيره فكما أن ذلك في كتاب ذم الكبر والعجب وكتاب ذم الغضب فان علاج كل علة بما علة سببها وسبب الراء والجدال ما ذكرناه ثم الواظبة عليه بجملة عادة وطبعها حتى يتمكن من النفس ويسمر الصبر عنه . روى أن أبا حنيفة رحمة الله عليه قال لداود الطائي لم آثرت الأزواء قال لأجهد نفسي بترك الجدال فقال احضر المجالس واستمع ما يقال ولا تسكلم قال فضلت ذلك لما رأيت مجاهدة أشد لي بها وهو كما قال لأن من مع الخطأ من غيره وهو قادر على كشفه تنصر عليه الصبر عند ذلك جدا وقل ذلك قال صلى الله عليه وسلم « من ترك الراء وهو حق بى الله له بيتا في أعلى الجنة » لشدة ذلك على النفس وأكثر ما يثلب ذلك في اللهاهب والعقائد فان للراء طبع فاذا ظن أن له عليه ثوبا اشتد عليه حرصه وتعاون الطبع والحرص عليه وذلك خطأ محض بل ينبغي للانسان أن يكف لسانه عن أهل القبلة وإذا رأى مبتدعا تلطف

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أدبى ربى فأحسن تأديبى » وفى بعض الناس من يحتاج إلى طول الممارسة لنقصان قوى أصولها فى العريضة فلها احتاج للربودن إلى محبة للشارع لتكون الصعبة والتسليم عونا على استخراج مافى الطبيعة إلى الفعل قال الله تعالى - قوا أنفسكم وأهليكم نارا - قال ابن عباس رضى الله عنهما قه ووم وأدبوم وفى لفظ آخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أدبى ربى فأحسن تأديبى ثم أمرنى بمكارم الأخلاق فقال - خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین - » قال يوسف بن الحسين

(١) حديث تكفير كل لحاء ركتان الطبرانی من حديث أبى أمامة بسند ضعيف .

في نفسه لا بطريق الجدال فإن الجدال يميل إليه أنها حيلة منه في التلبس وأن ذلك صنعة يقدر المجادلون من أهل مذهبه على أمثلها لو أرادوا قسّموا البدعة في قلبه بالجدل وتأكيد فإذا عرف أن النصح لا ينفع اشتغل بنفسه وتركه وقال صلى الله عليه وسلم «رحم الله من كفلسانه عن أهل القبلة إلا بأحسن ما يقدر عليه» (١) وقال هشام بن عروة كان عليه السلام يرد قوله هذا سبع مرات وكل من اعتاد المجادلة مدة وأثنى الناس عليه ووجد نفسه بسببه عزاً وقبولا فوفيت فيه هذه الهملكات ولا يستطيع عنها تزوا إذا اجتمع عليه سلطان الغضب والكبر والرياء وحبا الجاه والتعزز بالفضل وأحاد هذه الصفات يشق مجاهدتها فكيف بمجموعها .

(الآفة الخامسة : الحصومة)

وهي أيضاً مدومة وهي وراء الجدال والراء فالراء طعن في كلام الغير باظهار خلل فيه من غير أن يرتبط به غرض سوى تخجير الغير وإظهار مزية البكاسة . والجدال عبارة عن أمر يتعلق باظهار للذهاب وتقريرها والحصومة لجأج في الكلام ليستوفى به مال أوحق مقصود وذلك تارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضاً والراء لا يكون إلا باعتراض على كلام سبق فقد قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن أبيض الرجل إلى الله الألد الحصم» (٢) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع» (٣) وقال بعضهم إنك والحصومة قائما بتحقيق الدين وإبطال ما خاصم ورع قط في الدين وقال ابن قتيبة مربي بشر بن عبد الله ابن أبي بكره فقال ما يجلسك ههنا قلت خصومة بيني وبين ابن عمي فقال إن لأبيك عندي بدا وإني أريد أن أجزيك بها وإني والله مارأيت شيئاً أذهب للدين ولا أتيسر للرومة ولا أضيع للذة ولا أشغل للقلب من الحصومة قال قمت لأتصرف فقال لي خصمي مالك قلت لأصاحبك قال إنك عرفت أن الحق لي قلت ولكنك أكرم نفسي عن هذا قال فاني لا أطلب منك شيئاً هو لك . فان قلت فإذا كان للانسان حق فلا بد له من الحصومة في طلبه أوفي حفظه مهما ظله ظالم فكيف يكون حكمه وكيف تندم خصومته ، فاعلم أن هذا العلم يتناول الذي يخاصم بالباطل والبدى يخاصم بغير علم مثل وكيل القاضي فانه قبل أن يتعرف أن الحق في أي جانب هو يتوكل في الحصومة من أي جانب كان فيخاصم بغير علم ويتناول الذي يطلب حقه ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللد في الحصومة على قصد التسلب أو على قصد الإيذاء ويتناول الذي ينزع بالخصومة كلمات مؤذية ليس يحتاج إليها في نصرة الحق وإظهار الحق ويتناول الذي يجعله على الحصومة يحسن العناد لههر الخضم وكسره مع أنه قد يستمر ذلك القدر من اللال وفي الناس من يصرح به ويقول إنما قصدي عناده وكسر عرضه وإني إن أخذت منه هذا اللال ربما ريت به في شر ولا بالي وهذا مقصوده اللد والخصومة والجاج وهو مذموم جداً فأما الظالم الذي ينصر حجه بطريق الشرع من غير لد وإسراف وزيادة لجأج على قدر الحاجة ومن غير قصد عناد

(١) حديث رحم الله من كفلسانه عن أهل القبلة إلا بأحسن ما يقدر عليه ابن أبي الدنيا بإسناد ضيف من حديث هشام بن عروة عن النبي ﷺ مرسل ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية هشام عن عائشة بلفظ رحم الله امرأ كفلسانه عن أعراض المسلمين وهو منقطع وضيع جداً .

(الآفة الخامسة : الحصومة)

(٢) حديث عائشة إن أبيض الرجل إلى الله الألد الحصم خ وقد تقدم (٣) حديث أبي هريرة من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع ابن أبي الدنيا والأصمغاني في الترهيب وفيه رجاء أبو يحيى ضيفه الجمهور .

بالأدب بفهم العلم وبالعلم
بصح العمل وبالعمل
تتال الحسنة وبالحسنة
يقام الزهد وبالزهد
تترك الدنيا وبترك
الدنيا يرغب في الآخرة
وبالرغبة في الآخرة
تتال الرتبة عند الله
تعالى . قيل لما ورد
أبو حنيفة العراق جاء
إليه الجليلي فرأى
أصحاب أبي حنيفة
وقفا على رأسه
يأترون لأمره لا يخطئ
أحد منهم فقال يا أبا
حنيفة أدبت أصحابك
أدب للسلوك فقال
لا يا أبا القاسم ولكن
حسن الأدب في الظاهر
عنوان الأدب في
الباطن قال أبو الحسين
النوري ليس لله في
عبده مقام ولا حال
ولا معرفة تسقط معها

وإيذاء قعله ليس بهرام ولكن الأولى تركه ما وجد إليه سبيلا فإن ضبط اللسان في الحصومة على حد الاعتدال متعذر والحصومة توغر الصدر وتهيج الغضب وإذا هاجم الغضب نسي للتنازع فيه وبقي الحقد بين المتخاصمين حتى يفرح كل واحد بمساة صاحبه ويحزن بمسرة ويطلق اللسان في عرضه فمن بدأ بالحصومة قد تعرض لهذه المذورات وأقل ما فيه تشويش خاطره حتى إنه في صلاته يشتغل بمحاجة خصمه فلا يلقى الأمر على حد الواجب فالحصومة مبدأ كل شر وكذا للراء والجدال فينبغي أن لا يفتح بابا إلا للضرورة وعند الضرورة ينبغي أن يحفظ اللسان والقلب عن تبعات الحصومة وذلك متعذرا فمن اقتصر على الواجب في خصومته سلم من الآثم ولانتم خصومته إلا أنه إن كان مستغنيا عن الحصومة فيأخامس فيه لأن عنده ما يكفيه فيكون تاركا للأولى ولا يكون آمنا ، نعم أقل ما يغوته في الحصومة والراء والجدال طيب الكلام وما ورد فيه من الثواب إذ أقل درجات طيب الكلام إظهار الموافقة ولا خشونة في الكلام أعظم من الطعن والاعتراض الذي حاصله إما تجهيل وإما تكذيب فإن من جادل غيره أو مراه أو خاصمه قد جهل أو كذبه فغوت به طيب الكلام وقد قال صلى الله عليه وسلم «يكنسكم من الجنة طيب الكلام وإطعام الطعام» (١) «وقد قال الله تعالى - وقولوا للناس حسنا - وقال ابن عباس رضي الله عنهما من سلم عليك من خلق الله فأرد عليه السلام وإن كان مجمويا إن الله تعالى يقول - وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها - وقال ابن عباس أيضا لوقال لفرعون خيرا ردت عليه وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن في الجنة لفرقا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدّها الله تعالى لمن أطعم الطعام وألان الكلام» (٢) وروى أن عيسى عليه السلام «به خنزير فقال مر بسلام فقبل ياروح الله أقول هذا الخنزير فقال أكره أن أعود لسانى الشر وقال نبينا عليه السلام «الكلمة الطيبة صدقة» (٣) وقال «اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فكلمة طيبة» (٤) وقال عمر رضي الله عنه البر شيء حين وجه طليق وكلام لين . وؤل بعض الحكماء الكلام اللين يفسد الضغائن للستكة في الجوارح . وقال بعض الحكماء كل كلام لا يسيطر ريك إلا أنك ترضى به جابيك فلا تكن به عليه بخيلا فإنه له جوصك منه ثواب المحسنين وهذا كله في فضل الكلام العليوب وتضاده الحصومة والراء والجدال والالجاج فإنه الكلام المستكره لواحش لاؤذى للقلب للنفس للعيش للهيج للغضب لو غر لا صدر نساء الله حسن التوفيق بعه وكرمه .

(الآفة السادسة)

التعمر في الكلام بالمشقة وتكاف السجع والفصاحة والتصنع فيه بالتشبيبات والتقدمات وما جرت به عادة التفاسمين المدعين للخطابة وكل ذلك من التصنع المذموم ومن التكلف المعقوت الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنا وأتقياء أمي برآء من التكلف» وقال صلى الله عليه وسلم «إن أفضلكم إلى وأبعدكم مني مجلسا الثنارون المنهيقون للشدقون في الكلام» (٥) وقالت فاطمة رضي الله عنها

(١) حديث يكنسكم من الجنة طيب الكلام وإطعام الطعام الطبراني من حديث جابر وفيه من لأعرفه وله من حديث هاني أني شريح بإسناد جيد بوجب الجنة إطعام الطعام وحسن الكلام (٢) حديث أنس في الجنة لفرقا يرى ظاهرها من باطنها الحديث وقد تقدم (٣) حديث الكلمة الطيبة صدقة م من حديث أبي هريرة (٤) حديث اتقوا النار ولو بشق تمرة الحديث متفق عليه من حديث عدي بن حاتم وقد تقدم .

(الآفة السادسة : التعمر في الكلام بالمشقة)

(٥) حديث إن أفضلكم إلى الله وأبعدكم مني مجلسا الثنارون المنهيقون للشدقون أحمد من حديث

آداب الشريعة وآداب الشريعة حاية الظاهر والله تعالى لا يبيح تعطيل الجوارح من التحلي بحسن الآداب قال عبد الله بن المبارك أدب الحديث أعز من الخدمة . حكى عن أبي عبيد القاسم بن سلام قال دخلت مكة فكننت ربعا أقصد هذا الكعبة وربعا كننت أمتلي وأمدت رجلى فجاءتني عائشة الكعبة فقالت لي يا أبا عبيد يقال إنك من أهل العلم أقبل مني كلمة لا تنجأه إلا بأدب وإلا فيمحق اسمك من ديوان القربول أبو عبيد وكانت من العارفات . وقال ابن عطاء : النفس مجبولة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار أمي الذين غدوا بالنسيم يأكلون ألوان الطعام ويلبسون ألوان الثياب وينشدون في الكلام ^(١) وقال صلى الله عليه وسلم «أهلكم التطنون ثلاث مرات ^(٢)» والتطعن هو التمتع والاستقصاء . وقال عمر رضي الله عنه : إن شئت شقي الكلام من شقائق الشيطان وجاء عمر بن سعد بن أبي وقاص إلى أبيه سعد يسأله حاجة فتكلم بين يدي حاجته بكلام فقال له سعد ما كنت من حاجتك بأبعد منك اليوم إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «يأتى على الناس زمان يتخللون الكلام بالسنتهم كما تتخلل البقرة الكلاب ^(٣)» وكأنه أنكر عليه ما قدمه على الكلام من التشبيب والتقدمة للصنعة للتكفة ، وهذا أيضا من آفات اللسان ويدخل فيه كل سجع متكلف وكذلك التفاضيل الخارج عن حد المعادة وكذلك التكلف بالسجع في المحاورات وإذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بغرة في الجبين قال بعض قوم الجاني : كيف ندى من لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا سئل ومثل ذلك بطل قال أسجعا كسجع الأعراب ^(٤) وأنكر ذلك لأن أثر التكلف والتصنع بين عليه ، بل ينبغي أن يقتصر في كل شيء على مقصوده ومقصود الكلام التفهيم للعرض وما وراء ذلك تصنع ممدوم ولا يدخل في هذه تحسين ألفاظ الخطابة والتذكير من غير إفراط وإغراب فإن التصود منها تحريك القلوب وتنويعها وقبضها وبسطها ، فترشاقة اللفظ تأثير فيه فهو لا تق به ، فأما المحاورات التي تجري لتضاد الحاجات فلا يليق بها السجع والتشديد والاستغفال به من التكلف الممدوم ولا يباحث عليه إلا الرياء وإظهار الفصاحة والتعجيز بالبراعة وكل ذلك ممدوم يكرهه الشرع ويجزع عنه .

(الآفة السابعة : الفحش والسب وبذاءة اللسان)

وهو ممدوم ومنه عنه ومصدره الحبث والأؤم . قال صلى الله عليه وسلم « إياكم والفحش فإن الله تعالى لا يحب الفحش ولا الفحش ^(٥) » ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن تسب قتل بدر من المشركين قال « لا تسبوا هؤلاء فإنه لا يخلص إليهم شيء مما تقولون وتؤذون الأحياء ألا إن البذاء لؤم ^(٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « ليس للؤمن بالطمان ولا للمان ولا الفاحش ولا البذي ^(٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها ^(٨) » وقال صلى الله عليه وسلم أبي ثعلبة وهو عند من حديث جابر وحسنه بإفظ إن أفيضكم إلى ^(٩) (١) حديث فاطمة شرار أمي الذين غدوا بالنسيم وفيه وينشدون ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب (٢) حديث ألا هلك للتطنون من من حديث ابن مسعود (٣) حديث سعد بن أبي وقاص عن الناس زمان يتخللون الكلام بالسنتهم كما تتخلل البقرة الكلاب ^(٤) بلسانها رواه أحمد (٤) حديث كيف ندى من لا شرب ولا أكل الحديث م من حديث الثوري بن شعبة وأبي هريرة وأصاهما عند غيره أيضا .

(الآفة السابعة : الفحش والسب وبذاءة اللسان)

(٥) حديث إياكم والفحش الحديث ن في السكبري في التفسير والحاكم ومحمه من حديث عبادة ابن عمرو ورواه ابن جبان من حديث أبي هريرة (٦) حديث النهي عن سب قتل بدر من المشركين الحديث ابن أبي الدنيا من حديث محمد بن علي الباقر مرسل ورجاله ثقات وللفناني من حديث ابن عباس بإسناد صحيح إن رجلا وقع في أب للباس كان في الجاهلية فطمعه الحديث وفيه لا تسبوا أمواتا فتؤذوا أحيانا (٧) حديث ليس للؤمن بالطمان ولا اللمان ولا الفاحش ولا البذي ت بإسناد صحيح من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب والحاكم ومحمه وروى موقوفا قال الدارقطني في العلل والوقوف أصح (٨) حديث الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها ابن أبي الدنيا وأبو نعيم في الحلية

على سوء الأدب والعباد
مأمور بعلامه الأدب
والنفس تجري بطاها
في ميدان الخالعة
والبعد يرد بها بجده
إلى حسن اللطابة
فمن أعرض عن
الجهل قد أطلق
عنان النفس وغفل
عن الرعاية ومهما
أعاهه وشريكها وقال
الجليل من أعان نفسه
على هواها قد أشرك
في قتل نفسه لأن
العبودية ملازمة الأدب
والطغيان سوء الأدب
أخبرنا الشيخ العالم
ضياء الدين عبد الوهاب
ابن علي قال أنا أبو الفتح
المهروزي قال أنا
أبو النصر الترياق قال
أنا أبو محمد الجرجاني قال
أنا أبو العباس المحبوبي
قال أنا أبو عيسى الترمذي

« أربعة يؤذون أهل النار في النار على ما به من الأذى يسمون بين الحميم والجحيم يدعون بالويل والنبور : رجل يسيل فوه قيحا ودما يقال له ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى فيقول إن الأبعد كان ينظر إلى كل كلمة قدعة خبيثة فيستلها كما يستل الرث (١) » وقال صلى الله عليه وسلم لما نفا « يا عائشة لو كان القحطى رجلا لكان رجل سوء (٢) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شب الفراق (٣) فيحتمل أن يراد بالبيان كشف ما لا يجوز كشفه ويحتمل أيضا للبالغة في الإيضاح حتى يتهى إلى حد التكلف ويحتمل أيضا للبيان في أمور الدين وفي صفات الله تعالى فان إلقاء ذلك مجالا إلى أسمع العوام أولى من البالغة في بيانه إذ قد يشور من غاية البيان فيه عكوك ووساوس فاذا أجملت باذرت القلوب إلى القبول ولم تضطرب ولكن ذكره مقرونا بالبذاء يشبه أن يكون للرأده المجاهرة بما يستحي الإنسان من بيانه فان الأولى في مثله الإغماض والتخاض دون الكشف والبيان وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله لا يحب الفاحش المتفحش الصباح في الأسواق (٤) » وقال جابر بن مرة « كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم وأبى أمامي قال صلى الله عليه وسلم إن القحطى والتفاحش ليسا من الإسلام في شيء وإن أحسن الناس إسلاما أحاسنهم أخلاقا (٥) » وقال إبراهيم بن ميسرة يقال يؤتى بالقحطى للتفحش يوم القيامة في صورة كلب أوفى جوف كلب . وقال الأحنف ابن قيس ألا أخبركم بأدواء اللسان البذي والحلق الذي ، فهذه مذمة القحطى فأما حده وحقيقته فهو التعبير عن الأمور السقيمة بال عبارات الصريحة وأكثر ذلك يجري في ألفاظ الوقع وما يتعلق به فان لأهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها في أهل الصلاح يتخاضون عنها بل يكونونها ويدلون عليها بالرموز فيذكرون ما يجرها ويتعلق بها ، وقال ابن عباس : إن الله حي كريم ينفو ويكنو كنى باليس عن الجائع فاليس واليس والدخول والصعبة كناية عن الوقع وليس بفاخرة وهناك عبارات فاحشة يستقيم ذكرها ويستعمل أكثرها في الشت والتعير وهذه العبارات متفاوتة في القحطى وبعضها أغشى من بعض ، وربما اختلف ذلك بمادة البلاد وأولها مكروهة وأواخرها محظورة وبينهما درجات يتردد فيها وليس يختص هذا بالوقع بل بالكناية قضاء الحاجة عن البول والغائط أولى من لفظ التفوط والحراء وغيرها فان هذا أيضا مما يخفى وكل ما يخفى يستجيب منه فلا ينبغي أن يذكر ألفاظه الصريحة فانه أغشى وكذلك يستحسن في العادة الكناية عن النساء فلا يقال قالت زوجتك كذا بل يقال قبل في الحجرة أو من وراء الستر أو قالت أم الأولاد فالتلفظ في هذه الألفاظ محمود والتصرع فيها بغض إلى القحطى وكذلك من به عيوب يستجيب فلا ينبغي أن يعبر عنها بصريح لفظها كالبرص والقرع والبواسير بل يقال العارض الذي يشكوه وما يجري من حيث عبد الله بن عمرو (١) حديث أربعة يؤذون أهل النار على ما به من الأذى الحديث وفيه إن الأبعد كان ينظر إلى كل كلمة خبيثة فيستلها كما يستل الرث ابن أبي الدنيا من حديث شفي بن مانع واختلف في صحته فذكره أبو نعيم في الصحابة وذكره ع حب في التائبين (٢) حديث يا عائشة لو كان القحطى رجلا لكان رجل سوء ابن أبي الدنيا من رواية ابن أبي ليحة عن أبي النضر عن أبي سلفة عنها (٣) حديث البذاء والبيان شعبان من النقائت وحسنه وك وصحه على شرطهما من حديث أبي أمامة وقد تقدم (٤) حديث إن الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش الصباح في الأسواق ابن أبي الدنيا من حديث جابر بسند ضعيف وله ولطبراني من حديث أسامة بن زيد إن الله لا يحب الفاحش المتفحش وإسناده جيد (٥) حديث جابر بن مرة إن القحطى والتفحش ليسا من الإسلام في شيء الحديث أحمد وابن أبي الدنيا بإسناد صحيح .

قال ثنا ثمانية قال ثنا يحيى بن يعلى عن ناصح عن حماد عن جابر بن مرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأن يؤدب الرجل عليه وسلم وله خير له من أن يتصدق بصلع » وروى أيضا أنه قال عليه السلام « ما نحل والمولى من نحلة أفضل من أدب حسن » وروى عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه ويحسن موضعه ويحسن أدبه » وقال أبو طي الدقاق العيد يصل بطاعته إلى الجنة وبأدبه في طاعته إلى الله تعالى . قال أبو القاسم القشيري رحمه الله كان

جراه فالتصریح بذلك داخل فی الفحش وجميع ذلك من آفات اللسان . قال الملا من هرون : كان عمر بن عبد العزيز يتحفظ فی منطقه فخرج تحت إبطه خراج فأثنياء نسأله لثري مايقول قلنا من أين خرج فقال من باطن اليد ، والباحث على الفحش إما قصد الإلباء وإما الاعتداء لحاصل من عقالطة الفساق وأهل الحبث والظوم ومن عادتهم السب ، وقال أعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أوصني فقال عليك بتقوى الله وإن امرؤ عيرك بشيء يمله فيك فلا تلمه به شيء . تمله فيه يكن وبال الله عليه وأجره لك ولا تسب شيئا قال فما سببت شيئا بسده ^(١) . وقال عياض بن حمار : قلت يا رسول الله إن الرجل من قومي يسبني وهو دوني هل علي من بأس أن أتصر منه فقال للتائبان شيطانان يتماويان ويتبارجان ^(٢) . وقال صلى الله عليه وسلم : سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر ^(٣) . وقال صلى الله عليه وسلم : ملعون سبب للستبان ما قال صلى الله عليه وسلم : ملعون من سبب والديه ^(٤) . وفي رواية : من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه قالوا يا رسول الله كيف يسب الرجل والديه قال يسب أباه ^(٥) .

(الآفة الثامنة اللعن)

إما لحیوان أو جماد أو إنسان وكل ذلك مذموم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المؤمن ليس بلعن ^(١) . وقال صلى الله عليه وسلم : لا تلعنوا جلنة الله ولا بنضبه ولا بجهنم ^(٢) . وقال حذيفة ما تلعن قوم قط إلا حق عليهم القول ، وقال عمران بن حصين : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره إذ امرأة من الأنصار على ناقه لما فضجرت منها فلفتها فقال صلى الله عليه وسلم خذوها ما عليها وأعوها فاتها ملعونة ^(٣) . قال فسكأتني أنظر إلى تلك الناقة تمنى بين الناس لا يتعرض لها أحد . وقال أبو الدرداء : ما لدن أحد الأرض إلا قالت لمن الله أعصا لله . وقالت عائشة رضي الله عنها : سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبابكر وهو يلحن بعض رقيقه فالتفت إليه وقال يا أبابكر أمصديق ولما بين كلا ورب الكعبة مرتين أو ثلاثا ^(٤) . فأعق أبو بكر يومئذ رقيقه وآتى النبي

(١) حديث قال أعرابي أوصني فقال عليك بتقوى الله وإن امرؤ عيرك بشيء يمله فيك فلا تلمه به شيء . تمله فيه الحديث أحمد والطبراني بإسناد جيد من حديث أبي جري الهجيمي قبل اسمه جابر بن سلم وقيل سلم بن جابر ^(٢) . حديث عياض بن حمار قلت يا رسول الله الرجل من قومي يسبني وهو دوني هل علي من بأس أن أتصر منه فقال اللعن اللعن شيطانان يتكاذبان ويتبارزان د الطيالسي وأصله عند أحمد ^(٣) . حديث سباب السلم فسوق وقتاله كفر متفق عليه من حديث ابن مسعود ^(٤) . حديث اللعن اللعن ما قال صلى الله عليه وسلم : ملعون من سبب والديه وفي رواية من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه الحديث أحمد وأبو يعلى والطبراني من حديث ابن عباس باللفظ الأول بإسناد جيد واتفق الشيخان على اللفظ الثاني من حديث عبد الله بن عمرو ^(٥) .

(الآفة الثامنة اللعن)

(٦) حديث المؤمن ليس بلعن تقدم حديث ابن مسعود ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان الحديث قيل هذا بأحد عشر حديثا ولترمذ وحسنه من حديث ابن عمر لا يكون المؤمن لعانا ^(٧) . حديث لا تلعنوا بلعة الله الحديث د من حديث سمرة بن جندب قال ت حسن صحيح ^(٨) . حديث عمران بن حصين بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره إذ امرأة من الأنصار على ناقه لها فضجرت منها فلفتها الحديث رواه ^(٩) . حديث عائشة سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبابكر رضي الله عنه وهو يلحن بعض رقيقه فالتفت إليه فقال يا أبابكر أمصديقين الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت وشيخه بشار بن موسى الخفاف ضعه الجمهور وكان أحمد حسن الرأي فيه .

الأستاذ أبو علي لا يستند إلى شيء فكان يوما في مجمع فأردت أن أضع وسادة خلف ظهري لأن رأيت غير مستند فتحتني عن الوسادة قليلا فوجهت أنه توفى الوسادة لأنه لم يكن عليها خرقة أو سجادة فقال لا أريد الاستناد فتأملت بعد ذلك فملت أنه لا يستند إلى شيء أبدا . وقال الجلال البصري التوحيد يوجب الإيمان فمن لا إيمان له لا توحيد له والإيمان يوجب الشريعة فمن لا شريعة له لا إيمان له ولا توحيد له والشريعة توجب الأدب فمن لا أدب له لا شريعة له ولا إيمان له ولا توحيد له . وقال بعضهم الزم الأدب

صلى الله عليه وسلم وقال لأعدو وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن العائنين لا يكونون
 شفعاء ولا شهداء يوم القيامة » (١) وقال أنس كان رجل يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
 على بئر فلن بيرة قال صلى الله عليه وسلم « يا عبد الله لا تسر معنا على بئر ملعون » (٢) وقال
 ذلك إنكارا عليه والعن عبارة عن الطرد والإبعاد من الله تعالى وذلك غير جائز إلا على من
 انصف بصفة تبعد من الله عز وجل وهو الكفر والظلم بأن يقول لئنه الله على الظالمين وعلى
 الكافرين ويغيب أن يتبع فيه لفظ الشرع فإن في اللفظ خطرا لأنه حكم على الله عز وجل بأنه
 قد أهدى للملوك وذلك غيب لا يطلع عليه غير الله تعالى ويطلع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
 إذا أظلم الله عليه والصفات التقتضية للملوك الكفر والبذعة والفسق والعن في كل واحدة ثلاث
 مراتب : الأولى العن بالوصف الأعم كقولك لئنه الله على الكافر والبتدعي والفسق. الثانية العن
 بأوصاف أخص منه كقولك لئنه الله على اليهود والنصارى والمجوس وعلى القديرة والحوارج
 والروافض أو على الزنا والظلمة وآكل الربا وكل ذلك جائز ولكن في لمن أوصاف البتدعة خطر
 لأن معرفة البذعة غامضة ولم يرد فيه لفظ مأثور فينبغي أن يمنع من الملام لأن ذلك يستدعي المعارضة
 بثله وبغير زما بين الناس وفسادا . الثالثة للعن للشخص المعلن وهذا فيه خطر كقولك لئنه الله
 وهو كافر أو فاسق أو مبتدع والتفصيل فيه أن كل شخص ثبتت لئنه شرعا تجوز لئنه كقولك
 فرعون لئنه الله وأبو جهل لئنه الله لأنه قد ثبت أن هؤلاء أمثال على الكفر وعرف ذلك شرعا
 أما شخص بينه في زماننا كقولك زيد لئنه الله وهو يهودي مثلا فهذا فيه خطر فانه ربما يسلم
 فيموت مقربا عند الله فكيف يحكم بكونه ماعونا . فان قلت يلحق لكونه كافرا في الحال كما يقال
 للمسلم رحمه الله لكونه مسلما في الحال وإن كان يتصور أن يرتد . فاعلم أن معنى قولنا رحمه الله أي بينه
 الله على الاسلام الذي هو سبب الرحمة وعلى الطاعة ولا يمكن أن يقال ثبت الله الكفر على ما هو سبب
 العنة فان هذا سؤال للكفر وهو في نفسه كفر بل الجائز أن يقال لئنه الله إن مات على الكفر ولا لئنه
 الله إن مات على الاسلام وذلك غيب لا يدري والطلاق متردد بين المعلنين فيه خطر وليس في ترك
 العن خطر وإذا عرفت هذا في الكافر فهو في زيد الفاسق أو زيد المبتدع أولى فلن الأعيان فيه خطر
 لأن الأعيان تتقلب في الأحوال إلا من أعلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه يجوز أن يعلم من يموت
 على الكفر ولئنه الله عين قوما بالهم فكان يقول في دعائه هي قريش « اللهم عليك بأبي جهل بن هشام
 وعتبة بن ربيعة » (٣) وذكر جماعة قتلوا على الكفر يدر حتى إن من لم يعلم عاقبته كان يلحقه قهري
 عنه إذ روى « أنه كان يلحق الذين قتلوا أصحاب بئر معونة في قوته شهرا فزول قوله تعالى - ليس لك من
 الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون » (٤) - يعني أنهم ربما يسلمون فمن أين تعلم أنهم ملعونون

(١) حديث إن العائنين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة بمن حديث أبي البراءة (٢) حديث
 أنس كان رجل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بئر فلن بيرة قال يا عبد الله لا تسر معنا
 على بئر ملعون ابن أبي الدنيا بإسناد جيد (٣) حديث اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة
 وذكر جماعة متفق عليه من حديث ابن مسعود (٤) حديث إنه كان يلحق الذين قتلوا أصحاب
 بئر معونة في قوته شهرا فزول قوله تعالى - ليس لك من الأمر شيء - الشيخان من حديث أنس دعا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين صباحا الحديث وفي رواية لهما
 قتت شهرا يدعو على رعل وذ كوان الحديث ولهما من حديث أبي هريرة وكان يقول حين يخرج
 من صلاة التجر من القراءة ويكبر ويرفع رأسه الحديث وفيه اللهم العن الحيان ورع الحديث

ظاهرا وباطنا لما أساء
 أحد الأدب ظاهرا
 إلا عوب ظاهرا وما
 أساء أحد الأدب باطنا
 إلا عوب باطنا . قال
 بعضهم هو غلام الدقاق
 نظرت إلى غلام أمرد
 فظفر إلى الدقاق وأنا
 أنظر إليه فقال لتجدن
 غيبا ولو بعد سنين
 قال فوجدت غيبا بعد
 عشرين سنة أن
 أنسب القرآن . وقال
 سري صليت وردى
 ليلتين الليالي ومددت
 رجلي في المهرزاب
 فوديت بأسري هكذا
 تجالس للؤلؤ فضممت
 رجلي ثم لم وعزتك
 لآمدت رجلي أبدا
 وقال الجدي في سنين
 سنة مامد رجلي لئلا
 ولا نهرا . قال عبد الله
 ابن المبارك من نهان

وكذلك من بان لنا موته على الكفر جاز لانه وجاز ذمه ان لم يكن فيه اذى على مسلم فان كان لم يجز
 كما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « سأل أبا بكر رضى الله عنه عن قبر مر به وهو يريد
 الطائف فقال هذا قبر رجل كان عاتيا على الله ورسوله وهو سعيد بن العاص فغضب ابنه عمرو
 ابن سعيد وقال يا رسول الله هذا قبر رجل كان أطعم للطعام وأضرب للامم من أبي تحافة قال أبو بكر
 يكذبني هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام فقال صلى الله عليه وسلم اكفف عن أبي بكر فانصرف
 ثم أقبل على أبي بكر قال يا أبا بكر إذا ذكرت الكفار فسموا فانكم إذا خصمتم غضب الأنبياء
 لا بآء فكفف الناس عن ذلك (١) وشرب نهبان الحجر لخم مرات في مجلس رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال بعض الصحابة لانه ما أكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه وسلم « لا تكن عوناً
 للشيطان على أخيك (٢) وفي رواية لا تقل هذا فانه يحب الله ورسوله قتاه عن ذلك وهذا يدل على
 أن لمن فاسق بعينه غير جائز وعلى الجملة في لمن الأشخاص خطر فليجنب ولا خطر في الكوث من لمن
 إبليس مثلاً فضلاً عن غيره . فان قيل هل يجوز لمن يزيد لأنه قاتل الحسين وأمر به . قلنا هذا لم يثبت أصلاً
 فلا يجوز أن يقال إنه قتله أو أمر به ما لم يثبت فضلاً عن العنة لأنه لا يجوز نسبة مسلم إلى كبيرة من غير
 تحقيق ، نعم يجوز أن يقال قتل ابن ملجم علياً وقتل أبو لؤلؤة عمر رضى الله عنهما فان ذلك ثبت متواتراً
 فلا يجوز أن يرمى مسلم بفسق أو كفر من غير تحقيق قال صلى الله عليه وسلم « لا يرمى رجل رجلاً بالكفر
 ولا يرميه بالنسقي إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك (٣) وقال عليه « ما شهد رجل على رجل
 بالكفر إلا بآء به أحدهما إن كان كافراً فهو كافراً وإن لم يكن كافراً فقد كفر بكفيرة إياه (٤) »
 وهذا معناه أن يكفروه وهو يعلم أنه مسلم فان ظن أنه كافر ببيعة أو غيرها كان غلطاً لا كافراً وقال معاذ

وفيه ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل الله ليس لك من الأمر شيء - لفظ (١) حديث أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم سأل أبا بكر عن قبر مر به وهو يريد الطائف فقال هذا قبر رجل كان عاتيا على
 الله وعلى رسوله وهو سعيد بن العاص فغضب ابنه الحديث وفي الراسل من رواية أبي بن ربيعة
 قال لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة توجه من فوره ذلك إلى الطائف ومعه أبو بكر
 ومعه ابنه سعيد بن العاص فقال أبو بكر لمن هذا القبر قالوا قبر سعيد بن العاص فقال أبو بكر لمن
 الله صاحب هذا القبر فانه كان مجاهد الله ورسوله الحديث وفيه فاذا سببت المشركين فسيوم جميعاً
 (٢) حديث شرب نهبان الحجر لخم مرات في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة
 لانه الله ما أكثر ما يؤتى به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكن عوناً للشيطان على أخيك
 وفي رواية لا تقل هذا فانه يحب الله ورسوله ابن عبد البر في الاستيعاب من طريق الزبير بن بكار
 من رواية محمد بن عمرو بن حزم مرسلًا وعهد هذا ولد في حياته صلى الله عليه وسلم ومعه محمدًا وكناه
 عبد الملك وللبخاري من حديث عمر أن رجلاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اسمه
 عبيدة وكان يلقب حماراً وكان يضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد جلده في الشراب فأقبحه
 يوماً فأمر به فجلد فقال رجل من القوم اللهم الله ما أكثر ما يؤتى به فقال النبي صلى الله عليه وسلم
 لا تلنوه فوافقه ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله من حديث أبي هريرة في رجل شرب ولم يسم وفيه
 لا تمينوا عليه الشيطان وفي رواية لا تكونوا عوناً للشيطان على أخيك (٣) حديث لا يرمى رجل رجلاً
 بالكفر ولا يرميه بالنسقي إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك متفق عليه والباقي للبخاري
 من حديث أبي ذر عن جدهم ذكر الفسق (٤) حديث ما شهد رجل على رجل بالكفر إلا آتى أحدهما
 إن كان كافراً فهو كافراً وإن لم يكن كافراً فقد كفر بكفيرة إياه أبو مصور والبيهقي في مسند الفردوس
 من حديث أبي سعيد بسند ضعيف .

بالأدب عوقب بحرمان
 السنن ومن تهاون
 بالسنة عوقب بحرمان
 القرائن ومن تهاون
 بالقرائن عوقب
 بحرمان المعرفة وسئل
 السري عن مسألة
 في الصبر فجعل يتكلم
 فيها فذهب على رجله
 عقيب فجعلت تضربه
 بآرتها فقبل له ألا
 تدفعها عن نفسك
 قال استحي من الله
 أن أنكم في حال
 ثم أخالف ما أعلم فيه
 وقيل من أدب
 رسول الله صلى الله
 عليه وسلم أنه قال
 « زوت لي الأرض
 فأريت مشارفها
 ومغارها » ولم يقل
 رأيت . وقال أنس
 ابن مالك الأدب
 في العمل علامة قبول

(الآفة التاسعة النساء والشعر)

وقد ذكرنا في كتاب السباع ما يحرم من النساء وما يحل فلا نفيده وأما الشعر فكل ما حسنه حسن وقبحه قبيح إلا أن التجرد له مذموم قال رسول الله ﷺ «لأن يتلى جوف أحدكم قباحتى يريه خير له من أن يتلى شعرا» (١) وعن مسروق أنه مثل عن بيت من الشعر فكرهه قيل له في ذلك قال أنا أكره أن يوجد في صحيفي شعر وسئل بعضهم عن شيء من الشعر فقال اجل مكان هذا ذكرنا فان ذكر الله خير من الشعر . وعلى الجملة فانشاد الشعر ونظمه ليس محرما إذ لم يكن فيه ما يستكره قال صلى الله عليه وسلم «إن من الشعر لحكمة» (٢) نعم مقصود الشعر للدخ والدم والتشبيب وقد يدخله الكذب وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت الأنصاري بهجاء الكفار والتوسع في الدخ (٣) فانه وإن كان كذبا فانه لا يلحق في التحريم بالكذب كقول الشاعر :

ولو لم يكن في كفه خير روحه لجاد بها فليتك الله سائله

فان هذا عبارة عن الوصف بنهاية السخاء فان لم يكن صاحبه سخيا كان كاذبا وإن كان سخيا فالبالغة من صنعة الشعر فلا يقصد منه أن يعتقد صورته وقد أنشدت أبيات بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تبيت لوجد فيها مثل ذلك فلم يمنع منه قالت عائشة رضى الله عنها «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفف نعله وكنت جالسة أغزل فنظرت إليه فجعل يبيته يرقى وجعل عرقه يتولد نورا قالت فهت فنظر إلى فقال مالك بهت فقلت يارسول الله نظرت إليك فجعل يبينك يرقى وجعل عرقك يتولد نورا ولو رأك أبو كبير الهذلي لعم أنك أحق بشعره قال وما يقول يا عائشة أبو كبير الهذلي قلت يقول هذين البيتين :

ومبرا من كل غير حيفة وفساد مرضعة وداء مغيل

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض للتهليل

قال فوضع صلى الله عليه وسلم ما كان بيده وقام إلى وقبل ما بين عيني وقال جزاك الله خيرا يا عائشة ما سررت منى كسروى منك (٤) . ولما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم يوم حنين أمر للعباس بن مرداس بأربع قلائص فاندفع يشكو في شعره وفي آخره :

وما مكان بدر ولا حابس يسودان مرداس في جمع

وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال صلى الله عليه وسلم اقطوا عني لسانه فذهب به أبو بكر الصديق رضى الله عنه حتى اختار مائة

(الآفة التاسعة النساء والشعر)

(١) حديث لأن يتلى جوف أحدكم قباحتى يريه خير من أن يتلى شعرا مسلم من حديث سعد ابن أبي وقاص واتفق عليه الشيخان من حديث أنى هريرة نحوه والبخارى من حديث ابن عمر ، ومسلم من حديث أنى سعيد (٢) حديث إن من الشعر لحكمة تقدم في العلم وفي آداب السباع (٣) حديث أمره حسانا أن يهجو للشركيين متفق عليه من حديث البراء أنه ﷺ قال لحسان اهجمم وجبريل معك (٤) حديث عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفف نعله وكنت أغزل قالت فنظرت إليه فجعل يبيته يرقى وجعل عرقه يتولد نورا الحديث وفيه إنشاد عائشة لشعر أبي كبير الهذلي :

ومبرا من كل غير حيفة وفساد مرضعة وداء مغيل

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض للتهليل

إلى آخر الحديث رواه البيهقي في دلائل النبوة .

إلى سياسة المذموم .
[الباب الثاني
والثلاثون في آداب
الحضرة الالهية لأهل
القرب]

كل الآداب تتلنى من
رسول الله صلى الله
عليه وسلم فانه عليه
السلام جمع الآداب
ظاهرا وباطنا وأخير
الله تعالى عن حسن
أدبه في الحضرة بقوله
تعالى - ما زاغ البصر
وما طغى - وهنـه
غائصة من غوامض
الآداب اختص بها
رسول الله صلى الله
عليه وسلم أخبر الله
تعالى عن اعتدال
قلبه القدس في
الاعراض والاقبال
أعرض عما سوى الله
وتوجه إلى الله وترك
وراء ظهره الأرضين

من الأبل ثم رجع وهو من أَرْضَى الناس فقال له صلى الله عليه وسلم اتقوا في الشر فجعَل يتذر إليه ويقول بأني أنت وأُمِّي إني لأجد للشر دينيا على لساني كدبيب النمل ثم قرصني كما قرص النمل فلا أجد بدا من قول الشر فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال لا تدرب العرب الشر حتى تدع الأبل المحنين (١) .

(الآفة العاشرة الزناح)

وأصله مذموم منهى عنه إلا قدر إيسر يستثنى منه قال صلى الله عليه وسلم « لا تعاروا ولا تعاروا معاً »^(٢)
 فإن قلت المارة فيها إيذاء لأن فيها تكديرا للأخ والصديق أو تحيالا له ، وأما الزناح فطاية وفيه انبساط وطيب قلب فلم ينهى عنه ؟ فاعلم أن النهي عنه الإفراط فيه أو الدائمة عليه أما الدائمة فلا لأنه اشتغال بالهوى والمزول فيه والحب مباح ولكن الواظبة عليه مذمومة وأما الإفراط فيه فانه يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك تيمت القلب وتورث الضغينة في بعض الأحوال وتسقط الهابة والوقار فما يغلو عن هذه الأمور فلا يذم كما روى النبي ﷺ أنه قال « إني لأمرح ولا أقول إلا حقا »^(٣) ، وإن شئت يقدَّر على أن يمزح ولا يقول إلا حقا وأما غيره إذا تصح باب الزناح كان غرضه أن يضحك الناس كيما كان وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى في النار أبعد من الثريا »^(٤) ، وقال عمر رضي الله عنه : من كثرت ضحكته قلت هيئته ومن مزح استخف به ومن أكثر من شيء عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ولأن الضحك بدل على الفلعة عن الآخرة قال صلى الله عليه وسلم « لو تعلمون ما أعلم لبكتم كثيرا ولضحكم قليلا »^(٥) ، والدرجل لأخيه بأخي هل أتاك أنك وارد النار قال نعم قال فهل أتاك أنك خارج منها قال لا قال فقيم الضحك ؟ قيل فمارؤى صاحبك حقا مات . وقال يونس ابن أسباط أقام الحسن ثلاثين سنة لم يضحك وقيل أقام عطاء السلي أربعين سنة لم يضحك ونظر وهيب ابن الورد إلى قوم يضحكون في عيد فطر فقال إن كان هؤلاء قد غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين وإن كان لم يفرح لهم فما هذا فعل الخائفين . وكان عبد الله بن أبي بن عجل يقول أتضحك ولعل أتكفانك

(١) حديث لما قسم الفنائم أمر للعباس بن مرداس بأربع قلائص وفي آخره شعره :

وما مكان بدوم ولا حابس يسودان مرداس في جمع
وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال صلى الله عليه وسلم اقطعوا عني لسانه الحديث مسلم من حديث رافع بن خديج أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن والأقرع بن حابس كل إنسان منهم مائة من الأبل وأعطي عباس بن مرداس دون ذلك فقال عباس بن مرداس :

أجعل نهي ونهي المبيد ما بين عينة والأقرع
وما مكان بدر ولا حابس يفوقان مرداس في جمع
وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع

قال فأنه له رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة وزاد في رواية أعطى علمة بن عاتمة مائة وأما زيادة اقطعوا عني لسانه فليست في شيء من الكتب المشهورة .

(الآفة العاشرة الزناح)

(٢) حديث لا تعاروا أخاك ولا تعاروا أخاك وقد تقدم (٣) حديث إني أمرح ولا أقول إلا حقا

تقدم (٤) حديث إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من الثريا تقدم .

(٥) حديث لو تعلمون ما أعلم لضحككم قليلا ولبكتم كثيرا متفق عليه من حديث أنس وماتة .

واللهو الماجة بمحطوطها
والسموات والهار
الآخرة بمحطوطها فما
التفت إلى ما تعرض
عنه ولا لجهة الأسف
على الغاب في إعراضه
قال الله تعالى - لكيلا
تأسوا على ما فاتكم -
فهذا الخطاب للمعوم
وما زغ البصر إخبار
من حال النبي عليه
السلام بوصف شخص
من معنى ما خاطب به
المعوم فكان ما زاغ
البصر حاله في طرف
الاعراض وفي طرف
الاقبال تلقى ماورد
عليه في مقام قاب
قوسين بالروح والقلب
ثم فر من الله تعالى
حياء منه وهية
وإجلالا وطوى نفسه
بغراره في مطاوى
انكساره وانقاره

فخرجت من عند القصار وقال ابن عباس من أذنب ذنباً وهو يضحك دخل النار وهو يضحك وقال محمد بن واسع إذا رأيت في الجنة رجلاً يضحك أنت تعجب من مكانه ؟ قيل بلى قال الذي يضحك في الدنيا ولا يدري إلى ماذا يصير هو أعجب منه فذه آفة الضحك والمذموم منه أن يستغرق ضحكاً والمحمود منه التسميم الذي يتكشف فيه السن ولا يسمع له صوت وكذلك كان ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) قال القاسم مولى معاوية أقبل أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم على قفوس له صعب فلم يجعل كلاً دنا من النبي صلى الله عليه وسلم ليسأله يغربه فجعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون منه ففعل ذلك ثلاث مرات ثم وقصه قتلته فقيل يا رسول الله إن الأعرابي قد صرعه قفوصه وفعله قال نعم وأقواهم ملاً من دمه (٢) وأما أداء المزاح إلى سقوط الوفاق فقد قال عمر رضي الله عنه من مزح استخف به وقال محمد بن النكدر قالت لي أُمّ يابن لائمناح الصبيان قهون عديم وقال سعيد بن العاص لآبني يابن لائمناح الشريف فيقعد عليك ولآل دنى فيجترى عليك وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى اتقوا الله وإياكم والمزاح فإنه يورث الضغينة ويخرج إلى القبيح تحدثوا بالقرآن وبالحلال ولا تزل عليكم غديت حسن من حديث الرجال وقال عمر رضي الله عنه أندوز لم سمى المزاح مزاحاً ؟ قالوا لا قال لأنه أزاح صاحبه عن الحق وقيل لكل شيء بذور وبذور الدودة المزاح ويقال المزاح حلبة للنبي مقطعة للأعداء . فان قلت قد قيل المزاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فكيف ينسب عنه . فأقول إن قدرت على ما قدر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو أن تمزح ولا تقول إلا حقاً ولا تؤذى قلباً ولا تفرط فيه وتقتصر عليه أحياناً على الدور فلا تخرج عليك فيه ولكن من الغلط العظيم أن يتخذ الإنسان المزاح حرفة يواظب عليه ويفرط فيه ثم يتسكك بفعل الرسول صلى الله عليه وسلم وهو كمن يدور نهاره مع الزوج ينظر إليهم وإلى رقبهم ويتمسك بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لعائشة في النظر إلى رقب الزوج في يوم عيده وهو خطأ إذ من الصغار ثم يصير كبيرة بالأصرار ومن المباحات ما يصير صغيرة بالأصرار فلا ينبغي أن يفعل عن هذا (٣) ثم روى أبو هريرة أنهم قالوا «يا رسول الله إنا نكذبك فقال إنى وإن دعيتكم لأقول إلا حقاً (٤) » وقال عطاء بن رسلان إن ابن عباس أكل من رسول الله صلى الله عليه وسلم مزح ؟ فقال نعم قال فما كان مزاحه ؟ قال كان مزاحه أنه صلى الله عليه وسلم كسا ذات يوم امرأة من نسائه ثوباً واسعاً فقال لها البسوه واحمدى وجرى منه ذيل كذيل العروس (٥) وقال أنس بن مالك صلى الله عليه وسلم كان من أفككه الناس مع نسائه (٦) وروى أنه كان كثير التسميم (٧) وعن الحسن قال أتت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت لها صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة عجوز فكبت فقالت إنك لست بعجوز يومئذ قال الله تعالى - إنا أنشأناهن إنشاءً فجعلناهن أبكاراً - (٨) وقال زيد بن أسلم إن امرأة يقال لها

(١) حديث كان ضحكك التسميم تقدم (٢) حديث القاسم مولى معاوية أقبل أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم على قفوس له صعب فلم يجعل كلاً دنا من النبي صلى الله عليه وسلم ليسأله يغربه فجعل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يضحكون منه ففعل ذلك ثلاث مرات ثم وقصه قتلته فقيل يا رسول الله إن الأعرابي قد صرعه قفوصه ففعله قال نعم وأقواهم ملاً من دمه ابن المبارك في الزهد والرائق وهو محصل (٣) حديث إنك لعائشة في النظر إلى رقب الزوج في يوم عيده تقدم (٤) حديث أبي هريرة قالوا إنا نكذبك فقال إنى وإن دعيتكم فلا أقول إلا حقاً الترمذي وحسنه (٥) حديث عطاء بن رسلان سأله ابن عباس أكل من رسول الله صلى الله عليه وسلم مزح فقال ابن عباس نعم الحديث قد مر منه قوله لامرأة من نسائه البسوه واحمدى وجرى منه ذيل كذيل العروس لم أقص عليه (٦) حديث أنس قال من أفككه الناس تقدم (٧) حديث أنه كان كثير التسميم تقدم (٨) حديث الحسن لا يدخل الجنة عجوز

لكيلا تنبسط النفس
تطحن فان الطغيان
عند الاستغناء وصف
النفس قال الله تعالى
- كلا إن الإنسان
ليظنى أن آراء استغنى-
والنفس عند الواهب
الواردة على الروح
والقلب تسترق السمع
ومنى نالت قسطاً من
النع استغنت وطفت
والطغيان يظهر منه
فرط البسط والإفراط
في البسط يسد باب
الزيد وطمعان النفس
لنفسك وعنها عن
الواهب فوسى عليه
السلام صح له في
الحضرة أحد طرفي
مزاغ البصر وما التفت
إلى ما فاته وما طغى
متأسفاً لحسن أدبه
ولكن ابتلا من النعم
واستترقت النفس السمع

أما عن جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم «قالت إن زوجي يدعوك قال ومن هو أهو الذي بينه ياض قالت والله ما بينه ياض فقال بل إن بينه ياضا قالت لا والله فقال صلى الله عليه وسلم : مامن أحد إلا وبينه ياض وأراد به البياض المحيط بالحدقة (١)» وجاءت امرأة أخرى فقالت «يا رسول الله احملني على بئر فقال بل يحملك على ابن البئر فقالت ما أصنع به إنه لا يحملني فقال ﷺ : مامن بئر إلا وهو ابن بئر (٢)» فكان يمزح به وقال أنس كان لأبي طلحة ابن يقال له أبو عمير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيهم ويقول «يا أبا عمير ما فعل النغير (٣)» كثيرا كان يلعب به وهو فرخ الصفور وقالت عائشة رضي الله عنها «خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر فقال تعالى حتى أسأبك فقد دثت درعي على بطني ثم خططنا خطا قمنا عليه واستبقينا فسبقني وقال هذه مكان ذي الحجاز (٤)» وذلك أنه جاء يوما ونحن بذى الحجاز وأنا جارية قد بعثني أبي بشيء فقال أعطينيه فأبيت وسعيت وسعي في أترى فلم يدركني وقالت أيضا «سأبني رسول الله ﷺ فسبقته فلما حملت اللحم سأبني فسبقني وقال هذه بتلك (٥)» وقالت أيضا رضي الله عنها «كان عندى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسودة بنت زمعة فضمت حريرة وجئت به فقلت لسودة كلى قالت لأخيه فقلت والله لنا كلى أو لأطخن به وجهك فقالت ما أنا بذاتقة فأخذت يدي من الصفحة شيئا منه فططخت به وجهها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس بيني وبينها نفخض لها رسول الله ركبتيه لتستفيد منى فتناولت من الصفحة شيئا فمسحت به وجهي وسجل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك (٦)» وروى «أن الضحاك بن سفيان الكلبي كان رجلا دميما فبيحا فلما بايحه النبي صلى الله عليه وسلم قال إن عندى امرأتين أحسن من هذه الجبراء وذلك قبل أن تنزل آية الحجاب أفلا أتزل لك عن إحداهما فتزوجهما وعائشة جالسة تسمع فقالت أهي أحسن أم أنت فقال بل أنا أحسن منها وأكرم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من سؤالها إياه لأنه كان دميما (٧)» . وروى علقمة عن أبي سلمة أنه كان صلى الله عليه وسلم يدلع لسانه للحسن إن على عليهما السلام فيرى الصبي لسانه فيبش له فقال له عينة بن بدر الفزاري والله ليكونن الترمذي في الشئائل هكذا مرسلًا وأسند ابن الجوزي في الوفاء من حديث أنس بسند ضعيف (١) حديث زيد بن أسلم في قوله لامرأة يقال لها أم أيمن قالت إن زوجي يدعوك أهو الذي بينه ياض الحديث الزبير بن بكار في كتاب الفسكاه والزاح ورواه ابن أبي الدنيا من حديث عبدة بن سهم الفهري مع اختلاف (٢) حديث قوله لامرأة استجملته يحملك على ابن البئر الحديث أبو داود والترمذي وصححه من حديث أنس بلفظ أنا حاملك على ولد الذاقة (٣) حديث أنس بأعمير ما فعل النغير متفق عليه وتقدم في أخلاق النبوة (٤) حديث عائشة في مسابقتها صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر فسبقها وقال هذه مكان ذي الحجاز لم أجده أصلا ولم تكن عائشة معه في غزوة بدر (٥) حديث عائشة سأبني فسبقته انسائي وابن ماجه وقد تقدم في السكاح (٦) حديث عائشة في لطخ وجهه سودة بحريرة ولطخ سودة وجه عائشة فجعل صلى الله عليه وسلم يضحك الزبير بن بكار في كتاب الفسكاه وأبو يعلى إسناده جيد (٧) حديث إن الضحاك بن سفيان الكلبي قال عندى امرأتان أحسن من هذه الجبراء أفلا أتزل لك عن إحداهما فتزوجهما وعائشة جالسة قبل أن يضرب الحجاب فقالت أهي أحسن أم أنت فقال بل أنا أحسن منها وأكرم فضحك النبي صلى الله عليه وسلم لأنه كان دميما الزبير بن بكار في الفسكاه من رواية عبد الله بن حسن مرسلًا أو معضلًا وللدارقطني نحوه هذه القصة مع عينة بن حصن الفزاري بعد نزول الحجاب من حديث أبي هريرة .

وتطلمت إلى القسط والحظ فلما حظيت العس استغنت وطمع عليها ماوصل إليها وضاق نطاقها فتجاوز الحد من فرط البسط وقال أرى أنظر إليك ففنع ولم يطلق في قضاء الزيد وظهر الفرق بين الحبيب والسكيم عليهما السلام وهذه دقيقة لأرباب الدرب والأحوال السنية فكل قضى يوجب عقوبة لأن كل قضى سدى وجبه باب الفتوح والعقوبة بالتبعض أوجبت الإفراط في البسط ولو حصل الاعتدال في البسط ماوجب العقوبة بالتبعض والاعتدال في البسط بايقاف التناول من اللع على حاله

لِ الْإِبْنِ قَدْ زَوَّجَ وَبَقِلَ وَجْهَهُ وَمَاقِلَتُهُ قَطْ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنْ مِنْ لَارِجِمٍ لَارِجِمٌ (١) »
فَأَكْثَرَهُ هَذِهِ الطَّيَافِيتُ مَقُولَةٌ مَعَ النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ وَكَانَ ذَلِكَ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاجِلَةٌ لِمَنْعِ
فُلُوبِهِمْ مِنْ غَيْرِ مِيلٍ إِلَى هَزَلٍ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّةً لَصِيبٍ بِهِ رَمَدٌ وَهُوَ بِأَكْلٍ نَحْوًا
« أَنَا أَكُلُ الْخَمْرَ وَأَنْتَ رَمَدٌ فَقَالَ إِنَّمَا أَكُلُ بِالشَّقِّ الْآخَرَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَتَبَسَّمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢) »
قَالَ بَعْضُ الرِّوَاةِ حَقٌّ نَظَرْتُ إِلَى نَوَاجِزِهِ . وَرَوَى « أَنَّ خَوَاتِمَ بَنِي جَبْرِ الْأَنْصَارِيِّ كَانَ جَالِسًا إِلَى نِسْوَةٍ
مِنْ بَنِي كَعْبٍ بِطَرِيقِ مَكَّةَ فَظَلَعَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا لَكَ مَعَ النِّسْوَةِ فَقَالَ يَنْتَلِنُ ضَغِيرًا
لِجَلِّ لِي شُرُودَ قَالَ فَنَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَاجَتِهِ ثُمَّ عَادَ فَقَالَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَمَّا تَرَكَ ذَلِكَ الْجَلِّ
الشَّرَادَ بَعْدَ قَالِ فَسَكَتَ وَاسْتَحْيَيْتَ وَكُنْتُ بَعْدَ ذَلِكَ أَتَغَرَّرُ مِنْهُ كُلَّمَا رَأَيْتُهُ حَيًّا مِنْهُ حَقٌّ قَدِمْتُ لِلدِّينَةِ
وَبَعْدَ مَا قَدِمْتُ لِلدِّينَةِ قَالَ فَرَأَى فِي السَّجْدِ يَوْمًا أَصْلَى فَجَاسَ إِلَيَّ فَطَوَلْتُ فَقَالَ لَا تَطْوُلْ فَإِنِّي أَتَنْتَظِرُكَ
فَلَمَّا سَلِمْتُ قُلْتُ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَمَّا تَرَكَ ذَلِكَ الْجَلِّ الشَّرَادَ بَعْدَ قَالِ فَسَكَتَ وَاسْتَحْيَيْتَ قَامَ وَكُنْتُ بَعْدَ ذَلِكَ
أَتَغَرَّرُ مِنْهُ حَقٌّ لَطَفَنِي يَوْمًا وَهُوَ عَلَى حِمَارٍ وَقَدْ جَمَلْتُ رَجُلِي فِي شَقٍّ وَاحِدٍ فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَمَّا تَرَكَ ذَلِكَ
الْجَلِّ الشَّرَادَ بَعْدَ قَالِ فَقُلْتُ وَاللَّهِ يَبْكُ بِالْحَقِّ مَا شَرَدَ مِنْذُ أَسَلِمْتُ فَقَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ أَهْ أَكْبَرُ اللَّهُمَّ أَهْدِ
أَبَا عَبْدِ اللَّهِ قَالَ غَسَنَ إِسْلَامَهُ وَهَدَاهُ اللَّهُ (٣) » وَكَانَ نَعْيَانُ الْأَنْصَارِيُّ رَجُلًا مَزَاحًا فَكَانَ يَشْرِبُ الْخَمْرَ
فِي الدِّينَةِ فَيُؤْتِي بِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَضْرِبُهُ بِتَمْلِهِ وَيَأْمُرُ أَصْحَابَهُ بِضَرْبِهِ بِتَمْلِهِمْ فَلَمَّا كَثُرَ
ذَلِكَ مِنْهُ قَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ لِنَعْيَانٍ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَضَعُ فَا نَهَى عَنْهُ عِبَادَهُ وَرَسُولَهُ
وَكَانَ لَا يَدْخُلُ لِلدِّينَةِ رِسْلًا وَلَا طَرَفَةً إِلَّا اشْتَرَى مِنْهَا نَعْمًا آتَى بِهَا النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا قَدْ
اشْتَرَيْتَ لَكَ وَأَعْدَيْتَ لَكَ فَادْجَاءَ صَاحِبُهَا بِتَقَاضَاهُ بِالْثَمَنِ جَاءَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ يَا رَسُولَ
اللَّهِ أَعْطُهُ نَعْمَ مَتَاعَهُ يَقُولُ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْلَمْ تَهْدِهِ لَنَا يَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدِي
ثَمَنُهُ وَأَجَبْتُ أَنْ تَأْكُلَ مِنْهُ فَيَضْحَكُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَأْمُرُ لَصَاحِبَهُ بِثَمَنِهِ (٤) فَهَذِهِ مَطَابِيحَاتُ

(١) حَدِيثٌ أَنِّي سَمِعْتُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدُلُّعُ لِنَعْيَانٍ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ فَيَرَى
الصَّبِيَّ لِسَانَهُ فَيَرِيهِ إِلَيْهِ فَقَالَ عَيْنِي بِنِ بَدْرِ الْفَزَارِيِّ وَاللَّهُ لَيَكُونَنَّ لِي الْإِبْنُ رَجُلًا قَدْ خَرَجَ وَجْهَهُ
وَمَاقِلَتُهُ قَطْ فَقَالَ إِنْ مِنْ لَارِجِمٍ لَارِجِمٌ أَوْ يَمْلِي مِنْ هَذَا الْوَجْهِ دُونَ مَا فِي آخِرِهِ مِنْ قَوْلِ عَيْنِي
إِبْنُ بَدْرِ وَهُوَ عَيْنِي بِنِ حَصَنِ بْنِ بَدْرِ وَنَسَبَ إِلَى جَدِّهِ وَحَكِي الْحَطِيبِ فِي اللَّهْمَاتِ قَوْلَيْنِ فِي قَائِلِي
ذَلِكَ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ عَيْنِي بِنِ حَصَنِ وَالثَّانِي أَنَّهُ الْأَفْرَعُ بِنِ حَابِسٍ وَعَدَدُ مُسْلِمٍ مِنْ رِوَايَةِ الرَّهْرِيِّ عَنْ
أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ الْأَفْرَعُ بِنِ حَابِسٍ أَبْصَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْبَلُ الْحَسَنَ فَقَالَ
إِنِّي لِنِ عَشْرَةٍ مِنَ الْوَلَدِ مَقَابِلَتُ وَاحِدًا مِنْهُمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ لَارِجِمٍ لَارِجِمٌ (٢) حَدِيثٌ
قُلْ لَصِيبٍ بِهِ رَمَدٌ أَنَا أَكُلُ الْخَمْرَ وَأَنْتَ رَمَدٌ فَقَالَ إِنَّمَا أَكُلُ عَلَى الشَّقِّ الْآخَرَ فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْنَ مَاجِهِ وَالْحَاكِمُ مِنْ حَدِيثِ صَهْبٍ وَرَجَالِهِ ثَمَاتِ (٣) حَدِيثٌ إِنَّ خَوَاتِمَ بَنِي جَبْرِ كَانَتْ
جَالِسَاتٍ إِلَى نِسْوَةٍ مِنْ بَنِي كَعْبٍ بِطَرِيقِ مَكَّةَ فَظَلَعَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ
مَا لَكَ مَعَ النِّسْوَةِ فَقَالَ يَنْتَلِنُ ضَغِيرًا لِجَلِّ لِي شُرُودَ الْحَدِيثِ الطَّبْرَانِيُّ فِي السَّكْبَرِيِّ مِنْ رِوَايَةِ زَيْدِ بْنِ
أَسْلَمَ عَنْ خَوَاتِمَ بَنِي جَبْرِ مَعَ اخْتِلَافٍ وَرَجَالِهِ ثَمَاتِ وَأَدْخَلَ بَعْضُهُمْ بَيْنَ زَيْدٍ وَبَيْنَ خَوَاتِمَ رِيئَةً
ابْنِ عَمْرٍو (٤) حَدِيثٌ كَانَ نَعْيَانُ رَجُلًا مَزَاحًا وَكَانَ يَشْرِبُ الْخَمْرَ فَيُؤْتِي بِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَضْرِبُهُ بِتَمْلِهِ وَهَدِيَهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ
يَجْعَلُ بِجَانِبِهِ يَقُولُ أَعْطُهُ نَعْمَ مَتَاعَهُ الْحَدِيثُ الزَّيْبِيُّ بِنِ بَكَارٍ فِي الْفَسْكَاهَةِ وَمِنْ طَرِيقِهِ ابْنُ
عَبْدِ الْبَرِّ مِنْ رِوَايَةِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ حَزْمٍ مَرْسَلًا وَقَدْ تَقَدَّمَ أَوَّلُهُ .

والقلب والإيقاف على
الروح والقلب بما
ذكرناه من حال النبي
عليه السلام من تعيب
النفس في مطاوى
الانكسار فذلك القرار
من الله إلى الله وهو غاية
الأدب حظي به رسول
الله عليه الصلاة
والسلام فما قبول
بالقبض فدام مريده
وكان قاب قوسين
أو أدنى وبشاكل
الشرح الذي شرحناه
قول أبي العباس بن
عطاء في قوله تعالى
- مازاغ البصر
وما طغى - قال لم يره
بطغيان يميل بل آه على
شرط اعتدال القوى
وقال سهل بن عبد الله
التستري لم يرجع
رسول الله صلى الله عليه
وسلم إلى شاهد نفسه

يباح مثلها على التدور لاطئ الدوام والواظبة عليها هزل مذموم وسبب للضحك الميت للقلب .

(الآفة الحادية عشرة السخرية والاستهزاء)

وهذا محرم مهما كان مؤذيا كما قال تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خير منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن - ومعنى السخرية الاستهانة والتحقير والتوبيخ على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه وقد يكون ذلك بالهاكة في الفعل والقول وقد يكون بالإشارة والإيماء وإذا كان بخسرة للستهزاء به لم يسم ذلك غيبة وفيه معنى الغيبة قلت عائشة رضي الله عنها حاكيت إنسانا فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم « والله ما أحب أني حاكيت إنسانا ولي كذا وكذا »^(١) وقال ابن عباس في قوله تعالى - يا ويلتنا لهذا السكاب لا يافد صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاهم - إن الصغيرة التيسيم بالاستهزاء بالمؤمن والكبيرة التهقبة بذلك وهذا إشارة إلى أن الضحك على الناس من جملة الذنوب والكبائر . وعن عبدالله بن زعمة أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فوعظهم في ضحكهم من الضربة فقال علام يضحك أحدكم مما يفعل^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم « إن السهزين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنة فيقال لهم لهم فيجي بكره وعنه فإذا أتاه أغلق دونه ثم يفتح له باب آخر فيقال لهم لهم فيجي بكره وعنه فإذا أتاه أغلق دونه فما يزال كذلك حتى إن الرجل ليفتح له الباب فيقال له لهم لهم فلا يأتية^(٣) » وقال معاذ بن جبل قال النبي صلى الله عليه وسلم « من عير أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمل^(٤) » وكل هذا يرجع إلى إسقاط التبر والضحك عليه استهانة به واستصغارا له وعليه نيه قوله تعالى - عسى أن يكونوا خيرا منهم - أي لا تستحقه استصغارا فلله خبر منك وهذا إنما يحرم من حق من يتأذى به فاما من جعل نفسه مسخرة وربما فرح من أن يسخر به فكانت السخرية في حقه من جملة المزاح وقد سبق ما يذم منه وما يمدح وإنما الحرم استصغار يتأذى به السهزاء به لما فيه من التحقير والتهاون وذلك تارة بأن يضحك على كلامه إذا تخطط فيه ولم ينظم أو على أفعاله إذا كانت مشوشة كالضحك على خطه وعلى صنعة أو على صورته وخلفته إذا كان قصيرا أو ناقصا لعبيا من العيوب فالضحك من جميع ذلك داخل في السخرية للنهي عنها .

(الآفة الثانية عشرة إفشاء السر)

وهو منهي عنه لما فيه من الأيذاء والتهاون بحق المارفين والأصدقاء قال النبي صلى الله عليه وسلم

(الآفة الحادية عشرة السخرية والاستهزاء)

(١) حديث عائشة حكيت إنسانا فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم ما يسرنى أني حاكيت إنسانا ولي كذا وكذا أبو داود والترمذي وصححه (٢) حديث عبد الله بن زعمة وعظهم في الضحك من الضربة وقال علام يضحك أحدكم مما يفعل متفق عليه (٣) حديث ابن السهزيين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنة فيقال لهم لهم فيجي بكره وعنه فإذا جاء أغلق دونه الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت من حديث الحسن مرسل وروناه في ثمانية النجيب من رواية أبي هذبة أحد المالكيين عن أنس (٤) حديث معاذ بن جبل من عير أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمل الترمذي دون قوله قد تاب منه وقال حسن غريب وليس إسناده بمتصل قال الترمذي قال أحمد بن منيع قالوا من ذنب قد تاب منه .

(الآفة الثانية عشرة إفشاء السر)

ولا إلى مشاهدتها وإنما كان مشاهدا بكنيته لره يشاهد ما يظهر عليه من الصفات التي أوجبت الثبوت في ذلك المثل وهذا الكلام لمن اعتبر موافق لما شرحناه برمز في ذلك عن سهل بن عبد الله ويؤيد ذلك أيضا ما أخبرنا به شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردي بإجازة قال أنا الشيخ العالم عمام الدين أبو حفص عمر بن محمد بن منصور

الصفار النيسابوري قال أنا أبو بكر أحمد ابن خاف الشيرازي قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلي قال سمعت أبا نصر ابن عبد الله بن علي

« إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي أمانة^(١) » وقال طلقا « الحديث بينكم أمانة^(٢) » وقال الحسن إن من الحياة أن تحدث بسر أخيك . وروى أن معاوية رضى الله عنه أسر إلى الوليد بن عتبة حديثا فقال لأبيه يأتى إن أمير المؤمنين أسر إلى حديثا وما أراه بطوى عنك ما بسطه إلا غيرك قال فلا تخدني به فان من كتم سره كان الخيار إليه ومن أفضاه كان الخيار عليه قال فقلت يأتى إن هذا يدخل بين الرجل وبين أهله قال لا والله يأتى ولكن أحب أن لا تزدل لسانك بأحدث السر قال فأثبت معاوية فأخبرته فقال يا وليد أعنتك أبوك من رقى الخطأ فإفضاء السر خيانة وهو حرام إذا كان فيه إضرار ولوم إن لم يكن فيه إضرار وقد ذكرنا ما يتعلق بكتان السرق في كتاب آداب الصحبة فأغنى عن الإعادة.

(الآفة الثالثة عشرة الوعد الكاذب)

فان اللسان سبيل إلى الوعد ثم النفس ربما لا تسمح بالوفاء فبسر الوعد خلقوا ذلك من أمارات النفاق قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود - وقال صلى الله عليه وسلم « الصدقة عيلة^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « الوأى مثل الدين أو أفضل^(٤) » والوأي الوعد وقد أئني الله تعالى على نبيه اسمعيل عليه السلام في كتابه العزيز فقال - إنه كان صادق الوعد قبل إنه وعد إنسانا في موضع فلم يرجع إليه ذلك الإنسان بل نسي فيق اسمعيل اثنين وعشرين يوما في انتظاره . ولما حضرت عبدالله بن عمر الوفاة قال إنه كان خطب إلى ابنتي رجل من قريش وقد كان مني إليه شبه الوعد فوالله لا أتني الله طلت اتفاق أشهدكم أنني قد زوجت ابنتي وعين عبدالله بن أبي الحنساء قال « بابت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث وبقبت له بقية فواعدته أن آتية بها في مكانه ذلك فنسيت بوى والد فأتيتها اليوم الثالث وهو في مكانه فقال يا بني لقد شقت على أنا ههنا منذ ثلاث أنتظر^(٥) » وقيل لإبراهيم: الرجل بواعد الرجل اليعاد فلا يحصى قال ينتظره إلى أن يدخل وقت الصلاة التي يحصى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وعد وعدا قال عسى^(٦) وكان ابن مسعود لا يعد وعدا إلا ويقول إن شاء الله وهو الأولي ثم إذا فهم مع ذلك الجزم في الوعد فلا بد من الوفاء إلا أن يشتر فإن كان عند الوعد عا ماعلى أن لا يني فعدا هو النفاق . وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم « ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اتعن خان^(٧) » وقال عبدالله بن عمرو رضى الله عنهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أربع من كن فيه كان منافقا

(١) حديث إذا حدث لرجل محدث ثم التفت فهي أمانة أبو داود والترمذي وحسنه من حديث جابر (٢) حديث الحديث بينكم أمانة ابن أبي الدنيا من حديث ابن شهاب مرسل -

(الآفة الثالثة عشرة الوعد الكاذب)

(٣) حديث العدة عطية الطبراني في الأوسط من حديث قيث بن أشيم بسند ضعيف وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن مسعود ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت والخرائط في مكارم الأخلاق من حديث الحسن مرسل (٤) حديث الوأى مثل الدين أو أفضل ابن أبي الدنيا في الصمت من رواية ابن لهيعة مرسل (٥) حديث عبدالله بن أبي الحنساء بابت النبي صلى الله عليه وسلم فواعدته أن آتية بها في مكانه ذلك فنسيت بوى والد فأتيتها اليوم الثالث وهو في مكانه فقال يا بني قد شقت على أنا ههنا منذ ثلاث أنتظر^(٦) رواه أبو داود واختلف في إسناده وقال ابن مهدي ما أظن إبراهيم بن طهمان إلا أخطأ فيه (٧) حديث كان إذا وعد وعدا قال عسى لم أجده أصلا (٧) حديث أنى هريرة ثلاث من كن فيه فهو منافق الحديث وفيه إذا وعد أخلف متفق عليه وقد تقدم

السراج قال أنا أبو الطيب السكى عن أبي محمد الجبري قال التسرع إلى استدراك علم الاشطاع وسيلة والوقوف على حد الانحصار نجاة واللباذ بالهرج من علم الدنو وصلة واستباح ترك الجواب ذخيرة والاعتصام من قبول دواعي اتباع الخطأ تكلف وخوف فوت علم ما انطوى من فصاحة الفهم في حيز الإقبال مائة والإصفاء إلى تلقى ما ينفلص عن معدته بعد الاستسلام عند التلاقي جراءة والانبساط في محل الأنس غرة وهذه الكلمات كلها من آداب الحضرة لأربابها وفي قوله تعالى سماغ

ومن كانت فيه خلعة منهن كان فيه خلعة من النفاق حتى يدعها إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر (١) وهذا ينزل على من وعد وهو على عزم الخلف أو ترك الوفاء من غير عذر فأما من عزم على الوفاء فمن له عذر منه من الوفاء لم يكن منافقا وإن جرى عليه ما هو صورة النفاق ولكن ينبغي أن يحترز من صورة النفاق أيضا كما يحترز من حقيقته ولا ينبغي أن يجعل نفسه معذورا من غير ضرورة حاضرة فقد روى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وعد أبا الهيثم بن التيهان خادما فأتى بثلاثة من السي فأعطى اثنين وبقي واحد فأنت فاطمة رضى الله عنها تطلب منه خادما وتقول ألا ترى أثر الرحي يدي قد ذكر موعده لأبي الهيثم فجعل يقول كيف بموعدي لأبي الهيثم (٢) » فأثره به على فاطمة لما كان قد سبق من موعده له مع أنها كانت تدبر الرحي بيدها الضعيفة ولقد كان صلى الله عليه وسلم جالسا يقسم غنائم هوازن بمعين فوقف عليه رجل من الناس فقال إن لي عندك موعدا يا رسول الله قال صدقت فأحكمت ماشئت فقال أحكمتك ثمانين ضائنة وراعيها قال هي لك وقال احتكمت بسيرا (٣) وصاحبة موسى عليه السلام التي دلت على عظام يوسف كانت أحزم منك وأجزل حكما منك حين حكما موسى عليه السلام فقالت : حكى أن تردني شاة وأدخل معك الجنة . قيل فكان الناس يصفون ما احتكمت به حتى جعل مثاقيل أشنع من صاحب الثمانين والراعي وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس الخلف أن يعد الرجل الرجل وفي نيته أن يفي (٤) » وفي لفظ آخر « إذا وعد الرجل أخا وفي نيته أن يفي فلم يعد فلا يمين عليه . »

(الآفة الرابعة عشرة الكذب في القول واليمين)

وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب قال اسمعيل بن واسط سمعت أبا بكر الصديق رضى الله عنه مخاطب بسد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامى هذا عام أول ثم بكى وقال إياكم والكذب فانه مع التجور وما في النار (٥) » وقال أبو أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الكذب باب من أبواب النفاق (٦) » وقال الحسن كان يقال إن من النفاق اختلاف السر والعلانية والقول والعمل والدخل والمخرج وإن الأصل الذى بي عليه

(١) حديث عبد الله بن عمرو أربع من كن فيه كان منافقا الحديث متفق عليه (٢) حديث كان وعد أبا الهيثم بن التيهان خادما فأتى بثلاثة من السي فأعطى اثنين وبقي واحد فجاءت فاطمة تطلب منه الحديث وفيه فجعل يقول كيف بموعدي لأبي الهيثم فأثره به على فاطمة فتقدم كرقصة لأبي الهيثم في آداب الأكل وهي عند الترمذى من حديث أبي هريرة وليس فيها ذكر لفاطمة (٣) حديث أنه كان جالسا يقسم غنائم هوازن بمعين فوقف عليه رجل فقال إن لي عندك موعدا قال صدقت فأحكمت ماشئت الحديث وفيه لصاحبة موسى التي دلت على عظام يوسف كانت أحزم منك الحديث ابن حبان والحاكم في المستدرک من حديث أبي موسى مع اختلاف قال الحاكم صحيح الإسناد وفيه نظر (٤) حديث ليس الخلف أن يعد الرجل الرجل ومن نيته أن يفي وفي لفظ آخر إذا وعد الرجل أخاه وفي نيته أن يفي فلم يعد فلا يمين عليه أبو داود والترمذى وضعه من حديث زيد بن أرقم باللفظ الثانى إلا أنهما قالا فلم يفي .

(الآفة الرابعة عشرة الكذب في القول واليمين)

(٥) حديث أبي بكر الصديق قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامى هذا عام أول ثم بكى وقال إياكم والكذب الحديث ابن ماجه والنسائى في اليوم والليالي وجهه المصف من رواية اسمعيل بن أوسط عن أبي بكر وإسماعيل بن أوسط بن اسمعيل بن أوسط وإسماعيل بن (٦) حديث أبي أمامة إن الكذب باب من أبواب النفاق ابن عدى في الكامل بسند ضعيف وفيه عمر بن موسى

البصر وما ظنى -

وجه آخر ألطف مما -

سبق : ملاغ البصر

حيث لم يتخلف عن

البصيرة ولم يتفاصر

وما ظنى لم يسبق البصر

البصيرة فيتجاوز حده

ويتعدى مقامه بل

استقام البصر مع

البصيرة والظاهر

مع الباطن والقلب مع

القلب والنظر مع القدم

ففي تقدم النظر على القدم

طفيان والمضى بالنظر

علم وبالقدم حال القاب

فلم يتقدم النظر على

القدم فيكون طفيانا

ولم يتخلف القدم عن

النظر فيكون تقصيرا

فلما اعتدلت الأحوال

وصار قلبه كقلبه

وقال كقلبه وظاهره

كباطنه وباطنه

كظاهره وبصره

كبصيرته وبصيرته

النفق الكذب وقال عليه السلام «كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك به مصدق وتنته به كاذب»^(١) وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم «لا يزال العبد يكذب ويحترى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا»^(٢). «ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجلين يتبايعان شاة ويتحالفان يقول أحدهما للآخر لا أقصك من كذا وكذا ويقول الآخر والله لأزيدك على كذا وكذا فمر بالشاءة وقداشترها أحدهما فقال أوجب أحدهما بالائتم والكفارة»^(٣) وقال عليه السلام «الكذب ينقص الرزق»^(٤) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن التجار هم الفجار قيل يا رسول الله أليس قد أذن الله البيع؟ قال نعم ولكنهم يملقون فيأثمون ويعدثون فيكذبون»^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم «ثلاثة نفر لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم: اللتان بطنيه والنفق سلعته بالخلف الفاجر والسبل إزاره»^(٦) وقال صلى الله عليه وسلم «ما خلف حالف بالله فأدخل فيها مثل جناح بومة إلا كانت نكتة في قلبه إلى يوم القيامة»^(٧) وقال أبو ذر قال رسول الله ﷺ «ثلاثة يحرم الله رجل كان في فئة فصب محرمه حتى يقتل أو يفتنح الله عليه وعلى أصحابه ورجل كان له جار سوء يؤذيه فصر على أذاه حتى يفرق بينهما موت أو ظن ورجل كان معه قوم في سفر أو سرية فأطالوا السرى حتى أعجبهم أن يمسوا الأرض فزلوا فتنبى صلى الله عليه وسلم بوقف أصحابه للرحيل وثلاثة يشؤمهم الله التاجر أو البياع الخلف والفقير المحتال والبيعيل للثان»^(٨) وقال صلى الله عليه وسلم «ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له»^(٩) وقال صلى الله عليه وسلم «رأيت كأن رجلا جاءني فقال لي قم فمعت معه فإذا أنا برجلين أحدهما قائم والآخر جالس بيد القائم كلوب من حديد يلقمه في شدة الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله

الوجهي ضيف جدا ويغني عنه قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وحديث أربع من كن فيه كان منافقا قال في كل منهما وإذا حدث كذب وهما في الصحيحين وقد تقدما في الآفة التي قبلها (١) حديث كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك به مصدق وأنت له كاذب البخاري في كتاب الأدب للبرد وأبو داود من حديث سفيان بن أسيد وضعفه ابن عدى ورواه أحمد والطبراني من حديث الثواس بن سمعان بإسناد جيد (٢) حديث ابن مسعود لا يزال العبد يكذب حتى يكتب عند الله كذابا متفق عليه (٣) حديث مـرجلين يتبايعان شاة ويتحالفان الحديث وفيه فقال أوجب أحدهما بالائتم والكفارة أبو الفتح الأزدي في كتاب الأسماء الفردة من حديث ناسخ الحضرمي وهكذا رويناها في أمالي ابن مسمون وناسخ ذكره البخاري هكذا في التاريخ وقال أبو حاتم هو عبد الله بن ناسخ (٤) حديث الكذب ينقص الرزق أبو الشيخ في طبقات الأصمانيين من حديث أبي هريرة وروناه كذلك في مشيخة القاضي أبي بكر وإسناده ضعيف (٥) حديث إن التجار هم الفجار الحديث وفيه ويعدثون فيكذبون أحمد والحاكم وقال صحيح الإسناد والبيهقي من حديث عبد الرحمن بن شبل (٦) حديث ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم اللتان بطنيه والنفق سلعته بالخلف الكاذب والسبل إزاره مسلم من حديث أبي ذر (٧) حديث ما خلف حالف بالله فأدخل فيها مثل جناح بومة إلا كانت نكتة في قلبه إلى يوم القيامة الترمذي والحاكم وصحح إسناده من حديث عبد الله بن أنيس (٨) حديث أبي ذر ثلاثة يحرمهم الله الحديث وفيه وثلاثة يشؤمهم الله التاجر أو البياع الخلف أحمد واللفظ له وفيه ابن الأحمس ولا يرف حاله ورواه هو والذائي بلقب آخر بإسناد جيد والذائي من حديث أبي هريرة أربعة يفضهم الله البياع الخلف الحديث وإسناده جيد (٩) حديث ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له أبو داود والترمذي وحسنه والذائي في الكبرى من رواية هز بن حكيم عن أبيه عن جده .

كصره حيث انتهى نظره وعلمه قارنه قدمه وحاله ولهذا المعنى انعكس حكم معناه ونوره على ظاهره وأتى البراق ينتهي خطوه حيث ينتهي نظره لا يتخلف قدم البراق عن موضع نظره كما جاء في حديث للعراج فكان البراق بقاله مشا كلاله معناه وصفا لقوة حاله ومعناه وأشار في حديث للعراج إلى مقامات الأنبياء ورأى في كل سماء بعض الأنبياء إشارة إلى تمويهمهم وتخلفهم عن شأوه ودرجته ورأى موسى في بعض السموات فمن هو في بعض السموات يكون قوله أرأيت أنظر إليك تجاوزا للنظر عن حد

ثم يجذبه بلفظه الجانب الآخر فيمده فإذا مد رجع الآخر كما كان قللت للذي أقامني ما هذا؟ فقال هذا رجل كذاب يعذب في قبره إلى يوم القيامة (١) وعن عبد الله بن جرادة قال «سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قللت يارسول الله هل ينزل المؤمن؟ قال قد يكون ذلك قال يا بني هل يكذب المؤمن؟ قال لا ثم أتبعها صلى الله عليه وسلم بقول الله تعالى - إنما يخترى الكذبة الذين لا يؤمنون بآيات الله - (٢) وقال أبو سعيد الخدري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول في دعائه « اللهم طهر قلبي من النفاق وفرجني من الزنا ولساني من الكذب (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكهم ولهم عذاب أليم : شيخ زان، ومملك كذاب، وعائل مستكبر (٤) » وقال عبد الله بن عامر « جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيتنا وأنا صبي فذهبت لألعب فقالت أمي يا عبد الله تعالى حتى أعطيك فقال صلى الله عليه وسلم وما أردت أن تعطيه قالت إنما فقال أما إنك لو لم تخملي لكنت عليك كذبة (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « لو أفاء الله على نعمة عدد هذا الحصى لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني غيلاً ولا كذاباً ولا جباناً (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم وكان متكئاً « ألا أنبشكم بأكبر الكبائر الإثم الكذب بالله وعقوق الوالدين ثم تعدوا قال: ألا وقول الزور (٧) » وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن المبدل يكذب الكذبة فيتباعه الملك عنه مسيرة ميل من نقي ما جاء به (٨) » وقال أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم « تقبلوا إلى يست أنفيل لكم الجنة فقالوا وما هن؟ قال إذا حدث أحدكم فلا يكذب وإذا وعد فلا يخلف وإذا أتمن فلا يخن وغضوا أبصارهم واحتفظوا فروجهم وكفوا أيديهم (٩) » وقال صلى الله عليه وسلم

القدم وتخلعا للقدم
عن النظر وهذا هو
الاخلال بأحد الوصفين
من قوله تعالى - مازاغ
البصر وما طغى -
فروى الله حمل مقترنا
قدمه ونظيره في حال
الحياة والتواضع ناظرا
إلى قدمه قادمًا على
نظيره ولو خرج عن
حجال الحياة والتواضع
ونظول بالنظر متديا
حد القدم تموق في
بعض السموات
كتموق غيره من
الأنبياء فلم يزل صلى
الله عليه وسلم متجاسي
حجابه في خفارة أدب
حاله حتى خرق حجب
السموات فأنصبت إليه
أقسام القرب انصبابا
واشتمت عنه
سحاب الحجب حجبا
حجابا حتى استقام في

(١) حديث رأيت كأن رجلا جاءني فقال لي قم فقممت معه فإذا أنا برجلين أحدهما قائم والآخر جالس يد القائم كلوب من حديد يلقمه في شدة الجالس الحديث البخاري من حديث سمرة بن جندب في حديث طويل (٢) حديث عبد الله بن جرادة أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم هل ينزل المؤمن قال قد يكون من ذلك قال هل يكذب قال لا الحديث ابن عبد البر في التمهيد بسند ضيف ورواه أبي الدنيا في الصمت مقتصرًا على الكذب وجعل السائل أبا الدرداء (٣) حديث أبي سعيد اللهم طهر قلبي من النفاق وفرجني من الزنا ولساني من الكذب هكذا وقع في نسخ الإحياء وعن ابن مسعود إنهما هو عن أم مبيد كذا رواه الخطيب في التاريخ دون قوله وفرجني من الزنا وزاد وعمل من الزنا وعني من الحيانة وإنسانه ضيف (٤) حديث أبي هريرة (٥) حديث عبد الله بن عامر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيتنا وأنا صبي فذهبت لألعب فقالت أمي يا عبد الله تعالى أعطيك فقال وما أردت أن تعطيه قالت إنما فقال إن لم تخملي كنت عليك كذبة رواه أبو داود وفيه من لم يسم وقال الحاكم إن عبد الله بن عامر ولد في حياته صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه - قلت وله شاهد من حديث أبي هريرة وابن مسعود ورجلها ثقات إلا أن الزهري لم يسمع من أبي هريرة (٦) حديث لو أفاء الله على نعمة عدد هذا الحصى لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني غيلاً ولا كذاباً ولا جباناً رواه مسلم وتقدم في أخلاق النبوة (٧) حديث ألا أنبشكم بأكبر الكبائر الحديث وفيه ألا وقول الزور متفق عليهما حديث أبي بكر (٨) حديث ابن عمر إن المبدل يكذب الكذبة فيتباعه الملك عنه مسيرة ميل من نقي ما جاء به الترمذي وقال حسن غريب (٩) حديث أنس تقبلوا إلى يست أنفيل لكم الجنة إذا حدث أحدكم فلا يكذب الحديث الحاكم في المستدرک والخراطي في مكارم الأخلاق وفيه مدرين ستان ضفة أحمد والنسائي ووثقه ابن معين ورواه الحاكم نحوه من حديث عبادة بن الصامت وقال

« إن للشيطان كلا ولعوقا ونشوقا أما لعوقه فالكذب وأما نشوقه فالنضب وأما كله فالنوم ^(١) »
 وخطب عمر رضي الله عنه يوما فقال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كقبيص هذا فيكم فقال
 « أحسنوا إلى أصحابي ثم الذين يلونهم ثم يغشوا الكذب حتى يغفل الرجل على العينين ولم يستطع
 ويشهد ولم يستشهد ^(٢) » وقال النبي صلى الله عليه وسلم « من حدث عني بحديث وهو يرى أنه كذب
 فهو أحد الكاذبين ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « من حلف على يمين يأتهم ليقطع بها مال امرئ
 مسلم بنير حتى لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان ^(٤) » وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه
 رد شهادة رجل في كذبة كذبها ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « كل خصلة يطعم أو يطوى عليها
 المسلم إلا الحيانة والكذب ^(٦) » وقالت عائشة رضي الله عنها « ما كان من خلق أشد على أصحاب
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع على الرجل
 من أصحابه على الكذب فما ينجلي من صدره حتى يعلم أنه قد أحدث توبة لله عز وجل منها ^(٧) »
 وقال موسى عليه السلام : يارب أي عبادك خير لك عملا ؟ قال من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه
 ولا يزني فرجه ، وقال لقمان لابنه : يا بني إياك والكذب فانه شهي كليم الصفور عما قليل يقلاه
 صاحبه ، وقال عليه السلام في مدح الصدق « أربع إذا كنّ فيك لا يضرك ما فاتك من الدنيا
 صدق الحديث وحفظ الأمانة وحسن الخلق وعفة طعمه ^(٨) » وقال أبو بكر رضي الله عنه في خطبة
 بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم : قام فينا رسول الله ﷺ مثل مقامى هذا عام أول ثم بكى
 وقال « عليكم بالصدق فانه مع البر وما في الجنة ^(٩) » وقال معاذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
 « أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث وأداء الأمانة والوفاء بالمهد وبذل السلام وخض الجناح ^(١٠) »

صحيح الإسناد ^(١) حديث إن للشيطان كلا ولعوقا الحديث الطبراني وأبو نعيم من حديث أنس بسند
 ضيف وقد تقدم ^(٢) حديث خطب عمر بالجالية الحديث وفيه ثم يغشوا الكذب الترمذي وصححه
 والنسائي في الكبرى من رواية ابن عمر عن عمر ^(٣) حديث من حدث بحديث وهو يرى أنه كذب
 فهو أحد الكاذبين مسلم في مقدمة صحيحه من حديث سمرة بن جندب ^(٤) حديث من حلف على
 يمين مأثم ليقطع بها مال امرئ مسلم الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود ^(٥) حديث أنه
 رد شهادة رجل في كذبة كذبها ابن أبي الدنيا في الصمت من رواية موسى بن شيبة مرسل وموسى
 روى معمر عنه مناكير قاله أحمد بن حنبل ^(٦) حديث على : كل خصلة يطعم أو يطوى عليها المؤمن
 إلا الحيانة والكذب ابن أبي شيبة في الصنف من حديث أبي أمامة ورواه ابن عدي في مقدمة الكامل
 من حديث سعد بن أبي وقاص وابن عمر أيضا وأبي أمامة أيضا ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت من
 حديث سعد مرفوعا وموقوفًا والوقوف أشبه بالصواب قاله الدارقطني في الملل ^(٧) حديث ما كان
 من خلق الله شيء أشد عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ولقد كان يطلع على
 الرجل من أصحابه على الكذب فما ينجلي من صدره حتى يعلم أنه قد أحدث لله منها توبة أحمد من
 حديث عائشة ورجاله ثقات إلا أنه قال عن ابن أبي مليكة أو غيره وقد رواه أبو الشيخ في الطبقات
 فقال ابن أبي مليكة ولم يشك وهو صحيح ^(٨) حديث أربع إذا كنّ فيك لا يضرك ما فاتك
 من الدنيا صدق الحديث ، الحديث الحاكم والحراني في مكارم الأخلاق من حديث عبد الله بن عمرو
 وفيه ابن لجة ^(٩) حديث أبي بكر عليكم بالصدق فانه مع البر وما في الجنة ابن ماجه والنسائي في
 اليوم والآلة وقد تقدم بضه في أول هذا النوع ^(١٠) حديث معاذ أوصيك بتقوى الله وصدق
 الحديث أبو نعيم في الحلية وقد تقدم .

صراط - ما زاع البصر
 وما طوى - فمركا لبرق
 الحافظ إلى عديم
 الوصل واللفظ وهذا
 غاية في الأدب ونهاية في
 الأرب . قال أبو محمد
 ابن روم حين سئل
 عن أدب السافر فقال
 لا يجاوزهم قدمه فيث
 وقف قلبه يكون مقره
 أخبرنا شيخنا ضياء
 الدين أبو النجيب إجازة
 قال أنا عمر بن أحمد قال
 أنا أبو بكر بن خلف
 قال أنا أبو عبد الرحمن
 السلمي قالنا القاضي
 أبو محمد يحيى بن
 منصور قال حدثنا
 أبو عبد الله محمد بن
 علي الترمذي قال حدثنا
 محمد بن زمام الأبل قال
 حدثنا محمد بن عطاء
 الميموني قال حدثنا
 محمد بن نصير عن عطاء

وأما الآثار : فقد قال علي رضي الله عنه : أعظم الخطأ عند الله اللسان الكذوب وشراً الندامة ندامة يوم القيامة ، وقد عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه ما كذبت كذبة منذ شددت على إزارى ، وقال عمر رضي الله عنه : أحبك إليا مالم تركم أحسنكم إنما فإذا رأيناكم فأحكم إليا أحسنكم خلقاً فإذا اخترناكم فأحكم إليا أصدقكم حديثاً وأعظمكم أمانة ، وعن ميمون بن أبي شبيب قال جلست أكتب كتاباً فأنتيت على حرف إن أنا كتبت زيفت الكتاب وكنت قد كذبت فزمت على تركه فتوديت من جانب البيت - ثبت الله الدين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وقال الشعبي : ما أدري أيهما أبعد غوراً في النار الكذاب أو البخيل وقال ابن الهالك ما رأيته أوجر على ترك الكذب لأني إنما أدعاه أفة ، وقيل لخالد بن صبيح أيسى الرجل كاذباً بكذبة واحدة قال نعم وقال مالك بن دينار : قرأت في بعض الكتب ما من خطيب إلا وتعرض خطبته على عمله فإن كان صادقاً صدق وإن كان كاذباً قرضت شفته بقرارض من نار كما قرضنا نبتاً . وقال مالك بن دينار : الصدق والكذب يتركان في القلب حتى يخرج أحدهما صاحبه وكلم عمر بن عبد العزيز الوليد بن عبد الملك في شيء فقال له كذبت فقال عمر والله ما كذبت منذ علمت أن الكذب يشين صاحبه .

(بيان ما رخص فيه من الكذب)

اعلم أن الكذب ليس حراماً لعينه بل لما فيه من الضرر على المخطأ بل هو غير ما قلناه من درجاته أن يعتد الخبر الذي على خلاف ما هو عليه فيكون جاهلاً وقد يتعلق به ضرر غيره ورب جهل فيه منفعة ومصلحة فالكذب يحصل لذلك الجهل فيكون مأذوناً فيه وربما كان واجباً . قال ميمون بن مهران الكذب في بعض اللواطن خير من الصدق أرأيت لو أن رجلاً سمى خلفاً لسان السيف ليقته فدخل داراً فأنهى إليك فقال : أرأيت فلاناً ما كنت قائلاً ألت تقول لم أزمه وما تصدق به وهذا الكذب واجب . فنقول الكلام وسيلة إلى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعاً فالكذب فيه حرام وإن أمكن التوصل إليه بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح إن كان تحصيل ذلك القصد مباحاً وواجب إن كان القصد واجباً كما أن عصمة دم المسلم واجبة فلهما كان في الصدق سفك دم امرئ مسلم قد اختفى من ظالم فالكذب فيه واجب ومهما كان لا يتم مقصود الحرب أو إصلاح ذات البين أو استئالة قلب الخبيث عليه إلا بالكذب فالكذب مباح إلا أنه ينبغي أن يعتز منه ما أمكن لأنه إذا فتح باب الكذب على نفسه فيخترى أن يتدأى إلى ما يستغنى عنه وإلى ما لا يقصر على حد الضرورة فيكون الكذب جراماً في الأصل إلا للضرورة . والذي يدل على الاستثناء ما روى عن أم كلثوم قالت « ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرضى في شيء من الكذب إلا في ثلاث الرجل يقول القول يريد به الإصلاح والرجل يقول القول في الحرب والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها » (١) وقالت أيضاً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيراً أو نهي خيراً » (٢) وقالت أسماء بنت زيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا رجل كذب بين مسلمين ليصلح بينهما » (٣) وروى عن أبي كاهل قال « وقع بين اثنين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلام حتى تصارما فلقبت أحدهما قتل مالك وقلان فقد

ابن أبي رباح عن ابن عباس قال « لا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية حرب أرأى أنظر إليك - قال : قال لأموسى إنه لا رأى حى إلا مات ولا يابس إلا تدهده ولا رطب إلا تضرق إنما يرأى أهل الجنة الذين لا تموت أعينهم ولا تبلى أجسادهم . وروى آداب الحضرة ما قال الشبلى الانبساط بالقول مع الحق ترك الأدب وهذا يخص بعض الأحوال والأشياء دون البعض ليس هو على الإطلاق لأن الله تعالى أمر بالعدل وإنما الامساك عن القول كما أمسك موسى عن الانبساط في طلب للكرب

(١) حديث أم كلثوم ما سمعته يرضى في شيء من الكذب إلا في ثلاث مسلم وقد تقدم (٢) حديث أم كلثوم أيضاً ليس بكذاب من أصلح بين الناس الحديث متفق عليه وقد تقدم والذي فيه عند مسلم بعض هذا (٣) حديث أسماء بنت زيد كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا رجل كذب بين رجلين يصلح بينهما أحمد زيادة فيه وهو عند الترمذى مختصراً وحسنه .

سمعت بحسن عليه السلام ثم أثبت الآخر فقلت له مثل ذلك حق اصطلاحاً ثم قلت أهألكت تسمى وأصليت
 بين هذين فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا أبا كاهل أصلح بين الناس ^(١) أي ولو بالكذب
 وقال عطاء بن يسار قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم : أكذب على أهل قال لا خير في الكذب
 قال أعدها وأقول لها قال لا جناح عليك ^(٢) وروى أن ابن أبي نذرة الدؤلي وكان في خلافة عمر
 رضى الله عنه كان يخلع النساء اللاتي يتزوج بين فطارت له في الناس من ذلك أحدو فتبكرها فلما علم
 بذلك أخذ يبدع الله بن الأرقم حتى أتى به إلى منزله ثم قال لامراته أنشدك بالله هل تبضين قالت
 لا نتشدي قال فأتى أنشدك الله قالت نعم فقال لابن الأرقم تسمع ثم انطلقا حتى أتيا عمر رضى الله
 عنه فقال إنكم لتحدثون أتى أعظم النساء وأخلمن فأسأل ابن الأرقم فسأله فأخبره فأرسل إلى امرأة
 ابن أبي نذرة فجاءت هي وعمتها فقال أنت التي تحدثين لزوجك أنك تبضينه فقالت بلى أول من تاب
 وراجع أمره الله تعالى إنه ناشدني فخرجت أن أكذب أفأكذب بأمرى للأرقم ^(٣) قال نعم فأكدني
 فان كانت إحداكن لأتبع أحداً فلا تحمته بذلك فان أول البيوت الذي بيني على الحب ولكن
 الناس يتعاضون بالسلام والأحساب ، وعن النوايس بن محمد الكلبي قال : قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم : مالي أراكم تهافتون في الكذب تهافت الفرائش في النار كل الكذب يكتب على ابن
 آدم لأعماله إلا أن يكذب الرجل في الحرب خدعة أو يكون بين الرجلين شحنة فيصلح بينهما
 أو يحدث امرأته يضنها ^(٤) وقال ثوبان الكذب كله يثم إلا ما نفع به مسلماً أو دفع عنه ضرراً أو
 على رضى الله عنه : إذا حدثتكم عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا تن من السماء أحب إلي من أن
 أكذب عليه وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فالجرب خدعة فهذه الثلاث ورد فيها صريح الاستثناء
 وفي معناه ما رواه إذا ارتبط به مقصود صحيح له أو لغيره . أما ما نهى أن يأخذ به فظاهر وسأله عن
 ما له أنه أن يذكره أو يأخذه سلطان فيسأله عن فاحشة بينه وبين الله تعالى ارتكبها فلأن يسكر
 ذلك فيقول ما زنت وما سرت ، وقال صلى الله عليه وسلم : من ارتكب شيئاً من هذه القاذورات
 فليستر بستر الله ^(٥) وذلك أن إظهار الفاحشة فاحشة أخرى فللرجل أن يحفظ دمه وماله الذي يؤخذ
 ظملاً وعرضه بلسانه وإن كان كاذباً . وأما عرض غيره فبأن يسأل عن سر أخيه فله أن يسكره وأن
 يصلح بين اثنين وأن يصلح بين الضرات من نسائه بأن يظهر لكل واحدة أنها أحب إليه وإن كانت
 امرأته لا تطاوعه إلا بوعده لا يقدر عليه فيعدها في الحال تطيباً لئلا يفتقر إلى إنسان وكان لا يطيب قلبه
 إلا بإنكار ذنب وزيادة تودد فلا بأس به ولكن الحد في الكذب محذور ولو صدق في هذه الواضع
 تولد منه محذور فينبغي أن يقابل أحدهما بالآخر ويزن بالميزان القسط فإذا علم أن المحذور الذي يحصل

(١) حديث أبي كاهل وقع بين رجلين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلام الحديث وفيه
 يا أبا كاهل أصلح بين الناس رواه الطبراني ولم يصح (٢) حديث عطاء بن يسار قال رجل للنبي
 صلى الله عليه وسلم : أكذب على أهل قال لا خير في الكذب قال أعدها وأقول لها قال لا جناح عليك
 ابن عبد البر في التمهيد من رواية صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار (٣) حديث النوايس بن محمد الكلبي
 في الكذب تهافت الفرائش في النار كل الكذب مكتوب الحديث أبو بكر بن بلال في مكارم الأخلاق
 بلغظ تبايعون إلى قوله في النار دون ما يسهه فرواه الطبراني وفيها شهر بن حوشب (٤) حديث
 من ارتكب شيئاً من هذه القاذورات فليستر بستر الله الحاكم من حديث ابن عمر بلغظ تبايعوا
 هذه القاذورات التي نهى الله عنها فمن ألم بشيء منها فليستر بستر الله وإنسانه حسن .

والحاجات الدينية
 حتى رخص الحق مقاماً
 في القرب وأذن له في
 الانبساط وقال المطلب
 متى ولو لمعالمعنيك
 فلما بسط انبسط وقال
 - رب إني لما أنزلت
 إلي من خير فقير -
 لأنه كان يسأل حوائج
 الآخرة ويستعظم
 الحضرة أن يسأل
 حوائج الدنيا لحقارتها
 وهو في حجاب الحشمة
 عن سؤال المحقرات
 ولهذا مثال في الشاهد
 فان الملك الأعظم يسأل
 العظمت ويحتشم في
 طلب المحقرات فلما رفع
 بساط حجاب الحشمة
 صار في مقام خاص من
 القرب يسأل الخفيرا كما
 يسأل الخضير قال
 دو اللون الصري أدب
 العارف فوق كل أدب

بالصدق أخذ وقفا في الشرع من الكذب فله الكذب وإن كان ذلك المقصود أهون من مقصود الصدق فيجب الصدق وقد يتقابل الأمران بحيث يتردد فيهما وعند ذلك الليل إلى الصدق أولى لأن الكذب يباح للضرورة أو حاجة مهمة فإن شك في كون الحاجة مهمة فالأصل التحريم تجزئ به إليه لأجل غموض إدراك مراتب القاصد يبنى أن يحترز الإنسان من الكذب ما أمكنه وكذلك مهما كانت الحاجة له فيستحب له أن يترك أغراضه ويهجر الكذب فأما إذا تعلق بمرض غيره فلا يجوز السامعة لحق الغير والأضرار به وأكثر كذب الناس إنعسا ولحظوا أنفسهم فهو زيادات للبال والجاهول وأمور ليس قوتها محمورا حتى إن المرأة لتعكي عن زوجها ما خسر به وتكذب لأجل مراعاة الضرات وذلك حرام وقالت أسباء « سمعت امرأة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت إن لي خرة وإني أتكسر من زوجي بما لم يفعل أضرارها بذلك فهل علي شيء فيه فقال صلى الله عليه وسلم: للتشيع عالم يحط كلابس ثوبي زور (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من تطعم بما لا يطعم أو قال وليس له أو أعطيت ولم يعط فهو كلابس ثوبي زور يوم القيامة ويدخل في هذا فتوى العالم بما لا يتحقق (٢) » وروايت الحديث الذي لا يثبت له إذ غرضه أن يظهر فضل نفسه فهو لذلك يستكف من أن يقول لأدري وهذا حرام وما يلتحق بالنساء الصبيان فإن الصبي إذا كان لا يرغب في الكذب إلا بوعد أو وعيد أو تخويف كاذب كان ذلك مباحا ، ثم روي في الأخبار أن ذلك يكتب كذبا وإن كان الكذب المباح أيضا قد يكتب ويحاسب عليه ويطلب بتصحيح قصده فيه ثم يعني عنه لأنه إنما أصبح بقصد الإصلاح ويطلق إليه غرور كبير فإنه قد يكون البائع له حظه وغرضه الذي هو مستغن عنه وإنما يتعلم طاهرا بالإصلاح فهذا يكتب وكل من أتى بكذبة فقد وقع في خطر الاجتهاد ليعلم أن المقصود الذي كذب لأجله هل هو أهم في الشرع من الصدق أم لا وذلك غامض جدا والحزم تركه إلا أن يصير واجبا بحيث لا يجوز تركه كما لو أدى إلى سفك دم أو ارتكاب معصية كيف كان وقد ظن طائفة أنه يجوز وضع الأحاديث في فضائل الأعمال وفي التشديد في المعاصي وزعموا أن القصد منه صحيح وهو خطأ غرض إذ قال صلى الله عليه وسلم « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار (٣) » وهذا لا يرتكب إلا للضرورة ولا ضرورة إذ في الصدق مندوحة عن الكذب فها هو من الآيات والأخبار كفاية عن غيرها وقول القائل إن ذلك قد تكرر على الأسباع وسقط وقصده ما هو جدي فوقفه أعظم فهذا هو السبب إذ ليس هذا من الأغراض التي تقاوم محذور الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الله تعالى ويؤدي فتح بابه إلى أمور تشوش الشريعة فلا يقاوم خبر هذا شره أصلا والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر التي لا يقاومها شيء . نسأل الله العفو عنا وعن جميع المسلمين .

(بيان الحذر من الكذب بالمعاريض)

قد نقل عن السلف أن في للمعاريض مندوحة عن الكذب قال عمر رضي الله عنه ما في المعاريض ما يكتفي الرجل عن الكذب . وروى ذلك عن ابن عباس وغيره وإنما أراد بذلك إذا اضطر الإنسان إلى الكذب فأما إذا لم تكن حاجة وضرورة فلا يجوز التعريض ولا التصريح جبا ولكن التعريض أهون ومثال التعريض ما روي أن مطرفا دخل على زياد فاستبطأه فطمع بمرض وقال ما رفعت جني مذفاقت

لأن معروفة مؤدب قلبه . وقال بعضهم يقول الحق سبحانه وتعالى : من أقرته القيام مع أسأئ وصناف أقرته الأدب ومن كشف له عن حقيقة ذات أقرته العطب . فاختار أهما شئت الأدب أو العطب وقول القائل هذا يشير إلى أن الأسباء والصفات تستقل بوجوب محتاج إلى الأدب لبقاء رسوم البشرية وحفظ النفس مع لمان نور عظمة القادات تتلاشى الآثار بالأنوار ويكون معنى العطب التحقق بالفناء وفي ذلك العطب نهاية الأرب . وقال أبو علي الدقاق في قوله تعالى - وأيوب

(١) حديث أسباء قالت امرأة إن لي خرة وإني أتكسر من زوجي بما لم يفعل الحديث متفق عليه وهي أسباء بنت أبي بكر الصديق (٢) حديث من تطعم بما لا يطعم وقال ليس له أو أعطيت ولم يعط كان كلابس ثوبي زور يوم القيامة لم أجبه بهذا اللفظ (٣) حديث من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار متفق عليه من طرق وقد تقدم في العلم .

الأمير إلا مارعى الله وقال إبراهيم إذا بلغ الرجل منك شيء فكرهت أن تسكب قتل إن الله تعالى ليعلم ما قلت من ذلك من شيء فيكون قوله محارف نفي عند السمع وعنده للإيهام. وكان معاذ بن جبل عاملاً لعمرو بن عبد الله رضي الله عنه فلما رجع قالت له امرأته ما جئت به مما يأتي به الصالح إلى أهلهم وما كان قد أتانا شيء فقال كان عندي ضابط قالت كنت أمتنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند أبي بكر رضي الله عنه فبثت عمرو معك ضابطاً وقالت بذلك بين نساءهما واشتكت عمر فلما بلغ ذلك دعا معاذاً وقال بشت معك ضابطاً قال لم أجده ما أعترض به إليها إلا ذلك فضحك عمر رضي الله عنه وأعطاه شيئاً فقال أرضها به ومعنى قوله ضابطاً يعني رقيقاً وأراد به الله تعالى وكان النخعي لا يقول لا بنته اشترى لك سكراً بل يقول أرايت لو اشتريت لك سكراً فانه ربما لا يتفق له ذلك. وكان إبراهيم إذا طلبه من يكره أن يخرج إليه وهو في الدار قال للجارية قولي له اطلبي في السجود لا تقول لي ليس هنا كذا بل يكون كذا وكان الشامي إذا طلب في المنزل وهو يكرهه خط دائرة وقال للجارية منى الأصبع فيها وقولي ليس هنا وهذا كله في موضع الحاجة فأما في غير موضع الحاجة فلا لأن هذا تضييق للكذب وإن لم يكن اللفظ كذباً فهو مكروه في الجلالة كما روى عبد الله بن عتبة قال دخلت مع أبي علي عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه فخرجت وعلى ثوب فجعل الناس يقولون هذا كساكه أمير المؤمنين فكنت أقول جزى الله أمير المؤمنين خيراً فقال لي أبي القى الكذب وما أشبهه فتهاء عن ذلك لأن فيه تقريراً لهم على ظن كاذب لأجل غرض الفاحشة وهذا غرض باطل لا فائدة فيه، نعم الماريض تباح لغرض خفيف كتنظيف قلب الغير بالمزاح كقوله صلى الله عليه وسلم «لا يدخل الجنة مجبور»^(١) وقوله للآخرى «الذي في عين زوجك يياض» وللآخرى «نحملك على ولد البعير» وما أشبهه وأما الكذب الصريح كفضله نبيان الأنصارى مع عثمان في قصة الضمير إذ قال له إنه نبيان وكما يتناهى الناس من ملاعبة الحق بتبريرهم بأن امرأة قد رغبت في تزويجك فان كان فيه ضرر يؤدي إلى إيذاء قلب فهو حرام وإن لم يكن إلا لمطايته فلا يوصف صاحبها بالحق ولكن ينقص ذلك من درجة إيمانه قال صلى الله عليه وسلم «لا يكمل العمرة إلا إيمان حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» وحتى يجنب الكذب في مزاحه^(٢) وأما قوله عليه السلام «إن الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها الناس يهوى بها في النار أبعد من الثريا»^(٣) أراد به ما فيه غيبة مسلم أو إيذاء قلب دون محض المزاح. ومن الكذب الذي لا يوجب الفسق ما جرت به العادة في اللبابة كقول طابك كذا وكذا مرة وقلت لك كذا مائة مرة فانه لا يريد به تفهم الراى بعددها بل تفهم اللبابة فان لم يكن طلبه إلا مرة واحدة كان كاذباً وإن كان طلبه مرات لا يتعد مثلاً في السكره لا يأثم وإن لم تبلغ مائة وبينهما درجات يتعرض مطلق اللسان باللبابة فيها لخطر الكذب ومما يتبادر الكذب فيه ويتساهل به أن يقال كل الطعام يقول لا أشبهه وذلك منهي عنه وهو حرام وإن لم يكن فيه غرض صحيح قال مجاهد قالت أسماء بنت عميس «كنت صاحبة عائشة في الليلة التي هيأتها وأدخلها على رسول الله

(١) حديث لا يدخل الجنة مجبور وحديث في عين زوجك يياض وحديث نحملك على ولد البعير تقدمت الثلاثة في الآفة العاشرة (٢) حديث لا يستكمل المؤمن إيمانه حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وحتى يجنب الكذب في مزاحه ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب من حديث أبي مليكة التماري وقال فيه نظر ولاشيخين من حديث أنس لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ولله ابرقني في المؤلفات والختلاف من حديث أبي هريرة لا يؤمن عبد الايمان كله حتى يترك الكذب في مزاحه قال أحمد بن حنبل منكر (٣) حديث إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها الناس يهوى بها أبعد من الثريا تقدم في الآفة الثالثة.

إذ نادى ربه أن
مضى الضر وأنت
أرحم الراحمين لم يقل
ارحمي لأنه حفظ أدب
الخطاب وقال عيسى
عليه السلام إن كنت
قلته فقد علته - ولم
يقول لم أقل رعاية لأدب
الحضرة . وقال
أبو نصر السراج أدب
أهل المحسوبة من
أهل الدين في طهارة
القلوب ومراعاة
الأسرار والوفاء بالعهود
وحفظ الوقت وقلة
الالتفات إلى الحواطر
والعوارض والبوادي
والعوائق واستنواء
السرو والمالية وحسن
الأدب في موافق
الطلب ومقامات القرب
وأوقات الحضور .
والأدب أدبان أدب
قول وأدب فعل فمن

صلى الله عليه وسلم ومعنى نسوة قالت قوا الله ما وجدنا عندك ترى إلا قدحاً من لبن فخرّب ثم تناولها عائشة قالت فاستحييت الجارية فقلت لا تردى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم خذى منه قالت فأخذت منه على حياء فخرّبته ثم قال ناولي صواحبك قلن لا تشتهي قال لا تجعن جوعاً وكذباً قالت فقلت يا رسول الله إن قالت إحداكن تشتهي لأشتهي أريد ذلك كذباً قال : إن الكذب ليكذب كذباً حتى يكتب الكذبية كذبية (١) . وقد كان أهل الورع يحترزون عن التماس مع مثل هذا الكذب قال الليث بن سعد كانت عينا سعيد بن السبب ترمض حتى يبلغ الرمض خارج عينيه فيقال له لو مسحت عينيك فيقول وأين قول الطبيب لا تمس عينيك فأقول لأفضل وهذه مراقبة أهل الورع ومن تركه انسل لسانه في الكذب عن حد اختياره فيكذب ولا يشعر . وعن خوات التيمي قال جاءت أخت الربيع بن خثيم عائلة لاين له فأنكبت عليه فقالت كيف أنت يا بني فجلس الربيع وقال أرضنيته قالت لا قال ما عليك لو قلت يا ابن أمي صدقت ومن العادة أن يقول يعلم الله قال لعنه الله عيسى عليه السلام : إن من أعظم الذنوب عند الله أن يقول العبد إن الله يعلم لما لا يعلم وربما يكذب في حكاية المنام والأثم فيه عظيم إذ قال عليه السلام « إن من أعظم القرية أن يدعى الرجل إلى غير أهله أو يرى في المنام ما لم ير أو يقول ما لم يقل (٢) » وقال عليه السلام « من كذب في حلم كلف يوم القيامة أن يعقدين شيعتين وليس باقدين بها أبداً (٣) » .

(الآفة الخامسة عشرة التبية)

والنظر فيها طويل فلنذكر أولاً مذمة التبية وما ورد فيها من شواهد الشرع وقد نص الله سبحانه على ذمها في كتابه وشبه صاحبها بأكل لحم الميتة فقال تعالى - لا يفتب بعضكم بعضاً يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه - وقال عليه السلام « كل السلم على السلم حرام دمه وماله وعرضه (٤) » والتبعية تتناول العرض وقد جمع الله بينه وبين المال والسلم وقال أبو هريرة قال عليه السلام « لا تحادوا ولا تباغضوا ولا تناجشوا ولا تداربوا ولا يفتب بعضكم بعضاً وكونوا عباد الله إخواناً (٥) » وعن جابر وأبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أيها النية فأن التبية أشد من الزنا فإن الرجل قد يزني ويتوب فيتوب الله سبحانه عليه وإن صاحب التبية لا يتوب له حتى يغفر له صاحبه (٦) »

(١) حديث مجاهد عن أسماء بنت عميس كنت صاحبة عائشة التي هيأتها وأدخلتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه قال لا تجعن جوعاً وكذباً ابن أبي الدنيا في الصمت والطبراني في الكبير وله نحوه من رواية شهر بن حوشب عن أسماء بنت زيد وهو الصواب فإن أسماء بنت عميس كانت إذ ذاك بالحبشة لكن في طبقات الأصمانيين لأبي الشيخ من رواية عطاء بن أبي رباح عن أسماء بنت عميس زفناً إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعض نساء الحديث فإذا كانت غير عائشة ممن تزوجها بعد خير فلا مانع من ذلك (٢) حديث ابن من أعظم القرى أن يدعى الرجل إلى غير أهله أو يرى عينيه في المنام ما لم ير أو يقول ما لم ير عينيه ما لم ير (٣) حديث من كذب في حلم كلف يوم القيامة أن يعقدين شيعتين شيعرة البخاري من حديث ابن عباس .

(الآفة الخامسة عشرة التبية)

(٤) حديث كل السلم على السلم حرام دمه وماله وعرضه مسلم من حديث أبي هريرة (٥) حديث أبي هريرة لا تحادوا ولا تباغضوا ولا يفتب بعضكم بعضاً وكونوا عباد الله إخواناً متفق عليه من حديث أبي هريرة وأنس دون قوله ولا يفتب بعضكم بعضاً وقد تقدم في آداب الصحبة (٦) حديث جابر وأبي سعيد إياكم التبية فإن التبية أشد من الزنا الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت وابن حبان في الضعفاء وابن مردويه في التفسير .

تخرب إلى الله تعالى بأدب فضل منحه محبة القلوب . قال ابن المبارك نحن إلى قليل من الأدب أوجع منا إلى كثير من العلم وقال أيضاً الأدب للعارف بمنزلة التوبة للمتألف وقال النوري من لم يتأدب للوقت فوقته مفت وقال ذو النون إذا خرج المرید عن حد استعمال الأدب فإنه يرجع من حيث جاء وقال ابن المبارك أيضاً قد أكثر الناس في الأدب ونحن نقول هو معرفة النفس وهذه إشارة منه إلى أن النفس هي منبع الجهالات وترك الأدب من غامرة الجهل فإذا عرف النفس صادق نور العرفان على ما ورد

وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مررت ليلة أسرى بي على أقوام يغمشون وجوههم بأظفارهم قتل ياجرجيل من هؤلاء » قال هؤلاء الذين يتأبون الناس ويقعون في أعراضهم ^(١) وقال سليم بن جابر « أتيت النبي عليه الصلاة والسلام قلت علي خيرا أنتفع به فقال لا تغتر من المعروف شيئا ولو أن نصب من دلوك في إناء السقي وأن تلقى أخاك يمشي حرسا وإن أدبر فلا تتأنه » وقال البراء « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع العواتق في يوتهن فقال يامشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تتأبوا للسلبي ولا تتبوا عوراتهم فانه من تابع عورة أخيه تابع الله عورتهم ومن تابع الله عورته فضحه في جوف يته ^(٢) » وقيل أوحى الله إلى موسى عليه السلام من مات تابا لمن الذية فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها فهو أول من يدخل النار. وقال أنس « أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بصوم يوم قال لا يظن أن أحد حتى آذن له فقام الناس حتى أخذوا أسوا جعل الرجل يحمي. فيقول يا رسول الله ظلمت صنعا فاذن لي لأظفر فأذن له والرجل والرجل حتى جاء رجل فقال يا رسول الله فنان من أهلك ظلمت سائتين وإنهما يستجبان أن يأتيك فاذن لهما أن يظنرا فأعرض عنه ^(٣) ثم عاوده فأعرض عنه ثم عاوده فقال إنهما لم يصوما وكيف يصوم من ظن نهاره بأكل لحم الناس اذهب فرما إن كانتا سائتين أن تستقيتا فرجع إليهما فأخبرهما فاستقاهتا فقامت كل واحدة منها علة من دم فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال والذي نفسي بيده لو بقينا في بطونهما لأكلتهما النار ^(٤) » وفي رواية « أنه لما أعرض عنه جاء بعد ذلك وقال يا رسول الله والله إنهما قد ماتا أو كادتا أن تموتا فقال صلى الله عليه وسلم التوتى بهما فجاءتا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقع فقال لإحدهما قئى فقامت من قيح ودم وصديد حتى ملأت القمع وقال للأخرى قئى فقامت كذلك فقال إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما جلست إحدهما إلى الأخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس ^(٥) » وقال أنس « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الربا وعظم شأنه فقال إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطية من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل وأرى الربا عرض السلم ^(٦) » وقال جابر « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فأتى به قيرين يمدب صاحبا فقال إنهما يمدبان وما يمدبان في كبير أما أحدهما فكان يذاب الناس وأما الآخر فكان لا يستتره من بوله فدعا بجريدة رطبة وأجر يدتين

(١) حديث أنس مررت ليلة أسرى بي على قوم يغمشون وجوههم بأظفارهم الحديث أبو داود وصندا ومرسلا والسند أصح (٢) حديث سليم بن جابر أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت علي خيرا أنتفع به الحديث أحمد في السند وابن أبي الدنيا في الصمت واللفظ له ولم يقل فيه أحد وإذا أدبر فلا يتأبه وفي إسنادها ضعف (٣) حديث البراء يامشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تتأبوا للسلبي الحديث ابن أبي الدنيا هكذا ورواه أبو داود من حديث أبي بزة بإسناد جيد (٤) حديث أنس أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بصوم وقال لا يظن أن أحد حتى آذن له فقام الناس الحديث في ذكر اللزائين اللتين اغتابتا في صيامهما فقامت كل واحدة منهما علة من دم ابن أبي الدنيا في الصمت وابن مردويه في التفسير من رواية يزيد الرقاشي عنه وزيد ضعيف (٥) حديث اللزائين الذكوريتين وقال فيه إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما الحديث أحمد من حديث عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه رجل لم يسم ورواه أبو يعلى في مسنده فأسقط منه ذكر رجل اللهم (٦) حديث أنس خطبنا فذكر الربا وعظم شأنه الحديث وفيه وأرى الربا عرض السلم ابن أبي الدنيا بسند ضعيف .

« من عرف نفسه فقد عرف ربه » ولهذا النور لا تظهر النفس بجماله إلا وبمسما بصريح العلم وحيث يتأدبون من قام بأداب الحضرة فهو بغيرها أقوم وعليها أتمد . [الباب الثالث والثلاثون في آداب الطهارة ومقدماتها] قال الله تعالى في وصف أصحاب الصفة - فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب التطهرين - قيل في التفسير يحبون أن يتطهروا من الأحداث والنجاسات والنجاسات بالماء . قال الكشي هو غسل الأديار بالماء وقال عطاء كانوا يستنجون بالماء ولا ينامون بالليل على

فكسرهما ثم أمر بكل كسرة فترست على قبر وقال أما إنه سيهون من عذابهما ما كانتا رطبتين أو مام ييسا (١) . . . ولما رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم مائرا في الزنا قال رجل لصاحبه هذا أنقص كما يقص الكلب فرمى رسول الله عليه وسلم وهما معه بحجة فقال انهما منها فقال يا رسول الله نهش جيفة فقال ما أصابنا من أخيكما أنتن من هذه (٢) . . . وكان الصحابة رضى الله عنهم يتلاون بالبشر ولا يختابون عند التوبة وبرون ذلك أفضل الأعمال وبرون خلافة عادتنا للناقضين وقال أبو هريرة: من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب إليه لحمه في الآخرة وقيل له كله ميتا كما أكلته حيا فأيا كله فينضج ويكحل (٣) وروى مرفوعا كذلك . . . وروى أن رجلا كان قاعد بن عبد بن أبواب المسجد فرمى بها رجل كان عنتا فترك ذلك فقال لقد بقي فيمنه شيء وأقيمت الصلاة فدخلنا نصليا مع الناس خالدا في أنفسهما ما قالأ فأتيا عطاء فألأه فأمرهما أن يبدوا وضوء الصلاة وأمرهما أن يقضيا الصيام إن كانا صائمين . . . وعن مجاهد أنه قال في - ويل لكل همزة لمزة - الهمة الطمان في الناس والهمة التي يأكل لحوم الناس . . . وقال قتادة ذكر لنا أن عذاب القبر ثلاثة أمثلاث ثلث من التيقن وثلث من الرجعة وثلث من البول وقال الحسن والله للنية أسرع في دين الرجل للؤمن من الأكلة في الجسد وقال بعضهم أدر كنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكن في السكف عن أعراض الناس وقال ابن عباس إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك . . . وقال أبو هريرة يصير أحدكم التقذى في عين أخيه ولا يصير الجلبع في عين قسه . . . وكان الحسن يقول ابن آدم إنك لن تقصيب حقيقة الإيمان حتى لا تحيب الناس بسبب هو فيك وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك فإذا فعلت ذلك كان فضلك في خاصة نفسك وأحب العباد إلى الله من كان هكذا . . . وقال مالك بن دينار مررت عيسى عليه السلام ومعه الحواريون بحجة كلب فقال الحواريون : ما أنتن رجع هذا الكلب فقال عليه الصلاة والسلام : ما أهدت ياض أسنانه فأنه صلى الله عليه وسلم نهام عن غيبة الكلب ونهيم على أنه لا يذكر من شيء من خلق الله إلا أحسنه . . . ومع طي بن الحسين رضى الله عنهما رجلا ينتاب آخر فقال له إياك والنية فانها إدام كلاب الناس . . . وقال عمر رضى الله عنه عليكم بذكر الله تعالى فانه شفاء وإياكم وذكر الناس فانه داء نسال الله حسن التوفيق لطاعته .

(بيان معنى التوبة وحدودها)

اعلم أن حد النية أن تذكر أخاك بما يكرهه ولو بلغه سوءا ذكرته بنفس في بدنه أو نسيه أو في خلقه أو في ضله أو في قوله أو في دينه أو في دنياه حتى في ثوبه وداره وديانته . أما البدن فكذلك المشي والحول والقرع والقصر والطول والسواد والصفرة وجميع ما يتصور أن يوصف به بما يكرهه كيفما كان .

(١) حديث جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فأتى على تمرين يذب صاحبها فقال أما إنهما ليمضبان وما يذبان في كبير أما أحدهما فكان ينتاب الناس الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت وأبو العباس الدغولي في كتاب الآداب باسناد جيد وهو في الصحيحين من حديث ابن عباس إلا أنه ذكر فيه التهمة بدل التوبة . . . والطيالسي فيه أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس ولأحمد والطبراني من حديث أبي بكره نحوه باسناد جيد (٢) حديث قوله للرجل الذي قال لصاحبه في حق المرحوم هذا أنقص كما يقص الكلب فرمى بحجة فقال انهما منها الحديث أبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة نحوه باسناد جيد (٣) حديث أبي هريرة من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب إليه لحمه في الآخرة فيقال له كله ميتا كما أكلته حيا الحديث ابن مردويه في التفسير مرفوعا وموقوفا وفيه محمد بن إسحاق رواه بالسنعة .

الجناية . . . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأهل قباء لما نزلت هذه الآية : إن الله تعالى قد أتى عليكم في الطهور فما هو ؟ قالوا إنا نستنجي بالماء وكان قبل ذلك قال لم رسول الله إذا أتى أحدكم الحلاء فليستنجج بثلاثة أحبار . . . وهكذا كان الاستنجاء في الابتداء حتى نزلت الآية في أهل قباء . قيل لسلطان قد علمت نبيكم كل شيء حتى الحرارة فقال لسلطان أجل نهانا أن نستقبل القبلة بنائط أو بول أو نستنجي بالبحرين أو يستنجي أحدنا بأقل من ثلاثة أحبار أو نستنجي برجيع أو

وأما نسب فبأن تقول أبوه نبطي أو هندي أو فاسقي أو خبيسي أو إسكافي أو زبال أو شيء مما يكرهه كذا كان . وأما الحلق فبأن تقول هو سبي الحلق يحل منكبر مراة شديد الغضب جبان عاجز ضيف القلب متهور وما يجري مجراه . وأما في أقواله التعاطف بالدين فكذلك هو سارق أو كذاب أو شارب خمر أو خائن أو ظالم أو متهاون بالصلاة أو الزكاة أو لا يحسن الركوع أو السجود أو لا يحترز من النجاسات أو ليس باراً بوالديه أو لا يرضع الزكاة موضعتها أو لا يحسن قسمتها أو لا يحرس صومه عن الرفث والقية والتعرض لأعراض الناس . وأما فعله التعلق بالدين فكذلك إنه قليل الأدب متهاون بالناس أو لا يرى لأحد على نفسه حقاً أو يرى لنفسه الحق على الناس أو أنه كثير الكلام كثيراً لا يكل ثم يم في غير وقت النوم ويجلس في غير موضعه . وأما في ثوبه فكذلك إنه واسع السك طويل الذيل وسخ الثياب وقال قوم لاغية في الدين لأنه قد مازمه الله تعالى فذكره بالمعاصي ودمه بها يجوز بدليل ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر له امرأة وكثرة صلاحها ووصوها ولكنها تؤذي جيرانها بلسانها فقال « هي في النار » (١) وذكرته عنده امرأة أخرى بأنها بخيلة فقال « فإخيراها إذن » (٢) فهذا قاسد لأنهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم إلى تعرف الأحكام بالسؤال ولم يكن غرضهم التقيص ولا محتاج إليه في غير مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم والدليل عليه إجماع الأمة على أن من ذكر غيره بما يكرهه فهو مقتاب لأنه داخل فيها ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في حد القية وكل هذا وإن كان صادقه فيه فهو به مقتاب عاص لربه وآكل لحم أخيه بدليل ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « هل تدرون ما القية قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكرهه قيل أريت إن كان في أخى ما أقوله قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتته وإن لم يكن فيه فقد بهته » (٣) وقال معاذ بن جبل ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما أعجزه فقال صلى الله عليه وسلم « اغتبت أخاك قالوا يا رسول الله قلنا ما فيه قال إن قاتم ما ليس فيه فقد بهتموه » (٤) وعن حذيفة عن عائشة رضى الله عنها أنها ذكرت عند رسول الله ﷺ امرأة فقالت إنها قصيرة فقال صلى الله عليه وسلم « اغتبتا » (٥) وقال الحسن ذكر الغير ثلاثة القية والبهتان والإفك وكل في كتاب الله عز وجل فالقية أن تقول ما فيه والبهتان أن تقول ما ليس فيه والإفك أن تقول ما لم يكن وذكر ابن سيرين رجلاً فقال ذلك الرجل الأسود ثم قال أستغفر الله إني أراي قد اغتبتته وذكر ابن سيرين إبراهيم النخعي فوضع يده على عينه ولم يقل الأصور وقالت عائشة لا يشأين أحدكم أحداً فاني قلت لامرأة مرة وأنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إن هذه الطويلة الذيل تال إلى « القطي القطي فلفظت مضطمة لم » (٦)

(١) حديث ذكره له امرأة وكثرة صومها وصلاحها لكن تؤذي جيرانها فقال هي في النار ابن حبان والحاكم ومجمعه من حديث أبي هريرة (٢) حديث ذكر امرأة أخرى بأنها بخيلة قال فما خيرها إذن الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أبي جعفر محمد بن علي مرسل داود ورواه في أمالي ابن عمون هكذا (٣) حديث هل تدرون ما القية قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره الحديث مسلم من حديث أبي هريرة (٤) حديث معاذ ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما أعجزه الحديث الطبراني بسند ضيف (٥) حديث عائشة أنها ذكرت امرأة فقالت إنها قصيرة فقال اغتبتا رواه أحمد وأصله عند أبي داود والترمذي ومجمعه بلفظ آخر ووقع عند الصنفين عن حذيفة عن عائشة وكذا هو في الصحيحين لا ين في الدنيا والصواب عن أبي حذيفة كما عند أحمد وأبي داود والترمذي واسم أبي حذيفة سلمة بن صهيب (٦) حديث عائشة قلت لامرأة إن هذه طويلة الذيل فقال صلى الله عليه وسلم القطي فلفظت بضعة من لحم أبي الدنيا وابن مردويه في التفسير وفي إسناده امرأة لأعرسها .

عظم . حدثنا شيخنا
شياه الدين أبو النجيب
إسلا . قال أنا
أبو منصور الحريري
قال أنا أبو بكر الخطيب
قال أنا أبو عمرو الهاشمي
قال أنا أبو طي القزويني
قال أنا أبو داود قال
حدثنا عبد الله بن محمد
قال حدثنا ابن المبارك
عن ابن عجلان عن
القمامع عن أبي صالح
عن أبي هريرة رضى
الله عنه أنه قال : قال
صلى الله عليه وسلم
« إنما أنا لكم بمنزلة
الوالد أعلمكم فإذا
أتى أحدكم الغائط
فلا يستقبل القبلة
ولا يستدبرها ولا
يستطب يمينه » وكان
بأمر بثلاثة أحجار
وينهى عن الروث
والرمة . والفرض في

(بيان أن الغيبة لا تقتصر على اللسان)

اعلم أن الذكر باللسان إنما حرم لأن فيه تفهم الغير قصان أخيك وتعرفه بما يكرهه فالتعريض به كالصرح والقول فيه كالأقوال والإشارة والإيماء والغمز والهمز والكتابة والحركة وكل ما يفهم القصد فهو داخل في الغيبة وهو حرام فمن ذلك قول عائشة رضي الله عنها دخلت علينا امرأة فلما ولت أقومات يدي أنها قصيرة فقال عليه السلام « اغتبتها »^(١) ومن ذلك المأكفة كأن يمشى متعارجا أو كما يشئ فهو غيبة بل هو أشد من الغيبة لأنه أعظم في التصور والتفهم ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة حاكمت امرأة قال « ما يسنن أني حاكيت إنسانا ولي كذا وكذا »^(٢) وكذلك الغيبة بالكتابة فإن القلم أحد اللسانين وذكر المصنف شخصا معينا وتجهيز كلامه في الكتاب غيبة إلا أن يقرن به شيء من الأعداء الموحجة إلى ذكره كما سيأتى بيانه وأما قوله قال قوم كذا فليس ذلك غيبة إنما الغيبة التعرض للشخص معين إمامي وإماميت ومن الغيبة أن تقول بعض من مر بنا اليوم أو بعض من رأيته إذا كان مخاطب بفهم منه شخصا معينا لأن المخدور تفهمه دون ما به التفهم فاما إذا لم يفهم عنه جاز . كان رسول الله ﷺ إذا ذكره من إنسان شيئا قال « مال أقوام يفعلون كذا وكذا »^(٣) فكان لا يعين وتقولك بعض من قدم من السفر أو بعض من يدعى العلم إن كان معه قرية تفهم عيين الشخص فهي غيبة وأخبت أنواع الغيبة غيبة القراءة للرائين فانهم يفهمون المقصود على صيغة أهل الصلاح ليظفروا من أنفسهم التعفف عن الغيبة ويفهمون القصد ولا يدرون بمجهولهم أنهم جمعوا بين فاحشتين الغيبة والرياء وذلك مثل أن يذكر عندك إنسان فيقول الحمد لله الذي لم يبتلنا بالدخول على السلطان والتبذل في طلب الحطام أو يقول نموذ بالله من قلة الحياء نسأل الله أن يعصما منها وإنما قصده أن يفهم عيب الغير فيذكره بصفة الدعاء وكذلك قد يقدم مدح من يريد غيبته فيقول ما أحسن أحوال فلان ما كان يقصر في العبادات ولكن قد اعتراه فتور وإثني بمبادئه به كلنا وهو قلة الصبر فيذكر نفسه ومقصوده أن يذم غيره فيضمن ذلك ويمدح نفسه للتشبه بالصالحين بأن يذم نفسه فيكون مقتاتا ومراثيا ومن كذا نفسه فيجمع بين ثلاث فواحش وهو يجهل بظن أنه من الصالحين المتعففين عن الغيبة ولذلك يابى الشيطان بأهل الجهل إذا اشتغلوا بالعبادة من غير علم فانه يتبعهم ويحيط بتكايده وعملهم ويضجك عليهم ويسخر منهم ومن ذلك أن يذكر عيب إنسان فلا ينتبه له بعض الحاضرين فيقول سبحان الله ما أعجب هذا حتى يعضي إليه ويعلم ما يقول فيذكر الله تعالى ويستعمل اسم آله في تحقير خبثه وهو يمتن على الله عز وجل بذكره جهلا منه وغرورا وكذلك يقول ساذق ماجرى على صديقنا من الاستخفاف به نسأل الله أن يروح نفسه فيكون كاذبا في دعوى الاغترام وفي إظهار لدعاء له بل لو تصد الدعاء لأخفاه في خلوته عقيب صلاته ولو كان يتم به لا يتم أيضا بإظهار ما يكرهه وكذلك قول ذلك المسكين قد بلى بأفة عظيمة تاب الله عليا وعليه فهو في كل ذلك يظهر الدعاء والله مطلع على خبث ضميره وخفي قصده وهو لجهل لا يدري أنه قد تعرض لفت أعظم مما تعرض له الجهال إذا جاھروا . ومن ذلك الإصفاء إلى الغيبة على سبيل التعجب فانه إنما يظهر التعجب ليزيد نشاط القلب

(١) حديث عائشة دخلت علينا امرأة فأومأت يدي أي قصيرة فقال عليه السلام « اغتبتها » بن أبي الدنيا وابن مردويه من رواية حسان بن غفارق عنها وحسان وثقه ابن حبان وباقين تقات (٢) حديث ما يسنن أني حاكيت ولي كذا وكذا تقدم في لآفة الحادية عشرة (٣) حديث كان إذا كره من نساء شيئا قال ما مال أقوام يفعلون كذا وكذا الحديث أبو داود من حديث عائشة دون قوله وكان لا يعرفه ورحاله رجال الصحيح .

الاستنجاء شيئا إزالة الخبث وطهارة المزبل وهو أن لا يكون رجعا وهو الزوث والاستعمال مرة أخرى ولأمره وحى عظم الميتة ووزر الاستنجاء سنة فلما ثلاثة أحجار أو خمس أو سبع واستعمال الماء بعد الحجر سنة وقد قيل في الآية - يحبون أن يطهروا - ولا سئلوا عن ذلك قالوا كنا نتبع الماء الحجر والاستنجاء بالثيال سنة ومسح اليد بالتراب بعد الاستنجاء سنة وهكذا يكون في الصحراء إذا كانت أرضا طاهرة وزابا طاهرا . وكيفية الاستنجاء أن يأخذ الحجر يساره وضعه على مقدم الفرج قيل

في الغيبة ويندفع بها وكأنه يستخرج الغيبة منه بهذا الطريق فيقول عجب ما علمت أنه كذلك ما عرفته إلى الآن إلا بالخبر وكنت أحسب فيه غير هذا عافانا الله من بلائه فإن كل ذلك تصديق للمعتاب والتصدق بالغبية غيبة بل السأكت شريك الغتاب قال صلى الله عليه وسلم « المستمع أحد الثنائين ^(١) » وقد روى عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أن أحدهما قال لصاحبه إن فلان لثوم ثم إنهما طلبا أدما من رسول الله ﷺ يأكل به الخبر فقال صلى الله عليه وسلم « قد اتدتمنا ؟ فقالا مانصه قال بلى إنكأ أكلنا من لحم أحبكنا ^(٢) » فانظر كيف جمعهما وكان القائل أحدهما والآخر مستمعا وقال للرجلين اللذين قال أحدهما أقمص الرجل كما يقمص الكلب « انهما من هذه الجيفة ^(٣) » فجمع بينهما فالمستمع لا يخرج من إثم الغيبة إلا أن ينكر بلسانه أو يقبله إن خاف وإن قدر على القيام أو قطع الكلام بكلام آخر فلم يفعل لزمه وإن قال بلسانه اسكت وهو مشتبه لذلك بقلبه فذلك نفاق ولا نخرجه من الإثم مالم ينكره بقلبه ولا يكتفي في ذلك أن يشير باليد أى اسكت أو يشير بحاجبه وجيبته فإن ذلك استحقاق للمذكور بل ينبغي أن يعظم ذلك فيذب عنه صريحا وقال صلى الله عليه وسلم « من أذلَّ عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على نصره أدله الله يوم القيامة على رءوس الخلائق ^(٤) » وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ردَّ عن عرض أخيه بالغيب كان حقا على الله أن يردَّ عن عرضه يوم القيامة ^(٥) » وقال أيضا « من ذبَّ عن عرض أخيه بالغيب كان حقا على الله أن يحمته من النار ^(٦) » وقد ورد في نصرة السلم في الغيبة وفي فضل ذلك أخبار كثيرة أوردناها في كتاب آداب الصبغة وحقوق المسلمين فلا نطول إعادتها .

(بيان الأسباب الباعثة على الغيبة)

اعلم أن البواعث على الغيبة كثيرة ولكن بجمعها أحد عشر سببا ثمانية منها تطرد في حق العامة وثلاثة تخص بأهل الدين والخاصة . أما الثمانية : فالأول أن يشفي الغيظ وذلك إذا جرى سبب غضب به عليه فإنه إذا هاج غضبه يشفي بذكر مساويه فيسحق اللسان إليه بالطبع إن لم يكن ثم دين وازع وقد يمنع تشفي الغيظ عند الغضب فيحتقن الغضب في الباطن فيصير خفدا ثابتا فيكون سببا دائما لذكر المساوي فالحقد والغضب من البواعث العظيمة على الغيبة . الثاني موافقة الأقران ومجاملة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام فانهم إذا كانوا يتفكهون بذكر الأعراض فيأثموا أنسرك عليهم أو قطع المجلس استنقلوه ونفروا عنه فيسأعدهم ويرى ذلك من حسن المعاشرة ويظن أنه

(١) حديث المستمع أحد المعتابين الطرايين من حديث ابن عمر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة وعن الاستماع إلى الغيبة وهو ضعيف (٢) حديث أن أبا بكر وعمر قال أحدهما لصاحبه إن فلانا لثوم ثم طلبا أدما من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد اتدتمنا ؟ فقالا ما علم قال بلى ما أكلنا من لحم صاحبكما أبو العباس الدغولي في الآداب من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى من مراسلنا (٣) حديث الهشام من هذه اليتة قاله للرجلين اللذين قال أحدهما أقمص كما يقمص الكلب تقدم بل هذا ثلثي عشر حديثا (٤) حديث من أذلَّ عنده مؤمن وهو قادر على أن ينصره فلم ينصره أدله الله يوم القيامة على رءوس الخلائق الطبراني من حديث سهل بن حنيف وفيه ابن الجيفة (٥) حديث أبي الدرداء من رد عن عرض أخيه الغيب كان حقا على الله أن يرد عن عرضه يوم القيامة إن أبي الدنيا في الصمت وفيه شهر بن حوشب وهو عد الطبراني من وجه آخر بلفظ رد الله عن وجهه الباروم القيامة وفي رواية له كان له حجاب من النار وكلاهما ضعيف (٦) حديث من ذبَّ عن عرض أخيه بالغيب كان حقا على الله أن يحمته من النار محمد والطبراني من رواية شهر بن حوشب عن أسامة بنت زيد .

ملافة النجاسة ويعمر بالمسح وبدير الحجر في مره حتى لا ينقل النجاسة من موضع إلى موضع يفعل ذلك إلى أن ينتهي إلى مؤخر الخرج وبأخذ الثاني ويضمه على المؤخر كذلك ويمسح إلى القدمة وبأخذ الثالث ويديره حول السرة

وإن استنجز بعجر ذى ثلاث شمس جاز وأما الاستبراء إذا انقطع البول فيمد ذكره من أصله ثلاثا إلى الحشفة بالرفق ثلاثا يندفق بقية البول ثم يشتر ثلاثا ويحط في الاستبراء بالاستقاء وهو أن يتنقع ثلاثا لأن العروق ممتدة من الخلق إلى الذكر وبالتنقع تحدر

مجملة في الصلابة وقد ينضب رقاؤه فيحتاج إلى أن ينضب لعضهم إظهارا للمساهمة في السراء والضراء فيخوض معهم في ذكر العيوب والساوئ . الثالث أن يستشعر من إنسان أنه سيقدمه ويطول لسانه عليه أو يقبح حاله عند محتم أو يشهد عليه بشهادة فيأدره قبل أن يقبح هو حاله ويطعن فيه ليستطأ أثر شهادته أو يتدنى . يذكر ما فيه صادقا ليكذب عليه بعده فيروج كذبه بالصدق الأول ويستشهد ويقول مامن عاذي الصخب فأتى أخبرتكم بكذا وكذا من أحواله فكان كما قلت . الرابع أن ينسب إلى شيء فيريد أن يتبرأ منه فيذكر الذي فعله وكان من حقه أن يبريء نفسه ولا يذكر الذي فعل فلا ينسب غيره إليه أو يذكر غيره بأنه كان مشاركا له في الفعل لمجرد بذلك عذر نفسه في فعله . الخامس إرادة التصنع واللباهة وهو أن يرفع نفسه بتقصيص غيره فيقول فلان جاهل وفهمه ركيك وكلامه ضعيف وغرضه أن يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه وبرهيم أنه أعلم منه أو يحذر أن يعظم مثل تعظيمه فيقدح فيه لذلك . السادس الحسد وهو أنه ربما يحسد من يشي الناس عليه ومحبونه ويكرمونهم فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلا إليه إلا بالقدح فيه فيريد أن يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن كرامته والثاء عليه لأنه يثقل عليه أن يسمع كلام الناس وثاءم عليه وإكرامهم له وهذا هو عين الحسد وهو غير الغضب والحقد فإن ذلك يستدعي جناية من الغضب عليه والحسد قد يكون مع الصديق الحسن والرفيق الوافي . السابع اللعب والمزول والمطاية وتركبة الوقت بالضحك فيذكر عيوب غيره بما يضحك الناس على سبيل الهلابة ومنشؤه التكبر والعجب . الثامن السخرية والاستهزاء استحقارها له فإن ذلك قد يجري في الحضور ويجري أيضا في الغيبة ومنشؤه التكبر واستصغار السهتر . وأما الأسباب الثلاثة التي هي في الخاصة فهي أممهم وأدفعها لأنها شرور خباياها الشيطان في معرض الحيرات وفيها خير ولكن شاب الشيطان بها الشر . الأول أن تنبئ من الدين داعية التعجب في إنكار النكر والخطأ في الدين فيقول ما تعجب مارأيت من فلان فإنه قد يكون به صادقا ويكون تعجبه من النكر ولكن كان حقه أن تعجب ولا يذكر اسمه فيسبل الشيطان عليه ذكر اسمه في إظهار تعجبه فصار به متناوبا وأما من حيث لا يدري ومن ذلك قول الرجل تعجبت من فلان كيف يحب جاريته وهي بيعة وكيف يجلس بين يدي فلان وهو جاهل . الثاني الرحمة وهو أن يفتن بسبب ما يبئني به فيقول مسكين فلان قد غمى أمره وما يبئني به فيكون صادقا في دعوى الاغتمام وطلبه التمسك عن الحذر من ذكر اسمه فيذكره فيصير به متناوبا فيكون غمه ورحمته خيرا وكذا تعجبه ولكن لا يذكر اسمه في إظهار آذانه أو سمعه فيظفر اغتمامه والترحم والاعتماد يمكن دون ذكر اسمه فينبه الشيطان على ذكر اسمه ليضل به نواب اغتمامه وترحمه . الثالث الغضب لله تعالى فإنه قد يغضب على منكر قارفه إنسان إداراة أو سمعه فيظفر غضبه ويذكر اسمه وكان الواجب أن يظهر غضبه عليه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يظهره على غيره أو يستر اسمه ولا يذكره بالسوء فهذه الثلاثة مما يغمض دركها على العلماء فضلا عن العوام فاتهم بظنون أن التعجب والرحمة والغضب إذا كان لله تعالى كان عذرا في ذكر الاسم وهو خطأ بل الرخص في الغيبة حاجات مخصوصة لا مندوحة فيها عن ذكر الاسم كما سيأتي ذكره . روى عن عامر بن واثقه « أن رجلا مر على قوم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليهم فردوا عليه السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم إني لأبغض هذا في الله تعالى فقال أهل المجلس لبسنا ما قلت والله لتنبئنه ثم قالوا يا فلان لرجل منهم قم وأذكره وأخبره بما قال فأدركه رسولهم فأخبره فأتى الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكي له ما قال وسأله أن يدعو له فدعاه وسأله فقال قد قلت ذلك

وتتدفق ماني مجرى
السلول فان مضي
خطوات وزاد في
التجسس فلا بأس
ولكن براعي حد العلم
ولا يحمل الشيطان
عليه سبيلا بالنسوة
فيضيع الوقت ثم يمسح
الذكر ثلاث مسحات
أولا كثر إلى أن لا يرى
الرطوبة . وشبه بعضهم
الله بالضرع وقال
لا يزال تظهر منسه
الرطوبة مادام يجد
فيراى الحد في ذلك
وبراعى الوزر في ذلك
أيضا وللحجرات تسكون
على الأرض الطاهرة
أو حجر طاهر وإن
احتاج إلى أخذ الحجر
لصفره فلأخذ الحجر
باليدين والله أكبر اليسار
ويمسح على الحجر
وتصكون الحسرة

قال صلى الله عليه وسلم لم يتغص ؟ فقال أنا جاره وأنا به خابر والله ما رأيته صلى صلاة قط إلا هذه للكتوبة قل فأسأله يارسول الله هل رأي أني أخرتها عن وقتها أو أسأت الوضوء لها أو أركعت أو ألسجود فيها فسأله قل لا تقال والله ما رأيته يصوم شهرا قط إلا هذا الشهر الذي يصومه البر والفاجر قل فأسأله يارسول الله هل رأي أني أفطرت فيه أو نقصت من حقه شيئا فسأله عنه فقال والله ما رأيته يطعم سائلا ولا مسكينا قط ولا رأيته ينق شيئا من ماله في سبيل الله إلا هذه الزكاة التي يؤديها البر والفاجر قال فأسأله يارسول الله هل رأي أني قصت منها أو ما كسبت فيها طالبا الذي يسألها فسأله فقال لا قال صلى الله عليه وسلم للرجل قم فلفه خير منك (١) .

(بيان العلاج الذي به يمنع اللسان عن التبعة)

اعلم أن ساوى الأخلاق كلها إنما تعالج بمجون العلم والعمل وإنما علاج كل علة بمضادة سببها ، فلنفحص عن سببها . وعلاج كذب اللسان عن التبعة على وجهين : أحدهما على الجملة والآخر على التفصيل . أما على الجملة فهو أن يعلم تعرضه لسخط الله تعالى بغيره بهذه الأخبار التي رويها وأن يعلم أنها محبطة لحسناته يوم القيامة فأنها تنقل حسناته يوم القيامة إلى من اغتابه بدلا عما استباحه من عرضه فإن لم تكن له حسنات نقل إليه من سيئات خصمه وهو مع ذلك متعرض لمت الله عز وجل ومثبه عنده بأكل اللبنة بل العبد يدخل النار بأن ترجيح كفة سيئاته على كفة حسناته وربما تنقل إليه سيئة واحدة ممن اغتابه فيصل بها الرجحان ويدخل بها النار وإنما أقل الدرجات أن تنقص من ثواب أعماله وذلك بعد المصحة والطالبة والسؤال والجواب والحساب قال صلى الله عليه وسلم « ما النار في اليس بأسرع من التبعة في حسانات العبد » (٢) وروى أن رجلا قال للحسن : بلغني أنك تفتاني فقال ما بلغ من قدرك عندي أني أسألك في حسناتي فهما آمن العبد بما ورد من الأخبار في التبعة لم يطلق لسانه بها خوفا من ذلك وينفعه أيضا أن يتدبر في نفسه فإن وجد فيها عيا اشتغل بيب نفسه وذكر قوله صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن شغل عيه عن عيوب الناس » (٣) ومهما وجد عيا فينبغي أن يستعي من أن يترك ذم نفسه ويذم غيره بل ينبغي أن يتحقق أن يهجز غيره عن نفسه في التنزه عن ذلك العيب كهمزه وهذا إن كان ذلك عيا يتعلق بفعله واختياره وإن كان أمرا خلقيا فالذم له ذم للخالق فإن من ذم صفة فقد ذم صانعها . قال رجل لحكيم ياقبيح الوجه : قال ما كان خلق وجهي إلى فأحسنه وإذا لم يجد العبد عيا في نفسه فليشكر الله تعالى ولا يلوثن نفسه بأعظم العيوب فإن طلب الناس وأكل لحم اللبنة من أعظم العيوب بل لو أنصف لعل أن ظنه بنفسه أنه يرى من كل عيب جهل بنفسه وهو من أعظم العيوب وينفعه أن يعلم أن تألم غيره بغيره كئذله بغيره غيره له فإذا كان لا يرضى لنفسه أن يتألم فينبغي أن لا يرضى لغيره مالا يرضاه لنفسه فهذه مجالس جليلة . أما التفصيل فهو أن ينظر في السبب الباعث له على التبعة فإن علاج العلة يقطع سببها . وقد قدما الأسباب . أما الضبط فيعالجه بما سيأتي في كتاب آفات الغضب وهو أن يقول : إني إذا أمديت غضبي عليه فقل الله تعالى يغيضه على بسبب التبعة إذ نهاني عنها فاجترأت على تهيئه واستخففت

(١) حديث عامر بن واثله أن رجلا مر على قوم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليهم فردوا عليه السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم إني لأبغض هذا في الله الحديث بطوله وفيه فقال قم فلفه خير منك أحمد بإسناد صحيح (٢) حديث ما النار في اليس بأسرع من التبعة في حسنات العبد لم أجده أصلا (٣) حديث طوبى لمن شغل عيه عن عيوب الناس البزار من حديث أنس بسند ضعيف .

باليسار لابلين
يكون مستجيبا باليمن
وإذا أراد استعمال الماء
انتقل إلى موضع آخر
ويقنع الحجر ما ينتشر
البول على الحشوة وفي
ترك الاستنقاء في
الاستبراء وعيد ورد
فما رواه عبد الله بن
عباس رضي الله عنهما
قال « مر رسول الله
صلى الله عليه وسلم على
قبرين فقال لهما
ليعدان وما يمدبان في
كبر أما هذا فكان
لا يستبرئ ولا يستتره
من البول وأما هذا
فكان يمشي بالتيعة ثم
دعا يصيب رطب ففقه
التيين ثم غرس على
هذا واحدا وعلى هذا
واحدا وقال له مخفف
عنهما ما ميمسا »
والصيب الجريد وإذا

بجزره وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن لهم بابا لا يدخل منه إلا من شفى غيظه بمصيبة الله تعالى » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « من كظم غيظا وهو يقدر على أن يمضيه دعاه الله تعالى يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء » (٣) وفي بعض الكتب الترتيب على بعض النبيين : يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحكك فيمن أمحك . وأما الموافقة فبأن تعلم أن الله تعالى يغضب عليك إذا طلبت سخطه في رضا المخالفين فكيف رضى لنفسك أن توفر غيرك وتحقر مولاك فتترك رضاه لرضاهم إلا أن يكون غضبك لله تعالى وذلك لا يوجب أن تذكر للتغضب عليه بسوء بل ينبغي أن تغضب لله أيضا على رقائك إذا ذكروه بالسوء فانهم عصوا ربك بأفخس الذنوب وهي التوبة . وأما تنزيه النفس بنسبة الغير إلى الحيانة حيث يستغنى عن ذكر الغير فعاجله بأن تعرف أن التعرض لقت الخالق أشد من التعرض لقت المخالفين وأنت بالتوبة متعرض لسخط الله بقينا ولا تدري أنك تتخلص من سخط الناس أم لا فتخلص نفسك في الدنيا بالتوهم وتهلك في الآخرة وتحرق حسناتك بالحقيقة ويحصل لك ذم الله تعالى تقدا وتنتظر دفع ذم الخلق نسيئة وهذا غاية الجهل والخلل . وأما عذر كقولك إن أكلت الحرام فقلان يأكله وإن قبل مال السلطان فقلان يقبله فهذا جهل لأنك تعتذر بالاعتداء بمن لا يجوز الاعتداء به فان من خالف أمر الله تعالى لا يقنئ به كائن من كان ولودخل غيرك النار وأنت تقدر على أن لا تدخلها لم توافقه ولو وافقته لسفه عقلك فبما ذكرته غيبة وزيادة معصية أضفتها إلى ما اعتذرت عنه وسجأت مع الجمع بين الصبيحتين على جهلك وغيابك وكنت كالشاة تنظر إلى العزى تردى نفسها من قلة الجبل فهي أيضا تردى نفسها ولو كان لها لسان ناطق بالعدو وصرح بالعدو وقالت العزى كيسي منى وقد أهلكت نفسها فكذلك أنا أفضل لكنت تضحك من جهلها وحالها مثل حالها ثم لا تهج ولا تضحك من نفسك . وأما صدق الياهة وتزكية النفس بزيادة الفضل بأن تقدح في غيرك فينبغي أن تعلم أنك بما ذكرته به أبطلت فضلك عند الله وأنت من اعتقاد الناس فضلك على خطر وربما قصص اعتقادهم فيك إذا عرفوك بثلث الناس فتسكون قد بعث معاند الخالق يقينا بما عند المخالفين وما ولو حصل لك من المخالفين اعتقاد الفضل لكانوا لا يفتخرون عنك من الله شيئا . وأما التوبة لأجل الحسد فهو جمع بين عداوين لأنك حصدته على نعمة الدنيا وكنت في الدنيا معذبا بالحسد فما تمت بذلك حتى أضفت إليه عذاب الآخرة فكنت خاسرا نفسك في الدنيا فصرت أيضا خاسرا في الآخرة لتجمع بين السكاكين فقد قصدت محسودك فأصبت نفسك وأهديت إليه حسناتك فإذا أنت صديق وعدو نفسك إذ لا تضربه غيبتك وتقررت وتنغمه إذ تنقل إليه حسناتك أو تنقل إليك سيئاته ولا تنفك وقد جمعت إلى خبث الحسد جهل الحساسة وربما يكون حسدك وقد حسدك سبب انتشار فضل محسودك كما قيل :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طوبى أتاح لها لسان حدود

وأما الاستهزاء لمقصودك منه إخراج غيرك عند الناس بإخراء نفسك عند الله تعالى وعند اللائكة

(١) حدث إن لهم بابا لا يدخله إلا من شفى غيظه بمصيبة الله البزار وابن أبي الدنيا وابن عدى والبيهقي والنسائي من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٢) حدث من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف وروياه في الأربعين البدائية للسلفي (٣) حديث من كظم غيظه وهو قادر على أن ينفعه الحديث أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث معاذ بن أنس .

كان في الصحراء يعد من العيون . روى جابر رضي الله عنه « أن النبي عليه السلام كان إذا أراد البراز انطلق حتى لا يراه أحد » وروى الثوري بن شعبة رضى الله عنه قال : « كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فأتى عليه عليه وسلم في سفر فأتى النبي عليه السلام حاجته فأبعد في المذهب » وروى « أن النبي عليه السلام كان يقبض حاجته كأيمن الرجل للزول ، وكان يستتر بهائط أو تنز من الأرض أو كوم من الحجارة » ويجوز أن يستتر الرجل براجلته في الصحراء أو بذيئه إذا حفظ التوب من الراس ويستحب البول في أرض دمنة أو طير تراب

والنبيين عليهم الصلاة والسلام فلو تنكرت في حسرتك وجنايتك وخجلتك وخزيتك يوم القيامة يوم تحمل سيئات من استهزأت به ونساق إلى النار لأدهشك ذلك عن إخزاء صاحبك ولو عرفت حالك لكنت أولى أن تضحك منك فانك سخرت به عند نفر قليل وعرضت نفسك لأن يأخذ يوم القيامة يدك على ملا من الناس ويسوقك تحت سيئاته كإساق الحمار إلى النار مستهزأ بك وفرحاً بخزيتك ومسروراً بنصرة الله تعالى إياه عليك وتسلطه على الانتقام منك . وأما الرحلة له على إثمفه وحسن ولكن حدك إبليس فأصلك واستنطقك بما ينقل من حسناتك إليه ما هو أكثر من رحمتك فيكون جبراً لإثم الرحوم فيخرج عن كونه مرحوماً وتقلب أنت مستحقاً لأن تكون مرحوماً إذ حبط أجرك ونقصت من حسناتك وكذلك النضب لله تعالى لا يوجب القية وإنما الشيطان جبب إليك القية ليحبط أجر غضبك وتصر معصاة لقت الله عز وجل بالقية . وأما التعجب إذا أخرجك إلى القية فتعجب من نفسك أنت كيف أهلكك نفسك ودينك بدين غيرك أوبديناه وأنت مع ذلك لاتأمن غفوة الدنيا وهو أن تهتك الله سترك كما تهتك بالتعجب ستر أخيك فاذن علاج جميع ذلك المعرفة فقط والتحقيق بهذه الأمور التي هي من أبواب الإيمان فمن قوى إيمانه بجميع ذلك انكشف لسانه عن القية للاحالة .

(بيان تحريم القية بالقلب)

اعلم أن سوء الظن حرام مثل سوء القول فكما يحرم عليك أن تحدث غيرك بلسانك بما سوى الخير فليس لك أن تحدث نفسك وسوء الظن بأخيك ولست أعني به إلا عقد القلب وحكمه على غيره بالسوء ، فأما الخواطر وحديث النفس فهو معفو عنه بل الشك أيضاً معفو عنه ولكن النهي عنه أن يظن والظن عبارة عما تركزن إليه النفس ويعمل إليه القلب فقد قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم - وسبب تحريمه أن أسرار القلوب لا يسلها إلا علام الغيوب فليس لك أن تعتقد في غيرك سوءاً إلا إذا انكشف لك ببيان لا يقبل التأويل فعند ذلك لا يمكنك إلا أن تعتقد ما علمته وشاهدته وما لم تشاهده بينك ولم تسمعه أذنك ثم وقع في قلبك فاعلم الشيطان يلقي إليك فينبغي أن تكذبه فإنه أفق الساق وقد قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة - فلا يجوز تصديق إبليس وإن كان ثم محيلة تدل على فساد واحتمل خلافه لم يجز أن تصدق به لأن الناسق يتصور أن يصدق في خبره ولكن لا يجوز لك أن تصدق به حتى إن من استسكنه فوجد منه رائحة الحجر لا يجوز أن يحدث إذ يقال يمكن أن يكون قد غمض بالخر ومجها وما شربها أو حمل عليه قهراً فكل ذلك للاحالة دلالة محتملة فلا يجوز تصديقها بالقلب وإساءة الظن بالمسلم بها . وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن الله حرم من السلم دمه وماله وإن ظن به ظن السوء ^(١) » فلا يستباح ظن السوء إلا بما يستباح به المال وهو نفس مشاهدته وبينة عادلة فإذا لم يكن كذلك وخطر لك وسواس سوء الظن فينبغي أن تدفعه عن نفسك وتقرر عليها أن ساءت عندك مستور كما كان وأن ما رأيت منه بمحمد الخير والشر . فإن قلت في هذا يعرف عقد الظن والشكوك تخالغ والنفس تحدث . فقول : أمانة قدس سوء الظن أن يتغير القلب معه كما كان في نزعته فقروا ما وبسته فله ويعتر عن مراعاته وتفقده وإكرامه والاعتناء بسببه فهذه أمارات عقد الظن وتحقيقه وقد قال

(١) حديث إن الله حرم من السلم دمه وماله وأن يظن به ظن السوء البهقي في الشعب من حديث ابن عباس بسند ضيف وابن ماجه نحوه من حديث ابن عمر .

مهيل قال أبو موسى : وكنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد أن يول فأني دمثا في أصل جدار فقال ثم قال : إذا أراد أحدكم أن يول فليترد ليله ويبنى أن لا يستقبل القبة ولا يستدبرها ولا يستقبل الشمس والقمر ولا يكره استقبال القبة في البنيان والأولى اجتنابه للدهاب بمس الفقهاء إلى كراهية ذلك في البنيان أيضا ولا يرفع ثوبه حتى يدنو من الأرض ويتجنب مهاب الريح احترازا من الرشايش قال رجسمل لبعض الصحابة من الأعراب وقد خاضعه لأحسبك تحسن الحرادة فقال

صلى الله عليه وسلم «ثلاث في المؤمن وله منهن» خرج فخرجه من سوء الظن أن لا يحق له (١) أي لا يحق له في نفسه بمقدور لا في القلب ولا في الجوارح، أما في القلب فينتبه إلى النفرة والكراهة، وأما في الجوارح في العمل بموجبه والشيطان قد يقرر على القلب بأدنى غيلة مساءة الناس ويلقي إليه أن هذا من فطنتك وسرعة فهمك وذلك وأن المؤمن ينظر بنور الله تعالى وهو على التحقيق «نظر بنور الشيطان وظلمته» وأما إذا أخبرك به عدل لخالطك إلى تصديقه كنت معذورا لأنك لو كذبت لكنت جانيا على هذا العدل إذ ظننت به الكذب وذلك أيضا من سوء الظن فلا ينبغي أن تحسن الظن بواحد سوى الآخر نعم ينبغي أن تبحث هل بينهما عداوة ومحاربة وتحت فتطرق التهمة بسببه فقد رد الشرع شهادة الأب العدل الولد للتهمة ورد شهادة العدو (٢) فلك عند ذلك أن تتوقف وإن كان عدلا فلا تصدقه ولا تكذبه ولكن تقول في نفسك المذكور حاله كان عددي في ستر الله تعالى وكان أمره محجوبا عني وقد بقي كما كان لم ينكشف لي شيء من أمره وقد يكون الرجل ظاهرا عدلا ولا يحسد بينه وبين المذكور ولكن قد يكون من عادته التعرض للناس وذكركم سابوهم فهذا قد يظن أنه عدل وليس بدل فان القتاب فاسق وإن كان ذلك من عادته ردت شهادته إلا أن الناس لكثرة الاعتادات تساهلوا في أمر النية ولم يكثرنا بتناول أعراض الخلق ومهما خطر لك خاطر يسوء على مسلم فينبغي أن تزيد في مراقبته وتدعوله بالحير فان ذلك يفيظ الشيطان ويدفعه عنك فلا يلقى إليك الخاطر السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة ومهما عرفت حقوة مسلم بحجة فأنصحه في السر ولا تغدعنك الشيطان فيدعوك إلى اغتيابه وإذا وعظته فلا تعظه وأنت سرور بلاعك على نفسه لينظر إليك بعين العظم وتظهر إليه بين الاستعقار وترفع عليه بأبداء الوعدة ولكن تصدق بخلصه من الإثم وأنت حزين كما تحزن على نفسك إذا دخل عليك نقصان في دينك وبنيت أن يكون تركه لذلك من غير نصحك أحب إليك من تركه بالصيغة فإذا أنت فعلت ذلك كنت قد جمعت بين أجر الوعظ وأجر القم بمصيته وأجر الاعانة له على دينه، ومن تبحرنا سوء الظن بالتجسس فان القلب لا يقنع بالظن ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو أيضا منهي عنه قال الله تعالى - ولا تجسسوا - فالنية وسوء الظن والتجسس منهي عنه في آية واحدة ومعنى التجسس أن لا يترك عباد الله تحت ستر الله فيوصل إلى الاطلاع وهتك السر حتى ينكشف له ما لو كان مستورا عنه كان أسلم لقلبه ودينه وقد ذكرنا في كتاب الأمر بالمعروف حكم التجسس وحقيقته .

(بيان الأعداء الرخصة في النية)

اعلم أن الرخص في ذكر مساوي الغير هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل إليه إلا به فدفع ذلك إثم النية وهي ستة أمور : الأول التظلم فان من ذكر قاضيا بالظلم والحياة وأخذ الرشوة كان مغتابا عاصيا إن لم يكن مظلوما ، أما المظلوم من جهة القاضي فله أن يتظلم إلى السلطان وينسبه إلى الظلم إذ لا يمكنه استيفاء حقه إلا به صلى الله عليه وسلم «إن صاحب الحق مقال» (٣) وقال عليه السلام

- (١) حديث ثلاث في المؤمن وله منهن خرج الطبراني من حديث حارثة بن النعمان بسند ضعيف
- (٢) حديث رد الشرع شهادة الولد العدل وشهادة العدو الترمذي من حديث عائشة، وضمنه لا يجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا مجلود حدا ولا ذي غمر لأخيه وفيه ولا ظن في ولاء ولا قرابة ولا بدوود وابن ماجه باسناد جيد من روايه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رد شهادة الخائن والخائنة ونهى النمر على أخيه (٣) حديث لصاحب الحق مقال متفق عليه من حديث أبي هريرة .

بلى وأبيك إنى بها لحاذق قال فضفا إلى فقال أهد البشر وأعد الدرو استقبل الشيخ وأستدر الرمح وأقص إقصا الظلي وأجفل إجفالا التمام ينى استقبل أسول النبات من الشيخ وغيره وأستدبر الرمح احترازا من الرشاى والإقصاء ههنا أن يستوفى على صدور قديمه والأجفالا أن يرفع حمزه . ويقول عند الفراغ من الاستعجا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وطهر قلبي من الرياء وحسن فرجى من القواحق وبكره . أن يول الرجل إلى التفتل . روى عبيد الله ابن مفضل أن النبي عليه السلام : «نهى أن

« مطل النبي ظلم »^(١) وقال عليه السلام « لى الواجد محل عقوبته وعرضه »^(٢) . الثاني الاستئذان على تغيير المنكر ورد العاصي إلى منجى الصلاح كما روى أن عمر رضى الله عنه مر على غنآن وقيل على طاحنة رضى الله عنه فسلم عليه فلم يرد السلام فذهبت إلى أبي بكر رضى الله عنه فذكر له ذلك فجاء أبو بكر إليه ليصلح ذلك ولم يكن ذلك غيبة عندهم وكذلك لما بلغ عمر رضى الله عنه أن أبا جندل قد عاقب الحجر بالشام كتب إليه - بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب - الآية فتاب ولم ير ذلك عمر من أبائه غيبة إذ كان قصده أن يشكر عليه ذلك فينبهه نصحه ما لا ينفعه نصحه غيره وإنما إباحة هذا بالقصد الصحيح فإن لم يكن ذلك هو القصد وكان حراما . الثالث الاستفتاء كما يقول للعقظ ظلفى أبى أوزجنى أو أخى فكيف طريقى في الخلاص والأسلم التعريض بأن يقول : ما قولك في رجل ظلمه أبوه أو أخوه أو زوجته ولكن التعيين مباح بهذا التقدير لما روى عن هند بنت عتبة أنها قالت لنبى صلى الله عليه وسلم « إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطينى ما يكفينى أنا وولدى أفأخذ من غير علمه فقال : خذى ما يكفينك ووليك بالعرف »^(٣) . فقد كرت الشح والظلم لها ولولدها ولم يجزها صلى الله عليه وسلم إذ كان قصدها الاستفتاء . الرابع تحذير المسلم من الشر فإذا رأيت قبحا يتردد إلى مبتدع أو فاسق وخفت أن تمضى إليه بدعته وفسقه فلك أن تكشف له بدعته وفسقه مهما كان الباعث لك الخوف عليه من سرابة البدعة والفسق لا غيره وذلك موضع الغرور إذ قد يكون الحسد هو الباعث ولبس الشيطان ذلك باظهار الشفقة على الخلق وكذلك من اشتري مملوكا وقد عرفت المملوك بالسرقة أو بالفسق أو ببسب آخر فلك أن تذكر ذلك فإن في سكوتك ضرر للمشتري وفي ذكره ضرر للعبد وللمشتري أولى بمراعاة جانبه وكذلك الزكى إذا سئل عن الشاهد فله الطعن فيه إن علم مطلقا وكذلك المستشار في الزموج وإبداع الأمانة له أن يذكر ما يعرفه على قصد النصح للمستشير لاعلى قصد الوفاء فإن علم أنه يترك الزموج بمجرد قوله لا تصلح لك فهو الواجب وفيه السكافية وإن علم أنه لا يزوج إلا بالتصريح ببيعه فله أن يصرح به إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « آرعون عن ذكر الفاجر اهتكموه حتى يعرفه الناس اذكروه بما فيه حتى يحذره الناس »^(٤) . وكانوا يقولون ثلاثة لأغية لهم : الإمام الجائر والمبتدع والمجاهر بفسقه الخامس أن يكون الانسان معروفا بلقب يعرب عن عيبه كالأعرج والأعمش فلا ثم على من يقول روى أبو الزناد عن الأعرج وسلمان عن الأعشى وما يجرى مجراه فقد فعل الصواب ذلك لضرورة التعريف ولأن ذلك قد صار بحيث لا يكرهه صاحبه لو علمه بعد أن قد صار مشهورا به . ثم إن وجد عنه معدلا وأمكنه التعريف بعبارة أخرى فهو أولى ولذلك يقال للأعمى البصير عدولا عن اسم النقص . السادس أن يكون مجاهرا بالفسق كالخنث وصاحب الساور والمجاهر يشرب الخمر ومصادرة الناس وكان من يتظاهر به بحيث لا يستكشف من أن يذكر له ولا يكره أن يذكر به فإذا ذكرت فيه ما يتظاهر به فلا ثم عليك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث مطل النبي ظلم متفق عليه من حديثه (٢) حديث لى الواجد محل عقوبته وعرضه وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث الشريد بإسناد صحيح (٣) حديث إن هذا قالت إن أبا سفيان رجل شحيح متفق عليه من حديث عائشة (٤) حديث آرعون عن ذكر الفاجر اهتكموه حتى يعرفه الناس اذكروه بما فيه يحذره الناس الطبراني وابن جبان في الضعفاء وابن عدى من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده دون قوله حتى يعرفه الناس ورواه بهذه الزيادة ابن أبى الدنيا في الصمت .

يقول الرجل في مستحبه وقال : إن عامة الوسواس منه وقال ابن الباركة : يوسع في البول في الستم إذا جرى فيه الماء وإذا كان في البنيان يقدم رجليه اليسرى لدخول الخلاه ويقول قبل الدخول : باسم الله أعوذ بالله من الحب والحباث . حدثنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب السهروردى قال أنا أبو منصور القرى قال أنا أبو بكر الخطيب قال أنا أبو عمرو الهاشمي قال أنا أبو هلى اللؤلؤى قال أنا أبو داود قال حدثنا عمر وهو ابن مرزوق البصرى قال حدثنا شعبة عن قتادة عن النضر ابن أنس عن زيد

« من أتى جلباب الحياء عن وجهه فلا غية له ^(١) » وقال عمر رضي الله عنه ليس لأاجر حرمة وأراد به الجهر بسفقه دون اللستر إذ اللستر لابد من مراعاة حرمة . وقال الصلت بن طريف قلت للحسن الرجل الفاسق الملن فجوره ذكرى له بما فيه غيبة له قال لا ولا كرامة . وقال الحسن ثلاثة لا غيبة لهم صاحب الهوى والفاسق الملن بسفقه والامام الجائر فهو لاء الثلاثة يجمعهم أنهم يتظاهرون به وبور ، يتظاهرون به فكيف يكرهون ذلك وهم يقصدون إظهاره ، ثم لو ذكره بغير ما يتظاهرون به ، ثم قال عوف دخلت على ابن سيرين فتأملت عنده المجاج فقال إن الله حكم عدل يثبته للمجاج من غنايه كما يثبتهم من المجاج ابن ظله وإنك إذا لقيت الله تعالى أصغر ذنب أصبته أشد عليك من أعظم ذنب أصابته المجاج .

(بيان كفارة القية)

اعلم أن الواجب على التائب أن يتوب ويتأسف على ما فعله ليخرج به من حق الله سبحانه ثم يستحل اللتائب ليحل فيخرج من مظلمة وينبئ أن يستحل وهو حزين متأسف نادم على فعله إذ الرائي قد يستحل ليظهر من نفسه الورع وفي الباطن لا يكون نادمًا فيكون قد تآلف مصيبة أخرى . وقال الحسن يكفي الاستغفار دون الاستحلال وربما استدل في ذلك بما روى أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كفارة من اغتبه أن تستغفر له ^(٢) » وقال مجاهد كفارة أكلك لحم أخيك أن تنفي عليه وتدعو له بخير . وسئل عطاء بن أبي رباح عن التوبة من القية قال أن تعفى إلى صاحبك فتقول له كذبت فها قلت وظلمت وأسأت فان شئت أخذت بمحك وإن شئت عفوت وهذا هو الأصح ، وقول القائل العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال لا مضمون إذ قد وجب في العرض حد القذف وتبitt للطالبة به . بل في الحديث الصحيح ما روى أنه عليه السلام قال « من كانت لأخيه عنده مظنة في عرض أو مال فليستحلها منه من قبل أن يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم إن عاين خذمن حسنته فإن لم يكن له حسنت أخذ من سيئات صاحبه فزبدت على سيئاته ^(٣) » وقالت عائشة رضي الله عنها لامرأة قالت لأخري إنها طويلة القيل قد اغتبت يا فاستحليها فانذرا بدمن الاستحلال إن قدر عليه فان كان غائبًا أو ميتًا فينبئ أن يكثر له الاستغفار والعتاء ويكثر من الحسنات . فان قلت فالتجليل هل يجب ؟ فأقول لا لأنه تبرع والتبرع فضل وليس بواجب ولكنه مستحسن وسبيل المعتذر أن يبالغ في التائب عليه والتودد إليه وبلازم ذلك حتى يطيب قلبه فان لم يطيب قلبه كان اعتذاره وتودده حسنة محسوبة له يقابل بها سيئة القية في القيامة . وكان بعض السلف لا يحل . قال سعيد بن السبب لأجل من ظلفي وقال ابن سيرين إنى لم أحرمها عليه فأحلها له إن أحرم القية عليه وما كنت لأحل ما حرم الله أبدا . فان قلت فما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ينبئ أن يستحلها وتحليل ما حرمه الله تعالى غير ممكن . فقول المراد به العفو عن المظلة لأن ينقلب الحرام حلالا وما قاله ابن سيرين حسن في التحليل قبل القية فانه لا يجوز له أن يحلل لغيره القية . فان قلت فما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم « أيجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم كان إذا خرج من بيته قال اللهم إنى قد تصدقت بمرضى على الناس ^(٤) »

ابن أرقم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن هذه الحشوش منتصرة فإذا أتى أحدكم الحلاء فليقل أعوذ بالله من الخبث والخبائث » وأراد بالحشوش الكنف وأصل الحش جماعة النخل الكفيف كانوا يفتنون حوائجهم إليها قبل أن تتخذ الكنف في البيوت وقوله محتضرة أى يحضرها الشياطين وفي الجفوس الحاجة يعتمد على الرجل اليسرى ولا يتولع يده ولا يخط في الأرض والحائط وقت عقوده ولا يكثر النظر إلى عورته إلا الحاجة إلى ذلك ولا يشككم قد ورد أن رسول الله صلى الله

(١) حديث من أتى جلباب الحياء فلا غية له ابن عدى وأبو الشيخ في كتاب ثواب الأعمال من حديث أنس بسند ضعيف وقد تقدم (٢) حديث كفارة من اغتبه أن تستغفر له ابن أبي الدنيا في الصمد والحارث بن أبي أسامة في مسنده من حديث أنس بسند ضعيف (٣) حديث من كانت له عند أخيه مظنة من عرض أو مال فليستحلها الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث أيجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم كان إذا خرج من بيته قال اللهم إنى قد تصدقت بمرضى على الناس البزار وابن السبى في اليوم والليلة والمعلل في الضعفاء من حديث أنس بسند ضعيف وذكره

فكيف يتصدق بالعرض ومن تصدق به فهل يباح تناوله فان كان لا تقصد صدقته لما معنى الحديث عليه فنقول معناه إن لا أطلب مظلة في القيامة منه ولا أخافه ولا أفانصير إليه حالاً ولا بالتسقط المظلة عنه لأنه عفو قبل الوجوب إلا أنه وعد وله العزم على الوفاء بأن لأخصم فإن رجعت وأخصم كان القياس كسائر الحقوق أن ذلك بل صرح الفقهاء أن من أباح القذف لم يسقط حقه من حد القاذف ومظلة الآخرة مثل مظلة الدنيا ، وعلى الجملة فالعفو أفضل . قال الحسن إذا جئت الأمم بين يدي الله عز وجل يوم القيامة نوذوا ليتم من كان له أجر على الله فلا يقوم إلا العاقلون عن الناس في الدنيا وقد قال الله تعالى ياخذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهل - فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما هذا العفو فقال إن الله تعالى يأمرك أن تمحو عن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك ^(١) . وزوى عن الحسن أن رجلاً قال له إن فلاناً قد اغتابك فبعت إليه رطباً على طبق وقال قد بلغني أنك أعديت لي من حسناتك فأردت أن أكثرك عليها فاعذرتني فأني لأفدرك أن أكثرك على النجم .

(الآفة السادسة عشرة النجعة)

قال الله تعالى - هازم مشاء بنعيم - ثم قال - عتل بعد ذلك زنيهم - قال عبد الله بن المبارك الزنيهم والذين زنا الذي لا يكتفون الحديث وأشار به إلى أن كل من لم يكتم الحديث ومشي بالنجعة دل على أنه ولد زنا استبطا من قوله عز وجل - عتل بعد ذلك زنيهم - والزنيهم هو الدعوى ، وقال تعالى - ويل لكل همزة لم يقل الهمزة النجم وقال تعالى - حمالة الحطب - قيل إنها كانت حمالة للحديث وقال تعالى - غفاتها فربما عفاها من الله شيئاً - قيل كانت امرأة لوط تغيب بالضيغان وامرأة نوح تغيب أنه مجنون وقد قال صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة نمام » ^(٢) وفي حديث آخر « لا يدخل الجنة قتات » والقتات هو النمام وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أحبك إلى الله أحسنكم أخلاقاً للوطون أكنافاً الذين يأمنون ويؤثرون وإن أبغضكم إلى الله للشاؤون بالنجعة للفرقون بين الإخوان المتلتمسون للبراة الثقات » ^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى قال للشاؤون بالنجعة المفسدون بين الأجنة الباغون للبراء العيب » ^(٤) وقال أبو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أشاع على مسلم كفة ليشينه بها بغير حق شانه الله بها في النار يوم القيامة » ^(٥) وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيسا رجل أشاع على رجل كفة وهو منها برى ليشينه بها في الدنيا كان حقاً على الله أن يذيه بها يوم القيامة في النار » ^(٦) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ابن عبد البر من حديث ثابت مرسل عند ذكر أي ضمضم في الصحابة قلت وإسماهم ورجل عن كان قبلنا كاعند الزائر والقبلي (١) حديث نزول - خذ العفو - الآية فقال يا جبريل ما هذا فقال إن الله يأمرك أن تمحو عن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك تقدم في رياضة النفس .

(الآفة السادسة عشرة النجعة)

(٢) حديث لا يدخل الجنة نمام وفي حديث آخر قتات متفق عليه من حديث حذيفة وقد تقدم (٣) حديث أبي هريرة وأحبكم إلى الله أحسنكم أخلاقاً للوطون أكنافاً الطبراني في الأوسط الصغير وتقدم في آداب الصعبة (٤) حديث ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى قال للشاؤون بالنجعة الحديث أحمد بن حنبل في أبي مالك الأشعري وقد تقدم (٥) حديث أبي ذر من أشاع على مسلم كفة ليشينه بها بغير حق شانه الله بها في النار يوم القيامة ابن أبي الدنيا في الصمت والطبراني في معارج الأئمة وفيه عبد الله بن ميمون فان يكن القادح فهو متروك الحديث (٦) حديث أبي الدرداء « أيسا رجل أشاع على رجل كفة وهو منها برى ليشينه بها في الدنيا كان حقاً على الله أن يذيه بها يوم القيامة في النار ابن أبي الدنيا موقوف على أبي الدرداء

عليه وسلم قال « لا يخرج الرجلان يضربان الغائط كاشفين عورتيهما يتحدنان فان الله تعالى يمقت على ذلك » ويقول عند خروجه غفرانك الحمد لله الذي أذهب عني ما يؤذي وأبقى علي ما ينفعني ولا يتصعب معه شيئاً عليه اسم الله من ذهب وخاتم وغيره ولا يدخل حاسر الرأس روث عائشة رضي الله عنها عن أبيها أي بكر رضي الله عنه أنه قال: استحيوا من الله فاني لأدخل الكنيف فأزني ظهري وأعطى رأس استحياء من ربي عز وجل .

[الباب الرابع والثلاثون في آداب الوضوء وأسراره]

إذا أراد الوضوء

« من شهد على مسلم بشهادة ليس لها بأهل فليتبوأ مقعده من النار » (١) وقيل: إن ثلث عذاب القبر من النجعة . وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله لما خلق الجنة قال لها لتكلمي فقالت سعد من دخلني قال الجبار جل جلاله وعزى وجلالى لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس : لا يسكن مدمن خمر ولا مصرب على الزنا ولا قتات وهو الخمام ولا ديوث ولا شرطي ولا غنث ولا قطع رحم ولا لاذي يقول على عهد الله إن لم أفلد كذا وكذا ثم لم يغب به » (٢) « وروى كعب الأحبار أن بنى إسرائيل أصابهم فحط فاستنق موسى عليه السلام مرات لما سقوا فأوحى الله تعالى إليه : إنى لا أستجيب لك ولن معك وفيك نعام قد أصر على النجعة فقال موسى يارب من هو دلى عليه حتى أخرجه من بيننا يا موسى أنماكم عن النجعة وأكون نعاما فتأبوا جميعا فسقوا . ويقال اتبع رجل حكما سبعانة فرسخ في سبع كسات فلما قدم عليه قال : إنى جئت لك لذى آتاك الله تعالى من العلم أخبرنى عن السماء وما أنقل منها وعن الأرض وما أوسع منها وعن الصخر وما أقسى منه وعن النار وما أحر منها وعن الزمهرير وما أبرد منه وعن البحر وما أغنى منه وعن اليبى وما أدل منه فقال له الحكيم : البهتان على البرى . أنقل من السموات والحق أوسع من الأرض والقلب القانع أغنى من البحر والحرس والحسد أحر من النار والحاجة إلى القرب إذا لم تنبج أبرد من الزمهرير وقلب السكافر أقسى من الحجر والخمام إذا بان أمره أدل من اليبى .

(بيان حد النجعة وما يجب في ردها)

اعلم أن اسم النجعة إنما يطلق في الأكثر على من ين قول الغير إلى القول فيه كما تقول فلان كان يشكك فيك بكذا وكذا وليست النجعة مختصة به بل حدها كشف ما يكره كنهه سواء أكرهه النقول عنه أو المتقول إليه أو كرهه ثلث وسواء كان الكشف بالقول أو بالكتابة أو بالرمز أو بالاعاء وسواء كان النقول من الأعمال أو من الأتوال وسواء كان ذلك عيا وتقصا في المتقول عنه أو لم يكن بل حقيقة النجعة إفشاء السر وهتك السر عما يكره كنهه بل كل مارة الإنسان من أحوال الناس ما يكره فينبغي أن يسكت عنه إلا ما في حكايته فائدة لمسلم أو دفع لمعصية كما إذا رأى من يتناول مال غيره فله أن يشهد به مراعاة لحق الشهود له فأما إذا رأى غنى مالا لنفسه فذكره فهو نجعة وإفشاء للسر فإن كان ما ينم به هضا وعيبا في المحكى عنه كان قد جمع بين القية والنجعة فالباعث على النجعة إما إرادة السوء للمحكى عنه أو إظهار الحب للمحكى له أو التفرج بالحديث والخوض في الفضول والدامل وكل من حمل إليه النجعة وقيل له إن فلانا قال فيك كذا أو فعل في حاك كذا أو هو يدبر في إفساد أمرك أو في إلقاء أفعوك أو تقيح حالك أو ما يجرى مجراه فله ستة أمور : الأول أن لا يصدق له لأن الجاهم فاسق وهو مردود الشهادة قال الله تعالى : يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيدوا قوما بعملهم قال الله تعالى : إنهم آمن ذلك وينصح له وينصح عليه فله قال الله تعالى : وأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . الثالث أن يفضه في الله تعالى فإنه يفيض عند الله تعالى ويجب بغض من يفضه الله تعالى . الرابع أن لا تنظر بأخيك الغائب السوء لقول الله تعالى : اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم الخامس أن لا يعملك ما يحكى لك على التجسس والبحث لتتحقق اتباعا لقوله تعالى : ولا تجسسوا . السادس أن لا ترضى لنفسك ما تهبت الخمام عنه ولا تحكى نجعته فتقول فلان قد حكى لى كذا وكذا فتكون به بما ومفتا وقد تكون

ورواه الطبراني بلفظ آخر مرفوعا من حديثه وقد تقدم (١) حديث أبي هريرة من شهد على مسلم شهادة ليس لها بأهل فليتبوأ مقعده من النار أحمد وابن أبي الدنيا وفي رواية أحمد رجل لم يسم أسقطه ابن أبي الدنيا من الإسناد (٢) حديث ابن عمر إن الله لما خلق الجنة قال لها لتكلمي

يبتدىء بالسواك .

حدثنا شيخنا

أبو النجيب قال أنا

أبو عبد الله الطائي

قال أنا الحافظ القراء

قال أنا عبد الواحد بن

أحمد اللبكي قال أنا

أبو منصور محمد بن

أحمد قال أنا أبو جعفر

محمد بن أحمد بن عبد

الجبار قال ثنا حيد بن

زنجويه قال ثنا يعلى

ابن عبيد قال ثنا محمد

بن إسحق عن محمد بن

إبراهيم عن أبي سلمة

ابن عبد الرحمن عن

زيد بن خالد الجهني

قال : قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم « لولا

أن أشق على أمي

لأخبرت العشاء إلى ثلث

الليل وأمرتهم بالسواك

عند كل مكتوبة »

قد أنبت ماعنه نهيت . وقد روى عن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أنه دخل عليه رجل فذكر له عن رجل شيئا فقال له عمر إن شئت نظرنا في أمرك فإن كنت كاذبا فأنت من أهل هذه الآية - إن جاءكم فاسق بذي فتيوا - وإن كنت صادقا فأنت من أهل هذه الآية - هازم شاء بنهم - وإن شئت عفونا عنك فقال العفو يأمر المؤمنين لأعود إليه أبدا . وذكر أن حكيمان الحكاء زاراه بعض إخوانه فأخبره بخبر عن بعض أصدقائه فقال له الحكيم قدأ بطأت في الزبارة وأنبت بثلاث جنابات بغضت أخى إلى وشغلت قلبى الفارغ واتهمت نفسك الأمانة . وروى أن سليمان بن عبد الملك كان جالسا وعند الهزرى فجاءه رجل فقال له سليمان بلغنى أنك وقمت في وقت كذا وكذا فقال الرجل ما مملت ولا قلت فقال سليمان إن الذى أخبرنى صادق فقال له الهزرى لا يكون النمام صادقا فقال سليمان صدقت ثم قال للرجل اذهب بسلام وقال الحسن من نمت إليك نمت عليك وهذا إشارة إلى أن النمام ينفى أن يغضب ولا يوفق بقوله ولا يصدقته وكيف لا يغضب وهو لا يفتك عن الكذب والفتية والصدور والحيانة والغل والحسد والتفاوق ولا يصادق بين الناس والمحبة وهو ممن يسعون في قطع ما أمر الله به أن يوصل ويغشون فى الأرض وقال تعالى - إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويغشون فى الأرض يغير الحق - والنمام منهم . وقال صلى الله عليه وسلم « إن من شرار الناس من اتقاء الناس لشره ^(١) » والنمام منهم وقال « لا يدخل الجنة قاطع » قيل وما القاطع ؟ قال قاطع بين الناس ^(٢) وهو النمام وقيل قاطع الرحم وروى عن عيسى بن عبد الله عن أن رجلا سعى إليه رجل فقال له يا هذا نحن نسأل عما قلت فإن كنت صادقا فمتناك وإن كنت كاذبا عاقبتك وإن شئت أن تعليك أفنك قال أفنى يأمر المؤمنين . وقبل لعمد بن كعب القرظى أئى خصال المؤمن أوضع له ؟ فقال كثرة الكلام وإفشاء السر وقبول قول كل أحد وقال رجل لعبد الله بن غاصم وكان أميراً بلغنى أن فلانا أعلم الأمير أئى ذكرته بسوء قال قد كان ذلك قال فأخبرنى عما قال لك حتى أظهر كذبه عنده قال ما أحب أن أشتم نفسى بلسانى وحسبى أئى لم أصدق فى ما قال ولا أقطع عنك الوصال وذكر السعاية عند بعض الصالحين فقال ما ظنكم بقوم يعمد الصديق من كل طائفة من الناس إلا أنهم وقال مصعب بن الزبير نحن نرى أن قبول السعاية شر من السعاية لأن السعاية دالة والقبول إجازة وليس من دل على شئ فأخبر به كنى قبله وأجازه فاتفقوا الساعى فلو كان صادقا فى قوله لكان ثبنا فى صدقه حيث لم يحفظ الحرمه ولم يستر العور وهى النجعة لأنهم إذا كانت إلى من يخاف جانبه سميت سعاية وقد قال صلى الله عليه وسلم « الساعى الناس إلى الناس لغير رشده ^(٣) »

فالت سعد من دخلنى قال الجبار وعزى وجلالى لا يسكن فىك ثمانية فذكر منها ولا تقات وهو النمام له جده هكذا بنعمه ولا أحد لا يدخل الجنة عاق لوالده ولا ديوث ولا نساء من حديث عبد الله بن عمرو لا يدخل الجنة ننان ولا عاق ولا مدمن محر ولا شيعين من حديث حذيفة لا يدخل الجنة قتات ولهم من حديث جبير بن مطعم لا يدخل الجنة قاطع وذكر صاحب الفردوس من حديث ابن عباس لما خلق الله الجنة قال لها تسلمين تترين قترينت فقالت طوبى لمن دخلنى ورضى عنه إلهى فقال الله عز وجل لا تسلك عنت ولا نائمة (١) حديث إن من شر الناس من اتقاء الناس لشره متفق عليه من حديث جبير بن مطعم (٢) حديث الساعى الناس إلى الناس لغير رشده ألقا من حديث أبى موسى من سعى بالناس فهو لغير رشده وأوفيه من منها وقال له أسانيد هذا أمثها قلت فيه سهل بن عطية قال فيه ابن طاهر فى التذكرة منكر الرواية قال والحديث لأصله وقد ذكر ابن جبان فى الثقات سهل بن عطية ورواه الطبرانى لفظ لا يسعى على الناس إلا وله بنى وإلا من فيه عرق منه وزاد بين سهل وبين بلال بن أبى بردة أبا لبيد القرشى

وروت عائشة رضى الله تعالى عنها أن ربه - ولله صلى الله عليه وسلم قال « السواك مطهرة للقم مرضاة للرب » وعن حذيفة قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك » والشوص : الدلك ويستحب السواك عند كل صلاة وعند كل وضوء وكلما تغير القم من أزم وغيره وأصل الأزم إمساك الأسنان بعضها على بعض وقيل للسكوت أزم لأن الأسنان تطبق وبذلك يتغير القم ويكره للصائم بعد الزوال ويستحب له قبل الزوال وأكث استجابه مع غسل الجمعة وعند القيام من الليل ويندى

يعنى ليس بولد حلال ، ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فاستأذنه في السلام وقال إني مكلمك بأمر للؤمنين بكلام فاحتمله وإن كرهته فإن وراءه مأجبة إن قبلته فقال قل فقال بأمر للؤمنين إنه قد أكتفك رجال ابتاعوا دينك بدينهم ورضاك بسخطهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك فلا تأمنهم على ما أمتك الله عليه ولا تصح إليهم فيما استحفظك الله إياه فانهم لن يألوا في الأمة خسفا وفي الأمانة تضديما والأعراض قطعاً وانهاكا على قريبهم البغي والنجية وأجل وسائلهم النجوة والوقية وأنت مشول عما أجرموا وليسوا للشوليين عما أجمرت فلا صلح دنياهم فساد آخرتك فان أعظم الناس غبنا من باع آخرته بدنيا غيره ، وسعى رجل يزيد الأعمى إلى سليمان بن عبد الملك بجمع بينهما للمواقفة فأقبل زياد على الرجل وقال :

فأنت امرؤ إما أمتك خاليا غفت وإما قلت قولاً بلا علم
فأنت من الأمر الذي كان بيننا بمنزلة بين الحيانة والام

وقال رجل لعمر بن عبدان الأسواري ما زال يذكر في قصصه بشر فقال له عمرو بإهدام عريت حق بحالة الرجل حيث قلت إلينا حديثه ولأدبت حتى حين أغلقتي عن أخى ما أكره ولكن أعلمه أن لوت يمتنا والقبر يضمننا والقيامة تجمعنا والله تعالى يحكم بيننا وهو خير الحاكمين ورفع بعض السعاة إلى صاحب بن عباد رقعة فيه فيها على مال يتيم يعمل على أخذه لكثرة وقوعه على ظهرها السعاية قبيحة وإن كانت صحيحة فإن كنت أجريتها جري الصبح فغفرك الله فيها أفضل من الربيع ومعاذ الله أن قبل ميتوكا في مستور ولولا أنك في خذارة شيتك لكانك بما يقتضيه فلك في مثلك فوق ياملون العيب فإن الله أعلم باليب ، البت رحمه الله واليقم جبهه الله والسال ثمره الله والساعي لئنه الله . وقال لقمان لابنه يا بني أوصيك بخلاف إن تمسكت بهن لم تزل سيذا أبسط خلقك القريب والبعيد وأمسك جهلك عن الكريم والأثيم واحفظ إخوانك وصل أقرابك وآمنهم من قبول قول ساع أو صماح باع يريد فسادك وروم خداعك وليكن إخوانك من إذا فارقتهم وفارقوك لم تعهم ولم يعيوك . وقال بهضم النجعة مبنية على الكذب والحسد والنفاق وهي أثافي الدل وقال بعضهم لو صح ما نقله النمام إليك لكان هو المحترى بالشتم عليك والنقول عنه أولى بملك لأنه لم يقابل بستمك وعلى الجملة فشر النمام عظيم ينبغي أن يتوفى قال حماد بن سلمة باع رجل عبداً وقال للمشتري ما فيه عيب إلا النجعة قال قد رزيت فاشتره فبكى الغلام أياماً ثم قال زوجه مولاه إن سيدي لا يحبني وهو يريد أن يترى عليك غزدي الوسى وأحلق من شعر قنائه عند نوم مشعرات حتى أسحره عليها فحبك ثم قال للزوج إن امرأتك اتخذت خيلاً وتريد أن تقتلك فتناوم لها حتى تعرف ذلك فتناوم لها فجاءت المرأة بالموسى فظن أنها تريد قتله فقام إليها فقتلها بأهل الراية فقتلوا الزوج ووقع القتال بين القبيلتين ، فسنأل الله حسن التوفيق .

(الآلة السابعة عشرة)

كلام ذي اللسانين الذي يتردد بين المتعادين ويحكم كل واحد منهما بكلام يواقه وقفاً يخلو عنه من يشاهد متعادين وذلك عين النفاق قال عمار بن ياسر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة » (١) وقال أبو هريرة قال رسول الله

(الآلة السابعة عشرة : كلام ذي اللسانين)

(١) حديث عمار بن ياسر : من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة ، البخاري في كتاب الأدب المفرد وأبو داود بسند حسن

السواك اليابس بالماء
ويستاك عرضاً وطولاً
فإن أقصر فمراً فاذا
فرغ من السواك بفضله
ويجلس لا يؤذيه
والأولى أن يكون
مستقبل القبلة ويبتدئ
بسم الله الرحمن الرحيم
ويقول رب أعوذ بك
من همزات الشياطين
وأعوذ بك رب أن
يحصروني ويقول عند
غسل اليد : اللهم إني
أسألك الجن والبركة
وأعوذ بك من الشؤم
والهامة ويقول عند
الضمضة : اللهم صل
على محمد وعلى آل
محمد وأغنى على تلاوة
كتابك وكثرة الذكر
لك ويقول عند
الاستنشاق : اللهم صل
على محمد وعلى آل
محمد وأرحمني راحة

صلى الله عليه وسلم «تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بعديت وهؤلاء بعديت» (١) وفي لفظ آخر «الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه» وقال أبو هريرة لا يبنى لى الوجهين أن يكون أمينا عند الله ، وقال مالك بن دينار قرأت فى التوراة بطلت الأمانة والرجل مع صاحبه يشفتين مختلفتين يهلك الله تعالى يوم القيامة كل شفتين مختلفتين وقال صلى الله عليه وسلم «أبغض خلقه الله إلى الله يوم القيامة الكذابون والمستكبرون والذين يكثرون البغضاء لآخواتهم فى صدورهم فإذا لقوهم تلقوا لهم والذين إذا دعوا إلى الله ورسوله كانوا بطاء» وإذا دعوا إلى الشيطان وأمره كانوا سراغا (٢) «وقال ابن مسعود لا يكون أحدكم إمامة قالوا وما الإمامة؟ قال الذى يجرى مع كل ريح واتفقوا على أن ملاقة الاثنين بوجهين نفاق وللنفاق علامات كثيرة وهذه من جعلها وقد روى أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مات فلم يصل عليه حذيفة فقال له عمر: يموت رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تصل عليه فقال بأمر المؤمنين إنه منهم فقال نشدك الله أنا منهم أم لا؟ قال اللهم لا وأؤمن منها أحدا بمدك . فان قلت بماذا يصير الرجل ذا لسانين وما حد ذلك؟ فأقول إذا دخل على متعادين وجامل كل واحد منهما وكان صادقا فيه لم يكن منافقا ولا ذا لسانين فان الواحد قد يصادق متعادين ولكن صداقة ضعيفة لانتهى إلى حد الآخرة إذ لو تحققت الصداقة لانتضت معاداة الأعداء كما ذكرنا فى كتاب آداب الصبوة والآخرة، ثم لو قل كلام كل واحد منهما إلى الآخر فهو ذو لسانين وهو شر من النجاسة إذ يصير نجاسا بأن ينقل من أحد الجانبين فقط فإذا قل من الجانبين فهو شر من النجاسة وإن لم ينقل كلاما ولكن حسن لكل واحد منهما ما هو عليه من الماداة مع صاحبه فهذا ذو لسانين وكذلك إذا وعد كل واحد منهما بأن ينصره وكذلك إذا أتى على كل واحد منهما فى مبادئه وكذلك إذا أتى على أحدهما وكان إذا خرج من عنده يذمه فهو ذو لسانين بل ينبغي أن يسكت أو يثنى على الحق من المتعادين ويثنى عليه فى غيبته وفى حضوره وبين يدي عده ، قيل لابن عمر رضى الله عنهما : إننا ندخل على أمرائنا فنقول القول فإذا خرجنا قلنا غيره ، فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) وهذا نفاق مهما كان مستغنيا عن الدخول على الأمير وعن الثناء عليه فلو استغنى عن الدخول ولكن إذا دخل يخاف إن لم يثن فهو نفاق لأنه الذى أحوج نفسه إلى ذلك فان كان مستغنيا عن الدخول لو قنع بالليل وترك السال والجاء فدخل لضرورة الجاء والنفى وأثنى فهو منافق وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم «حب المال والجاء ينبئان النفاق فى القلب كما ينبئ الساء البقل» (٤) لأنه يروج إلى الأمراء وإلى مراعاتهم ومراأتهم فأما إذا ابتلى به لضرورة وخاف إن يثن فهو معذور فان انتفاء الشر حاز قال أبو البراء رضى الله عنه إننا لنكسر فى وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلهم

(١) حديث أبي هريرة : تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الحديث متفق عليه بلطف محمد من شر الناس لفظ البخارى وهو عند ابن أبي الدنيا بلطف الصنف (٢) حديث أبغض خلقه الله خلقه الله إلى الله يوم القيامة الكذابون والمستكبرون والذين يكثرون البغضاء لآخواتهم فى صدورهم فإذا لقوهم تلقوا لهم الحديث لم أقف له على أصل (٣) حديث قيل لابن عمر إذا دخل على أمرائنا . فنقول القول فإذا خرجنا قلنا غيره قال كنا نعد ذلك نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الطبرانى من طرق (٤) حديث حب الجاء والسال ينبئان النفاق فى القلب كما ينبئ الساء البقل أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبي هريرة بسند ضعيف إلا أنه قال حب الثناء وقال العشب مكان البقل .

الجنة وأنت عنى راض ويقول عند الاستئثار:
اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد وأعوذ
بك من روائح النار
وسوء الدار ، ويقول
عند غسل الوجه: اللهم
صل على محمد وعلى
آل محمد ويصلى
وجهى يوم تبيض
وجوه أوليائك
ولا تسود وجهى يوم
تسود وجوه أعدائك،
وعند غسل اليدين:
اللهم صل على محمد وعلى
آل محمد وآتى كتابى
يسمى وحاسنى حسابا
يسيرا ، وعند غسل
التيال : اللهم إني أعوذ
بك أن تؤتيني كتابى
بشمال أو من وراء
ظهرى ، وعند مسح
الرأس : اللهم صل على
محمد وعلى آل محمد

وقلت عائشة رضى الله عنها « استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له فئس رجل المشيرة هو ثم لما دخل ألان له القول فلما خرج قلت يا رسول الله قلت فيه ما قلت ثم أنت له القول فقال يا عائشة إن شر الناس الذى يكرم ائفاءه شره ^(١) » ولكن هذا ورد فى الإقبال وفى الكسرى والتبسم فأما التناء فهو كذب صراح ولا يجوز إلا لضرورة أو إكرامه بإباح الكذب بمناله كما ذكرناه فى آفة الكذب بل لا يجوز التناء ولا التصديق ولا تحريك الرأس فى معرض التقرير على كل كلام باطل فإن فعل ذلك فهو منافق بل يثنى أن يشكر فإن لم يقدر فيسكت بلسانه وينكر قبله.

(الآفة الثامنة عشرة للدخ)

وهو منهى عنه فى بعض اللواضع ، أما الدخ فهو التنية والوقية وقد ذكرنا حكمها. والدخ يدخله ست آفات أربع فى السادس والثنتان فى المدح . فأما السادس : فالأولى أنه قد يفرط فيثنى به إلى الكذب قال خالد بن معدان من مدح إما أو أحدا بما ليس فيه على ردوس الأشهاد بئس الله يوم القيامة يثنى بلسانه . الثانية أنه قد يدخله الرياء فانه بالدخ مظهر للجب وقد لا يكون مضمرا له ولا معتقدا لجميع ما يقوله فيصير به مرأيا منا قضا . الثالثة أنه قد يقول ما لا يتحققه ولا دليل له إلى الاطلاع عليه ، روى « أن رجلا مدح رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عليه السلام: ويحك قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما أفلق ثم قال إن كان أحدمك لا بد مادحا أخاه فليلق لأحسب فلانا ولا أذكر على الله أحدا حسبه الله إن كان يرى أنه كذلك ^(٢) » وهذه الآفة تنطرق إلى الدخ بالأوصاف للطلقة التى تعرف بالأدلة كقوله إنه متق وورع وزاهد وخير وما يجرى مجراها فما إذا قال رأيت به صلى بالليل ويتصدق ويحج فهذه أمور مستيقنة ومن ذلك قوله إنه عدل رضا فان ذلك خفى فلا يثنى أن يحزم القول فيه إلا بعد خبرة باطنه . مع عمر رضى الله عنه رجلا يثنى على رجل فقال أسأفرت معه قال لا ، قل أخاطبته فى البابية والعاملة قال لا قال فأنت جاره صباحا ومساء قال لا ، فقال والله الذى لا إله إلا هو لأراك تعرفه . الرابعة أنه قد يفرح بالمدح وهو ظالم أو فاسق وذلك غير جائز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يفضب إذا مدح الفاسق ^(٣) » وقال الحسن من دعا ظالم بطول البقاء فقد أحب أن يعصى الله تعالى فى أرضه والظالم الفاسق يثنى أن يمدح ليقتم ولا يمدح ليفرح . وأما للمدح فيضره من وجهين : أحدهما أنه يحدث فيه كبرا وإعجابا وهما مهلكان قال الحسن رضى الله عنه : كان عمر رضى الله عنه جالسا ومعه الدرة والناس حوله إذ أتى الجارود ابن النضر فقال رجل هذا سيد ربيعة فسمعها عمر وهو حوله ومعهما الجارود فلما دنا منه خففه بالدره فقال مالى ولك يا أمير المؤمنين قال مالى ولك أما لقد سمعنا قال سمعنا أنه قال خشيته أن يخالط قلبك منها شيء فأجبت أن أظلمه منك . الثانى هو أنه إذا أثنى عليه بالخير فرح به وقتروضى عن نفسه

(١) حديث عائشة استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له فئس رجل المشيرة الحديث ، وفيه إن شر الناس الذى يكرم ائفاءه شره متفق عليه وقد تقدم فى الآفة التى قبلها.

(الآفة الثامنة عشرة للدخ)

(٢) حديث إن رجلا مدح رجلا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ويحك قطعت عنق صاحبك متفق عليه من حديث أبي بكره بوجه وهو فى الصمت لابن أبى الدنيا بلفظ الصنف (٣) حديث إن الله يعضب إذا مدح الفاسق ابن أبى الدنيا فى الصمت والبرقي فى الشعب من حديث أنس وفيه أبو خلف خادم أنس ضعيف ورواه أبو يعلى الموصلى وابن عدى بلفظ إذا مدح الفاسق غضب الرب واهتز العرش قال الذهبي فى البرز أن منسكب وقد تقدم فى آداب الكسب .

وغشى برحمتك وأزل

على من بركانك وأظلى

تحت ظل عرشك يوم

لا ظل إلا ظل عرشك

ويقول عند منحن

الأذنين : اللهم صل على

محمد وعلى آل محمد

واجعلنى من يسمع

القول فينبع أحسنه

اللهم أسمعنى منادى

الجبمع الأبرار ويقول

فى مسح العنق : اللهم

فك ربى من النار

وأعوذ بك من

السلال والأغلال

ويقول عند غسل

قدمه اليمنى : اللهم صل

على محمد وعلى آل محمد

وثبت قدسى على

الصرائط مع أقدام

للؤمنين ، ويقول عند

البسرى : اللهم صل على

محمد وعلى آل محمد

وأعوذ بك أن تزل

ومن أعجب بنفسه قلّة تشمّره وإعما ينشمر للعمل من يرى نفسه مقصرا فأما إذا انطلقت الألسن
بالتناء عليه ظن أنه قد أدرك ولهذا قال عليه السلام « قطعت عنق صاحبك لو صحبها ما أفلح » وقال
صلى الله عليه وسلم « إذا مدحت أخاك في وجهه فكأنما أمرت على حلقه موسى وميثا (١) »
وقال أيضا لمن مدح رجلا « عقرت الرجل عقرك الله (٢) » وقال مطرف ماصمت قطّ ثيابه ولا مدحة
إلا تصاغرت إلى غشى وقال زياد بن أبي مسلم ليس أحد يسمع ثناء عليه أو مدحة إلا أراه إلى الشيطان
ولكن للؤمن راجع فقال ابن المبارك لقد صدق كلامها أما ما ذكره زياد فذلك قلب العوام وأما
ما ذكره مطرف فذلك قلب الخواص وقال صلى الله عليه وسلم « لو مشى رجل إلى رجل يسكين مرهف
كان خيرا له من أن يثنى عليه في وجهه (٣) » وقال عمر رضي الله عنه للدح هو التبع وذلك
لأن اللذبو هو الذي يتر عن العمل وللح يوجب القنور أو لأن للدح يورث الحب والكبر
وهما مهلكان كالتيغ فذلك شبه به فان سلم للدح من هذه الآفات في حق السادح والمدوح لم يكن
به بأس بل ربما كان مندوبا إليه ولذلك أنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصعابة فقال
« لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالم لرجح (٤) » وقال في عمر « لو لم أثبت لبثت بأعمر (٥) »
وأى ثناء يزيد على هذا ولكنه صلى الله عليه وسلم قال عن صدق وبصرة وكانوا رضى الله عنهم
أجل رتبة من أن يورثهم ذلك كبرا ومحبا وقورا بل مدح الرجل نفسه قبيح لما فيه من الكبر
والتناخر إذ قال صلى الله عليه وسلم « أنا سيد ولد آدم ولا غر (٦) » أى لست أقول هذا فاختار
كما يقصده الناس بالتناء على أنفسهم وذلك لأن انتخاره صلى الله عليه وسلم كان بالله وبالقراب من
الله لا بولد آدم وتقدمه عليهم كأن القبول عند الملك قبولاً عظيماً إنما يتنخر قبوله إياه وبغيره
لا يتقدمه على بعض رعاياه ويتفصل هذه الآفات فتدبر على الجمع بين ذمّ للدح وبين الخث عليه قال
صلى الله عليه وسلم « وجبت (٧) » لما اتنوا على بعض اللوث وقال مجاهد إن لبي آدم جلساء من
للائسكة فاذا ذكر الرجل للسلم أخاه للسلم غير قالت للائسكة ولك مثله وإذا ذكره بسوء قالت
للائسكة يا ابن آدم اللثور عورتك أربع على نفسك واحمد الله الذي ستر عورتك فهذه آفات المدح .

(بيان ما على المدوح)

اعلم أن على المدوح أن يكون شديد الاحتراز عن آفة الكبر والسحب وآفة القنور ولا يتجوز منه
إلا بأن يعرف نفسه ويتأمل ما في خطر الحاجة ودقائق الرياء وآفات الأعمال فانه يعرف من نفسه
مالا يعرفه السادح ولو انكشف له جميع أسرارده وما يجرى على خواطره لكف السادح عن مدحه وعليه
(١) حديث إذا مدحت أخاك في وجهه فكأنما أمرت على حلقه موسى وميثا ابن المبارك في الزهد
والرقائق من رواية يحيى بن جابر مرسل (٢) حديث عقرت الرجل عقرك الله قاله لمن مدح رجلا
لم أجده أصلا (٣) حديث لو مشى رجل إلى رجل يسكين مرهف كان خيرا له من أن يثنى عليه
في وجهه لم أجده أيضا (٤) حديث لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالمين لرجح تقدم في السلم
(٥) حديث لو لم أثبت لبثت بأعمر أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة
وهو مسكر والمعروف من حديث عقبة بن عامر لو كان يمدى نبي لكان عمر بن الخطاب ورواه الترمذي
وحسنه (٦) حديث أنا سيد ولد آدم ولا غر ، الترمذي وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري
والحاكم من حديث جابر وقال صحيح الاسناد وله من حديث عباد بن الصامت : أنا سيد الناس يوم
القيامة ولا غر ، ولمسلم من حديث أبي هريرة : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة (٧) حديث وجبت ، قاله لا اتنوا
على بعض اللوث منتق عليه من حديث أنس .

قدى عن الصراط يوم
تزل في أقدام الناس
وإذا فرغ من الوضوء
يرفع رأسه إلى السماء
ويقول : أشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك
له وأشهد أن محمدا
عبد ورسوله سبحانه
الاهم وبمحمد لا إله
إلا أنت عملت سوءا
وظلت نفسى أستغفر
وأثوب إليك فأغفرلى
وتب عسى إنك أنث
الثواب الرحيم ! اللهم
صل على محمد وعلى
آل محمد واجعلنى من
التوابين واجعلنى من
المطهرين واجعلنى
صورا شكورا واجعلنى
أذكرك كثيرا وأجعلك
بكرة وأصيلا .
وفرأى الوضوء :
الثبة عند غسل
الوجه . وغسل اللحية

أن يظهر كراهة للدخ بالذل للمدح قال صلى الله عليه وسلم « احتوا التراب في وجوه للداحين » (١) وقال سفيان بن عيينة لا يضرّ للدخ من عرف نفسه وأثنى على رجل من الصالحين قال اللهم إن هؤلاء لا يعرفون وأنت تعرفني ، وقال آخر لما أثنى عليه اللهم إن عبدك هذا اقرب إلي بقنثي وأنا أشبه بك على مقتي . وقال على رضي الله عنه لما أثنى عليه اللهم اغفر لي ما لا يسلون ولا تؤاخذني بما يقولون واجلسني خيرا مما يظنون . وأثنى رجل على عمر رضي الله عنه قال أهلكتني وتهلك نفسي وأثنى رجل على علي كرم الله وجهه في وجهه وكان قد بلغه أنه يقع فيه فقال أنا دون ما قلت وفوق ما في نفسك . (الآفة التاسعة عشرة)

الفلة عن دقائق الخطأ في لحوى الكلام لاسبابها يتلق بالله وصفاته ويربط بأموال الدين فلا يندرج على تعويم اللفظ في أمور الدين إلا العلماء الفصحاء فمن قصر في علم أو فصاحة لم يخل كلامه عن الزلل لكن الله تعالى يصفو عنه لجهله ، مثاله ما قال حذيفة قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يقل أحدكم ماشاء الله وشئت ولكن ليقل ماشاء الله ثم شئت » (٢) وذلك لأن في العطف للطلق تسمية وتوسيق وهو على خلاف الاحترام وقال ابن عباس رضي الله عنهما « جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يكلمه في بعض الأمور فقال ماشاء الله وشئت فقال صلى الله عليه وسلم أجعلني لله عدلا بل ماشاء الله وحده » (٣) . وخطب رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رعدا ومن صمها فقد غوى فقالوا قل : ومن يصم الله ورسوله فقد غوى » (٤) فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله من يصمها لأنه تسوية وجمع وكان إبراهيم بكه أن يقول الرجل أعوذ بالله وبك وبجوز أن يقول أعوذ بالله ثم بك وأن يقول لولا الله ثم فلان ولا يقول لولا الله وفلان وكره بعضهم أن يقال اللهم اغفرنا من النار وكان يقول العتيق يكون بعد الورود وكانوا يستجيبون من النار ويتوحدون من النار وقال رجل اللهم اجعلني ممن تصفيه شفاعا محمد ﷺ قال حذيفة إن الله ينفى المؤمنين عن شفاعا محمد وسكون شفاعته للمؤمنين من المسلمين وقال إبراهيم إذا قال الرجل للرجل بإحار ياخزيير قيل له يوم القيامة حمرا رأيتني خلقتك ، خنزيرا رأيتني خلقتك وعن ابن عباس رضي الله عنهما : إن أحدكم يشرك حتى يشرك بكابه فيقول لولاه لسرقا الليلة ، وقال عمر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت » (٥) قال عمر رضي الله عنه فو الله ما حلفت بها منذ صمعتها ، وقال صلى الله عليه وسلم « لاسموا العنب كرمنا إنما الكرم الرجل المسلم » (٦) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يقول أحدكم عبيدي ولا أمي كلكم عبيد الله وكل نساءكم إماء الله وليقل غلامي وجاريي وقناتي وقناتي ولا يقول للملوك ربي . ولا ربي وليقل سيدي وسيدتي فكلكم عبيد الله والرب الله سبحانه وتعالى »

وحد الوجه من مبتدأ
تسطيع الوجه إلى
منتهى الدق وما ظهر
من العجبة وما استرسل
منها ومن الأذن إلى
الأذن عرضا ودخل في
الفصل البيضاء التي
بين الأذنين والحية
وموضع الصلع
وما انحسر عنه الشعر
وهما الزعنجان من الرأس
ويستحب غشاهما مع
الوجه ويوصل الماء
إلى شعر التعذيب وهو
القدر الذي يزيله النساء
من الوجه ويوصل
للساء إلى العنقفة
والشارب والحاجب
والغدار وما عدا ذلك
لا يجب ثم الحية إن
كانت خفيفة يجب
إصصال الماء إلى البشرة
وحد الخفيف أن ترى
البشرة من تحته وإن

(١) حديث احتوا في وجوه الداحين التراب مسلم من حديث القداد .

(الآفة التاسعة عشرة في الفلة عن دقائق الخطأ)

(٢) حديث حذيفة لا يقل أحدكم ماشاء الله وشئت الحديث أبو داود والنسائي في الكبرى بسند صحيح
(٣) حديث ابن عباس جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فكلمه في بعض الأمور فقال ماشاء الله وشئت فقال أجعلني لله عدلا قل ماشاء الله وحده . النسائي في الكبرى بإسناد حسن وابن ماجه (٤) حديث خطب رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رعد ومن صمها فقد غوى الحديث مسلم من حديث عدي بن حاتم (٥) حديث عمر إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم متفق عليه (٦) حديث لاسموا العنب الكرم إسماء الكرم الرجل المسلم متفق عليه من حديث أبي هريرة

وقال صلى الله عليه وسلم «لا تخولوا للفاسيق سيدنا فإنه إن يكن سيدكم قد أسخطكم ربكم^(١)» وقال صلى الله عليه وسلم «من قال أنا بريء من الإسلام فإن كان صادقا فهو كإفكال وإن كان كاذبا فلن يرجع إلى الإسلام سالما^(٢)» فهذا وأمثاله مما يدخل في الكلام ولا يمكن حصره ، ومن تأمل جميع ما أوردهنا من آفات اللسان علم أنه إذا أطلق لسانه لم يسلم وعند ذلك يعرف سرّ قوله صلى الله عليه وسلم « من صمت نجما^(٣) » لأن هذه الآفات كلها مالهك ومعايب وهي على طريق التكلم فإن سكنت سلم من الكل وإن تطلق وتكلم خاطر بنفسه إلا أن يواظبه لسانه صريح وعلم غزير وورع حافظ ومراعية لازمة وقيل من الكلام فساد يسلم عند ذلك وهو مع جميع ذلك لا ينفك عن الخطر فإن كنت لا تقدر على أن تتكلم فمن تكلم فكن ممن سكت فلم فالسلامة إحدى التينيتين .

(الآفة العشرون)

سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه عن الحروف وأنها قد عتقت من عظمهم من اشتغال بالعلم بما في القرآن إلا أن ذلك قبل على النفوس والفتول خفيف على القلب والعالي يبرح بالحوض في العلم إذ الشيطان يحيل إليه أنك من العلماء وأهل الفضل ولا يزال يجب إليه ذلك حتى يتكلم في العلم بما هو كفر وهو لا يدري وكل كبيرة يرتكبها العالي فهي أسلم له من أن يتكلم في العلم لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته وإنما شأن العوام الاشتغال بالعبادات والاعتناء بما ورد به القرآن والتسليم لما جاء به الرسل من غير بحث وسؤالهم عن غير ما يتعلق بالعبادات سوء أدب منهم يستحقون به العقاب من الله عز وجل ويترتبون لخطر الكفر وهو كسؤال ساسة الدواب عن أسرار الملوك وهو موجب للمعقبة وكل من سأل عن علم غامض ولم يبلغ فهمه تلك الدرجة فهو مذموم فإنه بالإضافة إليه عالي ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثره سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم مما تنهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم^(٤) » وقال أنس «سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فأكثروا عليه وأغضبوه فصعد المنبر وقال سلوني ولا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به فقام إليه رجل فقال يا رسول الله من أي قال أبوك حذافة فقام إليه شابان أخوان فقالا يا رسول الله من أبونا فقال أبوكا الذي تدعيان إليه ثم قام إليه رجل آخر فقال يا رسول الله أفي الجنة أنا أم في النار فقال لا بل في النار فلما رأى الناس غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسكوا فقام إليه عمر رضي الله عنه فقال رضيتمنا بالله ربنا وبالإسلام ديننا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبينا فقال اجلس يا عمر رحمك الله إنك ما علمت لموقع^(٥) » وفي الحديث «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القيل والقال وإضاعة المال وكثرة السؤال^(٦) » وقال صلى الله عليه وسلم «يوشك

(١) حديث لا تخولوا للفاسيق سيدنا الحديث أبو داود من حديث بريدة بسند صحيح (٢) حديث من قال أنا بريء من الإسلام فإن كان صادقا فهو كإفكال الحديث النسائي وابن ماجه من حديث بريدة بإسناد صحيح (٣) حديث من صمت نجما الترمذي وقد تقدم في أول آفات اللسان .

(الآفة العشرون سؤال العوام عن صفات الله تعالى)

(٤) حديث ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٥) حديث سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فأكثروا عليه وأغضبوه فصعد المنبر فقال سلوني ولا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به الحديث متفق عليه مقتصر على سؤال عبد الله ابن حذافة وقول عمر ، ولسلم من حديث أبي موسى فقام آخر فقال من أي قال أبوكا لمولى خيبة . (٦) حديث النهي عن قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال متفق عليه من حديث الثوري بن شعبة .

كانت كيفية فلا يجب
ويجتهد في تنقية مجتمع
السكحل من مذهب
العين . الواجب الثالث :

غسل اليدين إلى
الرقبتين ويجب إدخال
الرقبتين في الفضل
ويستحب غسلهما إلى
أصناف العضدين ،
وإن طالت الأظفار حتى
خرجت من ردوس
الأصابع يجب غسل
ما تحته على الأصح .

الواجب الرابع : مسح
الرأس ويكفي ما يطلق
عليه اسم المسح
واستحمام الرأس
بالمسح سنة وهو أن
يلصق رأس أصابع
اليمين باليسرى
ويضمهما على مقدم
الرأس ويمدحهما إلى القفا
ثم يردحهما إلى الوضع
الذي بدأ منه وينصف

الناس يتساءلون حتى يقولوا قد خلق الله الخلق فمن خلق الله فإذا قالوا ذلك يقولوا - قد هو الله أحد الله الصمد - حتى تخموا السورة ثم لينقل أحدكم عن يساره ثلاثا وليستد بالله من الشيطان الرجيم (١) ۞ وقال جابر: ما زلت آية للتلاعنين إلا لكثرة السؤال (٢). وفي قصة موسى والحضر عليهما السلام تنبيه على اللعن من السؤال قبل أو أن استحقاقه إذ قال - فإن ابتغى فلا نسأله عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا - فلما سأل عن السفينة أنكر عليه حتى اعتذر - قال - لا تؤاخذني بما نسبت ولا ترهقني من أمري عسرا - فلما لم يصبر حتى سأل ثلاثا قال - هذا فراق بيني وبينك - وفارقه فسؤال العوام عن غوامض الدين من أعظم الآفات وهومن الليرات لفتن فيجب قمعهم ومنهم من ذلك وخوضهم في حروف القرآن يضاهي حال من كتب الملك إليه كتابا ورسم له فيه أمورا فلم يشغل بجي منها وضع زمانه أن قرطاس الكتاب يتقن أم حديث فاستحق بذلك العقوبة لاهماله فكذلك تفسيح السام حدود القرآن واشتغاله بحرفه أمي قديمة أم حديثة وكذلك سائر صفات الله سبحانه وتعالى ، والله تعالى أعلم .

(كتاب ذم الغضب والحقد والحسد)

(وهو الكتاب الخامس من ربيع الهلكتات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي لا يشك على عفوه ورحمته إلا الراجون ، ولا يحذر جوء غضبه وسلطوته إلا الخائفون ، الذي استدرج عباده من حيث لا يلبون ، وسلط عليهم الشهوات وأمرهم بترك ما يشتهون ، وابتلاهم بالغضب وكلفهم كظم الغيظ فيما يفيضون ، ثم حفهم بالمكاره والذات وأمل لهم لينظركيف يعملون ، وامتنح بهم ليمل صدقهم فيما يدعون ، وعرفهم أنه لا يخفى عليه شيء مما يسرون وما يعلنون ، وحذرهم أن يأخذهم بفتنهم لا يشعرون ، فقال - ما ينظرون إلا الصيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون - والصلاة والسلام على محمد رسوله الذي يسير تحت لوائه النبيون ، وعلى آله وأصحابه الأئمة المهديين ، والسادة للرزيين ، صلاة يوازي عددها عددا ما كان من خلق الله وما يكون ، ويحظى بركتها الأولون والآخرون ، وسلم تسليما كثيرا .

[أما بعد] فإن الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الوقودة التي تطلع على الأئمة ، وإنها المستكة في طي القواد ، استكانت الجمر تحت الرماد ، وبستر جها الكبر الدفين في قلب كل جبار عنيد كاستخراج الحجر النار من الحديد ، وقد انكشف للناظرين بنور اليقين ، أن الإنسان ينزع منه عرق إلى الشيطان اللعين ، فمن استغزته نار الغضب فقد قويت فيه قرابة الشيطان حيث قال - خلقتني من نار وخلقته من طين - فإن شأن الطين السكون والوقار وخاف النار التلظى والاستمرار ، والحركة والاضطراب ، ومن نتاج الغضب الحقد والحسد ، وهما هلك من هلك وقد من فسد ومغيضهما مضغة إذا صلت صلت معها خائر الجسد وإذا كان الحقد والحسد والغضب ، مما يسوق العبد إلى مواطن العطب ، فما أحوج به إلى معرفة معاطيه ومساويه ليحذر ذلك ويتقيه ، ويميطه عن القلب إن كان ونيفه ، ويعالجه إن رسخ في قلبه ويدأبه ، فإن

بلل الكفين مستجيلا ومستديرا . والواجب الخامس : غسل القدمين ويجب إدخال الكعبين في القفل ويستحب غسلهما إلى أنصاف الساقين ويغنى غسل القدمين من الكعبين ويجب تخليل الأصابع للفتنة فيخلل بخنصر يده اليسرى من أطراف القدم ويبدأ بخنصر رجله اليمنى ويختم بخنصر اليسرى وإن كان في الرجل شقوق يجب إيصال الماء إلى باطنها وإن ترك فيها مجيئا أو شجما يجب إزالة عين ذلك الشيء . والواجب السادس : الترتيب على النسق للدكور في كلام الله تعالى . والواجب السابع : التتابع في القول القديم

(١) حديث يوشك الناس يتساءلون بينهم حتى يقولوا قد خلق الله الخلق الخالح الحارث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٢) حديث جابر ما زلت آية التلاعنين إلا لكثرة السؤال الدرواه البرازيل باصناد جيد

(كتاب الغضب والحقد والحسد)

من لا يعرف الشر يقع فيه . ومن عرفه فالمعرفة لا تنكفيه . ما لم يعرف الطريق الذي به يدفع الشر ويصفيه . ونحن نذكر ذم الغضب وآفات الحقد والحسد في هذا الكتاب وبمجموعهما بيان ذم الغضب ثم بيان حقيقة الغضب ثم بيان أن الغضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة أم لا ثم بيان الأسباب الملهجة للغضب ثم بيان علاج الغضب بمد هيجانه ثم بيان فضيلة كظم النيت ثم بيان فضيلة الحلم ثم بيان القدر الذي يجوز الاتصاف والتشفي به من الكلام ثم القول في معنى الحقد وشأنه وفضيلة العفو والرفق ثم القول في ذم الحسد وفي حقيقته وأسبابه ومعالجته وفاية الواجب في إزالة ثم بيان السبب في كثرة الحسد بين الأمتثال والأقران والإخوة وبني الم والأقارب وتأ كده وقتله في غيرهم وضفه ثم بيان الدواء الذي به ينفي مرض الحسد عن القلب ثم بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب وبالله التوفيق .

(بيان ذم الغضب)

قال الله تعالى - إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحية المحيية فأنزله الله سيكته على رسوله وعلى المؤمنين - الآية . ذم الكفار بما تظاهروا به من الحية الصادرة عن الغضب بالباطل ومنع المؤمنين بما أنزل الله عليهم من السيكة وروى أبو هريرة أن رجلاً قال « يا رسول الله مرني بعمل وأقلل قال لا تغضب ثم أعاد عليه فقال لا تغضب (١) » وقال ابن عمر « قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل لي قولاً وأقلله لعل أعقله فقال لا تغضب فأعدت عليه مرتين كل ذلك يرجع إلى لا تغضب (٢) » وعن عبد الله ابن عمرو « أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا يتقذى من غضب الله قال لا تغضب (٣) » وقال ابن مسعود قال النبي ﷺ « ماتدون الصرعة فيكم قلنا الذي لا تضرعه الرجال قال ليس ذلك ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب (٤) » وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم « ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب (٥) » وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم « من كف غضبه ستر الله عورته (٦) » وقال سليمان بن داود عليهما السلام : يا بني إياك وكثرة الغضب فإن كثرة الغضب تستفقد فؤاد الرجل الحليم . وعن عكرمة في قوله تعالى وسيدوا حصورا - قال السيد الذي لا يخله الغضب . وقال أبو الدرداء « قلت يا رسول الله دلي على عمل يدخلني الجنة قال لا تغضب (٧) » وقال يحيى لميسر عليهما السلام لا تغضب قال لا أستطيع أن لا أغضب إنما أنا بشر قال : لا تغضب مالا قال هذا عسى وقال صلى الله عليه وسلم « الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العمل (٨) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما غضب أحد إلا أخطى على جهنم (٩) » وقال له رجل « أي شيء أشد

(١) حديث أبي هريرة إن رجلاً قال يا رسول الله مرني بعمل وأقلل قال لا تغضب ثم أعاد عليه فقال لا تغضب رواه البخاري (٢) حديث ابن عمر قلت لرسول الله ﷺ قل لي قولاً وأقلل الحديث نحوه أبو جلى بإسناد حسن (٣) حديث عبد الله بن عمرو سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعدني من غضب الله قال لا تغضب الطبراني في معارج الأخلاق وابن عبد البر في التمهيد بإسناد حسن وهو عند أحمد وأن عبد الله بن عمرو هو السائل (٤) حديث ابن مسعود ماتدون الصرعة الحديث رواه مسلم (٥) حديث أبي هريرة وليس الشديد بالصرعة الحديث متفق عليه (٦) حديث ابن عمر من كف غضبه ستر الله عورته ابن أبي الدنيا في كتاب العفو وذم الغضب وفي الصمت وتقدم في آفات اللسان (٧) حديث أبي الدرداء دلي على عمل يدخلني الجنة قال لا تغضب ابن أبي الدنيا والطبراني في الكبير والأوسط بإسناد حسن (٨) حديث الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العمل الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده بسند صحيح (٩) حديث ما غضب أحد إلا أخطى على جهنم الزوار وابن عدي من حديث ابن عباس للثار باب لا يدخله إلا من شق غيظه بمصيبة

عند الشافعي رحمه الله تعالى وحدا التفريق الذي يقطع التابع نشف الضوم مع اعتدال الهواء .

[وسن الوضوء ثلاثة عشر]

التسمية في أول

الطهارة . وغسل

اليدين إلى الكوعين

والضمضة والاستنشاق

وبالعلقة فيها فيغفر

في الضمضة حتى يرد

الساء إلى الفاصلة

ويستمدق الاستنشاق

الساء بالنفس إلى

الحياشم ويرفق في

ذلك إن كان صائماً

وتخليل اللحية السكة

وتخليل الأصابع

الفرجة والبسادة

باليامن وإطالة الفرة

واستيعاب الرأس

بالمسح ومسح الأذنين

قال غضب الله قال فما يمدني عن غضب الله قال لا تغضب (١) . الآثار : قال الحسن : يا ابن آدم كلما غضبت وثبت ويوشك أن تثب وثبة تقع في النار وعن ذي القرنين أنه لقي ملكا من الملائكة فقال علي علما أزداد به إيمانا وثيقنا قال لا تغضب فان الشيطان أقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب فرد الله بكلمة وسكنه بالثبوت وإياك والمجلة فانك إذا جعلت أغضبك حذك وكفى سلا لنا للقريب والبعيد ولا تكن جبارا عنيدا وعن وهب بن منبه أن راهبا كان في صومعته فادار الشيطان أن يشله فلم يستطع فجاءه حتى ناداه فقال له افتح فمحيه فقال افتح فاني إن ذهبت نمت فلم يفتحه إليه فقال إني أنا المسيح قال الراهب وإن كنت المسيح فما صنعت بك أليس قد أمرت بالعبادة والاجتهاد واعدت القيامة فلو جئتنا اليوم بغيره لم تخبه منك فقال إني الشيطان وقد أردت أن أشلك فلم أستطع فجئت لتسأني عما شئت فأخبرك فقال ما أريد أن أسألك عن شيء قال فوالى مدبر فقال الراهب أسمع قال بل قال أخبرني أي أخلاق بني آدم أعون لك عليهم قال الحدة إن الرجل إذا كان حديدا فليأمنه كما يقبل السيان السكره وقال خيشمة الشيطان يقول كيف يظلمني ابن آدم وإذا رضى جئت حتى أكون في قلبه وإذا غضب طرت حتى أكون في رأسه وقال جعفر بن محمد الغضب مفتاح كل شر وقال بعض الأنصار رأس الحق الحدة وقائمه الغضب ومن رضى بالجهل استغنى عن الحلو والحلزون ومنعوا الجهل شيئا ومضرة والسكرت عن جواب الأحمق جوابه . وقال مجاهد قال إبليس ما عجزني بنو آدم فإن يعجزوني في ثلاث : إذا سكر أحدهم أخذنا غزواته قد دنا حيث شئنا وعمل لنا بما يحبنا وإذا غضب قال بما لا يعلم وعمل بما يندم ونبخله بما في يده ونمنه بما لا يقدر على قبول الحكم ما أملك فلا نالته قال إذا لافته لافته الشبهة ولا يصبره الهوى ولا يخله الغضب وقال بعضهم إياك والغضب فانه يصيرك إلى ذلة الاعتذار وقيل اتقوا الغضب فانه يفسد الإيمان كما يفسد الصبر السهل . وقال عبد الله بن مسعود انظروا إلى حلم الرجل عند غضبه وأمانته عند طمعه وما عليك بحلمه إذا لم يغضب وما عليك بأمانته إذا لم يطعم وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله أن لا تعاقب عند غضبك وإذا غضبت على رجل فاحبسه فإذا سكن غضبك فأخرجه فاقبه على قدر ذنبه ولا تجاوز به خمسة عشر سوطا وقال علي بن زيد أغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز القول فأطرق عمر زمانا طويلا ثم قال أردت أن يستغفر في الشيطان يعز السلطان فأنا لك اليوم ما ناله مني غدا وقال بعضهم لا يته باخي لا يثبت العقل عند الغضب كما لا يثبت روح الحى في التنابر السجورة فأقول الناس غضبا أعظمهم فان كان للدنيا كان دهاء ومكر وإن كان للأخرة كان حلما وعلم فقد قيل الغضب عدو العقل والغضب غول العقل وكان عمر رضى الله عنه إذا خطب قال في خطبته أفلح منكم من حفظ من الطمع والهوى والغضب وقال بعضهم من أطاع شهوته وغضب قاده إلى النار وقال الحسن من علامات المسلم قوة في دين وحزم في إيمان في يقين وعلم في حلم وكيس في رفق وإعطاء في حق وقصد في غنى وتعمل في قوة وإحسان في قوة وتحمل في رفاقة وصبر في شدة لا يخله الغضب ولا تجمع به الحية ولا تغلب شهوة ولا تضعفه بطنه ولا يستغف حرسه ولا تقتصر في نيته فينصر المظلوم ويرحم الضعيف ولا يبخل ولا يذروا ليرسف ولا يقتروا ففر إذا ظلم ويسفو عن الجاهل نفسه منه في عناء والناس منه في رخاء وقبل لعبد الله بن المبارك أجمل لنا حسن الخلق في كلمة قال ترك الغضب وقال بني من الأنبياء لمن تيمه من يتكفل في أن لا يغضب فيكون الله وإسناده ضيف وتقدم في آفات اللسان (١) حديث قال رجل أي شيء أشد على قلب غضب الله قال فما يمدني من غضب الله قال لا تغضب أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بالشطر الأخير منه وقد تقدم قبله بست أحاديث .

والثلاث ، وفي القول الجسد التتابع ويحب أن يزيد على الثلاث ولا يفيض اليد ولا يتكلم في أثناء الموضوع ولا يطمح وجهه بالماء لطمعاً وتعجباً الموضوع مستحب بشرط أن يصلى بالوضوء مائتير وإلا فمكروه .

[الباب الخامس والثلاثون في آداب أهل الخصوص والخصوصية في الوضوء]
آداب الصوفية بعد القيام بمعرفة الأحكام أديهم في الوضوء حضور القلب في غسل الأعضاء . سمعت بعض الصالحين يقول إذا حضر القلب في الوضوء يحضر في الصلاة وإذا دخل السهو فيه دخلت

سمى في درجتي ويكون ببدى خلقني فقال شاب من القوم أنا ثم أعاد عليه فقال الشاب أنا أنوفى به فسامت كان في منزله يهدم وهو ذوالكفل سمي به لأنه تكفل بالغضب ووفى به وقال وهب بن منه لكفر أربعة أركان : الغضب ، والشهوة والحرق ، والطمع .

(بيان حقيقة الغضب)

اعلم أن الله تعالى لما خلق الحيوان معرضاً للفساد والوثنان بأسباب في داخل بدنه وأسباب خارجة عنهم أنهم عليه بما يحويه عن الفساد ويدفع عنه الهلاك إلى أجل معلوم مما في كتابه . أما السبب الداخل فهو أنه ركه من الحرارة والرطوبة وجعل بين الحرارة والرطوبة عداوة ومضادة فلا تزال الحرارة تحلل الرطوبة وتجففها وتبخرها حتى تصير أجزاءها بخاراً يتصاعد منها فلولم يتصل بالرطوبة فمد من الغذاء يجبرها لتحل وتبخر من أجزائها لفسد الحيوان غلق الله الغذاء الوافق لبدن الحيوان وخلق في الحيوان شهوة تبتله على تناول الغذاء كالموكل به في خير ما انكسر وسد ما لم يكن ذلك حافظه من الهلاك بهذا السبب . وأما الأسباب الخارجة التي يتعرض لها الإنسان فكالسيف والسمان وسائر الهلكات التي يقصد بها فافتقر إلى قوة وحماية شور من باطنه قد دفع للهلكات عنه غلق الله طبيعة الغضب من النار وغرزها في الإنسان ومجئها بطبته فيها صد عن غرض من أغراضه ومقصود من مقاصده اشتملت نار الغضب واثرت ثورانها على دم القلب وينتشر في العروق ويرفع إلى أعلى البدن كما ترتفع النار وكما يرتفع الماء الذي يثلي في القدر فلذلك ينصب إلى الوجه فيجهر الوجه والعين والبشرة لصفاهاً على لون ما وراءها من حمرة الدم كما تحكى الزجاجاة لون ما فيها وإنما ينسبط الدم إذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه فإن صدر الغضب على من فوقه وكان معه بأس من الانتقام تولد منه اقتباس الدم من ظاهر الجلد إلى جوف القلب وصار حزناً ولذلك يصفر اللون وإن كان الغضب على نظير يشك فيه تردد الدم بين اقتباس وانتساق فيجهر ويصفر ويضطرب وبالجملة قوة الغضب على القلب ومنها غليان دم القلب بطلب الانتقام وإعماق هذه القوة عند ثورتها إلى دفع المؤذبات قبل وقوعها وإلى التشفى والانتقام بعد وقوعها والانتقام قوة هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن إلا به ثم إن الناس في هذه القوة على درجات ثلاث في أول الفطرة من التفریط والافراط والاعتدال . أما التفریط فنقد هذه القوة أضعفها وذلك مذموم وهو الذي يقال فيه إنه لاجم له ولذلك قال الشافعي رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار فمن قد قوت الغضب والجمية أصلاً فهو ناقص جداً وقد وصف الله سبحانه أصحاب النبي ﷺ بالشدة والجمية فقال أشداه على الكفار رحمة بينهم - وقال لبيبة على الله عليه وسلم - جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم - الآية وإنما اللفظة والثبته من آثار قوة الجمية وهو الغضب . وأما الإفراط فهو أن تغلب هذه الصفة حتى تخرج عن سياسة العقل والدين وطاعة ولا يلقى للمرء معها بصيرة ونظر وفكرة ولا اختيار بل يهرف في صورة الضرر وسبب غلبته أمور غريزية وأمور اعتيادية قرب انسان هو بالفطرة مستعد لسرعة الغضب حتى كأن صورته في الفطرة صورة غضبان وبين ذلك حرارة مزاج القلب لأن الغضب من النار (١) كما قال صلى الله عليه وسلم وإعما برودة الزواج تطفئه وتسكته صورته . وأما الأسباب الاعتيادية فهو أن يخاطب قوماً يبتغيون بقتل النيط وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية فيقول الواحد منهم أنا الذي لأصبر على الكفر والحال ولا أحتمل من أحد أمراً ومعناه لا اعتل في ولا حاتم يذكره

(١) حديث الغضب من النار الترمذي من حديث أبي سعيد بسند ضعيف الغضب جمرة في قلب ابن آدم ولأبي داود من حديث عطية السدي أن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار .

الوسوسة في الصلاة
ومن آدابهم استدامة
الوضوء والوضوء سلاح
لؤمن والجوارح إذا
كانت في حماية الوضوء
الذي هو أثر محمى بقل
طروق الشيطان عليها .
قال عدى بن حاتم
ما أقيمت صلاة منذ
أسلت إلا وأنا على
وضوء . وقال أنس
ابن مالك « قدم النبي
عليه الصلاة والسلام
الدينه وأنا يومئذ
ابن ثمان سنين فقال
لي : يا بني إن استطعت
أن لا تزال على الطهارة
فاقل فإنه من أتمه
لوت وهو على الوضوء
أعطى الشهادة فشأن
العالم أن يكون أبداً
مستعداً للموت ومن
الاستعداد لزوم الطهارة
وحكى عن المصري

في معرض الفخر بمجهله فمن جمعه رستخ في نفسه حسن الضرب وحسب التشبه بالقوم فيقوى به الضرب
ومهما اشتدت نار الضرب وقوى اضطرابها أعمت صاحبها وأصمته عن كل موعظة فأذا وعظ لم يسمع
بل زاده ذلك غضبا وإذا استغنى بنور عقده وراجع نفسه لم يقدّر إذ ينطق "نور العقل" بمنحى في الحال
بدخان الضرب فان معدن الفكر الدماغ ويتصاعد عند شدة الضرب من غليان دم القلب دخان مظلم
إلى الدماغ يستولى على معادن الفكر وربما يمتدّ إلى معادن الحسن فتظلم عنه حتى لا يرى بينه
وتسود عليه الدنيا بأسرها ويكون دماغه على مثال كهف اضطربت فيه نار فأسود وجوهه وحوى مستفزه
وامتلأ بالدخان جوانبه وكان فيه سراج ضيف فاصمى أو انطفأ نوره فلا جئت فيه قدم ولا يسمع
فيه كلام ولا يرى فيه صورة ولا يقدر على إطفائه لامن داخل ولا من خارج بل يغشى أن يصير إلى
أن يحترق جميع ما قبل الاحتراق فكذلك يغسل الضرب بالقلب والدماغ وربما تقوى نار الضرب حتى
الطوبى التي بها حياة القلب فيموت صاحبها غيظا كما تقوى النار في الكهف فينشق وتنهأ أعاليه على
أسفله وذلك لا بطلان النار ما في جوانبه من القوة للمسكة الجامعة لأجزاءه فكذلك حال القلب عند الضرب
والحقيقة فالسيف في ملتطم الأمواج عند اضطراب الرياح في لجة البحر أحسن حالا وأرجى سلامة
من النفس المضطربة غيظا إذ في السفينة من بحال لتسكنها وتديرها وينظرها ويسوسها وأما القلب
فوق صاحب السفينة وقد سقطت جلته إذا عمى الضرب وأصمته ومن آثار هذا الضرب في الظاهر تغير
اللون وشدة الرعدة في الأطراف وخروج الأضداد عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام حتى
يظهر الزبد على الأضداد ونعمر الأضداد وتنقلب النواخير وتستحيل الحلقة ولوراء الضربان في حالة
غضبه تبسح صورته لكن غضبه حياء من تبسح صورته واستحالة خلقته وتبسح باطنه أعظم من تبسح
ظاهره فان الظاهر عنوان الباطن وإنما تبسح صورة الباطن أولا ثم ينتشر تبسحا إلى الظاهر ثانيا فتغير
الظاهر ثمرة تغير الباطن قص الثمرة بالثمره فهذا أثره في الجسد. وأما أثره في اللسان فانطلاقة الشتم
والفحش من السلام الذي يستحي منه ذوالعقل ويستحي منه قاله عند تصور الضرب وذلك مع
تخطيط النظم واضطراب اللفظ وأما أثره على الأعضاء فالضرب والهجم والتزريق والقتل والجرح عند
التحسّن من غير مبالاة فان هرب منه المضروب عليه أوفاته بسبب وهجر عن التشقّ رجع الضرب
على صاحبه ففرق ثوب نفسه ويلطم نفسه وقد يضرب بيده على الأرض ويدعو الواله السكران
والدهوش المتعجر وربما يسقط سريعا لا يطيق العدو والنهوض بسبب شدة الضرب ويتره مثل
الشية وربما يضرب الجذات والحجوانات فيضرب القصعة مثلا على الأرض وقد يكسر السائمة إذا
غضب عليها ويتماطى أهل الجبابرة فيشتم البهجة والجذات ويخاطبها ويقول إلى متى منك هذا
يا كيت وكيت كأنه يخاطب عاقلا حتى ربما رفته دابة فيرفض الدابة ويقابلها بذلك. وأما أثره في
القلب مع المضروب عليه فالخمد والحمد وإضمار السود والشبهة بالنسآت والحزن بالسرور والزم
على إفشاء السرور هتك السر والاشتهاء وغير ذلك من التبايع فهذه ثمرة الضرب للفرط وأيما
ثمرت الحجة الضعيفة قلة الألفة مما يؤثف منه من التعرض للحرم والزوجة والأمة واحتمال الذل من
الأخساء وصغر النفس والقماء وهو أيضا مذموم إذ من ثمراته عدم القيرة على الحرم وهو خوفة
قال صلى الله عليه وسلم «إن سعدا لقيور وأنا أغبر من سعد وإن الله أغبر مني» (١) «وإنما خلقت
القيرة لحفظ الأنساب ولو تسامح الناس بذلك لاختلطت الأنساب ولذلك قيل كل أمم وضعت القيرة

أنه قال مهما أتيته من
الليل لا يحملني النوم
إلا بسد ما أقوم
وأجدد الوضوء ثلاثا
يسود إلى النوم
وأنا على غير طهارة
وصحت من صعب
التبشيع على بن الهيثم
أنه كان يبعد الليل
جميعه فان غلبه النوم
يكون قاعا كذلك
وكما اتبته يقول
لا تكون أسأت الأدب
فيقوم وبجد الوضوء
ويصل ركعتين
وروى أبو هريرة أن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لبلال
عند صلاة الفجر «يا بلال
حدثنى بأرجى عمل
عملته في الإسلام فأنى
سمعت دفن نعليك بين
يدي في الجنة» قال ما
عملت عملا في الإسلام

(١) حديث إن سعدا لقيور الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وهو متفق عليه من حديث القيرة
نحوه وتقدم في التسكاح

في رجلها وضمت الصيانة في نسائها ومن ضنفت الغضب الجور والكوت عند مشاهد اللسكرات وقد قال صلى الله عليه وسلم « خير أمتي أحداؤها »^(١) يعني في الدين وقال تعالى - ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله - بل من قد ضنفت الغضب هجر عن رياضة نفسه إذ لا تتم الرياضة إلا بتسلط الغضب على الشهوة حتى يضرب على نفسه عند الليل إلى الشهوات الخسيسة تفقد الغضب مذموم وإنما الحموم والغضب يتنظر إشارة العقل والدين فينبعث حيث تجب الحماية وينطفئ حيث يحسن الحلم وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التي كلف الله بها عباده وهو الوسط الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « خير الأمور أوسطها »^(٢) فمن مال غضبه إلى القنور حتى أحس من نفسه بضغف البعرة وخسة النفس في احتيال القتل والضيغ في غير محله فينبغي أن يعالج نفسه حتى يقوى غضبه ومن مال غضبه إلى الانفرات حتى جره إلى التورر واتحام القواحي فينبغي أن يعالج نفسه لينقص من سورة الغضب ويقف على الوسط الحق بين الطرفين فهو الصراط المستقيم وهو أرق من الشعرة وأحسن من السيف فان هجر عن فليطلب القرب منه قال تعالى - ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة - فليس كل من هجر عن الاثنيان بالخير كله ينبغي أن يأتي بالشر كله ولكن بعض الشر أهون من بعض وبعض الخير أرفع من بعض فهذه حقيقة الغضب ودرجاته نسأل الله حسن التوفيق لما يرضيه إنه على ما يشاء قدير .

(بيان الغضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة أم لا)

اعلم أنه ظن ظانون أنه يتصور محو الغضب بالكيفية وزعموا أن الرياضة إليه توجه وإياه تصدق ظن آخرون أنها أصل لا يقبل العلاج وهذا رأي من يظن أن الخلق كالخلق وكلاهما لا يقبل التغير ولا الرأيين ضعيف بل الحق فيه ما نذكره وهو أنه ما بقى الإنسان يحب شيئا ويكره شيئا فلا يخلو من النيط والغضب ومادام يوافقه شيء ويخالفه آخر فلا بد من أن يحب ما يوافقه ويكره ما يخالفه والغضب يتبع ذلك فانه مهما أخذ منه محبوبه غضب لا محالة وإذا قصد بتركه غضب لا محالة إلا أن ما يحبه الإنسان ينقسم إلى ثلاثة أقسام : الأول ما هو ضرورة في حق الكافة كالقوت والسكن والملبس وصحة البدن فمن قصد بدنه بالضرب والجرح فلا بد وأن يغضب وكذلك إذا أخذ منه ثوبه الذي يستر عورته وكذلك إذا أخرج من داره التي هي مسكنه أو أريق ماؤه الذي لمطشه فهذه ضرورات لا يخلو الإنسان من كراهة زوالها ومن يغيظ على من يتعرض لها . القسم الثاني ما ليس ضروريا لأحد من الخلق كالجاء والمال الكثير والنفان والدواب فان هذه الأمور صارت محبوبة بالمادة والجهل بتفادد الأمور حتى صار الذهب والفضة محبوبين في أنفسهما فيكثران ويغضب على من يسرقهما وإن كان مستغنيا عنهما في القوت فهذا الجنس مما يتصور أن يفك الإنسان عن أصل النيط عليه فإذا كانت له دار زائلة على مسكنه فهدمها ظالم فيجوز أن لا يغضب إذ يجوز أن يكون بصيرا بأمر الدنيا فيزهده في الزيادة على الحاجة فلا يغضب بأخذها فانه لا يحب وجوده ولو أحب وجودها لغضب على الضرورة بأخذها وأكثر غضب الناس على ما هو غير ضروري كالجاء والصيت والتصدري المجالس واللباهة في العلم فمن غلب هذا الحب عليه فلا محالة يغضب إذا زاحمه مزاحم على التصدري والمخالف ومن لا يحب ذلك فلا يزال ولو جلس في صف النعال فلا يغضب إذا جلس غيره فوته وهذه العادات الرديئة هي التي أكثرت محاب الإنسان ومكراهه فأكثر غضبه وكلما كانت الإرادات والشهوات

(١) حديث خير أمتي أحداؤها الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث علي بن سعيد ضعيف وزاد الدين إذا غضبوا رجوا (٢) حديث خير الأمور أوسطها البيهقي في الشعب مرسل وقد تقدم.

أرجى عندي أن لم
أظهر طهرها في ساعه قليل
أونهار لإصليت لري
عز وجل بذلك الطهور
ما كتب لي أن أسأل
ومن أدبهم في الطهارة
ترك الاسراف في النساء
والوقوف على حد العالم
أخبرنا الشيخ العالم
ضياء الدين عبد الوهاب
ابن علي قال أنا أبو الفتح
المروسي قال أنا أبو نصر
الترقي قال أخبرنا
أبو محمد الجراحي قال
أنا أبو العباس الجبوري
قال أنا أبو عيسى
الترمذي قال حدثنا
محمد بن بشار قال حدثنا
أبو داود قال حدثنا
خارجة بن مصعب
عن يونس بن عبيد
عن الحسن بن عجي
ابن ضمرة السعدي عن
أبي بن كعب عن النبي

أكثر كان صاحبها أحمق رتبة وأقص لأن الحاجة صفة قص فيها كثر نقص والنقص والجاهل بدأ جهده في أن يزيد في حاجاته وفي شهواته وهو لا يدري أنه مستكثر من أسباب النعم والحزن حتى يتسبب بعض الجاهل بالمعادات الرديئة وعاطلة قراءه سوء إلى أن يضطرب لوقبله إنك لا تحسن اللعب بالطيور واللعب بالشطرنج ولا تقدر على شرب الخمر الكثير وتناول الطعام الكثير ويمجى مجرأ من الرذائل فالنضب على هذا الجنس ليس بضروري لأن جه ليس بضروري . القسم الثالث ما يكون ضروريا حق بعض الناس دون البعض الكتاب مثلا في حق العالم لأنه مضطر إليه فيجبه فينضب في من يعرفه ويفرغه وكذلك أدوات الصناعات في حق للكاتب الذي لا يمكنه التوصل إلى القوت إلا بها فان ما هو وسيلة إلى الضرورى والمحبوب يصير ضروريا ومحبويا وهذا يختلف بالأشخاص وإنما الحب الضرورى ما أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله « من أصبح آمنا في سربه مطلقا في يده وفيه قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذو فيها » ومن كان بصيرا اجتأق الأمور وسلم لعنه الله لا تصور أن لا ينضب في غيرها فهذه ثلاثة أمساغ فلكند كراية الرياضة في كل واحد منها . أما القسم الأول: فليست الرياضة فيه ليندم غيظ القلب ولكن لكي يقدر على أن لا يطبع النضب ولا يستعمله في الظاهر إلا على حد يستجبه الشرع ويستحسنه العقل وذلك يمكن بالمجاهدة وتكليف الحلم والاحتياط مدة حتى يصير الحلم والاحتياط خلقا راسخا فأمر أصل القیظ من القلب فذلك ليس مقضى الطبع وهو غير ممكن نعم يمكن كسر سورته وتضعفه حتى لا يشتد هيجانه القیظ في الباطن وينتهي خضه إلى أن لا يظهر أثره في الوجه ولكن ذلك شديد جدا وهذا حكم القسم الثالث أيضا لأن ما صار ضروريا في حق شخص فلا عتمة من القیظ استثناء غيره عنه فالرياضة فيه غنغ العمل به وتضعف هيجانه في الباطن حتى لا يشتد التألم بالصبر عليه . وأما القسم الثاني : فيمكن التوصل بالرياضة إلى الاشتكاف عن النضب عليه إذ يمكن إخراج جه من القلب وذلك بأن يعلم الانسان أن وطنه القبر ومستقره الآخرة وأن الدنيا مجرد جبر عليها ويتردد منها قدر الضرورة وما وراء ذلك عليه وبإدب وطنه ومستقره فيزده في الدنيا ويجو حبا عن قلبه ولو كان للإنسان كلب لا يجبه لا ينضب إذا ضربه غيره فالنضب تبع للحب فالرياضة في هذا تنتهى إلى قمع أصل النضب وهو نادر جدا وقد تنتهى إلى اللع من استعمال النضب والعمل بموجبه وهو أهون . فان قلت : الضرورى من القسم الأول التألم بضوات المحتاج إليه من النضب فمن له شاة مثلا وهى قوته فمات لا ينضب على أحد وإن كان يحصل فيه كراهة وليس من ضرورة كل كراهة غضب فان الانسان يتألم بالصد والحجامة ولا يعضب على الفساد والحجام فمن غلب عليه التوحيد حتى يرى الأشياء كلها بيد الله ومنه فلا ينضب على أحد من خلقه إذ برام مسخرين في قبضة قدرته كالمقم في يد الكاتب ومن وقع ملك بضرب رقبته لم ينضب على القلم فلا ينضب على من يدغ عاتنه التى قوته كما لا ينضب على موته إذ يرى الدق واللوت من الله عز وجل لينفع النضب بنبلة التوحيد ويندفع أيضا بحسن الظن بالله وهو أن يرى أن السكل من الله وأن الله لا يقدر له إلا ما فيه الحيرة وربما تكون الحيرة في مرض وجوعه وجرحه وقتله فلا ينضب كما لا ينضب على القصاد والحجام لأنه يرى أن الحيرة فيه فيقول هذا على هذا الوجه غير محال ولكن غلبة التوحيد إلى هذا الحد أعانتكون كابرى الحافظ قلب في أحول مختطفة ولا تدوم ويرجع القلب إلى الالتفات إلى الوسائط رجوعا طبيعيا لا يندفع عنه ولو تصور ذلك على الدوام لبشر لتصور لرسول الله صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم أنه
قال والوضوء خطان
يخاله المؤمنان فأتوا
وساوس الساء قال
أوبعد الله الزواري
إن الشيطان يعتهد
أن يأخذ نصيبه من
جميع أعمال بني آدم
فلا يبال أن يأخذ
نصيبه بأن يزدادوا
فبأمرأوا بأمرئصوا
عنه وحكى عن ابن
الكثير أنه أصابه
حاجة ليل من الليالي
وكانت عليه مرقعة
فحنه غليظة فجاء إلى
المدجة وكان برد شديد
فحرق نفسه عن
الدخول في الساء لشدة
البرد فطرح نفسه في
السايع المرقعة ثم خرج
من الماء وقال عدت
أن لا أترعا من بدني
حتى تحفر لي قمحة

(۱) حدیث من أصبح آمناً في سربه معاف في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافرها الترمذی وابن ماجه من حدیث عیبة اقر بن محسن دون قوله عذافرها قال الترمذی حسن غریب.

فانه كان يغضب حتى تحمر وجنتاه^(١) حتى قال «اللهم أنا جبر أغضب كما يغضب البشر فأعما مسلم سبته أولسته أو ضربته فأطعها متى صلاة عليه وزكاة وقرية تحربه بها إليك يوم القيامة^(٢)» وقال عبدالله بن عمرو بن العاص «إرسول الله أكتب عنك كل ما قلت في الغضب والرضا قال أكتب فوالله بئس الحق نبيا ما يخرج منه إلا حق وأشار إلى لسانه^(٣)» فلم يقل إن لا أغضب ولكن قال إن الغضب لا يخرجني عن الحق أي لا أعمل بموجب الغضب «وغضبت عائشة رضى الله عنها مرة قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك جارك شيطانك قالت وما لك شيطان قال بلى ولكن دعوت الله فأعاني عليه فأسلم فلا يأمري إلا بالخير^(٤)» ولم يقل لا شيطان لي وأراد شيطان الغضب لكن قال لا يحاني على الشر» وقال علي رضى الله عنه «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغضب للدين إذا أغضب الحق لم يعرفه أحد ولم يتم لشبهه شيء حتى يتصره^(٥)» فكان يغضب على الحق وإن كان غصبه لله فهو الثبات إلى الوسائل إلى الجملة بل كل من يغضب على من يأخذ ضرورته وقوته وحاجته التي لا بد له في دينه منها فأعما غضب لله فلا يمكن الاضمار عنه . نعم قد يفقد أصل الغضب فيها هو ضروري إذا كان القلب مشغولا بضروري أهم منه فلا يكون القلب متسع للغضب لا يشتتله بغيره فان استغرق القلب ببعض الهمم يمنع الاحساس بماعداه ، وهذا كما أن سلمان لما شتم قال إن خفت موازيني فأنا شر مما تقول وإن ثقلت موازيني لم يضرمي ما تقول قد كان همهم مصروفا إلى الآخرة فلم يتأثر قلبه بالشتم . وكذلك شتم الربيع بن خثيم قال : يا هذا قد سمع الله كلامك وإن دون الجنة عقبة إن قطعها لم يضرمي ما تقول وإن لم أقطعها فأنا شر مما تقول . وسب رجل أبا بكر رضى الله عنه قال ماستر الله عنك أكثر فسكاته كان مشغولا بالنظر في تصدير نفسه عن أن يتق الله حتى تقاته ويعرفه حتى معرفته فلم يضربه نسبة غيره إياه إلى نقصان إذا كان ينظر إلى نفسه بين النقصان وذلك لجلالة قدره ، وقالت امرأة لمالك بن دينار يامراني فقال ما عرفني غيرك فسكاته كان مشغولا بأن يبنى عن نفسه آفة الرياء ومتكررا على نفسه ما يلقبه الشيطان إليه فلم يغضب ما نسب إليه . وسب رجل النبي فقال إن كنت صادقا ففقر الله لي وإن كنت كاذبا ففقر الله لك فمذه الأقاويل دالة في الظاهر على أنهم لم يخشوا لاشتغال قلوبهم بمهمات دينهم ومحملة أن يكون ذلك قد أثر في قلوبهم ولكنهم لم يشتغلوا به واشتغلوا بما كان هو الأغلب على قلوبهم فإذا اشتغال القلب ببعض المهمات لا يمد أن يمنع هيجان الغضب عند فوات بعض المحاب فإذا تصور قد القبط إما باشتغال القلب بهم أو بوضلة نظر التوحيد أو بسبب ثالث وهو أن يعلم أن الله يحب منه أن لا يظلم فيظن شدة حبه لله غيظه وذلك غير محال في أحوال نادرة وقد عرفت بهذا أن الطريق للخلاص من نار الغضب

(١) حديث كان صلى الله عليه وسلم يغضب حتى تحمر وجنتاه مسلم من حديث جابر كان إذا خاطب أحرمت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه ولما كان إذا ذكر الساعة أحرمت وجنتاه واشتد غضبه وقد تقدم في أخلاق النبوة (٢) حديث اللهم أنا بشر أغضب كما يغضب البشر الحديث مسلم من حديث أبي هريرة دون قوله أغضب كما يغضب البشر وقال جلده بدل ضربته وفي رواية الله . إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر وأصله متفق عليه وقد تقدم ولمسلم من حديث أنس إنما تابشر أرضي كارضى البشر وأغضب كما غضب البشر ولأبي يعلى من حديث أبي سعيد أو ضربته (٣) حديث عبدالله بن عمرو يارسول الله أكتب عنك كل ما قلت في الغضب والرضا قال أكتب فوالله بئس الحق نبيا ما يخرج منه إلا حق وأشار إلى لسانه أبو داود بنحوه (٤) حديث غضبت عائشة فقال النبي صلى الله عليه وسلم مالك جارك شيطانك الحديث مسلم من حديث عائشة (٥) حديث علي كان لا يغضب للدين الحديث الترمذي في الكامل وقد تقدم .

عليه شيئا ففاحتها
وغلظها أدب بذلك
نفسه لما حررت عن
الاجتناب لأمر الله تعالى
وقيل إن سهل بن
عبد الله كان يحب
أصحابه على كثرة شرب
النساء وقلة صبه على
الأرض وكان يرى أن
في الإكثار من شرب
النساء ضعف النفس
وإمالة الشهوات وكسر
القوة ومن أفعال
الصوفة الاحتياط في
استبقاء النساء للوضوء
فيل كان إبراهيم
الخوارج إذا دخل
البادية لا يعمل معه
إلا ركوة من الماء وربما
كان لا يشرب منها
إلا القليل يحفظ للنساء
الوضوء وقيل إنه كان
يخرج من مكة إلى
الكوفة ولا يحتاج إلى

موجب الدنيا عن القلب وذلك بمعرفة آفات الدنيا وغوائلها كسبأني في كتاب دَم الدنيا ومن أخرج حب الزبائن القلب بخلص من أكثر أسباب الضب وما لا يمكن محوه يمكن كسره وقضه فيضف الضب بسببه ويهون دمه ، نسأل الله حسن التوفيق بلفظه وكرمه إنه على كل شيء قدير والحمد لله وحده .

(بيان الأسباب للهجة للضب)

قد عرفت أن علاج كل علة جسم مادتها وإزالة أسبابها فلا بد من معرفة أسباب الضب ، وقد قال يحيى لميسر عليها السلام أي شيء أشد قال غضب الله قال فلا يقرب من غضب الله قال أن غضب قال فما يندى الضب وما يندى قال عيسى : الكبر والفخر والتعزز والحيلة والأسباب للهجة للضب هي الزهو والمجب والزاح والمزل والمزء والتعير والمارة والضادة والتدر وشدة الحرص على فضول السال والجاه وهي بأجمعها أخلاق رديئة مذمومة شرطا ولا خلاص من الضب مع قيام هذه الأسباب فلا بد من إزالة هذه الأسباب بأضدادها ، فينبغي أن يمتنع الزهو بالتواضع ويحتجب العجب بعرفك بنفسك كما سبأني يانه في كتاب الكبر والعجب وتزيل الفخر بأنك من جنس عبدك إذ الناس يجمعهم في الانتساب أب واحد ، وإنما اختلفوا في الفضل أشعثا فبنوا آدم جنس واحد وإنما الفخر بالأضائل ، والفخر والعجب والكبر أكبر الرذائل وهي أسوأها ورأسها فإذا لم تخل عنها فلا فضل لك على غيرك فلم تفتخر وأنت من جنس عبدك من حيث البنية والنسب والأعضاء الظاهرة والباطنة . وأما المزاح فتزيله بالتشاغل باللهجات الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عنه إذا عرفت ذلك . وأما المزل فتزيله بالجد في طلب الفضائل والأخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تملك لك إلى سعادة الآخرة . وأما المزء فتزيله بالتكريم عن إيذاء الناس وبصيانة النفس عن أن يستزأبك . وأما التعير فالخذر عن القول القبيح صيانة النفس عن مر الجواب . وأما شدة الحرص على مزايا العيش فتزال بالقناعة بقدر الضرورة طلبا لئلا الاستغناء وترضا عن ذلك الحاجة وكل خلق من هذه الأخلاق وصفة من هذه الصفات يفتقر في علاجه إلى رياضة وتحمل مشقة ، وحاصل رياضتها يرجع إلى معرفة غوائلهم الترغب النفس عنها وتنفرد عن قبحها ثم للواظبة على مباشرة أمداها مدة مديدة حتى تصير بالعادة مألوقة هينة على النفس فإذا امتحنت عن النفس فقد زكت وتطهرت عن هذه الرذائل وتخلصت أيضا عن الضب الذي يتولد منها ومن أشد البواعث على الضب عند أكثر الجهال تسميتهم الضب شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبرهية وتقليبه بالأتقاب المحمود غباوة وجهل حتى يحمل النفس إليه وتستحسنه وقد يتأكد ذلك بحكاية شدة الضب عن الأكابر في معرض المدح بالشجاعة والنفس مائلة إلى التقية بالأكابر فيخرج الضب إلى القلب بسببه وتسمية هذا عزة نفس وشجاعة جهل بل هو مرض قلب نقصان عقل وهو ضعف النفس وهوانها وأية ضعف النفس أن الرضا أسرع غضبا من الصحيح والمرأة أسرع غضبا من الرجل والصبي أسرع غضبا من الرجل الكبير والشيوخ الضعيف أسرع غضبا من السكندر وذو الجلق السي والذائل القبيحة أسرع غضبا من صاحب الفضائل فالرذل بغضب شهوته إذا فاته اللقمة ولبخله إذا فاته الحبة حتى إنه يضرب على أهله ولده . ونحوه به بالقوى من يملك نفسه عند الضب كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » (١) بل ينبغي أن يسأل هذا الجاهل بأن تتلى عليه حكايات أهل الحلم والدفء وما استحسن منهم من كظم الغيظ فإن ذلك منقول عن الأنبياء والأولياء والحكماء والعلماء والأكابر والعلماء الفضلاء ومن ذلك منقول عن الأكراد والأثراك والجهالة والأغبياء الذين لا عقول لهم ولا فضل فيهم .

(١) حدث ليس الشديد بالصرعة تقدم قبله .

التعير يحفظ الماء
لوضوءه ويقنع بالقليل
لشرب . وقيل إذا
رأيت الصوفى ليس معه
ركوة أو كوز فاعلم أنه
قد عزم على ترك الصلاة
شأنه أن يني . وحكى عن
بعضهم أنه أدب نفسه
في الطهارة إلى حد أنه
أقام بين ظهراني جماعة
من النسك وهم
مجمعون في دار فإراهم
أحد منهم أنه دخل
الحلاء لأنه كان يقضى
حاجته إذا خلا الوضع
في وقت يريد تأديب
نفسه ، وقيل مات
الخواص في جامع
الري في وسط الماء
وذلك أنه كان به علة
البطن وكما قام دخل
الماء وغسل نفسه
فدخله مرة ومات فيه
كل ذلك لحفظه على

(بيان علاج الغضب بعد هيجانه)

ما ذكرناه هو حسم لمواد الغضب وقطع لأسبابه حتى لا يهيج فإذا جرى سبب هيجه فندعه بحسب التثبت حتى لا يضطر صاحبه إلى السبل به على الوجه المذموم وإنما يبالغ الغضب عند هيجانه بمعمون العلم والعمل . أما العلم فهو ستة أمور : الأول يتفكر في الأخبار التي تنوردها في فضل كظم الغيظ والغزو والحلم والاحتمال فيرغب في ثوابه فتدفعه عدة الحرس على ثواب الكظم عن التفتي والانتقام وينطقى عنه غيظه قال مالك بن أوس بن الحدثان غضب عمر على رجل وأمر بضربه فقلت بأمرى للؤمنين - خذ الغزو وأمر بالفرف وأعرض عن الجاهلين - فكان عمر يقول - خذ الغزو وأمر بالفرف وأعرض عن الجاهلين - فكان تأمل في الآية وكان واقفا عند كتاب الله مهماتى عليه كثير التدبر فيه فتدبر فيه وعلى الرجل وأمر عمر بن عبد العزيز بضرب رجل ثم قرأ قوله تعالى - والذين يظنون أنهم لن يلقوا الله - فقال لفلانهم خل عنه . الثاني أن يخوف نفسه بقباب الله وهو أن يقول قدرة الله على أعظم من قدرى على هذا الانسان فلو أمضيت غضبي عليه لم آمن أن يضى الله غضبه على يوم القيامة أحوج ما أكون إلى الصفو فقد قال تعالى في بعض الكتب القديمة : يا ابن آدم إذا كرتى حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا تحمك فيمن أحق . وبث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصيفا إلى حاجة فأطاع عليه فلما جاء قال « لولا القصاص لأوجعتك ^(١) » أى القصاص في القيامة وقيل ما كان في بني إسرائيل ملك الاوسه حكيم إذا غضب أعطاه صحيفة فيها : ارحم السكين واخشى اللوت واذا ذكر الآخرة فكان يقرأها حتى يسكن غضبه . الثالث أن يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمع العدو لمقابلته والدمى في هدم أغراضه والسمانة بصائبه وهو لا يغلو عن اللصاف فيخوف نفسه بمواقب الغضب في الدنيا إن كان لا يخاف من الآخرة وهذا يرجع إلى تسليط شهوة على غضب وليس هذا من أعمال الآخرة ولا ثواب عليه لأنه متردد على حظوظه العاجلة يقدم بعضها على بعض إلا أن يكون محذوره أن تتشوش عليه في الدنيا فراغته لاهل والعمل وما يبينه على الآخرة فيسكون مثابا عليه . الرابع أن يتفكر في قبح صورته عند الغضب بأن تذكر صورة غيره في حالة الغضب ويتفكر في قبح الغضب في نفسه ومشابهة صاحبه للكلب الضارى والسبع العادى ومشابهة الحليم الهادى التارك للفضض للأنياء والأولياء والعلاء والحكماء . وبغير نفسه يئن أن يشبه بالكلاب والسباع وأراذل الناس وبين أن يشبه بالعلاء والأنبياء في عاداتهم لئيل نفسه إلى حب الاقتداء بهؤلاء إن كان قد بقى معه مسكة من عقل . الخامس أن يتفكر في السبب الذى يدعوه إلى الانتقام ويمتنع من كظم الغيظ ولا بد وأن يكون له سبب مثل قول الشيطان له إن هذا يعمل منك على العجز وصغر النفس والقلة والمهانة ونصير حقيرا في أعين الناس فيقول لنفسه ما عجبك تأتئين من الاحتمال الآن ولأنا تفين من خزي يوم القيامة والانتصاح إذا أخذ هذا يدك وانتقم منه وتحذرين من أن تضمرى في أعين الناس ولا تحذرين من أن تضمرى عند الله والملائكة والنبين فمهما كظم الغيظ فينبى أن يكظمه فذلك يحفظه عند الله فماله وللناس وذل من ظله يوم القيامة أشد من ذله لو اتهم الآن أفلا عجب أن يكون هو القائم إذا نودى يوم القيامة ليقم من أجره على الله فلا يقوم إلا من عفا فهذا وأمثاله من معارف الإيمان ينبى أن يكرره على قلبه . السادس أن يعلم أن غضبه من تعبته من جريان الله على وفق مراد الله لا على وفق مراده فكيف يقول - رادى أولى من مراد الله ويوشك أن يكون غضب الله عليه أعظم من غضبه . وأما العمل فان تقول بلسانك

(١) حديث لولا القصاص لأوجعتك أبو يعلى من حديث أم سلمة بسند صحيح .

الوضوء والطهارة وقول
كان إبراهيم بن آدم به
قيام قام في ليلة
واحدة نيفا وسبعين
مرة كل مرة يجدد
الوضوء ويصل ركعتين
ويقول إن بضمه أدب
نفسه حتى لا يخرج
منه الريح إلا في وقت
البراز يراعى الأدب
في الحلووات واتخاذ
التدليل بعد الوضوء
كرهه قوم وقالوا إن
الوضوء يوزن وأجزئه
بعضهم ودلهم
ما أخبرنا الشيخ العالم
ضياء الدين عبد الوهاب
ابن على قال أنا أبو الفتح
الهروى قال أنا أبو نصر
قال أنا أبو محمد قال
أنا أبو الباس قال
أنا أبو عيسى الترمذى
قال حدثنا سفيان بن
وكيع قال حدثنا عبد الله

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقال عند التقيط (١)
 « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غضبت عائشة أخذ بأُخْطَاها وقال يا عيش فوالى اليهودى النبی
 محمد اغفر لی ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن (٢) » فيستحب أن تقول ذلك فإن
 لم يزل بذلك فاجلس إن كنت قائماً واضطجع إن كنت جالساً واقرب من الأرض التي تماثلت
 لتعرف بذلك ذلك نفسك واطلب بالجلوس والاضطجاع السكون فإن سبب الغضب الحرارة وسبب
 الحرارة الحركة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الغضب جرة توقد في القلب (٣) » ألم تروا
 إلى انتفاخ أو داجه وحمرة عينية فإذا وجد أحدهم من ذلك شيئاً فإن كان قائماً فليجلس وإن كان
 جالساً فليتم فإن لم يزل ذلك فليتموا بالماء البارد أو يقتل فان النار لا يطفئها إلا الماء فقد قال
 صلى الله عليه وسلم « إذا غضب أحدكم فليتموا بالماء قائماً والغضب من النار (٤) » وفي رواية إن
 الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتموا
 وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا غضبت فاسكت (٥) » وقال أبو هريرة
 « كان رسول الله ﷺ إذا غضب وهو قائم جلس وإذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب
 غضبه (٦) » وقال أبو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وسلم « ألا إن الغضب جرة في قلب
 ابن آدم (٧) » ألا ترون إلى حمرة عينية وانتفاخ أوداجه فمن وجد من ذلك شيئاً فليصق خده
 بالأرض وكان هذا إهارة إلى السجود وتمكين أعز الأعضاء من أذل الواضع وهو التراب لتناشع
 به النفس القل وتزایل به العزة والزهو الذي هو سبب الغضب . وروى أن عمر غضب يوماً معاً
 بماء فاستنشق وقال إن الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغضب وقال عروة بن محمد لما استعملت
 على اليمن قال لي أبي أو ليت قلت نعم قال فإذا غضبت فانظر إلى السماء فوقك وإلى الأرض تحتي ثم
 عظم خالقهما . وروى « أن أبا ذر قال لرجل يابن الجراء في خصومة بينهما فبلغ ذلك رسول الله
 (١) حديث الأمر بالنموذ بالله من الشيطان الرجيم عند التقيط متفق عليه من حديث سلمان بن صرد
 قال كنت جالساً مع النبي صلى الله عليه وسلم ورجلان يسقيان فأحدهما احمر وجهه واستفخت أوداجه
 الحديث وفيه لوقال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لذهب عنه ما يجد فقالوا له إن النبي صلى الله عليه
 وسلم قال نموذ بالله من الشيطان الرجيم الحديث (٢) حديث كان إذا غضبت عائشة أخذ بأُخْطَاها
 وقال يا عيش فوالى اليهودى النبی محمد اغفر لی ذنبي وأذهب غيظ قلبي الحديث ابن السني في اليرم
 واليلة من حديثها وتقدم في الأذكار والتهوعات (٣) حديث إن الغضب جرة توقد في القلب الحديث
 الترمذي من حديث أبي سعيد دون قوله توقد وقد تقدم ورواه بهذه اللفظة البيهقي في الشعب
 (٤) حديث إذا غضب أحدكم فليتموا بالماء البارد الحديث أبو داود من حديث عطية السعدي دون
 قوله بالماء البارد وهو بلفظ الرواية الثانية التي ذكرها المصنف وقد تقدم (٥) حديث ابن عباس إذا
 غضبت فاسكت أحمد وابن أبي الدنيا والطبراني واللفظ لها والبيهقي في شعب الإيمان وفيه ليث بن
 أبي سليم (٦) حديث أبي هريرة كان إذا غضب وهو قائم جلس وإذا غضب وهو جالس اضطجع
 فيذهب غضبه ابن أبي الدنيا وفيه من لم يسم ولاحمد بساند جيد في أثناء حديث فيه وكان أبو ذر
 قائماً فجلس ثم اضطجع فليل له لم تجلس ثم اضطجعت فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا
 إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع والرفوع عند أبي داود
 وفيه عدم انقطاع سقط منه أبو الأسود (٧) حديث أبي سعيد ألا إن الغضب جرة في قلب ابن آدم
 الحديث الترمذي وقال حسن .

ابن وهب عن زيد
 ابن جباب عن أبي
 معاذ عن الزهري
 عن عروة عن عائشة
 رضى الله عنها قالت
 كان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم خروفاً ينشف
 بها أعضاءه بعد
 الرضوء . وروى معاذ
 ابن جبل قال رأيت
 رسول الله صلى الله عليه
 وسلم إذا توضأ مسح
 وجهه بطرف ثوبه
 واستنصاه الصوفية في
 تطهير الباطن من
 الصفات الدنيوية
 والأخلاق الذمومة
 لا الاستنصاء في طهارة
 الظاهر إلى حد يخرج
 من حد الملوث أو احمر
 رضى الله عنه من جرة
 ضرورية مع كون
 النصارى لا يجترزون
 عن الحرق وأجرى الأمر

صلى الله عليه وسلم فقال ياأباذر بلقي أنك اليوم عبرت أخاك بأمة فقال نعم فانطلق أبو ذر ليرضى صاحبه فسببه الرجل فلم عليه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياأبا ذر ارفع رسك فانظر ثم اعلم أنك لست بأفضل من أحمر فيها ولا أسود إلا أن فضله بسل ثم قال إذا غضبت فإن كنت قائما فأعده وإن كنت قاعدا فأتكى^(١) وإن كنت متكئا فاضطجع^(٢) وقال الضمر بن سليمان كان رجل ممن كان قبلكم يغضب فيشتد غضبه فيكذب ثلاث محائف وأعطى كل صحيفة رجلا وقال لأول إذا غضبت فأعطني هذه وقال للثاني إذا سكن بعض غضبي فأعطني هذه وقال للثالث إذا ذهب غضبي فأعطني هذه فاشتد غضبه يوما فأعطى الصحيفة الأولى فإذا فيها ماأنت وهذا الغضب إنك لست إليه إنما أنت بشر يوشك أن يأكل بضعك بضا فسكن بعض غضبه فأعطى الثانية فإذا فيها ارحم من في الأرض برحمتك من السماء فأعطى الثالثة فإذا فيها خذ الناس بحق الله فإنه لا يصلهم إلا ذلك أي لا تهمل الحدود . وغضب الهدي على رجل فقال شبيب لا تغضب لله بأشد من غضبه لنفسه فقال خلوا سبيله .

(فضيلة كظم الغيظ)

قال الله تعالى - والكاظمين الغيظ - وذكر ذلك في معرض اللوح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كف غضبه كف الله عنه عذابه ومن اعتذر إلى ربه قبل الله عذره ومن خزن لسانه ستر الله عورته »^(١) وقال صلى الله عليه وسلم « أشدكم من غلب نفسه عند الغضب وأحكمكم عفا عند القدرة »^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم « من كظم غيظا ولو شاء أن يمضيه لمضاه ملا الله قلبه يوم القيامة رضا - وفي رواية ملا الله قلبه أمنا وإيماننا »^(٣) وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما جرع عبد جرعة أعظم أجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله تعالى »^(٤) وقال ابن عباس رضى الله عنهما قال صلى الله عليه وسلم « إن لجنتم بابا لا يدخله إلا من شقى

(١) حديث أبي ذر أنه قال لرجل يأبى الجحراء في خصومة بينهما فاجع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه فقال ياأبا ذر ارفع رأسك فانظر الحديث وفيه ثم قال إذا غضبت إلى آخره ابن أبي الدنيا في المفهوم الضب بإسناد صحيح وفي الصحيحين من حديث قال كان بيني وبين رجل من إخواني كلام وكانت أمه أعجمية فغيرته بأمة فشكاني إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ياأبا ذر إنك امرؤ فاك جاهلية ولأحمد أنه صلى الله عليه وسلم قال له انظر فانك لست بخير من أحمر ولا أسود إلا أن فضله يتقوى ورجاله تقات.

(فضيلة كظم الغيظ)

(٢) حديث من كف غضبه كف الله عنه عذابه الحديث الطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان واللفظ له من حديث أنس بإسناد ضعيف ولا بن أبي الدنيا من حديث ابن عمر من ملك غضبه وفاء الله عذابه الحديث وقد تقدم في آفات اللسان (٣) حديث أشدكم من ملك نفسه عند الغضب وأحكمكم عفا عند القدرة ابن أبي الدنيا من حديث علي بن سند ضعيف والبيهقي في الشعب بالشر الأول من رواية عبد الرحمن ابن عجلان مرسل بإسناد جيد وللإزار والطبراني في كرام الأخلاق واللفظ له من حديث أشدكم ما ملكتكم أنفسه عند الغضب وفيه عمران القطان يختلف فيه (٤) حديث من كظم غيظا ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملا الله قلبه يوم القيامة رضا وفي رواية أمنا وإيماننا ابن أبي الدنيا بالرواية الأولى من حديث ابن عمر وفيه سكن بن أبي سراج تسكلم فيه ابن حبان وأبو داود والرواية الثانية من حديث رجل من أبناء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن أبيه ورواه ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة وفيه من لم يسم (٥) حديث ابن عمر ما جرع رجل جرعة أعظم أجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله ابن ماجه.

على الظاهر وأصل
الطهارة وقد كان
أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم
يسألون على الأرض من
غير سجادة ويعشون
خفاة في الطريق وقد
كانوا لا يعملون وقت
النوم بينهم وبين التراب
حائلا وقد سكاوا
يقصرون على الجبر
في الاستنجاء في بعض
الأوقات وكان أمرهم في
الطهارة الظاهرة على
التساهل واستقصاءهم
في الطهارة الباطنة
وهكذا شغل الصوفية
وقد يكون في بعض
الأشخاص تشدد في
الطهارة ويكون مستند
ذلك روعة النفس فلو
اتسخ ثوبه تخرج ولا
يبالي بما في باطنه من
الثقل والحقد والكبر

غِيظُهُ بِمِصْبَةِ اللَّهِ تَعَالَى (١) « وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَا مِنْ جُرْعَةٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ جُرْعَةِ غِيظِ كَظْمِهَا عَبْدٌ وَمَا كَظْمُهَا عَبْدٌ إِلَّا مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ إِيمَانًا » (٢) « وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ كَظَمَ غِيظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَنْفَعَهُ دَعَاؤُ اللَّهِ عَلَى رَدِّهِ مِنَ الْخَلْقِ وَغَيْرِهِ مِنْ أَى الْحَوَرِ شَاءَ » (٣) « الْأَنْبَاءُ : قَالَ عُمَرُ رَضِيَ عَنْهُ مِنَ النَّبِيِّ « لَمْ يَشْفِ غِيظُهُ وَمَنْ خَافَ اللَّهُ فَلَمْ يَضَلْ مَا شَاءَ وَلَوْ لَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَكُنَّ خَيْرٌ مَارُونَ . وَقَالَ لِقَابِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ : يَا بَنِي لَا تَنْهَبُوا مَاءَ وَجْهِكَ بِالسَّالِقِ وَلَا تَضْفِفْ غِيظَكَ بِضَيْحِكَ وَاعْرِفْ قَدْرَكَ تَضْفِيفَ مِعْيَشَتِكَ . وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ حِينَ سَاعَةِ يَدْفَعُ ثَمَرًا كَثِيرًا ، وَاجْتَمَعَ سَفِيَانُ التَّوْرَى وَأَبُو خُرَيْمَةَ الْيَرْبُوعَى وَالْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ قَتَلُوا كُرُوزَ الْزُهْدِ فَأَجْمَعُوا عَلَى أَنْ أَفْضَلَ أَعْمَالِ الْحِلْمِ عِنْدَ التَّضَنُّبِ وَالصَّبْرِ عِنْدَ الْجُرْعِ . وَقَالَ رَجُلٌ لِمَنْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا تَضْفِفُ بِالْعِلْدِ وَلَا تَطْمِطُ بِالْجَوْلِ فَتَضْطَبُ عَمْرٌ حَقٌّ عَرَفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَلَا تَسْمَعُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ سَخَذَا الْغَفْوُ وَأَمْرٌ بِالرَّفْرِ وَأَعْرَضَ عَنِ الْجَاهِلِينَ - فَهَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ فَقَالَ عَمْرٌ صَدَقْتَ فَكَيْفَ كَانَتْ نَارًا فَأَطْفَأْتَ وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ ثَلَاثٌ مِنْ كُنْ فِيهِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانُ بَأَنَّهُ إِذَا رَضِيَ لَمْ يَدْخُلْهُ رِضَاهُ فِي الْبَاطِلِ وَإِذَا غَضِبَ لَمْ يَخْرِجْهُ غَضَبُهُ عَنِ الْحَقِّ وَإِذَا قَدَرَ لَمْ يَتَوَلَّ مَالِيهِ . وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى سَدَانَ فَقَالَ بِإِذْنِ اللَّهِ أَوْصِنِي قَالَ لَا تَغْضَبُ قَالَ لَا أَقْدَرُ قَالَ فَإِنْ غَضِبْتَ فَأَمْسِكْ لِسَانَكَ وَبِكَ .

(بيان فضيلة الحلم)

اعلم أن الحلم أفضل من كظم الغيظ لأن كظم الغيظ عبارة عن التحمل أي تكلف الحلم ولا يحتاج إلى كظم الغيظ إلا من حاج غيظه واحتاج فيه إلى مجاهدة شديدة ولكن إذا تمود ذلك مدة صار ذلك اعتيادا فلا يبيح الغيظ وإن حاج فلا يكون في كظمه تعب وهو الحلم الطبيعي وهو دالة كمال العقل واستيلائه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل ولكن ابتداء التحمل كظم الغيظ فكيف قال صلى الله عليه وسلم « إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالْحِلْمِ وَالْحِلْمُ بِالْحِلْمِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الْخَيْرَ يَعْطِهِ وَمَنْ يَتَّقِ الشَّرَّ يَوْقَهُ » (١) « وَأَشَارَ بِهَذَا إِلَى أَنَّ اكْتِسَابَ الْحِلْمِ طَرِيقُهُ التَّحَمُّلُ أَوَّلًا وَتَكْلُفُهُ كَأَنَّ كِتَابَ الْعِلْمِ طَرِيقُهُ الْتَمَلُّقُ . وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « اطْلُبُوا الْعِلْمَ وَاطْلُبُوا مَعَ الْعِلْمِ السَّكِينَةَ وَالْحِلْمَ لِيَنْوَا لِمَنْ تَمَلُّونَ وَلِمَنْ تَتَمَلَّدُونَ مِنْهُ وَلَا تَكُونُوا مِنْ جِبَارَةِ الْعُلَمَاءِ فَيُغْلِبُ جَهْلُكُمْ حِلْمَكُمْ » (٢) « وَأَشَارَ بِهَذَا إِلَى أَنَّ التَّكْبِيرَ وَالتَّجَبُّعَ هُوَ الَّذِي يَبْسِجُ الْغَضَبَ وَيَنْعَمُ مِنَ الْحِلْمِ وَالْبَلِيَّةِ ، وَكَانَ مِنْ دَعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ « اللَّهُمَّ اغْنِنِي بِالْعِلْمِ وَزِينِ بِالْحِلْمِ وَأَكْرِمْنِي بِالتَّقْوَى وَجَلِّنِي بِالْمَافِيَةِ » (٣) « وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « ابْتَغُوا الرِّفْعَةَ عِنْدَ اللَّهِ قَالُوا وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ تَصِلُ مِنْ قَطْعِكَ وَتَطْعَمُ مِنْ حَرَمِكَ وَتَحْمِلُ مِنْ جَلِّ عَلَيْكَ » (٤)

(١) حديث ابن عباس إن لهم بابا لا يدخل منه إلا من شفى غيظه بمِصْبَةِ اللَّهِ تَعَالَى في تَهْدِيقِ آفَاتِ اللِّسَانِ (٢) حديث ما من جرعة أحب إلى الله تعالى من جرعة غيظ كظمها عبدها كظمها عبدا لملا الله قلبه إيمانا ابن أبي الدنيا من حديث ابن عباس وفيه ضعف ويتلوه من حديث ابن عمر وحديث الصحابي الترمذي لم يسم وقد تقدم (٣) حديث من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفعه دَعَاؤُ اللَّهِ عَلَى رَدِّهِ مِنَ الْخَلْقِ وَغَيْرِهِ مِنْ أَى الْحَوَرِ شَاءَ تَهْدِيقِ آفَاتِ اللِّسَانِ .

(فضيلة الحلم)

(٤) حديث إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالْحِلْمِ وَالْحِلْمُ بِالْحِلْمِ حَدِيثُ الطَّبْرَانِيِّ وَالدَّارَقُطْنِيِّ فِي الْعِلْمِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ (٥) حديث أبي هريرة طابوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم الحديث ابن السني في رياضة المتعلمين بسند ضعيف (٦) حديث كان من دعائه اللهم اغني بالعلم وزيني بالحلم وأكرمني بالتقوى وجلني بالعافية لا جدله أصلا (٧) حديث ابتغوا الرفعة عند الله قالوا وما هي ؟ قال تصل من قطعك والحديث الحاكم والبيهقي وقد تقدم .

والعجب والرياء والتناقض ولعله ينحصر على الشخص لو دلس الأرض خافيا وجود رخصة الشرع ولا يكره عليه أن يتكلم بكلمة غيبة يخرّب بها دينه وكل ذلك من قلة السلم وترك التأدب بصحبة الصادقين من العلماء الراسخين وكانوا يكرهون كثرة الدالك في الاستبراء لأنه ربما يسترخى العرق ولا يسك البول ويتولد منه القطر للفرط . ومن حكايات التصوفة في الوضوء والطهارات أن أبا عمرو والزجاجي جاور بمكة ثلاثين سنة وكان لا يتوطئ في الحرم ويخرج إلى الحل وأقل ذلك فرسخ . وقيل كان يسهّم على وجهه

وقال صلى الله عليه وسلم «حس من سئل للرسلين الحياء والحلم والحجامة والسواك والتطهر» (١) وقيل على كرام الله وجهه قال النبي صلى الله عليه وسلم «إن الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم وإنه ليكتب جبارا عبدا ولا يملك إلا أهل بيته» (٢) وقال أبو هريرة «إن رجلا قال لرسول الله إن لي قرابة أسلمهم ويقطعون وأحسن إليهم ويسئون إلي ويجهلون علي وأعلم منهم قال إن كان كانوا فلكأنما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير مذموم على ذلك» (٣) «الذي يعني به الرمل وقال رجل من المسلمين «اللهم ليس عندي صدقة أتصدق بها فأبى رجل أصاب من عرضي شيئا فهو عليه صدقة فأوحى الله تعالى إلى النبي ﷺ «إني قد غفرت له» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «أعجز أحدكم أن يكون كأي ضمض قالوا وما أبو ضمض قال رجل ممن كان قبلكم كان إذ أصبح يقول اللهم إني تصدقت اليوم بمرض على من ظفني» (٥) وقيل في قوله تعالى - زباني - أي حياء عفاة وعن الحسن في قوله تعالى - وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما - قال حياء إن جهل عليهم لم يجهلوا وقال عطاء بن أبي رباح - يحسون على الأرض هوتا - أي حياء وقال ابن أبي حبيب في قوله عز وجل - وكهلا قال السكندر بن أبي حمزة - وقال مجاهد - وإذا هموا بالقوم أكرهوا أي إذا أودوا صفحوا. وروى «أن ابن مسعود مر بفلو معرضا قال الرسول الله صلى الله عليه وسلم أصبح ابن مسعود وأمسى كريما» (٦) ثم تلا إبراهيم بن ميسرة وهو الراوي قوله تعالى - وإذا مروا باللغو مروا كراما - وقال النبي صلى الله عليه وسلم «اللهم لا يدركني ولا أدركه زمان لا يتيمون فيه العلم ولا يستجرون فيه من الحليم قلوبهم والعجم والسنهم ألسنة العرب» (٧) وقال صلى الله عليه وسلم «لبينى منكم ذوو الأحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ولا تغفلوا فتختلف قلوبكم وليناكم وهيشات الأسواق» (٨) وروى «أنه قد على النبي صلى الله عليه وسلم الأشع فأناخ راحلته ثم عقلمها وطرح عنه ثوبين كانا عليه وأخرج من البية ثوبين حسيين فلبسهما وذلك بين

(١) حديث حسن من سئل للرسلين الحياء والحلم والحجامة والسواك والتطهر أبو بكر بن أبي عاصم في لثاني والآحاد والترمذي الحكيم في نوادر الأصول من رواية ملبخ بن عبد الله الخطمي عن أبيه عن جده وللترمذي وحسنه من حديث أبي أيوب أربع فأسقط الحلم والحجامة وزاد النكاح (٢) حديث على «إن الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم الحديث الطبراني في الأوسط بسند ضيف (٣) حديث أبي هريرة «إن رجلا قال يا رسول الله إن لي قرابة أسلمهم ويقطعون وأحسن إليهم ويسئون إلي ويجهلون علي وأعلم منهم الحديث رواه مسلم (٤) حديث قال رجل من المسلمين اللهم ليس عندي صدقة أتصدق بها فأبى رجل أصاب من عرضي شيئا فهو صدقة عليه الحديث أبو نعيم في الصحابة والبيهقي في الشعب من رواية عبد الحميد بن أبي عيسى بن جبر عن أبيه عن جده بإسنادين زاد البيهقي عن علي بن زيد وعليه هو الذي قال ذلك كما في أثناء الحديث وذكر ابن عبد البر في الاستيعاب أنه رواه ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رجلا من المسلمين ولم يسمه وقال أنه أبا ضمض قلت وليس بأبي ضمض إنما هو علي بن زيد وأبو ضمض ليس له حجة وإنما هو متقدم (٥) حديث أعجز أحدكم أن يكون كأي ضمض الحديث تقدم في آيات اللسان (٦) حديث ابن مسعود مر بفلو معرضا قال النبي صلى الله عليه وسلم أصبح ابن مسعود وأمسى كريما ابن المبارك في البر والصلة (٧) حديث اللهم لا يدركني ولا أدركه زمان لا يتيمون فيه العلم ولا يستجرون فيه من الحليم الحديث أحمد من حديث سهل بن سعد بسند ضيف (٨) حديث لبينى منكم ذوو الأحلام والنهى الحديث مسلم من حديث ابن مسعود دون قوله ولا تغفلوا فتختلف قلوبكم فهي عند أبي داود والترمذي وحسنه وهي عند مسلم في حديث آخر لابن مسعود.

قروح لم ينسدل اثني عشرة سنة لأن الماء كان يضره وكان مع ذلك لا يدع تجديد الوضوء عند كل فرضة وبعضهم ترك في عتبه الماء لحوا في إليه اللدوى وبذلوا له مالا كثيرا ليدويه فقال اللدوى يحتاج إلى ترك الوضوء أياما ويكون مستلقيا على قضاؤه فلم يفعل ذلك واختار ذهب بصره على ترك الوضوء .

[الباب السادس والثلاثون في فضيلة الصلاة وكبر شأنها]

روى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لما خلق الله تعالى جنة عدن وخلق فيها

رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى ما يصنع ثم أقبل يمشي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام إن فيك يا أشج خلقين يحبهما الله ورسوله قال ماها بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال الحلم والأناة قال خلطان تخلفتهما أو خلقان جبلت عليهما فقال بل خلقان جبلت الله عليهما فقال الحمد لله الذي جعلني على خلقين يحبهما الله ورسوله ^(١) وقال ^(٢) «إن الله يحب الحلم الذي التفتف بأعمال الناس» ويغض الفاحش الذي السائل للحلف ^(٣) وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم «ثلاث

من لم تكن فيه واحدة منهن فلا تمتدوا بشئ من عمله تخوى تحجزه عن معاصي الله عز وجل وحلم يكف به السفيه وخلق يعيش به في الناس» ^(٤) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا جمع الله الخلاق يوم القيامة نادى مناد أين أهل الفضل فيقوم ناس وهم يسير فينطلقون سراعا إلى الجنة فتقام لهم الملائكة فيقولون لهم إننا راكم سراعا إلى الجنة فيقولون نحن أهل الفضل فيقولون لهم ما كان فضلكم فيقولون كنا إذا ظننا صبرنا وإذا أسيء إلينا عفونا وإذا جهل علينا حملنا فيقال لهم ادخلوا الجنة فتم أجر العاملين» ^(٥) . الآثار : قال عمر رضي الله عنه تعلموا العلم وتعلموا العلم السكينة والحلم وقال علي رضي الله عنه ليس الخبر أن يكثر مالك وللك خبر أن يكثر عملك ويكظم حلمك وأن لا يباهي الناس ببداية الله وإذا أحسنت حمدت الله تعالى وإذا أسأت استغفرت الله تعالى وقال الحسن الطبايى العلم وزيئوه بالوقار والحلم . وقال أكرم بن صبيح دعاية القفل الحلم وجامع الأمر الصبر . وقال أبو البرداء ما أدركت الناس ورقا لا شوك فيه فأصبوا شوكا لا ورق فيه إن عرفتكم قدوكم وإن ترككم لم يتركوك قالوا كيف نصنع ؟ قال تعرضهم عن عرضك يوم قهرك . وقال علي رضي الله عنه إن أول ما عاوض الحليم من خلقه أن الناس كلهم أعوانه على الجاهل . وقال معاوية رحمه الله تعالى لا يبلغ العبد مبلغ الرأى حتى يغلب حلمه جهله وصره شبوته ولا يبلغ ذلك إلا بقوة العلم . وقال معاوية لعمر بن الخطاب أي الجاهل أشجع قال من رده جهله بحلمه قال أي الرجال أسخى قال من بذل دينه لصالح دينه . وقال أنس بن مالك في قوله تعالى - فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم - إلى قوله - عظيم - هو الرجل يشتمه أخوه فيقول إن كنت كاذبا فغفر الله لك وإن كنت صادقا فغفر الله لي . وقال بعضهم شتمت فلانا من أهل البصرة ظلم على فاستعبدني بها زمانا . وقال معاوية للربابة بن أوس به بدت قومك بأعرابة قال يا أمير المؤمنين كنت أحلم عن جاهلهم وأعطى سائلهم وأسنى في حوائجهم فمن فضل فعل قومك ومن جاوزني فهو أفضل مني ومن قصر عني فأنا خير منه . وسب رجل ابن عباس رضي الله عنهما فلما فرغ قال يا بكرمة هل للرجل حاجة فتفضها فنكس الرجل رأسه واستسنى . وقال رجل لعمر بن عبد العزيز أشهد أنك من الفاسقين فقال ليس تقبل شهادتك . وعن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم أنه سبه رجل فرمى إليه بجمجمة كانت عليه وأمر له بألف درهم فقال بعضهم جمع له خمس خصال محمودة : الحلم وإعطاء الأذى وتخليص الرجل مما يبعد من الله عز وجل وحمله على الندم والتوبة

(١) حديث يا أشج إن فيك خلقتين يحبهما الله الحلم والأناة الحديث متفق عليه (٢) حديث إن الله يحب الحلم الذي التفتف بأعمال الناس من حديث سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم (٣) حديث ابن عباس ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا تمتدوا بشئ من عمله أبو نعيم في كتاب الإيعاز باسناد ضيف والطبراني من حديث أم سلمة باسناد لين وقد تقدم في آداب الصلوة (٤) حديث إذا جمع الخلاق نادى مناد أين أهل الفضل فيقوم ناس الحديث وفيه إذا جهل علينا حملنا البيهقي في شعب الإيمان من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال البيهقي في إسناده ضعف .

ملاعير رأيت ولا أذن صحت ولا خطر على قلب جر قال لها تكلم قالت - قد أطلع للؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون - ثلاثا وشهد التركان المهيد بالصلاح للمصلين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنا بنو إسرائيل لدنوك الشمس حين زالت وصلى في الظاهر» اشتقاق الصلاة قبل من الصل وهو التار والحشبة الموجة إذا أرادوا تفرغها تعرض على النار ثم تقوم وفي العبد اعوجاج الوجود قسه الأمانة بالسوء وسبحات وجه الله الكريم التي لو كشف حجابها أحرقت من أدركته بسبب بها

ورجوعه إلى مدح بعد القم اعترى جميع ذلك بشي من الدنيا يسير وقال رجل لجعفر بن محمد إنه قد وقع بيني وبين قوم منازعة في أمر وإن أريد أن أركه فأخشي أن يقال لي إن تركه له ذل فإن جعفر إنما الدليل الظالم وقال الحليل بن أحمد كان يقال من أساء فأحسن إليه قد جعل له حاجز من قلبه يردعه من مثل إساءته وقال الأحنف بن قيس لست بحليم ولكنني أعلم وقال وهب بن منبه من رحم يرحم ومن رصمت يسل ومن يجهل يغلب ومن يعجل يخطئ ومن يحرس على الثغر لا يسلم ومن لا يدع اللوا يفتح ومن لا يكره الثغر يأثم ومن يكره الثغر يحصم ومن يتبع وصية الله يحفظ ومن عذر الله يأمن ومن يتول الله يتبع ومن لا يزال الله يختر ومن يأمن مكر الله يخذل ومن يستمن بالله يظفر وقال رجل لما لك بن دينار بلني أنك ذكرتني بسوء قال أنت إذن أكرم علي من نفسي إن إذا قلت ذلك أهديت لك حسني . وقال بعض العلماء العلم أرفع من القتل لأن الله تعالى تسمى به وقال رجل لبعض الحكماء والله لأضربك سبا يدخل معك في قبرك فقال معك يدخل لامي وصرا السبيح ابن مريم عليه الصلاة والسلام يقوم من اليهود فقالوا له شرا فقال لهم خيرا قيل له إنهم يقولون شرا وأنت تقول خيرا . فقال كل ينفع بما عنده وقال لقمان ثلاثة لا يعرفون إلا عند ثلاثة لا يعرف الحليم إلا عند الضيق ولا الشجاع إلا عند الحرب ولا الأخ إلا عند الحاجة إليه . ودخل على بعض الحكماء صديق له قدم إليه طعاما فخرجت امرأة الحكيم وكانت سبعة الخلق فرصت للصادقة وأقبلت على شتم الحكيم فخرج الصديق مضطربا فجلس الحكيم وقال له تذكر يوم كنا في منزلك نطم فسمعت دجاجة على السائدة فأقصدت ما عليها فلم يضبط أحد منا قال نعم قال فاحبب أن هذه مثل تلك الدجاجة فسرى عن الرجل غضبه وانصرف وقال صدق الحكيم العلم شفاء من كل ألم وضرب رجل قدم حكيم فأوجه فلم يضبط قيل له في ذلك قال أقتمه مقام حجر ثمرت به فذبحت الضفد وقال محمود الوراق:

سأزيم نفسي الصفح عن كل مذنب وإن سكثرت منه على الجرائم
وما الناس إلا واحد من ثلاثة شريف ومشروف ومثلث مقادير
فأما الذي فوق فأعرف قدره وأتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذي دون فان قال صفت عن إجابته عرضي وإن لام لأثم
وأما الذي مثل فان زل أو هفا تخضلت إن الفضل بالحلم حاكم

(بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام)

اعلم أن كل ظلم صدر من شخص فلا يجوز مقابله به مثله فلا يجوز مقابلة القبيح بالبيح ولا مقابلة الجسوس بالجسوس ولا السب بالسب وكذلك سائر المماهي وإنما القصص والقرائن على قدر ما ورد الشرع به وقد فصلناه في الفتحة . وأما السب فلا يقابل بمثله إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه» (١) وقال «السدان ما قالوا فهو على البادي ما لم يجد المطاوع» وقال «السدان شيطانان يتآمران» (٢) «وغم رجل أبا بكر الصديق رضي الله عنه وهو ساكت فلما ابتدأ يتنصر منه قام رسول الله ﷺ فقال أبو بكر إنك كنت ساكنا لما شتمني فلما تكلمت قلت نال لأن الملك كان يجب عنك فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم أكن لأجلس في مجلس فيه الشيطان» (٣)

(١) حديث إن امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه أحمد من حديث جابر بن مسلم وقد تقدم
(٢) حديث للسدنان شيطانان يتآمران تقدم (٣) حديث شتم رجل أبا بكر رضي الله عنه وهو ساكت فلما ابتدأ يتنصر منه قام صلى الله عليه وسلم الحديث أبو داود من حديث أبي هريرة متصلا ومرسلا قال البخاري للرسول أصح .

الصل من وهج
السطوة الإلهية
والعظمة الربانية
ما يزول به اعوجاجه
بل يتحقق به معراج
فالمصلى كالصلى بالنار
ومن اصطفى بنار الصلاة
وزال بها اعوجاجه
لا يمرض على نار جهنم
إلا نخله القسم . أخبرنا
الشيخ العالم رضى
الله عن أحمد بن إسماعيل
القزويني إجازة قال أنا
أبو سعيد محمد بن أبي
الباس بن محمد بن أبي
الباس الحليل قال أنا
أبو سعيد الفرخزادى
قال أنا أبو إسحاق أحمد
ابن محمد قال أنا

وقال قوم يجوز للقبالة بما لا كذب فيه وإنما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مقابلة التعبير عنه
 نهى تنزيهه والأفضل تركه ولكنه لا يحى به والذي رخص فيه أن تقول من أنت وهل أنت إلامن
 بن فلان كما قال سعد ابن مسعود وهل أنت إلا من بن هذيل وقال ابن مسعود وهل أنت إلامن بن
 أمية ومثل قوله يا أحمق قال مطرف كل الناس أحمق فيما بينه وبين ربه إلا أن بعض الناس أقل حماقة
 من بعض وقال ابن عمر في حديث طويل حتى ترى الناس كلهم حمقى في ذات الله تعالى (١) وكذلك قوله
 يا جاهل إذا من أحد إلا وفيه جهل قد آذاه بما ليس بكذب وكذلك قوله يا سيدي الخاق يا صفيق الوجه
 يا ثلثي للأعراس وكان ذلك فيه وكذلك قوله لو كان فيك حياة لما تكلمت وما أحرك في عيني بما
 فعلت وأخزلك الله وانتقم منك . فأما النجعة والقيية والكذب وسب الوالدين لحرام بالافتقار لما روى
 أنه كان بين خالد بن الوليد وسعد كلام فذكر رجل خالدًا عند سعد فقال سعد من إن ما بيننا لم يبلغ
 ديننا يعني أن يأثم بضنا في بعض فلم يسمع السوء فكيف يجوز لأن نقوله والدليل على جواز ما ليس
 بكذب ولا حرام كالنسبة إلى الزنا والقبح والسب مآرث عائشة رضي الله عنها وأن أزواج النبي صلى
 الله عليه وسلم أرسلن إليه فاطمة فجاءت فقالت يا رسول الله أرسلني إليك أزواجك يسألك العدل في
 ابنة أبي تحافة والتي صلى الله عليه وسلم نأثم فقال يا بنية أعجبين ما أحب قالت نعم قال فأحي هذمه فجئت
 إليهن فأخبرتهن بذلك فقلن ما أغيت عنا شيئًا فأرسلن زينب بنت جحش قالت وهي التي كانت تسامني
 في الحب فجاءت فقالت بنت أبي بكر وبنت أبي بكر لما زالت تذكرني وأنا ما كتنة أنتظر أن يأذن لي
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجواب فأذن لي فسيبتها حتى جف لساني فقال النبي صلى الله عليه
 وسلم : كلا إنها ابنة أبي بكر (٢) . يعني أنك لا تقاومينها في الكلام فطوقوها بسيبها ليس البراءة القبح
 بل هو الجواب عن كلامها بالحق ومقابلتها بالصدق وقال النبي صلى الله عليه وسلم « السببان ما قالوا لفضل
 البادي » منهما حتى يعتدي الظالم (٣) . فأثبت للظالم انتصار إلى أن يعتدي بهذا القدر وهو الذي أباحه
 هؤلاء وهو رخصة في الإيذاء جزاء من إيذائه السابق ولا تبدل الرخصة في هذا القدر ولكن الأفضل
 تركه فإنه يجره إلى ماوراءه ولا يمكنه الانتصار على قدر الحق فيه السكوت عن أصل الجواب لعله أسير
 من الشرع في الجواب والوقوف على حد الشرع فيه ولكن من الناس من لا يقدر على ضبط نفسه
 في قوة الضبط ولكن يمود سريعاً ومنهم من يكف نفسه في الابتداء ولكن يعتدي في الدوام والناس
 في الضبط أربعة فبعضهم كالخلفاء سريع الوقود سريع الجود وبعضهم كالنضابطة « الوقود بطيء » الجود
 وهذا هو بطيء « الوقود سريع » الجود وهو الأحمد ما لم يعتدي في فتور الحجة والغيرة وبعضهم سريع الوقود
 بطيء « الجود وهذا هو شرهم وفي الخبر » المؤمن سريع الضبط سريع الرضى فهذه تلك (٤) وقال
 الشافعي رحمه الله من استغضب فلم يضبط فهو حمار ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان وقد قال
 أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات شتى
 فمنهم بطيء الضبط سريع الغنى ومنهم سريع الضبط سريع الغنى فتلك تلك ومنهم سريع
 الضبط بطيء الغنى ألا وإن خيرهم البطيء الضبط السريع الغنى وشرهم السريع الضبط البطيء الغنى » (٥)

قال أنا أحمد بن نصر
 قال ثنا آدم بن أبي
 إياس عن ابن جهمان
 عن الصلاء بن
 عبد الرحمن عن أبيه
 عن أبي هريرة رضي
 الله عنه أن النبي صلى
 الله عليه وسلم قال « يقول
 الله عز وجل سمعت
 الصلاة بيني وبين
 عبدي نصفين فإذا قال
 العبد بسم الله الرحمن
 الرحيم قال الله عز وجل
 مجدي عبدي فإذا
 قال الحمد لله رب العالمين
 قال الله تعالى حمدي
 عبدي فإذا قال
 الرحمن الرحيم قال الله
 تعالى أني على عبدي
 فإذا قال مالك يوم
 الدين قال قوض إلى
 عبدي فإذا قال إياك
 نعبد وإياك نستعين
 قال هذا بيني وبين

- (١) حديث ابن عمر في حديث طويل حتى ترى الناس كلهم حمقى في ذات الله تعالى
 (٢) حديث عائشة إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أرسلن فاطمة فقالت يا رسول الله أرسلني
 أزواجك يسألك العدل في ابنة أبي تحافة الحديث رواه مسلم (٣) حديث السببان ما قالوا لفضل
 البادي الحديث رواه مسلم وقد تقدم (٤) حديث المؤمن سريع الضبط سريع الرضى تقدم .
 (٥) حديث أبي سعيد الخدري ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات الحديث تقدم .

ولما كان الغضب مهيج ويؤثر في كل إنسان وجب على السلطان أن لا يمايق أحدا في حال غضبه لأنه ربما يندى الواجب ولأنه ربما يكون متعظا عليه فيكون متشعبا لفظه ومرحبا نفسه من ألم القبط فيكون صاحب حظ فينبغي أن يكون انتقامه وانتصاره لله تعالى لا لنفسه . ورأى عمر رضي الله عنه سكران فأراد أن يأخذه ويمزعه فشتمه السكران فرجم عمر قتيلا به بأمر المؤمنين لما هتمك تركته قال لأنه أغضبني ولو عزرتي لكان ذلك لنفسي نفسي ولم أحب أن أضرب مسلما حية لنفسي . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله لرجل أغضب لولا أنك أغضبتني لما قيتك .

(القول في معنى المحقود وتأثيره وفضيلة العفو والرفق)

اعلم أن الغضب إذا أزم كلفه لعجز عن التفتي في الحال رجع إلى الباطن واحتقن فيه فصار حقدًا ومعنى المحقود أن يلزم قلبه استتقاله والبغضة له والنفاق عنه وأن يدوم ذلك ويوق وقد قال صلى الله عليه وسلم «للمؤمن ليس بمحقود» (١) فالمحقود تجر الغضب والحقد يشترعمانية أمور: الأول الحسد وهو أن يحسد المحقود في أن تمنى زوال النعمة عنه فتتم نعمة إن أصابها وتسر بمصيبة إن زلت به وهذا من فعل المنافقين وسيأتي ذمه إن شاء الله تعالى . الثاني أن يزيد على إضمار الحسد في الباطن فتشتبها بأصابعه من البلاد . الثالث أن تهجره وتصارمه وتقطع عنه وإن طلبك وأقبل عليك . الرابع وهو دونه أن تعرض عنه استغفاره . الخامس أن تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وإفشاء سر وهتك ستر وغيره . السادس أن تحاكيه استهزاء به وسخرية منه . السابع إيذاؤه بالضرب وما يؤلم بدنه . الثامن أن تمنه حقه من قضاء دين أو صلة رحم أو رد مظلمة وكل ذلك حرام وأقل درجات المحقود أن تحترز من الآفات الخمسة المذكورة ولا تخرج بسبب المحقود إلى ما تنهى الله به ولكن تستقله في الباطن ولا تنهى قلبك عن بغضه حتى تنتع عما كنت تطوع به من البشاعة والرفق والعناية والقيام بحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله تعالى والمعاونة على النعمة له أو ترك الدعاء له والثناء عليه أو التحريض على بره ومواساته فهذا كله مما ينقص درجاتك في الدين ويحول بينك وبين فضل عظيم وثواب جزيل وإن كان لا يضرنا لعقاب الله ولما حلف أبو بكر رضي الله عنه أن لا ينق على مسطح وكان قريبه لسكونه تكلم في واقعة الإفك زل قوله تعالى - ولا يأئل أولوا الفضل منكم - إلى قوله - ألا نحبون أن يغفر الله لكم - فقال أبو بكر نعم نحب ذلك وعاد إلى الاتفاق عليه (٢) والأولى أن يبقى على ما كان عليه فإن أمكنه أن يزيد في الاحسان مجاهدة للنفس وإرغامًا للشيطان فذلك مقام الصديقين وهو من فضائل أعمال القرينين فللمحقود ثلاثة أحوال عند القدرة . أحدها أن يستوفي حقه الذي يستحقه من غير زيادة وقصان وهو العدل . الثاني أن يحسن إليه بالعفو والصلة وذلك هو الفضل . الثالث أن يظلمه بما لا يستحقه وذلك هو الجور وهو اختيار الأراذل والثاني هو اختيار الصديقين وأول هو منتهى درجات الصالحين ولذا ذكر الآن فضيلة العفو والاحسان .

(فضيلة العفو والاحسان)

اعلم أن معنى العفو أن يستحق حقا فيسقطه ويرى عمن قصاص أو غرامة وهو غير الحلم وكظم

(فضيلة العفو)

(١) حديث المؤمنين ليس بمحقود تقدم في العلم (٢) حديث لما حلف أبو بكر أن لا ينق على مسطح زل قوله تعالى - ولا يأئل أولوا الفضل منكم - الآية متفق عليه من حديث عائشة .

سدى فإذا قال ساهدتا
الصرط السقيم
صرط الدين أنمت
عليهم غير الضنوب
عليهم ولا الضالين -
قال الله تعالى هذا
ليبدى وليبدى ما نأله
فألا صلة بين الرب
والعبد وما كان صلة
بينه وبين الله خلق
العبد أن يكون خاشعا
لصوطة الربوبية على
العبودية وقد ورد أن
الله تعالى إذا تجلى
لشيء خضع له ومن
يتحقق بالصلة في الصلاة
يلمع له طوابع التجلي
فيخشع والفلاح للذين
هم في صلاتهم خاشعون
وباستقاء الحشود ينمى
الفلاح وقال الله تعالى
وأقم الصلاة لذكري
وإذا كانت الصلاة
لذكر فكيف يقع

التيظ فذلك أقربنا قال الله تعالى - خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين - وقال الله تعالى - وأن تموا أقرب للتقوى - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث والذي نفسي بيده لو كنت حلالا لحلفت عليهن مائة من مال من صدقة تصدقوا ولا عفا رجل عن مظلة ينتهي بها وجه الله لإزاده الله بها عزاء يوم القيامة ولا تنح رجل على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « التواضع لا يزيد العبد إلا الرقة فتواضعوا يرضيكم الله والعفو لا يزيد العبد إلا عزاء فاعفوا يرضيكم الله والصدقة لا تزيد المال إلا كثرة تصدقوا يرحمكم الله (٢) » وقالت عائشة رضي الله عنها « ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلة ظلمها قط ما لم يتكلم من عارم الله فإذا اتكلم من عارم الله شيء كان أشد من ذلك غضبا وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إيماء (٣) » وقال عقبه « قيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فابتدرته فأخذت يده أودبرني فأخذ يدي فقال : يا عقبية ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة تصل من قطعك وتمطي من حرملك وتعفو عمن ظلمك (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « قال موسى عليه السلام يارب أي عبادك أعز عليك قال الذي إذا قدر عفا (٥) » وكذلك سئل أبو الدرداء عن أعز الناس قال الذي يعفو إذا قدر فاعفوا يرضيكم الله (٦) » وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو مظلة فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يجلس وأراد أن يأخذه بمظلمته فقال له صلى الله عليه وسلم : إن الظالمين هم الفلاحون يوم القيامة (٧) » فأبى أن يأخذها حين سمع الحديث وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا بث الله الحلاق يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش ثلاثة أصوات : يا مبشر للوحدين إن الله قد عفا عنكم فليعب بعضكم عن بعض (٨) » وعن أبي هريرة « أن رسول الله

فيها النسيان قال الله تعالى - لا تحزنوا للصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون - فمن قال ولا يعلم ما يقول كيف يحلى وقد نهاه الله عن ذلك فالسكران يقول الشيء لا بحضور عقل والناقل يحلى لا بحضور عقل فهو كالسكران وقيل في غرائب التفسير في قوله تعالى - فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى - قيل نعليك همك بأمرك وغنمك فالاهتمام بغير الله تعالى سكر في الصلاة وقيل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفون أبصارهم إلى السماء في الصلاة وينظرون عينا وشهلا فلما نزلت

(١) حديث ثلاث والذي نفسي بيده إن كنت حلالا لحلفت عليهن ما قصت صدقة من مال الحديث الترمذي من حديث أبي كبشة الأنماري وسلم وأبي داود نحوه من حديث أبي هريرة (٢) حديث التواضع لا يزيد العبد إلا الرقة فتواضعوا يرضيكم الله الأصفهاني في الترغيب والترهيب وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف (٣) حديث عائشة ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلة ظلمها قط الحديث الترمذي في الشمائل وهو عند مسلم بلفظ آخر وقد تقدم (٤) حديث عقبية بن عامر يا عقبية بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة تصل من قطعك الحديث ابن أبي الدنيا والطبراني في معارج الأخلاق والبيهقي في الشعب بإسناد ضعيف وقد تقدم (٥) حديث قال موسى يارب أي عبادك أعز عليك قال الذي إذا قدر عفا الحراطل في معارج الأخلاق من حديث أبي هريرة وفيه ابن لهيعة (٦) حديث إن الظالمين هم الفلاحون يوم القيامة وفي أوله قصة ابن أبي الدنيا في كتاب العفو من رواية أبي صالح الحنفي مرسل (٧) حديث أنس إذا بث الله عز وجل الحلاق يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش ثلاثة أصوات يا مبشر للوحدين إن الله قد عفا عنكم فليعب بعضكم عن بعض أبو سعيد أحمد بن إبراهيم القرني في كتاب البصرة والذكر بلفظ ينادي مناد من بطنان العرش يوم القيامة يا أمه محمد إن الله تعالى يقول ما كان لي قبلكم قد وهبته لكم وبقيت التبعات فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتي وإسناده ضعيف ورواه الطبراني في الأوسط بلفظ ينادي مناد يا أهل الجمع تاركوا المظالم ينسلكم وتوابكم على أوله من حديث أم هانئ ينادي مناد يا أهل التوحيد لييب بعضكم عن بعض وعلى التواب .

صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم أتى الكعبة فأخذ بضائق الباب فقال ماخولون وما تظنون فقالوا قولنا أع وابن عم حليم رحيم قالوا ذلك فلانا فقال صلى الله عليه وسلم أقول كما قال يوسف - لا تثرِب عليكم اليوم يضر الله لكم وهو أرحم الراحمين (١) قالوا فخرجوا كأنما نزعوا من القبور فدخلوا في الاسلام . وعن سهيل بن عمرو قال - لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وضع يديه على باب الكعبة والناس حوله فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده نصر عبده وهزم الأحزاب وحده ثم قال يا معشر قريعي ماخولون وما تظنون ؟ قال قلت يا رسول الله قول خيرا ونظن خيرا أيع كرم ابن عم رحيم وقد قدرت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقول كما قال أخى يوسف - لا تثرِب عليكم اليوم يضر الله لكم - (٢) وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا وقف البعاد نادى مناد ليقيم من أجره على الله فليدخل الجنة قبل ومن ذا الذي على الله أجر ؟ قال العافون عن الناس فيقوم كذا وكذا ألما فدخلوها بغير حساب (٣) » وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يبنى لوالى أمر أن يؤتى مجد إلا أقامه والله غفرهيب الغو ثم قرأ - وليفروا وليصنعوا - الآية (٤) » وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من جاء بهن مع إيمان دخل من أى أبواب الجنة شاء وزوج من الجور العين حيث شاء من أذى ديننا خفيا وقرأ فى بر كل صلاة - قل هو الله أحد - عشر مرات وغفاهن قائله قال أبو بكر أو إحداهن يا رسول الله قال أو إحداهن (٥) . والآثار قال إبراهيم التيمي إن الرجل يظلم فى أمر حرموه إذا أحسان وراء الصو لأنه يشتغل قلبه بترسه لحسية الله تعالى بالظلم وأنه يطلب يوم القيامة فلا يكون له جواب . وقال بعضهم إذا أراد الله أن يثيب عبدا قيس له من يظلمه ويدخل رجل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فيقبل يشكو إليه رجلا ظلمه ويقع فيه فقال له عمر إنك أن تلقى الله ومظلمتك كماهى خير لك من أن تلقاه وقد اعتصمنا . وقال يزيد بن ميسرة إن ظلمت تدعو على من ظلمك فإن الله تعالى يقول إن آخر يدعو عليك بأنك ظلمت فإن شئت استجبنا لك وأجبنا عليك وإن شئت أخرتكما إلى يوم القيامة فيصعكا غوى . وقال مسلم بن يسار لرجل دعا على ظالمه كل الظالم إلى ظلمه فانه أسرع إليه من دعاكك عليه إلا أن يتداركه بعمل ولئن أن لا يعمل . وعن ابن عمر عن أبى بكر أنه قال بلنا أن الله تعالى يأمر مناديا يوم القيامة فينادى من كان له عند الله شئ فليقيم فيقوم أهل الصو فيكافئهم الله بما كان من غفوم عن الناس . وعن هشام بن محمد قال أتى النعمان بن النضر رجلين قد أذنب أحدهما ذنبا عظيما فمعا عنه والآخر أذنب ذنبا خفيفا ضاق به وقال :

معو للفرق عن المظلم من الذنوب بغضها
وقد حجاب في اليسير وليس ذاك لجهلها

(١) حديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم أتى الكعبة فأخذ بضائق الباب فقال ماخولون وما تظنون الحديث رواه ابن الجوزى فى الوفاء من طريق ابن أبى الدنيا وفيه حذف (٢) حديث سهيل بن عمرو لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وضع يديه على باب الكعبة الحديث ينحصر لم أجده (٣) حديث أنس إذا وقف البعاد نادى مناد ليقيم من أجره على الله فليدخل الجنة قبل من ذا الذى أجره على الله قال العافون عن الناس الحديث الطبرانى فى معارج الآثار وفيه الفضل ابن يسار ولا يتابع على حديثه (٤) حديث ابن مسعود لا يبنى لوالى أمر أن يؤتى مجد إلا أقامه والله غفرهيب الغو الحديث أحمد وإلحاكم وصححه وفتح فى آداب الصحة (٥) حديث جابر ثلاث من جاء بهن مع إيمان دخل الجنة من أى أبواب الجنة شاء الحديث الطبرانى فى الأوسط وفى المعاد بسند ضعيف .

- الذين هم فى صلواتهم
خلصون - جملوا
وجوههم حيث
يسجدون وما رؤى بعد
ذلك أحد منهم بقة .
إلا إلى الأرض وروى
أبو هريرة رضى الله
عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال
« إن البعد إذا قلم إلى
الصلاة فانه بين يدي
الرحمن فإذا التفت فإلى
له الرب إلى من تلتفت
إلى من هو خير لك منى
إلى من أتى قبل إلى فإلى
خير لك ممن تلتفت
إليه » وأبصر رسول
الله صلى الله عليه وسلم
رجلا يبيت ببعثه فى
الصلاة قال لو خشع
قلب هذا خشعت
جوارسه . ولقد قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم « إنما صليت

إلا يعرف حلها وخاف شدة دخلها

وعن مبارك بن فضالة قال: وفد سوار بن عبد الله في وفد من أهل البصرة إلى أبي جعفر قال: فقلت
عنده إذا أتى رجل فأمر بقتله قلت يقتل رجل من المسلمين وأنا حاضر فأتى أمير المؤمنين لأحدك
حديثاً سمعته من الحسن قال: وما هو؟ قلت سمعته يقول: إذا كان يوم القيامة جمع الله عز وجل الناس
في صعيد واحد حيث يسبهم الداعي وينفهم البصر فيقوم مناد فينادي من له عند الله يد فليتم
فلا يقوم إلا من عفا قال: والله لقد سمعته من الحسن قلت: والله لسمعت منه قال: خلتنا عنه . وقال
داوية عليكم الحلم والاحتمال حتى تمسككم الفرسة فإذا أمسكتكم فليكم الصنع والإيصال . وروى
أن راعباً دخل على هشام بن عبد الملك قال للراغب: أ رأيت ذا القرنين؟ كان نبياً؟ فقال: لا ولكنه إنما
أعطى ما أعطى بأربع خصال: كنه فيه . كان إذا قدر عفا وإذا وعد وفى وإذا حدث صدق ولا يجمع
شغل اليوم لعدو . وقال بعضهم: ليس الحلم من علم ظلم حتى إذا قدر استم ولا يكن الحلم من ظلم ظلم حتى
إذا قدر عفا . وقال زياد القدرة: ذهب الحنطة بيني الحنفد والغضب . وأتى هشام رجل بلفه عن أمر
فلما أقبل بين يديه جمل يشكم بحجته فقال له هشام وتسلمك؟ فقال: لا . فقال الرجل: يا أمير المؤمنين قال: والله
عز وجل . يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها . أفجاد الله تعالى ولا تسلمك بين يديك كلاماً .
قال هشام بلى ويحك تسلم . وروى أن سارقاً دخل خباء عمار بن ياسر بصفيق ثقيل له اقطعه عنه
من أعدائنا فقال بل أستر عليه لمن الله يستر على يوم القيامة . وجلس ابن مسعود في السوق ينتاب طعماً
فأتبع ثم طلب الدرهم وكانت في عمامته فوجدتها قد حلت لتدجلت وإيها لم يفعلا . يدعون
على من أخذها ويقولون: اللهم اقطع يد السارق الذي أخذها اللهم اقلع به كذا . فقال عبد الله: اللهم
إن كان حمله إلى أخفها حاجة فبارك له فيها وإن كان حملته جرامة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه .
وقال الفضيل ما رأيت أزهدهم من رجل من أهل خراسان جلس إلى في السجدة الحرام ثم قام لظوف
فصرقت دناير كانت معه فجعل يبكي فقلت: أخطى الدناير يبكي؟ فقال لا ولكن مكثتني وإياي بين يدي الله
عز وجل فأشرف فعلى على إحداض حجته فكأن رحمة له وقال مالك بن دينار: أتينا منزل الحكم
ابن أيوب ليلا وهو على البصرة أمير وجاء الحسن وهو خائب فدخلنا معه عليه فما كنا مع الحسن
إلا بمنزلة الفرائج فذكر الحسن قصة يوسف عليه السلام وما صنع بإخوته من نعمهم بإيواء طرهم
له في الجب فقال باعوا أخاهم وأحزنوا أباهم وذكر مالقى من كيد النساء ومن الحبس ثم قال: يا أبا الأمير
ماذا صنع الله بآدم آذاله منهم ورفع ذكره وأعطى كلته وجعله على خزائن الأرض فإذا صنع حيناً أكمل
له أمره وجمع له أهله . قال لانترب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين . عرض للحكم
بالعفو عن أصحابه قال الحكم: فأنأ أقول لانترب عليكم اليوم ولو لم أجد إلا نوبى هذا لو أريتكم
نمته وكذب ابن القمعة إلى صديق له بسأله العفو عن بعض إخوانه فلان هارب من زله إلى غفوك
لائذ منك بك . واعلم أنه لمن زداد الذنب عظام إلا ازداد العفو فضلاً . وأتى عبد الملك بن مروان
بأسارى ابن الأشعث فقال لرجاء بن حيوة مائرى؟ قال: إن الله تعالى قد أعطاك ما تعب من الظفر
فأعط الله ما تعب من العفو صفاهم . وروى أن زياداً أخذ رجلاً من الخوارج فأقلت منه فأخذ
أخاه فقال له: إن جئت بأخيك وإلا ضربت عنقك فقال: أ رأيت إن جئت بكاب من أمير المؤمنين
تخلى سبيلى قال نعم قال فأنأ أتيتك بكتاب من المرز الحكم وأقيم عليه شاهدين إبراهيم وموسى
ثم تلا . ألم لا يتأ بمأ في صعب موسى وإبراهيم الذي أن لا تزوروا عزوراً أخرى . فقال زياد: خلوا
سبيله هذا رجل قد هزن حجته . وقيل مكتوب في الأجل من اسمهم لم يظله قتلهم الشيطان .

فصل صلاة مودع

فالصلى سائر إلى الله
 تعالى قلبه. وودع مولاه
 ودينه وكل شيء. وسماه
 بالصلاة في اللغة هي
 الدعاء فكان الصلى
 يدعوا لله تعالى بجميع
 جوارحه فصارت
 أعضاؤه كلها ألسنة
 يدعوا بها ظاهرا وباطنا
 ويشاركه الظاهر
 الباطن بالتضرع
 والوقلب والحيث في
 غلقات بتضريح سائل
 محتاج فإذا دعا بكنيته
 أجابه مولاه لأنه وعده
 فقال - ادعوني -
 استجب لكم - كان
 خادما لله يقول عجب
 لهذه الآية - ادعوني
 استجب لكم سأمرهم
 بالدعاء وودعهم الإجابة
 وليس بينهم شرط
 والاستجابة والإجابة

(فضيلة الرفق)

اعلم أن الرفق محمود وبضاده العنف والحدة والعنف نتيجة الغضب والقضاظة والرفق واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة وقد يكون سبب الحدة الغضب وقد يكون سبب اشد الحرس واسيلاء بحيث يدهش عن التفكير وينبع من الثبوت فالرفق في الأمور حمزة لا يضرها إلا حسن الخلق ولا يحسن الخلق إلا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال ولأجل هذا أنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرفق وبالغ فيه فقال «يا عائشة إنه من أعطى حظه من الرفق قد أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة ومن حرم حظه من الرفق قد حرم حظه من خير الدنيا والآخرة»^(١) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرفق»^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على الحرق وإذا أحب الله عبداً أعطاه الرفق وما من أهل بيت يحرمون الرفق إلا حرموا محبة الله تعالى»^(٣) وقالت عائشة رضى الله عنها قال النبي صلى الله عليه وسلم «إن الله رقيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف»^(٤) وقال عليه السلام «يا عائشة ارفقي فإن الله إذا أراد بأهل بيت كرامة دلم على باب الرفق»^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم «من حرم الرفق حرم الخير كله»^(٦) وقال صلى الله عليه وسلم «أبما والى فرقي ولان رفق الله تعالى به يوم القيامة»^(٧) وقال صلى الله عليه وسلم «تدرون من يحرم على النار يوم القيامة كل حين لين سهل قريب»^(٨) وقال صلى الله عليه وسلم «الرفق بين والخرق شؤم»^(٩) وقال عليه السلام «والثاني من الله والمجبة من الشيطان»^(١٠) وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه رجل فقال يا رسول الله «إن الله قد بارك لجميع المسلمين فيك فأخصني منك بخير قال الحمد لله مرتين أو ثلاثاً ثم أقبل عليه فقال هل أنت متوسوس مرتين أو ثلاثاً قال نعم قال إذا أردت أمراً تدبر عاقبته فإن كان رشداً فأضه وإن كان بسوى ذلك فاته»^(١١)

(فضيلة الرفق)

(١) حديث يا عائشة إنه من أعطى حظه من الرفق قد أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة الحديث أحمد والقبيل في الضعفاء في ترجمة عبد الرحمن بن أبي بكر اللبكي وضمه عن القاسم عن عائشة وفي الصحيحين من حديثها يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله (٢) حديث إذا أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرفق أحمد بسند جيد والبيهقي في الشعب بسند ضعيف من حديث عائشة (٣) حديث إن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على الحرق الحديث الطبراني في الكبير من حديث جرير بإسناد ضيف (٤) حديث إن الله رقيق يحب الرفق الحديث مسلم من حديث عائشة (٥) حديث يا عائشة ارفقي إن الله إذا أراد بأهل بيت كرامة دلم على باب الرفق أحمد من حديث عائشة وفيه اشطاع ولأبي داود يا عائشة ارفقي (٦) حديث من حرم الرفق حرم الخير كله مسلم من حديث جرير دون قوله كله فهمى عند أبي داود (٧) حديث أيما والى فلا ن ورفق رفق الله به يوم القيامة مسلم من حديث عائشة وفي حديث فيه ومن ولى من أمر أمي شيئا فرقي بهم فارقي به (٨) حديث تدرون على من تحرم النار على كل حين لين سهل قريب الترمذي من حديث ابن مسعود وقدّم في آداب الصلوة (٩) حديث الرفق بين والخرق شؤم الطبراني في الأوسط من حديث ابن مسعود والبيهقي في الشعب من حديث عائشة وكلاهما ضيف (١٠) حديث الثاني من الله والمجبة من الشيطان أبو يعلى من حديث أنس ورواه الترمذي وحسنه من حديث سهل بن سعد أفظ الأمانة من الله وقدّم (١١) حديث أتاه رجل قال يا رسول الله إن الله قد بارك لجميع المسلمين فيك الحديث وفيه فاذا أردت أمراً تدبر عاقبته فإن كان رشداً فأضه الحديث ابن المبارك في الزهد والرقائق من حديث أبي جعفر

هي تقود دعاء العبد
فإن الداعي الصادق
العا لم يمن بدعوه بنور
بينه فخرق الحجب
وتقف الدعوة بين
يدي الله تعالى متقاربة
للحاجة ونص الله
تعالى هذه الأمة بالازال
فاتحة الكتاب وفيها
تقديم الثناء على الدعاء
ليكون أسرع إلى
الاجابة وهي تلمح الله
تعالى عباده حكيمة
الدعاء وفاتحة الكتاب
هي السبع للثاني
والقرآن العظيم قيل
سميت مثنى لأنها نزلت
على رسول الله صلى الله
عليه وسلم مرتين مرة
بمكة ومرة بالمدينة
وكان لرسول الله
صلى الله عليه وسلم
بكل مرة نزلت منها فهم
آخر بل كان لرسول

وعن عائشة رضي الله عنها « أنها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر على بئر صعب فجعلت تصرفه بيننا وبعثنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عائشة عليك بالرفق فإنه لا يدخل في شيء إلا إزاة ولا ينزع من شيء إلا شاة ^(١) ». الآثار : بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن جماعة من رعيته اشتكوا من عماله فأمرهم أن يوافوه فلما أتوه قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس أيها الرعية إن لنا عليكم حقا النصبة بالتيب والمعاونة على الخير ، أيها الرعاة إن للرعية عليكم حقا فاعلموا أنه لا شيء أحب إلى الله ولا أعز من حلم إمام ورقته وليس جعل أبش إلى الله ولا أعز من جهل إمام وخرقه ، واعلموا أنه من يأخذ بالعاقبة فيمن بين ظهريه يرزق العاقبة بمن هو دونه. وقال وجه بن منبه الرفق نقي الحلم ، وفي الخبر موقوفا ومرفوعا « العلم خليل للؤم والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قيمه والرفق والده واللين أخوه الصبر أمير جنوده ^(٢) ». وقال بعضهم : ما أحسن الإيمان بزيه العلم وما أحسن العلم بزيه العمل وما أحسن العمل بزيه الرفق وما أضيف شيء إلى الولاء. قال فما الحرق ؟ قال معاداة إيمانك ومناوأة من يقدر على ضررك. وقال سفيان لأصحابه تدرون ما للرفق قالوا قل يا أبا محمد قال أن تضع الأمور من مواضعها الشدة في موضعها واللين في موضعه والسيف في موضعه والوسط في موضعه ، وهذه إشارة إلى أنه لا بد من مزج اللطافة واللين والفظافة بالرفق كما قيل :

وضع الندى في موضع السيف بالعلل مضر كوضع السيف في موضع الندى

فالمعمود وسط بين العنف واللين كافي سائر الأخلاق ولكن لما كانت الطباع إلى العنف والحدة تأميل كانت الحاجة إلى ترغيبهم في جانب الرفق أكثر فذلك كثرة الشرائع على جانب الرفق دون العنف وإن كان العنف في محله حسنا كما أن الرفق في محله حسن فإذا كان الواجب هو العنف فتدوفا الحق المأمور وهو ألهم من الرشد وهكذا . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : روي أن عمرو بن العاص كتب إلى معاوية يعاتبه في الثاني فكتب إليه معاوية . أما بعد : فإن التفهم في الخير زيادة رشد وإن الرشيد من رشد عن العجلة وإن الخائب من خاب عن الأناة وإن التثبت مصيب أو كاد أن يكون مصيبا وإن العجل عظمى . أو كاد أن يكون عظيما وإن من لا ينفعه الرفق يضره الحرق ومن لا ينفعه التجارب لا يدرك الله إلى ، وعن أبي عون الأنصاري قال ماتكم الناس بكلمة صعبة إلا وإلى جانبها كلمة ألين منها تجري مجراها . وقال أبو حمزة السكوني لا تتخذ من الخلد إلا ما لا بد منه فإن مع كل إنسان شيطانا واعلم أنهم لا يعطونك بالشدة شيئا إلا أعطوك باللين ما هو أفضل منه. وقال الحسن المؤمن وقاف متأن وليس لك مخاطب ليل فهذا ثناء أهل العلم على الرفق وذلك لأنه محمود ومفيد في أكثر الأحوال وأغلب الأمور والحاجة إلى العنف قد تقع ولكن على التدور وإعطاء الكلام من يميز مواقع الرفق عن مواقع العنف فيبطئ كل أمر حقه فإن كان قاصر البصيرة أو أشكل عليه حكم واقعة من الوقائع فليكن ميله إلى الرفق فإن النجح معه في الأكثر .

هو السمي عبدالله بن مسور الهاشمي ضعيف جدا ولأبي نعيم في كتاب الإيجاز من رواية إسماعيل الأنصاري عن أبيه عن جده إذا هممت بأمر فاجلس فدر عاقبه وإسناده ضعيف (١) حديث عائشة عليك بالرفق فإنه لا يدخل في شيء إلا إزاة الحديث رواه مسلم (٢) حديث العلم خليل للؤم والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قائمه والرفق والده أبو الشيخ في كتاب الثواب وفوائد الأعمال من حديث أنس بسند ضعيف ورواه القاضي في مسند الشام من حديث أبي الدرداء أبي هريرة وكلاهما ضيف.

الله صلى الله عليه وسلم
بكن حمة يقرؤها على
الترداد مع طول الزمان
فهم آخر وهكذا الصالحون
المتفنون من أمته
يتكشف لهم محاسن
أسرارها وتقذف لهم
كل مرة درر بحارها
وقيل سميت منى لأنها
استثبتت من الرسل
وهي سبع آيات وروى
لم رومان قلت رأيت
أبو بكر وأنا أتجلى في
الصلاة فزجرتني زجرا
كدت أن أنصرف
عن صلاتي ثم قال
سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول
« إذا قام أحدكم إلى
الصلاة فليكن نظراته
لا يتنيل غير البودفان
سكون الأطراف من
تمام الصلاة » وقال
رسول الله صلى الله

(القول في ذم الحسد وفي حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب في إزالته)

(بيان ذم الحسد)

اعلم أن الحسد أيضا من نتائج الحقد والحقد من نتائج الغضب فهو فرع فرع والغضب أصل أصله ثم إن للحسد من الفروع الدبعة ما لا يكاد يحصى ، وقد ورد في ذم الحسد خاصة أخبار كثيرة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » (١) وقال صلى الله عليه وسلم في التهي عن الحسد وأسبابه وغراته « لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تباغضوا ولا تُتدابروا وكونوا عباد الله إخوانا » (٢) وقال أنس « كنا يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة قال فطلع رجل من الأنصار بنفض لحيتيه من وضوئه قد علق نعليه في يده النبال فسلم فلما كان القد قال صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فطلع ذلك الرجل وقاله في اليوم الثالث فطلع ذلك الرجل فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم تبعه عبدالله بن عمرو ابن العاص فقال له إنى لأحيت أبى فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلثا فان رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي الثلاث فقلت فقال نعم فبات عنده ثلاث ليال فلم يره يقوم من الليل شيئا غير أنه إذا انقلب على فراشه ذكر الله تعالى ولم يتم حتى يقوم لصلاة الفجر قال غير أنى ما سمعته يقول بالآخر انقلبتم الثلاث وكردت أن أحضر عمله قلت يا عبد الله لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هجرة ، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا فأردت أن أعرف عملك فلم أرك تعمل عملا كثيرا لما الذي بلغ بك ذلك فقال ماهو إلا مارأيت فلما ولبت دعائي فقال ماهو إلا مارأيت غير أن لا أجد على أحد من المسلمين في نفسى غشا ولا حسدا على خير أعطاه الله إياه قال عبد الله فقلت له هي التي بلغت بك وهي التي لا نطبق » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاث لا ينجون من أحد الظن والطيرة والحسد وسأحدثكم بالفرج من ذلك إذا ظننت فلا تحققي وإذا تطيرت فامضي وإذا حسدت فلا تبغ » (٤) وفي رواية « ثلاثة لا ينجو منهن أحد وقل من ينجو منهن » فأنبت في هذه الرواية إمكان النجاة وقال صلى الله عليه وسلم « دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء والبغضة هي الحالفة لا أقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدين والذي نفس محمد بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا وإن تؤمنوا حتى تحابوا ألا أنبئكم بما يثبت ذلك لكم أفشوا السلام بينكم » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم

(القول في ذم الحسد)

(١) حديث الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أبو داود من حديث أبي هريرة وابن ماجه من حديث أنس وقد تقدم (٢) حديث لا تقاطعوا ولا تتدابروا ولا تباغضوا الحديث متفق عليه وقد تقدم (٣) حديث أنس كنا يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة الحديث بطوله وفيه أن ذلك الرجل قال لا أجد على أحد من المسلمين في نفسى غشا ولا حسدا على خير أعطاه الله رواه أحمد بإسناد صحيح على شرط الشيخين ورواه الزبيري وصلى الرجل في رواية له سعدا وفيها ابن لهيعة (٤) حديث ثلاث لا ينجو منهن أحد الظن والطيرة والحسد الحديث وفي رواية وقل من ينجو منهن ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الحسد من حديث أبي هريرة وفيه يعقوب بن محمد الزهري وموسى بن يعقوب الزمعي ضعفهما الجمهور والرواية الثانية قرأها ابن أبي الدنيا أيضا من رواية عبد الرحمن بن معاوية وهو مرسل ضعيف والطبراني من حديث حارثة ابن النعمان نحوه وتقدم في آفات اللسان (٥) حديث دب إليكم داء الأمم الحسد والبغضاء الحديث الترمذي من حديث مولى الزبير عن الزبير .

عليه وسلم « تؤذوا بالله من خشوع النفاق قبل وما خشوع النفاق قال خشوع البدن ونفاق القلب » . أما عبد اليهود قيل كان موسى يامل بنى إسرائيل على ظاهر الأمور لفة مافي باطنهم فكان يهوى الأمور ويعظمها ولهذا المعنى أوحى الله تعالى إليه أن يحلى التوراة بالذهب ، ووقع على والله اعلم أن موسى كان يرد عليه الوارد في صلاته ومحال مناجاته فيعوج به باطنه كبحر ساكن تهب عليه الريح فتداهل الأمواج فكان تمايل موسى عليه السلام تلاطم أمواج بحر القلب إذا هب عليه نسبات

ابن آدم أخاه حين حسده ثم قرأ - وأقل عليهم نبأ ابن آدم بالحق - الآيات، وإذا ذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمسك وإذا ذكر القدر فامسك وإذا ذكرت النجوم فامسك. وقال بكر بن عبد الله كان رجل يفتنى بمن للولك فيقوم بمخاء للملك فيقول أحسن إلى الحسن بأحسنه فإن الله سيكفيك إساءته لحسده رجل على ذلك لقام والكلام فسمى به إلى الملك فقال إن هذا الذي يقوم بمخاءك ويقول ما يقول زعم أن الملك أخبر فقال له الملك وكيف يصح ذلك عندي قال تدعوه إليك فإنه إذا نامك وضع يده على أذنه ثلاثين ربح البخر فقال له انصرف حتى أنظر نخرج من عند الملك فدعا الرجل إلى منزله فأطعمه طعاما فيه ثوم فخرج الرجل من عنده وقام بمخاء الملك على عادته فقال أحسن إلى الحسن بأحسنه فإن الله سيكفيك إساءته فقال له الملك ادن مني فدنا منه فوضع يده على فيه خافه أن يشم الملك منه رخصة الثوم فقال الملك في نفسه ما أرى فلانا إلا قد صدق قال وكان الملك لا يكتب بخطه إلا بجائزة أو صله فكتب له كتابا بخطه إلى عامل من عماله إذا أتاك حامل كتابي هذا فأخذه واسلخه واحش جلده تبنا وبث به إلى فأخذ الكتاب وخرج فلقبه الرجل الذي سمى به فقال ما هذا الكتاب قال خط الملك لي بصله فقال هبه لي فقال هو لك فأخذه ومضى به إلى العامل فقال العامل في كتابك أن أذبحك وأسلكه قال إن الكتاب ليس هو لي فأنه الله في أمري حتى تراجع الملك فقال ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشا جلده تبنا وبث به ثم عاد الرجل إلى الملك كعادته وقال مثل قوله فضب الملك وقال ما ضل الكتاب فقال لثني فلان فاستوهبه مني فوهبته له قال له الملك إنه ذكر لي أنك تزعم أنني أخبر قال ما قلت ذلك قال فلم وضمت يدك على فيك قال لأنه أطمعني طعاما فيه ثوم ففكرت أن تشبهه قال صدقت أرجع إلى مكانك فقد كفى الله إساءته. وقال ابن سيرين رحمه الله ما حدثت أحدا على شيء من أمر الدنيا لأنه إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو يصير إلى النار وقال رجل للحسن هل يحسد المؤمن قال ما أنساك بنى يقوب نعم ولكن غمه في صدرك فانه لا يترك عالم تعد به بدا ولا لسانا. وقال أبو الدرداء ما أكثر عبيد ذكر الموت إلا قل فرحه وقل حسده وقال معاوية كل الناس أقدر على رضاه إلا حاسد نعمة فانه لا يرضيه إلا زوالها ولذلك قيل :

كل العداوات قد ترجى إيمانها إلا عداوة من عاداك من حسد

وقال بعض الحكماء الحسد جرح لا يبرأ وحسب الحسد ما يليق. وقال أعرابي ما رأيت ظالما أشبه عظمولوم من حاسد إنه يرى النعمة عليك تقمة عليه. وقال الحسن بإبن آدم لم تحسد أخاك فإن كان الذي أعطاه لكرامته عليه فلم تحسد من أكرمه الله وإن كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره إلى النار. وقال بعضهم الحاسد لا ينال من المجالس إلا مغممة وذلا ولا ينال من اللاتسكة إلا لمة وبغضا ولا ينال من الخلق إلا جزعا وغما ولا ينال عند الزرع إلا شدة وهولا ولا ينال عند الوقف إلا فضيحة ونكالا.

(بيان حقيقة الحسد وحكمه وأقسامه ومراتبه)

اعلم أنه لا حسد إلا على نعمة فإذا أنعم الله على أخيك بنعمة فلك فيها حالتان : إحداهما أن تسكره تلك النعمة وتحب زوالها وهذه الحالة تسمى حسدا فالحسد حدة كراهة النعمة فوجب وزوالها عن النعم عليه . الحالة الثانية أن لا تحب زوالها ولا تسكره وجودها ودوامها ولكن تشتهي لنفسك مثله أو هذه تسمى غبطة وقد تخلص باسم للنافسة وقد تسمى للنافسة حسدا والحسد منافسة وبوضع أحد اللفظين موضع الآخر ولا حرج في الأسماء بعد فهم المعاني وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن المؤمن يشبط

(بيان حقيقة الحسد وحكمه)

أوجب الصلوات الحس
وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
« الصلاة عماد الدين
فمن ترك الصلاة فقد
كفر » فبالصلاة تحقيق
العبودية وأداء حق
الربوبية وسائر
العبادات وسائل إلى
تحقيق سر الصلاة .
قال سهل بن عبد الله
يحتاج العبد إلى السنن
الرواتب لتسكيل
الفرائض ويحتاج إلى
النوافل لتسكيل
السنن ويحتاج إلى
الآداب لتسكيل
النوافل ومن الأدب
ترك الدنيا والديد كره
سهل هو معنى ما قال
عمر على الشبر إن
الرجل ليشيب عارضا
في الإسلام وما أكل
نه صلاة قيل وكيف

والنفاق بحسد^(١) فأما الأول فهو حرام بكل حال إلا نعمة أصابها فلنجر أو كافر وهو يستعين بها على تبييض الفتنة وإفساد ذات البين وإيذاء الحقائق فلا يضر كراهتك لها وعينك لاؤها وإنما فانك لا تحب زوالها من حيث هي نعمة بل من حيث هي آلة الفساد لو أمنت فسادهم بفسادهم بتمتدود بدل على تحريم الحسد الأخبار التي نقلناها وأن هذه الكراهة تسخط قضاء الله في تفضيل بعض عباده على بعض وذلك لا عذر فيه ولا رخصة وأى مصيبة تزيد على كراهتك لراحة مسلم من غير أن يكون لك منه مضرة وإلى هذا أشار القرآن بقوله - إن تمسك حسنة تؤم وإن تصبكه سيئة يغفرها - وهذا الفرح ثمانية والحسد والثأنة يتلازمان وقال تعالى - ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم - فأخبر تعالى أن جهنم زوال نعمة الإيمان حسدا وقال عز وجل - ودوا لو تكفروا كما كفروا فتكفون سواء سد كراهة الله تعالى حسدا نحو يوسف عليه السلام وغيرهما في قلوبهم بقوله تعالى - إذ قالوا ل يوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين . اتقوا يوسف وأطرحوه أرضا لئلا لكم وجه أبيكم - فلما كرهوا أحب أبيهم له وساءم ذلك وأحبوا زواله عنه فقبوه عنه وقال تعالى - ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا - أى لا يفتنون صدورهم به ولا يمتحنون فأنهى عليهم بدم الحسد وقال تعالى في مرض الانكار - أم يجدون الناس على ما آتاهم الله من فضله - وقال تعالى - كان الناس أمة واحدة - إلى قوله - إلا الذين أوتوا من بعد ما جاءتهم البينات بنيائهم - قيل في التفسير حسدا وقال تعالى - وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بنيائهم - فأزل الله العلم ليجمعهم ويؤلف بينهم على طاعته وأمرهم أن يتألفوا بالعلم فتحاسدوا واختلفوا إذ أراد كل واحد منهم أن ينفرد بالرياسة ويقول القول فرد بعضهم على بعض قال ابن عباس : كانت اليهود قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم إذا قالوا قوما قالوا نسألك بالنبي الذي وعدتنا أن ترسله وبالكتاب الذي تنزله إلا ما نصدرتنا^(٢) . فكانوا ينصرون فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم من ولد اسمعيل عليه السلام عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم إياه قال تعالى - وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به - إلى قوله - أن يكفروا بما أنزل الله بنيا - أى حسدا . وقالت صفية بنت حيي للنبي صلى الله عليه وسلم : جاء أباي وعمي من عندك يوما فقال أباي لعمي ماتقول فيه قال أقول إنه النبي الذي بشر به موسى قال فما ترى قال أرى معاداته أيام الحياة^(٣) فهذا حكم الحسد في التحريم . وأما اللئافة فليست بحرام بل هي إما واجبة وإما مندوبة وإما مباحة وقد يستعمل لفظ الحسد بدل للئافة واللئافة بدل الحسد

(١) حديث المؤمن يبطئ والنفاق يحسد لم أجده أصلا مرفوعا وإنما هو من قول الفضيل بن عياض كذلك رواه ابن أبي الدنيا في ذم الحسد (٢) حديث ابن عباس قوله كانت اليهود قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم إذا قالوا قوما قالوا نسألك بالنبي الذي وعدتنا أن ترسله الحديث في زول قوله تعالى - وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا - ابن إسحاق في السيرة فيما بلغه عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن اليهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره نحوه وهو منقطع (٣) حديث قالت صفية بنت حيي للنبي صلى الله عليه وسلم : جاء أباي وعمي من عندك يوما فقال أباي لعمي ماتقول فيه قال أقول إنه النبي الذي بشر به موسى الحديث ابن إسحاق في السيرة قال حدثني أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال حديث عن صفية فذكره نحوه وهو منقطع أيضا

ذلك قال لا يمتدحونها
وتواضعها وأقبله على
الله فيها وقد ورد في
الأخبار « إن العبد إذا
قام إلى الصلاة رفع
الله الحجاب بينه
وبينه وواجهه بوجهه
الكريم وقامت الملائكة
من لدن منكيه إلى
المواء يصلون بصلاته
ويؤمنون على دعائه
وإن الصلح ليشر عليه
البر من عنان السماء
إلى مفرق رأسه
ويناديه منادلو علم
الصلح من يناجي
ما لا تفت « أو ما اقتل
وقد جمع الله تعالى
للمصلين في كل ركعة
ما فرق على أهل
السموات لله ملائكة
في الركوع منذ خلقهم
الله لا يرضون من

إلى اختياره لسي في إزالة النعمة عنه فهو حسود حسدا منسوما وإن كان تدعه التقوى عن إزالة ذلك فيضي عما يجده في طبعه من الارتياح إلى زوال النعمة عن محسوده مهما كان كارها لذلك من نفسه بشه ودينه والله الذي بقوله صلى الله عليه وسلم «ثلاث لا ينفك المؤمن عنهن: الحسد والظن والطيرة»^(١) ثم قال «وله منهن» يخرج إذا حدثت فلا تبغ «أي وإن وجدت في قلبك شيئا فلا تامل به بصد أن يكون الإنسان مريدا للحاق بأخيه في النعمة فيحيز عنها ثم ينفك عن ميل إلى زوال النعمة إذ يحذر لا يحال ترجيحاً له على دولها فهذا الحسد من الثفاضة يزاحم الحسد الحرام فينبغي أن يخطا في ما تنسوخ الحظر وما من إنسان إلا وهو يرى فوق نفسه جماعة من معارفه وأقرانه يحسب مساواتهم ويكاد ينجر ذلك إلى الحسد المحظور إن لم يكن قوى الإيمان رزين التقوى ومهما كان محرره خوف التفاوت وظهور قصانه عن غيره جره ذلك إلى الحسد للذموم وإلى ميل الطبع إلى زوال النعمة عن أخيه حتى ينزل هو إلى مساواته إن لم يقدر هو أن يرتقي إلى مساواته بأدراك النعمة وذلك لارخصة فيه لأسباب هو حرام سواء كان في مقاصد الدين أو مقاصد الدنيا ولكن يضي عنه في ذلك ما لم يصل به إن شاء الله تعالى وتكون كراهته لذلك من نفسه كفارة له فهذه حقيقة الحسد وأحكامه. وأما أسبابه فأربع: الأولى: أن يحب زوال النعمة عنه وإن كان ذلك لا ينتقل إليه وهذا غاية الحسد. الثانية: أن يحب زوال النعمة إليه لرغبته في تلك النعمة مثل رغبته في دار حسنة أو امرأة جميلة أو ولاية نافذة أو سمعة نالها غيره وهو يحب أن تكون له ومطلوبه تلك النعمة لا زوالها عنه وسكرهه فقد النعمة لا تتم غيره بها. الثالثة: أن لا يشتهي عنها لنفسه بل يشتهي مثلها فان يحجز عن مثلها أو يحجز والها لا ينظر التفاوت بينهما. الرابعة: أن يشتهي لنفسه مثلها فان لم تحصل فلا يحب زوالها عنه وهذا الأخير هو للمفوق عنه إن كان في الدنيا والتدوب إليه إن كان في الدين والثالثة فيها مذموم وغير مذموم والثانية أخف من الثالثة والأولى مذموم بعض وتسمية المرتبة حسداً فيه يجوز وتوسع ولكن المذموم قوله تعالى - ولا تمنحوا ما فضل الله به بعضكم على بعض - فمنه مثل ذلك غير مذموم وأما غنية عين ذلك فهو مذموم.

(بيان أسباب الحسد والثفاضة)

أما الثفاضة فسميها حب ما فيه الثفاضة فان كان ذلك أمراً ينفذ فيه حب الله تعالى وحب طاعته وإن كان دنوياً فيه حب مباحات الدنيا والتتم فيها وإنما نظرنا الآن إلى الحسد للذموم ومداخله كثيرة نجدا ولكن يحصر جملة سبعة أبواب: العداوة والتعز والكره والتعجب والخوف من قوت القاصد المحبوبة وحب الرياسة وخبث النفس ومغفلها فانه ما يكره النعمة على غيره إما لأنه عدوه فلا يريد له الخير وهذا لا يختص بالأمثال بل يحسد الخسيس الملك معنى أنه يحب زوال نعمته لكونه مبغضاً له بسبب إساءته إليه أولى من محبه وإما أن يكون من حيث يعلم أنه يستبكر بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال كرهه وتفاجره لمزة نفسه وهو المراد بالتميز وإما أن يكون في طبعه أن يتكبر على الحسد ويمتد ذلك عليه لنعمته وهو المراد بالتكبر وإما أن تكون النعمة عظيمة والنصب عظيم فيتعجب من قوت مثله مثل تلك النعمة وهو المراد بالتعجب وإما أن يخاف من قوت مقاصد بسبب نعمته بأن يتوصل بها إلى مزاحمته في أغراضه وإما أن يكون يحب الرياسة التي تنبئ على الاختصاص بنعمة لا بأسوا فيها وإما أن لا يكون بسبب من هذه الأسباب بل لحب النفس وشغها بالخير لصلاد الله تعالى ولا بد من شرح هذه الأبواب. السبب الأول: العداوة والبغضاء وهذا أحد أسباب الحسد

الرفع منه ما وفي المحبة
حبها فيكون همه
المحبة مستخرقة فيها
مشغولاً بها عن غيرها
من الهيات فذلك
يتوفر حظه من بركة
كل هيئة فان السرعة
التي تقاضى بها الطبع
تسبب الفتور ويوقف
في مهاب النفحات
الإلهية حتى يتكامل
حظ الصبر فتتمحى
آثاره بحسن الاسترسال
ويستقر في مقعد
الوصول. وقيل في
الصلاة أربع هيات
وسنة أذكار فاليات
الأربع القيام والقعود
والركوع والسجود
والأذكار الستة الثلاثة
والتسبيح والحمد
والاستغفار والدعاء
والصلاة على النبي عليه
الصلاة والسلام فصار

(١) حديث ثلاث لا ينفك المؤمن عنهن: الحسد والظن والطيرة الحديث تقدم غير مرة.

(بيان أسباب الحسد والثفاضة)

عشرة كلمة غرق
هذه العشرة على عشرة
صفوف من اللافك
كل صف عشرة آلاف
فيجتمع في الركبتين
ما يفرق على مائة ألف
من اللافك .

[الباب السابع
واللائون في وصف
صلاة أهل القرب]
وذكر في هذا الفصل
كيفية الصلاة بآياتها
وشروطها وأدائها
الظاهرة والباطنة على
الكمال بأص مائه
إليه فهما وعلا على
الوجه مع الأعراض
عن نقل الأقوال في
كل شيء من ذلك إني
ذلك كثرة . وخرج
عن حد الاختصار
والإيجاز القصد فقول
وبالله التوفيق : يشي
لعبد أن يستمد للصلاة

(١) حديث ميب نزول قوله تعالى - لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظم - ذكرهما في أسماحق في السيرة وإن قائل ذلك الوليد بن النخعي قال أبو نؤل بن عموذرك وأنا كبير قريش وسيدها وبترك أبو مسعود عمرو بن مبرر الثقفي سيد قريش فخص عظام القريتين فأزله الله فما بلغني هذه الآية وروله أبو محمد بن أبي حاتم وابن مردويه في تفسيرهما من حديث ابن عباس إلا أنهما قالا مسعود بن عمرو وفي رواية لابن مردويه ميب بن مبرر الثقفي وهو صحف .

والجاء وكذلك تحسد الواعظين للزاحمين على أهل بلدة واحدة إذا كان غرضها نيل المال بالقبول
عندهم وكذلك تحسد العالمين للزاحمين على طائفة من للتفقه محصورين إذ يطلب كل واحد منهم
في قلوبهم للتوصل بهم إلى أغراض له . السبب السادس : حب الرياسة وطلب الجاه لنفسه من غير
توصل به إلى القصد وذلك كالرجل الذي يريد أن يكون عديم النظير في فن من الفنون إذا غلب
عليه حب التباه واستغزه الفرح بما يمدح به من أنه واحد البهر وفريد العصر في فنه وأنه لا نظير
له فانه لو جمع نظيره له في أقصى العالم لساء ذلك وأحب موته أو زوال النعمة عنه التي بها يشاركه
في الميزة من شجاعة أو علم أو عبادة أو صناعة أو جمال أو ثروة أو غير ذلك مما يفرده ويخرج
بسبب تفرده وليس السبب في هذا عداوة ولا تمززا ولا تنكيرا على المحسود ولا خوف من فوات القصد
سوى محض الرياسة بدعوى الانفراد وهذا وراء ما بين آحاد العلماء من طلب الجاه والتميز في قلوب
الناس للتوصل إلى مقاصد سوى الرياسة وقد كان علماء اليهود يشكرون معرفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا يؤمنون به خيفة من أن تبطل رياستهم واستتباعهم منها نسخ عليهم السبب السابع :
خيب النفس وشحها بالخير لباد الله تعالى فانك تجد من لا يشغل رياسة وتكبر ولا طلب مال إذا
وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله تعالى فيما أنعم الله به عليه يشق ذلك عليه وإذا وصف له
اضطراب أمور الناس وإدبارهم وفوات مقاصدهم وتنفس عيشهم فرح به فهو أبا يحب الإدبار لغيره
ويشغل بنعمة الله على عباده كأنهم يأخذون ذلك من ملكه وخزائنه ويقال البخيل من يخل بماله
نفسه والشحيح هو الذي يخل بماله غيره فهذا يخل بنعمة الله تعالى على عباده الذين ليس بينه
وبينهم عداوة ولا رابطة وهذا ليس له سبب ظاهر إلا خيب في النفس ورذالة في الطبع عليه وقت
الحيلة ومعالجته شديدة لأن الحسد الثابت بأسر الأسباب أسبابه عارضة يتصور زوالها فيقطع في
إزالتها وهذا خيب في الحيلة لاعتبار سبب عارض قصر إزائه إذ يستحيل في البقاء إزائه فهذه هي
أسباب الحسد وقد يجتمع بعض هذه الأسباب أو أكثرها أو جميعا في شخص واحد فيظلم فيه الحسد
بذلك ويقوى قوة لا يقدر معها على الإخفاء والمجاملة بل ينتكح حجاب المجاملة وتظهر العداوة
بالمكاشفة وأكثر المحاسنات تجتمع فيها جملة من هذه الأسباب وقلا يتجرد سبب واحد منها .

(بيان السبب في كثرة الحسد بين الأمثال والأقربان والإخوة وبني الم والأقارب

وتأكده وقلة في غيرهم وضحه)

اعلم أن الحسد إنما يكثر بين قوم تشكّر بينهم الأسباب التي ذكرناها وإنما يثوى بين قوم يجتمع
جملة من هذه الأسباب فيهم وتطاهر إذ الشخص الواحد يجوز أن يحسد لأنه قد يجتمع عن قبول
التكبر ولأنه يتكبر ولأنه عدو ولغير ذلك من الأسباب وهذه الأسباب إنما تشكّر بين أقوام تجمعهم
روابط يجتمعون بسببها في مجالس المحاطبات ويتواردون على الأغراض فإذا خالف واحد منهم صاحبه
في غرض من الأغراض قرر طبعه عنه وأبغضه وثبت المقد في قلبه فعد ذلك يريد أن يستحقه
ويتكبر عليه ويكافئه على مخالفته لغرضه ويكره تمكنه من النعمة التي توصله إلى أغراضه وترادف
جملة من هذه الأسباب إذ لا رابطة بين شخصين في بلدين متباينتين فلا يكون بينهما محاسنة وكذلك
في محلتين ، ثم إذا تجاورا في مسكن أو سوق ومدرسة ومسجد تواردا على مقاصد تناقض فيها أغراضهما
فيثور من التناقض التنافر والتباغض ومعه تورجيه أسباب الحسد ولذلك ترى العالم يحسد العالم
دون العابد والعابد يحسد العابد دون العالم والتاجر يحسد التاجر بل الاسكاف يحسد الاسكاف ولا يحسد
البرازر إلا بسبب آخر سوى الاجتناع في الحرفة وسيد الرجل أخاه وابن عمه أكثر مما يحسد الأجانب

تبطل دخول وقتها
بالوضوء ولا يوقع
الوضوء في وقت الصلاة
فذلك من المحافظة
عليها ويحتاج في معرفة
الوقت إلى معرفة الزوال
وتفاوت الأقدام لطول
النهار وقصره ويتر
الزوال بأن الظل مادام
في الانقصاص فهو
النصف الأول من النهار
فاذا أخذ الظل في
الازدياد فهو النصف
الأخر وقد زالت الشمس
وإذا عرف الزوال وأن
الشمس على كم قدم
تزال يعرف أول الوقت
وأخره ووقت العصر
ويحتاج إلى مصرفة
للتأخر ليعلم طلوع القمر
ويعلم أوقات الليل
وشرح ذلك يطول
ويحتاج أن يخرجه باب
فاذا دخل وقت الصلاة

والرأى تحسد خسرتهما وسرته زوجهما أكثر مما تحسد أم الزوج وابنته لأن مقصد البراز غير مقصد الاسكاف فلا يتراحمون على المقاصد إذ مقصد البراز الثروة ولا يحصلها إلا بكثرة الزبون وإنما يرازعه فيه راز آخر إذ حريف البراز لا يطلبه الاسكاف بل البراز ثم مناحة البراز المجاور له أكثر من مناحة البعيد عنه إلى طرف السوق فلا جرم يكون حسده للجوار أكثر وكذلك الشجاع يحسد الشجاع ولا يحسد العالم لأن مقصده أن يذكر بالشجاعة ويشهر بها ويفرد بهذه الحصلة ولا يراحمه العالم على هذا الفرض وكذلك يحسد العالم العالم ولا يحسد الشجاع ثم حسد الواعظ للواعظ أكثر من حسده للفقير والطبيب لأن التراحم بينهما على مقصود واحد خاص فأصل هذه المحاسنات المداوة وأصل العداوة التراحم بينهما على غرض واحد والفرض الواحد لا يجمع متبايعين بل متساوين فلذلك يكثر الحسد بينهما ، نعم من اعتد حرصه على الجاه وأحب الصيت في جميع أطراف العالم بما هو فيه فانه يحسد كل من هو في العالم وإن بعد عن يساهمه في الحصلة التي يتفاخر بها ومنشأ جميع ذلك حب الدنيا فان الدنيا هي التي تضيق على للتراحمين أما الآخرة فلا تضيق فيها وإنما مثال الآخرة نعمة العلم فلا جرم من يحب معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وملائكته وأنيابه وملكوته سموا هم أرضهم يحسد غيره إذا هرف ذلك أيضا لأن للفرقة لا تضيق عن العارفين بل للمعلوم الواحد يله ألف ألف عالم ويغرح معرفته ويلتذ به ولا تنقص لذة واحد بسبب غيره بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الأنىس ونجدة الاستفادة والافادة فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة لأن مقصدهم معرفة الله تعالى وهو بحر واسع لا تضيق فيه وغرضهم للترلة عند الله ولا تضيق أيضا فيما عند الله تعالى لأن أجل ما عند الله سبحانه من النعم لعمري لقيه وليس فيها محامنة ومزاحمة ولا تضيق بعض الناظرين على بعض بل يزيد الأنىس بكثرتهم ، نعم إذا قصد العلماء العلم المال والجاه تحاسدوا لأن المال أعيان وأجسام إذا وقعت في يد واحد خلت عنها يد الآخر ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلأ قلب بشخص تعظم عالم انصرف عن تعظيم الآخر أو قل من له محالة فيكون ذلك سببا للمحاسدة وإذا امتلأ قلب بالفرح بمعرفة الله تعالى لم يمنع ذلك أن يمتلئ قلب غيره بها وأن يفرح بذلك والفرق بين العلم والمال أن المال لا يعمل في يد مالم يرتحل عن اليد الأخرى والعلم في قلب العالم مستقر ومحل في قلب غيره بتعليمه من غير أن يرتحل من قلبه ولئال أجسام وأعيان ولها نهاية فلوملك الانسان جميع ما في الأرض لم يبق بعده مال يملكه غيره والعلم لا نهاية له ولا يتصور استيعابه فن عود نفسه الفكر في جلال الله وعظمته وملكوته أرضه وسأله صار ذلك الله عنده من كل نعيم ولم يكن ممنوعا منه ولا مزاحميا فلا يكون في قلبه حسد لأحد من الخلق لأن غيره أيضا لو عرف مثل معرفته لم ينقص من لذة بل زادت لذته بمؤانسته فتكون لذة هؤلاء في مطالعة عجائب اللكوته على الدوام أعظم من لذة من ينظر إلى أشجار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة فان نعيم العارف وجته معرفته التي هي صفاته بآمن زوالها وهو أبدا يحيى ثمارها فهو بروحه وقلبه متذخر حاكية عليه وهي فاكهة غير مقطوعة ولا ممنوعة بل قطوفها دائية فهو وإن غمض العين الظاهرة فروحه أبدا ترتع في جنة عالية وراضين زاهرة فان فرض كثرة في العارفين لم يكونوا متحاسدين بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين - ونزعا ما في صدورهم من خلق إخوانا على سرر متقابلين - فهذا حالهم وهم بعد في الدنيا لماذا يظن بهم عند انكشاف النطاء ومشاهدة المبوب في القضي فأذن لا يتصور أن يكون في الجنة محاسدة لأن يكون بين أهل الجنة في الدنيا محاسدة لأن الجنة لا مصابة فيها ولا مزاحمة ولا تال إلا بمعرفة الله تعالى التي لا مزاحمة فيها بل الدنيا أيضا فأهل الجنة بالضرورة برآء من الحسد في الدنيا والآخرة جميعا بل الحسد من

يقدم السنة الرابطة في ذلك سر وحكمة وذلك والله أعلم أن العبد تشتمل عليه وتفرق منه لما يلي بمن الخاطفين الناس وقيامه بهام العاشي ونوسو جرى بوضع الجلبة أو صرف هم إلى أكل أو نوم بتقضى العادة فاذا قدم السنة يتجذب بباطله إلى الصلاة ويشأ للداجاة ويذهب بالسنة الرابطة أثر التفلة والكسوة من الباطن فينصلح الباطن ويصير مستعدا للفرصة فالتسنة مقدمة صالحة يستنزل بها البركات وتطسرق النفقات ثم يجد الثوبة مع الله تعالى عند القرصة عن كل ذنب عمله ومن الذنوب عامة وخاصة فالعامة السكابر

صفات للبعدين عن سعة عليين إلى ضيق سجين ولذلك وسم به الشيطان العيين وذكر من صفاته أنه حسد آدم عليه السلام على ما خص به من الاجتناب ولما دعى إلى السجود استكبر وأبى وعمرّد وعصى فقد عرفت أنه لاحد إلا للتوارد على مقصود يضيق عن الوفاء بالكل ولهذا لا ترى الناس يتحاسدون على النظر إلى زينة السماء ويتحاسدون على رؤية البساتين التي هي جزء يسير من جملة الأرض وكل الأرض لا وزن لها بالإضافة إلى السماء ولكن السماء لسعة الأنظار وأافية بجميع الأبصار فلم يكن فيها تزاحم ولا تحاسد أصلاً فليكن إن كنت بصيراً وعلى نفسك مشفقاً أن تطلب نعمة لا زحمة فيها ولنة لا كدر لها ولا يوجد ذلك في الدنيا إلا في معرفة الله عز وجل ومعرفة صفاته وأفعاله وعجايب ملكوت السموات والأرض ولا ينال ذلك في الآخرة إلا بهذه المعرفة أيضاً فإن كنت لا تشاق إلى معرفة الله تعالى ولم تجد لذتها وقررت عنك رأيك وضعت فيها رغبتك فأنت في ذلك معذور إذ العيين لا يشاق إلى لذة الواقع والصبي لا يشاق إلى لذة الملك فإن هذه لذات يختص بأدراكها الرجال دون الصبيان والمحدثين فكذلك لذة المعرفة يختص بأدراكها الرجال - رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله - ولا يشاق إلى هذه اللذة غيرهم لأن الشوق بعد الذوق ومن لم يذق لم يعرف ومن لم يعرف لم يشق ومن لم يشق لم يطلب ومن لم يطلب لم يدرك ومن لم يدرك يبق مع المحرومين في أسفل السالفين - ومن يش عن ذكر الرحمن فيفيض له شيطاناً فهو له قرين - .

(بيان الدواء الذي ينفي مرض الحسد عن القلب)

اعلم أن الحسد من الأمراض العظيمة للقلوب ولا تداءى أمراض القلوب إلا بالعلم والعمل والعلم النافع لمرض الحسد هو أن تعرف تحقيراً أن الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين وأنه لا ضرر فيه على المحسود في الدنيا والدين بل ينتفع به فيهما ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدوً نفسك وصديق عدوك فارتقت الحسد لاحتالة أما كونه ضرراً عليك في الدين فهو أنك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى وكرهت نعمته التي قسمها بين عباده وعدله الذي أقامه في ملكه مخفي حكته فاستكرت ذلك واستبشمته وهذه جناية على حققة التوحيد وقضى في عين الإيمان وناهيك بها جناية على الدين وقد انضاف إلى ذلك أنك غششت رجلاً من المؤمنين وتركت نصيحته وفارقت أولياء الله وأنبياءه في جهنم الخبير لعباده تعالى وشاركت إبليس وسائر الكفار في محبتهم للمؤمنين البلايا والويل والتم وهذه خباثت في القلب تأكل حسنات القلب كما تأكل النار الحطب وتمحوها كما يحوّل الليل النهار وأما كونه ضرراً عليك في الدنيا فهو أنك تألم بحسدك في الدنيا أوتعتذب به ولا تزال في كد وغم إذ أعادوك لإغلبهم الله تعالى عن نعم يفيضها عليهم فلا تزال تعتذب بكل نعمة تراها وتألم بكل بلية تتصرف عنهم فتبقى معقوماً محروماً متشعب القلب ضيق الصدر قد زل بك ما يشيئه الأعداء وتشتبه لأعدائك فقد كنت تريد الهمة لعدوك فتجزت في الحال محتكاً وغمك قدداً ومع هذا فلا تزول النعمة عن المحسود بحسدك ولولم تكن تؤمن بالله والحساب لكان مقتضى الفطنة إن كنت عاقلاً أن تحذر من الحسد لما فيه من ألم القلب ومساواة مع عدم النفع فكيف وأنت عالم بما في الحسد من العذاب الشديد في الآخرة فما تعجب من العاقل كيف يتراض لخطأ الله تعالى من غير تعقّب ناله بل مع ضرر يحمله وألم يقاسيه فيهلك دينه ودياره من غير جدوى ولا فائدة وأما أنه لا ضرر على المحسود في دينه ودنياه فواضح لأن النعمة لا تزول عنه بحدك بل ما قدره الله تعالى من إقباله ونعمة فلا بد أن يدمم إلى أجل معلوم وقدره الله سبحانه فلاحية في دفعه بل كل شيء عند بمقدار ولكل أجل كتاب ولذلك شكنا في من الأنبياء من امرأة ظالمة مستولية على الخلق فأوحى الله إليه فر من قدامها حتى تنقضي أيامها ما يقدرنا في الأزل

والصغار مما أواماً إليه
الشرع ونطق به
الكتاب والسنة
والخاصة بنوب حال
النخس فكل عد
على قدر مقام حاله له
ذنوب تلائم حاله ويسرفها
صاحبها وقيل حسنت
الأبرار سيئات القربين.
ثم لا يصح إلا جمعة قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم « فضل
صلاة الجماعة صلاة
الذي يسبع وعشرين
درجة » ثم يستقبل
القبلة بظاهره والخضرة
الإلهية ياطنه وقرأ
- قل أعوذ برب
الناس - ويقرأ في نفسه
آية التوجه وهذا
التوجه قبل الصلاة
والاستغناء قبل الصلاة
لوجه الظاهر بانصرافه
إلى القبلة وتخصيص

لا سبيل إلى تزييره فاصبر حتى تنقضي المدة التي سبق القضاء بدوام إقباله فيها ومهما نزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا ولا يكون عليه إثم في الآخرة ولعلك تقول ليت النعمة كانت تزول عن المحسود بحسدى ، وهذا غاية الجهل فإنه بلائ تشبیهة أولا لنفسك فإنك أيضا لاتخلو عن عدو يحسدك فلو كانت النعمة تزول بالحسد لم يبق لله تعالى عليك نعمة ولا على أحد من الخلق ولا نعمة للايمان أيضا لأن الكفار يحسدون المؤمنين على الايمان . قال الله تعالى - ود كثير من أهل الكتاب لو بردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم - إذ ما يريد المحسود لا يكون ، نعم هو يشل يارادته الضلال لقيرة فإن إرادة الكفر كفر ، فمن اشتبه أن تزول النعمة عن المحسود بالحسد فكأنما يريد أن يسلب نعمة الايمان بحس . الكفار وكذا سائر النعم ، وإن اشتبهت أن تزول النعمة عن الخلق بحسدك ولا تزول عنك بحسد غيرك فهذا غاية الجهل والغباطة لكل واحد من حقى الحساد أيضا يشبهى أن يخص بهذه الحاصية ولست بأولى من غيرك فعمه الله تعالى عليك في أن لم تزول النعمة بالحسد مما يجب عليك شكرها وأنت بجهلك تشكرها . وأما أن المحسود ينفع به في الدين والدنيا فواضح . أما منفعة في الدين فهو أنه مظلوم من جهتك إذا أخرجك الحسد إلى القول والفعل بالنية والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه فهذه هدايا تهديها إليه ، أعني أنك بذلك تهدي إليه حسناتك حتى تلقاه يوم القيامة مفلسا محروما عن النعمة كما حرمت في الدنيا عن النعمة فسكانك أردت زوال النعمة عنه فلم تزول . نعم كان لله عليه نعمة إذ وثقت للحسنات فقلتها إليه فأضفت إليه نعمة إلى نعمة وأضفت إلى نفسك شقاوة إلى شقاوة . وأما منفعة في الدنيا فهو أن أهم أغراض الخلق مساءة الأعداء وغهم وشقاوتهم وكونهم معذبين مقومين ولا عذاب أشد مما أنت فيه من ألم الحسد وغاية أمان أعدائك أن يكونوا في نعمة وأن تكون في غم وحسرة بسببهم وقد فعلت بنفقت ما هو مرادهم ولذلك لا يشتهي عدوك موتك بل يشتهي أن تطول حياتك ولكن في عذاب الحسد تنتظر إلى نعمة الله عليه فيقطع قلبك حسدا ، وكذلك قيل :

لامات أعداؤك بل خلدوا حتى يروا نيك الذي يكذب

لأزمت محسودا على نعمة فأنما الكامل من يحسد

ففرح عدوك بنعمك وحسدك أعظم من فرحه بنعمته ولو علم خلاصك من ألم الحسد وعذابه لكان ذلك أعظم معصية وبلية عنده لما أنت فيما تلازمه من غم الحسد إلا كما يشتهي عدوك فإذا تأملت هذا عرفت أنك عدو نفسك وصديق عدوك إذا تعاطيت ما تضررت به في الدنيا والآخرة وانفع معدوك في الدنيا والآخرة وصرت مضموما عند الخالق والخالق شقيا في الحال والمآل ونعمة المحسود دأمة شئت أم أبيت باقية ثم لم تقتصر على تحصيل مراد عدوك حتى وصلت إلى إدخال أعظم سرور على بابي الذي هو أعدى أعدائك لأنه لما أراك محروما من نعمة العلم والورع والجاه والمال الذي اختص به عدوك عنك خاف أن تحب ذلك له فتشاركه في التواب بسبب المحبة لأن من أحب الخير للمسلمين كان شريكا في الخير ومن فاته الحاقى بدرجة الأكبر في الدين لم يفته ثواب الحب لهم مما أحب ذلك خلاف إبليس أن تحب ما أتم الله به على عبده من صلاح دينه ودنياه فتزور بثواب الحب فيفضه إليك حتى لاتلحقه بحبك كالم تلحقه بملك . وقد قال أعرابي للبي صلى الله عليه وسلم « يا رسول الله الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم : للرمع من أحب »^(١) وقام أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطف فقال « يا رسول الله متى الساعة فقال ما أعددت لها ؟

(١) حدث الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال هو مع من أحب متفق عليه من حديث ابن مسعود

قال ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام إلا أني أحب الله ورسوله قال صلى الله عليه وسلم أنتمع من أحببت (١) قال أنس لما فرح المسلمون بعد إسلامهم كفرهم يومئذ إشارة إلى أن أكبر بيتهم كانت حب الله ورسوله قال أنس فحينئذ نجى رسول الله وأبا بكر وعمر ولا نمل مثل معلمهم ونرجو أن نكون معهم . وقال أبو موسى قلت « يا رسول الله الرجل يحب الصلن ولا يصلي ويحب الصوم ولا يصوم حتى عد أشياء فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو مع من أحب (٢) » وقال رجل لعمر بن عبد العزيز إنه كان يقال إن استطعت أن تكون علما فكن علما فإن لم تستطع أن تكون علما فكن متصفا فان لم تستطع أن تكون متصفا فأحجم فان لم تستطع فلا تفضهم فقال سيبان الله لقد جعل الله لنا عزيا فانظر الآن كيف حصدك إبليس قوت عليك ثواب الحب ثم لم يقطع به حتى بغض إليك أخاك وحملك على الكراهة حتى أمت وكيف لا وعساك تحماد رجلا من أهل العلو ونحب أن يخطئ في دين الله تعالى وينكشف خطؤه لينتضح وتحب أن يخرس لسانه حتى لا يتكلم أو يمرض حتى لا يطم ولا يتلم وأنى لهم يزيد على ذلك فليكن إذ فاتك اللحاق به ثم اغتممت بسببه سلت من الأمم وعذب الآخرة وقد جاء في الحديث « أهل الجنة ثلاثة : المحسن والمحب له والكاف عنه (٣) » أي من يكف عنه الأذى والحسد والبغض والكراهة فانظر كيف أبعدك إبليس عن جميع الدخائل الثلاثة حتى لا تكون من أهل واحد منها أئنة قد نفذ فيك حصد إبليس وما نفذ حصدك بل على شك بلى لو كشفت بمالك في بقطة أو منام رأيت تشك أيها الحاسد في صور من يرى سم إلى عدوه ليصيب مقتله فلا يصيبه بل يرجع إلى حدقه التي فيقامها فيزيد غضبه فيعود ثانية فيرى أمد من الأولى فيرجع إلى عينه الأخرى فيصمها فيزداد غيظه فيعود ثالثة فيعود على رأسه فيشبهه وعدوه سالم في كل حال وهو إليه راجع مرة بعد أخرى وأعداؤه حوله يفرحون به ويضحكون عليه وهذا حال الحسود وسخرية الشيطان منه بل حاله في الحسد أقبح من هذا لأن الرية العائنة أنفوت إلا اليمين ولو بقيتا لغاتنا بالموت لا محالة والحسد يعود بالآثم والآثم لا يوفوت بآفوت ولله يسوق إلى غضب الله وإلى النار فلأن تذهب عنه في الدنيا خير له من أن تبقى له عين يدخل بها النار فيقطع الحب النار فانظر كيف انتقم الله من الحاسد إذ أراد زوال النعمة عن المحسود فبرز لها عن ثم ألهما عن الحاسد إذ السلامة من الآثم نعمة والسلامة من التهم والسكدة نعمة قد زلتا عنه تصدقا قوله تعالى ولا يحق للكرالي إلا بأهله - وربما يتولى بعين ما يشبهه لعدوه وقفا يشمت شامت بمساة وإلا ويثقل بمثلا حتى قالت عائشة رضي الله عنها : ما عانيت لثمان شيئا إلا نزل في حتى لو نثيت له القتل لقتلت ، فهذا إثم الحسد نفسه فكيف ما يجر إليه الحسد من الاختلاف وجسود الحق وإطلاق اللسان واليد بالقواحت في التشنى من الأعداء وهو الداء الذي فيه هلك الأمم السالفة ، فهذا هو الأدوية العلية لها تفكر الانسان فيها بذهن صاف وقلب حاضر انطفاة نار الحسد من قلبه وعلم أنه مهلك تشموه فرج عدوه ومسخط ربه ومنقص عيشه . وأما العمل الدافع فيه فهو أن يحكم الحسد فكل ما يقاضاه الحسد من قول وقيل فيذنب أن يكلف نفسه قبيضة فان بته الحسد على القدح في محسوده كلف لسانه للدع له والثناء عليه وإن حمله على التكبر عليه أزمه تشه التواضع له والاعتذار إليه وإن بهته على كلف الإضام

والأدوب وجمع بين
نية الصلاة والتكبير
حيث لا ينيب عن قلبه
حالة التكبير أنه يصلي
الصلاة بينها . وحكي
عن الجيد أنه قال
لكل شيء صفوة وصفوة
الصلاة التكبير
الأولى وإنما كانت
التكبير صفوة لأنها
موضع التوبة وأول
الصلاة . قال أبو نصر
السراج سمعت ابن سالم
يقول التوبة بالله لله
ومن الله والآفات التي
تدخل في صلاة العبد
بعد التوبة من العدو
ونصيب العدو وإن كثرت
لا يوازن بالنية التي هي
له بالله وإله قل .
وسئل أبو سعيد الخزاز
كيف الدخول في
الصلاة ؟ فقال هو أن
تهب على الله تعالى

- (١) حديث سؤال الأعرابي متى الساعة فقال ما أعددت لها الحديث متفق عليه من حديث أنس
- (٢) حديث أبي موسى قلت يا رسول الله الرجل يحب الصلن ولا يصلي الحديث وفيه ومع من أحب متفق عليه من حديث بلقيش آخر مختصرا الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم قال الرفع مع من أحب.
- (٣) حديث أهل الجنة ثلاثة : المحسن والمحب له والكاف عنه لم أجده أصلا .

عليه أثم غسه الزيادة في الانعام عليه فهذا نفل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه وأجبه ومهما ظهر حبه عاد الحاسد فأجبه وتولد من ذلك اللوامة التي تقطع مادة الحسد لأن التواضع والتناء وللحسود وإظهار السرور بالنعمة يستجلب قلب النعم عليه ويستترقه ويستعطفه ويعمله على مقابلة ذلك بالاحسان ثم ذلك الاحسان يعود إلى الأول فيطيب قلبه ويصير مائتلفه أولاً طبياً آخرها ولا يصدنه عن ذلك قول الشيطان له لو تواضعت وأتيت عليه حملك العدو على العجز أو على النفاق أو الخوف وأن ذلك مثله وههنا وذلك من خلع الشيطان ومكايده بل الهامة تكلفاً كانت أو طبياً تكسر سورة العدواة من الجانبين وتمثل مرغوبها وتعود القلوب التآلف والتحاب وبذلك تستريح القلوب من ألم الحسد وغم التباغض فهذه هي أدوية الحسد وهي نافعة جداً إلا إنها مرة على القلوب جدولة ولكن النفع في الدواء الرقيق لم يصير على مرارة الدواء لم ينل حلالة الشفاء وإنما تهون مرارة هذا الدواء أعنى التواضع للأعداء والتقرب إليهم بالمدح والتناء بقوة العلم بالمعانى التي ذكرناها وقوة الرغبة في ثواب الرضا بقضاء الله تعالى وحسب ما أحبه وعزة النفس وترفضها عن أن يكون في العالم شيء على خلاف مرادها جهل وعند ذلك يريد مالا يكون إذلاً مطمع في أن يكون ما يريد وفوات الراد بل وجسوة ولا طريق إلى الخلاص من هذا القدر إلا بأحد أمرين إما بأن يكون ما تريد أو بأن تريد ما يكون والأول ليس إليك ولا مدخل للتكلف والمجاهدة فيه وأما الثاني فللمجاهدة فيه مدخل وتحصيه بالرياضة يمكن فيجب تحصيله على كل عاقل هذا هو الدواء السكبي فأما الدواء المفصل فهو تتبع أسباب الحسد من الكبر وغيره وعزة النفس وشدة الحرص على مالا يخفى وسيأتي تفصيل مداواة هذه الأسباب في مواضعها إن شاء الله تعالى فانها مواد هذا المرض ولا يتقنع المرض إلا بقمع السادة فان لم تقمع السادة لم يحصل بما ذكرناه إلا تسكين وتطفئة ولا يزال يعود مرة بعد أخرى ويطول الجهد في تسكينه مع قيام موهبته فانه مادام يحيا للجهاد فلا بد وأن يحسد من استأثر بالجاه والثرثرة في قلوب الناس دونه وبغمه ذلك لاحتالة وإنما غايته أن يهون النعم على نفسه ولا يظهر بلسانه ويده فأما الحلوه عنه رأساً فلا يمكنه والله الوفي.

(بيان التقدير الواجب في نفي الحسد عن القلب)

اعلم أن اللؤذي محموت بالطبع ومن آذاك فلا يمكنك أن لا تغضه غالباً فإذا تيسرت له نعمة فلا يمكنك أن لا تكرهها له حتى يستوى عندك حسن حال عدوك وسوء حاله بل لا تزال تدرك في النفس بينهما تفرقة ولا يزال الشيطان ينازعك إلى الحسد له ولكن إن قوى ذلك فيك حتى يثبث على إظهار الحسد يقول أوفض بحيث يفر ذلك من ظاهرك بأفمالك الاختيارية فأنت حسود عاص بحسدك وإن كفت ظاهرك بالكيفية إلا أنك يائضك تحب زوال النعمة وليس في نفسك كراهة لهذه الحالة فأنت أيضاً حسود عاص لأن الحسد صفة القلب لصفة الفعل قال الله تعالى - ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا - وقال عز وجل - ودوا لو تكفروا كما كفروا فتكفرون سواء - قال - إن تكسب خسراناً تكسبه - أما الفعل فهو غيبة وكذب وهو عمل صادر عن الحسد وليس هو عين الحسد بل عمل الحسد القلب دون الجوارح ثم هذا الحسد ليس مظلمة يجب الاستحلال منها بل هو موصية بينك وبين الله تعالى وإنما يجب الاستحلال من الأسباب الظاهرة على الجوارح فأما إذا كفت ظاهرك وألزمك مع ذلك قلبك كراهة ما يترفع منه بالطبع من حب زوال النعمة حتى كأنك تمقت نفسك على ما في طبيعته أن تكون تلك الكراهة من جهة العقل في مقابلة الليل من جهة الطبيعة فقد أدبت الواجب عليك ولا بدخل تحت اختيارك في أغلب الأحوال أكثر من هذا فأما تشيير الطبيعة ليستوى عند اللؤذي والحسن ويكون فرحه أو غمه بما تيسر لهما من نعمة أو تعصب عليهما من بلية سواء فهذا مما لا يطاوع الطبع عليه مادام

إقبالك عليه يوم القيامة ووقوفك بين يدي الله ليس بينك وبينه ترجمان وهو مقبل عليك وأنت تتاجبه وتعلم بين يدي من أنت واقف فانه الملك العظيم . وقيل لبعض العارفين كيف تكبر التكبرية الأولى قتال ينبغي إذا قلت الله أكبر أن يكون مصحوبك في الله التعظيم مع الألف والهيئة مع اللام والرابية والترب مع الحساء . واعلم أن من الناس من إذا قال الله أكبر غاب في مطالعة العظمة والكبرياء وامشلاً باطنه نورا وصار السكون بأخيه في فضاء شرح صدره تكردة بأرض فلاة

ملتقى إلى حظوظ الدنيا إلا أن يصير مستغرقا بحب الله تعالى مثل السكران الواله قد انتهى أمره إلى أن لا يلتفت قلبه إلى تفاصيل أحوال البقاء بل ينظر إلى الكل بين واحدتهى عين الرحمن يرى الكل عباد الله وأفعالهم أفعاله وبرامهم مسخرين وذلك إن كان فهو كالبرق الخاطف لا يدوم ثم يرجع القلب بعد ذلك إلى طبعه ويعود المدو إلى منازعته أغنى الشيطان فانه ينازع بالوسوسة فيها قابل ذلك بكرهته وأزيم قلبه هذه الحالة قد أدى ما كلفه . وقد ذهب ذاهبون إلى أنه لا يتم إذا لم يظهر الحسد على جوارحه لما روى عن الحسن أنه مثل عن الحسد فقال غمه فانه لا يضرك ما لم يده . وروى عنه موقوفا ومرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ثلاثة لا يغلبونهم للؤمنين وله منهن مخرج فخرجهم من الحسد أن لا يبنى » والأولى أن يجعل هذا على ما ذكرناه من أن يكون فيه كراهة من جهة الدين والعقل في مقابلة حب الطبع لزوال نعمة المدو وتلك الكراهة تمنع من البغي والإيذاء فان جميع ما ورد من الأخبار في ذم الحسد يدل ظاهره على أن كل حاسد آثم ثم الحسد عبارة عن صفة القلب لا عن الأفعال فكل من يحب إساءة مسلم فهو حاسد فاذن كونه آثما بمجرد حسد القلب من غير فعل هو في محل الاجتهاد والأظهر ما ذكرناه من حيث ظواهر الآيات والأخبار ومن حيث للمنى إذ يبعد أن يعنى عن البغى إرادته إساءة مسلم واشتبهه بالقلب على ذلك من غير كراهة وقد عرفت من هذا أن لك في أعدائك ثلاثة أحوال : أحدها أن تحب مساوئهم بطبعك وتكره حيلك لذلك وميل قلبك إليه به تلك وتمتعت نفسك عليه وتود لو كانت لك حيلة في إزالة ذلك الليل منك وهذا مغر عنده قطعا لأنه لا يدخل تحت الاختيار أكثر منه . الثانى أن تحب ذلك وتظهر الفرح بمساوئهم إما بلسانك أو بجوارحك فنهذا هو الحسد المفسود قطعا . الثالث وهو بين الطرفين أن تحسد بالقلب من غير مقت نفسك على حسدك ومن غير إنكار منك على قلبك ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد في مقتضاه وهذا في محل الخلاف والظاهر أنه لا يغلو عن إثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل.

﴿ كتاب ذم الدنيا ﴾

(وهو الكتاب السادس من ربيع الهللكات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى عرف أوليائه غوائل الدنيا وآفاتنا . وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها حتى نظروا في شواهدنا وآياتنا ووزنوا بمخائيلنا سيئاتنا فعلموا أنه يزيد منكرها على معروفها ولا ينى مرجوها بمخوفها ولا يسلم طلوعها من كسوفها ولكنها في صورة امرأة مليحة تستميل الناس بجملها ولها أسرار سوء قبانع تهلك الراغبين في صالها ثم هى فرارة عن طلبها شجيعة بإقبالها وإذا أثبتت لم يؤمن شرها ووبالها إن أحسنت ساعة أساءت سنة وإن أساءت مرة جعلتها سنة فدوائر إقبالها على القارب دائرة وتجارة بنها خاسرة باثرة وآفاتنا على التوالى لصدور طلابها رافقة بمجاري أحوالها بل طالها ناطقة فكل مغرور بها إلى الدنئ مصيره وكل متكبر بها إلى التبحر مسيره شأنها الحرب من طلبها والطلب لمحاربا ومن خدمها فاته ومن أعرض عنها واته لا يغلو صفوها عن شوائب الكدورات ولا تنفك سرورها عن للنقصات سلامتها تنقب السقم وشبابها يدوق إلى الحرم وتعيها لا يشمر إلا الحسرة والدم فهى خداعة مكاراة طيارة فرارة لا تزال تترين لطلابها حتى إذا صاروا من أحبابها كثرت لهم عن آياتها وشوشت عليهم مناظم أسبابها وكشفت لهم عن مكنون محابها فأذا قدم قواطل سماها

﴿ كتاب ذم الدنيا ﴾

ثم تاتى الحردة فى
بغنى من الوسوسة
وحدث النفس وما
يتخايل فى الباطن من
السكون الذى صار
عبثا الحردة فأقيمت
فكشفت نزاحم
الوسوسة وحدثت
النفس مثل هذا العبد
وقد نزاحم معاملة
العظمة والنيوبة فى
ذلك كون النية غير
أنه لغاية لطف الحال
يختص الروح بمطالعة
العظمة والقلب يتميز
بالنية فتكون النية
موجودة بالطف
صفاتها مندرجة فى
نور العظمة اندراج
الكواكب فى ضوء
الشمس ثم يقضى
بيده التنى بعد اليسرى
ويجعلها بين السرة
والصدر والجبني

ورحمتهم يصولب بهلها، بينا أصحابها منها في سرور وإنعام إذولت عنهم كأنها أنصفت أحلامهم عكرت عليهم بدواهبها فطحنهم طحن الحصيد ووارتهم في أكفانهم تحت الصيد إن ملكت واحدا منهم جميع ما ظلمت عليه للنفس جلته حصيدا كأن لم يكن بالأمر نعى أصحابها سرورا وتعددهم غرورا حتى يأملون كثيرا ويننون قصورا فتصبح قصورهم قبورا وجميعهم بورا وسيمهبا مشورا ودهاؤم ثورا هذه صفات وكان أمراءه قدرا مقدورا، والصلاة والسلام على محمد عبده ورسوله للرسول إلى الملائن بشيرا وتذبرا وسراجا منيرا وعلى من كان من أهله وأصحابه له في الدين ظهيرا وعلى الظالمين نصيرا وسلم تسليما كثيرا.

[أما بعد] فإن الدنيا عدوة لله وعدوة لأوليائه الله وعدوة لأعداء الله أماعداوتها لله فانها قطعت الطريق على عباد الله وذلك لم ينظر الله إليها منذ خلقها، وأماعداوتها لأوليائه الله عز وجل فانها تزيت لهم بزيتها وعتمتهم زهرتها ونفارتها حتى تجرعوا صرامة الصبر في مقاطعتها، وأماعداوتها لأعداء الله فانها استدرجتهم بكمها وكيدها فانتصمهم بشبكها حتى وثقوا بها وعزلوا عنها غفلتهم أوحج ماكانوا إليها فاجتروا منها حسرة تنقطع دونها الأكباد ثم حرمتهم السعادة أبد الآباد فهم في فرقتها يتحسرون ومن مكابدها يستثبون ولا يثاقون بل يقال لهم - اخسأ فيها ولا تسكدون - أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون - وإذا عظمت غوائل الدنيا وشروها فلا بد أولا من معرفة حقيقة الدنيا وماهي وماالحكمة في خلقها مع عدائها ومامدخل غرورها وشروها فإن من لا يعرف الشر لا يتقيه ويوشك أن يقع فيه ونحن نذكر ذم الدنيا وأمثلتها وحقيقتها وتفصيل معانيها وأصناف الأعمال الناطقة بها ووجه الحاجة إلى أصولها وبسبب انصراف الخلق عن الله بسبب التشاغل بغضولها إن شاء الله تعالى وهو اللعين على مايرتضيه .

(بيان ذم الدنيا)

الآيات الواردة في ذم الدنيا وأمثلتها كثيرة وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصراف الخلق عنها ودعوتهم إلى الآخرة بل هو مقصود الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يمتثلوا إلا لذلك فلاحاجة إلى الاستنباط بآيات القرآن لظهورها وإنما نورد بعض الأخبار الواردة فيها فقد روى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على شاة ميتة فقال : أترون هذه الشاة هينة على أهلها ؟ قالوا من هوأنها ألقوها قال والذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها ولوكانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ^(٢) » وقال رسول الله ﷺ «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان فيها ^(٣) » وقال أبو موسى الأشعري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أحب دنياه أضرباً آخرته ومن أحب آخرته أضرباً دنياه فأثروا مايقى على مايقى ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم «حب الدنيا رأس كل خطيئة ^(٥) »

(١) حديث مر على شاة ميتة فقال أترون هذه الشاة هينة على صاحبها الحديث ابن ماجه والحاكم وصحح إسناده من حديث سهل بن سعد وآخره عند الترمذي وقال حسن صحيح ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث للستورد بن شداد دون هذه القطعة الأخيرة ولمسلم نحوه من حديث جابر (٢) حديث الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر مسلم من حديث أبي هريرة (٣) حديث الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أبي هريرة وزاد لإذكر الله وماوالاوموعالم ومتهم (٤) حديث أبي موسى الأشعري من أحب دنياه أضرباً آخرته الحديث أحمد والبخاري والطبراني وابن حبان والحاكم وصححه (٥) حديث حب الدنيا رأس كل خطيئة ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا واليهي في شعب الإيمان من طريقه من رواية الحسن مرسل .

لكرامتها تجعل فوق اليسرى ويمد للعبة والوسطى على الساعد ويبيض بالثلاثة البواقى اليسرى من الطرفين وقد فرأى من المؤمنين على رضى الله عنه قوله تعالى - فصل لربك وانحر - قال إنه وضع اليمنى على الثمال تحت الصدر وذلك أن تحت الصدر عرقا يقال له الناحر أى ضع يدك على الناحر وقال بعضهم وأخرى استقبال القبلة ينحرك وفى ذلك سر خفي يكشف به من وراء أستار الغيب وذلك أن الله تعالى بلطف حكته خلق الأذى وشرفه وكرمه وجهه

محل نظره ومورد وجهه ونجته ما فى أرضه

وقال زيد بن أرقم : كنا مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه فعدا شرباً فأبى بماء وعسل فلما دناه من فيه بكى حتى أبكى أصحابه وسكنوا وملكتم ثم نادى وبكى حتى ظنوا أنهم لا يغدرون على مسأله قال ثم مسح عينيه فقالوا يا خليفة رسول الله ما يبكاك قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيتُه يدفع عن نفسه شيئاً ولم أره أحدًا قتل يارسول الله ما الذي تدفع عن نفسك قال « هذه الدنيا » ثلث لي قلت لها إليك عنى ثم رجعت فقالت إنك إن أفلت منى لم يفلت منى من يدك^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « يا عياض الجب للصدق بدار الخلود وهو يسمى لدار القرور^(٢) » وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على مزبلة قتل « هدا إلى الدنيا وأخذ خرفة قد بلبت على تلك الزبلة وعظما قد نخرت فقال هذه الدنيا^(٣) » وهذه إشارة إلى أن زينة الدنيا مستخلق مثل تلك الحرق وأن الأجسام التي ترى بها تنصير عظما بالية وقال صلى الله عليه وسلم « إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فانظروا كيف تعملون إن بنى إسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تأهوا في الحلية والنساء والطيب والنياب^(٤) » وقال عيسى عليه السلام : لا تتخذوا الدنيا رباً فتختكم عبيداً كنزوا كنزكم عند من لا يضيحه فان صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة وقال عليه أفضل الصلاة والسلام « يا معشر الحوارين إن في قد كبت لكم الدنيا على وجهها فلا تشعروها بعدى فان من خبت الدنيا أن عصى الله فيها وإن من خبت الدنيا أن الآخرة لا تدرك إلا بتركها ألا فاعبروا الدنيا ولا تمروها واعلموا أن أصل كل خطيئة حب الدنيا وحب شهوة ساعة أو رثت أهاها حزناً طويلاً وقال أيضاً : بلبت لكم الدنيا وبلستم على ظهرها فلا يذعن عنكم فيها مالوك والنساء فأما مالوك فلا تنازعوهم الدنيا فانهم إن يمرضوا لكم ماتركوهم ودنيام وأمال النساء فانهم عن الصوم والصلاة وقال أيضاً الدنيا طلبة ومطالبة فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها زينة وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجيئها الموت يأخذ بشفه . وقال وسين يسار قال النبي ﷺ « إن الله عز وجل لم يخلق خلقاً أبغض إليه من الدنيا وإنه منذ خلقها لم ينظر إليها^(٥) » وروى أن سليمان بن داود عليها السلام مر في موكبه والطير تظله والجن والإنس عن يمينه وشماله قال فرمى به من بنى إسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكاً عظيماً قال فسمع سليمان وقال : لتسبيحة في صحيفة مؤمن خير مما أعطى ابن داود فان ما أعطى ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى وقال صلى الله عليه وسلم « لما تم التكرار يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفريت وألبست فألبيت وأصدقت فأبجيت^(٦) »

(١) حديث زيد بن أرقم كما مع أبي بكر فعدا شرباً فأبى بماء وعسل فلما دناه من فيه بكى الحديث وفيه كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيتُه يدفع عن نفسه شيئاً الحديث البراز بسند ضعيف بنحوه والحاكم وصححه إسناده وابن أبي الدنيا والبيهقي من طريقه بلفظه (٢) حديث عياض الجب للصدق بدار الخلود وهو يسمى لدار القرور ابن أبي الدنيا من حديث أبي جرير مرسل (٣) حديث إنه وقف على مزبلة فقال هدا إلى الدنيا وأخذ خرفة قد بلبت على تلك الزبلة وعظما قد نخرت قال فها هذه الدنيا الحديث ابن أبي الدنيا في دم الدنيا والبيهقي في شعب الإيمان من طريقه من رواية ابن ميمون اللخمي مرسل وفيه بقية بن الوليد وقد عننه وهو مدلس (٤) حديث إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فانظروا كيف تعملون الحديث الترمذي وابن ماجه من حديث أبي سعيد دون قوله إن بنى إسرائيل الخ والشطر الأول متفق عليه ورواه ابن أبي الدنيا من حديث الحسن مرسل بالزيادة التي في آخره (٥) حديث موسى بن يسار إن الله جل ثناؤه لم يخلق خلقاً أبغض إليه من الدنيا وإنه منذ خلقها لم ينظر إليها ابن أبي الدنيا من هذا الوجه بلافا والبيهقي في الشعب من طريقه وهو مرسل (٦) حديث الحاكم

ومسأله روحانياً وجسمانياً رذاً وسماوياً منتصب القامة مرتفع الهيئة فصفه الأعلى من حد الفؤاد مستودع أسرار السموات ونصف الأسفل مستودع أسرار الأرض فحل نفسه ومركزها نصف الأسفل وحمل روحه الروحاني والقلب النصف الأعلى لجواذب الروح مع جواذب النفس يتطاردان ويتحاربان وباغترار تطاردهما وتغالهما تكون لمة الملك ولمة الشيطان وقت الصلاة يكثر التطارد لوجود التجاذب بين الإيمان والطبع فيكشفت للصلب الذي صار قلبه سماوياً ومترداً بين الفناء والبقاء لجواذب

قال صلى الله عليه وسلم « إن الدنيا دار من لادار له ومال من لامال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها ينادى من لا علم له وعليها يحسد من لا حقه له ولها يسمى من لا يقين له (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من أمسح بالدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء وأئزم الله قلبه أربع خصال: ما لا ينقطع عبداً أبداً وشغلا لا ينفرغ منه أبداً وقرا لا يبلغ غناه أبداً وأملا لا يبلغ منهاه أبداً (٢) » وقال أبو هريرة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا جيباً بما فيها قلت بلى يا رسول الله فأخذ يدي وأتى بي وادياً من أودية المدينة فإذا مزلة فيها رهوس أناس وعذرات وخرق وعظام ثم قال يا أبا هريرة هذه رهوس كانت تحرس كحرسكم وتأمل كأملكم ثم هي اليوم عظام بلا جلد ثم هي صائرة رماداً وهذه العذرات هي ألوان أطمعتمهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قدفوها في بطونهم فأصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم فأصبحت والرياح تصفها وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد فمن كان باكياً على الدنيا فليك قال فما ربنا حتى اشتد بكؤنا (٣) » وروى أن الله عز وجل لما أهبط آدم إلى الأرض قال له إن الخراب وله للفتنة . وقال داود بن هلال مكتوب في صحف إبراهيم عليه السلام: يادنيا ما هو بك على الأبرار الذين تمنعت وترينت لهم إني قدفت في قلوبهم بضك والصدود عنك وما خلقت خلقاً أهون على منك كل شأنك صغير وإلى الفناء يصير قضيت عليك يوم خلقتك أن لاتدوى لأحد ولا يدوم لك أحد وإن بخل بك صاحبك وشغ عليك طوي للأبرار الذين أطلوني من قلوبهم على الرضا ومن ضيئرم على الصدق والاستقامة طوي لهم ما لم عندى من الجزاء إذا قدفوا إلى من قبورهم إلا النور يسعى أمامهم وللأنسكة حافون بهم حتى أبلغهم ما يرجون من رحمتي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدنيا موقوفة بين السماء والأرض منذ خلقها الله تعالى لم ينظر إليها ويقول يوم القيامة يا رب اجعلني لأذى أوليائك اليوم نصيباً فيقول اسكني يا الله . إني أرضك لهم في الدنيا أرضاً لهم اليوم (٤) » وروى في أخبار آدم عليه السلام أنه لما أكل من الشجرة تحركت معدته فخرج الفل ولم يكن ذلك معه ولا في شيء من أطمعة الجنة إلا في هذه الشجرة فلذلك نهى عن أكلها قال فجعل يدور في الجنة فأمر الله تعالى مسلماً بإخطابه فقال له قل له أى شيء تريد ؟ قال آدم أريد أن أضع حاقى بطنى من الأذى قليل للملك قل له في أى مكان تريد أن تضعه أطفى الفرس أم على السرر أم على الأنهار أم تحت ظلال الأشجار هل ترى ههنا مكاناً يصلح لذلك ؟ أهبط إلى الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم « ليجزى أنوام يوم

التكاثر يقول ابن آدم مالى مالى الحديث مسلم من حديث عبد الله بن الشخير (١) حديث الدنيا دار من لادار له الحديث أحمد من حديث عائشة مقتصر على هذا وعلى قوله ولها يجمع من لا عقل له دون بقية وزاد ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه ومال من لامال له وإسناده جيد (٢) حديث من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء وأئزم الله قلبه أربع خصال الحديث الطبراني في الأوسط من حديث أبي ذر دون قوله وأئزم الله قلبه الخ وكذلك رواه ابن أبي الدنيا من حديث أنس باسناد ضعيف والحاكم من حديث حذيفة وروى هذه الزيادة منفردة صاحب الفردوس من حديث ابن عمر وكلاهما ضعيف (٣) حديث أبي هريرة ألا أريك الدنيا جيباً بما فيها قلت بلى يا رسول الله فأخذ يدي وأتى بي وادياً من أودية المدينة فإذا مزلة فيها رهوس كرهت لهم ما لم عندى من الجزاء إذا قدفوا إلى من قبورهم إلا النور يسعى أمامهم وللأنسكة حافون بهم حتى أبلغهم ما يرجون من رحمتي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدنيا موقوفة بين السماء والأرض منذ خلقها الله لا ينظر إليها الحديث لم أجده له أملاً (٤) حديث الدنيا موقوفة بين السماء والأرض منذ خلقها الله لا ينظر إليها الحديث تقدم بضه من رواية موسى بن يسار مرسل ولم أجده باقية

النفس متصاعدة من
مركزها والجوارح
وتصرفها وحركتها
مع معاني الباطن
ارتباط وموازنة
فبوضع الجنى إلى الشمال
حصر النفس ومنع
من صدور جوارحها
وأثر ذلك يظهر بدفع
الوسوسة وزوال
حديث النفس في
الصلاة ثم إذا استولت
جسود الروح
وعملت من الفرق
إلى القدم عند كمال
الأنس وتحقق قرة
العين واستيلاء سلطان
الشاهدة صبر النفس
مقورة ذليلة وستير
مركزها بنور الروح
وتقطع حينئذ جوارح
النفس وعلى قدر
استنارة مركز النفس
يزول كل العبادة

فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف فترضوا له تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم ثم قال أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء قالوا أجل يا رسول الله قال فأبشروا وأملوا مايسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتفسدوها كما تفاسدونها قبلكم كما أهلكتهم (١) « وذلك أبو سعيد الخدري ذل رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض قليل ما بركات الأرض قال زهرة الدنيا (٢) « وقال علي بن أبي طالب « ولا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا (٣) « فمضى عن ذكرها فضلا عن إصابتها عنها . وقال عمار بن سعيد مر عيسى عليه السلام بقرية فإذا أهلها موتى في الأضيء والطرق فقال يا معشر الحواريين إن هؤلاء ماتوا عن سخطه ولو ماتوا عن غير ذلك لتدافنوا فقالوا ياروح الله وددنا أن لو علمنا خبرهم فسأل الله تعالى فأوحى إليه إذا كان الليل فنادهم يجيئوك فلما كان الليل أشرف على نثرهم ثم نادى يا أهل القرية فأجابه عجيب ليبيك ياروح الله فقال ما حالكم وما قصتكم قال بنينا في عافية وأصبحنا في الهاوية قال وكيف ذاك ؟ قال بجنا الدنيا وطاعتنا أهل العاصي قال وكيف كان حكمك للدنيا ؟ قال حب الصبي لأمه إذا أثقلت فرحان بها وإذا أثرت حزنا وبكينا عليها قال فما بال أوصاك لم ينجوني قال لأنهم ملجمون باجم من نار بأبدى ملائكة غلاظ شداد قل فكيف أجبتني أنت من بينهم قال لأنني كنت فيهم ولم أكن منهم فلما نزل بهم العذاب أصابني معهم فأنا معلق على شفير جهنم لا أدري أتنجو منها أم ألكبب فيها قال ليسع للحواريين لأكل خبز الشعير للملح الجريش ولبس السوح والنوم على الزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة . وقال أنس كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم الضياء لاتسبق فجاء أعراقي بناقة لم فسبقها فسق ذلك على السليدين فقال صلى الله عليه وسلم « إنه حق على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه (٤) « وقال عيسى عليه السلام من الذي يبنى على موج البحر دار تلجك الدنيا فلا تتخذوها قرارا وقيل لعيسى عليه السلام علنا علنا واحدا بجنا الله عليه قال أبضوا الدنيا بجكم الله تعالى وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولهانت عليكم الدنيا ولآترتم الآخرة (٥) « ثم قال أبو الدنيا من قيل نفسه لو تعلمون ما أعلم لخرجتم إلى الصدقات تجارون وتبكون على أنفسكم ولتركتكم أموالكم لا حارس لها ولا راجع إليها إلا ما لا بد لكم منه ولكن غيب عن قلوبكم ذكر الآخرة وحضرها الأمل فصارت الدنيا أملك بأعمالكم وصرتم كالذين لا يطمون بنفوسكم شر من البهائم التي لاتدع هواها عفاة عما في قلوبها ما لكم لا تحابون ولا تتاصحون وأنتم إخوان على دين الله ما فرق بين أهوائكم إلا خبث سراركم ولو اجتمعتم

(١) حديث بثت أبا عبيدة بن الجراح فجاء فبصالح من البحرين فسمعت أنصارا يقولون أبي عبيدة متفق عليه من حديث عمرو بن عوف البدرى (٢) حديث أبي سعيد إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض الحديث متفق عليه (٣) حديث لاتشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا البهقي في الشعب من طريق ابن أبي الدنيا من رواية محمد بن النضر الحارثي مرسل (٤) حديث أنس كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم الضياء لاتسبق فجاء أعراقي بناقة لم فسبقها فسق ذلك على السليدين فقال صلى الله عليه وسلم « إنه حق على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه البخاري (٥) حديث أبي الدرداء لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولهانت عليكم الدنيا ولآترتم الآخرة الطبراني دون قوله ولهانت الخوزاد وخرجتم إلى الصدقات الحديث وزاد الترمذي وابن ماجه من حديث أبي ذر وما تلذذتم بالنساء على الفرش وأول الحديث متفق عليه من حديث أنس وفي أفراد البخاري من حديث عائشة .

الأخلاق فانه لا يهدى لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها فانه لا يصرف عني سيئها إلا أنت ليك وسعديك فالخير كله بيدك تباركت وتعاليت استغفرك وأتوب إليك وبطرق رأسه في قيامه ويكون نظره إلى موضع السجود ويكمل القيام باتصاب القامة وتزع يسير الانطواء عن الركبتين والخواصر ومداطف البدن ويقف كأنه ناظر بجميع جسده إلى الأرض فمصدنا من خضوع سائر الأجزاء ويتصكون الجسد يتكون القلب من الخشوع وبرواح بين التمدن بمقدار أربع أصابع فأنهم السكينة

على البر لتعابيتم ما لكم تناصحون في أمر الدنيا ولا تناصحون في أمر الآخرة ولا يحكم أحدكم النصيحة
لن يحبه ويسته على أمر آخرته ما هذا إلا من قلة الإيمان في قلوبكم لو كنتم توفنون غير الآخرة وشربها
كما توفنون بالدنيا لآتمتم طلب الآخرة لأنها أملك لأموالكم . فان قلتم حب العاجلة غالب فانا نراكم
تدعون العاجلة من الدنيا للأجل منها تكدون أشكم بالشفقة والاحتراف في طلب أمر لعلكم لا تذكروا
قبس القوم أنهم ما حققتهم إيمانكم بما يعرف به الإيمان البالغ فيكم فان كنتم في شك مما جاء به محمد
صلى الله عليه وسلم فالتونا لنين لكم ولربكم من النور ما تطمئن إليه قلوبكم والله ما أتم بالقصة
عقولكم فتعذركم إنكم تستبينون صواب الرأي في دنياكم وتأخذون بالحزم في أموركم ما لكم بفرحون
باليسر من الدنيا تصيدونه وتحزنون على اليسر منها يغوسكم حتى يقين ذلك في وجوهكم ويظهر على
السننكم وتسمونها الصائب وتقيمون فيها الآتم وعاشتكم قد تركوا كثيرا من دينهم لا يقين ذلك
في وجوهكم ولا يتغير حالكم إنى لأرى الله قد تبرا منكم بلقي بفسكم بضاً بالسرو وركلكم بكمراً
يستقبل صاحبه بما يكره غفلة أن يستقبله صاحبه بثله فاصطجبت على القل وثبت مراعيكم على
الدمن وتضافتم على رفض الأجل ولوددت أن الله تعالى أراحني منكم وألحقني بمن أحب رؤيته ولو
كان حيا لم يصاركم فان كان فيكم خير فقد أمتعتكم وإن تطلبوا ما عند الله تجدوه يسيرا وبالغاستمين
على نفسى وعليكم . وقال عيسى عليه السلام : يا معشر الحواريين ارضوا بدنى الدنيا مع سلامة الدين
كما رضى أهل الدنيا بدنى الدين مع سلامة الدنيا ، وفي معناه قيل :

أرى رجلا بأدنى الدين قد تنعوا وما أرام رضا في العيش بالدين

فاستغن بالدين عن دنيا اللوك كما استغن اللوك بدنيام عن الدين

وقال عيسى عليه السلام : يا طالب الدنيا لير ترك الدنيا أمر . وقال نبي الله صلى الله عليه وسلم ولأنيتمكم
ببدى دنيا تأكل إيمانكم كما تأكل النار الحطب ^(١) « وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام
يا موسى لا تر كنى إلى حب الدنيا فلن تأتيني بكبرية هي أشد منها ، ومن موسى عليه السلام رجل وهو
يكنى ورجع وهو يكنى فقال موسى يارب عبدك يئس من عفتك فقال يا ابن عمران لو سال دماغه
مع دموع عينيه ورفع يديه حتى يسقطا لم أغفر له وهو يحب الدنيا . الآثار : قال على رضى الله عنه
من جمع فيه ست خصال لم يدع للجنة مطلباً ولا عن النار مهراً أولها : من عرف الله فطاعه وعرف
الشیطان فصاه وعرف الحق فاتبه وعرف الباطل فأتاه وعرف الدنيا فرضاها وعرف الآخرة فطلبها
وقال الحسن : رحم الله أقواما كانت الدنيا عندهم ودية فأودوا إلى من اتهمهم عليها ثم راحوا خفافا
وقال أيضا رحمه الله من نافسك في دينك فخافه ومن نافسك في دنياك فألقها في نحره وقال لقمان
عليه السلام لابنه : يا بني إن الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير فلتكن سفينةك فيها تقوى
الله عز وجل وحشوها بالإيمان بالله تعالى وشراعها بالتوكل على الله عز وجل لعلك تتجو وما تراك
ناجيا ، وقال الفضيل طالت فسكرنى في هذه الآية - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لبلوهم أيهم
أحسن عملا وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جزا - وقال بعض الحكماء : إنك لن تصبح في شيء من
الدنيا إلا وقد كان له أهل قبلك وسيكون له أهل بعده وليس لك من الدنيا إلا عشاء ليلة وغداة
يوم فلا تهلك في أكلة وصم عن الدنيا وأطفر على الآخرة وإن رأس مال الدنيا الهوى وريحها النار
وقيل لبعض الرهبان كيف ترى الدهر ؟ قال يغاق الأبدان ويجدد الآمال ويقرب اللية ويعد
الأمية . قول فما حال أهله ؟ قال من ظفر به تب ومن فاته نصب ، وفي ذلك قيل :

هو الصند للشيء عنه
ولا يرفع إحدى
الرجلين فانه الصنف
التي عنه نهى رسول
الله صلى الله عليه وسلم
عن الصنف والصنف
وإذا كان الصنف منيا
عنه ففي زيادة الاعتاد
على إحدى الرجلين
دون الأخرى معنى
من الصنف فالأولى
رعاية الاستدال في
الاعتاد على الرجلين
جميعا ، ويكره اشتغال
الصماء وهو أن يخرج
يده من قبل صدره
ويحجب السدل وهو
أن يرخى أطراف
الثوب إلى الأرض فقيه
معنى الخلاء ، وقيل هو
الذى ياتف باليوب
ويجعل يديه من داخل
فيرك ويدجد كذلك
وفي معناه ما إذا جعل

(١) حديث لأنيتمكم بدى دنيا تأكل إيمانكم كما تأكل النار الحطب ، لم أجده لأهلا .

ومن يبعد الدنيا ليعي بسرّه فسوف لعمري عن قليل يلومها

إذا أدبرت كانت على الرء حسرة وإن أقبلت كانت كثير اهمومها

وقال بعض الحكماء : كانت الدنيا ولم أكن فيها وتذهب الدنيا ولا أكون فيها فلا أسكن إلا ما كان عيشها
نكد وصفوها كد وأهالها منها على وجل إما بنعمة زائلة أو بيلة نازلة أو بئمة قاضية . وقال بعضهم :
من عيب الدنيا أنها لا تعطى أحدا ما يستحق لكنها إما أن تزيد وإما أن تنقص ، وقال سفيان أمرى
النم كأنها مغشوب عليها قد وضعت في غير أهلها . وقال أبو سليمان الداراني : من طلب الدنيا على
الحبة لها لم يسط منها شيئا إلا أراد أكثر ومن طلب الآخرة على المحبة لها لم يسط منها شيئا إلا أراد
أكثر وليس لهذا غاية . وقال رجل لأبي حازم أشكو إليك حب الدنيا وليست لي بدرا فقال انظر
ما آتاك الله عز وجل منها فلا تأخذه إلا من حله ولا تضعه إلا في حقه ولا يضر لك حب الدنيا وإنما قال
هذا لأنه لو أخذت هسه بذلك لأتبعه حتى يترّم بالدنيا ويطلب الخروج منها ، وقال يحيى بن معاذ :
الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق من حانوته شيئا فيجبي في طابه فيأخذك ، وقال الفضيل لو كانت
الدنيا من ذهب يفتى والآخرة من خزف يبق لكأن يبنى لنا أن نخز خزفا يبق على ذهب يفتى
فكيف وقد اخترنا خزفا يفتى على ذهب يفتى ، وقال أبو حازم إياكم والدنيا فإنه يفتى أنه يوقف العبد
يوم القيامة إذا كان معظما للدنيا فقال هذا عظم ما حقره الله ، وقال ابن مسعود ما أصبح أحد من
الناس إلا وهو ضيف وماله عارية فالضيف مرئىل والعارية مردودة ، وفي ذلك قيل :

وما المال والأهلون إلا ودائع ولا بد يوما أن تردّ الودائع

وزار رابعة أصحابها فذكروا الدنيا فأقبلوا على ذمها فقالت استكثروا عن ذكرها فلو لاموكم من قلوبكم
ما أكثرتم من ذكرها ألا من أحب شيئا أكثر من ذكره وقيل لبراهيم بن آدم كيف أنت فقال :
ترفع ديننا بتزقي ديننا فلا ديننا يبقى ولا ماترفع
فطوبى لعبد آثر الله ربه وجاد بدينه لما يتسوق

وقيل أيضا في ذلك :

أرى طالب الدنيا وإن طال عمره ونال من الدنيا سرورا وأنما

كعبان يبي بئسانه فأفامه فلما استوى ماقد بناء تهما

وقيل أيضا في ذلك :

هب الدنيا تساق إليك عفوا أليس مصر ذاك إلى انتقال

وما دينك إلا مثل في أظلك ثم آذن بالزوال

وقال لقمان لابنه يابئ ببع دينك بأخرتك ترجعها جميعا ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعا .
وقال مطرف بن النخعي لا تنظر إلى خفيض عيش الملوك ولين رياشهم ولكن انظر إلى سرعة ظههم
وعود منقلبهم . وقال ابن عباس إن الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة أجزاء جزء للمؤمن وجزء للمنافق وجزء
للكافر فالؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يستمتع . وقال بعضهم الدنيا جيفة فمن أراد منها شيئا
فليصبر على معاشرة الكلاب ، وفي ذلك قيل :

يا خاطب الدنيا إلى قسمها تنح عن خطبتها تسل

إن التي تخطب غداوة قرية العرس من اللأم

وقال أبو الدرداء من هو ان الدنيا على الله أنه لا يعي إلا بها ولا ينال ما عنده إلا بتاركها ، وفي ذلك قيل :
إذا امتحن الدنيا لبيب تكسفت له عن عدو في ثياب صديق

يديه داخل القمص
ويجنب الكف وهو
أن رفع ثيابه يديه
عند السجود ويكره
الاختصار وهو أن
يجعل يده على الحاصرة
ويكره الصلب وهو
وضع اليدين جميعا على
الحصرين ويجافي
العصدين فإذا وقف في

الصلاة على الهيئة التي
ذكرناها نجبتا للسكره
فقد تم القيام وكله
فيقرأ آية التوسعة
والدعاء كما ذكرنا ثم
يقول أعوذ بالله من
الشیطان الرجيم ويقولها
في كل ركعة أمام
القراءة ويقرأ الفاتحة
وما سدا محصور قلب
وجمع هم وواطأة بين
القلب واللسان بحفظ
وافرن الوصلة والدنو
والهية والخشوع

وقيل أيضا : يارافد الليل مسرورا بأوله
أفنى القرون التي كانت منعمة
كم قدأبأت صروف الدهر من ملك
يامن يسانق دنيا لبقاء لها
هلا تركت من الدنيا معاقبة
إن كنت تبغى جنان الخلد تسكنها
فيذنبى لك أن لاتأمن النارا

وقال أبو أامة الباهلي رضى الله عنه لما بعت محمد صلى الله عليه وسلم أنت إلي ليس جنوده فقالوا قدبت
ني وأخرجت أمة قال يحبون الدنيا ؟ قالوا نعم قال لئن كانوا يحبون الدنيا ما أبالي أن لا يبدوا الأوثان
وإنما أئندو عليهم وأروح بثلاث أخذ السال من غير حق وإنفاقه في غير حقه وإسساكه عن
حقه والتركه من هذا نبع . وقال رجل لمل كرم الله وجهه يأمر المؤمنين صف لنا الدنيا قال :
وما صف لك من دار من صح فيها سقم ومن أمن فيها نعم ومن اتقى فيها حزن ومن استنى فيها افتتن
في حلالها الحساب وفي حرامها العقاب ومتشابها الغاب ، وقيل له ذلك مرة أخرى فقال أطول أم
أقصر قبل قصر فقال حلالها حساب وحرامها عذاب ، وقال مالك بن دينار اتقوا السحارة فأتها تسحر
قلوب العلماء يعني الدنيا . وقال أبو سليمان الداراني إذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا ترزأحها فإذا
كانت الدنيا في القلب لم ترزأحها الآخرة لأن الآخرة كريمة والدنيا ليثة ، وهذا تشديد عظيم ورجو
أن يكون ما ذكره سيابن الحكم أصح إذ قال الدنيا والآخرة مجتمعان في القلب فأيهما غلب كان
الأخر تبعاً له ، وقال مالك بن دينار بقدر ما مخزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك بقدر ما مخزن
للاخرة يخرج هم الدنيا من قلبك ، وهذا اقتباس مما قاله على كرم الله وجهه حيث قال : الدنيا
والآخرة ضربان فيقدر مارضى إحدهما تسخط الأخرى ، وقال الحسن والله لقد أدركت أقواما
كانت الدنيا أهون عليهم من التراب الذي تمشون عليه ما يولون أشرفت الدنيا أم غربت ذهبت
إلى ذا أودهبت إلى ذا وقال رجل للحسن ما تقول في رجل آتاه الله مالا فهو يتصدق منه ويصل منه
أيعسن له أن يتبع في ؟ يعني يتم فقال لا لو كانت له الدنيا كلها ما كان له منها إلا الكفاف ويقدم
ذلك يوم قهره ، وقال الفضيل لو أن الدنيا عذرا فبرها عرست على حلالها لحاسب عليها في الآخرة ولكنك
تأخذها كما يتقدر أحكم الحيفة إذا مر بها أن تصيب ثوبه ، وقيل لما قدم عمر رضى الله عنه الشام
فاستقبله أبو عبيدة بن الجراح على ناقه مخطومة بجمل فسلم وسأله ثم أتى منزله فلم يره إلا سفيها فمرسه
ورحلته فقال له عمر رضى الله عنه لو أخذت متاعا يأمر المؤمنين إن هذا يفتن القلب وقال سفيان
خذ من الدنيا لبدنك وخذ من الآخرة لقلبك ، وقال الحسن والله لقد عبت بنو إسرائيل الأصنام بعد
عبادتهم الرحمن بحبهم للدنيا ، وقال وهب قرأت في بعض الكتب الدنيا غيصة ألا كيا سوغفة الجبال
لم يعرفوها حتى خرجوا منها فسالوا الرجعة فلم يرجعوا ، وقال لقمان لابن أبيه إنك استدبرت الدنيا
من يوم زلتها واستقبلت الآخرة فأنت إلى دار تقرب منها أقرب من دار تباعد عنها ، وقال سعيد بن مسعود
إذا رأيت العيد تزداد دنياه وتنقص آخرته وهو به راض فذلك الشبون الذي يلعب بوجهه وهو لا يشعر
وقال عمرو بن العاص بن النبر : والله ما رأيت قوما قط أرغب فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يزهد فيه منكم والله ما بر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث إلا والى عليه أكثر من الذي له (١)

(١) حديث عمرو بن العاص والله ما رأيت قوما قط أرغب فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يزهد فيه منكم الحديث الحاكم وصححه ورواه أحمد وابن حبان بنحوه .

والخشية والتنظيم
والوقار والشاهدة
والساجدة وإن قرأين
العائقة وما يقرأ بعدها
إذا كان إماما في
الكنة الثانية : اللهم
باعديني وبين خطايي
كما باعدت بين الشرق
والغرب وتبني من
الخطايا بيني والثوب
الأبيض من الهندس
اللهم اغسل خطايي
بالماء والتاج والبرد
لحسن ، وإن قلها في
الكنة الأولى لحسن
روى عن النبي عليه
الصلاة والسلام أنه قال
ذلك وإن كان مفردا
يقولها قبل القراءة
ويلعب العيد أن تلوته
نطق اللسان ومعناها
نطق القلب وكل
محاطب للشخص
بشكلم لسانه ولسانه

وقال الحسن بعد أن تلا قوله تعالى - فلا تفرسكم الحياة الدنيا - من قل ذا قاله من خلفه ومن هو أعلم بها إياكم وما شغل من الدنيا فإن الدنيا كثيرة الأشغال لا يفتح رجل على شهابه فغل إلا أو شك ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب . وقال أيضا مسكين ابن آدم رضى بدار حلالها حساب وحرامها عذاب إن أخذ من حله حوسب به وإن أخذ من حرام عذب به ابن آدم يستقل ماله ولا يستقل عمله يفرح بمصيته في دينه ويحز من مصيته في دنياه . وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز سلام عليك . أما بعد : فكأنك بأخر من كتب عليه اللوث قد مات فأجاب عمر سلام عليك كأنك بالدنيا ولم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل . وقال الفضل بن عياض الدخول في الدنيا حين ولكن الخروج منها شديد . وقال بعضهم هب لمن يعرف أن اللوث حق كيف يفرح وهب لمن يعرف أن النار حق كيف يشك وهب لمن رأى قلب الدنيا بأهلها كيف يطمئن إليها وهب لمن يعلم أن القدر حق كيف ينصب . وقدم على معاوية رضى الله عنه رجل من نجران عمره مائة سنة قال عن الدنيا كيف وجدتها فقال سنيت بلاه وسنيت رخاء يوم فيوم ولية فليلة يولدو يولدو يهلك هالك فلولو للولود لباد الخلق ولولو الهالك ضاقت الدنيا بمن فيها فقال له سل ما شئت قال عمر معنى قرده أو أجل حضر فتدسه قال لا أمك ذلك قال لأحاجة لى إليك . وقال داود الطائي رحمه الله يا ابن آدم فرحت يلوغ أمك وإنما بلغت باقتضاء أجلك ثم سوف يملكك كأن منفعة ليرك وقال بشر من سأل الله الدنيا فاعما يسأله طول الوقوف بين يديه . وقال أبو حازم مافى الدنيا شيء يسرك إلا وقد ألقى الله إليه شيئا يسوءه . وقال الحسن لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا إلا بحسرات ثلاث : إنه لم يشبع مما جمع ولم يدرك ما أمل ولم يحسن الزاد لما يقدم عليه . وقيل لبعض الباطنية قلت قال إنما تال الفنى من عتق من رقى الدنيا . وقال أبو سليمان لا يصبر عن شهوات الدنيا إلا من كان في قلبه ما يشغله بالآخرة وقال مالك بن دينار اصطلاحنا على حب الدنيا فلا يأمر بمضنا بعضنا ولا ينهى بعضنا بعضا ولا يدعنا الله على هذا فليت شمرى أى عذاب الله يزل علينا . وقال أبو حازم يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة . وقال الحسن أهينوا الدنيا فوائدها ما هي لأحد بأنها لمن أهانتها . وقال أيضا إذا أراد الله بعبده خيرا أعطاه من الدنيا عطية ثم يسلك فادأ قد أعاد عليه وإذا هان عليه عبد بسط له الدنيا بسطا . وكان بعضهم يقول في دعائه يا مملك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنك أمسك الدنيا عني وقال محمد بن السكندر أرايت لو أن رجلا صام الدهر لا يفطر وقام الليل لا ينام وتصدق بماله وجاهد في سبيل الله واجتنب محارم الله غير أنه يؤتى به يوم القيامة فيقال إن هذا عظم في عينه ماصرفه الله وصغر في عينه ما عظمه الله كيف ترى يكون حاله فمن منا ليس هكذا الدنيا عظيمة عند من معاقرتنا من الذنوب والخطايا وقال أبو حازم ائتمت مؤنة الدنيا والآخرة فأما مؤنة الآخرة فانك لا تجد عليها أعوانا وأما مؤنة الدنيا فانك لا تضرب يدك إلى شيء منها إلا وجدت فاجرا قد سبقك إليه وقال أبو هريرة الدنيا موقوف بين السماء والأرض كالشن البالى تاتى ربهها منذ خلقها إلى يوم يقبها يارب يارب لم تبغضني فيقول لها اسكني بالاسم . وقال عبد الله بن المبارك حب الدنيا والذنوب في القلب قد احتوشته لئى جل الخير إليه وقال وهب بن منبه من فرح قلبه بشيء من الدنيا فقد أخطأ الحكمة ومن جل شهوته تحت قدميه فرق الشيطان من ظله ومن غلب عليه هواه فهو الغالب وقيل لشر ما تال قال جمع الدنيا وذهب إلى الآخرة ضيع نفسه قيل له إنه كان يفعل ويفعل وذكروا أبو يامن البرق قال وما ينفع هذا وهو يجمع الدنيا . وقال بعضهم الدنيا تبغض إلى نفسها ونحن نحبها فكيف لو تحببت إلينا وقيل لحكيم الدنيا لمن هي قال بن تركم قيل الآخرة لمن هي قال لمن طلبها وقال حكيم الدنيا وار خراب وأخر

يسرهما في قلبه وهو
أمكن للتكلم إلهام
من يكلمه من غير
لسان فضل ولكن
حيث تنزل الإلهام
إلا بالكلام جعل اللسان
ترجائنا إذا قال باللسان
من غير مواطاة القلب
لما اللسان ترجائنا ولا
التقارير متكلما قاصدا
إسعاد الله حاجته
ولا مستمعا إلى الله
فأما عنه سبحانه
ما غاطبه وما عنده غير
حركة اللسان بقلب
غائب عن قصد
ما يقول فينبغي أن
يكون متكلما مناجيا
أو مستمعا راعيا فأقول
مراتب أهل الخصوص
في الصلاة الجمع بين
القلب واللسان في
التلاوة ووراء ذلك
أحوال الخاص بطول

منها قلب من يصرها والجنة دار عمران وأمر منها قلب من طلبها . وقال الجنيذ كان الناصي رحمه الله من الريدين الباطنين بلسان الحق في الدنيا وعظ أخاه في الله وخوفه بالله فقال يا أخى إن الدنيا دحى مزة ودار مذلة عمرائها إلى الحراب صائر وساكنها إلى القبور زائر شملها على القرفة مقوف وغناها إلى الفقر مصروف الإكثار فيها إفسار والإعسار فيها يسار فافزع إلى الله وأرض برزق الله لتسلف من دار فئائك إلى دار قبائك فان عيشك في* زائل وجدار مائل أكثر من محلك وأقصر من أملك . وقال إبراهيم بن آدم لرجل أدرهم في النام أحب إليك أم ديار في البقعة فقال ديار في البقعة قال كذبت لأن الذي تحبه في الدنيا كأنك تحبه في اللثام والذي لا تحبه في الآخرة كأنك لا تحبه في البقعة . وعن إسماعيل بن عياش قال كان أصحابنا يسمون الدنيا خزيرة فيقولون إليك عنايا خزيرة فلو وجدوا لها اسماً أقبح من هذا لسموها به . وقال كعب لتجبن إليك الدنيا حتى تعبدوها وأهلها وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله الملاء ثلاثة : من ترك الدنيا قبل أن تتركه وبني قبره قبل أن يدخله وأرضى خالقه قبل أن يلقاه . وقال أيضاً الدنيا باغ من شؤمها أن تميلك لما يملكك عن طاعة الله فكيف الوقوع فيها وقال بكر بن عبد الله من أراد أن يستغنى عن الدنيا بالدنيا كان كطفي* النار بالبنين وقال بندار إذا رأيت أبناء الدنيا يتكلمون في الزهد فاعلم أنهم في سخرة الشيطان وقال أيضاً من أقبل على الدنيا أحرقت نيرانها بنى الحرس حتى يصير رماداً ومن أقبل على الآخرة صفته بيرانها فصار سبيكة ذهب ينتفع به . ومن أقبل على الله عز وجل أحرقت نيران التوحيد فصار جوهرًا لا حد لقيمته . وقال علي كرم الله وجهه إنما الدنيا ست أسياء مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشعوم وأشرف الطموعات العسل وهو مذقة ذباب وأشرف الثمرات لباء ويستوى فيه البر والفاجر وأشرف اللبوسات الحرير وهو نسج دودة وأشرف الركوبات القرس وعليه يقتل الرجال وأشرف التسكحات الرأه* وهي مبال في مبال وإن المرأة لزين أحسن شيء منها ويراد أقبح شيء منها وأشرف للشعومات للسك وهو دم .

(بيان الواعظ في ذم الدنيا وصفها)

قال بعضهم يا أيها الناس اعملوا على مهول وكونوا من الله على وجل ولا تموتوا بالأمل ونسبنا الأجل ولا تتركوا إلى الدنيا فاتها غدارة خداعة قد تزخرت لكم بفروها وتحتكم بأمانها وترينت لحطائها فأصبحت كالمرس الحلبية البيون إليها ناظرة والقلوب عليها عاكفة والنفس لها عاشقة فكم من عاشق لها قتلت ومطمئن إليها خذلت فانظروا إليها بين الحقيقة فاتها دار كثير يوافقها وذمها خالقها جديدها يبل وملسها يغنى وعزها يذل وكثيرها يذل ودعها يموت وغيرها يموت فاستقظوا رحمكم الله من غفلتكم واتهبوا من رقبتكم قبل أن يقال فلان طيل أو مدقت تهيل فهل على الدواء من دليل أو هل إلى الطبيب من سبيل قدعنى لك الأطباء ولا يرجى لك الشفاء ثم يقال فلان أوصى ولماله أوصى ثم يقال قد تقل لسانه لما يكلم إخوانه ولا يعرف جبرانه وعرق عند ذلك جبينك وتتابع أنينك وثبت يمينك وطمعت جفونك وصدقت ظنونك وتلجج لسانك وبكى إخوانك وقيل لك هذا ابنك فلان ، وهذا أخوك فلان ومنبت من الكلام فلا تطق وختم على لسانك فلا ينطق ثم حل بك القضاء وانزعمت نفسك من الأعضاء ثم عرج بها إلى السماء فاجتمع عند ذلك إخوانك وأحضرت أكنافك فسلوكك وحسنوك فاقطع عوادك واستراح حسادك وانصرف أهلك إلى مالك وبقيت مرتها بأعمالك . وقال بعضهم لبعض اللوك إن أحق الناس بدم الدنيا وقلها من بسط له فيها وأعطى حاجته منها لأنه يتوقع آفة تعدو

شرحها . قال : جهضم
مادخلت في صلاة قط
فأهمني فيها غير ما أقول
وقيل لأمير بن
عبد الله هل تجد في
الصلاة شيئاً من أمور
الدنيا فقال لأن تخاف
على الأمانة أحب إلى
من أن أجدي الصلاة
تجدون . وقيل بعضهم
هل تحدث نفسك في
الصلاة بشيء من أمور
الدنيا فقال لا في الصلاة
ولا في غيرها ومن الناس
من إذا أقبل على الله
في صلاته يتعق بعنى
الإجابة لأن الله تعالى
قمم الإجابة وقال -
منيبين إليه واتقوه
واقبوا الصلاة -
فينيب إلى الله تعالى
ويتق الله تعالى بالتبى
عما سواه ويتم الصلاة
بمسر متفرح

على بابه فتجتاحه أوطى جمه فخره أوتان سلطانة قدمه من القواعد أوتدب إلى جسده فتسفه
أوضحه حتى هو ضنين به بين أحبابه فالديناحق بالدم هي الآخذة ماطلى الراحة فتأهب ينأهى
تضحك صاحباً إذ أضحكته منه غيره وينأهى تبيك له إذ أبكت عليه وينأهى بسطت كنفها بالاعطاء
إذ بسطتها بالاسترداد فتعقد التاج على رأس صاحبها اليوم وتفره بالتراب غداسوا عليها ذهاب مذهب
وبقاء مابقى تجعد في البالي من القاهب خلفاً وترضى بكل من كل بدلا . وكتب الحسن البصري إلى
عمر بن عبد العزيز . أما بعد : قال الدنيا دار ظنن ليست بدار إقامة وإنما أنزل آدم عليه السلام من
الجنة إليها عقوبة فأحضرها يأمر للؤمنين فإن أراد منها تركها والتي منها تفرها لها في كل حين قيل
تدل من أعزها وتفر من جميعها هي كالسماكله من لا يعرفه وفيه حشفه فكأن فيها كاللداوى جراحه
عظمى قليلا مخافة مايكره طويلا ويصبر على شدة الدواء مخافة طول الداء فأحضر هذه الدار التذارة
الخنالة الحداقة التي قد تزيت بخدمها وقتنت بفروورها وحلت بأمانها وسوقت عخطاها فأصبحت
كالمرس المجلية ، العيون إليها ناظرة والقلوب على الوالدة والنفس لها عاشقة وهي لأزواجها كلهم قالبة
فلا الباقي بالمساوى معتبر ولا الآخر بالأوّل مزجر ولا العارف بالله عز وجل حين أخبره عنها كذا
فماشقا لها قد ظفر منها بحاجته فاغتر وطنى ونسى للماد فشغل فيها له حتى زلت به قدمه فسطمت
ندامته وكثرت حسرته واجتمعت عليه سكرات اللوت وتآله وحسرات القوت بضته وراغب فيها
لم يدرك منها ماطلب ولم يروّح نفسه من التعب فخرج يذير زاد وقدم على غيره ما فاحذرها يا أمير المؤمنين
وكن أسرا ماتكون فيها حذر ماتكون لها فإن صاحب الدنيا كما اطمأن منها إلى سرور أشخصته
إلى مكروه السار في أهلها غار الوانافع فيها غدر ضار وقد وصل الرخاء منها بالإلا وجعل البقاء فيها
إلى فناء فمروورها مشوب بالأحزان لا يرجع منها مولى وأدبر ولا يدري ما هوأت فينظر ، أما فيها
كاذبة وآمالها باطلة وصفوها كدر وعيشها نكد وإن آدم فيها على خطر إن عقل ونظر فهو من
النعاه على خطر ومن البلاء على حذر فلو كان الخالق لم يغبر عنها خيرا ولم يضرب لها مثلا لكانت
الدنيا قد أبطلت النائم ونهت الغافل فكفرت وقد جاء من الله عز وجل عنها زاجر وفيها واعظ
لها عند الله جلّ ثناؤه فمر وما نظر إليها منذ خلقها ولقد عرضت على نبيك صلى الله عليه وسلم
بغائبها وخزائنها لينقصه ذلك عند الله جناح بعوضة فأبى أن يقبلها (١) إذ كره أن يخالف على الله
أمره أو يحب ما ينقصه خالقه أو يرفع ما وضعه بملكه فزواها عن الصالحين اختاراً وبسطها لأعدائه
اغترارا فيظن للفرور بها لا تقدر عليها أنه أكرم بها ونسى ما صنع الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه
وسلم حين شدّ الحجر على بطنه (٢) ولقد جاءت الرواية عنه عن ربه عز وجل أنه قال لوسى عليه
السلام : إذا رأيت النفي مقبلا قتل ذنب تجلّت عقوبته وإذا رأيت الفقر مقبلا قتل مرجأ بشمار الصالحين
وإن شئت اقتديت بصاحب الروح والكلمة عيسى ابن مريم عليه السلام فانه كان يقول إداى الجوع
وشعارى الخوف ولبأسى الصوف وصالنى فى الشتاء مشارق الشمس وسراجى القمر ودايق رجلاى

(١) حديث الحسن وكتب به إلى عمر بن عبد العزيز عرضت على نبيك صلى الله عليه وسلم
وسلم بمغائبتها وخزائنها الحديث ابن أبي الدنيا هكذا مرسل ورأى أحمد والطبراني متصلا من حديث
أبي مويبة في أثناء حديث فيه إلى قد أعطيت خزائن الدنيا والحمد لله الجنة الحديث وسنده صحيح
والترمذى من حديث أبي أمامة عرض على ربه ليحمل لي بطعنا مكة ذهب الحديث (٢) حديث
الحسن مرسل في شدّ الحجر على بطنه ابن أبي الدنيا أيضا هكذا والبخارى من حديث أنس رفعا
عن بطون ناعن حجر حجر فرقم رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرين وقال حديث غريب .

بالاسلام وقلب مفتوح
بنور الإنعام فتخرج
الكلمة من القرآن
من لسانه ويسمعها
بقلبه فتقع الكلمة
في فضاء قلب ليس فيه
غيرها فيتملكها القلب
بحسن الفهم وقيد
نعمة الإصغاء
وتشربها بحلاوة
الاستماع وكال الوهم
ويدرك لطيف معناها
وشريف لغواها معاني
تلطف عن تفصيل
الذكر وتشكل بحفى
الفكر ويصير الظاهر
من معاني القرآن قوت
النفس فالنفس للطعنة
متوصة بمعاني القرآن
عن حديقها لكونها
معاني ظاهرة متوجة
إلى عالم الحكمة
والشهادة تحسب
مناسبتها من النفس

وطمأني وما كفى ما أنبت الأرض آيت وليس لي شيء وأصبح وليس لي شيء وليس على الأرض أحد أغنى مني . وقال وهب بن منبه لما بعث الله عز وجل موسى وهرون عليهما السلام إلى فرعون قال لا يروعنكما لباسه الذي ليس من الدنيا فإن ناصيته يدي ليس ينطق ولا يطرف ولا يتنفس إلا بأذني ولا يهجنكما ما تمنع به منها فإنما هي زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين فلو شئت أن أزينكما بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها أن قدرته تعجز عما أوتيتا فقلت ولكي أرغب مكانا عن ذلك فأزوي ذلك عنكما وكذلك أهل بأوليائي إلى لأودهم عن نعمها كما يذود الراعي الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة وإلى لأجنهم ملاذها كما يجنب الراعي الشفيق إلهة عن منازل الفرة وما ذاك لهوانهم على ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالما موفرا إنما يتزين لي بأوليائي بالذل والخوف والخصوع والتعوي تثبت في قلوبهم وتظهر على أجسادهم فسيبهم التي يلبسون ودارهم الذي يظهرون وضيمهم الذي يستثمرون ونجاتهم التي يافقون وورع جازمهم الذي يباهون ومجدهم الذي يفتخرون وسبائهم التي بها يعرفون فإذا لتقيتهم فاخضع لهم جناحك وذلل لهم قلبك ولسانك واعلم أنه من أخاف لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ثم أنا الثائر له يوم القيامة . وخطب على كرم الله وجهه يوم خطبة فقال فيها : انتموا أنسكم ميتون وميعون من بعد الموت وموقوفون على أعمالكم ويجزون بها فلا تفر نسكم الحياة الدنيا فانها بالبلاد محفوفة وبالغناء معروفة وبالقدر موصوفة وكل ما فيها إلى زوال وهي بين أهلها دول وسجل لاتدوم أحوالها ولا يسلم من شرها زلزالا بينا أهلها فيها في رخاء وسرور وإذام منها في بلاء وغرور أحوال مختلفة وتارات منصرة العيش فيها مدموم والرخاء فيها لا يدموم وإنما أهلها فيها أغراض مستعدة ترميهم بسبامها وتقصيم بجامها وكل خنفة فيها مقدور وحظه فيها موفور . واعلموا عباد الله أنكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى من كان أطول منكم أعمارا وأشد منكم بطشا وأعمر ديارا وأبعد آثارا أصبحت أصواتهم هامة خادمة من بعد طول قتلها وأجسادهم بالية وديارهم على عروشها خاوية وآثارهم عافية واستبدلوا بالنصور للشيعة والسر والمارق للمهدة الصخور والأحجار السندة في القبور اللطافة للحمدة فحلهم مقرب وساكنهم مقرب بين أهل عمارة موحشين وأهل محلة متشاغبين لا يستأنسون بالمران ولا يتواصلون تواصل الجيران والإخوان على ما بينهم من قرب للسكان والجوار ودنو الدار وكيف يكون بينهم تواصل وقد طعنهم بكسله البلاء وأكلتهم الجنادل والثرى وأصبحوا بعد الحياة أمواتا وبعد نضارة العيش رفاتا فخرجهم الأحباب وسكوا تحت التراب وطمعوا فليس لهم إياب هيئات هيئات - كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون - فكان قد صرنت إلى ما صاروا إليه من البلاء الوحدة في دار الثوى وارتفعت في ذلك الضجع وضجكم ذلك المستودع فكيف بكم لو عايتكم الأمور وبعثت القبور وحصل ما في الصدور وأوقفتم للتحصيل بين يدي الملك الجليل فطارت الغلوب لإشفاقهم من سالف الذنوب وهنكت عنكم الحجب والأستار وظهرت منكم العيوب والأسرار هنالك تجزى كل نفس بما كسبت إن الله عز وجل يقول - ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى - وقال تعالى - ووضع الكتاب قري المجرمين مشفقين مما فيه - الآية جعلنا الله إياكم كاملين بكتابه متبعين لأوليائهم حتى يجعلنا وإياكم دار القامة من فضله إنه حميد مجيد . وقال بعض الحكماء : الأيام سم والباس أغراض والدهر برميك كل يوم يساهم ويجترمك بلبالية وأيامه حتى يستغرق جميع أجزائك فكيف بقاء سلامتك مع وقوع الأيام بك وسرعة الليالي في يدك لو كلفك الله مما أحدثت الأيام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم ياب عليك واستغلت بمر الساعة بك ولكن تدير الله

للكونة لا قامة رسم
الحكمة تومع في القرآن
الباطنة التي يكشفها
من للكلوت قوت
القلب وتخلص الروح
للقديس إلى أوئل
سراقات الجبروت
بطلعة عظيمة للتكلم
وعمل هذه الطالعة
يكون كمال الاستراق
في ليج الأشواق كما
قل عن مسلم بن يسار
أنه صلى ذات يوم في
مسجد البصرة فوكت
أسطوانة تسمع
بسطوط أهل السوق
وهو واقف في الصلاة
يلم بذلك ثم إذا أراد
الركوع فصل بين
القراءة والركوع ثم
يركع منظو القامة
والنصف الأنفل بحله
في القيام من غير انطواء
الركعتين ويجافي

فوق تدبير الاعتبار وبالحوال الدنيا وجد طعم لذاتها وإنها لأمر من الملقم إذا فصح الحكيم وقد أعيت الواصف ليظهر بها أفضالها وما تأتي به من العجائب أكثر مما يحيط به الواصف اللهم أرشدنا إلى الصواب . وقال بعض الحكماء وقد استوصف الدنيا وقد رآها فقال: الدنيا وقتك الذي يرجع إليك فيه طرفك لأن ماضي عنك قد فاتك وإدراكه وما لم يأت فلا عراك به والدهر يوم مبدل تعام لهته وتخطوه ساعاته وأحداثه تتوالى على الإنسان بالتغير والتقصان والدهر موكب يقتتبت الجماعات وأنخرام الشمل وتقل الدول والأمل طويل والعمر قصير وإلى الله تصير الأمور . وخضب عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه فقال : يا أيها الناس إنكم خلقتم لأمر إن كنتم تصدقون به فانكم حقق وإن كنتم تكذبون به فانكم هلكت إنما خلقتم للأبد ولكنكم من دار إلى دار تغفلون عباد الله إنكم في دار لكم فيها من طعائم غصص . ومن شر ما يكره ثرى لا تصفولكم نعمة تسرون بها إلى الإغراق أخرى تكرهون قرائها فاعملوا لما أنتم صابرون إليه وخالدون فيه ثم غلبه الكياء وزل . وقال في كرم الله وجهه في خطبة : أوصيكم بتقوى الله والترك للدنيا التاركة لكم وإن كنتم لا تحبون تركها البلية أجسامكم وأنتم تريدون تجديدها فاعلموا ما لكم من مثلها ككل قوم في سفر مسلوكوا طريقا وكانهم قد قطعوه وأنفوا إلى علم فسكنهم بغفوه وكفى عسى أن يجرى الجبرى حتى ينتهى إلى القاية وكفى عسى أن يبق من له يوم في الدنيا وطالب حيث يطلبه حتى يارقها فلا يجزعو اليأس واضرأها فانه إلى انقطاع ولا تفروحا بتاعها ونهاها فانه إلى زوال هبت لطالب الدنيا والووت يطلبه وغافل وليس مغفول عنه . وقال محمد بن الحسين : لما علم أهل الفضل والعلم والورقة والأدب أن الله عز وجل قد أمان الدنيا وأنه لم يرضها لأولياؤه وأنها عنده خيرة قليلة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم زهد فيها وحذر أصحابه من لبثها أكلوا منها قصدا وقدموا فضلا وأخذوا منها ما يكتفي وتركوا ما يلهي لبسوا من الثياب ما ستر العورة وأكلوا من الطعام أمثاله مما سد الجوعة ونظروا إلى الدنيا بعين أنها فانية وإلى الآخرة أنها باقية فزودوا من الدنيا كراد الراكب غريرا الدنيا وعمرها بها الآخرة ونظروا إلى الآخرة بقلوبهم فعملوا أنهم سينظرون إليها بأعينهم فارتحلوا إليها بقلوبهم لما علموا أنهم سيرتحلون إليها بأبدانهم تيموا قليلا وتمتعوا طويلا كل ذلك بتوفيق مولاكم الكريم أحبوا ما أحب لهم وكروهوا ما كره لهم .

(بيان صفة الدنيا بالأمثلة)

اعلم أن الدنيا سريعة الفناء قرينة الانقضاء تمدد البقاء ثم تخلف في الوفاء تنظر إليها قراها ساكنة مستقرة وهي سائرة سيرا عنيفا ومرحلة أرخالا سريعا ولكن الناظر إليها قد لا يحس بحركتها فيطمئن إليها وإنما يحس عند انقضائها ومثلها الظل فانه متحرك ساكن ، متحرك في الحقيقة ساكن في الظاهر لا يدرك حركته بالبصر الظاهر بل بالبصيرة الباطنة ولما ذكرت الدنيا عند الحسن البصري رحمه الله أنشد وقال :

أحلام نوم أو كظلم زائل إن اليبس بمنزلة لا ينجح

وكان الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يتمثل كثيرا ويقول :

يا أهل لذات دنيا لا بقاء لها إن اغترارا بظلم زائل حق

وقيل إن هذا من قوله . ويقال إن أعرايا نزل يقوم قدموا إليه طعاما فأكل ثم قام إلى ظل خيمة

لهم فنام هناك فالتفتوا الجمعة فأصابته الشمس فاتتبه فقام وهو يقول :

ألا إنما الدنيا كظلم تنية ولا بد يوما أن ظلك زائل

وكذلك قيل : وإن امرأ دنياه أكبر همه لستمسك منها بحبل غرور

مرقبه من جنبه

وعد عتقه مع ظهره

وضع راحته على

رصبعه منشورة

الأسابع . روى مصعب

ابن سعد قال صليت إلى

جنب سعد بن مالك

فجلست يدي بين ركبتي

وبين غنذي ويطبقها

فضرب يدي وقال

اضرب بكفك على

ركبتك وقال يا بني أنا

كنا نفعل ذلك فأمرنا

أن تضرب بالأكف

على الركب ، ويقول :

سبحان ربي العظيم

ثلاثا وهو أدنى الكمال

والكمال أن يقول

إحدى عشرة وما يأتي

به من المدح يكون بعد

التحسين من الركوع

ومن غير أن يخرج آخر

ذلك بالرفع ويرفع يديه

للكركوع والرفع من

[مثال آخر للدنيا من حيث التفرير بخيالاتها ثم الإفلاس منها بعد إفلاتها] أشبه خيالات النمام وأصنام الأحمال قال رسول الله ﷺ « الدنيا حلم وأهلها عليا مجازون ومما يقون ^(١) » وقال يونس بن عيسى ما شبهت حسي في الدنيا إلا كرمل نام فرأى في منامه ما يكره وما يحب فيها هو كذلك إذ انتبه فكذلك الناس ينام فاذ ناموا انتبهوا فإذا ليس بأيديهم شيء مما كانوا إليه وفرحوا به . وقيل لبعض الحكماء أي شيء أشبه بالدنيا قال أحماد النائم [مثال آخر للدنيا في عداوتها لأهلها وإهلاكها لبنيها] اعلم أن طبع الدنيا التلطف في الاستدراج أولا والتوصل إلى الإهلاك آخرها وهي كأمراء تزين للخطاب حتى إذا نسكتهم ذبحهم وقدرى أن عيسى عليه السلام كوغف بالدنيا فرأها في صورة مجوزة عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت قلت لأحبيهم قال فكلهم مات عنك أم كلهم طلقك قالت بل كلهم قلت فقال عيسى عليه السلام يؤسا لأزواجك الباقين كيف لا يمترون بأزواجك السابقين كيف تهلكين واحدا بعد واحد ولا يكونون منك على حذر [مثال آخر للدنيا في مخالفة ظاهرها لباطنها] اعلم أن الدنيا مزينة الظواهر قبيحة السرائر وهي شبه مجوز مزينة تخدع الناس بظاهرها فاذا وقوا على باطنها وكشفوا القناع عن وجهها عثلت لهم قبايعها فندموا على اتباعها وخجلوا من منصف عقولهم في الاعتراض بظواهرها وقال العلماء ابن زياد رأيت في المنام مجوزا كبيرة متعصبة الجلد عليها من كل زينة الدنيا والناس عكوف عليها معجبون ينظرون إليها جثت ونظرت وتجنب من نظرم إليها وإقبالها عليا قتلها وبك من أنت ؟ قالت أو ما تعرفني . قلت لأدرى من أنت قالت أنا الدنيا قلت أعوذ بالله من شرها قالت إن أحببت أن تماد من شري فابض الدم . وقال أبو بكر بن عياش رأيت الدنيا في النوم مجوزة مشوهة شططا تصفق يديها وخلفها خلق يقيمونها يصفقون ويرقصون فلا كانت بخدائي أقبل على قاتلت لو ظفرت بك لسممت بك مثل ما صنعت بهؤلاء ثم بكى أبو بكر وقال : رأيت هذا قبل أن أقدم إلى بغداد . وقال الفضيل بن عياض قال ابن عباس يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة مجوز شططا زرقاء أتاها بأداة مشوه خلقها فيتشرف على الخلائق فيقال لهم أنصفوه هذه فيقولون نموذ بالله من معرفته فيقال هذه الدنيا التي تناحرتم عليها بها تقاطعتم الأرحام وبها تحاسدتم وتباغضتم واعتزتم ثم يقذف بها في جهنم فتنادى أي رب أين أنباي وأشياعي فيقول الله عز وجل : ألقوا بها أنباي وأشياعي وقال الفضيل بلغني أن رجلا عرج بروحه فاذا امرأة على قارة الطريق عليها من كل زينة من الخي والياب وإداليمر بها أحد إلا جرحته فاذا هي أدبرت كانت أحسن شيء رآه الناس وإذاهي أقبلت كانت أقبح شيء رآه الناس مجوز شططا زرقاء عشاء قال قتل أعوذ بالله منك قالت لا والله لا يبيد الله مني حتى تنفض الدم قال قتل من أنت ؟ قالت أنا الدنيا [مثال آخر للدنيا وعبور الإنسان بها] اعلم أن الأحوال ثلاثة : حالة لم تكن فيها شيئا وهي ما قبل وجودك إلى الأزل . وحالة لا تكون فيها شاهد الدنيا وهي ما بعد موتك إلى الأبد . وحالة متوسطة بين الأبد والأزل وهي أيام حياتك في الدنيا فانظر إلى مقدار طولها وانسبه إلى طرفي الأزل والأبد حتى تعلم أنه أقل من منزل قصير في سفر بعيد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « مالي والدنيا وإنما مثل الدنيا كمثل راكب سار في يوم صائف فرقت له شجرة فقال تحت ظلها ساعة ثم راح وتركها ^(٢) » ومن رأى الدنيا بهذه العين لم يركن إليها

الركوع ويكون في ركوعه ناظرا نحو قدميه فهو أقرب إلى الخشوع من النظر إلى موضع السجود وإنما ينظر إلى موضع سجوده في قيامه ويقول بعد التسبيح : اللهم لك ركنك ولك خشعت وبك آمنت ولك أسلمت خشع لك سمعي وبصري وعظمي وعيني وعصي ويكون قلبه في الركوع متصفا بمعنى الركوع من التواضع والإخبات ثم يرفع رأسه قائلا . صمع الله لمن حمده عالما بقلبه ما يقول فاذا استوى فتماجد محمد ويقول : ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت

(١) حديث الدنيا حلم وأهلها عليا مجازون ومما يقون (٢) حديث مالي والدنيا إنما مثل الدنيا كمثل راكب الحديث الترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث ابن مسعود بنحوه ورواه أحمد والحاكم وصححه من حديث ابن عباس .

ولم يبال كيف انتفضت آيابه في ضر وضيق أوفى سمة ورفاهية بل لا يبين لبنة على لبنة وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومواضع لبنة على لبنة ولا تفتة على تفتة (١) « ورأى بعض الصحابة بيني وبينهم جنس قهقري : « أرى الأمر أهمل من هذا أو أنكر ذلك (٢) » وإلى هذا أشار عيسى عليه السلام حيث قال الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تمسرونها وهو مثال واضح فان الحياة الدنيا ممر إلى الآخرة ولا يهدو الليل الأول على رأس القنطرة والحمد هو الليل الآخر وبينهما سافة محدودة فمن الناس من قطع نصف القنطرة ومنهم من قطع ثلثها ومنهم قطع ثلثيها ومنهم من لم يبق له إلا خطوة واحدة وهو غافل عنها وكيفما كان فلا بد له من العبور والبناء على القنطرة وتزيينها بأصناف الزينة وأنت عابر عليها غاية الجهل والخذلان [مثال آخر للدنيا في لبن موردها وخشونة مصدرها] اعلم أن أوائل الدنيا تبدو هيئة لبنة يظن الحاضن فيها أن حلولة خففتها كحلولة الخوض فيها وهيات فان الخوض في الدنيا سهل والخروج منها مع السلامة شديد وقد كتب علي رضي الله عنه إلى سدان الفارسي بمثلها قال المثل الدنيا مثل الحية ابن سبأ وقتل سمها فأعرض عما يسبغ منها لثة ما يصيبك منها وضع عنك هومها بما أيقنت من فراقها وكن أصر ماتكون فيها أحذر ماتكون لها فان صاحبها كالأمان منها إلى سرور أنضخه عنه كرهه والسلام [مثال آخر للدنيا في تدمير الخلاص من تفتتها بعد الخوض فيها] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما مثل صاحب الدنيا كالمانس في الماء هل يستطيع الذي يمشي في الماء أن لا يبتل قدماء (٣) » وهذا يعرفك جهالة قوم ظنوا أنهم بخوضهم في نعم الدنيا بأبدانهم وقلوبهم منها مطهرة وعلاقتها بهم بواطنهم منقطعة وذلك مكيدة من الشيطان بل لو أخرجوا حمام في لسانك من أعظم النجسين بغرافها فكانت النجس على الماء يقتضي بللا لا محالة يلتصق بالقدم فكذلك ملابسة الدنيا تقتضي علاقة وظلة في القلب بل علاقة الدنيا مع القلب تمنع حلولة العبادة قال عيسى عليه السلام بحق أقول لكم كما ينظر المريض إلى الطعام فلا يلتذ به من شدة الوجع كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ بالعبادة ولا يجد حلواتها مع ما يجد من حب الدنيا وبحق أقول لكم إن الدابة إذا لم تتركب وتمتن تصعب ويشتر خلقها كذلك القلوب إذا لم تتركب بذكر الموت وتصعب العبادة تقسو وتقلظ وبحق أقول لكم إن الزق مالم يخرق أو يقدح يوشك أن يكون وعاء للعسل كذلك القلوب مالم تخرقها الشهوات أو يدنسها الطمع أو يشبعها النعم فسوف تكون أوعية للحكمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم « إنما بقي من الدنيا بلاء وقتنة وإمحا مثل عمل أحدكم كمثل الوعاء إذا طاب أعلاه طاب أسفله وإذا خبث أعلاه خبث أسفله (٤) » [مثال آخر لما بقي من الدنيا وقتله بالإضافة إلى ما سبق] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من أوله إلى آخره فبقى متعلقا بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع (٥) »

(١) حديث ما وضع لبنة على لبنة الحديث ابن حبان في الثقات وللطبراني في الأوسط من حديث عائشة بسند ضيف من سأل عن أسره أن ينظر إلى فلينظر إلى أشعث صاحب مشعر لم يضع لبنة على لبنة الحديث (٢) حديث رأى بعض أصحابه بيني وبيننا من جنس قهقري قال أرى الأمر أهمل من هذا أبو داود والترمذي من حديث عبد الله بن عمرو وقال حسن صحيح (٣) حديث إنما مثل صاحب الدنيا كمثل المانس في الماء الحديث ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من رواية الحسن قال بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذكره ووصله البيهقي في الشعب وفي الزهد من رواية الحسن عن أنس (٤) حديث إنما بقي من الدنيا بلاء وقتنة الحديث ابن ماجه من حديث معاوية قرأه في موضعين ورجاله ثقات (٥) حديث مثل هذه الدنيا كمثل ثوب شق من أوله إلى آخره أبو الشيخ ابن حبان في الثواب وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الأيمان من حديث أنس بسند ضعيف.

من شيء بعد ثم يقول
أهل الثناء والمجد
أحق ما قال الصديق
لك عبد لا مانع لما
أعطيت ولا معطي
لما مننت ولا ينفع
ذا الجدمك الجد فان
أطال في النافذة القيام
بعد الرفع من الركوع
فليقل لربي الحمد
مكررا ذلك مهما شاء
فأما في الفرض فلا
يطول تطويلا يزيد
على الحد زيادة بينة
ويقتنع في الرفع من
الركوع تمام الاعتدال
بإقامة الصلابة ، ورد
عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم أنه قال
« لا ينظر الله إلى من
لا يقم صلبه بين
الركوع والسجود
ثم يهوى ساجدا
ويكون في هويته مكبرا

[مثال آخر لتأدية علائق الدنيا بضها إلى بعض حق الهلاك] قال عيسى عليه السلام مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله [مثال آخر لحاقلة آخر الدنيا أولها ولنضارة أولها وخبث عواقبها] اعلم أن شهوات الدنيا في القلب قبضة كشموات الأطنمة في المعدة وسبيح العبد عند اللوث لشهوات الدنيا في قلبه من السكراة والنشوة التي تصبح ما يجده للأطنمة اللذيذة إذا بلغت في المعدة فأيها وكما أن الطعام كلما كان أدهم طعماً وأكثر دسماً وظهور حلاوة كان رجيته أقدر وأشد تنقاً فكذلك كل شهوة في القلب هي أشهى وأدهم وأقوى فتشربوا كراهتها وتأذي بها عند اللوث أشد بل هي في الدنيا مشاهدة فان من نهت داره وأخذ أهله وماله وولده فتكون مصيته والموت وجهه في كل ما قد يقدر لفته به وجه له وحرصه عليه فكل ما كان عند الوجود أشهى عنده وأدهم عند الفقد أدهى وأمر ولا معنى للوث إلا قد مات الدنيا وقد روى [أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للضحاك بن سفيان الكلبي : ألت تأتي بطعامك وقد ملع وقرح ثم تحرب عليه اللبن والسائل قال بلى قال فيلزم يصير قال إلى ما قد علت يارسل الله قال فان الله عز وجل ضرب مثل الدنيا بما يصير إليه طعام ابن آدم ^(١)] وقال أبي بن كعب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [إن الدنيا خربت مثلاً لابن آدم فانظر إلى ما يخرج من ابن آدم وإن قدحه وملحه إلام يصير ^(٢)] وقال صلى الله عليه وسلم [إن الله ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلاً وضرب مطعم ابن آدم للدنيا مثلاً وإن قدحه وملحه ^(٣)] وقال الحسن قد رأيته يطبونه بالأفاويه والطيب ثم يرمون به حيث رأيته وقد قال الله عز وجل فلينظر الإنسان إلى طعامه قال ابن عباس إلى رجيته وقال رجل لابن عمر إن أباك وأنت وأنتي قال فلا تسبحي وأسأل قال إذا قضى أحدنا حاجته قدام ينظر إلى ذلك منه قال نعم إن الملك يقول له انظر إلى ما خلعت به انظر إلى ما دارا . وكان بشر بن كعب يقول انطلقوا حتى أرىكم الدنيا فيذهب بهم إلى زمرة فيقول انظروا إلى ثمارهم ودجاجهم وعسلهم وحملهم [مثال آخر في نعمة الدنيا في الآخرة] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [وما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يحمل أحدكم أصبعه في اليوم فلينظر أحدكم يرجع إليه ^(٤)] [مثال آخر للدنيا وأهلها في اشتغالهم بنعيم الدنيا وغفلتهم عن الآخرة وخسرانهم العظيم بسببها] اعلم أن أهل الدنيا مثلهم في غفلتهم مثل قوم ركبوا سفينة فانتهت بهم إلى جزيرة فأمرهم الملاح بالخروج إلى قضاء الحاجة وحذرهم القيام وخوفهم مرور السفينة واستعجالها فترقبوا في نواحي الجزيرة فقصى بعضهم حاجته وبادر إلى السفينة فصادف السكان خاليا فأخذ أوسع الأماكن وألينا وأوقها لمراده وبعضهم توقف في الجزيرة ينظر إلى أنوارها وأزهارها العجيبة وغياضها للتلذذ ونعمات طيورها الطيبة وألحائها اللوزنة الفرية وصار يلاحظ من ربه أجارها وجواهرها ومعادنها المختلفة الألوان والأشكال الحسنة النظر العجيبة النقوش السالبة أعين الناظرين

(١) حديث أنه قال للضحاك بن سفيان الكلبي ألت تأتي بطعامك وقد ملع وقرح فخرج الحديث وفيه فان الله ضرب مثل الدنيا لما يصير إليه طعام ابن آدم أحمد والطبراني من حديثه بنحوه وفيه على بن زيد بن جدهان مختلف فيه (٢) حديث أبي بن كعب إن الدنيا خربت مثلاً لابن آدم الحديث الطبراني وابن جبان يلفظ إن مطعم ابن آدم قد ضرب للدنيا مثلاً ورواه عبد الله بن أحمد في زيادته يلفظ جعل (٣) حديث إن الله ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلاً وضرب مطعم ابن آدم للدنيا مثلاً الحديث الشطر الأول منه غريب والشطر الأخير هو الذي تقدم من حديث الضحاك بن سفيان إن الله ضرب ما يخرج من بني آدم مثلاً للدنيا (٤) حديث ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يحمل أحدكم أصبعه في اليوم فلينظر به يرجع إليه مسلم من حديث الترمذي بن شداد .

مستيقظاً حاضراً خاضعاً
عالم بما يهوى فيه
وإليه وله من
الساجدين من يكشف
أنه يهوى إلى تخوم
الأرضين متقياً في
أجزاء الملك لا متلاء
قلبه من الحياة
واستشعار روحه عظيم
الكبرياء كما ورد أن
جبرائيل عليه السلام
تسترخا في جناحه
حياء من الله تعالى .
ومن الساجدين من
يكشف أنه يطوى
بوجوده بساط
الصفون والكان
ويسرح قلبه في فضاء
الكشف والبيان
قوى دون هوى
أطباق السموات
وتسبح لقوة شهوده
تسبيل الكائنات
ويسجد على طرف

بحسن زبرجدها ونجابتها صورها ثم تذهب لحطرات فوات السفينة فرجع إليها فلم يصادف إلا ماضيا فخرج فاستقر فيه وبضمهم أكب على تلك الأصداف والأحجار وأعجبهم حسنها ولم تسمح نفسه بأهلها فاستحب منها جملة فلم يجد في السفينة إلا مكانا ضيقا وزاده ماحله من الحجارة ضيقا وصار قتيلا عليه ووالا فندم على أخذه ولم يقدر على ربه ولم يجد مكانا لوضعه فحمله في السفينة على عنقه وهو متأسف على أخذه وليس ينفع التأسف وبضمهم تولى النياض ونسى الركب وبدد في متفرجه ومتزعه منه حتى لم يلبث نداء اللوح لاشتغاله بأكل تلك الخبز واستشام تلك الأنوار والتفرج بين تلك الأشجار وهو مع ذلك خائف على نفسه من السباع وغير ذلك من السقطات والتكبات ولا منفك عن شوك ينشب بياها وغصن يجرح بدنه وشوكه تدخل في رجله وصوت هائل يزعج منه وعوسج يحرق ثيابه ويهتك عورته ويمنعه عن الانصراف لو أراد فلبث نداء أهل السفينة انصرف مثقال بما معه ولم يجد في الركب موضعا يقي في الشط حتى مات جوعا وبضمهم لم يلبث نداء وصارت السفينة لهم من اقتصرته السباع ومنهم من تاه فهام على وجهه حتى هلك ومنهم من مات في الأوحال ومنهم من نهته الحيات فتضرعوا كالخيل للقتل ، وأما من وصل إلى الركب بنقل ما أخذه من الأزهار والأحجار فقد استقرته وشقه الحزن بحفظها والخوف من فوتها وقد ضيق عليه مكانه فلم يلبث أن ذلت تلك الأزهار وكادت تلك الألوان والأحجار فظلمت رأتهم فصار مع كونها مضيقا عليه مؤذيا بقتلها وحشتم فلم يجد حيلة إلا أن ألقاها في البحر هربا منها وقد أثر فيه ما كل منها فلبثته إلى الوطن إلا بدماء ظهرت عليه الأسقام بتلك الروائح فبلغ مقيا مدبرا ومن رجع قريبا ما فاته إلا سعة المحل فتأذى ضيق المكان مدة ولكن لما وصل إلى الوطن استراح ومن رجع أولا وجد المكان الأوسع ووصل إلى الوطن سالما فهذا مثال أهل الدنيا في اشتغالهم بحفظهم المأجلة ونسيانهم مودهم ومصدرهم وغفلتهم عن عاقبة أمورهم وما أتبع من يزعم أنه بصير عاقل أن تخره أحجار الأرض وهي الذهب والفضة وحشيم البيت وهي زينة الدنيا وتؤم من ذلك لا يصعبه عند الموت بل يصير كلا ووبالا عليه وهو في الحال شاغل له بالخرن والخوف عليه وهذه حال الخلق كلهم إلا من عصمه الله عز وجل [مثال آخر لا غتر الخلق بالدنيا وضمف إيمانهم] قال الحسن رحمه الله بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه: إنما مثل مثلكم ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء حتى إذا لم يدرأوا ما سلكوا منها أكثر أو ما بقي أنفذوا الزاد وخسروا الظهر وقبوا بين ظهري المفازة ولا زاد ولا حيلة فأيقنوا بالهلكة فيبنيهم كذلك إذ خرج عليهم رجل في حلة تطير رأسه فقالوا هذا قريب عهد بربف وما جاءكم هذا إلا من قريب فلبثوا إليهم قال بأهؤلاء قالوا يا هذا قال علام أتم قالوا على ما ترى قال أرأيتم إن هديتكم إلى ماء رواء ورياض خضر ما لستم ؟ قالوا لا نصيب شيئا قال عهودكم ومواثيقكم بالله فأعطوه عهودكم ومواثيقكم بالله لا يصونه شيئا قال فأوردكم ماء رواء ورياضا خضرا فبكت فيهم ما شاء الله ثم قال يا هؤلاء ذلوا يا هذا قالوا الرجل قال لي أين قالوا إلى ماء ليس كأنك وإلى رياض ليست كرياضك فقال أكثرهم والله ما وجدنا هذا حتى قلنا أن لن نجده وما نصنع جيش خير من هذا وقال طائفة وهم أقلمهم أن تصطروا ههنا الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله أن لا تصوبه شيئا وقد صدقكم في أول حديثه فوالله لا يصدقكم في آخره فراح فيمن اتبته وتخلف بقيتهم فبدرهم عدو فأصبحوا بين أسير وتيل^(١) [مثال آخر لستم

(١) حديث الحسن بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه: إنما مثل مثلكم ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء الحديث ابن أبي الدنيا هكذا بطوله لأحمد والبراء والطبراني من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه فباى ربي التائب ملكان الحديث وفيه قال

رداء العظمة وذاك
أنهى مايتهى إليه
طائر الهمة البشرية
وتقى بالوصول إليه
القوى الانسانية
وتفاوت الأنبياء
والأولياء في مراتب
العظمة واستشعار
كبتها لكل منهم على
قدره حظ من ذلك
وفوق كل ذي علم عليم
ومن الساجدين من
يقنع عاؤه وينتشر
ضيأؤه ويغطي
بالصنن ويسيطر
الجناحين فيتواضع
قبله إجلالا وبرع
بروحه إكراما وإفذا
فيجتمع له الأس
والهية والحضور
والنية والقرار والقرار
والإسرار والجار
فيكون في سجوده
ساجحا في بحر شهوده

الناس بالدنيا ثم تفجهم على غرافها [اعلم أن مثل الناس فيها أعطوا من الدنيا مثل رجل هباً داراً وزينها وهو يدعو إلى داره على الترتيب قوماً واحداً بعد واحد فدخل واحد داره فقدم إليه طبق ذهب عليه غرور ورياحين ليشمه ويتركه لمن يلمحه لئلا يملكه ويأخذه فجعل ربه وطن أنه قد وهب ذلك منه فخلق به قلبه لما ظن أنه له فلما استرجع منه ضجر وتضجع ومن كان عالماً برسمه انتفع به وشكره وورده بقلب وانشراح صدر وكذلك من عرف سنة الله في الدنيا علم أنها دار ضيقة ضلت على المتنازين لاطل القيمين ليزودوا منها وينتموا بما فيها كما ينتفع السافرون بالمواري ولا يصرفون إليها كل قلوبهم حتى تنظم مصيبتهم عند فراقها فهذه أمثلة الدنيا وآفاتنا وغوائلها نسأل الله تعالى اللطيف الخبير حسن المون بكرمه وحفه .

(بيان حقيقة الدنيا وماهيتها في حق العبد)

اعلم أن معرفة ذم الدنيا لا تنكحك مالم تحرف الدنيا للذمومة ما هي أو ما الذي ينبغي أن يحب منها وما الذي لا يحب فلا بد وأن بين الدنيا للذمومة للأمور باعتبارها لكونها عدة قاطعة لطريق الله ما هي فنقول ذكائك وأخرتك عبارة عن حالتين من أحوال قلبك بالقرب الباطني منها يسمى دنيا وهو كل ما قبل الموت والتراخي للتأخر يسمى آخره وهو ما جدلوت فكل ما لك فيه حظ ونصيب وغرض وشهوة ولذة عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حقك إلا أن جميع مالك اليميل وفيه نصيب وحظ فليس بعموم بل هو ثلاثة أقسام . القسم الأول : ما يصحبك في الآخرة وتبقى معك غرته جدلوت وهو شيان العلم والعمل فقط وأعني بالعلم العلم بالله وصفاته وأفعاله وملائكته وكتبه ورسده وملكوته أرضه وسمائه والعلم بجمرية نبيه وأعني بالعمل العبادة الحاصلة لوجه الله تعالى وقد يأمن العالم بالعلم حتى يصير ذلك الله الأشياء عنده فيهر التوم والطعم والتكسح في لذته لأنه أشهى عنده من جميع ذلك قد صار حظاً عاجلاً في الدنيا ولكننا إذا ذكرنا الدنيا للذمومة لم نصد هذان الدنيا أصلاً بل قلنا يؤمن الآخرة وكذلك العابد قد يأمن بعبادته فيستلها بحيث لو منع عنها لكان ذلك أعظم العقوبات عليه حتى قال بعضهم ما أخاف من الموت إلا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل وكان آخر يقول اللهم ارزقني قوة الصلاة والركوع والسجود في القبر فهذا قد صارت الصلاة عنده من حظوظه العاجلة وكل حظ عاجل فاسم الدنيا ينطلق عليه من حيث الاشتقاق من الدنو ولكننا لسانتي بالدنيا للذمومة ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم « حب إلى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وقرعة عني في الصلاة ^(١) » فجعل الصلاة من جملة ملاذ الدنيا وكذلك كل ما يدخل في الحس والشاهدة فهو من عالم الشهادة وهو من الدنيا والظن الذي يتحرك الجوارح بالركوع والسجود إنما يكون في الدنيا فذلك شأنها في الدنيا إلا أن الناس في هذا الكتاب تعرض إلا للدنيا للذمومة فنقول هذه ليست من الدنيا . القسم الثاني . وهو القابل له على الطرف الأقصى كل ما فيه حظ عاجل ولائحة له في الآخرة أصلاً كاللذذ للمعاصي كلها والتم بالمال بالآخر الزائدة على قدر الحاجات والضرورات الداخلة في جملة الرفاهية والارواءات كالتم بالناظر المتفرقة من الذهب والفضة والحيل للسومة والأنعام والحراث والفسان والجواري والخيول والواشي والقصور والدور ورفيق الثياب ولذائذ الأطعمة فخط العبد من هذا كله هي الدنيا للذمومة وفيما يبدفوا لأولى أهل الحاجة نظر طويل إذ روى عن عمر رضي الله عنه أنه استعمل أبا الدرداء على حصص فأخذ كنيهاً أتقى أي أحد للسكين إن مثل هذا ومثل أمته ككل قوم سفر اشروا إلى مفازة فذكر نحوه أخضر منه وإسناده حسن (١) حديث حب إلى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وقرعة عني في الصلاة النساء والحاكم من حديث أنس دون قوله ثلاث وتقدم في التكاح .

لم يتخلف منه عن السجود شعرة كما قال سيد البشر في سجدته سجد لك سواي وخالي - وقد يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكراهة الطوع للروح والقلب لما فيهما من الأهلية والكراهة من النفس لما فيها من الأجنبية ويقول في سجوده : سبحان ربي الأعلى ثلاثاً إلى الأخر الذي هو الكمال ويكون في السجود مفتوح العينين لأتسهما يسجدان وفي الهوى يضع ركبتيه ثم يديه ثم جبهته وأفعه ويكون ناظراً نحو أربعة أشعة في السجود فهو أبلغ في الخضوع للساجد ويأثر بكافيه الصل

عليه درهين فكذب إليه عمر من عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عمر بن عبد العزيز قد كان لك في بناء فارس والروم ما تسكني به عن عمران الدنيا حين أرا: الله خرابها فإذا أتاك كتابي هذا فقسر ترك إلى دمشق أنت وأهلك فلم يزل بها حتى مات فهذا رأي فضولا من الدنيا فتأمل فيه. القسم الثالث: وهو متوسط بين الطرفين كل حظ في العاجل معين على أعمال الآخرة كقدر القوت من الطعام والقميص الواحد الخشن وكل ما لا بد منه ليتأنى للإنسان البقاء والصحة التي بها يتوصل إلى العلم والعمل وهذا ليس من الدنيا كاقسم الأول لأنه معين على القسم الأول ووسيلة إليه فهما تناوله البعد على قصد الاستئانة به على العلم والعمل لم يكن به متناولا للدنيا ولم يصير به من أبناء الدنيا وإن كان باعتة الحظ العاجل دون الاستئانة على التقوى التحق بالقسم الثاني وصار من جملة الدنيا ولا يبقى مع البعد عند الموت إلا ثلاث صفات صفاء القلب أغنى طهارته عن الأنداس وأنه يذكر الله تعالى وجهه عز وجل وصفاء القلب وطهارته لا يحصلان إلا بالكف عن شهوات الدنيا والأنس لا يحصل إلا بكثرة ذكر الله تعالى والواظبة عليه والحب لا يحصل إلا بالمعرفة ولا تحصل معرفة الله إلا بدوام الفكر وهذه الصفات الثلاث هي للنجاة السموات بعد الموت. أما طهارة القلب عن شهوات الدنيا فهي من للنجاة إذ تكون جنة بين البعد وبين عذاب الله كما ورد في الأخبار «إن أعمال البعد تنازل عنه فإذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه وإذا جاء من جنة يديه جاءت الصدقة تدفع عنه» (١) الحديث. وأما الأنس والحب فهما من السموات وهما موصلان البعد إلى لغة اللقاء والشاهدة وهذه السعادة تجعل عذيب الموت إلى أن يدخل أوان الرؤية في الجنة فيصير القبر روضة من رياض الجنة وكيف لا يكون القبر عليه روضة من رياض الجنة ولم يكن له إلا محبوب واحد وكانت المواقف تموقعه من دوام الأنس بدوام ذكره ومطالعة جماله فارتفعت المواقف وأفلت من السجن وخلى بينه وبين محبوبه فقدم عليه مسرورا سلبا من الموانع آتانا من المواقف وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت معذبا ولم يكن له محبوب إلا الدنيا وقد غصب منه وحيل بينه وبينه وسدت عليه طرق الحيلة في الرجوع إليه ولذلك قيل:

ما حال من كان له واحد غيب عنه ذلك الواحد

وليس الموت عدما إنما هو فراق لمحب الدنيا وقدم على الله تعالى فإذا سالك طريق الآخرة هو الواظب على أسباب هذه الصفات الثلاث وهي الذكر والفكر والعمل الذي يقطعه عن شهوات الدنيا ويغضب إليه ملاذها ويقطعه عنها وكل ذلك لا يمكن إلا بصحة البدن وصحة البدن لا تتأهل إلا بقوت وملبس ومسكن ويحتاج كل واحد إلى أسباب فالقدر الذي لا بد منه من هذه الثلاثة إذا أخذ العبد من الدنيا الآخرة لم يكن من أبناء الدنيا وكانت الدنيا في حقه مزرعة للآخرة وإن أخذ ذلك لحظ النفس وعلى قصد التتم صار من أبناء الدنيا والراغبين في حظوظها إلا أن الرغبة في حظوظ الدنيا تنقسم إلى ما يمرض صاحبه لعذاب الآخرة ويسمى ذلك حراما وإلى ما يحول بينه وبين الله رجاء الملا ويعرض لطول الحساب ويسمى ذلك حلالا والبصير يعلم أن طول الموقف في عرصات القيامة لأجل الهابة أيضا عذاب فمن نوقش الحساب عذب (٢) إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «حلالها حساب وحرامها عذاب» (٣)

(١) حديث مناسلة أعمال البعد عنه فإذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه الحديث الطبراني من حديث عبد الرحمن بن مرة بطوله وفيه خالد بن عبد الرحمن الخزومي ضمنه البخاري وأبو حاتم ولأحمد من حديث أسماء بنت أبي بكر إذا دخل الإنسان قبره فإن كان مؤثما حارب عمله الصلاة والصيام الحديث وإسناده صحيح (٢) حديث من نوقش الحساب عذب متفق عليه من حديث عائشة (٣) حديث حلالها حساب وحرامها عذاب ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه

وليلفهما في الثوب ويكون رأسه بين كفيه ويدها حذو منكبيه غير مثنان ومتناسر بهما ويقول بصد التسبيح: اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمه وبصره فبارك الله أحسن الخالقين. وروى أمير المؤمنين على رضي الله عنه «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في سجوده ذلك» وإن قال سبح قدوس رب الملائكة والروح لحسن روت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في سجوده ذلك وبجاني مراقبه عن

وصيانة لنفسه جاء يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر ^(١) « فانظر كيف اختلف ذلك بالتصديق في الدنيا حظ تلك العاجل الذي لاحاجة إليه لأمر الآخرة ويعبر عنه بالهوى وإليه الإشارة بقوله تعالى - ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي التأوى - وجماع الهوى خمسة أمور وهي ما جمعه الله تعالى في قوله - إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد - والأعيان التي تحصل منها هذه الخمسة سبعة مجمعها قوله تعالى - زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المنقطرة من الذهب والفضة والحيل لوسومة الأنعام والحرب ذلك متاع الحياة الدنيا -

إليه على غيبه ثم
إذا أراد التوض إلى
الركعة الثانية يجلس
جلسة خفيفة للاسترخاء
ويغسل في بقية الركعات
هكذا ثم يتقدم وفي
الصلوات المراج وهو
ممرج القلوب والشهد
مقر الوصول بعد قطع
مسافات الحيات على
تدرج طبقات
السماوات والنجيات
سلام على رب البريات
فاذهن لما يقول
ويتأذى مع من يقول
وبدر حكيك يقول
ويسلم على النبي صلى الله
عليه وسلم وبثله بين
عيني قلبه ويسلم على
عباد الله الصالحين
فلا يبقى عبد في السماء
ولا في الأرض من عباد
الله إلا ويسلم عليه
بالنسبة الروحية

قد عرفت أن كل ما هو لله فليس من الدنيا وقدرة ضرورة القوت وما لا بد منه من مسكن وملبس هو لله إن قصد به وجه الله والاستكثار منه تنم وهو لغير الله وبين التتم والضرورة درجة يعبر عنها بالحاجة ولها طرفان وواسطة طرف يقرب من حد الضرورة فلا يضر فإن الاقتصار على الحد الضرورة غير ممكن وطرف يراحم جانب التتم ويقرب منه وينبئ أن يحد منه وبينهما وسائط متشابهة ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه والحزم في الحذر والتقوى والتقرب من حد الضرورة مما يمكن اقتداء بالأنبياء والأولياء عليهم السلام إذ كانوا يردون أنفسهم إلى حد الضرورة حتى إن أويسا القرن كان يظن أنه لو لم يجدوا لشدته تضيقه على نفسه فبنوا له بيتا على باب دارهم فكان يأتي عليهم السنة والسنتين والثلاث لا يرون له وجهه وكان يخرج أول الأذان ويأتى إلى منزله بعد العشاء الأخرى وكان طعامه أن يلتقط النوى وكما أصاب حشفة خبأها لإفطاره وإن لم يصب ما يقوته من الحشفة باع النوى واشترى بشمه ما يقوته وكان لباسه كما يلتقط من الزبال من قطع الأكسية فيفسلها في الفرات ويلفق بعضها إلى بعض ثم يلبسها فكان ذلك لباسه وكان رعباً من الصبيان فيرمونه ويظنون أنه مجنون فيقول لهم يا إخوتاه إن كنتم ولا بد أن ترموني فارموني بأحجار صغار فاني أخاف أن تممو أعني نحضر وقت الصلاة ولا أميب للساء فهكذا كانت سيرته ولقد عظم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره فقال « إنى لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن ^(٢) » إشارة إليه رحمه الله ولما أوى الخلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال أيها الناس من كان منكم من العراق فليتم قال ققاموا فقال اجلسوا إلا من كان من أهل الكوفة فجلسوا فقال اجلسوا إلا من كان من مراد فجلسوا فقال اجلسوا إلا من كان من قرن فجلسوا كلهم إلا رجلاً واحداً فقال له عمر أقرني أنت؟ فقال نعم فقال أعرف أويس بن عامر القرن فوسفه له؟ فقال نعم وما ذاك تسأل عنه يا أمير المؤمنين والله ما بيني وأحقق منه ولا أجن منه ولا أوحش منه ولا أدنى منه فيكي عمر رضي الله عنه ثم قال ما قلت ما قلت إلا لأنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر ^(٣) » فقال هرم بن حيان لما سمعت هذا القول من عمر بن الخطاب قدمت الكوفة فلم يكن لي هم إلا أن أطلب أويسا القرن وأسأل عنه حتى سرت طلت عليه جالساً على شاطئ الفرات نصف النهار يتوضأ ويغسل ثوبه قال ففرقه بالعت الذي نعت لي فإذا رجل لحيم شديد الأدمة مخلوق الرأس كثة اللحية متغير جدا كره أوجه متهب النظر قال

(١) حديث من طلب الدنيا حالاً مكثراً فمأخراً لقي الله وهو عليه غضبان الحديث أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٢) حديث إنى لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن أشار به إلى أوييس القرن تقدم في قواعد العقائد لم أجده أصلاً (٣) حديث عمر يدخل الجنة في شفاعته مثل ربيعة ومضر يريد أويسا ورونياء في جزء ابن السكك من حديث أنى أمانة يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمي أكثر من ربيعة ومضر وإسناده حسن وليس فيه ذكر لأوييس بل في آخره فكان للشيخة يرون أن ذلك الرجل عثمان بن عفان .

فسلمت عليه فرد على السلام ونظر إلى قلعت حياك الله من رجل ومددت يدي لأصاغه فأبى أن يصالحني قلت رحمك الله يا أويس وغفر لك كيف أنت رحمك الله ثم خففت العبرة من حي إياه ورفعت عليه إذ رأيت من حاله ما رأيت حتى بكيت وبكى فقال وأنت لحياك الله يا هرم بن حيان كيف أنت يا أخى ومن ذلك على قال قلت لآله الله فقال لا إله إلا الله سبحانه الله - إن كان وعد ربنا لمفعولا - قال فصيت حين عرفني ولا والله ما رأيت قبل ذلك ولا رأيي قلت من أين عرف اسمي واسم أبي وما رأيتك قبل اليوم؟ قال نبأني الطيب الخير - وعرفت روحى وروحك حين بكت فسميت نفسك إن الأرواح لها أنفوس كأفئس الأجساد وإن المؤمنين يعرف بعضهم بعضا ويتحابون بروح الله وإن لم يلتقوا يتعارفون ويتكلمون وإن نأت بهم الدار وتفرقت بهم النازل قال قلت حدثني رحمك الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث أئمة منك قال إنى لم أذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تكن لى معه محبة أبى وأبى رسول الله ولكن رأيت رجلا قد صهروه وبلغنى من حديثه كابلنك ولست أحب أن أفتح على نفسى هذا الباب أن أكون محدثا أو مفتيا أو فاضلا فى نفسى شغل عن الناس يا هرم بن حيان قلت يا أخى اقرأ على آية من القرآن أسماها منك وادع لى بدعوات وأوصنى بوصية أحفظها عنك فأبى أحبك فى الله حيا شديدا قال فقام وأخذ يدي على شاطئ القرات ثم قال أشهد بالله المسيح العليم من الشيطان الرجيم ثم بكى ثم قال : قال ربى والحق قول ربى وأصدق الحديث حديثه وأصدق الكلام كلامه ثم قرأ - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بعبادتنا فأخضعناهم لنا لعلهم يذكرون - ما خلقناهم إلا بالحق ولكن أكفرهم لا يملكون - حتى انتهى إلى قوله إنه هو العزيز الرحيم - فمشق شققة ظننت أنه قد غشى عليه ثم قال يا ابن حيان مات أبوك حيان وبوشك أن توث فإما إلى جنة وإما إلى نار ومات أبوك آدم ومات أمك حواء ومات نوح ومات إبراهيم خليل الرحمن ومات موسى نبي الرحمن ومات داود خليفة الرحمن ومات محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم وهو رسول رب العالمين ومات أبو بكر خليفة المسلمين ومات عمر بن الخطاب أخى وصفي ثم قال يا عمر ما يا عمر ما قال قلت رحمك الله إن عمر لم يمت قال قد نماء إلى ربى ونسئ إلى نفسى ثم قال أنا وأنت فى الموتى كأنه قد كان ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم دعا بدعوات خفيات ثم قال هذه وصيتى إليك يا هرم بن حيان كتاب الله ونهج الصالحين المؤمنين قد نيت إلى نفسى ونفسك عليك بذكر الموت لا غارق عليك طرفة عين ما بقيت وأندرك قومك إذا رجعت إليهم ووضح للأمة جميعا وإياك أن تغارق الجماع عقيدشير تغارق دينك وأنت لا تعلم قد دخل النار يوم القيامة ادع لى ولنفسك ثم قال اللهم إن هذا يزعم أنه يعزى إليك وزارنى من أجلك فصرفى وجهه فى الجنة وأدخله على فى دارك دار السلام واحفظه مادام فى الدنيا حيا كان وضم عليه ضميته وأرضه من الدنيا باليسير وما أعطيته من الدنيا فيسره له تيسيرا واجعله لما أعطيته من نعمائك من الشاكرين واجزه عن خير الجزاء ثم قال استودعك الله يا هرم بن حيان والسلام عليك ورحمة الله وبركاته لا أراك بعد اليوم رحمك الله تطلبنى فإنى أكره الشهرة والوحدة أحب إلى إبنى كثير اللهم شديد الغم مع هؤلاء الناس مادمت حيا فلا تسأ عنى ولا تطلبنى واعلم أنك مئى على بال وإبنى لم أرك ولم ترنى فاذكرنى وادع لى فإنى سأذكرك وأدعوك إن شاء الله أنطلق أنت ههنا حتى أنطلق أنا ههنا فخرست أن أمشى معه ساعة فأبى على وفارقه فبكى وأبكى وجلس أنظر فى نقاه حتى دخل بعض السكك ثم سألت عنه بعد ذلك فأوجدت أحدا يخبرنى عنه بشئ رحمه الله وغفر له فهكذا كانت سيرة أبنائه الآخرة العرضين عن الدنيا وقد عرفتموها سبق فى بيان الدنيا ومن سيرة الأنبياء والأولياء أن حد الدنيا كل ما طغته الخضراء وما تلتها القبراء

والخاصة القطرية ويضع يده اليمنى على غفقه اليمنى مقبوضة الأصابع إلا السبحة ورفع السبحة فى الشهادة فى إلا الله لا فى كلمة التلى ولا يرفسها منتصبه بل مائلة رأسها إلى التخذ منطوية فهذه هيئة خشوع السبحة ودليل سرية خشوع القلب إليها ويدعو فى آخر صلاته لنفسه وللمؤمنين وإن كان إماما ينبغي أن لا ينفرد بالدعاء بل يدعو لنفسه ولين وراءه فإن الإمام للتيقظ فى الصلاة كحاجب دخل على سلطان ووراء أصحاب الخواص يسأل لهم ويعرض حاجتهم والمؤمنون كالبليان يشد بشفه بضواهدا وصفهم الله تعالى فى

إلا ما كان لله عز وجل من ذلك ضد الدنيا الآخرة وهو كل ما أريد به الله تعالى مما يؤخذ بقدر
الضرورة من الدنيا لأجل قوة طاعة الله وذلك ليس من الدنيا وبشأن هذا يقال وهو أن الحاج
إذا حلف أنه في طريق الحج لا يشتغل بشيء من الدنيا ولا يتجسس له ثم اختل بحفظ الزاد وعطف الجمل
وخزير الرواية وكل ما لا بد للحج منه لم يفت في بيته ولم يكن مشغولا بشيء من الدنيا فكذلك البدن
مركب النفس تقطع به مسافة المرصع البدن بما تبقى به قوته على سلوك الطريق بالمع والصل
هو من الآخرة لا من الدنيا ، ثم إذا قصد تلك البدن وتمتع بهى من هذه الأسباب كان منحرفا عن
الآخرة ورغى على قلبه القسوة قال الطناني : كنت على باب بنى حنية في السجدة الحرام سبعة أيام
طاولا فسمعت في الليلة الثامنة مناديا وأنا بين القنطرة والنوم : ألا من أخذ من الدنيا أكثر مما يحتاج
إليه أحمى الله عين قلبه فهذا بيان حقيقة الدنيا في حرك فاعلم ذلك ترعد إن شاء الله تعالى .
(بيان حقيقة الدنيا في نفسها وأعضائها التي استخرقت هم الخلق حتى أنسهم أنفسهم
وخالقهم ومصودم ومورد)

اعلم أن الدنيا عبارة عن أعيان موجودة وللإنسان فيها حظ وله في إصلاحها شغل فلهذه ثلاثة أمور
قد يظن أن الدنيا عبارة عن آحادها وليس كذلك ، أما الأعيان الموجودة التي الدنيا عبارة عنها
فهي الأرض وما عليها قال الله تعالى - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا -
فالأرض فراش للآدميين ومهاد ومسكن ومستقر وما عليها لهم ملابس ومطعم ومشرب ومنكح
ويجمع ما على الأرض ثلاثة أقسام : للمادن والنبات والحويان . أما النبات فيطلبه الآدمي للآكلات
والندوى وأما للمادن فيطلبها للآلات والأواني كالنحاس والبرصا وللذهب والفضة ولغير
ذلك من القاصد وأما الحيوان فينضم إلى الإنسان والبهائم أما البهائم فيطلب منها لحومها للمأكول
وظهورها للمركب والزينة وأما الإنسان فقد يطلب الآدمي أن يملك أبدان الناس ليستخدمهم
ويستخدمهم كالنفس أو ليتمتع بهم كالجوارى والنسوان ويطلب قلوب الناس ليلصقها بأن يفسد
فيها العظم والأكرام وهو الذي يجر عنه الجلاء إذ معنى الجلاء ملك قلوب الآدميين فهذه هي الأعيان
التي يصير عنها بالدنيا وقد جعلها الله تعالى في قوله - زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين - وهذا
من الإنس - والقناطير للقنطرة من الذهب والفضة - وهذا من الجواهر والمادن وفيه نبيه غيرها
من الآلاء واليوافيت وغيرها والحيوان السومعة والناموس والبهائم والحيوانات السوارح وشبهها والنبات
والزروع فهذه هي أعيان الدنيا إلا أن لها مع البعد علاقتين علاقة مع القلب وهو حبه لها وحظه
منها واضرارها مما إليها حتى يصير قلبه كاليد أو المحب السهر بالدنيا ويدخل في هذه العلاقة جميع
صفات القلب المعلقة بالدنيا كالسكر والغفل والحسد والرياء والسمعة وسوء الظن والداغنة وحب الثناء
وحب التكاثر والتفاخر وهذه هي الدنيا الباطنة وأما الظاهرة فهي الأعيان التي ذكرناها . العلاقة
الثانية مع البدن وهو اشتغاله بإصلاح هذه الأعيان لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره وهي جملة
الصناعات والحرف التي الخلق مشغولون بها والخلق إنما نسوا أنفسهم وما بهم ومنقلبهم بالدنيا لهاتين
العلاقتين علاقة القلب بالحلب وعلاقة البدن بالشغل ولو عرف نفسه وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا
وسرها علم أن هذه الأعيان التي معيها دنيا لم تخلق إلا لعلف الدابة التي يسير بها إلى الله تعالى وأمر
بالدابة البدن فانه لا يلقى إلا بمطعم ومشرب وملبس ومسكن كالآبق الجمل في طريق الحج إلى الحظوظ وما وجلال
ومثال البعد في الدنيا في نسيانه نفسه ومقصده مثال الحاج الذي يتف في منازل الطريق ولا يزال يطلب
الثاقه ويتسهبها وينظفها ويكسوها ألوان الثياب ويحمل إليها أنواع الحشيش ويردها لسانه بالتلج حتى

كله قوله سبحانه
كانهم نيان مرسوس -
وفي وصف هذه الأمة
في الكتب السابقة
صفهم في صلاحهم
كفهم في قتلهم
حدثنا بذلك شيخنا
ضياء الدين أبو النجيب
السرودي إمامه قال
أنا أبو عبد الرحمن محمد
ابن عيسى بن شبيب
للأبي قال أنا أبو الحسن
عبد الرحمن بن محمد
للقنبر الواعظ قال
أنا أبو محمد عبد الله
ابن أحمد السرخسي
قال أنا أبو عمران
عيسى بن محمد بن
الباقر السرخسي
قال أنا أبو محمد عبد الله
ابن عبد الرحمن
الدبري قال أنا محمد
ابن موسى قال تامل
هو ابن عيسى أنسأل

خوته القافة وهو غافل عن الحج وعن مرور القافة وعن بقائه في البادية فريسة لسباع هواناته والحاج البصر لا يهمل من أمر الجمل إلا القدر الذي يقوى به على التي فيه يمدوقه إلى الكبح والحبس وإذا بلغت إلى الناقة بقدر الضرورة ، فكذلك البصر في السفر إلى الآخرة لا يشتغل بشهد البدن إلا بالضرورة كما لا يدخل بيت الماء إلا للضرورة ولا فرق بين إدخال الطعام في البطن وبين إخراجها من البطن في أن كل واحد منهما ضرورة البدن ومن همة ما يدخل بطنه قسيته ما يخرج منها أو أكثر ما شغل الناس عن الله تعالى هو البطن ، فإن القوت ضروري وأمر السكن واللبس أهون ولو عرفوا سبب الحاجة إلى هذه الأمور وانصروا عليه لم تستغرقهم أشغال الدنيا وإنما استغرقهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها وحظوظهم منها ولكنهم جهلوا وغفلوا وتابست أشغال الدنيا عليهم وأصل بعضها بعض وتداعت إلى غير نهاية محدودة فتأهوا في كثرة الأشغال ونسوا مقاصدها ونحن نذكر تفاصيل أشغال الدنيا وكيفية حدوث الحاجة إليها وكيفية غلط الناس في مقاصدها حتى تتضح لك أشغال الدنيا كيف صرفت الخلق عن الله تعالى وكيف أنسهم عاقبة أمورهم . فقول : الأشغال الدنيوية هي الحرف والصناعات والأعمال التي ترى الخلق منسكين عليها وسبب كثرة الأشغال هو أن الإنسان مضطرب إلى ثلاث القوت والسكن واللبس فالتقوت للغذاء والبقاء واللبس لدفع الحر والبرد والسكن لدفع الحر والبرد ولدفع أسباب الهلاك عن الأهل والسال ولم يخلق الله القوت والسكن واللبس مصلحاً بحيث يستغنى عن صنعة الإنسان فيه ، ثم خلق ذلك للهمم فإن النبات يفتدى الحيوان من غير طبع والحر والبرد لا يؤثر في بدنه فيستغنى عن البناء ويقنع بالصحراء ولباسها شعورها وجلودها فتستغنى عن اللباس والإنسان ليس كذلك فحدثت الحاجة لذلك إلى خمس صناعات هي أصول الصناعات وأوائل الأشغال الدنيوية وهي الفلاحة والرعاية والاقتصاد والحياكة والبناء . أما النبات فللمسكن ، والحياكة وما يكتنفها من أمر الغزل والحياطة فللملبس ، والفلاحة للمطعم ، والرعاية للمواشي والحيل أيضاً للمطعم والركب ، والاقتصاد نقي به تحصيل ما خلقه الله من صيد أو ممدن أو وحشيش أو عشب فالصلاح يحصل النباتات والرعي يحفظ الحيوانات ويستنتجها ، وللتقنين يحصل ما نبت ونشج بنفسه من غير صنع آدمي وكذلك يأخذ من معادن الأرض ما خلق فيها من غير صنعة آدمي ونشج بالاقتصاد ذلك ويدخل تحته صناعات وأشغال عدة ، ثم هذه الصناعات تنفجر إلى أدوات وآلات كالخياكة والفلاحة والبناء والاقتصاد والآلات إنما تؤخذ إما من النبات وهو الأخشاب أو من المعادن كالحديد والرصاص وغيرها أو من جلود الحيوانات فحدثت الحاجة إلى ثلاثة أنواع آخر من الصناعات التجارة والحدادة والحِرْز ومزاولهم محال الآلات ونشج بالتجارة كل عامل في الحطب كيما كان وبالحدادة كل عامل في الحديد وجواهر المعادن حتى النحاس والابري وغيرها وغرضنا ذكر الأجناس فأما أحاد الحرف فكثيرة . وأما الحِرْز فنشج به كل عامل في جلود الحيوانات وأجزائها فهذه مهات الصناعات . ثم إن الإنسان خلق بحيث لا يعيش وحده بل يضطر إلى الاجتماع مع غيره من أبناء جنسه وذلك لسببين : أحدهما حاجته إلى النسل لبقاء جنس الإنسان ولا يكون ذلك إلا بالاجتماع الذكر والأنثى وعشرتهما والثاني التعاون على تهية أسباب الطعام والملبس ولزربة الولد فإن الاجتماع يفضي إلى الولد لامهات الواحد لا يشتغل بحفظ الولد وتهية أسباب القوت ثم ليس يكنه الاجتماع مع الأهل والولد في الزلزل بل يمكنه أن يعيش كذلك ما لم يجتمع طائفة كثيرة ليكفل كل واحد بصناعة فإن الشخص الواحد كيف يتولى الفلاحة وحده وهو محتاج إلى آلاتها ومحتاج الآلة إلى حداد ونجار ومحتاج الطعام إلى طباخ وخباز وكذلك كيف ينرد بتحصيل اللبس وهو يفتقر إلى حراسة القطن وآلات الحياكة والحياطة

كعب الأحبار كيف نجد نعمت رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال بحمد محمد ابن عبد الله بولد محبة وبهاجر لطيفة ويكون ملكه الشام وليس بفحاش ولا مذبذب في الأسواق ولا يكافئ بالسيئة السيئة ولكن يحوو ويغفر ، أمته المحادون بمحمدون الله في كل سره وبكبرون الله على كل نجس يوشنون أطرافهم ويأثرون في أواسطهم يصفون في صلاتهم كما يصفون في قتالهم دويهم في مساجد كدوى النحل يسبح مناديه في جو السماء فالإمام في الصلوة مقدمة الصف في محاربة الشيطان فهو أدنى

وآلات كثيرة فلذلك امتنع عيش الإنسان وحده وحدث الحاجة إلى الاجتماع ثم لواجتماع في صحراء
مكتوفة تأتوا بالحرّ والبرد والطر والصوص فافتقروا إلى أبنية محكمة ونازل يفرد كل أهل بيت
به وبمائه من الآلات والأثاث وللنازل تدفع الحرّ والبرد والطر وتدفع أذى الجيران من الصومعة
وغيرها لكن للنازل قد قصدها جماعة من الموص خارج النازل فافتقر أهل النازل إلى التناصر
والتعاون والتحصن بسور يحيط بجميع النازل فحدثت البلاد لحمة الضرورة ثم مهما اجتمع الناس
في للنازل والبلاد وتماثلوا تولدت بينهم خصومات إذ تحدث رياسة وولاية لزوج على الزوجة وولاية
للأبوين على الولد لأنه ضيف يحتاج إلى قوام بهومها حصلت الولاية على عاقل أفضى إلى الخصومة بخلاف
الولاية على البهائم إذ ليس لها قوة الخاصة وإن ظلمت فأما المرأة فتخاصم الزوج والولد فخاصم الأبوين
هنا في للزل ، وأما أهل البلد أيضا فيتماثلون في الحاجات ويتنازعون فيها ولو تركوا كذلك لتقاتلوا
وهلكوا وكذلك الرعاة وأرباب الفلاحة يتواردون على المراعي والأراضي واليهود على الأبنية بأغراضهم
فيتنازعون لأحالة ثم قد يسجز بعضهم عن الفلاحة والصناعة بعمى أو مرض أو هرم وتمرش عوارض
عقائفة ولو ترك ضامًا لمهلك ولو وكل فقصده إلى الجميع لتخاذلوا ولو خص واحد من غير سبب يحصل لكان
لا يذعن له فحدث بالضرورة من هذه العوارض الحاصلة بالاجتماع صناعات أخرى فيها صناعة للساحة
التي بها تعرف مقادير الأرض لتتمكن القسمة بينهم بالعدل ومنها صناعة الجندبة لحراسة البلد بالسيف
ودفع الموص عنهم ومنها صناعة الحكم والتوصل لقصل الخصومة ومنها الحاجة إلى القوت وهو معرفة
القانون الذي ينبغي أن يضبط به الخلق ويلزموا الوقوف على حدوده حتى لا يكبر الزراع وهو معرفة
حدود الله تعالى في اللامعات وشروطها فيه أمور سياسية لا بد منها ولا يشتغل بها إلا خصوص من صفات
مخصوصة من العلم والتجريب والمهابة وإذا اشتغلوا بهم يفرغوا لصناعة أخرى ويحتاجون إلى العاش
ويحتاج أهل البلد إليهم إذ لو اشتغل أهل البلد بالحرب مع الأعداء مثلا تمطلت الصناعات ولو اشتغل
أهل الحرب والسلاح للصناعات لطلب القوت تمطلت البلاد عن الحراس واستغفر الناس فتمت الحاجة
إلى أن يصرف إلى معيهم وأرزاقهم الأموال الضائعة التي لا مالك لها إن كانت أو تصرف للناس إليهم
إن كانت العداوة مع الكفار فإن كانوا أهل ديانة وورع قنوا بالقليل من أموال الصالح وإن أرادوا
التوسع فتمس الحاجة لأعماله إلى أن يعدم أهل البلد بأموالهم ليجدوم بالحراسة فتحدث الحاجة إلى
الخراج ثم يتولد بسبب الحاجة إلى الخراج الحاجة لصناعات أخرى إذ يحتاج إلى من يوظف الخراج بالعدل
على الفلاحين وأرباب الأموال وهم العمال وإلى من يستوفى منهم بالرفق وهم الجباة وللتفريجون
وإلى من يجمع عنده ليحفظه إلى وقت التفرقة وهم الخزان وإلى من يفرق عليهم بالعدل وهو
القارض للعساكر وهذه الأعمال لتولدها عدد لا يحصهم رابطة أغرم النظام فحدث منه الحاجة
إلى ملك يدرهم وأمير مطاع يعين لكل عمل ضما ويختار لكل واحد ما يليق به وراعى الصفة في
أخذ الخراج وإعطائه واستعمال الجند في الحرب وتوزيع أسلحتهم وتعيين جهات الحرب ونصب
الأمير والقائد على كل طائفة منهم إلى غير ذلك من صناعات الملك فيحدث من ذلك بعد الجند الذين
هم أهل السلاح وبعد الملك الذي يراقهم بالنين السكاك ويديرهم الحاجة إلى الكتاب والخزان والحساب
والجباة والعمال ثم هؤلاء أيضا يحتاجون إلى معيشة ولا يمكنهم الاشتغال بالحرف فتحدث الحاجة إلى
مال الفرع مع مال الأصل وهو للسمى فرع الخراج ، وعند هذا يكون الناس في الصناعات ثلاث
طوائف الفلاحون والرعاة والمهترقون ، والثانية الجندبة الحاجة بالسيف ، والثالثة التردد دون بين الطائفتين
في الأخذ والعطاء وهم العمال والجباة وأمثالهم ، فانظر كيف ابتدأ الأمر من حاجة القوت وللناس

الصلين بالمقصوع
والايمان بوظائف
الأدب ظاهرا وباطنا
والصاوغ التي يتقنون كما
اجتمعت طواهرهم
تجتمع بوظائفهم
وتتصاغر وتتصاغر
وتسرى من البعض
إلى البعض أنوار
وبركات بل جميع
الصلين الصلين في
تطائر الأرض بينهم
تعاود وتواصير بحسب
القلوب ونسب الاسلام
ورابطة الايمان بل
بندهم الله تعالى باللائكة
الكرام كما أمده رسول
الله صلى الله عليه وسلم
باللائكة السويعين
لحاجتهم إلى محاربة
الشیطان أسس من
حاجاتهم إلى محاربة
الكفار ولهذا كان
يقول رسول الله صلى

وللكن وإلى ماذا انتهى وهكذا أمور الدنيا لا يفتح منها باب إلا ويفتح بسببه أبواب أخرى وهكذا تنقاس إلى غير حدٍّ محصور وكأَنَّها هاوية لا نهاية لسنفها من وقع في مهوأة منها سقط منها إلى أخرى وهكذا طى التوالى فيه هي الحرف والصناعات إلا أنها لا تمّ إلا بالأموال والآلات والوسائل المتعارضة من أعيان الأرض وماعليها مما يتنفع به وأعلاهها الأغذية ثم الأمكنة التي يأوى الإنسان إليها وهي المهور ثم الأمكنة التي يسمى فيها لتتبع كالطوائف والأسواق والبراري ثم الكسوة ثم أثاث البيت وآلاته ثم آلات الآلات وقد يكون في الآلات ما هو حيوان كالكلب آلة السيد والبقرة آلة المزارع والحصان آلة الركوب في الحرب ثم يحدث من ذلك حاجة البيع فإن الفلاح ربما يسكن قرية ليس فيها آلة الفلاحة والحداد والتجار يسكنان قرية لا يمكن فيها الزراعة فيا لضرورة محتاج الفلاح إليهما ومحتاجان إلى الفلاح فيحتاج أحدهما أن يذل ماعنده للأخر حتى يأخذ منه غرضه وذلك بطريق اللاموسة إلا أن التجار مثلا إذا طلب من الفلاح الغذاء يأكله رجلاً لاحتجاج الفلاح في ذلك الوقت إلى أن تلهت بيبسه والفلاح إذا طلب الآلة من التجار بالطعام ربما كان عنده طعام في ذلك الوقت فلا يحتاج إليه فتتوالت الأغراض فاضطروا إلى حانوت يجمع آلة كل صناعة ليرتد بها صاحبها أرباب الحاجات وإلى آيات يجمع إليها ما يعمل الفلاحون فيشتريه منهم صاحب الآيات ليرتد به أرباب الحاجات فظهرت لذلك الأسواق والمغازن فيحمل الفلاح الحبوب فإذا لم يصادف محتاجا باعها بضمن رخيص من الباعة فيخزنونها في انتظار أرباب الحاجات طمعا في الربح وكذلك في جميع الأمتعة والأموال ثم يحدث لاحتاجة بين البلاد والقرى ترد فيتردد الناس يشترون من القرى الأطعمة ومن البلاد الآلات ويتفنون ذلك ويتشبهون به لتنظيم أمور الناس في البلاد بسببهم إذ كل بلد ربما لا توجد فيه آلة وكل قرية لا يوجد فيها كل طعام فالبعض يحتاج إلى البعض فيجوز إلى أهل فيحدث التجار للتكفلون بالتفعل وباعثهم عليه حرص جمع السال لاحتاجة فيتنبون طول الليل والنهار في الأسفار لقرض غيرهم وتصيبهم منها جمع السال الذي يأكله لاحتاجة غيرهم إما قاطع طريق وإما سلطان ظالم ولكن جعل الله تعالى في غفلتهم وجهلهم نظاما لبلاد ومصلحة للبلاد بل جميع أمور الدنيا انتظمت بالنفع وخسة الهدية ولو غفل الناس وارتفعت همهم لزهّدوا في الدنيا ولوضّوا ذلك لبطلت العايش ولو بطلت لهلكوا واهلك الزهاد أيضا. ثم هذه الأموال التي تنقل لا يقدر الإنسان على حملها فيحتاج إلى دواب تحملها وصاحب السال قد لا تكون له دابة فتحدث معاملة بينه وبين مالك الدابة تسمى الاجارة ويصير الكراء نوعا من الاكتساب أيضا ثم يحدث بسبب الياعاب الحاجة إلى التقدين فإن من يريد أن يشتري طعاما يوثب لمن أين يدرى القدر الذي يساويه من الطعام كم هو وللأمالة تجري في أخماس مختلفة كإيعاب ثوب بطعام وحيوان ثوب وهذه أمور لا تناسب فلا بد من حاكم عدل يتوسط بين التبايعين يبدل أحدهما بالآخر فيطلب ذلك العدل من أعيان الأموال ثم يحتاج إلى مال يطول بقاءه لأن الحاجة إليه تدوم وأبقى الأموال المعادن فانخذت النقود من الذهب والفضة والنحاس ثم مست الحاجة إلى الضرب والنقش والتقدير فمست الحاجة إلى دار الضرب والصيارفة وهكذا تتداعى الأشغال والأعمال بعضها إلى بعض حتى انتهت إلى مآثرها فهذه أشغال الخلق وهي مشائهم وثنى من هذه الحرف لا يمكن مباشرته إلا نوع تعلم وتعب في الابتداء، وفي الناس من يتفعل عن ذلك في الصبا فلا يشتغل به أو يمنعه عنه ما تقع في حرجا عن الاكتساب لمجزه عن الحرف فيحتاج إلى أن يأكل كل مما يسمى فيه غيره فيحدث منه حرقان خبيستان البوصية والكذابة إذ يجمعهما أنهما بأكلان من سعى غيرهما ثم الناس محترزون من الصومر والكبدن ويحفظون عنهم أموالهم فانفقوا إلى صرف عقولهم في استنباط

الله عليه وسلم ورجعنا
من الجهاد الأصغر إلى
الجهاد الأكبر
فتداركهم الأملاك
بل بأغناسهم الصادقة
تعاود الأملاك فإذا
أراد الخروج من
الصلاة يسلم على عبته
وينوي مع التسليم
الخروج من الصلاة
والسلام على اللائكة
والحاضرين من المؤمنين
ومؤمنات الجن ويجعل
خداً مبيهاً لمن على عبته
بالواء عنقه ويغسل
بين هذا السلام
والسلام عن يساره
قد ورد الهى عن
المواصلة، والمواصلة
خمس اثنتان تخص
بالامام وهو أن لا يوصل
القراءة بالتكبير
والركوع بالقراءة
واثنتان على المأموم وهو

الحيل والتدابير . أما الموصي : فتم من يطلب أعوانا ويكون في يديه شوكة وقوة فيجتحمون ويتكاثرون ويخطون الطريق للأعراب والأكراد . وأما الضعفاء منهم فيغزعون إلى الجبل إما بالنسب أو التسلق عند انتهاء فرصة النفقة وإما بأن يكون طراراً أو سلالاً إلى غير ذلك من أنواع التناصس المأذنة بحسب ما تنتهجه الأفكار الصرورة إلى استبطائها . وأما السكدي فإنه إذا طلب ماسي فيه غير موقبل له الصب والمحمل كما حمل غيره كماله والبطالة فلا يحط شيئا فافتقروا إلى حيلة في استخراج الأموال ويعتد المنذر لأحسهم في الطالة فاحتالوا لتتمل بالمجزر إما بالحقيقة كجماعة يحمون أولادهم وأنفسهم بالحيلة لينفروا بالصبي فيعطون وإما بالتامى والتفالج والتجائن والتجاض وإظهار ذلك أنواع من الحيل مع بيان أن تلك حيلة أصابت من غير استحقاق ليكون ذلك سبب الرحمة جماعة يتنسون أفعالهم والأفعال تتجيب الناس منها حتى تبسط قلوبهم عند مشاهدتها فيسبحوا برفع اليد عن قليل من المال في حال التجيب ثم قد يندم بعد رجوع الصبي ولا ينفع الندم وذلك قد يكون بالتسخر والمها كذا والشصفة والأفعال الضحكة وقد يكون بالأشعار الغريبة والكلام الثور السجع مع حسن الصوت والشعر الوزون أشد تأثيراً في النفس لاسيما إذا كان فيه تصب ينطق بالمذاهب كأشعار مناقب الصحابة وفضائل أهل البيت أو الذي يحرك دعاية الشق من أهل الهجاة كصنعة الطبايع في الأسواق وصنمنا يشبه العوض وليس بموض كيعب التوميدات والحشيش الذي يغبل باله أنها أدوية فيخدع بذلك الصبيان والمجاهل وأصحاب القرعة والقائل من للتجعين ويدخل في هذا الجنس الوعاظ والسكدون على رسوم النابر إذا لم يكن وراءهم طائل على وكان غرضهم استئالة قلوب المومنين وأخذ أموالهم بأنواع الكديرة وأنواعها تزيد على ألف نوع وألفين وكل ذلك استنبط بدقيق الفكرة لأجل العيشة فهذه هي أشغال الخلق وأعمالهم التي أكبوا عليها وجرموا إلى ذلك كله الحاجة إلى القوت والكسوة ولتكنهم نسوا في أثناء ذلك أنفسهم ومقصورهم ومقاليهم وأهملوا فاهوا وضلوا وسبق إلى عقولهم الضيقة بعد أن كدرتها زحمة الاختلالات بالبدني خيالات فاسدة فالتصمت مذاهبهم واختلفت آراؤهم على عدة أوجه فطاففة عليهم الجهل والنفقة فلم تفتح أعينهم للنظر إلى عاقبة أمورهم فقالوا المقصود أن نعيش أياماً في الدنيا فنجتهد حتى نكسب القوت ثم نأكل حتى نغنى عن الكسب ثم نكسب حتى نأكل فبأكل يكون لكسبوا ثم يكسبون لئلا يكلوا وهذا منهج الفلاحين والمترفين ومن ليس له تتم في الدنيا ولا قدم في الدين فإنه يتب نهاراً ليأكل ليلاً ويأكل ليلاً ليتب نهاراً وذلك كسير السواني فهو سفر لا ينقطع إلا بالموت وطائفة أخرى زعموا أنهم يخطون لأمر وهو أنه ليس المقصود أن يبقى الإنسان بالعمل ولا يتنعم في الدنيا بل السعادة في أن يقضى وطره من شهوة الدنيا وهي شهوة البطن والفرج فهو لا ينسوا أنفسهم وصرفوا همهم إلى اتباع النساء وجمع ثلثه الأطلعة بأكلون كما تأكل الأنعام ويظنون أنهم إذا تناولوا ذلك فقد أدرخوا غاية السعادة فغفلهم ذلك عن الله تعالى وعن اليوم الآخر . وطائفة ظنوا أن السعادة في كثرة المال والاستثناء بكثره الكنوز فأسهبوا ليلهم وأتموا نهارهم في الجمع فهم يبنون في الأسفار طول الليل والتهار ويترعدون في الأعمال الشاقة ويكتسبون ويجمعون ولا يأكلون إلا قدر الضرورة شحاً ومجلاً عليها أن تنقص وهذه قديم وفي ذلك دأبهم وحركتهم إلى أن يدركهم الموت فيبقى تحت الأرض أو ينظر به من يأكله في الشهوات والذلات فيكون للجامع تنبه ووباله ولا سأل كفته ثم الذين يجمعون ينظرون إلى أمثال ذلك ولا يتنبهون . وطائفة ظنوا أن السعادة في حسن الاسم وانطلاق الألسنة بالثناء واللحس بالتجمل والروعة فهو لا ينسوا في كسب اللباس ويضيئون على أنفسهم في اللطم والشرب ويصرفون جميع مالهم إلى الملابس الحسنة والدواب

أن لا يوصل تكبيرة
الاحرام بتكبيره
الامام ولا تسليمه
بتسليمه واحدة على
الامام والمؤمنين وهو
أن لا يوصل تسليم
القرض بتسليم النقل
ويجزم التسليم ولا يعد
مدا ثم يدعو بعد
التسليم بما يشاء من
أمر دينه ودنياه
ويدعو قبل التسليم
أيضاً في صلب الصلاة
فانه يستجاب ومن
أقام الصلوات الخمس
في جماعة قد ملأ
البر والبحر عبادة
وكل المقامات والأحوال
زبدتها الصلوات
الحسنى في جماعة وهي
سر الدين وكفارة
المؤمن وتمحيص
للخطايا على ما أخبرنا
شيخنا شيخ الاسلام

النفيسة ويترخفون أبواب العور وما يقع عليها أبصار الناس حتى يقال إنهم غفروا وإنهم ذرؤة ويظنون أن ذلك هي السعادة فهمهم في تهايم وليهم في تصد موقع نظر الناس . وطاعة أخرى ظنوا أن السعادة في الجاه والكرامة بين الناس واتباع الخلق بالتواضع والتوقير صرخوا بهم إلى استعجال الناس إلى الطاعة بطلب الولايات ونقل الأعمال السلطانية لينفذ أمرهم بها على طاعة من الناس ورون أنهم إذا تمت ولايتهم واتحدت لهم رعاياهم قد سعدوا سعادة عظيمة وأن ذلك غاية للطلب وهذا أغلب الشهوات على قلوب النافلين من الناس هؤلاء ضلهم حب تواضع الناس لهم عن التواضع لله وعن عبادته وعن التفكير في آخرتهم ومعادهم . ووراء هؤلاء طوائف بطول حصرها تزيد على نيف وسبعين فرقة كلهم قد ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل وإنما جرمهم إلى جميع ذلك حاجة العلم واللبس والسكن ونسوا ما أراد له هذه الأمور الثلاثة القدر الذي يكفي منها وأجرت بهم أوائل أسبابها إلى أواخرها وتداعى بهم ذلك إلى مهاول يمكنهم الرقي منها فن عرف وجه الحاجة إلى هذه الأسباب والأشغال وعرف غاية المقصود منها فلا يفرغ في شغل وحرقة وعمل إلا وهو عام بمقصوده وعالم بحظه ونصيبه منه وأن غاية مقصوده تصد بدنه بالقوت والكسوة حتى لا يهلك وذلك إن سلك في سبيل التقليل اندثت الأشغال عنه وفرغ القلب وغلب عليه ذكر الآخرة وانصرف الهممة إلى الاستعداد له وإن تعدى به قدر الضرورة كثرت الأشغال وتداعى البعض إلى البعض وتسلسل إلى غير نهاية فتتشعب به المهوم ومن تشعبت به المهوم في أودية الدنيا فلا يالي إلى الله في أواد أهلك منها فبدأش أن التمكن في أشغال الدنيا وتنبه لذلك طائفة فأعرضوا عن الدنيا فحدهم الشيطان ولم يتركهم وأسلمهم في الأعراس أيضا حتى انقسموا إلى طوائف ظننت طائفة أن الدنيا دار بلاء ورحمة والآخرة دار سعادة لكل من وصل إليها سواء تصد في الدنيا أو لم يتعد فأروا أن السوابب في أن يقتلوا أنفسهم للخلاص من همة الدنيا وإليه ذهب طوائف من العباد من أهل الهند فهم يتجهجون على النار ويقتلون أنفسهم بالإحراق ويظنون أن ذلك خلاص لهم من عمن الدنيا وظننت طائفة أخرى أن القتل لا يخلص بل لا بد لأمن إمامة الصفات البشرية وقطعها عن النفس بالكيفية وأن السعادة في قطع الشهوة والغضب ثم أقبلوا على المجاهدة وعددوا على أنفسهم حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة وبعضهم قد عقله وجن وضهم مرض وانسد عليه الطريق في العبادة وبعضهم عجز عن قمع الصفات بالكيفية فظن أن ما كلفه الشرع محال وأن الشرع تلبس لأصل له فوقع في الإلحاد وظهر لبعضهم أن هذا الصب كله لله وأن الله تعالى مستغن عن عبادة العباد لا يتقصه عصيان عاص ولا يزيد عبادة متعبد فنادوا إلى الشهوات وسلكوا مسلك الاباحة وطووا بساط الشرع والأحكام وزعموا أن ذلك من صفاء توحيدهم حيث اعتقدوا أن الله مستغن عن عبادة العباد وظن طائفة أن المقصود من العبادات المجاهدة حتى يصل البعبها إلى معرفة الله تعالى فإذا حصلت المعرفة قد وصل وبسد الوصول يستغنى عن الوسيلة والحقبة فتركوا السعي والعبادة وزعموا أنه أرفع لهم في معرفة الله سبحانه عن أن يمتنعوا بالتكليف وإنما التكليف على عوام الخلق ووراء هذا مذاهب باطلة وضلالات هائلة بطول إحصائها إلى ما يبالغ فيها وسبعين فرقة وإنما الناجي منها فرقة واحدة وهي السالكة ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه وهو أن لا يترك الدنيا بالكيفية ولا يقيم الشهوات بالكيفية أما الدنيا فيأخذ منها قدر الزاد وأما الشهوات فيقمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع والعقل ولا يتبع كل شهوة ولا يترك كل شهوة بل يتبع العدل ولا يترك كل شيء من الدنيا ولا يطلب كل شيء من الدنيا بل يعلم مقصود كل ما خلق من الدنيا ويحفظه على حد مقصوده فيأخذ من القوت ما يفي به إلى بدن على العبادة

ضياء الدين أبو النجيب
السهر وردى رحمه الله
إجازة قال أنا أبو منصور
محمد بن عبد الملك بن
خير بن قال أنا أبو محمد
الحسن بن علي
الجوهري إجازة قال
أنا أبو عمر محمد بن
الباس بن زكريا قال
تأ أبو محمد يحيى بن
محمد بن ساعد قال
تأ الحسين بن الحسن
المروزي قال أنا عبد الله
ابن المبارك قال أنا يحيى
ابن عبد الله قال سمعت
أبي يقول سمعت أبا
هريرة رضي الله عنه
يقول قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
« الصلوات الحسن
كفارات لخطاياهم »
إن هتم - إن الحسنات
يذهبن السيئات ذلك
ذكرى لدا كرن - »

ومن للسكن ما يحفظ عن اللصوص والحرق والبرد ومن الكسوة كذلك حتى إذا فرغ القلب من شغل البدن أقبل على الله تعالى بكنهه واشتغل بالذكر والفكر طول المروية ملازمة سياسة الشهوات ومراقبها حتى لا يجاوز حدود الورع والتقوى ولا يعلم تفصيل ذلك إلا بالاعتناء بالفرقة الناجية وم الصحابة فانه عليه السلام لما قال «الناجي منها واحدة قالوا يا رسول الله ومن هم؟ قال أهل السنة والجماعة قيل ومن أهل السنة والجماعة؟ قال ما أنا عليه وأصحابي»^(١) وقد كانوا على النهج القصد وعلى السبيل الواضح الذي فصلناه من قبل فانهم ما كانوا يأخذون الدنيا بل للدنيا بل للدين وما كانوا يترهبون ويهجرون الدنيا بالكسوة وما كان لهم في الأمور تفريط ولا إفراط بل كان أمرهم بين ذلك قواما وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين وهو أحب الأمور إلى الله تعالى كما سبق ذكره في مواضع وانه أعلم .

ثم كتاب ذم الدنيا والحمد لله أولا وآخرها وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

﴿ كتاب ذم البخل وذم حب المال ﴾

(وهو الكتاب السابع من ربيع المهلكات من كتاب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله من وجب الجذب رقة البسوط ، وكأخف الضرر بعد القنوط ، الذي خلق الخلق ، ووسع الرزق ، وأفاض على العالمين أصناف الأموال ، وأبسط لهم فيها ثقل الأحوال . ورددهم فيها بين العسر والبسر والغنى والفقر والطعم والبأس والثروة والإنفاق والعجز والاستطاعة والحرس والقناعة والبخل والجلود والفرح والوجود والأنف على القنود والإنثار والإففاق والتوسع والإملاق والتبذير والتفتير والرضا بالقليل واستعمار الكثير كل ذلك ليبلوهم أيهم أحسن عملا وينظر أيهم أثر الدنيا على الآخرة بدلا وابتنى عن الآخرة عدولا وحولا وأخذ الدنيا ذخيرة وخولا . والصلاة على محمد الذي نسخ بعلمه ملا وطوى بشرته أديانا ونحلا وعلى آله وأصحابه الذين سلكوا سبيل ربهم ذللا وسلم تسليما كثيرا .

[أما بعد] فإن في الدنيا كثيرة المنصب والأطراف واسعة الأرجاء والأكناف ولكن الأموال أعظم فتنة وأظم عنها وأعظم فتنة فيها أنه لا غنى لأحد عنها ثم إذا وجدت فلا سلامة منها فإن فقد المال حصل منه الفقر الذي يكاد أن يكون كفرا وإن وجد حصل منه الطمان الذي لا تكون عاقبة أمره إلا خسران . وبالجملة فهي لا تخلو من الفوائد والآفات وقوائدها من النجيات وآفات من المهلكات وتميز خيرها عن شرها من الموصات التي لا يقوى عليها إلا ذوو البصائر في الدين من العلماء الراسخين دون المزمعين الغفريين وشرح ذلك مهم على الاقتراء فإن ما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا لم يكن نظرا في المال خاصة بل في الدنيا عامة إذ الدنيا تتناول كل حظ عاجل والمال بعض أجزاء الدنيا والجاه بعضها واتباع شهوة البطن والفرج بعضها وتشتي التقيظ بحكم الغضب والحسد

(١) حديث ائتراق الأمة وفيه الناجي منهم واحدة قالوا ومن هم قال أهل السنة والجماعة الحديث الترمذى من حديث عبد الله بن عمرو وحسنه تفرق أئق على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة فقالوا من هي يا رسول الله قال ما أنا عليه وأصحابي ولأبي داود من حديث معاوية بن ماجه من حديث أنس وعوف بن مالك وهي الجماعة وأسانيدها جيد .

﴿ كتاب ذم البخل وحب المال ﴾

[الباب الثامن
والثلاثون في ذكر
آداب الصلاة
وأمرها]

أحسن آداب المصل
أن لا يكون مشغول
القلب شيء قل أو أكثر
لأن الأكياس لم يرضوا
الدنيا إلا ليعموا
الصلاة كما أمروا لأن
الدنيا وأشغالها لما
كانت شاغلة لقلب
رضوها غيرية على
محل المناجاة ورغبة
في أوطان القربات
وإذعاننا بالباطن لرب
البريات لأن حضور
الصلاة بالظاهر إذعان
انظاها وفرغ القلب
في الصلاة عما سوى
الله تعالى إذعان الباطن
فم برواحضور الظاهر
وتخلف الباطن حتى
لا يغفل إذعانهم فتخرج
عبوديتهم فيجذب أن

بعضها والكبر وطلب المال بعضها ولها أرباح كثيرة وبجمعها كل ما كان للانسان فيه حظ عاجل ونظرنا الآن في هذا الكتاب في المال وحده فيه آفات وغوائل وللانسان من قدمه صفة الفقر ومن وجوده وصف الثنى وهما حالتان يحصل بهما الاختيار والامتنان . ثم فلان هاتان: القناعة والحرص وإحداهما مذمومة والأخرى محمودة وللحرص حالتان طمع فيها في أيدي الناس وتشر للحرف والصناعات مع اليأس عن الخلق والطمع شر الحالتين وللاوجد حالان إسدال يحكم البخل والشح وإشفاق وإحداهما مذمومة والأخرى محمودة وللنفق حالتان تثير اقتصادا والمحمود هو الاقتصاد وهذه أمور متشابهة وكشف النطاء عن التموض فيها مهم . ونحن نشرح ذلك في أربعة عشر فصلا إن شاء الله تعالى وهو بيان ضم المال ثم مدحه ثم تحصيل فوائد المال وآفاته ثم ضم الحرص والطمع ثم علاج الحرص والطمع ثم فضيلة السخاء ثم مكاييل الأسخياء ثم ضم البخل ثم مكاييل البخل ثم الآثار وفضله ثم حد السخاء والبخل ثم علاج البخل ثم مجموع الوظائف في المال ثم مدح الفقر إن شاء الله تعالى .

(بيان ضم المال وكراهة حبه)

قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأوتك هم الخاسرون - وقال تعالى - إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم - فمن اختار ماله وولده على ما عاهد الله فقد خسر وخسرانا عظيما ، وقال عز وجل - من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها - الآية وقال تعالى - إن الانسان ليطغى أن أنسى أنه فلاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم - وقال تعالى - لهاكم التكاثر - . وقال رسول الله ﷺ «حب المال والشرف يفتنان النفاق في القلب كما يفتن الماء البقل» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «ما ذنبان ضاريان أرسلاني في زرية غنم يأكلن إفسادا فيها من حب الشرف والمال والجاه في دين الرجل السلم» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «هلك الكفرون لإمن قال به في عباد الله هكذا وهكذا وقليل ما هم» (٣) وقيل «يا رسول الله أي أمتك شر قال الأغنياء» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «سيأتي بعدكم قوم يأكلون أطياب الدنيا وألوانها ويركبون

يكون باطنه مرتهنا
بشيء ويدخل الصلاة
وقبل من فقه الرجل
أن يبدأ بقضاء حاجته
قبل الصلاة ولهذا
ورد «إذا حضر العشاء
والعشاء تقدموا العشاء
على العشاء» ولا يصلي
وهو حاقن بظالمه البول
ولا حاقن بظالمه الغائط
والحرز أيضا ضيق
الحلف ولا يصلي أيضا
وخفه ضيق يشغل قلبه
قد قيل لا رأي لحازق
قيل الذي يكون معه
ضيق وفي الجملة ليس من
الأدب أن يصلى وعنده
ما يغير مزاج باطنه عن
الاعتدال كهذه الأشياء
التي ذكرناها وأهنام
للفرط والغضب وفي
الحذر ولا يدخل أحدكم
في الصلاة وهو متغلب
ولا يصلي أحدكم وهو

(١) حديث حب المال والشرف يفتنان النفاق في القلب كما يفتن الماء البقل لم أجده بهذا اللفظ وذكره
بعد هذا بلفظ الجاه بدل الشرف (٢) حديث ما ذنبان ضاريان أرسلاني في زرية غنم يأكلن إفسادا
لها من حب المال والجاه في دين الرجل السلم الترمذي والنسائي في الكبرى من حديث كعب بن مالك
وقالا جاثمان مكان ضاريان ولم يقولوا في زرية وقال الشرف بدل الجاه قال الترمذي حسن صحيح
وللطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد ما ذنبان ضاريان في زرية غنم الحديث وللإبراهيم من حديث
أبي هريرة ضاريان جاثمان واستناد الطبراني فيها ضعيف (٣) حديث هلك الأكثرون لإمن قال
به في عباد الله هكذا وهكذا الحديث الطبراني من حديث عبد الرحمن بن أبي رزيق بلفظ الأكثرون ولم يقل
في عباد الله ورواه أحمد من حديث أبي سعيد بلفظ أسكروا وهو موثق عليه من حديث أبي ذر بلفظ
هم الأكثرون فقال أبوذر من هم فقال هم الأكثرون أم لا إلا من قال هكذا الحديث (٤) حديث
قيل يا رسول الله أي أمتك شر قال الأغنياء غريب لم أجده بهذا اللفظ وللطبراني في الأوسط
والبيهقي في الشعب من حديث عبد الله بن جعفر شرار أمتي الذين ولدوا في النعم وغذوا بها يكون
من الطعام ألوانا وفيه أصرم بن حوشب ضعيف ورواه هناد بن السري في الزهد من رواية
عروة بن رويم مر سلا وللبزار من حديث أبي هريرة بسند ضعيف إن من شرار أمتي الذين غذوا
بالنعم وثبت عليه أجسامهم .

فره الحيل والوانها وينسكون أجل النساء وألوانها ويلبسون أجل الثياب وألوانها لم يظن من القليل لانتشع وأخس بالكثير لا تخنع ما كفون على الدنيا يندون وروحون إليها اتخذوها ألقمن دون لهم وربا دون ربهم إلى أمرها يتهن ولحوام يتقون فزعمة من محمد بن عبد الله بن أدركه ذلك الزمان من عقب عتيك وخلف خلفك أن لا يسلم عليهم ولا يودم رضاهم ولا يتبع جنازهم ولا يقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد أعان على هدم الإسلام (١) وقال صلى الله عليه وسلم «دعوا الدنيا لأهلها من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حته وهو لا يشعر» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنت أو لبست فألبست أو تمعدت فأمضيت» (٣) وقال رجل «يا رسول الله مالي لأحب الموت فقال هل معك من مال؟ قال نعم يا رسول الله قال قدم مالك فان قلب المؤمن مع ماله إن قدمه أحب أن يلحقه وإن خلفه أحب أن يتخلف معه» (٤) وقال رسول الله «أخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه إلى قبض روجه والثاني إلى قبره والثالث إلى محشره فأبى يتبع إلى قبض روجه فهو ماله والثاني يتبعه إلى قبره فهو أهله والذي يتبعه إلى محشره فهو عمله» (٥) وقال الحواريون لعيسى عليه السلام : مالك تنس على الماء ولا تهدر على ذلك ؟ فقال لهم ما منزلة الدينار والدرهم عندكم قالوا حسنة قال لكنهما والدر عندى سواء . وكتب سلمان الفارسي إلى أبي الدرداء رضى الله عنهما : يا أخى إليك أن تجمع من الدنيا ما تؤدى شكره فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «يجاء بصاحب الدنيا الذى أطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفا به الصراط قاله ماله أمضى فقد أدبت حق الله في ثم جاء بصاحب الدنيا الذى لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كلما تكفا به الصراط قاله ماله وملك ألا أدبت حق الله في فما يزال كذلك حتى يدعو بالويل والثبور» (٦) وكل ما أوردهنا في كتاب الزهد والفقر في ذم الثنى ومدح الفقر يرجع جميعه إلى ذم السال فلا يطول بتكريره وكذا كل ما ذكرناه في ذم الدنيا فيتناول ذم السال بحكم العموم لأن السال أعظم أركان الدنيا وإيماننا بذلك الآن ماورد في السال خاصة قال صلى الله عليه وسلم «إذا مات البع دألت للملائكة ما قدم وقال الناس ما خلف» (٧)

(١) حديث سيأتي بعدكم قوم يأكلون أطياب الدنيا وألوانها وينسكون أجل النساء وألوانها الحديث بطوله الطبراني في الكبير والأوسط من حديث أبي أمامة سيكون رجال من أمي يأكلون ألوان الطعام ويشربون ألوان الشراب ويلبسون ألوان الثياب يتشدقون في الكلام أولئك شرار أمتي وسند ضيف ولم أجد لباقيه أصلا (٢) حديث دعوا الدنيا لأهلها من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حته وهو لا يشعر الزمان من حديث أنس وفيه هائي بن للتوكل ضفنه ابن حبان (٣) حديث يقول البع مالي مالي الحديث مسلم من حديث عبد الله بن الشخير وأبي هريرة وقد تقدم (٤) حديث قال رجل يا رسول الله مالي لأحب الموت الحديث لم أقف عليه (٥) حديث أخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه إلى قبض روجه والثاني إلى قبره والثالث إلى محشره أحمد والطبراني في الكبير والأوسط من حديث الثمان بن بشر بإسناد جيد نحوه ورواه أبو داود الطيالسي وأبو الشيخ في كتاب الثواب والطبراني في الأوسط من حديث أنس بسند جيد أيضا وفي الكبير من حديث سمرة بن جندب وللشيخين من حديث أنس يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد الحديث (٦) حديث كتب سلمان إلى أبي الدرداء وفيه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجاء بصاحب الدنيا الذى أطاع الله فيها وماله بين يديه الحديث . قلت ليس هو من حديث سلمان وإنما هو من حديث أبي الدرداء أنه كتب إلى سلمان كذا رواه البيهقي في الشعب وقال بدل الدنيا السال وهو متقطع حديث إذا مات البع دألت للملائكة ما قدم الحديث البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة

غضبان «فلا ينبغي للعبد أن تلبس بالصلاة إلا وهو على أتم الحيات وأحسن لبسة المصل سكون الأطراف وعدم الالتفات والإطراق ووضع العين على السال فما أحسنها من هيئة بيد ذليل واقف بين يدي ملك عزيز وفي رخصة التمرع دون الثلاث حركات متواليات جاز وأرباب الزعة يتركون الحركة في الصلاة جملة وقد حركت يدي في الصلاة وعندى شخص من الصالحين فسا انصرفت من الصلاة أنكر على وقال عندها إن البع إذا وقف في الصلاة ينبغي أن يتقى جادا محمدا لا تحرك منه شيء . وقد جاء

وقال صلى الله عليه وسلم « لاتخذوا الضيقة فتحبوا الدنيا (١) » . الآثار : روى أن رجلا نال من أبي الهرداء وأراه سودا قال اللهم من فعل بي سودا فأصعب جسمه وأطل عمره وأكثرت ماله فانظر كيف رأى كثرة السال غاية البلاء مع صحة الجسم وطول العمر لأنه لا يد وأن يفضى إلى العليان. ووضع على كرم الله وجهه درهما على كفه ثم قال أما إنك ما لم تخرج عني لاتفتنى . وروى أن عمر رضي الله عنه أرسل إلى زينب بنت جحش ببطانيها فقالت ماهذا ؟ قالوا أرسل إليك عمر بن الخطاب قالت غفر الله له ثم سلت سترًا كلن لها قطعتة وجعلته صررا وقسمته في أهل بيتها ورحمها وأتاناها ثم رفت يديها وقالت : اللهم لا بدركني عطاء عمر بعد ماى هذا فكانت أول نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوقا به وقال الحسن والله ما أعز الدرهم أحد إلا أذهله الله وقيل إن أول ما ضرب الدينار والدرهم رخصها إليس ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما وقال من أحبكما فهو عبدى حقا وقال عبيط بن بحلان إن الدرهم والدينار أزمة للتأقين ينادون بها إلى النار . وقال يحيى بن معاذ الدرهم غريب فإن لم تحسن ريقته فلا تأخذه فإنه إن لدغك تلك صمة قيل وما ريقته قال أخذه من حله ووضع في حقه وقال الولاء بن زياد تمثلت لى الدنيا وعليها من كل زينة قتلت أعوذ بالله من شرك قالت إن شرك أن يعبدك الله متى فأبيض الدرهم والدينار وذلك لأن الدرهم والدينار هما الدنيا كلها إذ يتوصل بهما إلى جميع أصنافها فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا وفي ذلك قيل :

إني وجدت فلا تظنوا غيبره أن التورع عند هذا الدرهم
فاذا قدرت عليه ثم تركته فاعلم بأن ثقله حوى للسلم

وفي ذلك قيل أيضا :

لا يضرنك من الرء ليس رقه أو إزار فوق عظم الساق منه رقه
أو جبين لاح فيه أر قد خلمه أره الدرهم تعرف حبه أو ورعه

وروى عن مسلمة بن عبد الملك أنه دخل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله عند موته فقال يا أمير المؤمنين سمعت صديقا لم يصمه أحد قبلك تركت ولديك ليس لهم درهم ولا دينار وكان ثلاثة عشر من الولد فقال عمر أقصدوني فأقصدوه فقال أما قولك لم أدع لهم دينارا ولا درهما فاني لم أنعمهم جالهم ولم أعظم حقا لغيرهم وإنما ولدي أحد رجلين إما مطيع لله فافقه كافيه والله يتولى الصالحين وإما غاص لله فلا أبالي على ما وقع . وروى أن محمد بن كعب القرظي أصاب مالا كثيرا فقبل له لو ادخرته لمولده من بعده قال لا ولكنى أدخره لنفسى عند ربى وأدخره لولدى . وروى أن رجلا قال لأبي عبد الله يا أخى لاتذهب بشر وترك أولادك بخير فأخرج أبو عبد الله من ماله مائة ألف درهم وقال يحيى بن حماد معصيتان لم يسمع الأولون والآخرون يمثلها للبعد في ماله عند موته قيل وما هذا قال يؤخذ منه كله ويسئل عنه كله.

(بيان مدح السال والجمع بينه وبين الله)

اعلم أن الله تعالى قد سمى السال خيرا في مواضع من كتابه العزيز فقال جل وعز - إن ترك خيرا - الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نم البال الصالح الرجل الصالح (٢) » وكل ما جاء في ثواب الصدقة والحج فهو ثناء على السال إذ لا يمكن الوصول إليهما إلا به وقال تعالى - وستخرجنا كثرها رحمة من ربك - وقال تعالى محنتا على عباده - ويمدكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم

في الجبر » سبعة

أشياء في الصلاة

من الشيطان: الرعاف

والنحاس والوحوسة

والثأوب والحسكة

والانفثات » والبث

بأشياء من الشيطان

بعضا وقيل السهو

والشك ، وقد روى

عن عبد الله بن عباس

رضي الله عنهما قال

إن الحشوع في الصلاة

أن لا يعرف الصلوة من

على يمينه وشماله . وتقول

عن سفيان أنه قال :

من لم يخشع فقدت

صلاته ، وروى عن معاذ

ابن جبل أشد من

ذلك قال : من عرف

من عن يمينه وشماله

في الصلاة تمتددا فلا

صلاة له وقال بعض

العلماء من قرأ كلمة

مكتوبة في حائط أو

يلغ به وقد تقدم في آداب الصلوة (١) حديث لاتخذوا الضيقة فتحبوا الدنيا القرمذى والحاكم
ومصح إسناده من حديث ابن مسعود بلفظ قرئوا (٢) حديث نم للسال الصالح يخرج الرجل الصالح
أحمد والبراني في الكبير والأوسط من حديث عمرو بن الماس بسند صحيح بلفظ تنما ولا لعمرو.

أنهارا - وقال صلى الله عليه وسلم «كاد الفقر أن يكون كفرا»^(١) وهو ثناء على المال ولا تحق على وجه الجمع بعد التلميح وللحج إلا بأن تعرف حكمة المال ومقصوده وآفاته وغوائله حتى ينكشف لك أنه خير من وجهه وشر من وجهه وأنه محمود من حيث هو خير ومذموم من حيث هو شر فإنه ليس بغير محض ولا هو شر محض بل هو سبب للأمرين جيما وماعذا وصفه فيمدح لآماله تارة ويذم أخرى ولكن البصير للمميز يدرك أن الممدود منه غير للذموم ويأبه بالاستعداد عما ذكرناه في كتاب الشكر من بيان الخيرات وتخصيل درجات التتم والتقد القنع فيه هو أن مقصد الأكياس وأرباب البصائر إعادة الآخرة التي هي التتم الدائم وللك التتم والتقدم إلى هذا باب الكرام والأكياس إذ قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم «من أكرم الناس وأكيسهم؟» قال: «أكثرهم لموت ذكرا وأشد هم له استعدادا»^(٢) وهذه السعادة لاتتلك إلا ثلاث وسائل في الدنيا وهي الفضائل النفسية كالعلم وحسن الخلق والفضائل البدنية كالصحة والسلامة والنفال الخارجية عن البدن كالمال وسائر الأسباب وأعلاها النفسية ثم البدنية ثم الخارجية فالخارجة أحسنها والمال من جملة الخارجيات وأدناها الدراهم والذنانير فإنهما خادمان ولا خادم لهما ورمادان لغيرهما ولا يراد أن لهما إذ النفس هي الجوهر النفيس المطلوب سعادتها وأنها تخدم العلم والفرقة ومكارم الأخلاق لتحصلها صفة في ذاتها والبدن تخدم النفس بواسطة الحواس والأعضاء والطعام والملابس تخدم البدن وقد سبق أن القصور من الطعام إبقاء البدن ومن التناكح إبقاء النسل ومن البدن تسهيل النفس وتزكيها وتزيينها بالملم والخلق ومن عرف هذا الترتيب قد عرف قدر المال ووجه شرفه وأنه من حيث هو ضرورة الطعام والملابس التي هي ضرورة بقاء البدن الذي هو ضرورة كمال النفس الذي هو خير ومن عرف فائدة الشيء وغايته ومقصده واستعمله تلك الغاية ملتفتا إلى غير ناس لها فقد أحسن واتسع وكان ماحل له العرض محمودا في حقه فاذن للمال آلة ووسيلة إلى مقصود صحيح واصلح أن يتخذ آلة ووسيلة إلى مقاصد فاسدة وهي المقاصد الصاعدة عن سعادة الآخرة وتسد سبيل العلم والعمل فهو إذا محمود مذموم محمود بالإضافة إلى القصد الممدود ومذموم بالإضافة إلى القصد المذموم فمن أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه فقد أخذ حظه وهو لا يشعر^(٣) كما ورد به الخبر ولما كانت الطباع مائلة إلى اتباع الشهوات القاطعة لسبيل الله وكان للمال مسهلها وآلة إليها أعظم الخطر فلما زيد على قدر الكفاية فاستعاذ الأنبياء من شره حتى قال نبينا عليه الصلاة والسلام «اللهم أجعل قوت آل محمد كقوت آل عيسى»^(٤) فلم يطلب من الدنيا إلا ما يتحصص خيره وقال «اللهم أحيني مسكينا وأمتي مسكينا واحشني في زمرة الساكين»^(٥) واستعاذ إبراهيم صلى الله عليه وسلم فقال - واجتنبني وبني أن نعبد الأصنام - وعنى بها هذين الحبرين الذهب والفضة إذ رتبة النبوة أجل من يغنى عليها أن تعتقد الإلهية في شيء من هذه الحجارة إذ أقد كفى قبل النبوة عبادتها مع الصغر وإنما معنى عبادتهما حبهما والاعترا بهما والركون

(١) حديث كاد الفقر أن يكون كفرا أبو مسلم الليثي في سننه والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أنس وقد تضمن في كتاب ذم القصب (٢) حديث من أكرم الناس وأكيسهم قال أكثرهم لموت ذكرنا الحديث ابن ماجه من حديث ابن عمر بلفظ أي المؤمنين أكيس ورواه ابن أبي الدنيا في الموت بلفظ المصنف وإسناده جيد (٣) حديث من أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه فقد أخذ حظه وهو لا يشعر تحمق قلبه بسبعة احاديث وهو بنية أحذروا الدنيا (٤) حديث اللهم أجعل قوت آل محمد كقوت آل عيسى عليه من حديث أبي هريرة (٥) حديث اللهم أحق مسكينا وأمتي مسكينا الترمذي من حديث أنس وابن ماجه والحاكم وصححه إسناده من حديث أبي سعيد وقد تقدم .

بساط في صلاته فصلاته باطلة قال بعضهم لأن ذلك عدوه عملا وقول في تفسير قوله تعالى - والذين هم على صلاتهم دائمون - قيل هو سككون الأطراف والطماينة . قال بعضهم إذا سككوت التكبير الأولى فاعلم أن الله ناظر إلى شخصك عالم بما في ضميرك ومثل في صلاتك الجنة عن يمينك والنار عن شمالك وإنما ذكرنا أن تمثل الجنة والنار لأن القلب إذا شغل بذكر الآخرة ينقطع عنه الوسواس فيكون هذا التخليل تدويا لقلب لدفع الوسوسة . أخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردي بإجازة قال

إلها قال نينا صلى الله عليه وسلم « تس عبد الدينار وتس عبد الدرهم تس ولا تمش وإذا شيك فلا تنتش ^(١) » فيبين أن محبهما عابدهما ومن عبد حجرافه عابدهم بل كل من كان عبدا لغير الله فهو عابده صنم أى من قطعه ذلك عن الله تعالى وعن أداء حقه فهو كما يبدى وهو شرك إلا أن الشرك شر كان شرك خفى لا يوجب الخلود في النار وقها ينفك عنه للؤمنون فإنه أخفى من ويب الخلق وشرك جلى يوجب الخلود في النار فعوذ بالله من الجبيع .

(بيان خصيل آفات اللال وفوائده)

اعلم أن اللال مثل حية فيها سم وترياق ففوائده تزيقه وغوائله محومه فمن عرف غوائله وفوائده أمكنه أن يهتزم من شره ويستند من خيره . أما القوائد : فهي تنقسم إلى دنيوية ودينية : أما الدنيوية فلا حاجة إلى ذكرها فإن معرفتها مشهورة مشتركة بين أصناف الخلق ولولا ذلك لم يتالكوا على طلبها وأما الدينية فتتخصر جميعها في ثلاثة أنواع . النوع الأول : أن ينفع على نفسه إمامي عبادة أوفى الاستعانة على عبادة أما في العبادة فهو للاستعانة به على الحج والجهاد فإنه لا يتوصل إليه إلا بالمال وهما من أمهات القربات والفقر محروم من فضلها وأما فيما يقويه على العبادة فذلك هو اللطم واللبس والسكن والنسك وضروورات اللبشة فإن هذه الحاجات إذا لم تتيسر كان القلب معروفا إلى تديرها فلا يفرغ للدين ومالا يتوصل إلى العبادة إلا به فهو عبادة فأخذ الكفاية من الدنيا لأجل الاستعانة على الدين من القوائد الدينية ولا يدخل في هذا التتم والزيادة على الحاجة فإن ذلك من حظوظ الدنيا فقط . النوع الثاني : ما يصرفه إلى الناس وهو أربعة أقسام الصدقة والمروءة ووقاية العرض وأجرة الاستخدام . أما الصدقة فلا يخفى ثوابها وإنها لتطفي غضب الرب تعالى وقد ذكرنا فضلها فيما تقدم . وأما المروءة فتعني بها صرف المال إلى الأغنياء والأشراف في ضيافة وهدية وإعانة وما يجري مجراها فإن هذه لا تسمى صدقة بل الصدقة ما يسلم إلى المحتاج إلا أن هذا من القوائد الدينية إذ به يكتسب العبد الإخوان والأصدقاء وبه يكتسب صفة السخاء ويلتقي بزرمة الأسخياء فلا يوصف بالجلود إلا من يصطنع المروءة ويسلك سبيل المروءة والقنوة وهذا أيضا يعظم الثواب فيه فقد وردت أخبار كثيرة في الهدايا والضيافات وإطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها . وأما وقاية العرض فتعني به بندل المال لدفع هجو الشعراء وثلب السفهاء وقطع ألسنتهم ودفع شرهم وهو أيضا مع تجز فائدته في الحاجة من الحظوظ الدينية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما وقى به المرء عرضه كتب له به صدقة ^(٢) » وكيف لا يفهم من الكتاب عن مصيبة الفية واحتراز عما يشور من كلامه من مداوة التي تحمل في المكافأة والانتقام على مجاوزة حدود الشريعة . وأما الاستخدام فهو أن الأعمال التي يحتاج إليها الإنسان لتبته أسبابه كثيرة ولتوتولها بنفسه ضاعت أوقاته وتمز على سلوك سبيل الآخرة بالفكر والذكر الذي هو أعلى مقامات السالكين ومن لا ماله فيفتقر إلى أن يتولى بنفسه خدمة نفسه من شراء الطعام وطحنه وكس البيت حتى نسخ الكتاب الذي يحتاج إليه وكل ما يتصور أن يقوم به غيره ويحصل به غرضك فأنت متعوب إذا اشتغلت به إذ عليك من العلم والعمل والذكر والفكر مالا يتصور أن يقوم به غيرك فتضيع الوقت في غيره خسار

(١) حديث تس عبد الدينار تس عبد الدرهم الحديث البخاري من حديث أبي هريرة ولم يقل وانتش وإنما علق آخره بلفظ تس واتسكن ووصل ذلك ابن ماجه والحاكم (٢) حديث ما وقى المرء عرضه به فهو صدقة أبو يلى من حديث جابر وقد تقدم .

أنا عمر بن أحمد
الصفار قال أنا أبو بكر
ابن خلف قال أنا
أبو عبد الرحمن قال
سمعت أبا الحسين
الفارسي يقول سمعت
محمد بن الحسين يقول
قال سهل من خلا قلبه
عن ذكر الآخرة
تعرض لوساوس
الشیطان فأمامن بشر
باطنه صفو اليقين
ونور المعرفة فيستضي
بشاهده عن تمثيل
مشاهدة قال أبو سعيد
الحرّاز إذا ركع فالأدب
في ركوعه أن ينتصب
ويذنو ويشد في
ركوعه حتى لا يسقى
منه مفصل إلا وهو
منتصب نحو العرش
العظيم ثم يعظم الله
تعالى حتى لا يكون
في قلبه شيء أعظم

النوع الثالث : مالا يصرفه إلى إنسان معين ولكن يحصل به خير عام كبناء المساجد والقناطر والرباطات ودور للرضى ونصب الحباب في الطريق وغير ذلك من الأوقاف الرصدية للخيرات وهي من الخيرات المؤبدة الدارة بعد اللول للستجيلة بركة أدعية الصالحين إلى أوقات مناهية وناهيك بها خيرا فهذه جملة فوائده اللال في الدين سوى ما يتعلق بالخطوط العاجلة من الخلاص من ذل السؤال وحارة الفقر والوصول إلى المزم والمجد بين الخلق وكثرة الإخوان والأعوان والأسدقاء والوقار والكرامة في القلوب فكل ذلك مما يقتضيه اللال من الخطوط الدنيوية . وأما الآفات فدنيوية ودنيوية أما الدنيوية ثلاث . الأولى : أن تجر إلى المعاصي فإن الشهوات متفاضلة والمجزد يغول بين اللز والمصية ومن الصمة أن لا يجد ومهما كان الإنسان آيسا عن نوع من الصلصة متحرك داعيته فإذا استثمر القدرة عليها انبثت داعيته واللال نوع من القدرة يحرك داعية المعاصي وارتكاب الفجور فإن اتحم ما اشتبه هلك وإن صبر وقع في شدة إذ الصبر مع القدرة أشد وقتئذ السراء أعظم من فتنة الضراء . الثانية : أنه يجر إلى التهم في الباطحات وهذا أول الدرجات فتي يقدر صاحب المال على أن يتناول خبز الشعر ويلبس الثوب الخشن ويترك لثامه الأظفمة كما كان يقدر عليه سليمان ابن داود عليها الصلاة والسلام في ملكه فأحسن أحواله أن يتمم بالدنيا ويمرن عليها نفسه فيصير التهم مألوفا عنده ومحبوبا لا يصبر عنه ويجره البعض منه إلى البعض فإذا اشتد أنه بهر بما لا يقدر على التوصل إليه بالكسب الحلال فيقتحم الشبهات ويخوض في الرأفة والداهنة والكذب والنفاق وسائر الأخلاق الرديئة لينتظم له أمر دنياه ويتيسر له تنمعه فإن من كثر ماله كثر حاجته إلى الناس ومن احتاج إلى الناس فلا بد وأن ياتقهم ويصمى الله في طلب رضاهم فإن سلم الإنسان من الآفة الأولى وهي مباشرة الخطوط فلا يلم عن هذه أصلا ومن الحاجة إلى الخلق ثور العداوة والبداوة وينشأ عنه الحسد والحقد والرياء والكبر والكذب والفيعة وسائر المعاصي التي تحض القلب واللسان ولا تخلو عن التصدي أيضا إلى سائر الجوارح وكل ذلك يلزم من شؤم المال والحاجة إلى حفظه وإصلاحه . الثالثة : وهي التي لا يتكف عنها أحد وهو أنه يلجأ لإصلاح ماله عن ذكر الله تعالى وكل ما شغل العبد عن الله فهو خسران ولذلك قال عيسى عليه الصلاة والسلام : في المال ثلاث آفات أن يأخذ منه غير حله ، تقيل إن أخذته من حله ؟ فقال يضعه في غير حقه تقيل إن وضعه في حقه فقال يشغله لإصلاحه عن الله تعالى وهذا هو الداء الضال فإن أصل العبادات ومغها وسرها ذكر الله والتفكير في جلالة وذلك يستدعي قلبا فارغا وصاحب الضيعة يمسى ويصبح متفكرا في خصومة الفلاح ومحاسبتها وفي خصومة التركاء ومنازعتهم في الماء والحدود وخصومة أعوان السلطان في الحراج وخصومة الأجراء على التصغير في العمارة وخصومة الفلاحين في خيانتهم وسرقتهم وصاحب التجارة يكون متفكرا في خيانة شريكه وانتهاده بالربح وتقصيره في العمل وتضييعه للمال وكذلك صاحب الموائش وهكذا سائر أصناف الأموال وأبديها عن كثرة الشغل التمدد المكتون تحت الأرض ولا يزال الفكر مترددا فيما يصرف إليه وفي كيفية حفظه وفي الخوف مما يضر عليه وفي دفع أطماع الناس عنه وأودية أفكار الدنيا لانهاية لها والتي معه قوت يومه في سلامة من جميع ذلك فهذه جملة الآفات الدنيوية سوى ما يغاسيه أرباب الأموال في الدنيا من الخوف والحزن والهم والتمتع والتعب في دفع الحساد وتجنب المصائب في حفظ المال وكسبه فاذن تزيق المال أخذ القوت منه وصرف الباقي إلى الخيرات وما عدا ذلك مسموم وآفات نساء الله تعالى السلامة وحسن المون بلطفه وكرمه إنه على ذلك قدير .

من الله ويصرف في نفسه حتى يكون أقل من الجباء وإذ ارفع رأسه وحمد الله يعلم أنه سبحانه وتعالى يسع ذلك . وقال أيضا ويكون معه من الحشية ما يكاد يذوب به . قال السراج إذا أخذ العبد في التسلاوة فالأدب في ذلك أن يشاهد ويسمع قلبه كأنه يسمع من الله تعالى أو كأنه يقرأ على الله تعالى . وقال السراج أيضا من أذهب قبل الصلاة المراقبة وسرعة القلب من الحواطر والموارض ونفي كل شيء غير الله تعالى فإذا قاموا إلى الصلاة بحضور القلب فكأنهم قاموا من الصلاة إلى الصلاة فيكون مع النفس

(بيان ذم الحرص والطمع ومنع القناعة والياس بما في أيدي الناس)

اعلم أن الفقر محمود كما أوردناه في كتاب الفقر ولكن ينبغي أن يكون الفقير قانعاً لما ينقطع الطمع عن الحلق غير ملتفت إلى ما في أيديهم ولا حرصاً على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه ذلك إلا بأن يتقن بقدر الضرورة من الطعام والملبس والسكن ويتقصر على الله قدره وأخيه توفاً ويرد أمه إلى يومه أو إلى شهره ولا يشغل قلبه بما بعد شهر فإن تشوق إلى الكثير أو طول أمه فانه عز القناعة وتدنى لاهالة الطمع وذلك الحرص وجره الحرص والطمع إلى مساوى الأخلاق وارتكاب التكرات الحارقة للمروآت وقد جبل الأدي على الحرص والطمع وقلة القناعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا يبتغي لهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب» (١) «وعن أبي واقد الليثي قال «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوحى إليه أنبياءه يملأها ما أوحى إليه فجئته ذات يوم فقال: إن الله عز وجل يقول: إنا أنزلنا المال لإتمام الصلاة وإيتاء الزكاة ولو كان لابن آدم واد من ذهب لأحب أن يكون له أحب أن يكون له ثاب (٢) وقال أبو موسى الأشعري زلت سورة نحو براءة ثم رقت وحفظ منها إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ولو أن لابن آدم واديين من مال لبتى وادي ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب (٣). وقال صلى الله عليه وسلم «مؤمنان لا يشبعان منهن العلم ومنهن المال» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان الأمل وحب المال أو كما قال (٥) ولما كانت هذه جيلة للآدم مضلة وغريرة مهلكة أثنى الله تعالى ورسوله على القناعة فقال صلى الله عليه وسلم «طوب لمن هدى للإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع به (٦) وقال صلى الله عليه وسلم «ممن أحد فقير ولا غنى إلا ود يوم القيامة أنه كان أوفى قوتاً في الدنيا (٧) وقال صلى الله عليه وسلم «ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس (٨) ونهى عن شدة الحرص والبالغة في الطلب فقال «ألا أيها الناس أجمعوا في الطلب فانه ليس لعبد إلا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راحة» (٩)

(١) حديث لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا يبتغي لهما ثالثاً الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس وأنس (٢) حديث أبي واقد الليثي إن الله عز وجل يقول: إنا أنزلنا المال لإتمام الصلاة وإيتاء الزكاة - الحديث أحمد والبيهقي في الشعب. بسند صحيح (٣) حديث أبي موسى زلت سورة نحو براءة ثم رقت وحفظ منها إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم لو أن لابن آدم واديين من مال الحديث مسلم مع اختلاف دون قوله إن الله يؤيد هذا الدين ورواه بهذه الزيادة الطبراني وفيه على بن زيد متكلم فيه (٤) حديث منهومان لا يشبعان الحديث الطبراني من حديث بن مسعود بسند ضعيف (٥) حديث يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان الحديث متفق عليه من حديث أنس (٦) حديث طوبى لمن هدى للإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع به الترمذي وصححه والنسائي في الكبرى من حديث فضالة بن عبيد ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو قد أفلق من أسلم وورق كفافاً وقنع الله بما آتاه (٧) حديث مادن أحد غنى ولا فقير إلا ود يوم القيامة أنه كان أوفى في الدنيا قوتاً ابن ماجه من رواية تميم بن الحارث عن أنس وتضعيف ضعيف (٨) حديث ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس متفق عليه من حديث أبي هريرة (٩) حديث ألا أيها الناس أجمعوا في الطلب فانه ليس لعبد إلا ما كتب له الحاكم من حديث جابر بنحوه وصححه إسناده وقد تقدم في آداب الكسب والعاش.

والعقل الذين دخلوا في الصلاة بما فإذا خرجوا من الصلاة رجسوا إلى حاكم من حضور القلب فكأنهم أبداً في الصلاة فهذا هو أدب الصلاة وقيل كان بعضهم لا يبتغي له حفظ العدد من كمال استخراجه وكان يجلس واحداً من أصحابه يمدد عليه كم ركة صلى . وقيل : للصلاة أربع شعب حضور القلب في المحراب وشهود العقل عند الملك الوهاب وخشوع القلب بلا ارتياب وخشوع الأركان بلا ارتياب لأن عند حضور القلب رفع الحجاب وعند شهود العقل رفع العتاب وعند حضور النفس فتح الأبواب وعند خضوع

وروى أن موسى عليه السلام سأل ربه تعالى فقال أيّ عبادك أغني؟ قال أنعمهم بما أعطيتهم قل فأنهم أعدل؟ قل من أنصف من نفسه. وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن روح القدس نفث في روعي إن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب» (١) وقال أبو هريرة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا أبا هريرة إذا اشتد بك الجوع فليكن رغيف وكوز من ماء وعلى الدنيا الدمار» وقال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كن ورعا تكن أعبد الناس وكن قنعا تكن أشكر الناس وأحب للناس ما حبب لنفسك تكن مؤمنا» (٢) ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطمع فبأرواه أبو أيوب الأنصاري «أن أغريبا أتى النبي صلى الله عليه وسلم قل يارسول الله عظمي وأوجز فقال: إذا صليت فصل صلاة مودع ولا تحدثن بحديث تعتذر منه غدا وأجمع اليأس مما في أيدي الناس» (٣) وقال عوف بن مالك الأشجعي «كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال: ألا تبايئون رسول الله قلنا أو ليس قد بايعناك يارسول الله ثم قال ألا تبايئون رسول الله فبسطنا أيدينا فبايعناه فقال قائل منا قد بايعناك فلي ماذا نبايعك؟ قال أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وتصلوا الخش وأن تسمعوا ونطيعوا وأسر كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيئا» (٤) قال فلقد كان بعض أولئك الذين يسقط سوطه فلا يسأل أحدا أن يواوله إياه. الآثار: قال عمر رضى الله عنه: إن الطمع قور وإن اليأس غنى وإنه من يأس مما في أيدي الناس استغنى عنهم. وقيل لبعض الحكماء: ما الغنى؟ قال قلة تنيك ورضاك بما يكفيك وفي ذلك قيل:

العيش ساعات تمرّ وخطوب أيام تتكرّر
أقع ببيشك ترضه وأترك هواك تعيش حرّ
فلسرب حنف ساقه ذهب وياقوت ودرّ

وكان محمد بن واسع يعلّ الحزن اليأس بالماء ويأكله ويقول من قنع بهذا لم يحتج إلى أحد. وقال سفيان: خير دنياكم ما لم تتلوا به وخير ما ابتليتم به ما خرج من أيديكم. وقال ابن مسعود: ما من يوم إلا وملك ينادي يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير بطنيك. وقال سميح بن مجلان: إنما بطنك يا ابن آدم خير في شرب فلم يدخلك النار. وقيل لحكيم ما مالك قال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن والياس مما في أيدي الناس. ويروى أن الله عز وجل قال يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها إلا القوت وإذا أنا أعطيتك منها القوت جعلت حسابا على غيرك فأتاها يحيى بن عيسى. وقال ابن مسعود: إذا طلب أحدكم الحاجة فليطلبها طلبا يسيرا ولا يأت الرجل فيقول إنك وإنك فيقطع ظهره فأعنا يأتيه ما قسم له من الرزق أو مازق. وكتب بعض بني أمية إلى أبي حازم يعزم عليه إلا رفع إليه حوائجه فيكتب إليه قد رقت حوائجي إلى مولاي فما أعطاني منها قبلت

(١) حديث ابن مسعود إن روح القدس نفث في روعي إن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها الحديث ابن أبي الدنيا في القناعة والحكم مع اختلاف وقد تقدم فيه (٢) حديث أبي أيوب (٣) حديث ابن مسعود (٤) حديث عوف بن مالك كان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم مبعة أو ثمانية أو تسعة فقال ألا تبايئون الحديث وفيه ولا تسألوا الناس. مسلم من حديثه ولم يقل فقال قائل ولا قال تسمعوا وقال سوط أحدكم وهي عند أبي داود وابن ماجه كذا كرها للصف

الأركان وجود الثواب
فمن أتى الصلاة بلا
حضور القلب فهو
مصل لاه ومن أتاها
بلا شهود العقل فهو
مصل ساه ومن أتاها
بلا خضوع النفس فهو
مصل خاطئ ومن
أتاها بلا خضوع
الأركان فهو مصل
جاف ومن أتاها كما
وصف فهو مصل واف.
وقد ورد عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
«إذا قام العبد إلى
الصلاة المكتوبة مقبلا
على الله بقلبه وسمعه
وبصره انصرف من
صلاته وقد خرج من
دنوه كيوم ولدته أمه
وإن الله ليغفر بفسل الوجه
خطيئة أسابها وبفسل
يديه خطيئة أصابها
وبفسل رجله خطيئة

وما أمسك عنى قنيت . وقيل لبعض الحكاء : أى شيء أسر للعامل وأبغى على أعون على دفع الحزن ؟ فقال أسرها إليه ما قدم من صالح العمل وأعونها له على دفع الحزن الرضا بمحتوم القضاء . وقد بعض الحكاء : وجدت أطول الناس غما المحسود وأهناهم عيشا القنوع وأصبرهم على الأذى الحريص إذا طمع وأخفهم عيشا أرفضهم للدينا وأعظمهم ندامة العالم للقرط وفى ذلك قيل :
أرفه يبال فى أسمى على قنة إن الذى قسم الأرزاق يرزقه
فالعرض منه مصون لا يدينه والوجه منه جديد ليس يخلقه
إن القناعة من جلال باحتها لم يلق فى دهره شيئا يؤرقه
وقد قيل أيضا :

حتى متى أنا فى حلّ وترحال وطول سعى وإدبار وإقبال
ونازح الدار لا أنشك منترا عن الأجنة لا يدرون ما حالى
بمشرق الأرض طورائهم مغربها لا يخطر للوتمن حرصى على بالى
ولو قنمت أنانى الرزق فى دعة إن القنوع للخي لا كثرة للسالى

وقال جمر رضى الله عنه : ألا أخبركم بما أستعمل من مال الله تعالى حلتان لثانتي وقبضى وما يسنى من الظاهر لحبى وعمرتى وقوتى بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست بأرفضهم ولا بأوسعهم فوالله ما أدرى أىحل ذلك أم لا كأنه شك فى أن هذا القدر هل هو زيادة على الكفاية التى يجب القناعة بها . وعاتب أعرا بى أخاه على الحرس فقال يا أخى أنت طالب ومطلوب ومطلوب يطلبك من لافوته وتطلب أنت ما قد كفيته وكان ما غاب عنك قد كشف لك وما أنت فيه قد قلت عنه كأنك يا أخى لم تر حرصا محروما وزاهدا مرزوقا ، وفى ذلك قيل :

أراك يزيدك الإثراء حرصا على الدنيا كأنك لا تموت
فهل لك غاية إن صرت يوما إليها قلت حسبي قد رضيت

وقال الشعبي حكى أن رجلا صاد قنبرة فقالت ما تريد أن تصنع بى ؟ قال أدعك وأكلك قالت والله ما أشئى من قرم ولا أشبع من جوع ولكن أعلك ثلاث خصال هى خير لك من أكلى ، أما واحدة فأعلك وأنا فى يدك وأما الثانية فإذا صرت على الشجرة وأما الثالثة فإذا صرت على الجبل قالهاات الأولى قالت : لا تلهى عنى ما فاتك فخلاها فلما صارت على الشجرة قالهاات الثانية قالت لا تصدقن مما لا يكون أنه يكون ثم طارت فصارت على الجبل فقالت يا شقيى لو ذهبتى لأخرجت من حوصاتى درتين زنة كل درة عشرون مثقالا قال ففض على شفته وتلف وقالهاات الثالثة قالت أنت قد نسيت اثنتين فكيف أخبرك بالثالثة ألم أقل لك لا تلهى عنى ما فاتك ولا تصدقن بما لا يكون أنا لحى ودعى ورشى لا يكون عشريين مثقالا فكيف يكون فى حوصاتى درتان كل واحدة عشرون مثقالا ثم طارت فذهبت وهذا مثال لقرط طمع الأدنى فانه يبعيه عن درك الحق حتى يسدر مالا يكون أنه يكون . وقال ابن السكك : إن الرجاء جبل فى قلبك وقيد فى رجلك فأخرج الرجاء من قلبك يخرج القيد من رجلك . وقال أبو محمد البزيدى : دخلت على الرشيد فوجدته ينظر فى ورقة مكتوب فيها بالذهب فلما رأى تبسم فقلت فائدة أصلح الله أمير المؤمنين قال نعم وجدت هذين البيتين فى بعض خزائن بنى أمية فاستحسنتهما وقد أضفت إليهما ثالثا وأنشدنى :

إذا حدّ باب عنك من دون حاجة فدعه لأخرى يفتح لك بابها
فإن قراب البطن يكفيك ملؤه وكيفيك سوائت الأمور اجتنابها

أصابها حتى يدخل فى
صلاته وليس عليه
وزره وذكر السرة
عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم
فقال أى السرة أتبع
فقالوا الله ورسوله أعلم
فقال إن أتبع السرة
أن يسرق الرجل من
صلاته قالوا كيف يسرق
الرجل من صلاته ؟
قال لا يتم ركوعها ولا
سجودها ولا خشوعها
ولا القراءة فيها .
وروى عن أنى عمرو بن
العلاء أنه قدّم للإمامة
فقال لا أصلح فلما ألقوا
عليه كبر فضى عليه
قدّموا الإماما آخر فلما
أفاق سئل فقال لما
قلت استووا هتف بى
هاتف هل استويت
أنت مع الله فقد . وقال
عليه السلام «إن البعد

ولاتك مبذلا لحرصك واجتنب ركوب المعاصي يجتنب عقابها

وقال عبد الله بن سلام لكعب ما يذهب العلوم من قلوب العلماء بعد إذ وعوها ونوعها قالوا لعلم الطمع وشبه النفس وطلب الحوائج . وقال رجل للفضيل فسرتي قول لكعب قال يطمع الرجل في الشيء يطلبه يذهب عليه دينه وأما الشبهة فشبه النفس في هذا وفي هذا حق لا تحب أن يفوتها شيء ويكون لك إلى هذا حاجة وإلى هذا حاجة فإذا قضاها لك خرم أنفك وقادك حيث شاء واستمكن منك وخضعت له فمن حبك للدين سلت عليه إذا مرت به وعدته إذا مرض لم تسلم عليه له عز وجل ولم تعد له فلو لم يكن لك إليه حاجة كان خيرا لك ثم قال هذا خير لك من مائة حديث عن فلان عن فلان . قال بعض الحكماء : من عجيب أمر الإنسان أنه لو نودي بدوام البقاء في أيام الدنيا لم يكن في قوى خلقه من الحرص على الجع أكثر مما قد استعمله مع قصر مدة القنع وتوقع الزوال . وقال عبد الواحد بن زيد : مررت براهب قتلته من أين تأكل ؟ قال من يدير اللطيف الخبير الذي خلق الرجا بأنيتها بالطمعين وأومأ بيده إلى رجا أضراسه فسبحان القدير الخبير .

(بيان علاج الحرص والطمع والدواء الذي يكتب به صفة القناعة)

اعلم أن هذا الدواء مركب من ثلاثة أركان : الصبر والعلم والعمل ومجموع ذلك خمسة أمور : الأول وهو العمل ، الاقتصاد في العيشة والرفق في الاتفاق فمن أراد عز القناعة فينبغي أن يسد عن نفسه أبواب الخروج ما أمكنه ويرد نفسه إلى ما لا بد له منه فمن كثر خرجه واتسع إنفاقه لم تمكنه القناعة بل إن كان وحده فينبغي أن يقنع بثوب واحد خشن ويقنع بأى طعام كان ويقتل من الإدام ما أمكنه ويوطن نفسه عليه وإن كان له عيال فيرد كل واحد إلى هذا القدر فإن هذا القدر يتيسر بأدنى جهد ويمكن معه الاجمال في الطلب والاقتصاد في العيشة وهو الأصل في القناعة ونعني به الرفق في الاتفاق وترك الحرق فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب الرفق في الأمر كله »^(١) وقال صلى الله عليه وسلم « ما عاقل من اقتصد »^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاث منجيات : خشية الله في السر والعلانية والقصد في النفي والفقر والععدل في الرضا والغضب »^(٣) وروى أن رجلا أبصر أبا الدرداء يلتقط حبا من الأرض وهو يقول : إن من تفهك رفقا في معيشتك وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم « الاقتصاد وحسن السمع والهدى الصالح جزء من بضع وعشرين جزءا من النبوة »^(٤) وفي الخبر « التذير نصف العيشة »^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم « من اقتصد أغناه الله ومن بذر أقدره الله ومن ذكر الله عز وجل

(١) حديث إن الله يحب الرفق في الأمر كله متفق عليه من حديث عائشة وقد تقدم (٢) حديث ما عاقل من اقتصد أحمد والطبراني من حديث ابن مسعود ورواه من حديث ابن عباس بلفظ مقتصد (٣) حديث ثلاث منجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في النفي والفقر والععدل في الضيق البزار والطبراني وأبو نعيم والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند ضعيف (٤) حديث ابن عباس الاقتصاد وحسن السمع والهدى الصالح جزء من بضع وعشرين جزءا من النبوة أبو داود من حديث ابن عباس مع تقديم وتأخير وقال السمع الصالح وقال من خمسة وعشرين ورواه الترمذي وحسنه من حديث عبد الله بن سرجس وقال التؤدة بدل الهدى الصالح وقال من أربعة (٥) حديث التذير نصف العيشة رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس وفيه خلاد بن عيسى جرحه العقيلي وثقه ابن معين

إذا أحسن الموضوع
وصلى الصلاة لوقتها
وحافظ على ركوعها
وسجودها ومواقبتها
قالت حفظك الله كما
حفظتني ثم صمدت لها
نور حق تنتهي إلى
السماء وحتى تصل إلى
الله فتشفع لصاحبها
وإذا أضاءها قالت
ضيمك الله كما ضيقتني
ثم صمدت لها ظلة
حتى تنتهي إلى أبواب
السماء فتغلق دونهما ثم
تلف كما يلف الثوب
الخلق فيضرب بها
وجه صاحبها « وقال
أبوسليمان الداراني إذا
وقف العبد في الصلاة
يقول الله تعالى ارفعوا
الحجب فإني بيني وبين
عبدي فإذا التفت
يقول الله أرخواها فما
بينى وبينه وخلوا

أحب الله ^(١) وقال صلى الله عليه وسلم «إذا أردت أمرا ضلك بالتؤدة حتى يجعل الله لك فرجا ومخرجا» ^(٢) والتؤدة في الانفاق من أُمم الأمور. الثاني أنه إذا تيسر له في الحال ما يكتسبه فلا ينبغي أن يكون شديد الاضطراب لأجل المستقبل وبينه على ذلك قصر الأمل والتحقق بأن الرزق الذي قدره لا بد وأن يأتيه وإن لم يشتد حرصه فازدأته الحرص ليست هي السبيل لوصول الأرزاق بل ينبغي أن يكون واتقا. وبعد الله تعالى إذا قال عز وجل - وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها وفلك لأن الشيطان يصد الفقر ويأمره بالتمسك. ويقول إن لم تحرص على الجمع والادخار فربما تمسر وربما تمجن وتحتاج إلى احتال الذل في السؤال فلا يزال طول العمر يتعب في الطلب خوفا من التبع وضحك عليه في احتاله التبع قدما مع الفتنة عن الله لتوهم تبع في ثاني الحال وربما لا يكون. وفي مثله قيل: ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فإلى فصل الفقر

وقد دخل ابننا خالد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لحما «لا يتأسا من الرزق ما تهزرت رؤوسكما فإن الانسان قلبه أمة أحمر ليس عليه قشر ثم يرزقه الله تعالى ^(٣)» ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن مسعود وهو حزين فقال له «لا تسكر هلك ما قدر يكن وما تزوق بأنك ^(٤)» وقال صلى الله عليه وسلم «الأناس أجلاؤا في الطلب فانه ليس لبيد إلا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راحة» ^(٥) ولا يترك الانسان عن الحرص إلا بعين فتنه بتدبير الله تعالى في تقدير أرزاق العباد وأن ذلك يحصل لأعماله مع الاجمال في الطلب بل ينبغي أن يعلم أن رزق الله للبدن من حيث لا يحتسب أكثر قال الله تعالى - ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب - فإذا انسد عليه باب كان ينتظر الرزق منه فلا ينبغي أن يضطرب قلبه لأجله. وقال صلى الله عليه وسلم «أبى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب» ^(٦) وقال سفيان أتق الله فما رأيت قريبا محتاجا أبى إلا تتركه حتى «قدما لم ضرورت» بل باقي الله في قلوب السالكين أن يوصلوا إليه رزقه، وقال للفضل الضبي قلت لأعرابي من أين معاشك قال نذر الحاج قلت فإذا صدر وابسك وقال لولم نبش إلا من حيث ندرى لم نبش. وقال أبو حازم رضى الله عنه وجدت الديناريين شيئا منهما هو لى فلن أحمله قبل وقته ولو طلبته بقوة السموات والأرض وشيئا منهما هو لغيري فلذلك لم أمله فيها مضى فلا أرجوه فبقا بقى يمنع الذي لغيري منى كما يمنع الذي لى من غيري فبقى أى هذين أفنى عمري فهذا دواء من جهة المعرفة لا بد منه لدفع تخويف الشيطان وإنذاره بالفقر. الثالث أن يعرف ما في القاعة من عز الاستغناء وما في الحرص والطمع من الذل فإذا تحقق عند ذلك أتممت رغبته إلى القناعة لأنه

(١) حديث من اقتصد أغناه الله الحديث البار من حديث طلحة بن عبيد الله دون قوله ومن ذكر الله أحب الله وشيخه فيه عمران بن هارون البصري قال الذهبي شيخ لا يعرف حاله آتى بخبر منكرونى هذا الحديث ولأحمد وأبى يعلى في حديث لأبى سعيد ومن أكثر من ذكر الله أحب الله. (٢) حديث إذا أردت أمرا ضلك بالتؤدة حتى يجعل الله لك فرجا ومخرجا رواه ابن المبارك في البر والصلة وقد تقدم (٣) حديث لا يتأسا من الرزق ما تهزرت رؤوسكما الحديث ابن ماجه من حديث حبة وسواء ابن خالد. وقد تقدم (٤) حديث لا تسكر هلك ما قدر يكن وما تزوق بأنك لا ابن مسعود أبو نعيم من حديث خالد بن رافع وقد اختلف في صحته ورواه الأصفهاني في الترغيب والترهيب من رواية مالك بن عمرو المافرى مرسل (٥) حديث الأناس أجلاؤا في الطلب الحديث قد قيل هذا بثلاثة عشر حديثا (٦) حديث أبى الله أن يرزق عبده «ؤمن إلا من حيث لا يحتسب» ابن حبان في الضعفاء من حديث على إسناده واه ورواه ابن الجوزى في اللوزعات.

عبدى وما اختار نفسه. وقال أبو بكر الوراق ربما أصلى ركعتين فأنصرف منها وأنا أستحي من الله حياء رجل أنصرف من الزنا قوله هذا لعظم الأدب عنده ومعرفة كل إنسان بأبد الصلاة على قدر حظه من القرب. وقيل لموسى بن جعفر إن الناس أقصدوا عليك الصلاة بمحرم بين يديك قال إن الذى أصلى له أقرب إلى من الذى يمشى بين يدي وقيل كان زين العابدين على بن الحسين رضى الله عنهما إذا أراد أن يخرج إلى الصلاة لا يعرف من تغربونه فيقال له في ذلك فيقول أتدرون بين يدي

في الحرص لا يخلو من تعب وفي الطمع لا يخلو من ذل وليس في القناعة إلا ألم الصبر عن الشهوات والفضول وهذا ألم لا يطعم عليه أحد إلا الله وفيه ثواب الآخرة وذلك مما يضاف إليه نظر الناس وفيه الوبال ولئلا تم بغيره عز النفس والقدرة على متاجرة الحق فإن من كثر طمعه وحرصه كثرت حاجته إلى الناس فلا يمكنه دعوتهم إلى الحق ويلزمه الداهية وذلك بهلك دينه ومن لا يؤثر عز النفس على شهوة البطن فهو ركيك العقل ناقص الإيمان قال صلى الله عليه وسلم « عز المؤمن استغناؤه عن الناس ^(١) » في القناعة الحريّة والعز ، ولذلك قيل استغن عن شئت تكن نظيره واحتج إلى من عقت تكن أسريره وأحسن إلى من شئت تكن أسريره . الرابع أن كثرت أمله في تنم اليهود والنصارى وأراذل الناس والحقى من الأكراد والأعراب الأجلاف ومن لادين لهم ولا عقل لم ينظر إلى أحوال الأنبياء والأولياء وإلى صحت الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة والتابعين ويستمتع أحاديثهم ويطالع أحوالهم ويغير عقده بين أن يكون على مشابة أراذل الناس أو على الاقتداء بمن هو أعز أصناف الحق عند الله حتى يهون عليه بذلك الصبر على الشك والقناعة باليسير فإنه إن تنم في البطن فالخمار أكثر أكلا منه وإن تنم في الواقع فالخزير أطع رتبة منه وإن تزين في اللبس والحيل في اليهود من هو أطل رتبة منه وإن قنع بالقليل ورعى به لم يساهم في رتبته إلا الأنبياء والأولياء . الخامس أن يفهم ما في جمع المال من الخطر كما ذكرنا في آفات المال وما فيه من خوف السرفقة والنهب والضياع وما في خلو اليد من الأمن والفرار وتبائل ما ذكرناه في آفات المال مع ما فيه من المدافعة عن باب الجنة إلى خمسين سنة عام فإنه إذا لم يتنع عما يملكه ألحق بزمرة الأغنياء وأخرج من جريدة الفقراء ويتم ذلك بأن ينظر أبدا إلى من دونه في الدنيا لا إلى من فوقه فإن الشيطان أبدا يصرف نظره في الدنيا إلى من دونه فيقول ولم تضيق على الأموال يتعمون في اللطاعم ولللابس يصرف نظره في الدين إلى من دونه فيقول ولم تضيق على نفسك وتخاف الله وفلان أعلم منك وهو لا يخاف الله والناس كلهم مشغولون بالتمتع فلم يرد أن تتميز عنهم . قال أبو ذر أوصاني خليلي صلوات الله عليه أن أنظر إلى من هو دوني لا إلى من هو فوق ^(٢) أي في الدنيا . وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا نظر أحدكم إلى من فضله الله عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل الله ^(٣) » فهذه الأمور بقدر على اكتساب خلق القناعة وعماد الأمر الصبر وقصر الأمل وأن يعلم أن غاية صبره في الدنيا أيام قلائل لتتعمد دهرها طويلا فيكون كالمرضى الذي يصبر على مرارة الدواء لشدة طمعه في انتظار الشفاء .

(بيان فضيلة السخاء)

اعلم أن المال إن كان مفقودا فينبغي أن يكون حال العبد القناعة وقلة الحرص وإن كان موجودا فينبغي أن يكون حاله الإيثار والسخاء واصطناع المعروف والتباعد عن الشح والبخل فإن السخاء من أخلاق الأنبياء عليهم السلام وهو أصل من أصول النجاة ، وعنه عبر النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال « السخاء شجرة من شجر الجنة أغصانها متدلية إلى الأرض فمن أخذ بهن منهن أقامه ذلك

(١) حديث عز المؤمن استغناؤه عن الناس الطبراني في الأوسط والحاكم وصححه إسناده وأبو الشيخ في كتاب الثواب وأبو نعم في الحلية من حديث سهل بن سعد أن جبريل قاله للنبي صلى الله عليه وسلم في أثناء حديث وفيه زفر بن ساهان عن محمد بن عيينة وكلاهما يختلف فيه وجهه القضاء في مسند الشهاب من قول النبي صلى الله عليه وسلم (٢) حديث أبي ذر أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم أن أنظر إلى من هو دوني ولا أنظر لمن هو فوق أحمد وابن جبان في أثناء حديث وقد تقدم (٣) حديث أبي هريرة إذا نظر أحدكم إلى من فضله الله عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل الله عليه متفق عليه وقد تقدم

من أريد أن أنصف .
وروى عمار بن ياسر
عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم أنه قال
« لا يكتب للعبد من
صلاته إلا ما يقبل » وقد
ورد في لفظ آخر
« منكم من يصلي
الصلاة كاملة ومنكم
من يصلي النصف
والثالث والرابع والخمس
حتى يبلغ الشر » قال
الحواص بنعي للرجل
أن يسوي نوافله
لنصفان فراضه فإن
لم ينوها لم يحسب له
منها شيء . بلنا أن الله
لا يقبل نافلة حق
تؤدي فريضة يقول
الله تعالى : مثلكم كمثل
العبد السوء بدأ
بالهدية قبل قضاء
الدين ، وقال أيضا
انقطع الخلق عن الله

التصن إلى الجنة (١) » وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال جبريل عليه السلام قال الله تعالى إن هذا دين ارتضيته لنفسى ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق فأكرموا بها ما استغنمتم (٢) » وفي رواية « فأكرموا بها ما محبتهم » وعن عائشة الصديقة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما جبل الله تعالى وليا له إلا على حسن الخلق والسخاء (٣) » وعن جابر قال « قيل يا رسول الله أى الأعمال أفضل ؟ قال الصبر والسجدة (٤) » وقال عبد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خلقان يحبهما الله عز وجل وخلقان يفضهما الله عز وجل فأما اللذان يحبهما الله تعالى حسن الخلق والسخاء وأما اللذان يفضهما الله فسوء الخلق والبخل وإذا أراد الله بعبده خيرا استعمله في قضاء حوائج الناس (٥) » وروى للقدام بن شريح عن أبيه عن جده قال « قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال إن من موجبات النفرة بذل الطعام وإفشاء السلام وحسن الكلام (٦) » وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « السخاء شجرة في الجنة فمن كان سنيا أخذ بضمن منها فلم يتركه ذلك النصن حتى يدخله الجنة والشح شجرة في النار فمن كان شحيجا أخذ بضمن من أغصانها فلم يتركه ذلك النصن حتى يدخله النار (٧) » وقال أبو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادي تعيشوا في أكنافهم فاني جعلت فيهم رحمتي ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فاني جعلت فيهم سخطي (٨) »

(١) حديث السخاء شجرة في الجنة الحديث ابن حبان في الضعفاء من حديث عائشة وابن عدى والدارقطني في المستجاد من حديث أبي هريرة وسبأ بن جهم وأبو نعيم من حديث جابر وكلامه ضعيف ورواه ابن الجوزي في الموضوعات من حديثهم ومن حديث الحسين وأبي سعيد (٢) حديث جابر مرفوعا حكاية عن جبريل عن الله تعالى إن هذا دين رضىته لنفسى ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق الدارقطني في المستجاد وقد تقدم (٣) حديث عائشة ما جعل الله وليا له إلا على السخاء وحسن الخلق الدارقطني في المستجاد دون قوله وحسن الخلق بسند ضعيف ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات وذكره بهذه الزيادة ابن عدى من رواية بنية عن يوسف بن أبي السفر عن الأوزاعي عن الزهري عن عروة عن عائشة ويوسف ضعيف جدا (٤) حديث جابر أى الإيمان أفضل قال الصبر والسجدة أبو يعلى وابن حبان في الضعفاء بلفظ سئل عن الإيمان وفيه يوسف بن محمد بن التسكر ضعفه الجمهور ورواه أحمد من حديث عائشة وعمر بن عتبة بلفظ ما الإيمان قال الصبر والسجدة وفيه شهر بن حوشب ورواه البيهقي في الزهد بلفظ أى الأعمال أفضل قال الصبر والسجدة وحسن الخلق وإسناده صحيح (٥) حديث عبد الله بن عمرو خاتمان يحبهما الله وخلقان يفضهما الله فأما اللذان يحبهما الله حسن الخلق والسخاء الحديث أبو منصور الديلمي دون قول في آخره وإذا أراد الله بعبده خيرا وقال فيه الشجاعة بدل حسن الخلق وفيه محمد بن يونس الكديمي كذب أبو داود وموسى ابن هارون وغيرهما ووثقه الخطيب وروى الأسفهانى جميع الحديث موقوفا على عبد الله بن عمرو وروى الديلمي أيضا من حديث أنس إذا أراد الله بعبده خيرا صبر حوائج الناس إليه وفيه يحيى بن شبيب ضعفه ابن حبان (٦) حديث القدام بن شريح عن أبيه عن جده إن من موجبات النفرة بذل الطعام وإفشاء السلام وحسن الكلام الطبراني بلفظ بذل السلام وحسن الكلام وفي رواية يوجب الجنة الطعام وإفشاء السلام وفي رواية له عليك بحسن الكلام وبذل الطعام (٧) حديث أبي هريرة السخاء شجرة في الجنة الحديث وفيه والشح شجرة في النار الحديث الدارقطني في المستجاد وفيه عبد العزيز بن عمر ابن الزهري ضعيف جدا (٨) حديث أبي سعيد يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادي تعيشوا في أكنافهم الحديث ابن حبان في الضعفاء والخرائطي في مكارم الأخلاق والطبراني

تعالى بمحبتين
إحداهما أنهم طلبوا
الوافل وضيقوا
الفرائض والثانية
أنهم عملوا أعمالا
بالظواهر ولم يأخذوا
أنفسهم بالصدق فيها
والصح لما ولى الله
تعالى أن يقبل من عامل
عملا إلا بالصدق وإصابة
الحق وفتح العين في
الصلاة أولى من
ضمين العين إلا أن
يتشقت همه بتفريق
النظر فيضمين العين
للاستعانة على الحشوع
وإن تشاء في الصلاة
يضم شفثه بقدر
الامكان ولا يلزق ذقه
بصدره ولا يزاحم في
الصلاة غيره قيل ذهب
للمزحوم صلاة الزاحم
وقيل من ترك الصف
الأول مخافة أن يضيق

ومن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تجافوا عن ذنب السخي فإن الله أخذ بيده كما عثر^(١)» وقال ابن مسعود قال صلى الله عليه وسلم «الرزق إلى مطعم الطعام أسرع من السكين إلى ذروة البير وإن الله تعالى ليأمر بمطعم الطعام للانسكة عليهم السلام^(٢)» وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله جواد يحب الجود ويحب مكارم الأخلاق ويكره سفاسفها^(٣)» وقال أنس «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسأل على الإسلام شيئا إلا أعطاه وأما رجل فسأله فأمره ببناء كثير بين جبلين من شاء الصدقة فرجع إلى قومه فقال يقوم أسلموا فإن محمدا يسطي عطاء من لا خاف الفتاة^(٤)» وقال ابن عمر قال صلى الله عليه وسلم «إن لله عبدا يختصم بالنعم للمنافع البادئين غل بتلك النافع على البعاد قلها الله تعالى عنه وحوّلها إلى غيره^(٥)» وعن الهلالى قال «أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسرى من بنى النضير فأمر بقتلهم وأفرد منهم رجلا فقال طي بن أبي طالب كرم الله وجهه يا رسول الله الرب واحد والدين واحد والذهب واحد فإبالي هذا من بينهم ؟ قال صلى الله عليه وسلم نزل على جبريل فقال اقتل هؤلاء وأترك هذا قال الله تعالى شكره سخاء فيه^(٦)» وقال صلى الله عليه وسلم «إن لكل شيء ثمرة وثمرته للعرف تجميل السراح^(٧)» وعن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «طعام الجواد دواء وطعام البخل داء^(٨)» وقال صلى الله عليه وسلم

في الأوسط وفيه محمد بن مروان السدي الضعيف ورواه القليل في الشفاء لحله عبد الرحمن السدي وقال إنه مجهول وتابع محمد بن مروان السدي عليه عبد الملك بن الخطاب وقد غرزه ابن القطان وتابعه عليه عبد الغفار بن الحسن بن دينار قال فيه أبو حاتم لا بأس بعديته وتكاسم فيه الجوزجاني والأزدي ورواه الحاكم من حديث طي وقال إنه صحيح الاستناد وليس كاقبال^(١) حديث ابن عباس تجافوا عن ذنب السخي فإن الله أخذ بيده كما عثر الطبراني في الأوسط والخراطي في مكارم الأخلاق . قال الخراطي أتوا السخي زلته وفيه لبيث بن أبي سلمة يختلف فيه ورواه الطبراني فيه وأبو نعيم من حديث ابن مسعود نحوه بإسناد ضعيف ورواه ابن الجوزي في اللوضعات من طريق الدار قطنى^(٢) حديث ابن مسعود ورواه ابن ماجه من حديث أنس ومن حديث ابن عباس بلفظ الخير أسرع إلى البيت الذي ينشئ وفي حديث ابن عباس يؤكل فيه من الشفرة إلى سنم البير ولأبي الشيخ في كتاب الثواب من حديث جابر الرزق إلى أهل البيت الذي فيه السخاء الحديث وكلها ضعيفة^(٣) حديث إن الله جواد يحب الجود ويحب معالي الأمور ويكره سفاسفها الخراطي في مكارم الأخلاق من حديث طلحة بن عبيد الله بن كريب وهذا مرسل ولا طبراني في الكبير والأوسط والحاكم والبهي من حديث سهل بن سعد إن الله كريم يحب الكرم ويحب معالي الأمور وفي الكبير والبيهقي معالي الأخلاق الحديث وإسناده صحيح وتقدم آخر الحديث في أخلاق النبوة^(٤) حديث أنس لم يسأل على الإسلام شيئا إلا أعطاه فأما رجل فسأله فأمره ببناء كثير بين جبلين الحديث مسلم وتقدم في أخلاق النبوة^(٥) حديث ابن عمر إن لله عبدا يختصم بالنعم للمنافع البادئين الحديث الطبراني في الكبير والأوسط وأبو نعيم وفيه محمد بن حسان السقي وفيه لبيث بن معين يرويه عن أبي عثمان عبد الله بن زيد الحمصي ضعفه الأزدي^(٦) حديث الهلالى أتى النبي صلى الله عليه وسلم بأسرى من بنى النضير فأمر بقتلهم وأفرد منهم رجلا الحديث وفيه فان الله شكره سخاء فيه لم أجده أصلا^(٧) حديث إن لكل شيء ثمرة وثمرته للعرف تجميل السراح لم أقف له على أصل^(٨) حديث نافع عن ابن عمر طعام الجواد دواء وطعام البخل داء ابن عدى والدار قطنى في غرائب مالك وأبو على الصدقي في عواليه وقال جاله

على أهله قام في الثاني
أخطأ الله مثل ثواب
الصف الأول من غير
أن ينقص من أجورهم
شيء وقيل إن إبراهيم
الحليل عليه السلام
كان إذا قام إلى الصلاة
يسمع خفقان قلبه
من ميل . وروى
عائشة رضى الله عنها
أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يسمع
من صدره أزيز كأزيز
الرجل حتى كان يسمع
في بعض سكك المدينة.
وسئل الجنيد ما فرصة
الصلاة ؟ قال قطع
العلائق وجمع المم
والخوض بين يدي الله
وقال الحسن ماذا يبر
عليك من أمر دينك
إذا هانت عليك
صلاتك . وقيل وأوصى
الله تعالى إلى بعض

« من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤنة الناس عليه ^(١) » فمن لم يحتمل تلك المؤنة عرض تلك النعمة للزوال . وقال عيسى عليه السلام : استكروا من شيء لا تأكله النار قيل وما هو قال للعروف . وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ « الجنة دار الأسخياء ^(٢) » وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار وإن البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار وجاهل سخى أحب إلى الله من عالم بخيل وأدوأ الداء البخل ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « اصنع للرفوف إلى من هو أهله وإلى من ليس بأهله فإن أصبت أهله فقد أصبت أهلها وإن لم تصب أهله فأنت من أهلها ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام ولكن دخلوها بسخاء الأئسي وسلامة الصدور والنصح للسلين ^(٥) » وقال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل جل للعروف وجوها من خلقه حب إليهم للرفوف وجب إليهم فانه وجه طلاب العروف إليهم ويسر عليهم إعطاءه كما يسر التثب إلى البلدة الجديدة فيحبها ويحب أهلها ^(٦) » وقال ﷺ « كل معروف صدقة وكل ما أنفق الرجل على نفسه وأهله كتب له صدقة وما نوق به الرجل عرضه فهو له صدقة وما أنفق الرجل من نفقة فعل الله خلفا ^(٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « كل معروف صدقة والبال على الخير كفاعله والله يحب إغاثة الأهلان ^(٨) » وقال صلى الله عليه وسلم

ثقات آتة قال ابن النطان وإتهم لمشاير ثقات إلا مقدم بن داود فان أهل مصر تكلموا فيه .
(١) حديث من عظمت نعمة الله عليه عظمت مؤنة الناس عليه ابن عدي وابن حبان في الضعفاء من حديث معاذ بلفظ ما عظمت نعمة الله على عبد إلا ذكره وفيه أحمد بن مرران قال أبو حاتم مجهول والحديث باطل ورواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث عمر بن أسد بن قيس بن حليس ابن محمد أحد التروكين ورواه الثقليني من حديث ابن عباس قال ابن عدي يروي من وجوه كلها غير معروفة (٢) حديث عائشة الجنة دار الأسخياء ابن عدي والدار قطني في الاستجداء والخرائطى قال الدار قطني لا يصح ومن طريقه رواه ابن الجوزي في الموضوعات . وقال الذهبي حديث منسكرو ما أتته سوى جعفر . قلت رواء الدار قطني فيه من طريق آخر وفيه محمد بن الوليد اللقري وهو ضعيف جدا (٣) حديث أبي هريرة إن السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة الحديث الترمذي وقال غريب ولم يذكر فيه وأدوأ الداء البخل ورواه هذه الزيادة الدار قطني فيه (٤) حديث اصنع العروف إلى أهله وإلى من ليس من أهله الدار قطني في الاستجداء من رواية جعفر ابن محمد عن أبيه عن جده مرسل وتقدم في آداب العيشة (٥) حديث إن بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام ولكن دخلوها بسخاء الأئسي الحديث الدار قطني في الاستجداء وأبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث أنس وفيه محمد بن عبد العزيز الباركي الديوري أورد ابن عدي له ما نكير وفي اللزآن إنه ضعيف منسكرو الحديث ورواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أبي سعيد نحوه وفي صالح للرى متكلم فيه (٦) حديث أبي سعيد إن الله جل للعروف وجوها من خلقه حب إليهم للرفوف الحديث الدار قطني في الاستجداء من رواية أبي هريرة عن النبي ﷺ وهو منسكرو الحديث ورواه الحاكم من حديث علي وصححه (٧) حديث كل معروف صدقة وكل ما أنفق الرجل على نفسه وأهله كتب له صدقة الحديث ابن عدي والدار قطني في الاستجداء والخرائطى والبيهقي في الشعب من حديث جابر وفيه عبد الحميد بن الحسن الهلالي وثقه ابن معين ومنه الجوهري والجملة الأولى منه عند البخاري من حديث جابر وعند مسلم من حديث حذيفة (٨) حديث كل معروف صدقة والبال على الخير كفاعله

الأنبياء قال إذا دخلت الصلاة فهبلى من قلبك الخشوع ومن يدرك الخشوع ومن عنيك الدموع فاق قريب . وقال أبو الخير الأنطمر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله أوصني فقال يا أبا الخير عليك بالصلاة فاق استنصت ربي فأوصاني بالصلاة وقال لي إن أقرب ما يكون منك وأنت تصلى . وقال ابن عباس رضي الله عنهما ركعتان في تفكير خير من قيام ليلة . وقيل إن محمد ابن يوسف الرافعي رأى حاتميا الأصم واقفا يسط الناس فقال له يا حاتم أراك تمظ

« كل معروف فله إلى غنى أو فقير صدقة »^(١) وروى أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام لا تغفل السامري فإنه سخي وقال جابر « بث رسول الله صلى الله عليه وسلم بثا عليهم قيس بن سعد ابن عبادة فيهدوا فخر لهم قيس تسع ركائب فحدثوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال صلى الله عليه وسلم إن الجود لمن شعبة أهل ذلك البيت »^(٢) . الآثار : قال علي كرم الله وجهه إذا أقبلت عليه الدنيا فأفق منها فاتها لا تخفي وإذا أدبرت عنك فأفق منها فاتها لا تبق وأشد :

لا تخنن بدنيا وهي مقبلة فليس ينقصها التبذر والرفر
وإن تولت فأحرى أن تجود بها فلقد منها إذا ما أدبرت خلف

وسأل معاوية الحسن بن علي رضي الله عنهما عن اللزومة والتجدة والكرم فقال أما اللزومة فحفظ الرجل دينه وحفزه وشه وحسن قيامه بنفسه وحسن التنازعة والاقدام في الشكرانية . وأما التجدة فالإقبال على الجار والصبر في اللواطن . وأما الكرم فالتيب بالمعروف قبل السؤال والإطعام في المحل والاراقة بالسائل مع بذل التائل . ورفع رجل إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما رقة قال حاجتك مقضية فقيل له يا ابن رسول الله لو نظرت في رقتي ثم رددت الجواب على قدر ذلك قال يسألني الله عز وجل عن ذلك مقامه بين يدي حتى أقرأ رقتي . وقال ابن السكيت عجبت لمن يشتري للمالك بماله ولا يشتري الأحرار بحروفه . وسئل بعض الأعراب من سيدكم فقال من أحسن همتنا وأعطى مائتنا وأغنى عن جاهنا . وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما من وصف يذلل ماله لطلابه لم يكن سخيًا وإنما السخي من يتدنى بحقوق الله تعالى في أهل طاعته ولا تنازعه نفسه إلى حب الشكره إذا كان يتيه شوابه الله تاما . وقيل للحسن البصري ما السخاء ؟ قال أن تجود بمالك في الله عز وجل قبل مال الحزم ؟ قال أن تمنع مالك فيه قبل لما الاسراف ؟ قال الاتفاق لحب الرياسة . وقال جعفر الصادق رحمه الله عليه لا مال إلا عون من العقل ولا مصيبة أعظم من الجهل ولا مظاهره كالماشورة إلا أن الله عز وجل يقول : إن جواد كريم لا يجاورني ثيم والثوم من الكفر وأهل الكفر في النار والجود والكرم من الإيمان وأهل الإيمان في الجنة . وقال حذيفة رضي الله عنه عروب جابر في دينه أخرى في ميثته يدخل الجنة بساخته . وروى أن الأنصف بن قيس رأى رجلا في يده درهم فقال لمن هذا الدرهم فقال لي قال أما إنه ليس لك حتى يخرج من يدك وفي مناه قبل : أنت لمال إذا أمسكته فإذا أنفقت فمال لك

وحسب واصل بن عطاء الغزال لأنه كان يجلس إلى الغزالين فإذا رأى امرأة ضيفاً أعطاها شيئاً . وقال الأصمعي كتب الحسن بن علي إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما يشب عليه في إعطاء الشراء فكسب إليه خير لمال ما وقى به العرض . وقيل لسفيان بن عيينة ما السخاء قال السخاء البر بالإخوان والجود بالمال . قال وورث أبي خنيس ألف درهم فيمت بها صررا إلى إخوانه . وقال قد كنت

والله يحب إقامة الفئان الدار قطني في الاستعانة من رواية الحاج بن أوطاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده والحجاج ضعيف وقد جاء مفرقا فالجلة الأولى تخدمت قبله والجلية الثانية تخدمت في العلم من حديث أنس وغيره والجلية الثالثة رواها أبو يعلى من حديث أنس أيضا وفيها زيادة لغيري ضعيف (١) حديث كل معروف فله إلى غنى أو فقير صدقة الدار قطني فيه من حديث أبي سعيد وجابر والطبراني والحرثي كلاهما في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود وابن منيع من حديث ابن عمر بإسنادين ضعيفين (٢) حديث جابر بث رسول الله صلى الله عليه وسلم بثا عليهم قيس بن سعد ابن عبادة فيهدوا فخر لهم الحديث وفيه قال إن الجود لمن شعبة أهل ذلك البيت الدار قطني فيه من رواية أبي حمزة الحميري عن جابر ولا يعرف اسمه ولا حاله .

أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى لِأَخَوَاتِي الْجَنَّةَ فِي صَلَاتِي أَفَأَعْلَ عَلَيْهِ بِالنَّالِ . وَقَالَ الْحَسَنُ بِذَلِكَ الْمَجْهُودُ فِي بَذْلِ
الْوُجُودِ مَتْنِهِ الْجُودُ . وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْكَ قَالَ مَنْ كَثُرَتْ أَيَادِيهِ عِنْدِي
قِيلَ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَالَ مَنْ كَثُرَتْ أَيَادِيهِ عَنْهُ . وَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ إِذَا الرَّجُلُ أَمْسَكَ مِنْ
نَفْسِهِ حَتَّى أَضْحَى مَعْرُوفٍ عِنْدَهُ فَيَدِي عِنْدِي مِثْلُ يَدِي عَنْهُ وَقَالَ الْهَدْيُ لَشَيْبِ بْنِ شَبَةَ كَيْفَ
رَأَيْتَ النَّاسَ فِي دَارِي قُلْ يَا أُمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ الرَّجُلُ مِنْهُمْ لِيَدْخُلَ رَجُلًا وَيُخْرِجَ رَجُلًا وَيَمُتَلَّ
مِثْلَهُ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ فَقَالَ :

إِنَّ الصَّنِيعَةَ لَا تَصُكُّونَ صَنِيعَةً حَتَّى يَصَابَ بِهَا طَرِيقُ لِلصَّنْعِ
فَإِذَا اصْطَلَحَتْ صَنِيعَةً فَاعْمَدَ بِهَا اللَّهُ أَوْ لَدَوِي الْقِرَابَةَ أَوْدَعُ

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ إِنْ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لِيُخْلِلَنَّ النَّاسَ وَلَكِنْ أَمْطَرَ الْمَرْءُ مَطَرًا فَإِنْ أَصَابَ
السَّكَامَ كَانُوا لَهُ أَهْلًا وَإِنْ أَصَابَ اللَّثَامَ كُنْتَ لَهُ أَهْلًا .

(حكايات الأسخياء)

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُسْكَدِ عَنْ أُمِّ دُرَّةٍ وَكَانَتْ تَخْدُمُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ إِنْ مَعَاوِيَةَ بَشَّ إِلَيَّ
بِمَالٍ فِي غَرَارَتَيْنِ ثَمَانِينَ وَمِائَةَ أَلْفٍ دَرَاهِمٍ فَدَعْتُ بِطَبِيقٍ فَجَعَلَتْ تَقْسِمُهُ بَيْنَ النَّاسِ فَلَمَّا أَمْسَتْ قُلْتُ
بِإِجَارَةٍ هَلُمِّي فَطُورِي فَجَاءَتْهَا بِخَبْزٍ وَزَيْتٍ فَقَالَتْ لَهَا أُمُّ دُرَّةٍ مَا اسْتَطَعْتُ فَمَا قَسَمْتُ الْيَوْمَ أَنْ تَشْتَرِيَ
لَا بِدَرَاهِمٍ لِحَا نَسْطَرَّ عَلَيْهِ فَقَالَتْ لَوْ كُنْتُ ذَكَرْتَنِي لَمَلَعْتُ . وَعَنْ أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ قَالَ أَرَادَ رَجُلٌ
أَنْ يُضَارَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ فَأَتَى وَجْهَهُ قَرِيشٌ فَقَالَ يَقُولُ لَكُمْ عَبْدُ اللَّهِ تَعْدُوا عِنْدِي الْيَوْمَ فَأَتَوْهُ
حَتَّى مَلَأُوا عَلَيْهِ الدَّارَ فَقَالَ مَا هَذَا فَأَخْبَرَ الْحَبْرَ فَأَمَرَ عَبْدُ اللَّهِ بِشَرَاءِ فَاكِهِ وَأَمَرَ قَوْمًا فَطَبَخُوا
وَحَبَّرُوا وَقَدَّمَتْ الْفَاكِهَةَ إِلَيْهِمْ فَلَمْ يَفْرُغُوا مِنْهَا حَتَّى وَضَعَتْ الْوَالِدَةُ فَأَكَلُوا حَتَّى صَدَرُوا فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ
لَوْ كُنَّا نَحْنُ أَوْ وَجُودُنَا هَذَا كُلُّ يَوْمٍ قَالُوا نَعَمْ قَالَ فَلْيَنْتَهِ عِنْدَنَا هَؤُلَاءِ فِي كُلِّ يَوْمٍ . وَقَالَ مَعْصُومُ بْنُ
الزَّيْرِ حُجَّ مَعَاوِيَةَ فَلَمَّا انْصَرَفَ مِنَ الْمَدِينَةِ فَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ لِأَخِيهِ الْحَسَنِ لَاتْلُقْهُ وَلَا تَسْلَمْ عَلَيْهِ
فَلَمَّا خَرَجَ مَعَاوِيَةَ قَالَ الْحَسَنُ إِنْ عَلَيْنَا دِينًا فَلَا بَدَ لَنَا مِنْ إِيْتَانِهِ فَرَكِبَ فِي أَمْرِهِ وَلَحِقَهُ فَلَمَّ عَلَيْهِ
وَأَخْبَرَهُ بِدِينِهِ فَمَرُّوا عَلَيْهِ يَخْنُقُونَ عَلَيْهِ ثَمَانُونَ أَلْفَ دِينَارٍ وَقَدْ أَعْيَا وَتَخَلَّفَ عَنِ الْإِبِلِ وَقَوْمُ يَسُوقُونَهُ
فَقَالَ مَعَاوِيَةُ مَا هَذَا فَذَكَرَ لَهُ فَقَالَ أَصْرَفُوهُ بِمَا عَلَيْهِ إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ . وَعَنْ وَاقِدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْوَاقِدِيِّ قَالَ
حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّهُ رَفَعَ رَقْعَةً إِلَى الْمَأْمُونِ يَذْكُرُ فِيهَا كَثْرَةَ الدِّينِ وَقِلَّةَ صَبْرِهِ عَلَيْهِ فَوْقَ الْأَمُونِ عَلَى ظَهْرِ
رَقْعَتِهِ إِنَّكَ رَجُلٌ اجْتَمَعَ فِيكَ خَصْلَتَانِ السَّخَاءُ وَالْحَيَاءُ فَأَمَّا السَّخَاءُ فَهُوَ الَّذِي أَطْلَقَ مَا فِي يَدَيْكَ
وَأَمَّا الْحَيَاءُ فَهُوَ الَّذِي يَمْنَعُكَ عَنْ تَبْلِغِنَا مَا أَنْتَ عَلَيْهِ وَقَدْ أَمَرْتُكَ بِمِائَةِ أَلْفٍ دَرَاهِمٍ فَإِنْ كُنْتُ
قَدْ أَصَبْتُ فَارْزُدْ فِي بَسْطِ يَدِكَ وَإِنْ لَمْ أَكُنْ قَدْ أَصَبْتُ فَجَنَابَتِكَ عَلَى نَفْسِكَ وَأَنْتَ حَدَّثْتَنِي وَكَتَبْتَ عَلَيَّ
قَضَاءَ الرَّشِيدِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنِ الزَّهْرِيِّ عَنْ أَنَسٍ « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِلزَّيْرِ بْنِ
الْهَوَامِ يَا زَيْرُ اعْلَمْ أَنَّ مِفْتَاحَ أَرْزَاقِ الْعِبَادِ بَازَاءُ الْعَرْشِ يَبِثُّ اللَّهُ عَنْ وَجَلٍ إِلَى كُلِّ عَبْدٍ بِقَدْرِ تَقَاتِهِ
فَمَنْ كَثُرَ كَثْرَتُهُ وَمَنْ قَلَّ قَلَّتْ لَهُ وَأَنْتَ أَعْلَمُ ^(١) » قَالَ الْوَاقِدِيُّ فَوَاللَّهِ لَمَّا ذَكَرَ الْمَأْمُونُ إِلَيَّ بِالْحَدِيثِ
أَحْبَبَ إِلَيَّ مِنَ الْجَائِزَةِ وَهِيَ مِائَةُ أَلْفٍ دَرَاهِمٍ . وَسَأَلَ رَجُلٌ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حَاجَةً فَقَالَ لَهُ
يَا هَذَا حَقِّ سَوْأَتِكَ إِيَّايَ بِعَظَمِ لَدِي وَمَعْرِفَتِي بِمَا يَجِبُ لَكَ تَكْبَرُ عَلَى يَدِي تَعَجُّرُ عَنْ تِلْكَ بِمَا أَنْتَ
أَهْلُهُ وَالْكَثِيرُ فِي ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى قَلِيلٌ وَمَا فِي مَلِكِي وَفَاءٌ لِمُسْكِرِكَ فَإِنْ قُبِلْتَ الْبُيُورُ وَرَفَعْتَ

قِيلَ مِنْ حُبِّ الدُّنْيَا
وَقِيلَ مِنْ الْإِهْتِمَامِ وَقَالَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَنْ سَلَى
وَكُتِبَتْ لَهُ وَلَمْ يَحْدَثْ
نَفْسَهُ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ
ذَنْبِهِ « وَقَالَ أَيْضًا « إِنْ
الصَّلَاةُ تَمَسَّكَ وَتَوَاضَعَتْ
وَتَضَرَّعَتْ وَتَتَدَامَّتْ وَتَرَفَعَتْ
يَدَيْكَ وَتَقُولُ : اللَّهُمَّ
اللَّهُمَّ فَمَنْ لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ
فَهُوَ خِدَاجٌ « أَيْ نَاقِصٌ
وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا
تَوَضَّأَ لِلصَّلَاةِ تَبَاعَدَ
عَنْ الشَّيْطَانِ فِي
أَفْطَارِ الْأَرْضِ خُوفَانِهِ
لَأَنَّهُ تَأَهَّبَ لِلدُّخُولِ عَلَى
لِللَّهِ فَذَا كَبَّرَ حَجَبٌ
عَنْهُ إِبْلِيسُ قِيلَ
يَضْرِبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ
سَرَادِقٌ لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ
وَوَاجَهُ الْجِبَارُ يَوْجُهُ
فَإِذَا قَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ أَطْلَعَ
لِللَّهِ فِي قَلْبِهِ فَإِذَا لَمْ

(١) حَدِيثُ أَنَسٍ يَزِيدُ اعْلَمْ أَنَّ مِفْتَاحَ أَرْزَاقِ الْعِبَادِ بَازَاءُ الْعَرْشِ الْحَدِيثُ وَفِي أَوَّلِهِ قَصَصُ الْمَأْمُونِ
الدَّارِ قُطْنِي فِيهِ وَفِي إِسْنَادِهِ الْوَاقِدِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنِ الزَّهْرِيِّ بِالْمَعْنَى وَلَا يَصِحُّ .

عن مؤنة الاحتيال والاهتمام لما أتسكفه من واجب حقه فقلت فقال يا ابن رسول الله أقبل وأشكر العطية وأعذر على اللع فعدا الحسن بوكيله وجعل يحاسبه على ثقافته حتى استنفذها فقال هات القفل من الثلاثة ألف درهم فأحضر حسين ألفا قال لما فلت بالحبيثة دينار قال هي عندي قال أحضرها فأحضرها فدفع الدينارين والدرهم إلى الرجل وقال هات من مبدلها لك فأناهم فمحلين فدفع إلى الحسن ردها لكراء الحلالين فقال له مواله والله ما عندنا درهم فقال أرجوا أن يكون لي عند الله أجر عظيم واجتمع قراء البصرة إلى ابن عباس وهو عامل بالبصرة فقالوا لتاجار صوام قوم ينسحق كل واحدنا أن يكون مثله وقد زوج بنته من ابن أخيه وهو قدير وليس عنده ما يجهزها به فقام عبد الله بن عباس فأخذ بأيديهم وأدخلهم داره وقنع صندوقا فأخرج منه ست بدر فقال احموا لحملوا فقال ابن عباس ما أنصفنا أعطيناه ما يشفه عن قيامه وصيامه أرجوا بنا نكنن أعوانه على تجهيزها فليس لدينا من القدر ما يشغل مؤننا عن عبادة ربه وما بنا من الكبر ما لا نخدم أولياء الله تعالى فقل وضلوا . وسكن أنه لما أجب الناس بمصر وعبد الحيد بن سعد أميرهم فقال والله لأغفرن الشيطان أني عدوه فقال يحاولهم إلى أن رخصت الأسعار ثم عزل عنهم فرحلوا ولتجار عليه ألف ألف درهم فرهنهم بها حل نساءه وقيمتها خمسمائة ألف فلما تضر عليه ارتجاعها كتب إليهم ببيعها ودفع القاضل منها عن حقوقهم إلى من لم تله صلاته . وكان أبو طاهر بن كثير شيعة قال له رجل بحق على بن طالب لما وهبت لي ثمنك بموضع كذا وكذا فقال قد فلت وحقه لأعطيك ما يليها وكان ذلك أضاف ما طلب الرجل وكان أبو مرثد أحد الكرماء فلهذه بعض الشعراء قال للشاعر :
والله ما عندى ما أعطيك ولكن قدمي إلى القاضي وأدع على بشرة آلاف درهم حتى أفرقك بها ثم احبسني فإن أهلى لا يتركني محبوسا فقبل ذلك فلم يمس حتى دفع إليه عشرة آلاف درهم وأخرج أبو مرثد من الحبس . وكان ممن بن زائدة عاملا على العراقيين بالبصرة فحضر به هاجر فأقام مدة وأراده الدخول على ممن فلم يتأمله فقال يوما لبعض خدامه ممن إذا دخل الأمير البستان فرفق فلما دخل الأمير البستان أعلاه فكتب الشاعر بيتا على خشبة وألقاها في الماء الذى يدخل البستان وكان ممن على رأس الماء قبا بصر بالحبيثة أخذها وقرأها فاذا مكتوب عليها :

أما جود ممن تاج معنا بهاجتى فالى إلى ممن سواك شفيح

فقال من صاحب هذه فدعى بالرجل فقال له كيف قلت فقال له فأمر له بشر بدر فأخذها ووضع الأمير الحبيثة تحت بساطه فسا كان اليوم الثانى أخرجه ممن تحت البساط وقرأها ودعا بالرجل فدفع إليه مائة ألف درهم فلما أخذها الرجل عسكر وخاف أن يأخذ منه ما أعطاه فخرج فلما كان في اليوم الثالث قرأها فلما ودعا بالرجل فطلب فلم يوجد فقال ممن حق على أن أعطيه حتى لا يلقى في بيت مالى درهم ولا دينار . وقال أبو الحسن للداني خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر حاجا فقامتهم أهلهم فجاءوا ومطشوا فمروا بسجوز في خباء فلما قالوا هل من شراب ؟ قالت نعم فأنشأوا إليها وليس لها إلا عذرة في كسر الحبيثة قالت احملوها وامتلئوا ليها فملاوا ذلك ثم قالوا لها هل من طعام قالت لا إلا هذه العذبة فليدبها أحدكم حتى أهيء لكم ما تكون قدام إليها أحدم وذبحها وكشطها ثم هيأت لهم طعاما فأكلوا وألهوا حتى أبردوا فلما ارتحلوا قالوا لها نحن نمر من قريش نريد هذا الوجه فاذا رجنا سألين فألمى بنا فانا صامون بك خيرا ثم ارتحلوا وأقبل زوجها فأخبره بغير التورم والفاة فغضب الرجل وقال وياك عذابين خاتى قوم لا ترضيهم ثم تحولن خرم من قريش قال ثم بعد مدة الجأتهما للحاجة إلى دخول المدينة فدخلاهما وجلا يتلان البر إليها وبيعتا وشبتان فبته

يكن في قلبه أكبر
من الله تعالى يقول :
صدقت الله في قلبك
كما تقول وتشتمع من
قلبه نور يلحق
بملصكوت العرش
ويكشفه بذلك النور
ملكوت السموات
والأرض ويكتب له
حشو ذلك السور
حسنات وإن الجاهل
الغافل إذا قام إلى الصلاة
احتوشته الشياطين كما
يحتوش الذباب على
قطعة العسل فاذا أكبر
اطلع الله على قلبه فاذا
كان شئ على قلبه أكبر
من الله تعالى عنده
يقول له كذبت ليس
الله تعالى أكبر في
قلبك كما تقول فيثور
من قلبه دخان يلحق
بمنان السماء فيكون
حجابا لقلبه من

فترت المجوز يعض سكاك المدينة فاذا الحسن بن طي جالس على باب داره صرف المجوز وهي له منكسة فيم غلامه فدعا بالمجوز وقال لها يأمة الله أنعرفني ؟ قالت لا قال أنا ضيفك يوم كذا وكذا قالت المجوز بأني أنت وأمي أنت هو ؟ قال نعم ثم أمر الحسن فاشترى لها من غنائه الصدقة ألف شاة وأمر لها معها بألف دينار وبث بها مع غلامه إلى الحسين فقال لها الحسين بكم وصلك أخى ؟ قالت بألف شاة وألف دينار فأمر لها الحسين أيضا بمثل ذلك ثم بث بها مع غلامه إلى عبد الله ابن جعفر فقال لها بكم وصلك الحسن والحسين ؟ قالت بألفي شاة وألفي دينار فأمر لها عبد الله بألفي شاة وألفي دينار وقال لها لو بدأت بي لأتبعكما فرجعت المجوز إلى زوجها بأربعة آلاف شاة وأربعة آلاف دينار . وخرج عبد الله بن عامر بن كرز من المسجد يريد منزله وهو وحده فقام إلى غلام من ثيف فثنى إلى جانبه فقال له عبد الله ألك حاجة يا غلام ؟ قال صلاحك وفلاحك رأيك تسمى وحده قالت أتوك بنفسى وأعوذ بالله إن طار بجناحك مكروه فأخذ عبد الله يده وثنى معه إلى منزله ثم دعا بألف دينار فدفعها إلى الغلام وقال استفق هذه فمأذك بأهلك . وحكى أن قوما من العرب جاءوا إلى قبر بعض أسخياءهم للزيارة فزلوا عند قبره . وبنوا عنده وقد كانوا جاءوا من سفر بعيد فرأى رجل منهم في النوم صاحب القبر وهو يقول له هل لك أن تبادل بغيرك بنجيب وكان السخي الليث قد خلف نجيبا معروفا به ولهذا الرجل بغير صين فقال له في النوم ثم فباعه في النوم بغيره بنجيبه فلما وقع بينهما العقد حمد هذا الرجل إلى بيرة فخره في النوم فاتبعه الرجل من تومه فاذا الدم يشج من نحر بيرة فقام الرجل فخره وقسم لحمه فطبخوه وقضوا حاجتهم منه ثم رحلوا وساروا فلما كان اليوم الثانى وهم في الطريق استقبلهم ركب فقال رجل منهم من فلان بن فلان منكم باسم ذلك الرجل فقال أنا فقال هل بعت من فلان بن فلان شيئا ذكرك الليث صاحب القبر قال نعم بعت منه بيرة بنجيبه في النوم فقال خذ هذا نجيبه ثم قال هو أبى وقد رأيت في النوم وهو يقول إن كنت ابني فادفع نجيبى إلى فلان بن فلان وساء . وقدم رجل من قريش من السفرة رجل من الأعراب على قارعة الطريق فدأه الدهر وأضر به للرض فقال يا هذا أعنا على الدهر فقال الرجل لنلامه ما بقى مملك من النفقة فادفعه إليه فصب الغلام في حجر الأعرابي أربعة آلاف درهم فذهب ليبيض فلم يقدر من الضيف فيكى فقال له الرجل ما ييك لك تلك استقلت ما أعطيناك ؟ قال لا ولكن ذكرت ما تأكل الأرض من كرمك فأبكاني . واشترى عبد الله بن عامر من خالده بن عقة بن أبى معيط داره التي في السوق بثمسين ألف درهم فلما كان الليل سمع بكاء أهل خاله فقال لأهله ما هؤلاء ؟ قالوا يكون لدارهم فقال يا غلام ائهم فأعلمهم أن اللال والدارهم جميعا . وقيل بث هرون الرشيدى إلى مالك بن أنس رحمه الله بخمسة ديار فبلغ ذلك الليث بن سعد فأخذ إليه ألف دينار فغضب هرون وقال أعطيه خميسة ونطيه ألما وأنت من عريق فقال الأمير المؤمنين إن لى من غافى كل يوم ألف دينار فاستجيت أن أعطى مثله أقل من دخل يوم . وسكى أنه لم نجب عليه الزكاة مع أن دخله كل يوم ألف دينار . وحكى أن امرأة سألت الليث بن سعد رحمه الله عليه شيئا من عدل فأمر لها بزق من عدل فقيل له إنها كانت تقع بدون هذا ؟ فقال إنها سألت على قدر حاجتها ونحن نعطيا على قدر النعمة علينا . وكان الليث بن سعد لا يشكم كل يوم حتى يصدق على ثلثائة وستين مسكينا . وقال الأعمش اشتكت شاة عندى فكان خيشة بن عبد الرحمن يودها بالذئاة والذى ويسألنى هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ صدوا إليها وكان تحق لبد أجلس عليه فاذا خرج قال خذ ما تحت اليد حتى وصل إلى فعة الشاة أكثر من ثلثائة

للكوت فزاد ذلك الحجاب صلاة ويلتهم الشيطان قلبه فلا يزال ينفع فيه وينفث ويوسوس إليه ويزين حتى ينصرف من صلاته ولا يعقل ما كان فيه . وفى الخبر «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب نى آدم لظفروا إلى ملكوت السماء» والقلوب الصافية التى كل أدها لكال أدب قولها تصير مساوية تدخل بالصكبير فى السماء كما تدخل فى الصلاة والله تعالى حرس السماء من تصرف الشياطين فالقلب الداوى لا سبيل للشيطان إليه فتبقى هواجس فتنابة عند ذلك لاتقطع بالحصن الباء كاشطاع تصرف

ديار من بره حتى نعيم أن انشاء لم تبرا . وقال عبد الملك بن مروان لأسهاء بن خارعة بلفي عنك خصال خلدني بها ، قال هي من غيري أحسن منها مني قال عزمت عليك إلا حدثني بها فقال بأمر للمؤمنين مامدت رجلي بين يدي جليس لي قط ولا صنت طعاما قط فدعوت عليه فوما إلا كانوا آمن على مني عليهم ولا نصب لي رجل وجهه قط يسألني شيئا فاستكرت شيئا أعطيته إياه . ودخل سعيد بن خالد على سليمان بن عبد الملك وكان سعيد رجلا جوادا فإذا لم يجد شيئا كتب لمن سأله صكا على نفسه حتى يخرج عطاءه فلما نظر إليه سليمان عثل بهذا البيت فقال :

إني سمعت مع الصباح مناديا يأمن يمين على القى للعوان

ثم قال ما حاجتك ؟ قال ديني قال وكم هو ؟ قال ثلاثون ألف دينار قال لك دينك ومنته . وقيل مرض قيس بن سعد بن عبادة فاستبطأ إخوانه فقيل له إتهم يستحيون من مالك عليهم من الدين قال أخزى الله ملايئع الإخوان من الزيارة ثم أمر مناديا فنادى من كان عليه قيس بن سعد حتى فهو منه برى . قال فأنكسرت درجته بالعتى لكثرة من زاره وعاده . وعن أبي إسحق قال صليت الفجر في مسجد الأشعث بالكوفة أطلب غربيا لي فلما صليت وضع بين يدي حلة . ولنازل قلت لست من أهل هذا المسجد فقالوا إن الأشعث بن قيس السكندی قدم البصرة من مكة فأمر لكل من صلى في المسجد بحلة . ولعن . وقال الشيخ أبو سعد الحر كوشى النيسابورى رحمه الله : سمعت محمد ابن محمد الحافظ يقول سمعت الشافعي الجاور بمكة يقول : كان بمصر رجل عرف بأن جميع الفقراء شيئا فويل لبعض مولود قال لئن قتلت له ولد لي مولود وليس معي شيء فقام معي ودخل على جماعة فلم يفتح بشيء فجاء إلى قبر رجل وجلس عنده وقال رحمك الله كنت تفعل وتصنع وإنى درت اليوم على جماعة فكلفتهم دفع شيء لمولود فلم يفتح لي شيء . قال ثم قام وأخرج دينارا وقسمه نصفين ونالني نصفه وقال هذا دين عليك إلى أن يفتح عليك بشيء . قال فأخذته وانصرفت فأصلحت ما انتقى لي به قال فرأى ذلك المحتسب تلك الليلة ذلك الشخص في منامه فقال سمعت جميع ما قلت وليس لنا إذن في الجواب ولكن احضر منزلي وقل لأولادى يحفروا مكان الكانون ويخرجوا قرابة فيها خمسة دینار فاحملها إلى هذا الرجل فلما كان من الند فقدم إلى منزل الليث وقص عليهم القصة فقالوا له اجلس وحفروا الموضع وأخرجوا الدنانير وجاءوا بها فوضعوها بين يديه فقال هذا مالكم وليس لرؤياي حكم فقالوا هو يتسخى بيتا ولا يتسخى نحن أحياء فلما أحووا عليه حمل الدنانير إلى الرجل صاحب الولود وذكر له القصة قال فأخذ منها دينارا فسكره نصفين فأعطاه النصف الذى أقرضه وحمل النصف الآخر وقال يكفينى هذا . وتصديق به على الفقراء فقال أبو سعيد فلا أدرى أى هؤلاء أسخى . وروى أن الشافعي رحمه الله لما مرض مرض موته بمصر قال مروا فلانا يسألني فلما توفى بلفه خبر وفاته فغفر وقال أثبتني بذكرته فأني بها فظفر فيها فإذا على الشافعي مبعون ألف درهم دين فكسبها على نفسه وقضاها عنه وقال هذا غسلى إياه أى أراد به هذا . وقال أبو سعيد الواعظ الحر كوشى لما قدمت مصر طلبت منزل ذلك الرجل فدلوني عليه فرأيت جماعة من أحفاده وزرهم فرأيت فيهم سباعا والخير وآثار الفضل قلت بلغ أثره في الخير إليهم وظهرت بركته فهم مستدلوا بقوله تعالى - وكان أبوها صالحا - وقال الشافعي رحمه الله لا أزال أحب حماد بن أبي سليمان لشيء يلقى عنه أنه كان ذات يوم راكبا حمارة فحرك فاقطع زره فلم يزل على خياط فأراد أن ينزل إليه ليسوى زره فقال الخياط والله لأزلت مقام الخياط إليه فسوى زره فأخرج إليه صرة فيها عشرة دنانير فسلمها إلى الخياط واعتذر إليه من قتلها وأنشد الشافعي رحمه الله نفسه :

الشیطان والصلوب
المرادة بالقرب تدرج
بالقرب وتخرج في
طبقات السموات وفي
كل طبقة من أطباق
البهاء يتخلف شيء من
ظلمة النفس ويغدر
ذلك بل الما جس إلى
أن يتجاوز السموات
ويقف أمام العرش
فبعد ذلك يلهب
بالكلية هاجس النفس
بساطع نور العرش
وتتدرج ظلمات النفس
في نور القلب اندراج
حينئذ حقوق الآداب
على وجه الصواب .
وما ذكرنا من أدب
الصلاة يسير من كثير
وشأن الصلاة أكبر
من صفاتها وكل من
ذكرها وقد غلط
أقسام وظنوا أن

بالهف قلبى على مال أجود به على اللقلين من أهل الروات
 إن اعتذارى إلى من جاء يسألنى مالبس عندى لمن إحدى الصينات
 وعن الربيع بن سليمان قال أخذ رجل بركاب الشافى رحمه الله فقال ياربى أعطه أربعة دنانير
 واعتذر إليه عنى . وقال الربيع سمعت الحيدى يقول قدم الشافى من صنعاء إلى مكة بشرة آلاف
 دينار ففرب خباه فى موضع خارج عن مكة وشراها على ثوب ثم أقبل على كل من دخل عليه قبض
 له قبضة ويعطيه حتى صلى الظهر ونقض الثوب وليس عليه ثوب . وعن أبى ثور قال أراد الشافى
 الخروج إلى مكة ومعه مال وكان قلما يحسك شيئا من صاحته قلقت له يبنى أن تشتري بهذا المال
 ضيعة تكون لك ولولدك قال فخرج ثم قدم علينا فأسأله عن ذلك المال فقال ما وجدت بمكة ضيعة
 يمكننى أن أشتريها لمعرفى بأصلها وقد وقف أكثرها ولكنى بيت بمنى مضربا يكون لأصحابنا إذا
 حجوا أن ينزلوا فيه وأنشد الشافى رحمه الله نفسه يقول :

أرى نفسى تنوق إلى أمور يقصر دون مبلغها
 نفسى لا تطاوعنى يخذل ومالى لا يلبسنى فعلى

وقال محمد بن عباد الهلبى دخل أبى على للأمون فوصله بمائة ألف درهم فقام من عنده قصد فى بها
 فأخبر بذلك الأمون فلما عاد إليه عاتبه الأمون فى ذلك فقال يا أمير المؤمنين: منع الوجود، سوء ظن
 بالبعد، فوصله بمائة ألف أخرى . وقام رجل إلى سعيد بن العاص فسأله فأمر له بمائة ألف درهم
 فبكى فقال له سعيد ما يبكيك ؟ قال أبكى على الأرض أن تأكل مثلك فأمر له بمائة ألف أخرى .
 ودخل أبو تمام على إبراهيم بن شكبة بأبيات امتدحه بها فوجده عليلًا فقبل منه الدحة وأمرحابه
 بنيه ما يصلحه وقال عسى أن أقوم من مرضى فأكفته فأقام شهرين فأوحشه طول اللقام فكتب
 إليه يقول : إن حراما قبول مدحتنا وترك ما نرجى من الصدف
 كما الدرهم والدنانير فى البسج حرام إلا يدا يد
 فلما وصل البنيان إلى إبراهيم قال لحاجبه كم أقام بالباب ؟ قال شهرين قال أعطه ثلاثين ألفا
 وجنى بدواة فكتب إليه :

أعجلتنا فأتاك عاجل برّا قلا ولو أمهلنا لم تقل
 غفد القليل وكن كأنك لم تقل وتقول نحن كأننا لم نفعل

وروى أنه كان لعثمان على طلحة رضى الله عنهما خمسون ألف درهم فخرج عثمان يوما إلى المسجد
 فقال له طلحة قد نهيأ مالك فأقبضه فقال هو لك يا أبا محمد موعنة لك على مروءتك . وقالت سعدى
 بنت عوف دخلت على طلحة فرأيت منه تولا قلقت له مالك ؟ فقال اجتمع عندى مال وقد عني قلقت
 وما يملك ادع قومك فقال يا غلام على بقوى قسمه فيهم فأسألت الخادم كم كان ؟ قال أربع مائة ألف .
 وجاء أعرابي إلى طلحة فسأله وتقرّب إليه برحم فقال إن هذه الرحم مأسألى بها أحد قبلك إن لى
 أرضا قد أعطانى بها عثمان ثلثمائة ألف فان شئت فأقبضها وإن شئت ببها من عثمان ودفعت إليك
 الفنى فقال الفنى فباعها من عثمان ودفع إليه الثمن : وقيل بكى على كرم الله وجهه يوما قبل ما يبكيك
 فقال لم يأتنى ضيف منذ سبعة أيام أخاف أن يكون الله قد أهاننى . وأتى رجل صديقا له فدق عليه
 الباب فقال ماجاء بك ؟ قال على أربع مائة درهم دين فوزن أربع مائة درهم وأخرجنا إليه وعاد يبكى
 فقالت امرأته لم أعطيه إذ شق عليك فقال إنما أبكى لأنى لم أعقد حاله حتى احتاج إلى مفاغى
 فرحم الله من هذه صفاتهم وغفر لهم أجمعين .

للقعود من الصلاة
 ذكر الله تعالى وإذا
 حصل التذكر فأى
 حاجة إلى الصلاة
 وصلكوا طرقا من
 الضلال وركبوا إلى
 أباطيل الخيال ومحو
 الرسوم والأحكام
 ورفضوا الحلال
 والحرام وقوم آخرون
 سلكوا في ذلك طريقا
 أدت بهم إلى نقصان الحال
 حيث سلّموا من
 الضلال لأنهم اعترفوا
 بالفرائض وأنكروا
 فضل النوافل واعتروا
 بيسير روح الحال
 وأهملوا فضل الأعمال
 ولم يعلموا أن الله فى
 كل هيئة من الهيئات
 وكل حركة من
 الحركات أسرار
 وحكايا لا جد فى شيء
 من الأذكار والأحوال

(بيان ذم البخل)

قال الله تعالى - ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون - وقال تعالى ولا يحب الله بن يخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم يسطونون ما باعوا به يوم القيامة وقال تعالى - الذين يخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله - وقال صلى الله عليه وسلم « إياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم حاهم على أن فسكوا دماءهم واستحلوا محارمهم »^(١) وقال صلى الله عليه وسلم « إياكم والشح فإنه دعا من كان قبلكم فسكوا دماءهم ودعاهم فاستحلوا محارمهم ودعاهم قطعوا أرحامهم »^(٢) وفي رواية ولا جباروفى رواية ولانان وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه »^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله يفضى ثلاثة الشيخ الزاني والبخل اللان والليل المحتال »^(٤) وقال صلى الله عليه وسلم « مثل التفق والبخل كشل رجاين عليهما جيتان من حديد من لدن تديهما إلى تراقيهما فأما التفق فلا ينفق شيئا إلا سبقت أو وفرت على جلده حتى تخفى بناته وأما البخل فلا يريد أن ينفق شيئا إلا قلقت وترت كل حلقة مكانها حتى أخذت بتراقيه فهو يوسمها ولا تسع »^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم « خصلتان لا يجتمعا في مؤمن البخل وسوء الخلق »^(٦) وقال صلى الله عليه وسلم « اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر »^(٧) وقال صلى الله عليه وسلم « إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة وإياكم والفحش فإن الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش وإياكم والشح فأما أهلك من كان قبلكم الشح أمرهم بالكذب فكذبوا وأمرهم بالظلم فظلموا وأمرهم بالقطيعة قطعوا »^(٨) وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث إياكم والشح الحديث مسلم من حديث جابر بلفظ واقفوا الشح فإن الشح الحديث ولأبي داود والنسائي في الكبرى وابن حبان والحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمرو إياكم والشح فأما هلك من كان قبلكم الشح أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالقطيعة قطعوا وأمرهم بالفجور ففجروا (٢) حديث إياكم والشح فإنه دعا من كان قبلكم فسكوا دماءهم ودعاهم فاستحلوا محارمهم ودعاهم قطعوا أرحامهم الحاكم من حديث أبي هريرة بلفظ حرمتهم مكان أرحامهم وقال صحيح على شرط مسلم (٣) حديث لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيء للسلوك وفي رواية ولانان أحمد والترمذي وحسنه من حديث أبي بكر واللفظ لأحمد دون قوله ولا منان فهي عند الترمذي وله ولا بن ماجه لا يدخل الجنة سيء للسلوك (٤) حديث ثلاث مهلكات الحديث تقدم في العلم (٥) حديث إن الله يفضى ثلاثة الشيخ الزاني والبخل للان والفقر المحتال الترمذي والنسائي من حديث أبي ذر دون قوله البخل اللان وقال فيه الفنى الظلوم وقد تقدم وللطبراني في الأوسط من حديث علي بن الله ليغضى الفنى الظلوم والشيخ الجلول والمائل المحتال وسنده ضعيف (٦) حديث مثل للتفق والبخل كشل رجاين عليهما جبة من حديد الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٧) حديث خصلتان لا يجتمعا في مؤمن البخل وسوء الخلق الترمذي من حديث أبي سعيد وقال غريب (٨) حديث اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن الحديث البخارى من حديث سعد وتقدم في الأذكار (٩) حديث إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة الحديث الحاكم من حديث عبد الله بن عمرو دون قوله أمرهم بالكذب فكذبوا وأمرهم بالظلم فظلموا قال عوضا عنهما وبالبخل فبخلوا وبالفجور ففجروا وكذا رواه أبو داود مقتصرًا على ذكر الشح

والأعمال روح وجبان وما دام البعد في دار الدنيا إعراسه عن الأعمال عين الطغيان فالأعمال تزكو بالأحوال والأحوال تنمو بالأعمال .

[الباب التاسع والثلثون في فضل الصوم وحسن آثره]
 روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « الصبر نصف الإيمان والصوم نصف الصبر » وقيل ما في عمل ابن آدم شيء إلا ويذهب بردًا للظالم إلا الصوم فإنه لا يدخله قصاص ويقول الله تعالى يوم القيامة هذا لى فلا ينقص أحد منه شيئًا . وفي الخبر « الصومى وأنا أجزى به » قيل أضافه إلى

« ثم ماتي الرجل شيخ هالـع وجبن خالـع ^(١) » وقتل شهيد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت باكية قالت : واشبهده قال صلى الله عليه وسلم « وما يدريك أنه شهيد فلمـه كان يتكلم فيها لا ينيه أو يبخل بما لا ينقصه ^(٢) » وقال جابر بن مطعم « بينما نحن لسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا الناس مقفلة من خيبر إذ عقلت برسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا الناس مقفلة من خيبر حتى اضطروه إلى حمرة غطفت رداءه فوقف صلى الله عليه وسلم فقال أعطوني رداي فوالذي نفسي بيده لو كان لي عدد هذه الغضاه نعماً قسمتـه بينكم ثم لا تجدوني غيـلاً ولا كذاباً ولا جباناً ^(٣) » وقال عمر رضي الله عنه « قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسماً قلت غير هؤلاء كان أحق به منهم فقال انهم غيروني بين أن يسألوني بالقبح أو يخونوني ولست ياخذ ^(٤) » وقال أبو سعيد الخدري دخل رجلان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن بئر فاعطاها دينارين فخرجا من عنده فلقبهما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأتيا وقالا معروفاً وشكراً ما صنع بهما فدخل عمر على رسول الله ﷺ فأخبره بما قال فقال صلى الله عليه وسلم « لكن فلان أعطيت ما بين عشرة إلى مائة ولم يقل ذلك إن أحدكم ليسألني فينبط في مسألتـه وتأبطها وهي تارقال عمر فمرفطهم ماهونار قال يابون إلا أن يسألوني وبأي الله لي البخل ^(٥) » وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الجود من جود الله تعالى فجودوا بجد الله لكم ألا إن الله عز وجل خلق الجود فجعله في صورة رجل وجعل رأسه راسخاً في أصل شجرة طوي وشدا غصنها بأغصان سدره انتهى ودلى بعض أغصانها إلى الدنيا فمن تعلق بغصن منها أدخله الجنة ألا إن السخا من الإيمان والإيمان في الجنة وخالق البخل من مقتـه وجعل رأسه راسخاً في أصل شجرة الزقوم ودلى بعض أغصانها إلى الدنيا فمن تعلق بغصن منها أدخله النار ألا إن البخل من السكرو والكفر في النار ^(٦) » وقال ﷺ « السخا شجرة تنبت في الجنة فلا يبلغ الجنة إلا سخي والبخل شجرة تنبت في النار فلا يبلغ النار إلا بخل ^(٧) »

وقد تقدم قبله بسبعة أحاديث وسلم من حديث جابر انثوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة وانثوا الضعف فذكره بلفظ آخر ولم يذكر القحش ^(١) حديث ثم ماتي الرجل شيخ هالـع وجبن خالـع أبو داود من حديث جابر بسند جيد ^(٢) حديث وما يدريك أنه شهيد فلمـه كان يتكلم فيها لا ينيه أو يبخل بما لا ينقصه أبو يعلى من حديث أبي هريرة بسند ضعيف والبرقي في الشعب من حديث أنس أن أمه قالت لهنك الشهادة وهو عبد الترمذي إلا أن رجلاً قال له أبشر بالجنة ^(٣) حديث جابر بن مطعم بينما نحن لسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا الناس مقفلة من خيبر عقلت الأعراب به الحديث البخاري وتقدم في أخلاق النبوة ^(٤) حديث عمر قسم النبي صلى الله عليه وسلم قسماً الحديث وفيه ولست ياخذ ^(٥) حديث أبي سعيد في الرجلين اللذين أعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارين فلقبهما عمر فأتيا وقالا معروفاً الحديث وفيه وبأي الله لي البخل رواه أحمد وأبو يعلى والبراز نحوه ولم يقل أحمد إنهما سألاه عن بئر ورواه البراز من رواية أبي سعيد عن عمر ورجال أسانيدهم ثقات ^(٦) حديث ابن عباس الجود من جود الله فجدوا بجد الله لكم الحديث بطوله ذكره صاحب الفردوس ولم يخرجـه ولده في مسنده ولم أنف له على إسناد ^(٧) حديث السخا شجرة تنبت في الجنة فلا يبلغ في الجنة إلا سخي الحديث تقدم دون قوله فلا يبلغ في الجنة إلى آخره وذكره بهذه الزيادة صاحب الفردوس من حديث علي ولم يخرجـه ولده في مسنده .

تسه لأن فيه خلقاً من أخلاق الصمدية وأيضاً لأنه من أعمال السر من قبيل التروك لا يطلع عليه أحد إلا الله وقيل في تفسير قوله تعالى - الصائمون - الصائمون لأنهم ساحتوا إلى الله تعالى بموعدهم وعطشهم وقيل في قوله تعالى - إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب - هم الصائمون لأن الصبر اسم من أسماء الصوم ويفرغ للصائم إفراغاً وبجازف له مجازفة وقيل أحد الوجوه في قوله تعالى - فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون - كان عملهم الصوم . وقال

وقال أبو هريرة « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو فد بن لحيان من سيدكم يا بني لحيان ؟ قالوا سيدنا جد بن قيس إلا أنه رجل فيه بخل فقال صلى الله عليه وسلم وأى داء أدوأ من البخل ولكن سيدكم عمرو بن الجوح^(١) » وفي رواية أنهم قالوا « سيدنا جد بن قيس » فقال به تسودونه قالوا إنه أكثر مالا وإنا على ذلك نرى منه البخل فقال صلى الله عليه وسلم : وأى داء أدوأ من البخل ليس ذلك سيدكم قالوا فمن سيدنا يا رسول الله ؟ قال سيدكم بشر بن البراء . وقال صلى الله عليه وسلم : رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يفض البخل في حياته السخى عنده^(٢) » وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « السخى الجهول أحب إلى الله من العابد البخل^(٣) » وقال أيضا قال صلى الله عليه وسلم « الشح والإيمان لا يجتمعان في قلب عبد^(٤) » وقال أيضا « خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « لا ينبغي لمؤمن أن يكون بخيلا ولا جبانا^(٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « يقول قائلكم الشحيح أعذر من الظالم وأى ظل أظلم عند الله من الشح حلف الله تعالى بزمته وعظمته وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل^(٧) » وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يطوف بالبيت فإذا رجل متملق بأستار السكمة وهو يقول : بحمة هذا البيت إلا غفرت لي ذنبي فقال صلى الله عليه وسلم وما ذنبك صفه لي فقال هو أعظم من أن أصفه لك فقال وبحك ذنبك أعظم أم الأرضون فقال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم الجبال قال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم البحار قال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم السموات قال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم العرش قال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم الله قال بل الله أعظم وأعلى قال وبحك فصف لي ذنبك قال يا رسول الله إنى رجل ذو ثروة من المال وإن السائل لأبئى يسألنى فكأنما يستبئى بشملة من نار فقال صلى الله عليه وسلم إليك عني لأعرقنى ببارك فوالى الله يعنى بالهداية والكرامة لوقت بين الركن والمقام ثم صليت ألقى ألف عام ثم بكيت حتى تجرى من دموعك الأنهار وتسقى بها الأشجار ثم مت وأنت لئيم لأبكك الله في النار وبحك أما عدت أن البخل كفر وأن الكفر في النار وبحك أما عدت أن الله تعالى يقول - ومن يبخل فاعما يبخل عن نفسه - ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون -^(٨) » الآثار ، قال ابن عباس، رضى الله عنهم الماخلق الله

(١) حديث أبي هريرة من سيدكم يا بني لحيان قالوا سيدنا جد بن قيس الحديث الحاكم وروى صحيح على شرط مسلم بالنظر يا بني سلمة وقال سيدكم بشر بن البراء وأما الرواية التي قال فيها سيدكم عمرو ابن الجوح فرواها الطبراني في الصغير من حديث كعب بن مالك بإسناد حسن (٢) حديث على بن الله ليض البخل في حياته السخى عند موته ذكره صاحب الفردوس ولم يخرج له ولده في مسنده ولم أجده إلا نادا (٣) حديث أبي هريرة السخى الجهول أحب إلى الله من العابد البخل الترمذي بالفظ والجاهل سخى وهو بقية حديث ابن السخى قريب من الله وقد تقدم (٤) حديث أبي هريرة لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد النساء وفي إسناده اختلاف (٥) حديث خصلتان لا يجتمعان في مؤمن الحديث الترمذي من حديث أبي سعيد وقد تقدم (٦) حديث لا ينبغي لمؤمن أن يكون بخيلا ولا بخيلا لم أره بهذا اللفظ (٧) حديث يقول قائلكم الشحيح أعذر من الظالم وأى ظل أظلم من الشح الحديث وفيه لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل لم أجده بتمامه وللترمذي من حديث أبي بكر لا يدخل الجنة بخيل وقد تقدم (٨) حديث كان يطوف بالبيت فإذا رجل متملق بأستار السكمة وهو يقول بحمة هذا البيت إلا غفرت لي الحديث في ذم البخل وفيه قال إليك عني لأعرقنى ببارك الحديث بطوله وهو باطل لأصل له .

جئة عدن قال لها تزيني قزيفت ، ثم قال لها اظهري أنهارك فأظهرت عين السليل وعين الكافور وعين التسنج ففجر منها في الجنان أنهار الحمر وأنهار المسك واللبن ثم قال لها اظهري سرورك وحبائك وكراميك وحليك وحللك وحور عينك فأظهرت فطر إليها قال تسكمني قالت طوبى لمن دخلني فقال الله تعالى وعزني لأنسك بخيلا . وقالت أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز : نف لبخيل لو كان البخل قيسا مالبسته ولو كان طريقا ماسلكه ، وقال طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه : إنا لنجد بأموالنا ما يجد البخلاء لكننا نصبر ، وقال محمد بن النكدر كان يقال : إذا أراد الله بقوم شرا أمر عليهم شرارهم وجعل أرزاقهم بأيدي غلاتهم ، وقال علي كرم الله وجهه في خطبته إنه سيأتي على الناس زمان غرض يمشي اللوس على حافي يمد له لم يؤمر بذلك قال الله تعالى ولا تفسدوا الفضل بينكم - وقال عبد الله بن عمرو الشح أشد من البخل لأن الشحيح هو الذي يشح على حافي يد غيره حتى يأخذه ويشح بما في يده فيحبسه والبخل هو الذي يبخل بما في يده . وقال الشعبي لأدري أيهما أهد غورا في نار جهنم البخل أو السكذب . وقيل ورد على أنو شروان حكيم الهند وفيلسوف الروم فقال للهندي تسكلم فقال خير الناس من أتى مغبيا وعند الغضب وقورا وفي القول متأنيا وفي الرقة متواضعا وعلى كل ذي رحم مشفقا ، وقام الرومي فقال من كان بخيلا ورث عدوه ماله ومن قل شكره لم يزل النجح وأهل السكذب مذمومون وأهل القيمة يعونون قراءا ومن لم يرحم سلط عليه من لا يرحمه . وقال الضحاك في قوله تعالى - إننا جعلنا في أعناقهم أغلالا - قال البخل أسك الله تعالى أيديهم عن النفقة في سبيل الله فهم لا يصرون الهدى ، وقال كعب : مامن صباح إلا وقد وكل به لمسلكن يناديان اللهم عجل لمسلكتننا وعجل لمنفق خلفنا . وقال الأصبغي سمعت أمرايا وقد وصف رجلا فقال لقد صغر فلان في عيني لمظم الدنيا في عينه وأكنا يري السائل ملكا لو أن أناته . وقال أبو حنيفة رحمه الله لا أرى أن أعدل بخيلا لأن البخل يجعله على الاستصماء فيأخذ فوق حقه خيفة من أن يبين لمن كان هكذا لا يكون مأمون الأمانة . وقال علي كرم الله وجهه : واقه ما استقصى كريم نط حقه . قال الله تعالى - عرّف بضه وأعرض عن بعض - وقال الجاحظ مانيق من اللذات إلا ثلاث ذم البخلاء وأكل التقيد وحك الجرب . وقال بشر بن الحرث البخيل لأغنية له قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ إنك إذا لبخيل ﴾ (١) . « ومحدث امرأة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا صومعة قومة » إلا أن فيها بخلا قال لها خيرها إذا (٢) وقال بشر : النظر إلى البخيل يفسد القلب ولقاء البخلاء كرب على قلوب المؤمنين ، وقال يحيى بن معاذ : ماني القلب للأسماء إلا بحب ولو كانوا أفاعلا ولا يفض ولو كانوا آبرارا . وقال ابن العزّز أجعل الناس بماله أجودهم برضه . ولفي يحيى بن زكريا عليها السلام إبليس في صورته فقال له إبليس : أخبرني بأحب الناس إليك وأبغض الناس إليك قال أحب الناس إلى المؤمن البخل وأبغض الناس إلى الناسق السخي قال له لم قال لأن البخل قد كفاني غله والناسق السخي أعوف أن يطلع الله عليه في سخائه فيقبله ثم ولي وهو يقول لولا أنك يحيى لما أخبرتك .

(حكايات البخلاء)

قيل كان بالبصرة رجل موسر بخيل ففداه بعض جيرانه وقدم إليه طبا هجة بيض فأكل منه فأكثر (١) حديث انك لبخيل [١] (٢) حديث مدحت امرأة عند النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا صومعة قومة إلا أن فيها بخلا الحديث تقدم في آفات اللسان .

[١] قول العراقي إنك لبخيل ، هكذا بالنسخ من غير تكرار ولم يخرج الشارح أيضا فلينظر اهـ .

قائما وبما في الشيطان شيئا قائما فكيف إذا كان قائما قلبه للرب الصادق يصرخ إلى الله تعالى من طلب النفس الطعام والشراب دخل رجل إلى الطيالي وهو يأكل خبزاً يا بسا قد به بالساء مع ملح جريش فقال له كيف تشتهي هذا قال أدمه حتى أشتيه وقيل من أسرف في مطعمه ومشربه يجبل الصغار والمثل إلى في دنياه قبل آخرته وقال بعضهم الباب العظيم الذي يدخل منه إلى الله تعالى قطع الغذاء وقال بشر بن الجوع يفسد القواد ويميت الهوى ويورث العلم الدقيق وقال ذوالنون ما كنت حتى شبت

وجعل يشرب الماء فاتسخ بطنه ونزل به الكرب والوث فجعل يتولى فلما جهده الأمر وصف حاله للطبيب فقال لأبأس عليك : تبيأ ما أكلت فقال هاه أنقيأ طباحة بيض الوث ولا ذلك، وقيل أنبل أعرابي يطلب رجلا وبين يديه تين فطوى التين بكساه لجلس الأعرابي فقال له الرجل هل تحسن من القرآن شيئا قال نعم فقرأوا الزيتون وطور سينين فقال وأبى التين قال هو تحت كسانك. ودعا بعضهم أخاه ولم يطعمه شيئا لحبسه إلى الصبر حتى اشتد جوعه وأخذته مثل الجنون فأخذ صاحب البيت العود وقال له عياني أئى صوت تشبهى أن اسمك قال صوت التلى . وبكى أن محمد بن يحيى ابن خالد بن برمك كان غيلا يبيع البخل فسل نسيب له كان يعرفه عنه فقال له قائل فضلى مائدته فقال هي قتر في قتر ومحافة متقورة من حب الحشخاش قيل لمن يحضرها قال السكرام السكايتون قال فما يأكل معه أحد قال بل القباب فقال سوانك بدت وأنت خاص به ووثوك تحرق قال أنا والله ما أقدر على إبرة أخيطه بها ولو ملك محمد بيتا من بغداد إلى النوبة عملوا إبراهيم جاءه جبريل وميكائيل ومعهما يقولون النبي عليه السلام يظنون منه إبرة ويسألونه إعارتهم لإياها ليخيط بها قميص يوسف الذي قد من در مافعل . ويقال كان مروان بن أبى حفصة لأبى كل اللحم غيلا حتى يقرم إليه فاذا قرم إليه أرسل غلامه فاشترى له رأسا فأكله فقبل له نراك لا تأكل إلا الروس في الصيف والشتاء فمخز ذلك قال نعم الرأس أعرف سره فأذن خيانة الغلام ولا يستطيع أن يفتني فيه وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر أن يأكل منه إن مس عينا أو أذنا أو خذا وقتت على ذلك وآكل منه ألوانا عنه لونا وأذنه لونا ولسانه لونا وغضصته لونا وماغه لونا وكفى مؤنة طبخه فقد اجتمعت لى فيه مرافق وخرج يوما يريد الخليفة الهندي فقالت له امرأة من أهله مالى عليك إن رجعت بالجزة فقال إن أعطيت مائة ألف أعطيتك درهما فأعطى ستين ألفا فأعطاه أربعة دنانير واشترى مرة لحما بدرهم فدعاه صديق له فردد اللحم إلى الفصاف بنصفان دانق وقال أكره الاسراف ، وكان للأعمش جار وكان لازال يمرض عليه التزل ويقول : لودخلت فأكلت كسرة وملحاً فبأى عليه الأعمش ففرض عليه ذات يوم فوافق جوع الأعمش فقال سربنا فدخل منزله ففرّب إليه كسرة وملحاً فجاء سائل فقال له ربّ التزل بورك فيك فأعاد عليه السئلة فقال له بورك فيك فلما سأل الثالثة قال له اذهب والإلا والله خرجت إليك بالصا قال فداده الأعمش وقال اذهب وبحك فلا والله ما رابت أحدا أصدق مواعيد منه هو منذ مدّة يدعوني على كسرة ومالح فوالله ما زادنى عليهما .

(بيان الإنبار وفضله)

اعلم أن السخاء والبخل كل منهما ينقسم إلى درجات فأرفع درجة السخاء الإيثارة وهو أن يجود بالمال مع الحاجة إليه وإنما السخاء عبارة عن بذل ما يحتاج إليه لاحتاج أولغير محتاج والبذل مع الحاجة أشد وكان أن السخاوة قد تنفست إلى أن يسخو الإنسان على غيره مع الحاجة قبله فتنفست إلى أن يدخل على نفسه مع الحاجة فكم من بخيل يسك المال ويمرض فلا يتداوى ويشتهى الشهوة فلا يتبعه منها إلا البخل بالحق ولو وجدها مجانا لأكلها ، فهذا بخيل على نفسه مع الحاجة وذلك يؤثر على نفسه غيره مع أنه محتاج إليه فانظر ما بين الرجلين فإن الأخلاق عطايا يهبها الله حيث يشاء وليس بعد الإيثارة درجة في السخاء ، وقد أئى الله على الصحابة رضى الله عنهم به فقال - ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - وقال النبي صلى الله عليه وسلم «أبما امرئ اشتهى شهوة فردّ شهوته وآثر على نفسه غفر له» (١) وقالت عائشة رضى الله عنها «ما شيع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام متوالية

(١) حديث أبى رجل اشتهى شهوة فردّ شهوته وآثر على نفسه غفر له ابن جبان في الضمّة، وأبو الشيخ

والاستربت حتى رويت
لإعصيت الله وأهممت
بعصية، وروى القاسم
ابن محمد عن عائشة
رضي الله عنها قالت :
كان يأبى علينا الشهر
ونصف شهر ماتدخل
بيتنا نار المصباح
ولا لسيروه قال قلت
سبحان الله فبأى
شئ كنتم تعيشون
قالت بالخر والماء وكان
لنا جيران من الأنصار
جرائم الله خير كانت
لهم منافع فربما واسونا
بشئ . وروى أن
حفصة بنت عمر رضى
الله عنها قلت لأبيها
إن الله قد أوسع الرزق
فلو أكلت طعاما
أكثر من طعامك
ولبست ثيابا ألين من
ثيابك فقال- إنى
أخاصمك إلى تنسك

حق فارق الدنيا ولوشنا لشبنا ولكننا كنا نؤثر على أنفسنا (١) « نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عند أهله شيئا فدخل عليه رجل من الأنصار فذهب بالضيف إلى أهله ثم وضع بين يديه الطعام وأمر امرأته بإطعام السراج وجعل يمد يده إلى الطعام كأنه يأكل ولا يأكل حتى أكل الضيف فلما أصبح قال له رسول الله ﷺ لقد عجب الله من منيكم اليقظة إلى ضيفكم ونزلت - ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - (٢) « فالسقاء خلق من أخلاق الله تعالى والإشارة أعلى درجات السقاء ، وكان ذلك من أدب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صام الله تعالى عظيما فقال تعالى - وإنك لى خلق عظيم - وقال سهل بن عبد الله التستري : قال موسى عليه السلام : يارب أرني بعض درجات محمد صلى الله عليه وسلم وأنته فقال : يا موسى إنك لن تطيق ذلك ولكن أريك منزلة من منازل جليله عظيمة فضلتها بها عليك وعلى جميع خلقي قال فكشف له عن ملكوت السموات فنظر إلى منزلة كادت تلف نفسه من أنوارها وقربها من الله تعالى فقال يارب بماذا بلغت به إلى هذه الكرامة قال خلق اختصاصته به من بينهم وهو الإبرار ، يا موسى لا يأتيني أحد منهم قد عمل به وقتا من عمره إلا استجيت من محاسنه وبزائه من جنت حيث يشاء . وقيل خرج عبد الله ابن جعفر إلى ضيعة له فقتل على نخيل قوم وفيه غلام أسود يعمل فيه إذ أتى الصلाम بقوته فدخل الحائط كلب ودنا من الصلाम فرمى إليه اللطم بقرص فأكله ثم رمى إليه الثاني والثالث فأكله وعبد الله ينظر إليه فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال مارأيت قال فلم أثرت به هذا الكلب قال ماهي بأرض كلاب إنه جاء من مسافة بعيدة جائعا ففكرت أن أشبع وهو جائع قال لما أنت صانع اليوم قال أطوي يومى هذا ، فقال عبد الله بن جعفر : ألام على السقاء إن هذا الصلाम لأسخى مني فاشترى الحائط والصلام ومافيه من الآلات فأعشق الصلाम ووجه منه ، وقال عمر رضى الله عنه : أهدى إلى رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال : إن أخى كان أخرج مني إليه فبعت به إليه فلم يزل كل واحد يبعث به إلى آخر حتى تداوله سبعة آيات ورجع إلى الأول ، وبات على كرم الله وجهه على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوحى الله تعالى إلى جبريل وميكائيل عليهما السلام : اني أخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأبكا يؤثر صاحبه بالحياة فاختارا كلاهما الحياة وأجابها ، فأوحى الله عز وجل إليهما أفلا كننا مثل علي بن أبي طالب أخيت بينه وبين نبي محمد صلى الله عليه وسلم فبات على فراشه يغديه بنفسه ويؤثره بالحياة ايهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجله وجبريل عليه السلام يقول بخ يحن من مثلك يا ابن أبي طالب والله تعالى يباهي بك الملائكة فأنزل الله تعالى - ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد - (٣) وعن أبي الحسن الأنطاكي أنه اجتمع

في الثواب من حديث ابن عمر بسند ضعيف وقد تقدم (١) حديث عائشة ماشيع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام متواليات ولوشنا لشبنا ولكننا نؤثر على أنفسنا البيهقي في الشعب بلطف ولكنه كان يؤثر على نفسه وأول الحديث عند مسلم بلطف ماشيع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا من خبر برحق ، مضى لسبيله وللشيخين ماشيع آل محمد منذ قدم المدينة ثلاث ليال تباعا حتى قبض ، زاد مسلم من طعام (٣) حديث نزل به ضيف فلم يجد عند أهله شيئا فدخل عليه رجل من الأنصار فذهب به إلى أهله الحديث في نزول قوله تعالى - ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - متفق عليه من حديث أبي هريرة (٣) حديث بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوحى الله إلى جبريل وميكائيل اني أخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر

ألم يصكن من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا يقول مرارا فبكت فقال قد أخبرتك والله لا شاكركه في عيشه الشديد لعل أصيب عيشة الرخاء . وقال بعضهم ما غلت لعمر دقيقا إلا وأنا له حاص . وقالت عائشة رضى الله عنها : ماشيع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام من خبر برحق مضى لسبيله . وقالت عائشة رضى الله عنها : أديعوا قرع باب الملكوت يفتح لكم ولو كيف نديم قالت بالجوع والعطش والظلمة . وقيل ظهر إليس ليحي بن زكريا عليهما السلام وعليه مابيق فقال ماهذه قال

عنده نيف وثلاثون نساً وكانوا في قرية بقرب الري ولهم أرغفة معدودة لم تشبع جمهم فمكسروا الرغفان وأطفا السراج وجلسوا للطعام فلما رفع فاذا الطعام بجاه ولم يأكل أحد منه شيئا بإثارا لصاحبه على نفسه . وروى أن شعبة جاءه سائل وليس عنده شيء فترع خشية من سقف بيته فأعطاه ثم اعتذر إليه . وقال حذيفة الصدوي انطلقت يوم البرموك أطلب ابن عم لي ومضى شيء من ماء وأنا أقول إن كان به رمق سقته ومسحت به وجهه فاذا أنا به ققلت أسقيك فأشار إلى أن نعم فاذا رجل يقول آه فأشار ابن عمي إلى أن انطلق به إليه فجثته فاذا هو هشام بن العاص ققلت أسقيك فسمع به آخر فقال آه فأشار هشام انطلق به إليه فجثته فاذا هو قد مات فرجعت إلى هشام فاذا هو قد مات فرجعت إلى ابن عمي فاذا هو قد مات رحة الله عليهم أجمعين . وقال عباس بن دهقان : ما خرج أحد من الدنيا كما دخلها إلا بضر بن الحارث فانه أتاه رجل في مرضه فشكا إليه الحاجة فزج بقصه وأعطاه إياه واستامر ثوباً فاست فيه . وعن بعض الصوفية قال : كنا بطرسوس فاجتمعنا جماعة وخرجنا إلى باب الجهاد فبعنا كلب من البلد فلما بلغنا ظاهر الباب إذا نحن بداية مينة فضعنا إلى موضع عال وقمنا فلما نظر الكلب إلى لتيه رجع إلى البلد ثم عاد بعد ساعة ومعه مقدار عشرين كلباً فباع إلى تلك الية وقد ناجة ووقعت السكلاب في الية لما زالت تأكلها وذلك الكلب قاعد ينظر إليها حتى أكلت الية وبق العظم ورجعت السكلاب إلى البلد فقام ذلك الكلب وجاء إلى تلك العظام فأكل مما بقي عليها قليلاً ثم انصرف ، وقد ذكرنا جملة من أخبار الإيثار وأحوال الأولياء في كتاب الفجر والزهد فلا حاجة إلى الإعادة هنا وبالله التوفيق وعليه التوكل فيما يرضيه عز وجل .

(بيان حد السخاء والبخل وحققتهما)

لعلك تقول قد عرف بشواهد الشرع أن البخل من الهلكات ولكن ما حد البخل وماذا يصير الإنسان بخيلاً ؟ وما من إنسان إلا هو يرى نفسه سخياً وربما يراه غيره بخيلاً وقد يصدر فعل من إنسان فيختلف فيه الناس فيقول قوم هذا بخل ويقول آخرون ليس هذا من البخل وما من إنسان إلا ويجد من نفسه حب المال ولأجله يحفظ المال ويحسبه فان كان يصير بمساك المال بخيلاً فاذا لا يملك أحد عن البخل وإذا كان الامساك مطلقاً لا يوجب البخل ولا معنى للبخل إلا الامساك لما الذي يوجب الهلاك وما حد السخاء الذي يستحق به العبد صفة السخاوة وثوابها فنقول : قد قال قتلون حد البخل منع الواجب فكل من أدى ما يجب عليه فليس ببخل وهذا غير كاف فان من يرد اللحم مثلاً إلى القصاب والخبز للخباز بنصفان حبة أو نصف حبة فانه يد بخيلاً بالانفاق وكذلك من يسلم إلى عياله القدر الذي يفرقه القاضى ثم يضيعهم في قسمة ازدادوها عليه أو نعمة أكلوها من ماله يد بخيلاً ومن كان بين يديه رغيف لخضر من يظن أنه يأكل معه فأخفاه عنه يد بخيلاً وقال قاتلون : البخل هو الذي يستصعب العطية وهو أيضاً قاصر فانه إن أريد به أنه يستصعب كل عطية فكم من بخيل لا يستصعب العطية القليلة كطبة وما يقرب منها ويستصعب ما فوق ذلك وإن أريد به أنه يستصعب بعض الطعام من جواد إلا وقد يستصعب بعض الطعام وهو ما يستغرق جميع ماله أو المال العظيم فهذا لا يوجب الحكم بالبخل وكذلك تكلموا في الجود فقيل الجود عطلة بلا من وإسطف من غير روية . وقيل الجود عطاء

الحديث في نزول قوله تعالى - ومن الناس من يثرى نفسه إيتاء مرضات الله - أحمد مختصراً من حديث ابن عباس شري على نفسه فليس ثوب التي صلى الله عليه وسلم ثم قام مكانه الحديث وليس فيه ذكر جبريل وميكائيل ولم تحذف لهذه الزيادة على أصل ، وفيه أبو بلج مختلف فيه والحديث منكر .

الشهوات التي أصيب بها ابن آدم قال هل تجد لي فيها شهوة قال لا غير أنك شبت ليلة فتفانك عن الصلاة والله كره قال لا جرم إني لا أشبع أبداً قال لا ليس لاجرم إني لأتصحح أبداً . وذلك شقيق العبادة حرقه وحانوتها الحلوة وآلاتها الجوع . وذلك لقمان لابنه إذا ملكت المدة تأمت الفكره وخرست الحسنة وقعدت الأعضاء عن العبادة . وقال الحسن لانهجوا بين الأدميين فانه من طعام المايقين وقال بعضهم أعوذ بالله من زاهد قد أقسدت معدته ألوان الأغذية فيكره للربرد أن يوالى الإفطار أكثر

من غير مسأله على رؤيه التقليل . وقيل الجود السرور بالسائل والفرح بالطعام لما أمكن وقيل الجود عطاء على رؤيه أن المال لله تعالى والعبد لله عز وجل فيعطى عبد الله مال الله على غير رؤيه الفقر وقيل من أعطى البعض وأبقى البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الأكثر وأبقى لنفسه شيئا فهو صاحب جود ومن قاسى الضر وأثر غيره بالبلغة فهو صاحب إيثار ومن لم يبذل شيئا فهو صاحب بخل وجملة هذه الكلمات غير محيطة بحقيقة الجود والبخل بل قول : المال خلق لحكمة ومقصود وهو صلاحه لحاجات الخلق ويمكن إمساكه عن الصرف إلى ما خلق للصرف إليه ويمكن بذله بالصرف إلى ما يحسن الصرف إليه ويمكن التصرف فيه بالعدل وهو أن يحفظ حيث يجب الحفظ وبذل حيث يجب البذل فالإمساك حيث يجب البذل والبذل حيث يجب الإمساك تبذير وبينهما وسط وهو الحمد وبنيى أن يكون السخاء والجود عبارة عنه إذ لم يؤمر رسول الله ﷺ إلا بالسخاء وقد قيل له - ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط - وقال تعالى - والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما - فالجود وسط بين الاسراف والاقتار وبين البسط والبخل وهو أن يقدّر بذله وإمساكه بقدر الواجب ولا يكتفى أن يفعل ذلك بجوارحه ما لم يكن قلبه طيبا به غير منازع له فيه فإن بذل في محل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو يصار بها فهو متسخ وليس يسخى بل يبنى أن لا يكون لقلبه علاقة مع المال إلا من حيث يراد المال له وهو صرفه إلى ما يجب صرفه إليه . فان قلت فقد صار هذا موقوفا على معرفة الواجب فما الذى يجب بذله . فأقول : إن الواجب فسان واجب بالشرع وواجب بالمرءة والعادة والسخى هو الذى لا يمنع واجب الشرع ولا واجب المرءة فان منع واحدا منهما فهو بخيل ولكن الذى يمنع واجب الشرع أخجل كالذى يمنع أداء الزكاة ويمنع عياله وأهله النفقة أو يؤدها ولكنه يشق عليه فانه بخيل بالطبع وإنما يسخى بالتسكف أو الذى يقيم الحديث من ماله ولا يطيب قلبه أن يعطى من أطيب ماله أو من وسطه فهذا كله بخل . وأما واجب المرءة فهو ترك المضايقة والاستقصاء في المحقرات فان ذلك مستقيم واستيعاب ذلك بختلاف الأحوال والأشخاص فمن كثر ماله استقيم منه مالا يستقيم من الفقير من المضايقة ويستقيم من الرجل المضايقة مع أهله وأقاربه وبما يليك مالا يستقيم مع الأجانب ويستقيم من الجار مالا يستقيم مع البعيد ويستقيم من الضايقة من المضايقة مالا يستقيم في المعاملة فيختلف ذلك بما فيه من المضايقة في ضيافة أو معاملة وبما به المضايقة من طعام أو ثوب إذ يستقيم في الأطعمة مالا يستقيم في غيرها ويستقيم في شراء الكفن مثلا أو شراء الأضحية أو شراء خبز الصدقة مالا يستقيم في غيره من الضايقة وكذلك بمن معه الضايقة من صديق أو أخ أو قريب أو زوجة أو ولد أو أجنبي ومن منه المضايقة من صبي أو امرأة أو شيخ أو شاب أو طام أو جاهل أو موسر أو فقير فالبخيل هو الذى يمنع حيث يبنى أن لا يمنع إما بحكم الشرع وإما بحكم المرءة وذلك لا يمكن التخصيص على مقداره ولعل حد البخل هو إمساك المال عن غرض ذلك الترض هو أم من حفظ المال فان صيانة الدين أهم من حفظ المال فإني الزكاة والنفقة بخيل وصيانة المرءة أهم من حفظ المال والضايقة في الدقائق مع من لا تحسن الضايقة معه هاتك ستر المرءة لحب المال فهو بخيل ثم تبقى درجة أخرى وهو أن يكون الرجل بمن يؤدى الواجب ويحفظ المرءة ولكن معه مال كثير قد جمعه ليس يصرفه إلى الصدقات وإلى المحتاجين فقد تقابل غرض حفظ المال ليكون له عدة على نوائب الزمان وغرض الثواب ليكون رافعا لدرجته في الآخرة وإمساك المال عن هذا الترض بخيل عند الأكياس وليس يبخل عند عوام الخلق ، وذلك لأن نظر العوام مقصور على حظوظ الدنيا فيرون إمساكه لدفع نوائب الزمان مهما وربما يظهر عند العوام أيضا

من أربعة أيام فان النفس عند ذلك تركن إلى العادة وتنسج بالهوية . وقيل الدنيا بطنك فلي قدر زهدك في بطنك زهدك في الدنيا . وقال عليه السلام « مالا آدمى وعاء شرا من بطن حسب ابن آدم لقات يقمن عليه فان كان لاهالة ثلث لطامه وثلاث لشرايه وثلاث لنفسه » وقال فتح الوصى : محبت ثلاثين شيئا كل يوصي عند مفارقتي إياه بترك عشرة الأحداث وقلة الأكل .

[الباب الأربعون في اختلاف أحوال الصوفية بالصوم والإفطار]
جمع من الشايع

صمة البخل عليه إن كان في جواره محتاج فتمه وقال قد أدبت الزكاة الواجبة وليس لي غير هاو بخلاف
استتياح ذلك باختلاف مقدار ماله وباختلاف شدة حاجة المحتاج وصلاح دينه واستتقاقه فن أدى
واجب الشرع وواجب للرودة اللاتمة به فقد تبرأ من البخل ، ثم لا يتصف بصفة الجود والسخاء مالم
يبدل زيادة على ذلك لطالب الفضيلة ونيل الدرجات فإذا اتسعت نفسه لبذل المال حيث لا يوجه الشرع
ولا تتوجه إليه اللاتمة فهو العادة فهو جواد بقدر ما تشع له نفسه من قليل أو كثير ودرجات ذلك
لأخصر وبعض الناس أجود من بعض فاصطناع المعروف وراء ما توجه العادة والرودة هو الجود
ولكن بشرط أن يكون عن طيب نفس ولا يكون عن طمع ورجاء خدمة أو مكافأة أو شكر
أو ثناء فان من طمع في الشكر والثناء فهو يبايع وليس بجواد فانه يشتري اللع باله والمكافأة بالشكر
وهو مقصود في نفسه والجود هو بذل الشيء من غير عوض هذا هو الحقيقة ولا يتصور ذلك إلا من
الله تعالى وأما آدمي فاسم الجود عليه مجاز إذ لا يبدل الشيء إلا لفرض ولكنه إذا لم يكن غرضه إلا
الثواب في الآخرة أو اكتساب فضيلة الجود وتطهير النفس عن رذالة البخل فيسمى جوادا فان كان
الباعث عليه الخوف من الهلاك مثلا أو من ملامة الخلق أو ما يتورع منه من تقع به من اللطم عليه فكل
ذلك ليس من الجود لأنه مضطر إليه بهذه البواعث وهي أعراض معجلة له عليه فهو معارض لا جوادا كما
روى عن بعض التبعيدات أنها وقعت على حبان بن هلال وهو جالس مع أصحابه فقالت هل فيكم من أسأله
عن مسألة فآثروا لها سلى محاشئت وأشاروا إلى حبان بن هلال فقالت ما السخاء عنكم قالوا العطاء
والبذل والائثار قالت هذا السخاء في الدنيا فما السخاء في الدين قالوا أن نعبد الله سبحانه سخيعة بها
أفئسنا غير مكرهة قالت تريدون على ذلك أجرا ؟ قالوا نعم قالت وإلّا قالوا لأن الله تعالى وعدنا بالجنة عشر
أمثالها قالت سبحانه الله فإذا أعطينتم واحدة وأخذتم عشرة فبأي شيء تسخيت عليه قالوا لها فما
السخاء عنكم رحمك الله قالت السخاء عندي أن تعبدوا الله متمعين متلذذين بطاعته غير كارهين
لا تريدون على ذلك أجرا حتى يكون مولاكم يفعل بكم ما يشاء ألا تستحيون من الله أن يطاع على
قلوبكم فيعلم منها أنكم تريدون شيئا بشيء ؟ إن هذا في الدنيا قبيح وقالت بعض التبعيدات أنتم تبون
أن السخاء في الدرهم والدينار فقط قيل فقيم قالت السخاء عندي في اللع وقال الحسن السخاء في الدين
أن تسخو بنفسك لتفعلها لله عز وجل ويسخو قلبك ينذل مهجتك وإهراق دمك لله تعالى بسباحة من
غير إكراه ولا تريد بذلك ثوابا عاجلا ولا آجلا وإن كنت غير مستغن عن الثواب ولكن يغلب عليك ظنك
حسن كمال السخاء بترك الاختيار على الله حتى يكون مولاك هو الذي يفعل لك ما لا تحب أن تختار لنفسك .

(بيان علاج البخل)

اعلم أن البخل سببه حب المال ولحب المال سببان : أحدهما حب الشهوات التي لا وصول إليها إلا بالمال
مع طول الأمل فان الإنسان لو علم أنه يموت بعد يوم ربما أنه كان لا يميل بماله إذ القدر الذي يحتاج
إليه في يوم أو في شهر أو في سنة قريب وإن كان قصير الأمل ولكن كان له أولاد أو أم الولد المقام طول
الأمل فانه يقدر بقادم كقوام نفسه فيمسك لأجلهم ولذلك قال عليه السلام « الولد بمخلعة تجبة
مجهلة ^(١) » فإذا انضاف إلى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بحي « الرزق قوى البخل لاجلها . السبب الثاني :
أن يحب عين المال فمن الناس من معه ما يكفيه لبقية عمره إذا قصر على ما جرت به عادته بنفقته وتفضل
آلاف وهو شيخ بلا ولد ومعه أموال كثيرة ولا تسمح نفسه بإخراج الزكاة ولا بداءة نفسه عند

(١) حديث الولد بمخلعة زاد في رواية حمزة ابن ماجة من حديث يعلى بن مرة دون قوله حمزة بن عرواه
بهذه الزيادة أبو يعلى واليزار من حديث أبي سعيد والحاكم من حديث الأسود بن خلف وإسناده صحيح .

الصوفية كانوا يدعون
الصوم في السفر والحضر
على الدوام حتى لحقوا
بالله تعالى . وكان
أبو عبد الله بن جابر
قد صام نيفا وخمسين
سنة لا يفطر في السفر
والحضر فجهد به
أصحابه يوما فأفطر
فاعتل من ذلك أياما
فإذا رأى المرید صلاح
قلبه في دوام الصوم
فليصم دائما وبدع
للافطار جانبا فهو
عون حسن له على
ما يريد . روى
أبو موسى الأشعري قال
قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم « من
صام الدهر ضيق
عليه جهنم هكذا وعند
تسعين « أي لم يكن له
فيها موضع وكرم قوم
صوم الدهر وقد ورد

المرض بل صار محبا للذنانير عشقا لها يلتذ بوجودها في يده ويقدّمته عليها فيكنزها تحت الأرض وهو يعلم أنه يموت فتضيع أوبأخذها أعداؤه صومع هذا فلا تسمع نفسه بأن يأكل أو يصدق منها بحجة واحدة وهذا مرض للقلب عظيم عسير العلاج لا سبيل في كبر السن وهو مرض مزمن لا يرجى علاجه ومثال صاحبه مثال رجل عشق شخصا فأحب رسوله لنفسه ثم نسي محبته واشتغل برسوله فان الذنانير رسول يبلغ إلى الحاجات فصارت محبوبة لذلك لأن الوصول إلى اللذيق القديم قد نسي الحاجات وبصير الذهب عنده كأنه محبوب في نفسه وهو غاية الضلال بل من رأى بينه وبين الحجر فرق فهو جاهل بالأمن حيث قضاء حاجته به فالفاضل عن قدر حاجته والحجر بمثابة واحدة فهذه أسباب حب المال وإنما علاج كل علة بمضادة سببها فتعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير والبصر وتعالج طول الأمل بكثرة ذكر الموت والنظر في موت الأقران وطول تعمهم في جمع المال وضايعة بعدهم وتعالج التفات القلب إلى الولد بأن خالقه خلق معه رزقه ولكم من ولد لم يرث من أبيه مالا وحاله أحسن بمن ورث وبأن يعلم أنه يجمع المال لولده يريد أن يترك ولده بخير ويقلب هو إلى شر وإن كان تنبأ حاله فانه كافيه وإن كان فاسقا فيستعين بماله على النصية وترجع مظلمته إليه ويصالح أيضا قلبه بكثرة التأمل في الأخبار الواردة في ذم البخل ومدح السخاء وما نوهده الله به على البخل من العقاب العظيم ومن الأدوية النافعة كثرة التأمل في أحوال البخلاء ونفرة الطبع عنهم واستباحهم له فانه ما من بخيل إلا ولا يستمتع البخل من غيره ولا يستقل كل بخيل من أصحابه فيعلم أنه مستقل ومستغنى في قلوب الناس مثل سائر البخلاء في قلبه ويصالح أيضا قلبه بأن يتفكر في مقاصد المال وأنه لما ساد خلق ولا يعظم من المال إلا بقدر حاجة إليه والباقي يدخره لنفسه في الآخرة بأن يحصل له ثواب بفضل هذه الأدوية من جهة المعرفة والعلم فاذا عرف بنور البصيرة أن البذل خير لمن الممالئ في الدنيا والآخرة هاجت رغبته في البذل إن كان عاقلا فان تحركت الشهوة فينبغي أن يحجب الحافظ الأول ولا يتوقف فان الشيطان يعمده الفقر وخوفه ويصد عنه . حكى أن أبا الحسن البوشنجي كان ذات يوم في الحلاء فدعا تلميذه له وقال انزع عني القميص وادفعه إلى فلان فقال هلا صبرت حتى تخرج قال لم آمن على نفسي أن تتبرير وكان قد خطر لي بذله ولا تزول صفة البخل إلا بالبذل تكسفا كالإيزول المشقى إلى بمقارعة للشوق بالسرعة من مستقره حتى إذا سافر وفارق تكسفا وصبر عنه مدة تسلى عنه قلبه فكذلك الذي يريد علاج البخل ينبغي أن يفارق المال تكسفا بأن يبذله بل لورما كان أولى به من إسساكه إياه مع الحب له ومن لطائف الخيل فيه أن يخدع نفسه بحسن الاسم والاشتهار بالسخاء فيبذل على قصد الرياء حتى تسمح نفسه بالبذل طمعا في حشمة الجود فيكون قد أزال عن نفسه خبث البخل واكتسب بها خبث الرياء ولكن ينطف بعد ذلك على الرياء ويرزله بعلاجه ويكون طلب الاسم كالتسلية للنفس عند فطامها عن المال كأفد يسلى الصبي عند الفطام عن الثدي باللعب بالعصافير وغيرها لا يلحق واللعب ولكن لينتقل عن الثدي إلى غيره فكذلك هذه الصفات الحبيثة ينبغي أن يسلط بعضها على بعض كاتسلط الشهوة على الغضب وتكسر سورته بها ويسلط الغضب على الشهوة وتكسر رعوها به إلا أن هذا مفيد في حق من كان البخل أغلب عليه من حب الجاه والرياء فيبدل الأقوى بالأضعف فان كان الجاه محبوا عنده كالمال فلا فائدة فيه فانه يقام من علة ويريد في أخرى مثلها إلا أن علامة ذلك أن لا تقتل عليه البذل لأجل الرياء فذلك يتبين أن الرياء أغلب عليه فان كان البذل يشق عليه مع الرياء فينبغي أن يبذل فان ذلك يدل على أن مرض البخل أغلب على قلبه ومثال دفع هذه الصفات بعضها ببعض ما يقال إن الميت تستحيل جميع أجزائه دودا ثم يأكل بعض الديدان البعض حتى يقل عددها

في ذلك ما روي أنه أبو قتادة قال مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف بمن صام الدهر قال «لا صام ولا أفطر» وأول قوم أن صوم الدهر هو أن لا يفطر العبد في أيام التشريق فهو الذي يكفه وإذا أفطر هذه الأيام ليس هو الصوم الذي كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من كان يصوم يوما ويفطر يوما وقد ورد «أفضل الصيام صوم أخي داود عليه السلام كان يصوم يوما ويفطر يوما» واستحسن ذلك قوم من الصالحين ليسكون بين حال الصبر وحال الشكر . ومنهم من كان يصوم يومين ويفطر يوما أو يصوم

ثم يأكل بعضها بضاحق ترجع إلى التفتين قويتين عظيمتين ثم لا تزالان تتقاتلان إلى أن تطلب إحداهما الأخرى فأكلها وتضمن بها ثم لا تزال تبقى جائعة وحدها إلى أن تموت فكذلك هذه الصفات الحسنة يمكن أن يسلط بعضها على بعض حتى يضمها ويحل الأضف قوتا للأقوى إلى أن لا يبقى إلا واحدة ثم تقع الصاية بحمورها وإذا بها بالجاهدة وهو منع القوت عنها ومنع القوت عن الصفات أن لا يصل بقتضاها فاتها تنقض لأحالة أحمالها وإذا خولفت خدعت الصفات وامتثل البخل فانه يقتضى إمساك المال فإذا منع مقتضاه وبذل المال مع الجهد مرة بعد أخرى ماتت صفة البخل وصار البخل بطباعا وسقط الحب فيه فان علاج البخل بلم وعمل فالعلم يرجع إلى معرفة آفة البخل وفائدة الجود والعمل يرجع إلى الجود والبذل على سبيل التكشف ولكن قد بقوى البخل بحيث يسمى بصمم فيمنع تحقيق المعرفة فيه وإذا لم يحقق المعرفة لم تحرك الرغبة فلم يتيسر العمل فتبقى الملة زمينة كالمرض الذي يمنع معرفة الدواء وإمكان استعماله فانه لأجله فيه الإلصاق إلى الموت وكان من عادة بعض شيوخ الصوفية في معالجة علة البخل في الريدين أن يمنهم من الاختصاص بزواياهم وكان إذا توم في مريد فرحه بزأوته وما فيها فله إلى زاوية غيرها وقيل زاوية غيره إليه وأخرجه عن جميع مامله وإذا رأى يلتفت إلى ثوب جديد يلبسه أو سجادة يفرح بها بأمره بتسليمها إلى غيره ويلبسه ثوبا خلقا لا يميل إليه قلبه فهذا يتجافى القلب عن متاع الدنيا فمن لم يسلك هذا السبيل أنسى الدنيا وأحبها فان كان له ألف متاع كان له ألف محبوب ولذلك إذا سرق كل واحد منه ألت به مصيبة بقدر حبه فإذ مات زل به ألف مصيبة دعة واحدة لأنه كان يحب الكل وقد سابعه بل هو في حياته على خطر الصيبة لا يفقد والملاك . حمل إلى بعض الملوك قرح من فيروزج مرصع بالجواهر لم ير له نظير فقرح الملك بذلك فرحا شديدا فقال لبعض الحكماء عنده كيف ترى هذا قال أراء مصيبة أو قرحا قال كيف قال إن كسر كان مصيبة لأجير لها وإن سرق صرت فقيرا إليه ولم تجده مثله وقد كنت قبل أن يعمل إليك في أمن من الصيبة والفقر ثم اتفق يوما أن كسر أو سرق وعظمت مصيبة الملك عليه فقال صدق الحكماء إيت به ليعمل إلينا وهذا شأن جميع أصياف الدنيا فان الدنيا عدوة لأعداء الله إذ تدعوهم إلى الذر وعدوة أولياء الله إذ تمنهم بالصبر عنها وعدوة الله إذا تقطع طريقه على عباده وعدوة نفسها فانها تأكل نفسها فان المال لا يحفظ إلا بالحزائن والحراس والحرائن والحراس لا يمكن تحصيلها إلا بالمال وهو بذل الدرهم والدنانير فالمال يأكل نفسه ويضاد ذاته حتى يبقى ومن عرف آفة المال لم يأمن به ولم يفرح به ولم يأخذ منه إلا بقدر حاجته ومن قنع بقدر الحاجة فلا يبخل لأن ما أمسكه لحاجته فليس يبخل ولا يحتاج إليه فلا يتعب نفسه بحفظه فيدله بل كالماء على شط الدجلة إذ لا يبخل به أحد لقناعة الناس منه بتقدير الحاجة.

(بيان مجموع الوظائف التي على العبد في ماله)

اعلم أن المال كما وصفناه خير من وجه وشر من وجه ومثاله مثال حبة يأخذها الرافق ويستخرج منها الترياق ويأخذها الغافل فيقتله معها من حيث لا يدري ولا يحلو أحد عن سم المال إلا بالهفظة على خمس وظائف . الأولى : أن يعرف مقصود المال وأنه لما ذا خلق وأنه لم يخلق محتج إليه حتى يكتبك ولا يحفظ إلا قدر الحاجة ولا يبطيه من مته فوق ما يستحقه . الثانية : أن يراعى حبة دخل المال فيجنب الحرام المحض وما التالب عليه الحرام كمال السلطان ومحتجب الجهات المكروهة العارضة في الرودة كالمدايا التي فيها شوائب الرشوة والكسوال الذي فيه الذلة وهتك الرودة وما جرى مجراه . الثالثة : في التقدير الذي يكتبك فلا يستكثر منه ولا يستقل بل التقدير الواجب ومعياره الحاجة والحاجة ملبس ومسكن ومطمح ولكل واحد ثلاث درجات أدنى وأوسط وأعلى وما دام ما مثلا إلى جانب القلة ومنع من حد

يوما ويغفر يومين

ومنهم من كان يصوم

يوم الاثنين والخميس

والجمعة . وقيل : كان

سهل بن عبد الله يأكل

في كل خمسة عشر يوما

مرة وفي رمضان يأكل

أكلة واحدة وكان

يعطى بالماء القراح

للسنة . وحكى عن

الجنيد أنه كان يصوم

على الدوام فإذا دخل

عليه إخوانه أفرط معهم

ويقول ليس فضل

للساعدة مع الإخوان

بأقل من فضل الصوم

غير أن هذا الاقطار

يحتاج إلى علم فقد

يكون الداعي إلى ذلك

شره النفس لا يسهة

للوافقة وتحبب السية

لخص الوافقة مع

وجود شره النفس

صعب ، وصحت شيحا

الضرورة كان حقا ويحيى من جملة المحققين وإن جاوز ذلك وقع في هاوية لا آخر لمعلمها وقد ذكرنا تفصيل هذه الدرجات في كتاب الزهد . الرابعة : أن راعى جهة اصرح ويقتصد في الاخلاق غير مبذر . ولا مقتركا ذكر كراهه فيضع ما اكتسبه من حله في حقه ولا يسهه في غيره حقه فان الالم في الأخذ من غير حقه والوضع في غير حقه سواء . الخامسة : أن يصلح نيته في الأخذ والترك والاتقيا والامساك فيأخذ ما يأخذ ليمتص به على العبادة ويترك ما يترك زهدا فيه واستحقارا له إذا فعل ذلك لم يضره وجود المال ولذلك قال على رضي الله عنه لو أن رجلا أخذ جميع ما في الأرض وأراد به وجه الله تعالى فهو زاهد ولو أنه ترك الجميع ولم يرد به وجه الله تعالى فليس زاهدا فلتكن جميع حركاتك وسكناتك لله مقصورة على عبادة أو مابين في العبادة فان أبعد الحركات عن العبادة الأكل وقضاء الحاجة وهما ميعان على العبادة فإذا كان ذلك قصدك بهما صار ذلك عبادة في حقا وكذلك ينبغي أن تكون نيتك في كل ما يحفظك من قيس وإزار وفراش وآنية لأن كل ذلك مما يحتاج إليه في الدين وما فضل من الحاجة ينبغي أن يقصد به أن ينتفع به بعد من عباد الله ولا يمنعه منه عند حاجته فمن فعل ذلك فهو الذي أخذ من حبة اللال جوهرها وزياتها واتقى معها فلا يضره كثرة اللال ولكن لا يأتى ذلك إلا لمن رسع في الدين قدمه وعظم فيه علمه والعلم إذا تشبه بالعالم في الامتسكار من اللال وزعم أنه يشبه أغنياء الصحابة شابه الصبي الذي يرى للزعم الخافق بأخذ الحية وينصرف فيها فيخرج زياتها فيقتدى به ويظن أنه أخذها مستحسنا صورتها وشكلها ومستلينا جلدها فيأخذها اقتداء به تقتله في الحال إلا أن قيل الحية يدرى أنه قتل وقيل السال قد لا يعرف وقد شبهت الدنيا بالحية قصيل :

هي دنيا كية تنفث السم وإن كانت الحية لانت

وكا يستحيل أن يشبه الأعمى بالسمير في تخطي قلال الحبال وأطراف البحر والطرق للشوكا لفعال أن يشبه العالمى بالعالم الكامل في تناول اللال .

(بيان ذم النفي ومدح الفقر)

اعلم أن الناس قد اختلفوا في تفضيل النفي الشاكر على الفقير الصاب وقد أوردنا ذلك في كتاب الفقر والزهد وكشفنا عن تحقيق الحق فيه ولكنا في هذا الكتاب ندل أن الفقر أفضل وأجل من النفي على الجملة من غير التفات إلى تفصيل الأحوال ويقتصر فيه على حكاية فضل ذكره الحارث المحاسبي رضي الله عنه في بعض كتبه في الرد على بعض العلماء من الأغنياء حيث احتج بأغنياء الصحابة وبكثرة مال عبد الرحمن بن عوف وشبه نفسه بهم والمحاسبي رحمه الله حرا لأمة في علم العلامة والسبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس وآفات الأعمال وأغوار العبادات وكلامه جدير بأن يحكى على وجهه وقد قال بعد كلام له في الرد على علماء السوء : بلنا أن عيسى ابن مريم عليه السلام قال يا غدا السوء تقصمون وتصلون وتصدقون ولا تصلون ماتوا مرمون وتدرسون مالا تعملون فيأسوا ما تمكثون تبويون بالقول والأمانى وتعملون بالموى وما يضي عنكم أن تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق أقول لكم لا تسكنوا كالمخلخل يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه النخاله كذلك أتم يخرجون الحكم من أفواهكم ويبقى التل في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضى من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته بحق أقول لكم إن قلوبكم بيكن من أعمالكم جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل تحت أقدامكم بحق أقول لكم أفصدتم آخرتكم صلاح الدنيا أحب إليكم من صلاح الآخرة فأى الناس أخسر منكم لو تعلمون ويسلم حتام تصفون الطريق للديبلين وتقيمون في محل التعيرين

يغول إلى سجين ما أكلت شيئا يشبهه نفس ابتداء واستدعاء بل يقدم إلى النفي فأراه من فضل الله ونعمته وفضله فأوافق الحق في ضله . وذكر أنه في ذات يوم اشتبهى الطعام ولم يحضر من عادته تقديم الطعام إليه قال ففتحت باب البيت الذي فيه الطعام وأخذت رمانة لا أكلها فدخلت النسور وأخذت دجاجة كانت هناك فقلت هذا عقوبة لي على تصرفي في أخذ الرمانة . ورأيت الشيخ أبا السعود رحمه الله يتناول الطعام في اليوم مرات وأى وقت أحضر الطعام أكل منه ويرى أن تناوله للطعام موافقة الحق لأن حاله مع الله أن ترك الاختيار في ما كوله وملبوسه

كانكم تدعون أهل الدنيا ليركوها لكم مهلا مهلا وبلكم ماذا ينش عن البيت الظلم أن يوضع
التراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا ينش عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم
منه وحشة مظلمة بأبيد الدنيا لا كسيد أخياء ولا كأحرار كرام توهك الدنيا أن تخلعكم عن
أصولكم فتلقكم على وجوهكم ثم تنكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيركم ثم تدفعكم
من خلفكم حتى تسلك إلى الملك المهيمن هراة فرادى فيوتقكم على سواصمكم ثم يجزكم بسوء
أعمالكم ثم قال الحارث رحمه الله إخواني فهؤلاء علماء السوء هياطين الإنس وقتله على الناس رغبوا
في عرض الدنيا ورفضوا وأكروها على الآخرة وأذلوا الدين للدنيا فهم في الساجل عار وفي الآخرة
هم الخاسرون أو يصفو الكبريم بغضه [وبعد] فافترأيت الممالك المؤثر للدينا سروره بمزج بالتشخيص
فيشعب عنه أنواع الممومون والمعاصي وإلى البوار والتلف مصيره فرح المالك برجاله فلم يبق له
دينه ولم يسلم له دينه - خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين - فيالها من مصيبة ما أقفلها
ورزية ما أجهلها الأفراسياف إخواني ولا يفرنكم الشيطان وأولياؤه الأنسين بالحبيج الداحضة
عند الله فانه يتكالبون على الدنيا ثم يطلبون لأخسهم للماذير والحبيج ويرجمون أن اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت لهم أموال فيزين القرورون بذكر الصحابة لينذرهم الناس على
جمع المال وقصدعاهم الشيطان وما يشعرون وحك أيها القتون إن احتجاجك بمال عبد الرحمن
ابن عوف مكيدة من الشيطان ينطق بها على لسانك قهلك لأنك متى زعمت أن أخبار الصحابة
أرادوا المال للتكاثر والتصرف والزيارة قد اغتبت السادة ونسبتهم إلى أمر عظيم ومتى زعمت أن
جمع المال الحلال أكل وأضل من تركه قد ازدريت محمدا والمرحلين ونسبتهم إلى قلة الرغبة والزهد
في هذا الخير الذي رغب فيه أنت واصحابك من جمع المال ونسبتهم إلى الجبل إذ لم يجمعوا المال
كما جمعت ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أكل من تركه قد زعمت أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم لم ينصح للأمة إذ نهى عن جمع المال ^(١) وقد علم أن جمع المال خير للأمة فقد غشهم بزعمك
حين نهى عن جمع المال كذبت ورب السماء على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقد كان للأمة
ناسما وعليهم مشققا وبهم رؤؤفا ومتى زعمت أن جمع المال أفضل قد زعمت أن الله عز وجل لم ينظر
لباده حين نهى عن جمع المال وقد علم أن جمع المال خير لهم أوزعمت أن الله تعالى لم يسلم أن الفضل
في الجمع فذلك نهى عنهم وأنت علم بما في المال من الخير والفضل فذلك رغبت في الاستكثار كأنك
أعلم بموضع الخير والفضل من ربك تعالى الله عن جهلك أيها القتون تدبر بقولك مادهاك به الشيطان
حين زين لك الاحتجاج بمال الصحابة وحك ما ينفعك الاحتجاج بمال عبد الرحمن بن عوف وقد
ود عبد الرحمن بن عوف في القيامة أنه لم يوت من الدنيا إلا قوتا وقد بلغني أنه لما توفي عبد الرحمن
ابن عوف رضى الله عنه قال أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إننا نخاف على عبد الرحمن
فما ترك فقال كعب سبحان الله وما تخافون على عبد الرحمن كعب طيبا وأفق طيبا وترك طيبا
فبلغ ذلك أبا ذر فخرج مضيا يريد كعبا فرأى بعظم على بعير فأخذه يده ثم انطلق يريد كعبا قبل
لكعب إن أبا ذر يبلطك فخرج هاربا حتى دخل على عثمان يستغيث به وأخبره الخبر وأقبل أبو ذر
يقص الأثر في طلب كعب حتى انتهى إلى دار عثمان فلما دخل قام كعب فيجلس خلف عثمان هاربا من

(١) حديث الترمذي عن جمع المال ابن عدى من حديث ابن مسعود ما أوحى الله إلى أن أجمع
السال وأكون من التاجرين الحديث ولأبي نعيم والحطيب في التاريخ والبيهقي في الزهد من حديث
الحارث بن سويد في أثناء الحديث التجمعوا ما لا تأكلون وكلاما ضيف .

وجميع تصاريغه وكان
حاله الوقوف مع فعل
الحق وقد كان له في
ذلك بداية يميز مثلها
حتى قل أنه كان يثق
أيما لا يأكل ولا يلم
أحد بجناه ولا يتصرف
هو نفسه ولا يتسبب
إلى تناول شيء وينظر
فعل الحق لسياقه الرزق
إليه ولم يشعر أحد
بمخالفة من الرمان ثم
إن الله تعالى أظهر حاله
وأقام له الأصحاب
والتسليمات وكانوا
يشكفون الأطمعة
ويأتون بها إليه وهو
يرى في ذلك فضل الحق
وللواقعة . سمته يقول
أصبح كل يوم وأحب
ما إلى الله وم يقض
الحق على محب الصوم
فعله فأوافق الحق في
فعله . وحكى عن بعض

أبي ذرٍّ قال له أبو ذرٍّ هيه يا ابن اليهودية زعم أن لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما نحو أحد وأنا معه فقال « يا أبا ذرٍّ قلت ليك يا رسول الله فقال : الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا عن يمينه وشماله وقدمه وخلفه وليليل مام ثم قال يا أبا ذرٍّ قلت نعم يا رسول الله بآبي أنت وأمي ، قال ما يسرني أن لي مثل أحد أخيه في سبيل الله أموت يوم أموت وأترك منه قيراطين قلت أو قنطارين يا رسول الله ؟ قال بل قيراطان ثم قال يا أبا ذرٍّ أنت تريد الأكثر وأنا أريد الأقل ^(١) » فرسول الله يريد هذا وأنت تقول يا ابن اليهودية لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف كذبت وكذب من قال فلم يرد عليه خوفا حتى خرج وبلغنا أن عبد الرحمن بن عوف قدمت عليه عير من اليمن فضجت للدينة منجبة واحدة قالت عائشة رضى الله عنها ما هذا ؟ قيل عير قدمت لعبد الرحمن قالت صدق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك عبد الرحمن فسألها فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إني رأيت الجنة فرأيت قراء المهاجرين وللسلمين يدخلون سبياً ولم أر أحداً من الأغنياء يدخلها معهم إلا عبد الرحمن بن عوف يدخلهم معهم حيوا ^(٢) » فقال عبد الرحمن إن العير وما عليها في سبيل الله وإن أرقاها أحررا لعلني أن أدخلها معهم سبياً وبلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن بن عوف « أما إنك أول من يدخل الجنة من أغنياء أمي وما كدت أن تدخلها إلا حيوا ^(٣) » وبجك أيها الفتون فما احتجاجك بالسائل وهذا عبد الرحمن في فضله وتواضعه وصانته للعروف وبذله الأموال في سبيل الله مع محبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبجره بالجنة ^(٤) أيضا يوقف في عرصات القيامة وأهوالها بسبب مال كسبه من حلال للتمتع ولصنائع العروف وأشفق منه فقدا وأعطى في سبيل الله سمحا منع من السعي إلى الجنة مع الفقراء المهاجرين وصار يحبو في آثارهم حيوا . فساظك بأماننا الفرق في فن الدنيا وبعد فالعجب كل العجب لك يا مفتون تتمرغ في تخاليط الشهوات والسحت وتكالب على أوساخ الناس وتقلب في الشهوات والزينة واللباهة وتقلب في فن الدنيا ثم تحتج بعبد الرحمن وتزعم

(١) حديث أبي ذرٍّ الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا الحديث متفق عليه وقد تقدم دون هذه الزيادة التي في أوله من قول كعب حين مات عبد الرحمن بن عوف كعب طيبا وترك طيبا وإنكار أبي ذرٍّ عليه فلم أقف على هذه الزيادة إلا في قول الحارث بن أسد الهامسي يأنى كاذ كره للصف وقد رواها أحمد وأبو يعلى أخضر بن هذا ولفظ كعب إذا كان قضى عنه حق الله فلا بأس به فرفض أبو ذرٍّ عساه فضرب كعبا وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما أحب لو كان هذا الجبل لي ذهب الحديث وفيه ابن لمبة (٢) حديث عائشة رأيت الجنة فرأيت قراء المهاجرين وللسلمين شفا الحديث في أن عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حيوا رواه أحمد مختصرا في كون عبد الرحمن يدخل حيوا دون ذكر بقراء المهاجرين وللسلمين وفيه عمارة بن زاذان مختلف فيه الحديث (٣) حديث أنه قال أما إنك أول من يدخل الجنة من أغنياء أمي وما كدت أن تدخلها إلا حيوا البزار من حديث أنس بسند ضعيف والحاكم من حديث عبد الرحمن بن عوف يا ابن عوف إنك من الأغنياء ولن تدخل الجنة إلا زحفا وقال جميع الإسناد قلت بل ضعيف فيه خالد بن أبي مالك ضعف الجمهور (٤) حديث بشر النبي صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف بالجنة الترمذي والنسائي في الكبرى من حديثه أبو بكر في الجنة الحديث وفيه وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وهو عند الأروسة من حديث سميد بن زيد قال البخاري والترمذي وهذا أصح

الصادقين من أهل واسط أنه صام سنين كثيرة وكان يظهر كل يوم قبيل غروب الشمس إلى رمضان . وقال أبو نصر السراج أنكرتوم هذه الخالقة وإن كان الصوم تطوعا واستحسنه آخرون لأنه صاحبه كان يريد بذلك تأديب النفس بالجوع وأن لا يتمتع برؤية الصوم ووقع لي أن هذا إن قصد أن لا يتمتع برؤية الصوم فقد تمت برؤية عدم التمتع برؤية الصوم وهذا يتسلسل والأليق بمواقفة العلم إمضاء الصوم قال الله تعالى -ولا تبطلوا أعمالكم- ولكن أهل الصدق لهم نيات فيما يفعلون فلا يمارضون والصدق

ألمك إن جمعت المال قد جمعه الصحابة كأنك أشبهت السلف وتعلمهم ويحك إن هذا من قياس إبليس ومن خياله لأوليائه وأسأف لك أحوالك وأحوال السلف لتعرف فضائلك وفضل الصحابة والعمرى لقد كان بعض الصحابة أموالاً أرادوها فلتفتت والبذل في سبيل الله فكسبوا حلالاً وأكلوا طيباً وأففقوا قسداً وقد أموا فضلاً ولم يمنوا منها حقاً ولم ينفخوا بها لكتم جادوا لله بأكثرها وجاد بعضهم بجميعهم وفي الشدة آثروا الله على أنفسهم كثيراً فبأنه أذكلك أنت والله إنك لجيد الشبه بالقوم [وبعد] فإن أخبار الصحابة كانوا للسكة محبين ومن خوف الفقر آمنين وبأنه في أرزاقهم وأتقن وعقادر الله مسرورين وفي البلاء راضين وفي الرخاء شاكرين وفي الضراء صابرين وفي السراء حامدين وكانوا متمواضين وعن حب المال والكثرة ورعين لبناؤوا من الدنيا إلا الباع لهم ورضوا بالبلغة منها وزجوا بالدنيا وصبروا على مكارها وتجرعوا مرارها وزهدوا في نعيمها وزهراتها فبأنه أذكلك أنت . ولقد بلغنا أنهم كانوا إذا أقبلت الدنيا عليهم حزناً وقالوا ذنب جعلت عقوبتي من الله وإذا رأوا الفقر مقبلاً قالوا مرحبا بشار الصالحين وبلغنا أن بعضهم كان إذا أصبح وعند عياله شيء أصبح كئيباً حزينا وإذا لم يكن عندهم شيء أصبح فرحاً مسروراً قيل له إن الناس إذا لم يكن عندهم شيء حزناً وإذا كان عندهم شيء فرحوا وأنت لست كذلك قال إنى إذا أصبحت وليس عند عيالي شيء فرحت إذ كان لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة وإذا كان عند عيالي شيء اغتممت إذ لم يكن لي بآل محمد أسوة وبلغنا أنهم كانوا إذا سلك بهم سبيل الرخاء حزناً وأشفقوا وقالوا مالنا والدنيا وما يراد بها فكأنهم على جناح خوف وإذا سلك بهم سبيل البلاء فرحوا واستبشروا وقالوا الآن تماهدنا ربنا فهذه أحوال السلف ونعيمهم وفيهم من الفضل أكثر مما وصفنا . فبأنه أذكلك أنت إنك لجيد الشبه بالقوم وأسأف لك أحوالك أيها القتون ضداً لأحوالهم وذلك أنك تطفى عند القنى وتبطر عند الرخاء . وتبرح عند السراء وتغفل عن شكر ذي النعماء وتنفط عند الضراء وتسخط عند البلاء ولا ترضى بالقضاء نعم وتبغض الفقر وتأف من السكة وذلك غر الرسلين وأنت تأف من غفرهم وأنت تدخر المال وتجمعه خوفاً من الفقر وذلك من سوء الظن بالله عز وجل وقلة اليقين بفضله وكئيبه إنما وعساك تجمع المال لنعيم الدنيا وزهراتها وشبهاتها ولقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « شرار أمي الذين غدوا بالنعم فربت عليهم أجسامهم ^(١) » وبلغنا أن بعض أهل العلم قال لجيء يوم القيامة قوم يطلبون حسنات لهم فيقال لهم - أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها - وأنت في غفلة قد حرمت نعيم الآخرة بسبب نعيم الدنيا فبأنها حسرة ومصيبة نعم وعساك تجمع المال للكثرة والمال والفقر والزينة في الدنيا . وقد بلغنا أنه من طلب الدنيا للكثرة أولئفاخر لقي الله وهو عليه غضبان وأنت غير مكترث بما حل بك من غضب ربك حين أردت التكاثر والمال نعم وعساك المسكت في الدنيا أحب إليك من النقلة إلى جوار الله فأنت تنكره لقاء الله والله لقاءك أكره وأنت في غفلة وعساك تأسف على ما فاتك من عرض الدنيا . وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من أسف على دنياه فاته اقرب من النار مسيرة شهر وقيل سنة » وأنت تأسف على ما فاتك غير مكترث بربك من عذاب الله نعم ولعلك تخرج من دينك أعياناً لتؤفد دنياك وتعرض بإقبال الدنيا عليك وترتاح لذلك سروراً بها . وقد بلغنا أن رسول الله

محمود لنيه كيف كان والصادق في خفارة صدقه كيف تغلب وقال بعضهم إذا رأيت الصوفى يصوم صوم البطون فأنه قد اجتمع معه شيء من الدنيا . وقيل إذا كان جماعة متواقفين شكلاً وفيهم مرديد يثبونه على الصيام فإن لم يساعدهم يهتجوا لافطاره ويشكفوا له رفاقه ولا يعملوا حاله على حالهم وإن كانوا جماعة مع شيخ يصومون لمصومه ويفطرون لافطاره إلا من أبصره الشيخ فبصر ذلك . وقيل إن بعضهم صام سنين بسبب شاب كان يصعبه حتى ينظر الشاب إليه فيتأذب به ويصوم بصيامه .

(١) حديث شرار أمي الذين غدوا بالنعم الحديث تقدم ذكره في أوائل كتاب فم البخل عند الحديث الرابع منه من أسف على دنياه فاته اقرب من النار مسيرة سنة .

صلى الله عليه وسلم قال «من أحب الدنيا وسرها ذهب خوف الآخرة من قلبه» (١) «ولبئنا أن بعض أهل العلم قال إنك تحاسب على التجرد على مافاتك من الدنيا وتحاسب بفركك في الدنيا إذا قدرت عليها وأنت فرح بدنك وقد سلبت الخوف من الله تعالى وعساك تمني بأمور دينك أضفاف ماضي بأمور آخرتك وعساك ترى مصيبتك في معاصيك أهون من مصيبتك في انتقام دينك نعم وخوفك من ذهاب مالك أكثر من خوفك من الذنوب وعساك تبدل للناس ما جئت من الأوساخ كما «المعروف والرفضة في الدنيا وعساك ترضى المخوفين مساحطة في تعالى كما تكرم وتعلم وبحك فكان احتقار الله تعالى لك في القياس أهون عليك من احتقار الناس إليك وعساك تخفى من المخوفين مساويك ولا تكثر باطلاع الله عليك فيها فكان القضية عند الله أهون عليك من القضية عند الناس فكان العيب أعلى عندك قدرا من الله ، تعالى الله عن جهلك فكيف تنطق عند ذوى الألباب وهذه الثابت فيك أف لك متلو بالأنذار وتحتج بحال الأرباب هيئات ما يهدك عن السلف الأخيار والله لقد بلغني أنهم كانوا فيما أحل لهم أزهدهم منك فيما حرم عليهم إن الذي لا بأس به عندكم كان من اللوغات عندهم وكانوا للزلة الصغيرة أشد استعظاما منكم لكبرائ للعلماء فليت أطيب مالك وأحله مثل شبهات أموالهم ولتلك أشقت من سيئاتك كما اشتقوا على حسانتهم أن لا تقبل ليت صومك على مثال إفطارهم وليت اجتهدك في العبادة على مثل فورهم ونومهم وليت جميع حسناتك مثل واحدة من سيئاتهم وقد بلغني عن بعض الصحابة أنه قال غيبة الصديقين مافاتهم من الدنيا ونهجتهم مازوى منهم منالين لم يكن كذلك فليس معهم في الدنيا ولا معهم في الآخرة فسبحان الله كم بين الفريقين من التفاوت فريق خيار الصحابة في الملو عند الله وفريق أمثاليكم في السفالة أو يصفوا الكرم بفضلهم [وبعد] فانك إن زعمت أنك متأثر بالصحابة بجمع المال لتخفف والبذل في سبيل الله فقدر أمرك وبحك هل تجد من الحلال في دهرك كما وجدوا في دهرهم أو تحسب أنك محتاط في طلب الحلال كما احتاطوا . لقد بلغني أن بعض الصحابة قال كنا نضع سبعين بابا من الحلال مخافة أن تقع في باب من الحرام أقطع من نضك في مثل هذا الاحتياط لا ورب الكعبة ما أحسبك كذلك وبحك كن على يقين أن جمع المال لأعمال البر مكر من الشيطان ليوقصك بسبب البر في اكتساب الشبهات المزوجة بالسحت والحرام وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من اجتأ على الشبهات أوشك أن يقع في الحرام» (٢) «أبها الفرور أما علت أن خوفك من اقتحام الشبهات أعلى وأفضل وأعظم لقدرك عند الله من اكتساب الشبهات وبدلها في سبيل الله وسبيل البر بلنا ذلك عن بعض أهل العلم قال لأن تدع درهما واحدا مخافة أن لا يكون حلالا خير لك من أن تصدق بألف دينار من شبهة لا تدرى أين تلحق أم ألفان زعمت أنك اتقى وأورع من أن تتلبس بالشبهات وإنما تجمع المال بزعمك من الحلال للبدل في سبيل الله وبحك إن كنت كما زعمت بالنا في الورع فلا تعرض للحساب فان خيار الصحابة خافوا للسألة وبلغنا أن بعض الصحابة قال ماسرني أن أكتسب كل يوم ألف دينار من حلال وأتفقها في طاعة الله ولم يشغاني الكسب عن صلاة الجماعة قالوا ولم ذاك رحمك الله ؟ قال لأنى غنى عن مقام يوم القيامة فيقول

وحكى عن أبي الحسن
السكر أنه كان يصوم
الدهر وكان مقبا
بالبصرة وكان لا يأكل
الحزب إلا ليلة الجمعة
وكان قوته في كل شهر
أربع دوايق يعمل
يده جبال الليف
وبيعهما وكان الشيخ
أبو الحسن بن سالم
يقول لا أسلم عليه
إلا أن يطر ويأكل
وكان ابن سالم اتهمه
بشهوة خفية في ذلك
لأنه كان مشهورا
بين الناس وقال
بعضهم ما أخافه
بعد قط إلا أحب أن
يكون في جب لا يعرف
ومن أكل فضلا من
الطعام أخرج فضلا
من الكلام وقيل أقام
أبو الحسن التينيس

(١) حديث من أحب الدنيا وسرها ذهب خوف الآخرة من قلبه . لم أجده إلا بلاغا للحارث بن أسد الهامسي كما ذكره المصنف عنه (٢) حديث من اجتأ على الشبهات أوشك أن يقع في الحرام متفق عليه من حديث الثمان بن بشير نحوه وقد تقدم في كتاب الحلال والحرام أول الحديث .

فيا كلون ويشتمون والآخرون جئنا على ركبهم فيقول قبلكم طلبى أتم حكم الناس ومولوكم فأرونى ماذا صنعتُم فها أعطيتكم ^(١) » وبلغنا أن بعض أهل العلم قال ما سرفنا أبلى حرالتم ولا كونى الر عيل الأول مع محمد عليه السلام وحزبه ياقوم فاستبقوا السباق مع المتقين فى زمرة الرسلين عليهم السلام وكونوا وجلين من التخلف والاقطاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجل المتقين قد بلغنى » وأن بعض الصحابة وهو أبو بكر رضى الله عنه عطش فاستسقى فأنى شربة من ماء وعسل فطافاه خفته العيرة ثم بكى وأبكى ثم مسح الدسوع عن وجهه وذهب ليتكلم فصاد فى البكاء فلما أكثر البكاء قبله كل هذا من أجل هذه الشربة قال نعم بينا أنا ذات يوم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ومامه أحد فى البيت غبرى فجعل يدفع عن نفسه وهو يقول إليك عنى قتلت ه فذاك أبى وأمى ما أرى بين يديك أحدا فن خاطب فقال هذه الدنيا تطاولت إلى بمتها ورأسها فقلت لى يا محمد خذنى قلت إليك عنى فقلت إن تتع منى يا محمد فانه لا ينجو منى من جدك فأخاف أن تكون هذه قد خنتى فخطى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٢) » ياقوم فهو لاء الأخيار بكرو وجلا أن تقطم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة من حلال وبحك أنت فى أنواع من التهم والشهوات من مكاسب السحت والشهات لا تخشى الا شطاع أفلاك ما أعظم جهلك وبحك فان تخلفت فى القيامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الصلوى لتنتظرن إلى أهوال جرعت منها للألسنة والأنبياء ولئن قصرت عن السباق فليطولن عليك الاحاق ولئن أردت الكثرة لتصيرن إلى حساب عسير ولئن لم تقنع بالقليل لتصيرن إلى وقوف طويل وصراخ عويل ولئن رصيت بأحوال للتخلفين لتقطعن عن أصحاب الجنتين وعن رسول رب العالمين ولتبطئن عن نعيم للتمتعين ولئن خالفت أحوال المتقين لتكونن من المتخسرين فى أهوال يوم الدين قد تدبر وبحك ما سمعت [وعد] فان زعمت أنك فى مثال خيار السلف فتح بالقليل زاهد فى الحلال بدول ملك مؤثر على نفسك لا تخشى القفر ولا تدخر شيئا لندك بعضى للتكثار والننى راض بالقفر والبلا فرح بالقله وللجنة سرور بالذل والضمة كاره للعلو والرفة قوى فى أمرك لا ينير عن الرشد فليكن قد حاسبت نفسك فى الله وأحكمت أمورك كلها على ما وافق رضوان الله ولن توفى فى الساقولن بحاسب نفسك من المتقين وإعما تجمع المال الحلال للبدل فى سبيل الله وبحك أهما الثرور قد بر الأمر وأمن النظر أماغت أن ترك الاحتفال بالمسال وفراغ القلب للذكر والتذكر والتفكير والفكر والاعتبار أسلم لادين وأيسر للحساب وأخف للمساءلة وآمن من روعات القيامة وأجزل للثواب وأطهى لقدرك عند الله أضفا فبلغنا عن بعض الصحابة أنه قال لو أن رجلا فى حجره دنائير يسطها والاخر يذكر الله فكان الداء كرا أفضل. وسئل بعض أهل العلم عن الرجل يجمع المال لأعمال البر قال تركه أبر به وبلغنا أن بعض خيار التابعين سئل عن رجلين أحدهما طلب الدنيا حلالا فأصابها فوصل بها رحمه وقدم لنفسه وأما الآخر فانه جانبها فإعطيا ولم يتناولها فأبها أفضل قال بريد والله ما بينهما الذى جانبها أفضل كما بين مشارق الأرض ومغاربها وبحك فهذا الفضل لك بترك الدنيا على من طلبها ولك فى العاجل إن تركت الاحتفال بالمسال إن ذلك أروح لبدنك وأقل لتعبك وأنم لميشك وأرضى لبالك وأقل لمعومك لما عذر لك فى جمع السال وإن ذلك بترك للسال أفضل ممن طلب السال لأعمال البر نعم وشغلك بذكر الله أفضل من بذل المال فى سبيل الله

يصوم أيام البيض
فايض ثلث جسده
بكل يوم صامه حتى
ايض جميع جسده
بصيام أيام البيض
ويستحبون صوم
النصف الأول من
شعبان وإفطار نصفه
الأخير وإن واصل بين
شعبان ورمضان فلا
بأس به ولكن إن
لم يكن صام فلا يستقبل
رمضان يوم أو
يومين وكان يكبره
بصهم أن يصام رجب
جميع كراهة المضاهاة
برمضان ويستحب
صوم الشر من ذى
الحجة والشر من
المهرم ويستحب الجئيس
والجمعة والسبت أن
يصام من أشهر الحرام
وورد فى الخبر من صام
ثلاثة أيام من شهر

- (١) حديث يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل أغنيائهم فيشتمون وبأكلون الحديث لم أره أصلا
(٢) حديث أن بعض الصحابة عطش فاستسقى فأنى شربة ماء وعسل الحديث فى دفع النبي صلى الله عليه وسلم الدنيا عن نفسه وقوله إليك عنى الحديث البراز والحاكم من حديث زيد بن أرقم قال كنا عند أبى بكر فدها جراب فأنى بماء وعسل الحديث قال الحاكم صحيح الإسناد قلت بل ضعيف

فاجتمع لك راحة العاجل مع السلامة والفضل في الآجل . [وبعد] فلو كان في جمع المال فضل عظيم لوجب عليك في مكارم الأخلاق أن تنسى نبيك إذ هداه الله به وترضى ما اختاره لنفسه من مجانية الدنيا ومحك تدبر ماصحت وكن على يقين أن السعادة والدوزخ مجانية الدنيا فسرهم لواء المصطفى سابقا إلى جنّة المآوى فانه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « سادات المؤمنين في الجنة من إذا تدهى لم يجد عشاء وإذا استقرض لم يجد قرضا وليس له فضل كوة إلا ما يوارى به ولم يهدر على أن يكتسب ما يفضيه يمسى مع ذلك ويصبح راضيا عن ربه . فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » (١) ألا يا أخى متى جمعت هذا المال بمد هذا البيان فانك مبطل فيها ادعيت أنك لا تفر والفضل تجعده لاولئك خوفا من الفقر تجعده وللتهم والزينة والتكاثر والفخر والملو والرياء والسمة والتعظيم والتكرمة تجعده ثم تزعم أنك لأعمال البر تجمع المال ومحك راقب الله واستمسى من دعوها أنها الفروع ومحك إن كنت مفتونا بحب المال والدنيا فكسر مقرأ أن الفضل والحرف في الرضا بالجنة ومجانبة الفضول ، نعم ولكن عند جمع المال من رباطى نفسك مثرافا بما يملك وجلا من الحساب فذلك أجنى لك وأقرب إلى الفضل من طلب الحجاج جمع المال . إخواني اعلموا أن دهر الصحابة كان الحلال فيه موجودا وكانوا مع ذلك من أروع الناس وأزهدهم في الباطل لهم ونحن في دهر الحلال فيه مفقود وكيف لنا من الحلال ، يبلغ القوت وستر المورة فأما جمع المال في دهرنا فاعاذنا الله وإياكم منه [وبعد] فأين لنا عمل تقوى الصحابة وورعهم ومثل زهدهم واحتياطهم وأين لنا مثل ضارهم وحسن نياتهم دهرنا ورب السباء بأدواء النفوس وأهوائها وعن قريب يكون الورود في مساعدة المتفنين يوم الذنور وحزن طويل لأهل التكاثر والتخاليط وقد نصحت لكم إن قبلتم والقابلون لهذا قليل وقتنا وإياكم لكل خير برحمته آمين . هذا آخر كلامه وفيه كفاية في إظهار فضل الفقر على النى ولا مزيد عليه وشهد لذلك جميع الأخبار التي أوردناها في كتاب ذم الدنيا وفي كتاب الفقر والزهد ويشهد له أيضا ما روى عن أبي أمامة الباهلي « أن ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا قال بالمعلقة قليل تؤدى شكره . خبر من كثير لا نطقه قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا قال بالمعلقة أملك في أسوة أمانى أن تكون مثل نبي الله تعالى أما والذي نفسى بيده لو شئت أن تسير معي الجبال ذهبا وفضة لاسارت قال والذي بمك بالحق نبياً لئن دعوت الله أن يرزقني مالا لأعطين كل ذى حق حقه ولأنفلن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فأخذ غنا فمعت كما ينمو الدود فضافت عليه المدينة فتلقى عنها فترقز وأدبا من أوديتها حتى جعل يصلى الظهر والمصر في الجماعة ويسمع ما واهم ثم عت وكثرت فتلقى حتى ترك الجماعة إلا الجمعة وهي تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة وطلق بلى الركبان يوم الجمعة فيسألهم عن الأخبار في المدينة وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال ما فعل ثعلبة بن حاطب ؟ فقيل يا رسول الله أخذ غنا فضافت عليه المدينة وأخبر أمره كله فقال يا وبع ثعلبة يا وبع ثعلبة قال وأزل الله تعالى - خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم - وأزل الله تعالى فرائض الصدقة فيمتر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من جبينه ورجلا من بنى سليم على الصدقة وكتب لهما كتاباً يأخذ الصدقة . مرهماً يخرجاً فيأخذ الصدقة من المسلمين وقال مرأياً بثعلبة بن حاطب وبخلان رجل من بنى سليم وخذا صدقاتهما

وقد تقدم قبل هذا في هذا الكتاب (١) حديث سادات المؤمنين في الجنة من إذا تدهى لم يجد عشاء الحديث عزاه صاحب مسند الفردوس للطبراني من رواية أبي حازم عن أبي هريرة مختصرا بلفظ سادة الفقراء في الجنة الحديث ولم أره في مراجع الطبراني

حرل الحفيس والجبة
والسبت يد من النار
سبعائة عام .
[الباب الحادى
والأربعون في آداب
الصوم ومهامه]
آداب الصوفية في
الصوم ضبط الظاهر
والباطن وكشف
الجوارح عن الآثام
كتم النفس عن الطعام
ثم كف النفس عن
الاهتمام بالأقسام سمعت
أن بعض الصالحين
بالوراق كان طريقه
وطريق أصحابه أنهم
كانوا يصومون وكلما
فتح عليهم قبل وقت
الانطار يخرجونه ولا
يفطرون إلا على ما فتح
لهم وقت الانطار
وليس من الأدب أن
يسلك المرء عن
الباح ويخطر بحرام

غرجا حتى أتيا ثعلبة فسأله الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ماهذه الاجزى ماهذه الاجزى ماهذه الاجزى انما اخذت الجزية انطلقا حتى غرجا ثم تعودا الى فانطلقا نحو السلمي فسمع بهما قام الى خيار استان اليه فزلهما الصدقة ثم استقباهما بها فلما راوها قالوا لا يجب عليك ذلك وما تريد تأخذ هذا منك قال بل اخذوها غنى بها طيبة وإعماهى لتأخذوها فلما فرغا من صدقتهما رجعا حتى مرا ثعلبة فسأله الصدقة قال أروني كتابكما فخطر فيه قال هذه أخت الجزية انطلقا حتى أروني فانطلقا حتى أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآهما قال يا بوع ثعلبة قبل أن يكلمكما ودعا السلمي فأخبراه بالذي صنع ثعلبة وبأذى صنع السلمي فأمر الله تعالى في ثعلبة - ومنهم من طهده الله لئن آتانا من فضله لنصدقن - ولنكونن من الصالحين - فدا آتاهم من فضله فجعلوا يوتونوا ولم يعرضون - فأعقبهم خافا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون - وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ما أنزل الله فيه فخرج حتى أتى ثعلبة فقال لأم لك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل منه صدقته فقال إن الله مني أن أقبل منك صدقتك فجعل يحشو التراب على رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك أمرتك فلم تطعني فلما أتى أن يقبل منه شيئا رجع إلى منزله فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بها إلى أبي بكر الصديق رضى الله عنه فأبى أن يقبلها منه وجاء بها إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأبى أن يقبلها منه وتوفي ثعلبة بعد في خلافة عثمان ^(١) - فهذا طغيان اللال وشؤمه وقد عرفته من هذا الحديث ولأجل بركة الفقر وشؤم التي آثر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفقر لنفسه ولأهل بيته حتى روى عن عمران بن حصين رضى الله عنه أنه قال كانت لي من رسول الله منزلة وجاءه فقال يا عمران إن لك عندنا منزلة وجاءها فقل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت نعم يا بني أنت وأمي يارسول الله فقام وقت معي حتى وقتت ياب منزل فاطمة فخرج الباب وقال السلام عليكم أأدخل فقالت ادخل يارسول الله قال أنا ومن معي قالت ومن معك يارسول الله فقال عمران بن حصين فقالت والذي بك الحق نبي ما على إلاعباءة فقال اصنعي بها هكذا وهكذا وأشار بيده فقالت هذا جسد قد واريته فكيف برأسي فألقى إليها لامة كانت عليه خلفة فقال شدني بها على رأسك ثم أذنت له فدخل فقال السلام عليك يا بنتاه كيف أصبحت قالت أصبحت والله وجعة وزادني وجعا على ما بي أتى لست أقدر على طعام آكله فقد أجهدني الجوع فيكي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تجزعي يا بنتاه فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلاث وإني لأكرم على الله منك ولوسألت ربي لأطعمني ولكني آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبا وقال لها أجرى فوالله إنك لسيدة نساء أهل الجنة فقالت فأين أمية امرأة فروع ومريم ابنة عمران قال آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وخديجة سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك إنكن في بيوت من قب لا ذى فيها ولا صخب ثم قال لها اتعني يا بن عمك فوالله لقد زوحتك سيداتي الدنيا سيداتي الآخرة ^(٢) و

الآن قال أبو الصفاء
يا حبذا نوم الأكياس
وفخرهم كيف يغبون
قيام الحقي وصيامهم
والذرة من ذى يقين
وتقوى أفضل من
أمثال الجبال من
أعمال اللغرين ومن
فضيلة الصوم وأدبه أن
يقال الطعام عن الحدة
الذى كان يأكله
وهو مفطر وإلا فإذا
جمع الأكلات بأكلة
واحدة قد أدرك بها
ما فوت وقصود القوم
من الصوم قهر النفس
ومنعها عن الاتساع
وأخذهم من الطعام قدر
الضرورة لهم أن
الاعتصار على الضرورة
عذب النفس من
سائر الأفعال والأقوال
إلى الضرورة والنفس
من طبيعتها إذا

(١) حديث أبي أمامة أن ثعلبة بن حاطب قال يارسول الله ادع الله أن يرزقني مالا قال يا ثعلبة قبل
تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه الحديث بطوله الطبراني بسند ضعيف (٢) حديث عمران بن
حصين كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاءه فقال فقل لك في عيادة فاطمة بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث بطوله وفيه لقد زوحتك سيداتي الدنيا سيداتي الآخرة لم أجده
من حديث عمران ولأحمد والطبراني من حديث معقل بن يسار وصأت النبي صلى الله عليه وسلم ذات
يوم فقال هل لك في فاطمة نمودها الحديث وفيه أما ترضين أن زوجتك أقدم أمي سلأوا كثرهم

فانظر الآن إلى حال فاطمة رضى الله عنها وهى بضمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف آثرت
 الفقر وترك المال ومن راقب أحوال الأنبياء والأولياء وأقوالهم وما ورد من أخبارهم وآثارهم
 لم يشك في أن قد المال أفضل من وجوده وإن صرف إلى الخيرات إذ أفل ما فيه من أداء الحقوق
 والتوقى من الشبهات والصرف إلى الخيرات اشتغال لهم بإصلاحه وانصرافه عن ذكر الله إذ لا ذكر
 إلا مع الفراغ ولا فراغ مع شغل المال ، وقد روى عن جرير عن ليث قال سمعت رجلا عيسى بن مريم
 عليه السلام قال أكون معك وأصحبك فانطلقا فاتنيا إلى شط نهر فجلسا يتعبان ومعهما ثلاثة
 أرغفة فأكلوا رغيفين وبقي رغيف ثالث فقام عيسى عليه السلام إلى النهر فغرب ثم رجع فلم
 يجد الرغيف فقال للرجل من أخذ الرغيف فقال لأدرى قال فانطلق ومعه صاحبه فرأى طيبة
 ودما خشفان لها قال فدعا أحدهما فأتاه فذبحه فاشتوى منه فأكل هو وذلك الرجل ثم قال للخشف
 قم باذن الله فقام فذهب فقال للرجل أسألك بالذى أراك هذه الآية من أخذ الرغيف قال لأدرى
 ثم اتنيا إلى وادى ماء فأخذ عيسى بيد الرجل فمشيا إلى الماء فلما جاوزا قال له أسألك بالذى أراك
 هذه الآية من أخذ الرغيف فقال لأدرى فاتنيا إلى مغارة فجلسا فأخذ عيسى عليه السلام يجمع
 ترابا وكثيبا ثم قال كن ذعبا باذن الله تعالى نصار ذعبا قسمه ثلاثة أثلاث ثم قال ثالث لى وثالث لك
 وثالث لمن أخذ الرغيف فقال أنا الذى أخذت الرغيف فقال كله لك وفارقه عيسى عليه السلام فاتنسى
 إليه رجلان في المغارة ومعه المال فأراد أن يأخذهما منه ويقتله فقال هو ديننا اثلاثا فاشترى أحدهم
 إلى القرية حتى يشتري لنا طعاما نأكله قال فبعثوا أحدهم فقال الذى بعث لى شىء أقسم هؤلاء هذا
 المال لكى أضع في هذا الطعام مما فأتلهم وأخذ المال وحدى قال ففعل وقال ذلك الرجل لى
 شىء نجعل لهذا ثلث للمال ولكن إذا رجع قتلنا واقتسمنا المال بيننا قال فصار مع الإجماع قتلوا كلا
 الطعام فماتا ببق ذلك المال في المغارة وأولئك الثلاثة عنده قتلى فرمهم عيسى عليه السلام على تلك
 الحالة فقال لأصحابه هذه فاحذروها . وحكى أن ذا القرنين أتى على أمة من الأمم ليس بأيديهم شىء
 مما يستمتع به الناس من دنياهم قد احتفروا قبورا فإذا أصبحوا تمهدوا تلك القبور وكسوها وهاوصلوا
 عندها ورعوا القبل كما ترعى البهائم وقد قبض لهم في ذلك مما يشرب من نبات الأرض وأرسل ذو القرنين
 إلى ملكهم فقال له أجب ذا القرنين فقال مالى إليه حاجة فإن كان له حاجة فليأتنى فقال ذو القرنين
 صدق فأقبل إليه ذو القرنين وقال له أرسلت إليك لتأتينى فأيتت بها أنا قد جئت فقال لو كانى إليك
 حاجة لأتيتك فقال له ذو القرنين مالى أراكم على حالة فأرأى أحدا من الأمم عليهم قال وماذا لك ليس لكم
 دنيا ولا شىء . أولا أخذتم الذهب والفضة فاستمتعتم بها قالوا إنما كرهناها لأن أحدنا لم يطمع منها شيئا
 إلا ناقت نفسه ودعته إلى ما هو أفضل منه فقال ما بالك قد احتفرت قبورا فإذا أصبحت تعاهدتموها
 فكنتستموها وعلينم عندها قالوا أردنا إذا نظرنا إليها وأملنا الدنيا منعنا قبورنا من الأمل . قال
 وأراكم لا طعام لكم إلا البقل من الأرض أفلا أخذتم البهائم من الأنعام فاحتابتموها وركبتموها
 فاستمتعتم بها قالوا كرهنا أن نجعل بطوننا قبورا لها ورأينا في نبات الأرض بلاغا وإيضا بكن أبى آدم
 أدنى العيش من الطعام وإيضا ما جاوز الحنك من الطعام لم نجعله طعاما كائنا ما كان من الطعام ثم بسط
 ملك تلك الأرض يده خلف ذى القرنين فتناول جمجمة فقال باذا القرنين أتدري من هذا قال لا ومن
 هو قال ملك من ملوك الأرض أعطاه الله سلطانا على أهل الأرض فقتلهم وظلمهم وعاقلهم رأى الله سبحانه
 ذلك منه حسما بالوت فصار كالبحر الملقى وقد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في آخرتهم تناول
 علما وأعظمهم علما وإسناده صحيح .

أفهرت لله تعالى في
 شىء واحد على
 الضرورة تأدى ذلك
 إلى سائر أحواله فصار
 بالأكل النوم ضرورة
 والقول والقول ضرورة
 وهذا باب كبير من
 أبواب الخير لأهل
 الله تعالى يجب رعايته
 وافقاه ولا يخفى بلم
 الضرورة وفائدتها
 وطالبها إلا بعد إيرادها
 تعالى أن يقر به
 ويدنيه وصطفيه
 ويريه ويجمع في
 صومه من ملاعبة
 الأهل واللازمة فإن
 ذلك أنه للصوم
 ويسحر استعمالا
 السنة وهو آدمى إلى
 إضفاء الصوم لمحبين
 أحدها عود بركة
 السنة عليه والثاني
 التقوية بالطعام على

ججعة أخرى بالية قال إذا القرنين هل تدري من هذا قال لا أدري ومن هو هذا الملك ملكة ججعة جند قد كان يرى ما صنع الذي قبله بالناس من التشم والظلم والتجبر فتواضع وخضع له عز وجل وأمر بالعدل إلى أهل مملكته قصار كما ترى قد أحصى الله عليه عمله حتى يجزه به في آخرته ثم أهوى إلى ججعة ذي القرنين فقال وهذه الججعة قد كانت كهذين فانظر إذا القرنين ما أنت صانع فقال لهؤلاء القرنين هل لك في سبقي فأخذه أنا وويزرا وشريكا فبأ آتاني الله من هنا المال قال ما أبلغ أنا وأنت في مكان ولا أن نكون جميعا قال ذو القرنين ولم ؟ قال من أجل أن الناس كلهم لك عدو لي صديق قال ولم قال ياحدوثك لما في يدك من تلك والمال والدنيا ولا أجد أحدا ينادي برفضي ذلك ولما عدى من الحاجة وقلة الشيء قال فاضرف عنه ذو القرنين مستجيبا منه ومتطعا به فبهذه الحكايات تدل على آفات النفي مع ما قدمناه من قبل وبالله التوفيق .

(تم كتاب فم المال واليخل بجمد الله تعالى وعونه ، وفيه كتاب فم الجاه والرياء .)

(كتاب فم الجاه والرياء)

(وهو الكتاب الثامن من ربيع للهلكات من كتاب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله علام الغيوب ، الطلع على سرائر القلوب ، المتجاوز عن كثير الدروب ، العالم بما يخفيه الضمائر من خفايا الغيوب ، البصير بسرائر النيات وخفايا الطويات ، الذي لا يقبل من الأعمال إلا ما كلل ووفى وخلص عن شوائب الرياء والشرك وصفا ، فإنه التفرد بالملكوت ، فهو أغنى الأغنياء عن الشرك ، والصلاح والسلام على محمد وآله وأصحابه البرئين من الحياة والإلح ، وسلم تسليما كثيرا .

[أما جند] فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أخوف ما أخاف على أمتي الرياء والشهوة الخفية التي هي أخفى من ديب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء »^(١) وذلك يجز عن الوقوف على غوائلها بمجاسة الماء فضلا عن عامة العباد والأقبياء وهو من أواخر غوائل النفس وبواطن مكابدها وإنما يتل به الماء والعباد والشمر من ساق الجد لسلك سبيل الآخرة فاتهم بها قهرا وأفسهم وجاهدوها وقطموها عن الشهوات وصانوها عن الشهوات وحملوها بالقهر على أصناف العبادات محجرت قوسهم عن الطمع في الماصي الظاهرة الواقعة على الجوارح فطلبت الاستراحة إلى التظاهر بالخير وإظهار العمل والعم فوجدت مخاصا من مشقة المجاهدة إلى لقاء القول عند الحلق ونظرهم إليه بين الوقار والتعظيم فسارعت إلى إظهار الطاعة وتوصلت إلى اطلاع الحائق وتلقم اطلاع الحائق وفرحت بحمد الناس ولم تنزع محمد الله وحده وعلت أنهم إذا عرفوا تركه الشهوات وتوابعه الشهوات وتحمله مشاق العبادات أطبقوا ألسنتهم بالمدح والثناء وبالغوا في التقرير والإطراء ونظرهم إليه بين التوقير والاحترام وتبركوا بمشاهدته ولقائه ورغبوا في ركب دعاته وحرصوا على اتباعه وهو فاعلمهم بالحمد والصلوة أكرمهم في المفضل غاية الإكرام وسامعوه في البيع والعمالات وقدموه في المجالس وأثروهم بالطاعات والابتن وصاغروا له متواضعين واثقادوا له في أغراضه موقرين فأصابته النفس في ذلك لذة هي أعظم اللذات وشهوتها أغلب الشهوات فاستعمرت فيه ترك الماصي والمفوات واستلانت خشنة المواقلة على العبادات لإدراكها

(كتاب فم الجاه والرياء)

(١) حديث إن أخوف ما أخاف على أمتي الرياء والشهوة الخفية ابن ماجه والحاكم من حديث شدداد ابن أوس وقلا الشرك بدل الرياء وفسراه بالرياء قال الحاكم صحيح الإسناد قلت بل ضيفه وهو عند ابن المبارك في الزهد ومن طريقه عند البيهقي في الشعب بإفظ المصنف .

الصيام ، وروى أنس
ابن مالك عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
قال « تسحر وأفان في
السبحور بركة »
وسجل القطر عملا
بالسنة فان لم يرتد تأول
الطعام إلا جدد المشاء
ويريد إحياء ما بين
المشائين بغير الماء
أو على أعداد من
الزبيب أو التمر أو
بأكل قنبات إن كانت
النفس تتأزع ليصفوه
الوقت بين المشاوين
فاجيء ذلك له فضل
كثير وإلا فيقتصر
على الماء لأجل السنة
أخبرنا الشيخ العالم
ضياء الدين عبد الوهاب
ابن علي قال أنا أبو الفتح
المروزي قال أنا أبو نصر
الترائفي قال أنا أبو محمد

في الباطن لمة القدرات وشهوة الشهوات فهو يظن أن حياته بالله وعبادته الرضية وإنما حياته بهذه الشهوة الخفية التي تسمى عن موركا القول النافذة القوية ويرى أنه محاصر في طاعة الله ومجنب لمحارم الله والنفس قد أبطلت هذه الشهوة تزيينا للمباد وتحملا للخلق وفرحاً بما نالت من الزيادة والرفار وأحبطت بذلك أبواب الطاعات وأجود الأعمال وقد أثبت اسمه في جريرة الناقدين وهو يظن أنه عند الله من التزيين وهله ميكدة للنفس لا يسلم منها إلا الصديقون وسهولة لا يرقى منها إلا القربون وبذلك قيل آخر ما يخرج من رحوس الصديقين حب الرياسة وإنما كان الرياء هو الساء المغيث الذي هو أعظم شبكة للشياطين وجب شرح القول في سببه وحقيقته ودرجاته وأنشأه وطرق معالجته والمخبر عنه وينضح الفرض منه في ترتيب الكتاب على شطرين : الشطر الأول في حب الجله والشهرة وفيه بيان ذم الشهرة وبيان فضيلة الخمول وبيان ذم الجاه وبيان معنى الجله وحقيقته وبيان السبب في كونه محبوباً لأعد من حب المال وبيان أن الجاه كمال وهمي وليس بكمال حقيقي وبيان ما يبعد من حب الجاه وما ينم وبيان السبب في حب للمح والتثناء وكراهية القم وبيان العلاج في حب الجاه وبيان علاج حب الملح وبيان علاج كراهية القم وبيان اختلاف أحوال الناس في الملح والقم فمضى انتاعشر فصلاً منها منشأ معاني الرياء فلا بد من تدبیرها والله الوفي للصواب بلطفه ومنه وكرمه .

(بيان ذم الشهرة وانتشار الصيت)

اعلم أصلحك الله أن أصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار وهو منموم بل الهمو والمجول إلا من شهره الله تعالى لشرفه من غير تكلف طلب الشهرة منه قال أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حسب امرئ من الشر أن يشير الناس إليه بالأصابع في دينه ودنياه إلا من عصمه الله » (١) وقال جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عجب للره من الشر إلا من عصمه الله من سوء أن يشير الناس إليه بالأصابع في دينه ودنياه إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » (٢) وقد ذكر الحسن رحمه الله لأحدث تأويلاً ولا بأس به إذا روي هذا الحديث قبله يا أبا سعيد إن الناس إذا رأوك أشاروا إليك بالأصابع فقال إنه لم يكن هذا وإنما سألني به البتدع في دينه والفاسق في دنياه . وقال علي كرم الله وجهه نبذل ولا تشهر ولا ترفع شخصك تذكروا تعلموا كتم وأصمت تسم تسر الأرباب وتنفذ التجار وقال إبراهيم بن آدم رحمه الله ماصدق الله من أحب الشهرة وقال أيوب السخيتي والله ماصدق الله عبده إلا سره أن لا يشعر بمكانه . وعن خالد بن معدان أنه كان إذا كثرت حلقته قام بحفاة الشهرة . وعن أبي المألية أنه كان إذا جلس إليه أكثر من ثلاثة أقام . ورأى طلحة قوماً يمشون معه نحواً من عشرة فقال ذباب طمع وفرش نار . وقال سليمان بن حنظلة : بينا نحن حول أبي ابن كعب نحكي خلفه إذ رآه عمر ضللاً بالدرة فقال انظر يا أمير المؤمنين ما تصنع فقال إن هذه ذلة للتابع وقتة للمتبوع . وعن الحسن قال خرج ابن مسعود يوماً من منزله فالتفت إليه فقال علام يتبعوني

(١) حديث أنس حسب امرئ من الشر إلا من عصمه أن يشير الناس إليه بالأصابع في دينه ودنياه البيهقي في الشعب بسند ضعيف (٢) حديث جابر بحسب امرئ من الشر الحديث مثله ورواه في آخره أن لا ينظر إلى صوركم الحديث هو غير معروف من حديث جابر معروف من حديث أبي هريرة رواه الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب بسند ضعيف مقتصرين على أوله ورواه مسلم مقتصرًا على الزيادة التي في آخره وروى الطبراني والبيهقي في الشعب أوله من حديث عمران بن حصين بلفظ كفى بالمرء إنما ورواه ابن يونس في تاريخ الترياء من حديث ابن عمر بلفظ هلاك بالرجل وفسر دينه بالبدعة ودنياه بالفسق وإسنادها ضعيف .

الجراحي قال أنا أبو العباس المهدي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال أنا أسحق بن موسى الأصمري قال أنا الوليد بن مسلم عن الأوزاعي عن قرعة عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه قال الله عز وجل « أحب عبدي إلي أعجلهم فطرا » وقال عليه السلام « لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر » والافطار قبل الصلاة سنة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر على جرعة من ماء أو مذقة من لبن

فواقة لو تملون ما أغلق عليه بابي ما اتبعني منكم رجلا . وقال الحسن إن خلق النعال حول الرجال فلما ثبت عليه قلوب الحق . وخرج الحسن ذات يوم فاتبعه قوم فقال هل لكم من حاجة وإلا أنا عسى أن يبقى هذا من قلب المؤمن . وروى أن رجلا صاحب ابن حمير في سفر فلما فارقه قال وأوصني فقال إن استطعت أن تعرف ولا تعرف وتغنى ولا يغنى إليك وتساءل ولا تستأهل فأنزل . وخرج أيوب في سفر فتبعه ناس كثيرون فقال لولا أني أعلم أن الله يسم من قلبي أني لهذا كاره لخفيت للقتل من الله عز وجل . وقال مصر ثابت أيوب على طول قبره فقال إن الشهرة فيها مضى كانت في طولها وهي اليوم في قصيرها . وقال بعضهم كنت مع أبي قلابة إذ دخل عليه رجل عليه أكسية قال يا كم وهذا الحمار الناهق يشير به إلى طلب الشهرة . وقال الثوري كانوا يكرهون الشهرة من الثياب الجيدة والثياب الرديئة إذ الأصار تمتد إليهما جميعا . وقال جل البشر الحشر أوصني قال أدخل ذكر كروطيب مطعمك وكان حوشب يسكي ويقول بلغ اسمي مسجد الجامع وقال بشر ما أعرف رجلا أحب أن يعرف إلا ذهب دينه وانضح وقال أيضا لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس رحمة الله عليه وعليهم أجمعين .

(بيان فضيلة الحول)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك » (١) . وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم « رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره لو قال اللهم إن أسألك الجنة لأعطاء الجنة ولم يسطه من الدنيا شيء » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « ألا أدلكم على أهل الجنة كل ضئيف مستضعف لو أقسم على الله لأبره وأهل النار كل متكبر متكبر جواط » (٣) وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ « إن أهل الجنة كل أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم وإذا خطبوا النساء لم يمسكوا وإذا قالوا لم ينصت قولهم حوائج أحدم تخلخل في صدره لو قسم نوره يوم القيامة على الناس لو قسم » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « إن من أمي من لو أتى أحدكم سأله دينارا لم يسطه إياه ولو سأله درهما لم يسطه إياه ولو سأله نعلين لم يسطه إياه ولو سأله الله الجنة لأعطاء إياه ولو سأله الدنيا لم يسطه إياه وأما منعه إياه إلا لله وأما عليه رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره » (٥) . وروى أن عمر رضي الله عنه دخل المسجد فرأى ماذن بن جيل يسكي عند

أوعرات . وفي الخبر « كم من صائم حظه من صيامه الجوع والعطش » قيل هو الذي يجوع بالهار ويفطر على الحرام وقيل هو الذي يصوم عن الحلال من الطعام ويغطر على لحوم الناس بقلية . قال سفيان بن عتب فسد صومه وعن مجاهد خصلتان تضدان الصوم التنية والكذب قال الشيخ أبو طالب السكي قرن الله الاستماع إلى الباطل والقول بالاثم بأكل الحرام فقال سمعون للكذب أكسون للصدق . . . وورد في الخبر « أن إمرأتين صادتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجهدها الجوع

(١) حديث رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك مسلم من حديث أبي هريرة رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره ولما كبر أشعث أغبر ذي طمرين تنب عنه أعين الدس لو أقسم على الله لأبره وقال صحيح الإسناد ولأني سم في الحلية من حديث أنس بسند ضئيف رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك وهو عند الحاكم نحوه بهذه الزيادة وقال صحيح الإسناد قلت بل ضئيف (٢) حديث ابن مسعود رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره لو قال اللهم إن أسألك الجنة لأعطاء الجنة ولم يسطه من الدنيا شيء ابن أبي الدنيا ومن طريقة أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضئيف (٣) حديث ألا أدلكم على أهل الجنة كل ضئيف مستضعف الحديث متفق عليه من حديث حارثة بن وهب (٤) حديث أبي هريرة إن أهل الجنة كل أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم الحديث [١] (٥) حديث إن من أمي من لو أتى أحدكم فسأله دينارا لم يسطه إياه الحديث الطبراني في الأوسط من حديث ثوبان بإسناد صحيح دون قوله ولو سأله الدنيا لم يسطه إياه وأما منعه إياه لم يسطه إياه عليه .

[١] قول الرازي لم يؤذن لهم الحديث هكذا في النسخ من غير أو قال الشارح يعني له الرازي فليطم .

قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مايبيك ؟ فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن البسير من الرباء شرك وإن الله يحب الأضياء الأضياء الذين إن ظابوا لم يفتدوا وإن حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصاييح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة (١) » وقال محمد بن سويد قحط أهل الدين وكان بهار جل صالح لا يؤبه له لازم لمسجد النبي صلى الله عليه وآله فينبأهم في دعائهم إذ جاءهم رجل عليه طمران خلقان فصل ركتين أوجز فيها ثم بسط يديه فقال يارب أقسمت عليك إلا أمطرت علينا الساعة فمردة يديه ولم يقطع دعاءه حتى تشتت السماء بالعمام وأمطروا حتى صاح أهل المدينة من عذابة الفرق فقال يارب إن كنت تعلم أنهم قد اكفوا فارقهم عنهم وسكن وبيع الرجل صاحبه الذي استسقى حتى عرف منزله ثم بكر عليه فخرج إليه فقال إني أتيتك في حاجة فقال ما هي قال تخشى بدعوة قال سبحان الله أنت أنت وتساكني أن أخضك بدعوة ثم قال ما الذي بانك ما رأيت قال أطعت الله فم أمرني ونهاني فسألت الله فأعطاني . وقال ابن مسعود كونوا يتابع العلم مصاييح الهدى أحلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب خافان الثياب تعرفون في أهل السماء وتحنون في أهل الأرض . وقال أبو أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى « إن أغبط أوليائي عبد مؤمن خفف الحاذ دوحظ من صلاة أحسن عبادة ربه وأطاعة في السر وكان غامضا في الناس لا يشار إليه بالأصابع ثم صبر على ذلك قال ثم هر رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فقال عجبت منيته وقتل تراه وقتل بوا كيه (٢) » وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أحب عباد الله إلى الله الغبراء قيل ومن الغبراء ؟ قال الغارون يدينهم يجمعون يوم القيامة إلى السبع عليه السلام . وقال الفضيل بن عياض بلغني أن الله تعالى يقول في بعض ما بين به على عبده ألم انهم عليك ألم أسترك ألم أحمل ذكرك . وكان الحليل بن أحمد يقول اللهم اجعلني عندك من أرفع خلقك واجعلني عند نفسي من أوضع خلقك واجعلني عند الناس من أوسط خلقك وقال الثوري وجدت قاي يصلح بككة والمدينة مع قوم غبراء أصحاب قوت وعناء . وقال إبراهيم بن آدم ما قرأت عني يوما في الدنيا قط إلا مرة بت ليلقي بعض مساجد قرى الشام وكان بي البطن بقرني المؤمن برجل حتى أخرجني من المسجد . وقال الفضيل إن قدرت على أن لا تعرف فاضل وماعليك أن لا تعرف وماعليك أن لا يثنى عليك وماعليك أن تكون مذموما عند الناس إذا كفت محمودا عند الله تعالى فهذه الآثار والأخبار تعرفك مذمة الشهرة وفضيلة الخمول وإعظام الطلوع بالشهرة وانتشار الصيت هو الجاه والمترلة في القلوب وحب الجاه هو منشأ كل فساد . فان قلت فأى شهرة تزيد على شهرة الأنبياء والخلفاء الراشدين وأئمة الطهراء فكيف فاتهم فضيلة الخمول . فاعلم أن المذموم طلب الشهرة فأما وجودها من جهة الله سبحانه من غير تكلف من البديفليس بمذموم ، نعم فيه فتنة على الضعفاء دون الأقوياء وهم كالترقيق الضعيف إذا كان معه جماعة من الفرق فالأولى به أن لا يجره أحد منهم فاتهم يعلقون به فيضف عنهم فيهلك معهم وأما الأقوى فالأولى أن يعرف الفرق فيلتصقوا به فينجبهم وثاب على ذلك .

(بيان فم حب الجاه)

قال الله تعالى - تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا - جمع بين إرادة الفساد والعلو وبين أن الدار الآخرة لا تخلى عن الإرادة جميعا وقال عز وجل - من كان يريد الحياة

(١) حديث معاذ بن جبل إن البسير من الرباء شرك وإن الله يحب الأضياء الأضياء الحديث الطبراني والحاكم واللفظ له وقال صحيح الاسناد قلت بل ضيفه فيه عيسى بن عبيد الرحمن وهو الزرقى متروك (٢) حديث أبي أمامة إن أغبط أوليائي عندي مؤمن خفيف الحاذ الحديث الترمذي وابن ماجه باسنادين ضعيفين .

والعطش من آخر التمار حتى كادتا أن تهلسا فبعثنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله في الافتطار فأرسل إلينا قدحا وقال فاولوا لهذا قيثا فيه ما أكلنا قادات إحداهما نصفه بما عبيط ولما غريضا وقادت الأخرى مثل ذلك حتى ملائته فحبب الناس من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هاتان صامتا وأفطرتا على ما حرم الله عليهما » وقال عليه الصلاة والسلام « إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يعجل فإن امرؤ شاتعه فليقل إني صائم » وفي الخبر « إز الصوم أمانة

الدنيا وزينتها نواف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يمشون . أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون - وهذا أيضا متناول بعمومه لحب الجاه فإنه أعظم لغة من لغات الحياة الدنيا وأكثر زينة من زينتها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حب المال والجاه يفتنان النفاق في القلب كما يثبت للده البقل (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما ذبيان ضاريان أرسلا في زريبة غنم بأسرع إفسادا من حب الحرف والمال في دين الرجل المسلم (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم لعل كرم الله وجهه « إنما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثناء (٣) » نسأل الله الضم والعاية بته وكرمه .

(بيان معنى الجاه وحقيقته)

اعلم أن الجاه وللجاه ركنان الدنيا ومعنى اللال ملك الأعيان للتفتع بها ومعنى الجاه ملك الدلوپ للطلوب تعطيمها وطاعتها وكأن التي هو الذي يملك الدرهم والدنانير أي يقدر عليها ليتوصل بها إلى الأغراض والمقاصد وضياء الشهوات وسائر حظوظ النفس فكذلك ذو الجاه هو الذي يملك قلوب الناس أي يقدر على أن يتصرف فيها ليستعمل بواسطتها أربابها في أغراضه ومآربه وكأنه يكتب الأموال بأنواع من الحرف والصناعات فكذلك يكتب قلوب الخلق بأنواع من المعاملات ولا تصير القلوب مسخرة إلا بالمعارف والاعتقادات فكل من اعتقد التلب فيه وصفا من أوصاف الكمال اتقاده وتسخره بحسب قوة اعتقاد القلب وبحسب درجة ذلك الكمال عنده وليس يشترط أن يكون الوصف كالا في نفسه بل يكفي أن يكون كالا عنده وفي اعتقاده وقد يعتقد ما ليس كالا كالا ويدعن قلبه للموصوف به اعتقادا ضروريا بحسب اعتقاده فان اشتياق القلب بحال القلوب وأحوال القلوب تابعة لاعتقادات القلوب وعلومها وتخيلاتها وكان أن يحب المال يطالب ملك الآراء والعبيد مطالب الجاه يطلب أن يسترق الأحرار ويستعبدهم ويملك رفاقهم يملك قلوبهم بل الرق الذي يطلبه صاحب الجاه أعظم لأن المالك يملك العبد نهرا والعد متآب بطبعه ولو خلى ورأيا نسل عن الطاعة وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعا وبينى أن تكون له الأحرار عبيدا بالبيع والطوع مع الفرج العبودية والطاعة له لما يطلبه فوق ما يطلبه ملك الرق بكثير فإذا معنى الجاه قيام النزلة في قلوب الناس أي اعتقاد القلوب لنت من نعوت الكمال فيه فيقدر ما يعتقدون من كماله تدعن له قلوبهم ويقدر إذعان القلوب تكون تدمرته على القلوب ويقدر قدرته على القلوب يكون فرحه وجهه للعبد فهذا هو معنى الجاه وحقيقته وله ثمرات كالمخ والإطراء فان التقيد للكال لا يستكن عن ذكر ما يعتقد فيشى عليه كالخدمة والإعانة فانه لا يخلل يبدل نفسه في طاعته بقدر اعتقاده فيكون مسخرة له مثل العبد في أغراضه كالإيثار وترك النزاعة والتعظيم والتوقير بالمفاتيح والسلام وتسليم الصدر في المحافل والتقديم في جميع المقاصد فهذه آثار تصدر عن قيام الجاه في القلب ومعنى قيام الجاه في القلب اشتغال القلوب على اعتقاد صفات الكمال في الشخص إما بطل أو عبادة أو حسن خلق أو نسب أو دولة

(١) حديث السالك والجاه يفتنان النفاق الحديث تقدم في أول هذا الباب ولم أجده (٢) حديث ما ذبيان ضاريان أرسلا في زريبة غنم بأسرع إفسادا من حب الحرف والمال في دين الرجل المسلم (٣) حديث إنما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثناء لم أره بهذا اللفظ وقد تقدم في العلم من حديث أنس ثلاث مهلكات: شح مطاع وهوى متبع الحديث ولأبي منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس بسند ضعيف حب الثناء من الناس يعمى ويصم .

فايحفظ أحدكم أماته»
والصوفي الذي لا يرجع
إلى معلوم ولا يدري
مق يساق إليه الرزق
فاذا ساق الله إليه
الرزق تناوله بالأدب
وهو دائم المراقبة
لوقته وهو في إفطاره
أفضل من الذي له
معلوم ممدد فان
كان مع ذلك يصوم
قد أكل الفضل .
حكى عن رومي قال
اجترت في الهامرة
بعض سلك بغداد
فطشت فتقدمت إلى
باب دار فاستقيت
فإذا جارية قد خرجت
ومعها كوز جديد
ملآن من الماء البود
فلما أردت أن تتناول
من يدها قالت
صوفي وشرب بالهار
وضربت بالسكوز

أو جمال في صورة أو قوة في بدن أو شيء مما يعتقد الناس كلاً فإن هذه الأوصاف كلها تنظم محله في القلوب فتكون سبباً لقيام الجاه والله تعالى أعلم .

(بيان سبب كون الجاه محبوا بالطبع حتى لا يغلو عنه قلب إلا بشديد المجاهدة)

اعلم أن السبب الذي يقتضى كون الذهب والفضة وسائر أنواع الأموال محبوا به يفتضى كون الجاه محبوا به بل يقتضى أن يكون أحب من المال كما يقتضى أن يكون الذهب أحب من الفضة مهما تساوى في القدر وهو أنك تعلم أن الدرهم والدينار لا غرض في أعيانها إلا لأصلح لمطمع ولا مشرب ولا منسكح والملبس وإنما هي والحصبة بمثابة واحدة ولكنهما محبوا به لأنهما وسيلة إلى جميع المحاب وذريعة إلى قضاء الشهوات فكذلك الجاه لأن معنى الجاه ملك القلوب وكذا أن ملك الذهب والفضة يفيد قدرة يتوصل الإنسان بها إلى سائر أغراضه فكذلك ملك قلوب الأحرار والقدرة على استسخارها يفيد قدرة على التوصل إلى جميع الأغراض فلا اشتراك في السبب اقتضى الاشتراك في المحبة وترجيح الجاه على المال اقتضى أن يكون الجاه أحب من المال وملك الجاه ترجيح على ملك المال من ثلاثة أوجه : الأول ، أن التوصل بالجاه إلى المال أيسر من التوصل بالمال إلى الجاه فالعالم أو الزاهد الذي تقرر له جاه في القلوب لو قصد اكتساب المال تيسر له فإن أموال أرباب القلوب مسخرة للقلوب ومبذولة لمن اعتقد فيه الكمال ، وأما الرجل الخسيس الذي لا يتصف بصفة كمال إذا وجد كترًا وليكن له جاه يحفظ ماله أراد أن يتوصل بالمال إلى الجاه لم يتيسر له فاذن الجاه آلة ووسيلة إلى المال فمن ملك الجاه فقد ملك المال ومن ملك المال لم يملك الجاه بكل حال فذلك صار الجاه أحب . الثاني هو أن المال معرض للبلوى والتلف بأن يسرق ويغصب ويطمع فيه اللوكة والظلمة ويحتاج فيه إلى الحفظة والحراس والخزائن ويخطر إليه أخطار كثيرة وأما القلوب إذا ملكت فلا تمرض لهذه الآفات فهي على التحقيق خزانة عتيقة لا يقدر عليها السراق ولا تتناولها أيدي التهاب والصباب وأثبت الأموال العقار ولا يؤمن فيه النصب والظلم ولا يستغنى عن المراقبة والحفظ وأما خزانة القلوب فهي محفوظة ومحرومة بأنفسها والجاه في أمن وأمان من النصب والسرقة فيها ، ثم إنما تنصب القلوب بالنصر وبترجيح الحال وتغير الاعتقاد فما صدق به من أوصاف الكمال وذلك مما يهون دفعه ولا يتيسر له محاولة فعله . الثالث أن ملك القلوب يسرى وينمى ويزايد من غير حاجة إلى تعب ومقاساة فإن القلوب إذا أذعن لشخص واعتقدت كماله يعلم أو عمل أو غيره أفصح الألسنة لا محالة بما فيها فيصف ما يعتقد له غيره ويقتضى ذلك القلب أيضاً ولهذا المعنى يحب بالطبع الصيت وانتشار الذكر لأن ذلك إذا استطار في الأقطار انتص القلوب ودعاها إلى الإذعان والتعظيم فلا يزال يسرى من واحد إلى واحد ويزايد وليس له مدعين وأما المال فمن ملك منه شيئاً فهو مالكه ولا يقدر على استئانه إلا بتعب ومقاساة والجاه أمد في النماء بنفسه ولا مرد لوقته والمال واقف ولهذا إذا عظم الجاه وانتشر الصيت وانطلقت الألسنة بالثناء استحققت الأموال في مقابلته فهذه جماع ترجيحات الجاه على المال وإذا فصلت كثرت وجوه الترجيح . فان قلت فلا إشكال قائم في المال والجاه جميعاً فلا ينبغي أن يحب الإنسان المال والجاه ، نعم القدر الذي يتوصل به إلى جلب اللذات ودفع المضار معلوم كالحاجة إلى اللبس والسكن والطعم أو كالتبني بمرض أو بقوّة إذا كان لا يتوصل إلى دفع العقوبة عن نفسه إلا بمال أو جاه فحب للمال والجاه معلوم إذ كل ما لا يتوصل إلى المحبوب إلا به فهو محبوب وفي الطباع أمر محجب وراء هذا وهو حب جمع الأموال وكثرة الكونز وإدخار الذخائر واستكثار الخزائن وراء جميع الحاجات حتى لو كان للمبدوا دين من ذهب لا يتنهي لهما ثالثاً وكذلك يحب الإنسان سماع الجاه وانتشار الصيت إلى أقصى البلاد حتى يعلم قطرة أنه لا يطؤها ولا يشاهد أصحابها ليعظموه أو ليروه بمال أو ليعنوه على غرض من أغراضه ومع الناس من ذلك فإنه يلتذ به

غاية الالتئاذ وجب ذلك ثابت في الطبع ويكاد يظن أن ذلك جهل فاه حب لئالاً فائدة لا في الدنيا ولا في الآخرة . فنقول نعم هذا الحب لا تنفك عنه القلوب . وله بيان : أحدهما جدى تدركه الكافة . والآخر خفى وهو أعظم السببين ولكنه أدقهما وأخفاهما وأبعدهما عن أفهام الأذكياء فضلاً عن الأغبياء وذلك لاستمداده من عرق خفى في النفس وطبيعة مشككة في الطبع لا يكاد يقف عليها إلا القواصون . فأما السبب الأول فهو دفع ألم الخوف لأن الشقيق بسوء الظن مولع والالسان وإن كان مكفياً في الحال فانه طويل الأمل ومخطر بياله أن السال الذي فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج إلى غيره فاذا خطر ذلك بياله هاج الخوف من قلبه ولا يدفع ألم الخوف إلا الأيمن الحاصل بوجود مال آخر يفرغ إليه إن أصابت هذا المال جأحة فهو أبداً لشقته على نفسه وجه الحياة يقدر طول الحياة ويقدر هجوم الحاجات ويقدر إمكان تطرق الآفات إلى الأموال ويستثمر الخوف من ذلك فيطلب ما يدفع خوفه وهو كثرة المال حتى إن أصيب بظافة من ماله استغنى بالآخر وهذا خوف لا يوقف له على مقدار مخصوص من المال فلذلك لم يكن لثله موقف إلى أن يملك جميع مافي الدنيا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « منومان لا يشمان منومان العلم ومنهزم السال^(١) » ومثل هذه العلة تطرد في حبه قيام البرة والجاه في قلوب الأبعاد عن وطنه وبلده فانه لا يخلو عن تحدير سبب رغبته عن الوطن أو رزغ أولئك عن أوطانهم إلى وطنه وبحاجته إلى الاستعانة بهم ومنها كان ذلك ممكناً ولم يكن احتياجه إليهم مستحيلاً إحالة ظاهرة كان للنفس فرح ولذة بقيام الجاه في قلوبهم لما فيه من الأمن من هذا الخوف . وأما السبب الثاني وهو الأقوى أن الروح أمر رباني بوصفه الله تعالى إذ قال سبحانه - ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي - أو معنى كونه ربانياً أنه من أسرار علوم الكاشفة ولا رخصة في إظهاره إذ لم يظهره رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢) ولكنك قبل معرفة ذلك تعلم أن القلب ميلا إلى صفات بهيمة كالأكل والواقع وإلى صفات سبعة كالقتل والضرب والإيذاء وإلى صفات شيطانية كالسكر والخدعة والإغواء وإلى صفات ربوية كالسكر والزم والتجبر وطلب الاستعلاء وذلك لأنه مركب من أصول مختلفة يطول شرحها وتفصيلها فهموماً فيه من الأمر الرباني يحب الربوية بالطبع ومعنى الربوية التوحد بالكمال والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال فصار الكمال من صفات الإلهية فصار محبوا بالطبع للالسان والكمال بالتفرد بالوجود فان المشاركة في الوجود نقص لإحالة فكامل الشمس في أنها موجودة وحدها فلو كان معها شمس أخرى لكان ذلك نقصاً في حقها إذ لم تكن منفردة بكمال معنى الشمسية والتفرد بالوجود هو الله تعالى إذ ليس معه موجود سواء فان ماسواه أثر من آثار قدرته لا قوام له بذاته بل هو قائم به فلم يكن موجوداً معه لأن العلية توجب المساواة في الرتبة والمساواة في الرتبة نقصان في الكمال بل السكامل من لا نظير له في رتبته وكان إذا إشراق نور الشمس في أنظار الآفاق ليس نقصاناً في الشمس بل هو من جملة كمالها وإنما نقصان الشمس بوجود نفس أخرى تساويها في الرتبة مع الاستغناء عنها فكذلك وجود كل مافي العالم يرجع إلى إشراق آتوار القدرة فيكون تاجاً ولا يكون متباعاً فاذن معنى الربوية التفرد بالوجود وهو الكمال وكل إنسان فانه بطبعه محب لأن يكون هو المنفرد بالكمال ولذلك قال بعض مشايخ الصوفية : مامن إنسان إلا وفي باطنه ماحر يحفره فرعون من قوله آثارهم الأطل -

(١) حديث منومان لا يشبعان الحديث الطبراني من حديث أبي مسعود بسند ضعيف واليزار والطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس بسند لين وقد تقدم (٢) حديث أنه صلى الله عليه وسلم لم يظهر سر الروح البخاري من حديث ابن مسعود وقد تقدم .

الجمع ونفع عليهم .
لا يترممهم إذا خارهم للصائم
مع السلم بأن الجمع
القطرين يحتاجون
إلى ذلك فان الله تعالى
بأن للصائم برزقه إلا أن
يكون الصائم محتاج إلى
الرفق لضف حاله
أو ضعف بنيته
لشيوخه أو غير ذلك
وهكذا الصائم لا يلبق
أن يأخذ نصيبه
في آخره لأن ذلك من
ضعف الحال فان كان
ضعيفاً يسترف بحاله
وضعه في آخره والذي
ذكرناه لأتوأم هم على
غير معلوم فأما الصوفية
اللقبيون في ربط على
معلوم فالأليق عالمهم
الصيام ولا يترممهم
موافقة الجمع في الإفطار
وهذا يظهر في جمع منهم
لهم معلوم يقدم لهم

ولكنه ليس يجده محبلا وهو كما قال فان الصودية قهر على النفس والربوبية محبوبة بالطبع وذلك لقسبة الربانية التي اوما إليها قوله تعالى - قل الروح من أمر ربي - ولكن لما هجرت النفس عن ذلك منتهى الكمال لم تسقط شهوتها للكمال فهي محبة للكمال ومشتهية له وملته به لداته لالحى آخر وراه الكمال وكل موجود فهو محب لداته ولكمال ذاته ومبغض للهلاك الذي هو علم ذاته أو عدم صفات الكمال من ذاته وإنما الكمال بعد أن يسلم التفرد بالوجود في الاستيلاء على كل الوجودات فان أكل الكمال أن يكون وجود غيرك منك فان لم يكن منك فأن تكون مستويا عليه فصار الاستيلاء على الكل محبوا بالطبع لأنه نوع كمال وكل موجود يعرف ذاته فانه محبذاته ومحب كمال ذاته ويلتذبه إلا أن الاستيلاء على الشيء بالقدرة على التأثير فيه وعلى تغييره بحسب الارادة وكونه مسخر لك تردده كيف تشاء فأحب الانسان أن يكون له استيلاء على كل الأشياء الموجودة معه إلا أن الوجودات منقسمة إلى ما يقبل التغيير في نفسه كذات الله تعالى وصفاته وإلى ما يقبل التغيير ولكن لا يستولى عليه قدرة الخلق كالأفلاك والكواكب وملكوته السموات وقوس الملائكة والجن والشیاطين والحيوان والنبات والحيوان ومن جعلها قلوب الناس فانها قابلة للتأثير والتغيير مثل أجسادهم وأجساد الحيوانات فإذا انقسمت الوجودات إلى ما يقدر الانسان على التصرف فيه كالأرضيات وإلى ما لا يقدر عليه كذات الله تعالى والملائكة والسموات أحب الانساب أن يستولى على السموات بالعلم والاحاطة والاطلاع على أسرارها فان ذلك نوع استيلاء إذا للعلوم المحاطة كالدخول تحت العلم والعالم كاستولى عليه فذلك أحب أن يعرف الله تعالى والملائكة والأفلاك والكواكب وجميع عجائب السموات وجميع عجائب البحار والجبال وغيرها لأن ذلك نوع استيلاء عليها والاستيلاء نوع كمال وهذا يشاهي اشتياق من عجز عن صنعة عجيبة إلى معرفة طريق الصنعة فيها كمن يسير عن وضع الشطرنج فانه قد يشتهي أن يعرف اللب به وأنه كيف وضع وكمن يرى صنعة عجيبة الهندسة أو المشيئة أوجز الثقيل أو غيره وهو مستشعر في نفسه بعض العجز والقصور عنه ولكنه يشاق إلى معرفة كيفية فهو متألم ببعض العجز متلهذ بكمال العلم إن علمه . وأما القسم الثاني وهو الأرضيات التي يقدر الانسان عليها فانه يحب بالطبع أن يستولى عليها بالقدرة على التصرف فيها كيف يريد وهي قسبان : أجساد وأرواح أما الأجساد فهي الدرامم والدنانير والأمتعة فيجب أن يكون قادرا عليها بفعل فيها ماشاء من الرغز والواضع والتسليم ولتغ فان ذلك قدرة والقدرة كمال والكمال من صفات الربوبية والربوبية محبوبة بالطبع فذلك أحب الأموال وإن كان لا يحتاج إليها في ملبسه ومطعمه وفي شئونهات نفسه وكذلك طلب استرقاق العبيد واستعباد الأشخاص الأحرار ولو بالتهار والبلية حتى تصرف في أجسادهم وأعضائهم بالاستسخار وإن لم يملك قلوبهم فانها ربما لم تمتد كماله حتى يصير محبوا بها ويقوم القهر منزله فيها فان الحشية القهرية أيضا لليلة لما فيها من القدرة . القسم الثاني : نفوس الادميين وقلوبهم وهي أنفس ماعلى وجه الأرض فهو محب أن يكون له استيلاء وقدرة عليها لتكون مسخرة له متصرف تحت إشارته وإرادته لما فيه من كمال الاستيلاء والتشبه بصفات الربوبية والقلوب إنما تسخر بالحلب ولا تعب إلا باعتقاد الكمال فان كل كمال محبوب لأن الكمال من الصفات الإلهية والصفات الإلهية كلها محبوبة بالطبع للمعنى الرباني من جملة معاني الانسان وهو الذي لا يلبه الموت فينمسه ولا يتسلط عليه التراب فيأكله فانه يحمل الإيمان والمعرفة وهو الواصل إلى آلاء الله تعالى والساعى إليه فاذا من معنى الحاد تسخر القلوب ومن تسخر القلوب كانت له قدرة واستيلاء عليها والقدرة والاستيلاء

بالتهار فأما إذا كانوا على غير . معلوم قد قيل مساعدة الصوام للفطرين أحسن من استدامة اللواقة من الفطرين للصوام وأمر القوم ميناه على الصدق ومن الصدق افتقاد النية وأحوال النفس فكل ما صحت النية فيه من الصوم والافطار واللواقة وترك اللواقة فهو الأفضل فأما من حيث السنة فمن يوافق له وجه إذا كان صائما وأفطر للواقة وإن صام ولم يوافق فله وجه . فأما وجه من يفطر ويوافق فهو ما أخبرنا به أبو زرعة طاهر عن أبيه أي الفضل الحافظ القدسي قال أنا أبو الفضل محمد بن عبد الله قال أنا السيد

كال وهو من أوصاف الربوبية فاذن محبوب القلب بطبعه الكمال بالعلم والقدرة والبالا والجماع من أسباب القدرة ولا نهاية للمعلومات ولا نهاية للقدورات ومما يدعي معلوماً أو مقدوراً فالشوق لا يسكن والفرمان لا يزول ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «منهومان لا يشبعان» فاذن مطلوب القلوب الكمال والكمال بالعلم والقدرة ونفاوت الدرجات فيه غير محصور فدرور كل إنسان ولذته بقدر ما يدرك من الكمال فهذا هو السبب في كون العلم واللذات والجماع محبوباً وهو أمر رواه عنه محبوباً لأجل التوصل إلى قضاء الشهوات فإن هذه الملة قد تبقى مع سقوط الشهوات بل يحب الإنسان من العلوم ما لا يصلح للتوصل به إلى الأغراض بل ربما يغوث عليه جملة من الأغراض والشهوات ولكن الطبع يتفاضل طلب العلم في جميع المجانب والشكليات لأن في العلم استيلاء على العلوم وهو نوع من الكمال الذي هو من صفات الربوبية فكان محبوباً بالطبع إلا أن في حب كمال العلم والقدرة تأليباً ليد من ياتيه إن شاء الله تعالى.

(بيان الكمال الحقيقي والكمال الوهمي الذي لاحقته (هـ))

قد عرفت أنه لا كمال بعد فوات التفرّد بالوجود إلا في العلم والقدرة ولكن الكمال الحقيقي فيه ملتبس بالكمال الوهمي ويانه أن كمال العلم لله تعالى وذلك من ثلاثة أوجه: أحدها من حيث كثرة المعلومات ومنها فانه محيط بجميع المعلومات فلذلك كلما كانت علوم العبد أكثر كان أقرب إلى الله تعالى. الثاني من حيث تعلق العلم بالمعلوم على ما هو به وكون اللامع مكشوفاً به ككشف تاماً فإن المعلومات مكشوفة لله تعالى بأنهم أنواع الكشف على ما هو عليه فلذلك مهما كان علم العبد أوضح وأقرب وأصدق وأوفق للمعلوم في تفاصيل صفات العلوم كان أقرب إلى الله تعالى. الثالث: من حيث بقاء العلم أبداً الأبد بحيث لا يتغير ولا يزول فانه علم الله تعالى باق لا يتصور أن يتغير فكذلك مهما كان علم العبد بمعلومات لا يقبل التغير والاقبال كان أقرب إلى الله تعالى والمعلومات تسكن: متغيرات وأزليات. أما التغيرات فتألمها العلم بكون زيد في الدار فانه علمه معلوم ولكنه يتصور أن يخرج زيد من الدار ويبقى اعتقاد كونه في الدار كما كان فيقلب جهلاً فيكون نقصاً لا كلاً فكما اعتقدت اعتقاداً موافقاً وتصور أن ينقلبعتقد فيه عما اعتقدته كنت بصد أن ينقلب كذلك نقصاً ويمود عليك جهلاً ويلتحق بهذا المثال جميع متغيرات العالم كمثل مثلاً بارتفاع جبل وساحة أرض وبعد البلاد وتباعد ما بينها من الأميال والفراسخ وسائر ما يذكر في السالك والمالك وكذلك العلم باللغات التي هي اصطلاحات تتغير بتغير الأعصار والأمم والعادات فهذه علوم معلوماتها مثل الزئبق تتغير من حال إلى حال فليس فيه كمال إلا في الحال ولا يبقى كلاً في القلب. القسم الثاني: هو للمعلومات الأزلية وهو جواز الجزآت وجوب الواجبات واستحالة المستحيلات فانه هذه معلومات أزلية أبدية إذ لا يستحيل الواجب قط جائزاً ولا الجائز محالاً ولا المحال واجباً فكل هذه الأقسام داخلة في معرفة الله وما يجب له وما يستحيل في صفاته ويجوز في أفضاله فالعلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وحكمته في مكنوت السموات والأرض وترتيب الدنيا والآخرة وما يتعلق به هو الكمال الحقيقي الذي يقرب من يتصف به من الله تعالى ويبقى كما لنفسه بدالات وتكون هذه العرفة نوراً للعارفين بعد اللوث - يسمى بين أيديهم وباءهم يقولون ربنا نعم لنا نورنا - أي تكون هذه العرفة قرائن مال يوصل إلى كشف مالم ينكشف في الدنيا كما أن من معه سراج خفي فانه يجوز أن يصير ذلك سبباً لزيادة النور بسراج آخر يقتبس منه فيكمل النور بذلك النور الخفي على سبيل الاستعانة ومن ليس معه أصل السراج فلا مطعم له في ذلك فمن ليس معه أمل معرفة الله تعالى لم يكن له مطعم في هذا النور فيبقى - كن مثله في الظلمات ليس بخارج منها - بل - كظلمات في بحر لحي يشاء موج من فوقه موج من فوقه سبحانه

أبو الحسن محمد بن الحسين العلوي قال أنا أبو بكر محمد بن حدوده قال ثنا عبد الله بن حماد قال ثنا عبد الله بن صالح قال حدثني عطاه ابن خالد عن حماد بن حميد عن محمد بن النسكر عن أبي سعيد الحمري قال اصطلحت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه طعاماً فلما قدم إليهم قال رجل من القوم إني صائم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاكم أخواكم تكلف لكم ثم يقول إني صائم أفطر وأفطر يوماً مكانه وأما وجه من لا يوافق فقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أكلوا وبلل صائم

ظلمات بعضها فوق بعض - فأذن لاسعاده إلا في معرفة الله تعالى وأما أعداد ذلك من المعارف فهما لا لا فانه
له أسلا كمرقة الشعر وأنساب العرب وغيرها ومنها ماله منفعة في الاعانة على معرفة الله تعالى كمرقة لغة
العرب والتفسير والفقه والأخبار فان معرفة لغة العرب تبين على معرفة تفسير القرآن ومعرفة التفسير تبين
على معرفة مافي القرآن من كيفية البادات والأعمال التي تخيد تركية النفس ومعرفة طريق تركية
النفس تخيد استمداد النفس لقبول الهداية إلى معرفة الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى - قد أطلع من
زكاهما - وقال عز وجل - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فتكون جملة هذه المعارف كالوصول إلى
تحقيق معرفة الله تعالى وإنما الكمال في معرفة الله ومعرفة صفاته وأفعاله وينطوي فيه جميع المعارف
الحيطه بالموجودات إدلول جودات كلها من أفعاله فمن عرف من حيث هي فعل الله تعالى ومن حيث ارتباطها
بالقدرة والارادة والحكمة فهي من تسككة معرفة الله تعالى وهذا كمال العلم ذكرنا مؤين لم يكن لافها
بأحكام الجاه والرياء ولكن أوردناه لاستيفاء أقسام الكمال . وأما القدرة فليس فيها كمال حقيقى للعبد
بل للعبد علم حقيقى وليس له قدرة حقيقية وإنما القدرة الحقيقية لله وما يحدث من الأشياء عقيب إرادة
العبد وقدرته وحركته فهي حادثة بأحداث الله كما قررناه في كتاب الصبر والشكر وكتاب التوكل وفى
مواضع شتى من ربيع النجيات فكمال العلم يبقى معه بعد اللوث ويوصله إلى الله تعالى فأما كمال القدرة فله
ثم له كمال من جهة القدرة بالإضافة إلى الحال وهي وسيلة له إلى كمال العلم كلامة أخرافه وقوة يده
لليطش ورجله للمشى وحواشيه للادراك فان هذه القوى آلة للوصول بها إلى حقيقة كمال العلم وقد يحتاج
في استيفاء هذه القوى إلى القدرة بالمسال والجاه للتوصل به إلى الطعم والشرب واللبس ولكن وذلك
إلى قدر معلوم فان لم يستعمله للوصول به إلى معرفة جلال الله فلا خير فيه البتة إلا من حيث الفتنة الخالية
التي تنفض على القرب ومن ظن ذلك كالأقصد جهل فالخلق أكثرهم هالكون في غرته هذا الجهل فانهم
يظنون أن القدرة على الأجساد بغير الحشمة وعلى أعيان الأموال بسعة التقي وعلى تعظيم القلوب بسعة
الجاه كمال فلما اعتقدوا ذلك أحبوه ولما أحبوه طلبوه ولما طلبوه شغلوا به ونهال كواعيلهم نفسوا
الكمال الحقيقي الذي يوجب القرب من الله تعالى ومن ملاسكتة وهو العلم والحرية فأما العلم فماذا كرهناه
من معرفة الله تعالى وأما الحرية فالحال من أسرار الشهوات وغموم الدنيا والاسيلاء عليها بالقهر تشبها
بالملائكة الذين لا تستغرم الشهوة ولا يستهويهم الغضب فان دفع آثار الشهوة والغضب عن النفس من
الكمال الذي هو من صفات الملائكة ومن صفات الكمال لله تعالى استعالة التغير التأثير عليه فمن كان
عن التغير والتأثر بالمواضع أبعد كان إلى الله تعالى أقرب وبالملائكة أشبه ومنزلته عند الله أعظم وهذا
كمال ثالث سوى كمال العلم والقدرة وإنما لم نورد في أقسام الكمال لأن حقيقة ترفع إلى عدم نقصان
فان التغير نقصان إذ هو عبارة عن عدم صفة كائنة وهلاكها كالملاك نقص في الذات وفي صفات الكمال
فأذن الكمالات ثلاثة إن عدنا عدم التغير بالشهوات وعدم الاقياد لها كمالا ككمال العلم وكال الحرية
وأعنى به عدم المبودية للشهوات وإرادة الأسباب الدنيوية وكال القدرة للصمد طريق إلى اكتساب
كمال العلم وكال الحرية ولا طريق له إلى اكتساب كمال القدرة الباقية بعد موته إذ قدرته على إعان
الأموال وعلى استمخار القلوب والأبدان تنقطع بالموت ومعرفة حرية لا يعتمدان بالموت بل بقيان
كالا فيه ووسيلة إلى القرب من الله تعالى فانظر كيف اتهاب الجاهلون وانكروا على وجوههم انكساب
العميان فأقولوا على طلب كمال القدرة بالجاه والمال وهو السكك الذي لا يسلم وإن سلم فلابقا له وأعرضوا
عن كمال الحرية والعلم الذي إذا حصل كان أبديا لا انقطاع له هؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة
فلا جرم لا تخفف عنهم العذاب ولا هم ينعرون وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى - المال والبنون زينة

قال رسول الله ﷺ
رزقنا ورزق بلال في
الجنة ، فإذا علم أن
هناك قلبا يتأذى أو
فضلا يرجى من موافقة
من يضمن موافقة
يفطر بحسن النية
لابحكم الطبع وتراضيه
فان لم يجد هذا الذي
لا يفتنى أن يتلبس عليه
الشراء وداعية النفس
بالبينة - فليتم صومه
وقد تكون الاجابة
لداعية النفس لائقضاء
حق أخيه . ومن
أحسن آداب الفقير
الطالب أنه إذا أظفر
وتناول الطعام ربما
يجد باطنه متغيرا عن
حيثه ونفسه متذبطة
عن أداء وظائف
العبادة فيعالج مزاج
القلب للتغير بأذهاب
التغير عنه ويذهب

الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا فالعلم والحرية هي الباقيات الصالحات التي تبقى كالا في النفس وللإله والجاه هو الذي ينقض على القرب وهو كما لله تعالى حيث قال - إنما مثل الحياة الدنيا كاه أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض - الآية وقال تعالى - واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كاه أنزلنا من السماء - إلى قوله - فأصبح هشيا تذروه الرياح - وكل ما تذروه رياح لوت فهو زهرة الحياة الدنيا وكل ما يقطعه لوت فهو الباقيات الصالحات فقد عرفت بهذا أن كمال القدرة بالمال والجاه كمال ظني لا أصل له وأن من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصود فهو جاهل وإلى أشار أبو الطيب بقوله :
ومن ينق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فاقدي فقل الفقر
إلا قدر البلغة منهما إلى السكال الحقيق اللهم اجعلنا ممن وقته لخير وهديته بطلقك .

(بيان ما محمد من حب الجاه وما يمين)

مهما عرفت أن معنى الجاه ممالك القلوب والقدرة عليها فحكمه حكم ممالك الأموال فإنه عرض من أعراض الحياة الدنيا وينقطع بالموث كماله والدنيا مزرعة الآخرة فكل ما خلق في الدنيا فيمكن أن يزود منه للآخرة وكما أنه لا بد من أدنى مال لضرورة اللطم والشرب ولللبس فلا بد من أدنى جاه لضرورة العيشة مع الخلق والإنسان كالا يستغنى عن طعام يتناوله فيجوز أن يحب الطعام أو المال الذي يبتاع به الطعام فكذلك لا يغلو عن الحاجة إلى خادم يخدمه ورفيق يمينه وأستاذ يرشده وسلطان يجرسه ويدفع عنه ظم الأشرار خبه لأن يكون له في قلب خادمه من الملل ما يدعو إلى الخدمة ليس يذموم وجهه لأن يكون له في قلب رفيقه من الملل ما يحسن به مراقبته ومعاونة ليس يذموم وجهه لأن يكون له في قلب أستاذه من الملل ما يحسن به إرشاده وتعليمه والناية به ليس يذموم وجهه لأن يكون له من الملل في قلب سلطانه ما يحثه ذلك على دفع الشر عنه ليس يذموم فإن الجاه وسيلة إلى الأعراض كماله فلا فرق بينهما إلا أن التحقيق في هذا يقضي إلى أن لا يكون السال والجاه بأعيانها محبو بين بل ينزل ذلك منزلة حب الإنسان أن يكون له في داره بيت ماء لأنه مضطر إليه لقضاء حاجته ويود أن لو استغنى عن قضاء الحاجة حتى يستغنى عن بيت الماء فهذا على التحقيق ليس محبا لبيت الماء فكل ما يراود للتوصل به إلى محبوب فالهوب هو القصود للتوصل إليه وتذكر التفرقة بمثال آخر وهو أن الرجل قد يحب زوجته من حيث إنه يدفع بها فضلة الشهوة كما يدفع بيت الماء فضلة الطعام ولو كفى مؤنة الشهوة لكان بهجر زوجته كما أنه لو كفى قضاء الحاجة لكان لا يدخل بيت الماء ولا يدور به وقد يحب الإنسان زوجته لقائه حب الشاق ولو كفى الشهوة لبقى مستصحبنا لكانها فهذا هو الحب دون الأول وكذلك الجاه والسال وقد يجب كل واحد منهما على هذين الوجهين فحبهما لأجل التوصل بهما إلى مهمات البدن غير مذموم وحبهما لأعيانها فيما يجاوز ضرورة البدن وحاجته مذموم ولكنه لا يوصف صاحبه بالفسق والمصيان ما لم يحمله الحب على مباشرة معصية وما يتوصل به إلى اكتساب كذب وبخ وخداع وارتكاب محظور وما لم يتوصل إلى اكتساب عبادة فان التوصل إلى الجاه والسال بالعبادة جناية على الدين وهو حرام وإلى يرجع معنى الزيادة المحظور كما سيأتي . فان قلت : طلبه للزلة والجاه في قلب أستاذه وخادمه ورفيقه وسلطانه ومن يرتبط به أمره مباح على الإطلاق كيما كان أو يباح إلى حد مخصوص على وجه مخصوص . فأقول : يطلب ذلك على ثلاثة أوجه : وجهان مباحان ووجه محظور . أما الوجه المحظور فهو أن يطلب قيام اللزلة في قلوبهم باعتقادهم فيه صفة وهو منفك عنها مثل العلم والورع والنسب فيظهر لهم أنه علوى أو عالم أو ورع وهو لا يكون كذلك فهذا حرام لأنه كذب وتبليس إما بالقول أو بالعمالة . وأما أحد الباحين فهو أن يطلب المنزل بصفة هو متصف بها

الطعام بركات يصلها
أو بآيات يتلوها أو
بأذكار واستغفار يأتى
به فقد ورد في الخبر
« أذبسوا طعامكم
بالذكر » ومن مهام
آداب الصوم كنهانه
مهما أمكن إلا أن
يكون متمكنا من
الاخلاص فلا يزال
ظهر أم بطن .

[الباب الثاني
والأربعون في ذكر
الطعام وما فيه من
المصاحبة والفسدة]
الصوفي بعسن نيته
وهمة مقصده ووفور
علمه وإتيانه بأدابه
تصير عاداته عبادة
والصوفي موهوب وقته
فه ويريد حياته لله كما
قال الله تعالى لنبيه آمرا
له - قل إن صلاتي
ونسكي وعيالي ومماتي

كقول يوسف صلى الله عليه وسلم فيما أخبر عنه الرب تعالى - اجملنى على خزائن الأرض إلى خفيظ علم - فانه طلب للثقة في قلبه بكونه خفيظا عليها وكان محتاجا إليه وكان صادقا فيه . والثاني أن يطلب إخفاء عيب من عيوبه ومصيبة من معاصيه حتى لا يعلم فلا تزول منزلته به فهذا أيضا مباح لأن حفظ السر على التبائع جائز ولا يجوز هناك السر وأظهار التبيح وهذا ليس فيه تلبس بل هو سبب لطريق العلم بمالا فائدة في العلم به كالأذى يخفى عن السلطان أنه يشرب الخمر ولا يأتى إليه أنه وورع فان قوله إلى ورع تلبس وعدم إقراره بالشرب لا يوجب اعتقاد الورع بل يمنع العلم بالشرب . ومن جهة المحظورات تحمين الصلاة بين يديه ليحسن فيه اعتقاده فان ذلك رياء وهو ملبس إذ يحيل إليه أنه من المحسنين الحاشعين لله وهو مرء بما يغنه فكيف يكون عظماء فطلب الجاه بهذا الطريق حرام وكذا بكل مصيبة وذلك يجري مجرى اكتساب المال الحرام من غير فرق وكما لا يجوز له أن يملك مال غيره بتلبس في عوض أو في غيره فلا يجوز له أن يملك قلبه بتزوير وخداع فان ملك القلوب أعظم من ملك الأموال .

(بيان السبب في حب اللذات والثناء وإرتياح النفس به وميل

الطبع إليه وبضها للذم وشرتها منه)

اعلم أن حب اللذات والتذات القلب به أربعة أسباب: السبب الأول وهو الأقوى شعور النفس بالكمال فانا بينا أن الكمال محبوب وكل ما محبوب فادراكه لذيقها شعرت النفس بكاملها ارتاحت واهتزت وتلذذت ولذت يشعر نفس المدح بكاملها فان الوصف الذي به مدح لا يخلو إيمان أن يكون جليا ظاهرا أو يكون مشكوكا فيه فان كان جليا ظاهرا محسوسا كانت اللذة به أقل ولكنه لا يخلو عن لذته ككتابه عليه بانه طويل القامة أيضا اللون فان هذا نوع كمال ولكن النفس تنفل عنه فتخلو عن لذته فاذا استمرت به لم يخل حدوث الشعور عن حدوث لذة وإن كان ذلك الوصف مما ينطبق إليه الشك فاللذة فيه أعظم كالثناء عليه بكامل العلم أو كمال الورع أو بالحسن الطاق فان الانسان ربما يكون شاكيا في كمال حسنه وفي كمال علمه كمال ورعه ويكون مشتاقا إلى زوال هذا الشك بأن يصير مستقيما لكونه عديم النظر في هذه الأمور إذ تطمئن نفسه إليه فاذا ذكره غيره أورد ذلك طمأنينة وثقة باستشعار ذلك الكمال فعظم لذته وإنما تنظم اللذة بهذه الملة بمصادر الثناء من بصير بهذه الصفات خيرها لا يجازف في القول إلا عن تحقيق وذلك كفرج التليذ بثناء أستاذة عليه بالكياسة والدكا . وغزارة الفضل فانه في غاية اللذة وإن صدر عن مجازف في الكلام أو لا يكون بصيرا بذلك الوصف ضفت اللذة وبهذه الملة يغش الذم أيضا ويكرهه لأنه يشعره بنقصان نفسه والنقصان ضد الكمال المحبوب فهو محقوت والشعور به مؤلم ولذلك يعظم الألم إذا صدر الذم من بصير موقوف به كذا ذكرناه في اللذات . السبب الثاني : أن اللذات يدل على أن قلب المادح مملوك للممدوح وأنه مرئيه له ومعتقد فيه ومسر تحت مشيئة وملك القلوب محبوب والشعور بمحصله لذيق وبهذه الملة تعظم اللذة بمصادر الثناء ممن تنفع قدرته وينفع بانتصاص قلبه كالمملوك والأكابر ويضف مهما كان المادح ممن لا يؤبه به ولا يقدر على شيء فان القدرة عليه يملك قلبه قدرة على أمر حقير فلا يدل اللذات إلا على قدرة قاصرة وبهذه الملة أيضا يكره الذم ويتألم بالقلب وإذا كان من الأكابر كانت نساكته أعظم لأن القاتبة به أعظم . السبب الثالث : أن ثناء المثنى ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه لاسيا إذا كان ذلك ممن يلتفت إلى قوله ويعتد به انه وهذا محض بقاء يقع على الملا فلا جرم كلما كان الجمع أكثر والمثني أجدر بأن يلتفت إلى قوله كان المدح ألد والذم أشد على النفس . السبب الرابع : أن المدح يدل

له رب العالمين -
تدخل على الصوفى
أمور المائدة لموضع
حاجته وضرورة
بحريته وعنف باده
نور يقطعه وحسن
نيتة فتثور العادات
وتتشكل بالعبادات
ولهذا ورد « نوم العالم
عبادة وقته تسبيح »
هذا مع كون النوم
عين الفلقة ولكن كل
ما يستعان به على العبادة
يكون عبادة فتناول
الطعام أصل كبير
يحتاج إلى علوم كثيرة
لاشغاله على المصالح
الدنيوية والدنيوية
وتملق أئمة بالقلب
والقلب به يوم الدين
بأجراء سنة الله تعالى
بذلك والقلب مركب
القلب وبها عمارة
الدنيا والآخرة وقد

على حشمة المدح واضطرار السامع إلى اطلاق اللسان بالثناء على المدحوم إما عن طوع وإما عن قهر فإن الحشمة أيضا قد يفند لما فيها من القهر والقدرة وهذه القوة تحصل وإن كان السامع لا يعتقد الباطن مامدح به ولكن كونه مضطرا إلى ذكره نوع قهر واستيلاء عليه فلا جرم تكون لذته بقدر تمنع السامع وقوته فتكون لذته ثناء القوي المتمتع عن التواضع بالثناء أشد فهذه الأسباب الأربعة تجمع في ملح مادم واحد فيقطع بها الالتئاذ وقد تفرق فتقص القوة بها أما العلة الأولى وهي استثمار الكمال فتدفع بأن يعلم المدح أنه غير صادق في قوله كما إذا مدح بأنه نسيب أو سخي أو غلام يعلم أو متورع عن المخطورات وهو يعلم من حقه ضد ذلك فتزول العلة التي سببها استثمار الكمال وتبقى لذته الاستيلاء على قلبه وعلى لسانه وبقية اللذات فإن كان يعلم أن السامع ليس يعتقد ما يقوله ويعلم خلوه عن هذه الصفة يطلب العلة الثانية وهو استيلاءه على قلبه وتبقى العلة الاستيلاء والحشمة على اضطرار لسانه إلى النطق بالثناء فإن لم يكن ذلك عن خوف بل كان بطريق الحب بطلت اللذات كلها فلم يكن فيه أصلا لذته لقوات الأسباب الثلاثة فهذا ما يكشف الغطاء عن علة التئاذ النفس بالمدح وتألم بسبب الغم وإنما ذكرنا ذلك ليرف طريق العلاج لحب الجاه وحب الحمدة وخوف اللذات فإن ما لا يعرف سببه لا يمكن معالجته إذ العلاج عبارة عن حل أسباب المرض والله الوفاق بكرمه ولطفه وصلى الله على كل عبد مصطفى.

(بيان علاج حب الجاه)

اعلم أن من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصورا على مراعاة الخلق مشغوبا بالتودد إليهم وللرعاة لأجلهم ولا يزال في أقواله وأفعاله ملتفتا إلى ما يحظ من ثمرته عندهم وذلك بدر التفاني وأمل السادومير ذلك لاحالة إلى التساهل في العبادات والرداء بها وإلى اهتمام المخطورات لتوصل إلى اقتناس القلوب ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الشرف والمال وإفسادها للدين بذيئ خاربين وقال عليه السلام « إنه بنيت التفاني كما بنيت الماء البقل » إذ التفاني هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول والأفعال وكل من طلب للثروة في قلوب الناس فيضطر إلى التفاني معهم وإلى التظاهر بخصال حمدة هه وخال عنها وذلك هو عين التفاني فحب الجاه إذن من المهلكات فيجب علاجه وإزالته عن القلب فإنه طبع جبل عليه القلب كما جبل على حب المال وعلاجه مركب من علم وعمل أما العلم فهو أن يعلم السبب الذي لأجله أحب الجاه وهو كمال القدرة على أشخاص الناس وعلى قلوبهم وقد بينا أن ذلك إن صفا وسلم فآخره للوث فليس هو من الباقيات الصالحات بل لو سجد لك كل من على بساط الأرض من المشرق إلى المغرب في خمسين سنة لا يبقى الساجد ولا السجود له ويكون حاله كالذي مات قبله من ذوى الجاه مع التواضعين له فهذا لا ينبغي أن يترك به الدين الذي هو الحياة الأبدية التي لا تضلحها ومن فهم الكمال الحقيقي والكمال الوهمي كما سبق فضر الجاه في عينه لأن ذلك إنما يضر في عين من ينظر إلى الآخرة كأنه يشاهدها ويستغفر العاجلة ويكون الموت كالحاصل عنده ويكون حاله كحال الحسن البصري حين كتب إلى عمر بن عبد العزيز - أما بعد ، فكأنك بأخبر من كتب عليه الموت قد مات فانظر كيف مد نظره نحو المستقبل وقدره كائنوا كذلك حال عمر بن عبد العزيز حين كتب في جوابه ، أما بعد فكأنك بالدين لم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل فهو لا ، كان التفاهم إلى العاقبة فكان عملهم لها بالتقوى إذ علوا أن العاقبة للثنتين فاستحقروا الجاه والمال في الدنيا وأبصار أكثر الخلق ضئيفة مقصورة على العاجلة لا يمتدونها إلى مشاهدة العواقب ولذلك قال تعالى - بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى سوقا عز وجل - كلاب يحبون العاجلة وتذرون الآخرة فمن هذا حده فينبغي أن يعالج قلبه من حب الجاه بالعلم بالآفات العاجلة وهو أن يتفكر في الأخطار

ورد « أرض الجنة
قيان نباتها التسبيح
والتهديس » والقالب
بغفره على طيبة
الحيوانات يستعان به
على عمارة الدنيا والروح
والقلب على طيبة
اللائكة يستعان بهما
على عمارة الآخرة
وباجتماعهما صلحا
لعمارة الدارين والله
تعالى ركب الآدمي
بلطيف حكمته
من أخص جواهر
الجنائيات والروحانيات
وجملته مستودع خلاصة
الأرضين والسموات
جسد عالم الشهادة
وما فيها من النبات
والحيوان لقوام بدن

التي يستهدف لها أرباب الجاه في الدنيا فإن كل ذى جاه محسود ومقصود بالأيذاء وخائف على الدوام على جاهه ومحترز من أن تنير منزله في القلوب والقلوب أشد تنيراً من القدر في غلباتها وهي مترددة بين الإقبال والاعراض فكل ما يبنى على قلوب الخلق يضاهي ما يبنى على أمواج البحر فانه لا ثبات له والاستشغال بعراعة القلوب وحفظ الجامع ودفع كيد الحساد ومنع أذى الأعداء كل ذلك محموم عاجلة ومكندة للذة الجاه فلا يبق في الدنيا مرجوها بخوفها فضلاً عما يغوث في الآخرة فهذا ينبغي أن تتألم البصيرة الضعيفة وأما من نفذت بصيرته وقوى إيمانه فلا يلتفت إلى الدنيا فهذا هو العلاج من حيث العلم . وأما من حيث العمل فاستقاط الجاه عن قلوب الخلق بمباشرة أفعال يلام عليها حتى يستقطن أعين الخلق وتزاحم لذة القبول ويأسى بالتحول ويرد الخلق ويقنع بالقبول من الخالق وهذا هو مذهب للماتية إذ اتحموا الفواحش في صورتها ليستقلوا أنفسهم من أعين الناس فيسلبوا من آفة الجاه وهذا غير جائز لمن يقتدى به فانه يوهن الدين في قلوب السليين وأما الذي لا يقتدى به فلا يجوز له أن يقدم على محذور لأجل ذلك بل له أن يغفل من الباحات ما يسقط قدره عند الناس كما روي أن بعض الملوك قصد بعض الزهاد فلما علم قربه منه استدعى طعاماً ويقلاً وأخذ يأكل بشره ويعظم اللقمة فلما نظر إليه الملك سقط من عينه وانصرف فقال الزاهد الحمد لله الذي صرفك عني ومنهم من شرب شراباً حلالاً في قدح لونه لون الخمر حتى يظن به أنه يشرب الخمر فيسقط من أعين الناس وهذا في جوازها نظر من حيث الفقه إلا أن أرباب الأحوال ربما يبالغون أنفسهم بما لا يفي به الفقيه مهما رأوا إصلاح قلوبهم فيه ثم يتداركون ما فرط منهم فيه من صورة التقصير كما فعل بعضهم فانه عرف بالزهد وأقبل الناس عليه فدخل حماماً وليس ثياب غيره خرج فوقف في الطريق حتى عرفوه فأخذوه وضربوه واستردوا منه الثياب وقالوا إنه طرار وهجره وأقوى الطرق في قطع الجاه الاعتزال عن الناس والمهجرة إلى موضع الخمول فان المعتزل في بيته في البلد الذي هو به مشهور لا يخلو عن حب المنزلة التي ترسخ له في القلوب بسبب عزله فانه ربما يظن أنه ليس بمجالس الجاه وهو مفرور وإنما سكنت نفسه لأنها قد ظفرت بمقصودها ولو تخير الناس عما اعتقدوه فيه فذهبوا أو نسبوه إلى أمر غير لائق به جرحته نفسه وتألمت وربما توصلت إلى الاعتذار عن ذلك وإماطة ذلك النبار عن قلوبهم وربما يحتاج في إزالة ذلك عن قلوبهم إلى كذب وتبليس ولا يبالي به وبه يتبين بعد أنه حب الجاه والمنزلة ومن أحب الجاه والمنزلة فهو كمن أحب المال بل هو شر منه فان قسمة الجاه أعظم ولا يمكنه أن لا يحب المنزلة في قلوب الناس مادام يطعم في الناس فإذا أحرز قوته من كسبه أو من جهة أخرى وقطع طمعه عن الناس رأساً أصبح الناس كلهم عنده كالأرذل فلا يبالي أكان له منزلة في قلوبهم أم يكن كالأبالي بما في قلوب الذين هم منه في أقصى الشرق لأنه لا يرام ولا يطعم فيهم ولا يقطع الطمع عن الناس إلا بالقناعة فمن قنع استغنى عن الناس وإذا استغنى لم يشغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته في القلوب عنده وزن ولا يتم ترك الجاه إلا بالقناعة وقطع الطمع ويستعين على جميع ذلك بالأخبار الواردة في دم الجاه ومدح الخمول والذل مثل قولهم المؤمن ذلة أوفعة أو لغة وينظر في أحوال السلف وإشارهم لذلك على المز ورضيتهم في ثواب الآخرة رضى الله عنهم أجمعين .

(بيان وجه العلاج لحب المدح وكراهة الدم)

اعلم أن أكبر الناس إنما هلكوا بخوف هفمة الناس وحب مدحهم فصار حركاتهم كلها موقوفة على ما يوافق رضا الناس رجاء للمدح وخوفاً من النهم وذلك من المهلكات فيجب معالجته وطريقه ما لاحظته الأسباب التي لأجلها يحب المدح ويكره النهم . أما السبب الأول : فهو استئثار الكمال بسبب قول

الآدمي قال الله تعالى
- خلق لكم ما في
الأرض جima- فكونوا
الطامع وهي الحرارة
والرطوبة والسبرودة
والليوسة وكونوا
بواسطتها النبات وجعل
النبات قواماً للحوانات
مستخرجة لا دى يستعين
بها على أمر معاشه لقوام
بدنه فالطعام يصل إلى
المعدة وفي المعدة طباع
أربع وفي الطعام طباع
أربع فإذا أراد الله
اعتدال مزاج البدن
أخذ كل طبع من
طباع المعدة ضد من
الطعام فتأخذ الحرارة
للبرودة والرطوبة
لاليوسة فيعتدل

للمادح فطريقك فيه أن ترجع إلى عقلك وتقول لنفسك هذه الصفة التي بمدحك بها أنت متصف بها أم لا فإن كنت متصفا بها فهي إما صفة تستحق بها المدح كالمع والورع وإما صفة لا تستحق للمدح كالثرة والجاه والأعراض الدنيوية فإن كانت من الأعراض الدنيوية فالمدح بها كالمدح بنبات الأرض الذي يصير على القرب حشبا تندروه الرياح وهذا من قلة العقل بل العاقل يقول كآلة المتنبئ: أشد ألم عندى في سرور يتقن عنه صاحبه انتقالا

فلا ينبغي أن يفرح الانسان بمرض الدنيا وإن فرح فلا ينبغي أن يفرح بمدح السادح بها بل بوجودها والمدح ليس هو سبب وجودها ، وإن كانت الصفة مما يستحق المدح بها كالمع والورع فينبى أن لا يفرح بها لأن الحاشية غير معلومة وهذا إنما يقتضى الفرح لأنه يقرب عند الله زلفى وخطر الحاشية باق فى الخوف من سوء الحاشية شغل عن الفرح بكل ما فى الدنيا بل الدنيا دار أحرار ونعمو لادار فرح وسرور ثم إن كنت تفرح بها على رجاء حسن الحاشية فينبى أن يكون فرحك بفضل الله عليك بالعلم والتقوى لا بمدح السادح فإن اللذة فى استثمار الكمال والكمال موجود من فضل الله فمن المدح والمدح تابع له فلا ينبغي أن يفرح بالمدح والممدح لا يزيدك فضلا وإن كانت الصفة التي بمدحك بها أنت خال عنها ففرحك بالمدح غاية الجنون ومثالك مثال من يهزأ به إنسان ويقول سبحان الله ما أكثر العطر الذى فى أحشائه وما طيب الروائح التى تخرج منه إذ اقضى حاجته وهو يسم ما تشتمل عليه معاؤه من الأقدار والأثان ثم يفرح بذلك فسكنك إذا أثنا عليك بالصلاح والورع ففرحت به والله مطلع على خبايا باطنك وغوايا سريرتك وأقدار صفاتك كان ذلك من غاية الجهل فاذا المدح إن صدق فليكن فرحك بصفته التى هى من فضل الله عليك وإن كذب فينبى أن يسمع ذلك ولا يفرح به. وأما السبب الثانى وهو دلالة المدح على تسخير قلب المدح وكونه سببا لتسخير قلب آخر فهذا يرجع إلى حب الجاه والمزلة فى القلوب وقد سبق وجه معالجته وذلك بقطع الطمع عن الناس وطلب المزلة عند الله ، وبأن تعلم أن طلبك المزلة فى قلوب الناس وفرحك به يسقط منزلتك عند الله فكيف تفرح به . وأما السبب الثالث وهو الحشمة التى اضطرت السادح إلى المدح فهو أيضا يرجع إلى قدرة عارضة ثابتة لها ولا تستحق الفرح بل ينبغي أن يسمع مدح السادح وتكرهه وتغضب به كما نقل ذلك عن السلف لأن آفة المدح على المدح عظمة كما ذكرناه فى كتاب آفات اللسان . قال بعض السلف : من فرح بمدح فقد مكن الشيطان من أن يدخل فى بطنه . وقال بعضهم : إذا قيل لك نعم الرجل أنت فكان أحب إليك من أن يقال لك بشى الرجل أنت فأنت والله بشى الرجل ، وروى فى بعض الأخبار فإن صغ فهو قاصم للظهور « أن رجلا أتى على رجل خيرا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو كان صاحبك حاضرا فرضى الذى قلت فأتى ذلك دخل النار (١) » وقال صلى الله عليه وسلم مرة للمادح « ويحك صمتت ظهره لو سمعك ما أطلع على يوم القيامة (٢) » وقال عليه السلام « ألا لا تمادحوا وإذا رأيتم المادحين فاحشوا فى وجوههم التراب (٣) » فلماذا كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على وجل عظيم من المدح وفتنه وما يدخل على القلب من السرور العظيم به حتى إن بعض الخلفاء الراشدين سأل رجلا عن شئ فقال أنت بأمر المؤمنين خير منى وأعلم فغضب وقال إني لم أملك بأن تزكئ ، وقيل لبعض الصحابة لا يزال الناس بخير ما أمأك الله فغضب وقال

المزاح وبأمن الاعوجاج
وإذا أراد الله تعالى
إفناء قلب وتخريب
بنية أخذت كل
طبيعة جنسها من
المأكل فتبيل
الطبايع ويضطرب
المزاج ويسقم البدن
فك تقدير العزيز
الصليم . روى عن
وهب بن منبه قال :
وجدت فى التوراة صفة
آدم عليه السلام إني
خالقت آدم وركبت
جسده من أربعة
أشياء من رطب
وبابى وبارد وسخن
وذلك لأن خلقته من
التراب وهو بابى
ورطوبته من الماء

- (١) حديث أن رجلا أتى على رجل خيرا فقال لو كان صاحبك حاضرا فرضى الذى قلت ومات على ذلك دخل النار لم أجده أصلا (٢) حديث ويحك قطعت ظهره الحديث قاله السامع تقدم . (٣) حديث ألا لا تمادحوا وإذا رأيتم المادحين فاحشوا فى وجوههم التراب تقدم دون قوله ألا لا تمادحوا .

إني لأحسبك عزاليا ، وقال بعضهم لما مدح : اللهم إن عبدك تقرب إلى بمفك فأشهدك على مقته وإنما كرهوا الفزع خيفة أن يفرحوا بمدح الخلق وهم محفوتون عند الخالق فكان اشتغال قلوبهم بحاله عند الله ينفض إليهم مدح الخلق لأن المدح هو التقرب عند الله والذم هو البعد من الله للفق في النار مع الأشرار ، فهذا المدح إن كان عند الله من أهل النار فما أعظم جهله إذا فرح بمدح غيره ، وإن كان من أهل الجنة فلا ينبغي أن يفرح إلا بفضل الله تعالى وثمنا عليه إذ ليس أمره بيد الخلق ، ومهما علم أن الأرزاق والآجال بيد الله تعالى قل التماسه إلى مدح الخلق وذمهم وسقط من قلبه حب المدح واشتغل بما يهجه من أمر دينه ، والله للوفق الصواب برحمته .

(بيان علاج كراهة الدم)

قد سبق أن العلة في كراهة الدم هو ضد العلة في حب للدخ فإجابه أيضا فيهم منه والقول الوجيز فيه أن من ذمك لا يخلو من ثلاثة أحوال : إما أن يكون قد صدق فيما قال وقصد به الصبح والشفقة ، وإما أن يكون صادقا ولكن قصد الأذى والتعت ، وإما أن يكون كاذبا فإن كان صادقا وقصد الصبح فلا ينبغي أن تدمه وتضرب عليه وتخذ بسببه بل ينبغي أن تتخذ منه فإن من أهدى إليك عيوبك قد أرشدك إلى اللئيم حتى تتجبه فينبغي أن تفرح به وتستغل بأزالة الصفة للذمومة عن نفسك إن قدرت عليها فأما اغتيابك بسببه وكراهتك له وذكرك إياه فانه غاية الجهل وإن كان قصد التعت فأنت قد انتفعت بقوله إذ أرشدك إلى عيبك إن كنت جاهلا به أو ذكرك عيبك إن كنت غافلا عنه أو قبضه في عيبك لينت حرمك على إزالته إن كنت قد استحسنته وكل ذلك أسباب سعادتك وقد استفدت منه فاشتغل بطلب السعادة فقد أتبع لك أسبابها بسبب ماصحتك من اللذمة فلهما قصدت الدخول على ملك وتوكل ملوث بالمذرة وأنت لا تدري ولو دخلت عليه كذلك لحقت أن يحزن ربتك لتوكلت عليه بالمذرة فقال لك قائل أيها اللوث بالمذرة طهر نفسك فينبغي أن تفرح به لأن تنبيهك بقوله غيبة وجميع مساوي الأخلاق مهلكة في الآخرة والإنها إن غابا يرفها من قول أعدائه فينبغي أن تتقته . وأما قصد العدو التعت بخيانة منه على دين نفسه وهو نعمة منه عليك فلم تضرب عليه بقول انتفعت به أنت وتضرر هو به . الحالة الثالثة : أن يغترى عليك بما أنت برى منه عند الله تعالى فينبغي أن لا تسكره ذلك ولا تشتغل بدمه بل تفكر في ثلاثة أمور : أحدها أنك إن خلوت من ذلك العيب فلا تخلو عن أمثاله وأشباهه وما ستره الله من عيوبك أكثر فاشكر الله تعالى إذ لم يظلمه على عيوبك ودفعه عنك بذكر ما أنت برى عنه ، والثاني أن ذلك كثارات لبقية مساويك وذنوبك فكأنه رماك بسبب أنت برى منه وطهرك من ذنوب أنت ملوث بها وكل من اغتتابك قد أهدى إليك حسنة وكل من مدحك قد قطع ظهرك ، فإياك تفرح بقطع الظهر وتحزن لهذا الحسنات التي تحريك إلى الله تعالى وأنت تزعم أنك تحب القرب من الله . وأما الثالث فهو أن للسكين قد جن على دينه حتى سقط من عين الله وأهلك نفسه بأقترائه وتعرض لبقائه إلا أن فلا ينبغي أن تضرب عليه مع غضب الله عليه فتشمت به الشيطان وتقول اللهم أهلكه بل ينبغي أن تقول اللهم أصلحه اللهم ثبت عليه اللهم ارحمه كما قال صلى الله عليه وسلم « اللهم اغفر لقومي اللهم اهد قومي فاتهم لا يملون ^(١) » لما أن كسروا ثيابه وشجروا وجهه وقتلوا عمه حمزة يوم أحد ودعا إبراهيم بن آدم لمن شج رأسه بالمغفرة قيل له في ذلك قال علت آتى مأجور بسببه وما نالني منه إلا خيرا فلا أرضى أن يكون

(١) حديث اللهم اغفر لقومي فاتهم لا يملون قاله لما ضربه قومه البيهقي في دلائل النبوة وقد تقدم والمحذير في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قاله حكاية عن نبي من الأنبياء حين ضربه قومه .

وحرارته من قبل النفس وبرودته من قبل الروح وخلقت في الجسد بعد هذا الخلق الأول أربعة أنواع من الخلق هن ممالك الجسم ياذن وحين قوامه فلا يقوم الجسم إلا بهن ولا يقوم منهن واحدة إلا بأخرى منهن لذة السوداء والمرة الصفراء والدم والبلغم ثم أسكنت بعض هذا الخلق في بعض جعلت مسكني البيوضة في المرة السوداء ومسكن الرطوبة في المرة الصفراء ومسكن الحرارة في الدم ومسكن البرودة

هو محاقبا بسبي وما يهون عليك كراهة الذمة قطع الطمع فإن من استنبت عنه مهادنكم لم يحظم أثر ذلك في قلبه وأصل الدين القناعة وبها ينقطع الطمع عن اللذات الجامع مادام الطمع قائما كان حب البقاء واللذع في قلب من طمعت فيه غالبا وكانت همتك إلى تحصيل للزلة في قلبه مضروفاً ولا يزال ذلك إلا بهدم الدين فلا ينبغي أن يطعم طالب المال والبهاء ومحبة اللذع وبغض التمسق سلامة بغيره ذلك بئيد جدا.

(بيان اختلاف أحوال الناس في اللذع والهم)

اعلم أن للناس أربعة أحوال بالإضافة إلى الدماء والساح : الحالة الأولى أن يفرح بالمدح ويشكر اللذع ويغضب من الهم ويحقد على الدماء ويكافئه أو يحب مكافأته وهذا حال أكثر الخلق وهو غاية درجات الصبية في هذا الباب . الحالة الثانية أن يمتنع في الباطن على الدماء ولكن يمسك لسانه ويجوارحه عن مكافأته ويفرح باطنه ويرتاح للمدح ولكن يحفظ ظاهره عن إظهار السرور وهذا من نقصان إلا أنه بالإضافة إلى ما قبله كمال . الحالة الثالثة وهي أول درجات الكمال أن يتوسى عنده دما ومادحه فلا تهم للذمة ولا تسره للذمة وهذا قد ينظره بعض العباد بنفسه ويكون مغرورا إن لم يتعن نفسه بسلاماته ، وعلاماته أن لا يجد في نفسه استقالا للذام عند تطوله الجلوس عندما كثر ما يجد في المدح وأن لا يجد في نفسه زيادة هزة ونشاط في قضاء حوائج اللذع فوق ما يجده في قضاء حاجة الدماء وأن لا يكون اشتطاع الذام عن مجلسه أهون عليه من اشتطاع المدح وأن لا يكون موت المادح المطرقة أشد نكابة في قلبه من موت الذام وأن لا يكون غم بعصية المادح وما يناله من أعدائه أكثر مما يكون بعصية الذام وأن لا تكون زلة المادح أخف على قلبه وفي غيظه من زلة الذام فهو ما خاف الذام على قلبه كما خاف المادح واستوى من كل وجه فقد نال هذه الرتبة وما أبعد ذلك وما أشده على القلوب وأكثر العباد فرحهم بمدح الناس لهم مستبطن في قلوبهم وهم لا يشعرون حيث لا يتخون أنفسهم بهذه العلامات وربما شعر العابد بميل قلبه إلى المادح دون الذام والشيطان يحسن له ذلك ويقول الذام قد عصى الله بعمدتك والمادح قد أطاع الله بمدحك فكيف تسوى بينهما وإنما استغفلك للذام من الدين المحض وهذا بعض التلبس فان العابد لو تفكر علم أن في الناس من ارتكب كباثر المعاصي أكثر مما ارتكب الذام في مذمته ثم إنه لا يستقلهم ولا ينفر عنهم ويعلم أن المادح الذي مدح لا يخلو عن مذمة غيره ولا يجد في نفسه نقرة عنه بمذمة غيره كما يجد للمذمة نفسه والمذمة من حيث إنها معصية لا تختلف بأن يكون هو المذموم أو غيره فاذن العابد للفرور لنفسه بغضب ولهو ما يتعصب ثم إن الشيطان يغفل إليه أنه من الدين حتى يعتل على الله بهواه فيزيده ذلك بعدا من الله ومن لم يطعم على مكاييد الشيطان وآفات النفوس فأكثر عباداته تعب ضائع يموت عليه الدنيا وبخسره في الآخرة وفيهم قال الله تعالى قل هل ينشكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - الحالة الرابعة وهي الصدق في العبادة أن يكره المدح ويقت المادح إذ يعلم أنه فتنة عليه فاصمة لا تظهر مضرة له في الدين ومحبة الذام إذ يعلم أنه مهد إليه وعبرته إلى مهمه ومهد إليه حسنة قد تعدل ^(١) « رأس التواضع أن تذكره أن تذكر بالبر والتقوى » ^(٢) وقد روي في بعض الأخبار ما هو قاصم لظهور أمثالنا إن صح إذ روى أنه صلى الله عليه وسلم قال « ويل للصائم ويول للقائم ويول لصاحب الصوف الإيمان ، قيل يا رسول الله إلا من ؟ فقال إلا من تزهدت نفسه عن الدنيا وأبغض المذمة واستحب المذمة » ^(٣)

(١) حديث رأس التواضع أن يكره أن يذكر بالبر والتقوى لم أجده أصلا (٢) حديث ويل للصائم ويول للقائم ويول لصاحب الصوف الحديث لم أجده هكذا وذكر صاحب القردوس من حديث أنس ويول لمن لبس الصوف خالف قوله ولم يخرج له ولده في مسنده .

في البلم فأبما جسد اعتدلت فيه هذه الفسطر الأربع التي جعلتها ملاك وقوامه فكانت كل واحدة منهن ربما لا يزيد ولا ينقص كلفت صحته واعتدلت بنيتة فان زادت منهن واحدة عليهن هزمتين ومالت بهن ودخل عليه السقم من ناحيته بقدر غلبتها حتى يضعف عن طاقتهن ويهجر عن مقدارهن فأهم الأمور في الطمان أن يكون حلالا وكل مالا يذمه الشرع حلال رخصة ورحمة من الله لعباده ولو لا رخصة الشرع

وهذا شديد جدا وغاية أثمانا الطمع في الحالة الثانية وهو أن يضر القرع والكرامة على الدام والملاح ولا يظهر ذلك بالقوله والصلح فلما الحالة الثالثة وهي التسوية بين الدام والدام فلما نطمع فيها ثم إن طالبا أنفسنا بملامة الحالة الثانية فانها لا تفي بها لأنها لا بد وأن تتسارع إلى إكرام السالح وقضاء حاجاته وتتافل على إكرام الدام والثناء عليه وقضاء حوائجه ولا تضر على أن نسوى بينهما في الفعل الظاهر كما لا تضر عليه في سريرة القلب ومن قدر على التسوية بين السالح والدام في ظاهر الفعل فهو جدير بأن يتخذ قدوة في هذا الزمان إن وجد فانه الكبريت الأحمر يتحدث الناس به ولا يرى فكيف بما بعده من الرتبين وكل واحدة من هذه الرتب أيضا درجات أما الدرجات في اللدح فهو أن من الناس من ينفق للذة والثناء وانتشار الصيت فيتوصل إلى نيل ذلك بكل ما يمكن حتى يرائي بالعبادات ولا يبالى بمقارعة المخطورات لاستئالة قلوب الناس واستئطاق المستهم بالملاح وهذا من المالكين ومنهم من يريد ذلك ويطلبه بالمباحات ولا يطلبه بالعبادات ولا ياتى المخطورات وهذا على شفا جرف هار فان حدود الكلام الذى يستعمل به القلوب وحدود الأعمال لا يمكنه أن يضبطها فيوشك أن يقع فيها لا يجل لنيل الحمد فهو قريب من المالكين جدا ومنهم من لا يريد للذة ولا يسمى لطلبها ولكن إذا مدح سبق السرور إلى قلبه فان لم يقابل ذلك بالمجاهدة ولم يتكلف الكراهية فهو قريب من أن يستجره فرط السرور إلى الرتبة التي قبلها وإن جاهد نفسه في ذلك وكلف قلبه الكراهية وبغض السرور إليه بالتفكر في آفات اللدح فهو في خطر المجاهدة خاترة تكون اليد له وتارة تكون عليه ومنهم من إذا سمع للدم لم يسر به ولم يغم به ولم يؤثر فيه وهذا على خبر وإن كان قد بقي عليه غيبة من الإخلاص ومنهم من يكره للدم إذا سمع ولكن لا يتبى به إلى أن يضبط على الدام وينكر عليه وأقصى درجاته أن يكره ويضبط ويظهر الضبط وهو صادق فيه لأن يظهر الضبط وقلبه محب له فان ذلك عين التفاق لأنه يريد أن يظهر من نفسه الاخلاص والصدق وهو مفلس عنه وكذلك البغض من هذا تفاوت الأحوال في حق الدام وأول درجاته إظهار الضبط وآخرها إظهار القرع ولا يكون القرع وإظهاره إلا بمن في قلبه حتى وحقد على نفسه لمردها عليه وكثرة عيوبها ومواعيدها الكاذبة وتلبساتها الحبيثة فيفضها بنقض العدو والانسان يفرح بمن يذم عدوه وهذا شخص عدوه نفسه فيفرح إذا سمع ذمها ويشكر الدام على ذلك ويعتقد فطنته وذكاءه لما وقف على عيوبها فيكون ذلك كاللشفى له من نفسه ويكون غنيمة عنه إذا صار بالذمة أوضع في أعين الناس حتى لا يبتلى بفتنة الناس وإذا سبقت إليه حسنات لم ينصب فيها فساده يكون خيرا لمحبوه التي هو طاهر عن إباطها ولوجاهد الريد نفسه طول عمره في هذه الحصلة الواحدة وهو أن يستوى عنه دأبه ومادحه لكان له شغل شاغل فيه لا يتفرغ معه لغيره وبينه وبين السعادة غنيات كثيرة هذه إحداهما ولا تقطع شيئا منها إلا بالمجاهدة الشديدة في العمر الطويل .

(الشطر الثاني : من الكتاب في طلب الجاه ولترة العبادات)

وهو الرياء وفيه بيان ذم الرياء وبيان حقيقة الرياء وما يرائى به وبيان درجات الرياء وبيان الرياء الخفى وبيان ما يحبط العمل من الرياء وما لا يحبط وبيان دواء الرياء وعلاجه وبيان الرخصة في إظهار الطاعات وبيان الرخصة في كتمان الذنوب وبيان ترك الطاعات خوفا من الرياء والآفات وبيان ما يصح من نشاط العبد للعبادات بسبب رؤية الخلق وبيان ما يجب على الريد أن يلزمه قلبه قبل الطاعة وبعبها وهي عشرة فصول وبالله التوفيق

كبر الأمر وأتم
طلب الحلال . ومن
أدب الصوفية رؤية
النعم على النعمة وأن
يتدنى بفسل اليد
قبل الطعام قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم
والوضوء قبل الطعام
ينفى الفقره وبعثا كان
موجبا لنفى الفقر لأن
غسل اليد قبل الطعام
استقبال النعمة بالأدب
وذلك من شكر
النعمة والشكر
يستوجب المزيد فصار
غسل اليد مستجلبا
للنعمة مذهبا للفقر
وقد روى أنس بن
مالك رضى الله عنه
عن النبي صلى الله

(بيان ذم الرياء)

اعلم أن الرياء حرام وللرائي عند الله مخوف وقد شهدت لك الآيات والأخبار . أما الآيات : قوله تعالى - فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم راؤون بوجوههم عز وجل والذين يكونون السنين لهم عذاب شديد ومكر أولئك هم يبور - قال مجاهد : هم أهل الرياء وقال تعالى - إنما نعلمكم الوجوه لا نريد منكم جزاء ولا شكورا - فليح المخلصين ينفي كل إرادته سوى وجه الله والرياء ضده وقال تعالى - فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا^(١) - نزل ذلك فيمن يطلب الأجر والحمد بعبادته وأعماله . وأما الأخبار : فقد قال عليه السلام حين سأله رجل قال يا رسول الله فيم النجاة ؟ قال « أن لا يصل اليه بطاعة الله يريد بها الناس » وقال أبو هريرة في حديث الثلاثة : للقتول في سبيل الله والتصدق بماله والقارىء لكتاب الله كما أوردناه في كتاب الاخلاص وإن الله عز وجل يقول لكل واحد منهم كذبت بل أردت أن يقال فلان جواد كذبت بل أردت أن يقال فلان شجاع كذبت بل أردت أن يقال فلان قارىء فأخبر صلى الله عليه وسلم أنهم يثابوا وإن رياءهم هو الذي أحبط أعمالهم^(٢) وقال ابن عمر رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم « من رآه رأى الله » به ومن مع جمع الله به^(٣) وفي حديث آخر طويل « إن الله تعالى يقول للملكة إن هذا لم يردني بعمله فأجملوه في سبعين^(٤) » وقال عليه السلام « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال الرياء ، يقول الله عز وجل يوم القيامة إذا جازى العباد بأعمالهم أذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « استمذوا بالله عز وجل من جب الحزن قيل وما هو يا رسول الله قال واد في جهنم أعد للقرءاء للرائين^(٦) » وقال عليه السلام « يقول الله عز وجل : من عمل لي عملا أشرك فيه غيري فهو له كره وأثمنه برىء وأنا أغنى الأغنياء عن الشرك^(٧) »

عليه وسلم أنه قال « من أحب أن يكثر خبره فليتوضأ إذا حضر غداؤه فليدعى الله تعالى » قوله تعالى - ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه - تفسيره تسمية الله تعالى عند ذبح الحيوان واختلف الشافعي وأبو حنيفة رحمهما الله في وجوب ذلك وفهم الصوفي من ذلك بعد القيام بظاهر التفسير أن لا يأكل كل الطعام إلا مقرنا بالذكر

قصره فريضة وقته وأدبه ويرى أن تناول الطعام والماء ينتج من إقامة النفس ومتابعة

(١) حديث نزول قوله تعالى - من كان يرجوا لقاء ربه - الآية فيمن يطلب الآخرة والحمد بعبادته وأعماله الحاكم من حديث طاوس قال رجل إن أقص للوقف أبغى وجه الله وأحب أن يرى موطنى فلم يرد عليه حتى نزلت هذه الآية هكذا في نسختي من المستدرک وله سقط منه ابن عباس وأبو هريرة والليزار من حديث معاذ بن شد ضيف من صام رياء قد أشرك بالحدث وفيه أنه صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية (٢) حديث أبي هريرة في الثلاثة : للقتول في سبيل الله والتصدق بماله والقارىء لكتاب الله فان الله يقول لكل واحد منهم كذبت رواه مسلم وميائى في كتاب الاخلاص (٣) حديث ابن عمر من رآه رأى الله به ومن مع جمع الله به متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله وأما حديث ابن عمر فرواه الطبراني في الكبير والبيهقى في الشعب من رواية شيخ يكى أبازيد عنه بلغف من جمع الناس مع الله به سامع خلقه وحقره وصرفه وفي الزهد لابن المبارك ومسند أحمد بن منيع أنه من حديث عبد الله بن عمرو (٤) حديث إن الله يقول للملكة إن هذا لم يردني بعمله فأجملوه في سبعين ابن المبارك في الزهد ومن طريقه ابن أبي الدنيا في الاخلاص وأبو الشيخ في كتاب العظمة من رواية حمزة بن حبيب مرسل ورواه ابن الجوزى في اللوغات (٥) حديث إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر الحديث أحمد والبيهقى في الشعب من حديث محمود بن ليد وله رواية ورجاه تها ورواه الطبراني من رواية محمود بن ليد عن رافع بن خديج (٦) حديث استمذوا بالله من جب الحزن قيل وما هو وما هو ؟ قال واد في جهنم أعد للقرءاء للرائين الترمذى وقال غريب وابن ماجه من حديث أبي هريرة وصحه ابن عدى (٧) حديث يقول الله من عمل لي عملا أشرك فيه غيري فهو له كره

وقال عيسى للشيخ صلى الله عليه وسلم : إذا كان يوم صوم أحدكم فليدهن رأسه ولحيته وبمسح شفته
ثلاثا يرى الناس أنه صائم وإذا أعطى يمينه فليخف عن شباهه وإذا صلى فليرخ ستر يابه فإن الله يقسم
الثناء كما يقسم الرزق ، وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « لا يقبل الله عز وجل عملا فيه مقال فترد من
رياء » (١) وقال عمر لما ذن جبل حين رآه يكي ما يكيك ؟ قال حديث سمعته من صاحب هذا
القبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم يقول « إن أدنى الرياء شرك » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم
« أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية » (٣) وهي أيضا ترجع إلى خطايا الرياء ودقائقه
وقال صلى الله عليه وسلم « إن في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله رجلا تصدق يمينه فكاد يغبها عن
شباهه » (٤) ولذلك ورد « أن فضل عمل السر على عمل الجهر بسبعين ضفا » (٥) وقال صلى الله عليه
وسلم « إن للرأي ينادى عليه يوم القيامة يا فاجر يا غادر يا مراني ضل عملك وحبط أجرك انذهب فخذ
أجرك من كنت تعمل له » (٦) وقال شداد بن أوس « رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يكي يكي قتل
ما يكيك يا رسول الله ؟ قال إنني تخوفت على أمي الشرك أما إنيهم لا يبيدون صبا ولا همسا ولا قرأ
ولا حبرا ولكنهم يرامون بأعمالهم » (٧) وقال صلى الله عليه وسلم « لما خلق الله الأرض مادت
بأهلها فخلق الحبال ضيرها أوتادا للأرض قتالت اللاتكة ما خلق ربنا خلقا هو أشد من الحبال
فخلق الله الحديد قطع الحبال ثم خلق النار فأذابت الحديد ثم أمر الله الماء بإطفاء النار وأمر الريح
فكسرت الماء فاختلفت اللاتكة قتالت نساء الله تعالى قالوا يا رب ما أحد ما خلقت من خلقك ؟
قال الله تعالى لم أخلق خلقا هو أشد على من قاب ابن آدم حين يتصدق يمينه فيغيبها عن
شباهه فهذا أحد خلقا خلقتهم » (٨) وروى عبد الله بن المبارك بإسناده عن رجل أنه قال لما ذن جبل
حدثني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكي معاذ حتى ظننت أنه لا يسكت ثم سك
ثم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قال لي « يا معاذ قلت ليك بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال
الحديث مالك واللفظ له من حديث أبي هريرة دون قوله وأنا منه بريء ، ومسلم مع تقدم وتأخير دونها
أيضا وهي عند ابن ماجه بسند صحيح (١) حديث لا يقبل الله عملا فيه مقدار ذرة من رياء لم أجده
هكذا (٢) حديث معاذ إن أدنى الرياء شرك الطبراني هكذا والحاكم بالفظ إن اليسير من الرياء شرك
وقد تقدم قبل هذه الورقة (٣) حديث أخوف ما أخاف عليكم الرياء الحديث تقدم في أول هذا الكتاب
(٤) حديث إن في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله رجلا تصدق يمينه فكاد أن يغيبها عن شباهه
متفق عليه من حديث أبي هريرة نحوه في حديث سبعة بظلم الله في ظله (٥) حديث تفضيل
عمل السر على عمل الجهر بسبعين ضفة البيهقي في الشعب من حديث أبي الدرداء إن الرجل لعمل
العمل فيكتب له عمل صالح يستعمل به في السر ضعف أجره سبعين ضفا قال البيهقي هذا من أفراد بقية
عن شيوخه الجمهوريين وروى ابن أبي الدنيا في كتاب الاخلاص من حديث عائشة بسند ضعيف بفضل
الذكر الحق الذي لا تسعه الحفظه على الذكر الذي تسعه الحفظه سبعين درجة (٧) حديث إن
المراني ينادى يوم القيامة يا فاجر يا غادر يا مراني ضل عملك وحبط أجرك الحديث ابن أبي الدنيا من
رواية جيلة البصري عن صفان لم يسم وزاد يا كافر يا خاسر ولم يقل يا مراني وإسناده ضعيف
(٧) حديث شداد بن أوس إنني تخوفت على أمي الشرك الحديث ابن ماجه والحاكم نحوه وقد تقدم
قرىبا (٨) حديث لما خلق الله الأرض مادت بأهلها الحديث وفيه لم أخلق خلقا هو أعين من ابن آدم
يتصدق يمينه فيغيبها عن شباهه الترمذي من حديث أنس مع اختلاف وقال غريب .

هو لها ويرى ذكر الله
تعالج دواؤه وتريقه .
روت عائشة رضی الله
عنها قالت وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم
يأكل الطعام في ستة
غفر من أصحابه فجاء
أعرابي فأكله بقمطين
فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم أما إنه
لو كان يسمى الله
لكنا كما فإذا أكل
أحدكم طعاما فليقل
بسم الله فإن نسي أن
يقول بسم الله فليقل
بسم الله أو له وآخره
ويستحب أن يقول في
أول لقمة بسم الله والرحمن
الثانية بسم الله الرحمن
وفي الثالثة بسم وشر

إني محدثك حديثاً إن أنت حفظته ضحك وإن أنت ضيعته ولم تحفظه انقطعت حياتك عند الله يوم
القيامة بإمضاء إن الله تعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات والأرض ثم خلق السموات
فيصل لكل سبعة من السبعة ملكاً بواباً عليها قد جعلها عظاماً تصمد الحافظة بصل العبد من حين أصبح
إلى حين أمسى له نور كنور الشمس حتى إذا صمدت به إلى الساء الدنيا زكته ففكرته فيقول الملك
للحافظة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا صاحب القية أمرني ربّي أن لا أضع حمل من اغتاب
الناس بماوروني إلى غيري قال ثم تأتى الحافظة بصل صالح من أعمال العبد تضر به فزكته وتكره
حتى تبلغ به إلى الساء الثانية فيقول لهم الملك للوكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه إنه
أراد بعمله هذا عرض الدنيا أمرني ربّي أن لا أضع عمله بماوروني إلى غيري إنه كان يشتخر به على
الناس في مجالسهم قال وتصعد الحافظة بصل العبد ينتهج نوراً من صدقة وصيام وصلاة قد أعجب
الحافظة فيماورون به إلى الساء الثالثة فيقول لهم الملك للوكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه
صاحبه أنا ملك الكبر أمرني ربّي أن لا أضع عمله بماوروني إلى غيري إنه كان يشكر على الناس في
مجالسهم قال وتصعد الحافظة بصل العبد يزهر كازهر الكوكب الدرّى له دوى من تسبيح وصلاة
وحج وعمرة حتى بماورون به الساء الرابعة فيقول لهم الملك للوكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل
وجه صاحبه اضربوا به ظهره وبطنه أنا صاحب العجب أمرني ربّي أن لا أضع عمله بماوروني إلى
غيري إنه كان إذا عمل عملاً أدخل العجب في عمله قال وتصعد الحافظة بصل العبد حتى بماورون به
السااء الخامسة كأنه العروس للزفوفة إلى أهلها فيقول لهم الملك للوكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل
وجه صاحبه واحملوه على عاتقه أنا ملك الحسد إنه كان يحسد الناس من يتلم ويعمل بمثل عمله وكل
من كان يأخذ فضلاً من العبادات يحسدكم ويقع فيهم أمرني ربّي أن لا أضع عمله بماوروني إلى غيري
قال وتصعد الحافظة بصل العبد من صلاة وزكاة وحج وعمرة وصيام فيماورون بها إلى الساء
السادسة فيقول لهم الملك للوكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه إنه كان لا يرحم إنساناً قط
من عباد الله أصابه بلاء أو ضرر أضرب به بل كان يشمت به أنا ملك الرحمة أمرني ربّي أن لا أضع
عمله بماوروني إلى غيري قال وتصعد الحافظة بصل العبد إلى الساء السابعة من صوم وصلاة وثقة
وزكاة واجتهاد وورع له دوى كدوى الرعد وضوء كضوء الشمس معه ثلاثة آلاف ملك فيماورون
به إلى الساء السابعة فيقول لهم الملك للوكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه: اضربوا به
جوارحه اقتلوا به على قلبه إني أحجب عن ربّي كل عمل لم يرد به وجه ربّي إنه أراد بعمله غير الله
تعالى إنه أراد رضى عند الفقهاء وذكره عند العلماء وصيتاً في الدائن أمرني ربّي أن لا أضع عمله
بماوروني إلى غيري وكل عمل لم يكن لله خالصاً فهو رياء ولا يقبل الله عمل الرائي قال وتصعد الحافظة
بصل العبد من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر لله تعالى وتسميه
ملائكة السموات حتى يقطعوا به الحجب كلها إلى الله عز وجل فيقفون بين يديه ويشهدون له
بالعمل الصالح المخلص قال فيقول الله لهم أنتم الحافظة على عمل عبدي وأنا الرقيب على نفسه
إنه لم يردني بهذا العمل وأراد به غيري فقله لنتى فتقول الملائكة كلهم عليه لنتك ولنتنا
وتقول السموات كلها عليه لنة الله ولنتنا وتلته السموات السبع والأرض ومن فيهن قال معاذ
قلت يا رسول الله أنت رسول الله وأنا معاذ قال اتقوا وإن كان في عملك نقص بإمضاء حافظ على
لسانك من الوقيعة في إخوانك من حملة القرآن واحمل ذنوبك عليك ولا تحملها عليهم ولا ترك
نفسك بذمهم ولا ترفع نفسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الآخرة ولا تتكبر في مجلسك

لما يسلاثة أخاص
يقول في أول نفس
بالحمد إذا شرب وفي
الثانية الحمد لله رب
العالمين وفي الثالثة الحمد
له رب العالمين الرحمن
الرحيم وكان للحمدة
طباعاً تتذكر كما ذكرناه
بمواقفة طابع الطعام
فلقلب أيضاً مزاج
وطابع لأرباب التفقد
والرعايا والبقعة يعرف
انحراف مزاج القلب
من اللقمة المتناولة تارة
تحدث من اللقمة
حرارة الطيش
بالهوى إلى الفضول
وتارة تحدث في القلب
برودة الكسل بالقاعد
عن وظيفة الوقت وتارة

لنبي يحذر الناس من سوء خلقك ولا تاج رجلا وعندك آخر ولا تتعظم على الناس فيتعظم عنك خير الدنيا ولا تحمق في الناس فتحمق كلاب النار يوم القيامة في النار قال الله تعالى - والناسطات نشط - أندري من هن بامعاذ ؟ قلت ماهن ؟ بآبي أنت وأمي يارسول الله ؟ قال كلاب في النار تنشط اللحم والعظم . قلت بآبي أنت وأمي يارسول الله فمن يطيق هذه الحاصل ومن ينجو منها ؟ قال بامعاذ إنه ليسر على من يسره الله عليه (١) قال لنا رأيت أكثر ثلاثة للقرآن من معاذ للحذر مما في هذا الحديث ، وأما الآثار : فيروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه رأى رجلا يطأطأ رقبته فقال يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الحشوع في الرقاب إنما الحشوع في القلوب ورأى أبو أمامة الباهلي رجلا في المسجد يبكي في سجوده فقال أنت أنت لو كان هذا في بيتك . وقال على كرم الله وجهه : للرأى ثلاث علامات : يكسل إذا كان وحده وينشط إذا كان في الناس

ويزيد في العمل إذا أثنى عليه وينصم إذا ذم . وقال رجل لعبد بن الصامت أقتل بسبي في سبيل الله أريد به وجه الله تعالى ومحمد الناس قال لاشئ لك فسأله ثلاث مرات كل ذلك يقول لاشئ لك ثم قال في الثالثة إن الله يقول أنا أغنى الأغنياء عن الشرك الحديث . وسأله رجل سعيد بن المسيب فقال إن أهدنا بطعن المعروف يحب أن يحمده ويؤجر فقال له أحب أن تحمق ؟ قال لا قال فإذا عملت له عملاً فأخلصه . وقال الضحاك : لا تقولن أحدكم هذا لوجه الله ولوجه لآبائه ولن هذا لله وللرحم فإن الله تعالى لا يشريك له وضرب عمر رجلاً بالبردة ثم قال له اتعصم مني فقال لابل ادعها لله ولك فقال له عز ما صنعت شيئاً إما أن تدعها لي فأعرف ذلك أو تدعها لله وحده فقال ودعها لله وحده فقال فعم إذن . وقال الحسن : لقد سمعت أقواماً إن كان أحدهم تعرض للحكمة لولطقت بها لبغته وفتت أصحابه وباعته منها إلا حافة الشجرة وإن كان أحدهم ليرى فيرى الأذى في الطريق فليأمنه . أن ينحى إلا حافة الشجرة . ويقال إن الراى ينادى يوم القيامة بأربعة أسماء يا صرأى يا غدر يا خاسر يا فاجر اذهب فخذ أجرك ممن عملت له فلا أجر لك عندنا . وقال الفضيل بن عياض : كانوا يرادون بما يعملون وصاروا اليوم يرادون بما لا يعملون . وقال عكرمة : إن الله يعطي العبد على نيته ما لا يسطع على عمله لأن النية لا يراه فيها . وقال الحسن رضى الله عنه : الراى يريد أن يظن قدر الله تعالى وهو رجل سوء يريد أن يقول الناس هو رجل صالح كيف يقولون وقد دخل من ربه محل الأردياء فلا بد قلوب المؤمنين أن تعرفه . وقال قتادة : إذا رآى العبد يقول الله تعالى انظروا إلى عبدى يستهزئ بى . وقال مالك بن دينار : القراء ثلاثة قراء الرحمن وقراء الدنيا وقراء اللوك وإن محمد بن واسع من قراء الرحمن . وقال الفضيل : من أراد أن ينظر إلى مرآة فلينظر إلى . وقال محمد بن المبارك الصوري : أظهر السمات بالليل فانه أشرف من سمك بالتهار لأن السمات بالتهار للخلوقين وسمت الليل لرب العالمين . وقال أبو سليمان : التوقى عن العمل أشد من العمل . وقال ابن المبارك : إن كان الرجل ليطوف بالبيت وهو بخراسان قبيل له وكيف ذاك ؟ قال يجب أن يذكر أنه مجاور بئكة . وقال إبراهيم بن آدم : ماصدق الله من أراد أن يشر.

(١) حديث معاذ الطويل إن الله تعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات والأرض فجعل لكل سماء من السبعة ملكاً بواباً عليه الحديث بطوله في صعود الحفظة بعمل العبد ورد الملائكة له من كل سماء ورد الله تعالى له بعد ذلك عزاء الصنف إلى رواية عبد الله بن المبارك بإسناده عن رجل عن معاذ وهو كما قال رواه في الزهد وفي إسناده كما ذكر من لم يسم ورواه ابن الجوزى في الموضوعات .

تحدث رطوبة السهو
والفطنة وتارة ييوسة
المهم والحزن بسبب
الحظوظ العاجلة فهذه
كلها عوارض يفتن
لها التيقظ ويرى تغير
القلب بهذه الدواير
تغير مزاج القلب عن
الاعتدال والاعتدال
كما هو مهم طلبه
للقالب فللقالب أهم
وأولى وتطرق
الانحراف إلى القلب
أسرع منه إلى القالب
ومن الانحراف ما يستمر
به القلب فيموت لموت
القالب واسم الله تعالى
دواء نافع يجرب بقى
الأسواء ويذهب الداء
ويجلب الشفاء . حكم

(بيان حقيقة الرياء وما يراعى به)

اعلم أن الرياء مشتق من الرؤية والسمة مشتقة من السماع وإنما الرياء أصله طلب للترقة في قلوب الناس بإبرائهم خصال الخير إلا أن الجاه وللترقة طلب في القلب بأعمال سوى العبادات وتطلب بالعبادات واسم الرياء مخصوص بحكم المادة بطلب للترقة في القلوب بالعبادات وإظهارها لخد الرياء هو إرادة العباد بطلاقة الله فالرائى هو العابد وللراى هو الناس المطلوب رؤيتهم بطلب للترقة في قلوبهم وللراى به هو الحصول إلى قصد الرأى إظهارها والرياء هو قصد إظهار ذلك وللراى به كثير وتجمعه خمسة أقسام وهي مجامع ما يميز به العبد للناس وهو الدين والزى والقول والعمل والأفعال والحار جنة وكذلك أهل الدنيا يراءون بهذه الأسباب الخمسة إلا أن طلب الجاه وقصد الرياء بأعمال ليست من جملة الطاعات أهون من الرياء بالطاعات .

[القسم الأول : الرياء في الدين بالدين] وذلك بإظهار التحول والصفار ليوم بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن على أمر الدين وغلبة خوف الآخرة وليلد بالتحول على قلة الأكل وبالصفار على سهر الليل وكثرة الاجتهاد وعظم الحزن على الدين وكذلك يرأى بتشميت الشعر ليدله على استئراق المم بالدين وعدم التفرغ لتسريح الشعر وهذه الأسباب مهما ظهرت استدل الناس بها على هذه الأمور فارتاحت النفس لمقرتهم فذلك تدعوه النفس إلى إظهارها لئلا تلك الراحة تغرب من هذا خفض الصوت وإغارة العينين وذبول الشفتين ليستدل بذلك على أنه مواظب على الصوم وأن وقار الشرح هو الذى خفض من صوته وأضعف الجوع هو الذى ضعف من قوته وعن هذا قال للسبح عليه السلام : إذا صام أحدكم فليدهن رأسه ويرجل شعره ويكحل عينيه . وكذلك روى عن أبى هريرة وذلك كله لما يخاف عليه من تزغ الشيطان بالرياء ، ولذلك قال ابن معمر أسبحوا صياما مدهنين فهذه صمراء أهل الدين بالدين ، فأما أهل الدنيا فيراءون بإظهار السمن وصفاء اللون واعتدال القامة وحسن الوجه ونظافة البدن وقوة الأعضاء وتسامها .

[الثانى : الرياء بالهيئة والزى] أما الهيئة فتشتمل شعر الرأس وحلق الشارب وإطراق الرأس فى الشى والهدوء فى الحركة وإبقاء أثر السجود على الوجه وغلظ الثياب ولبس الصوف وتشميرها إلى قريب من الساق وتقصير الأكمام وترك تنظيف الثوب وتركه محرقا كل ذلك يرأى به ليظهر من نفسه أنه متبع لسنة فيه ومقتد فيه بعباد الله الصالحين ومن ذلك لبس الرمقة والصلاة على السجادة ولبس الثياب الزرق تشبها بالصوفية مع الإنلاص من حقائق التصوف فى الباطن ومنه التفتيح بالازار فوق المعانة وإسبال الرداء على العينين ليرى به أنه قد انتهى تشقه إلى الحذر من غبار الطريق ولتصرف إليه الأعين بسبب تميزه بتلك العلامة ومنه الدراعة والطيلسان يلبسه من هو خال عن العلم ليوم أنه من أهل العلم والراءون بالزى على طبقات فمنهم من يطلب للترقة عند أهل الصلاح بإظهار الزهد فلبس الثياب المحرقة الوسخة القصيرة النليظة ليرأى بخلطها ووسخها وتقصيرها وتخرفها أنه غير مكتر بالدين ولوكاف أن يلبس ثوبا وسطا نظيفا مما كان الساف يلبسه لكان عنده بمنزلة التبع وذلك خوفا أن يقول الناس قد بدا له من الزهد ورا جع عن تلك الطريقة ورغب فى الدنيا وطبقة أخرى يطلبون القبول عند أهل الصلاح وعند أهل الدنيا من الملوك والوزراء والتجار ولو لبسوا الثياب الفاخرة ردهم القراء ولوليسوا الثياب المحرقة البذلة ازدرتهم أعين الملوك والأغنياء فهم يريدون الجمع بين قبول أهل الدين والدنيا فذلك يطلبون الأصواف الدقيقة والأكسية الرفيقة والرقعات الصبوة والقوط الرقيقة فلبسوها ولعل قبة ثوب أحد الأغنياء ولونه وهيئة لون

أن الشيخ محمد
الغزالي لما رجع إلى
طوس وصف له في
بعض القرى عبد صالح
قصده زائرا فصادفه
وهو في صحراء له يذير
الحلقة في الأرض فلما
رأى الشيخ محمد جاء
إليه وأقبل عليه فجاء
رجل من أصحابه
وطلب منه البذر
ليؤوب عن الشيخ
في ذلك وقت اشتغاله
بالغزالي فامتنع ولم يعطه
البذر فسأله الغزالي
عن سبب امتناعه
فقال لأنى أبذر هذا
البذر بجانب حاضر
ولسان ذاكر أرجو
البركة فيه لكل من

ثياب الصلحاء فيلتسمون القبول عند القرشين وهؤلاء إن كلفوا لبس ثوب خشن أو وسخ لسكان
عندهم كالذئب خواف من السقوط من أعين اللوك والأغنياء ولو كلفوا لبس الديق والسكان الدقيق
الأبيض ولتصطب للعلم وإن كانت قيمته دون قيمة ثيابهم لعظم ذلك عليهم خوفا من أن يقول
أهل الصلاح قد رغبوا في زى أهل الدنيا وكل طبقة منهم رأى منزله في زى مخصوص فيقتل عليه
الانتقال إلى مودته أو إلى مافوقه وإن كان مباحا خيفة من اللئمة ، وأما أهل الدنيا فمرادهم
بالثياب النفيسة وللراكب الرقعة وأنواع التوسع والتجمل في اللبس والسكن وأثاث البيت وفره
الحجول وبالثياب للصبغة والطبالة النفيسة وذلك ظاهر بين الناس فاتهم بلبسهم في بيوتهم الثياب
الحسنة ويشتد عليهم لو برزوا للناس على تلك الهيئة مالم يبالعوا في الزينة .

[الثالث : الرياء بالقول] ورياء أهل الدين بالوعظ والتذكير والنطق بالحكمة وحفظ الأخبار
والآثار لأجل الاستعمال في المحاوراة وإظهار التزارة العلم ودلالة على شدة العناية بأحوال السلف الصالحين
وتحريك الشفتين بالذكر في محضر الناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمشهد الحقائق وإظهار
التعجب للمعجزات وإظهار الأسف على مفارقة الناس المعاصي وتضعيف الصوت في الكلام وترقيق الصوت
بقراءة القرآن ليدل بذلك على الخوف والحزن وادعاء حفظ الحديث ولقاء الشيخ والدق على طمى روى
الحديث ببيان خلل في لفظه ليبر أنه بصير بالأحداث والبادرة إلى أن الحديث صحيح أو غير صحيح
لإظهار الفضل فيه والمجادلة على قصد إغغام الخصم ليظهر للناس قوته في علم الدين والرياء بالقول كثير
وأأنواعه لاتحصى . وأما أهل الدنيا فمرادهم بالقول بحفظ الأشعار والأمثال والتفاصح في المبرات
وحفظ النحو القريب للإغراب على أهل الفضل وإظهار التودد إلى الناس لأسباب القلوب .

[الرابع : الرياء بالعمل] كرامات الصلى بطول القيام ومد الظاهر وطول السجود والركوع وإطراق
الرأس وترك الالتفات وإظهار الهدوء والسكون وتسوية القدمين واليدين وكذلك بالصوم والنعز والحبس
والصدقة وباطعام الطعام وبالإتيان في الشيء عند اللقاء كإرخاء الجفون وتكيس الرأس والوقار في
الكلام حتى إن الرائي قد يسرع في الشيء إلى حاجته فاذا أطاع عليه أحد من أهل الدين رجع إلى الوقار
وإطراق الرأس خوفا من أن ينسبه إلى العجلة وقلة الوقار فإن غاب الرجل عاد إلى عجائه فاذا رآه عاد إلى
خشوعه ولم يحضره ذكر الله حتى يكون يجدد الخشوع له بل هو لاطلاع إنسان عليه يخشى أن لا يعتقد
فيه أنه من الباد والصلحاء ومنهم من إذا سمع هذا استحيما من أن يخالف مشيئة في الخلوة مشيئة بمرأى
من الناس فيكلف نفسه الشيء الحسنة في الخلوة حتى إذا رآه الناس لم يفتقر إلى التغيير وبطن أنه
يتخاصم به عن الرياء وقد تضاعف به رباؤه فانه صار في خلوته أيضا مرأيا فانه إنما يحسن مشيئته في
الخلوة ليكون كذلك في الملا لخالوف من الله وحياء منه ، وأما أهل الدنيا فمرادهم بالتبخر والاختيال
وتحريك اليدين وتثريب الحنط والأخذ بأطراف الدليل وإدارة العطفين ليدلوا بذلك على الجاه والحشمة .

[الخامس : للرياء بالأصحاب والزرائن والمخالطين] كالتدنى بتكليف أن يستزير عالما من العلماء
ليقال إن فلانا قد زار فلانا أو عابدا من العباد ليقال إن أهل الدين يتركون زيارته ويرددون إليه أو
ملسا من اللوك أو عالما من محال السلطان ليقال لهم يتركون به لعظم رتبته في الدين وكأله يكثر ذكر
الشيخ ليرى أنه لقي شيوخا كثيرة واستفاد منهم فيأهى بشيوخه ومباهاته ومراءاته وترشح منه عند
مخاصمته فيقول لغيره من لقيت من الشيخ وأنا قد لقيت فلانا وفلانا ودرت البلاد وخدمت الشيخ
وما يجري مجراه فهذه مجامع ما برأى به للراودون وكلهم يطلبون بذلك الجاه والمزلة في قلوب العباد ومنهم
من يفتح بحسن الاعتقادات فيه فكمن راهب أنزوى إلى ديره سنين كثيرة وكمن عابد اعتزل

يتناول منه شيئا فلا
أحب أن أسله إلى
هذا فيزيد بلسان غير
ذا كرو قلب غير حاضر
وكان بعض الفقهاء
عند الأكل يشرع
في تلاوة سورة من
القرآن بمحض الوقت
بذلك حتى تغمض
أجزاء الطعام بأنوار
الذكر ولا يعقب الطعام
مكروه وتغير مزاج
القلب وقد كان شيخنا
أبو النجيب السهروردي
يقول أنا آكل وأنا
أصل يشير إلى حضور
القلب في الطعام وربما
كان يوقف من يمنع
عنه الشواغل وقت
أكله فلا يتفرق همه

إلى قلة جبل مدة مديدة وإنما خبأته من حيث علمه بقيام جاهه في قلوب الخلق ولعرف أنهم نسبوه إلى جرعة في ديره أو صومته لتشوش قلبه ولم يقنع بلم الله براءة صاحبه بل يشتد ذلك محموسى بكل حيلة في إزالة ذلك من قلوبهم مع أنه قد قطع طمعه من أموالهم ولكنه يحب مجرد الجاه فانه لا يذكرناه في أسبابه فانه نوع قدرة وكال في الحال وإن كان سريع الزوال لا يثرب إلا الجبال ولكن أكثر الناس جهال ومن المرابين من لا يقنع بقيام منزلته بل يلتصق مع ذلك إطلاق اللسان بالتأمل والحد ومنهم من يريد انتشار الصيت في البلاد لتكثر الرحلة إليه ومنهم من يريد الانتشار عند اللواتي قليل شفاعة وتجزع الحوائج على يده فيقوم له بذلك جاه عند العامة ومنهم من يقصد التوصل بذلك إلى جمع حطام وكسب مال ولو من الأوقاف وأموال اليتامى وغير ذلك من الحرام وهو لا يشترط طبقات للمرابين الذين يرادون بالأسباب التي ذكرناها فهذه حقيقة الرياء وما يقع فيه الرياء. فان قلت فالرياء حرام أو مكروه أو مباح أو فيه تفصيل . فأقول فيه تفصيل فان الرياء هو طلب الجاه وهو إما أن يكون بالعبادات أو بغير العبادات فان كان بغير العبادات فهو كطلب المال فلا يحرم من حيث إنه طلب منزلة في قلوب العباد ولكن كما يمكن كسب المال بتلبسات وأسباب محظورات فكذلك الجاه وكأن كسب قليل من المال وهو محتاج إليه الإنسان محمود فكسب قليل من الجاه وهو ما يسلم به عن الآفات أيضاً محمود وهو الذي طلبه يوسف عليه السلام حيث قال - إني حفظت علمي - وكان المال فيهم نافع وقد روي نافع فكذلك الجاه وكأن كثير المال يلهي ويغني ويضيء ذكر الله والدار الآخرة فكذلك كثير الجاه بل أشد وقته الجاه أعظم من قسمة المال وكما أنا لا نقول تملك المال الكثير حرام فلا نقول أيضاً تملك القلوب الكثيرة حرام إلا إذا حملته كثرة المال وكثرة الجاه على مباشرة ما لا يجوز ، ثم انصراف المم إلى سعة الجاه مبدأ الشرور كما انصراف المم إلى كثرة المال ولا يقدر حب الجاه والمال على ترك معاصي القلب واللسان وغيره وأما سعة الجاه من غير حرص منك على طلبه ومن غير اغتنام بزواله إن زال فلا ضرر فيه فلا جأه أوسع من جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من علماء الدين ولكن انصراف المم إلى طلب الجاه نقصان في الدين ولا يوصف بالحرص فعلى هذا نقول بحسين الثوب الذي يلبسه الإنسان عند الخروج إلى الناس مرادة وهو ليس بحرام لأنه ليس برباء بالعبادة بل بالدنيا وقس على هذا كل نجعل للناس وتزين لهم والدليل عليه ما روي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ أراد أن يخرج يوماً إلى الصحابة فكان ينظر في حب اللاء ويسوى عمامته وشعره وقالت أو تفعل ذلك يا رسول الله قال نعم إن الله تعالى يحب من البعد أن يتزين لأخوانه إذا خرج إليهم ^(١) ثم هذا كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم عبادة لأنه كان مأموراً بدعوة الخلق وترغيبهم في الاتباع وإسالة قلوبهم ولوسط من أعينهم لم يرغبوا في اتباعه فكان يجب عليه أن يظهرهم بحسن أحوالهم لا لئلا يزدريه أعينهم فان أعين عوام الخلق تمتد إلى الظواهر دون السرائر فكان ذلك قصور رسول الله ﷺ ولكن لو قصدوا صديقه بأن يحسن نفسه في أعينهم خذرا من ذمهم ولو مهم واستروا إلى توقيهم واحترامهم كان قد قصد أمراباها إذ للإنسان أن يعتز من ألم اللغو ويطلب راحة الأنس بالأخوان ومهما استغفروا واستغفروا لم أنس بهم فاذن المرادة بما ليس من العبادات قد تكون مباحة وقد تكون طاعة وقد تكون مذمومة وذلك بحسب الغرض المطلوب بها ولذلك قول الرجل إذا أشق ماله على جماعة من الأغنياء لاني معرض للعبادة والصدقة ولكن ليحقد الناس أنه سخط فهذا مرادة وليس بحرام وكذلك أمثاله. أما العبادات كاصدقة

وقت الأكل ويرى
له ذكر وحضور القلب
في الأكل أثر كبير
لا يسهل الإجمال له ومن
الذكر عند الأكل
التي كبرها الله تعالى
من الإنسان العينة على
الأكل فيها الكسرة
ومنها القاطعة ومنها
الطاعة وما جعل الله
تعالى من الماء الخوف
التم حتى لا يغير الذوق
كما جعل ماء العين مالحا
لما كان شحما حتى
لا يغدو وكيف جعل
الندوة تنبع من أرجاء
اللسان والتم ليعين
ذلك على المضغ والذوق
وكيف جعل القوة
المضامة مسلسلة على

(١) حديث عائشة أراد أن يخرج على أصحابه وكان ينظر في حب اللاء ويسوى عمامته وشعره الحديث ابن عدى في السكامل وقد تقدم في الطهارة .

والصلاة والصيام والنفوس والحج فللمرائي فيه حالتان: إحداهما أن لا يكون له قصد إلا الرياء لمحض دون الأجر وهذا يطل عبادته لأن الأعمال بالنيات وهذا ليس بقصد العبادة ثم لا يتصرف بإحاطة عبادته حتى يقول صار كما كان قبل العبادة بل يعنى بذلك ويأثم كما دلت عليه الأخبار والآيات. والآخر فيه أمران أحدهما يتعلق بالعباد وهو التلبس والسكر لأنه خيل إليهم أنه محتاسر مطيع لله وأنه من أهل الدين وليس كذلك والتلبس في أمر الدنيا حرام أيضا حتى لو قضى دين جماعة وخيل لباس أنه متبرع عليهم ليعتدوا سخاوته ثم به لما فيه من التلبس وتملك القلوب بالخداع والسكر. والثاني يتعلق بالله وهو أنه مهما قصد عبادة الله تعالى خلق الله فهو على مستهزئ بالله ولذلك قال قتادة إذا رآى العبد قال الله ملائكته انظروا إليه كيف يستهزئ بي ومثاله أن يمثل بين يدي ملك من الملوك طول النهار كما جرت عادة الخدم وإنما وقوفه للملاحظة جارية من جوارى الملك أو غلام من غلمانته فإن هذا استهزاء بالملك إذ لم يقصد التهرب إلى الملك بمجده بل يقصد بذلك عبدا من عبيده فأى استحقاق يزيد على أن يقصد العبد بطاعة الله تعالى مرأاة عبد ضعيف لا يملك له شرا ولا نفعاً وهل ذلك إلا لأنه يظن أن ذلك العبد أقدر على تحصيل أغراضه من الله وأنه أولى بالتعرب إليه من الله إذ أثره على ملك الملوك لحقه مقصود عبادته وأى استهزاء يزيد على رفع العبد فوق الولي فهذا من كبار الهلكات ولهذا جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك الأصغر ^(١)، نعم بعض درجات الرياء أشد من بعض كسبائيات يانه في درجات الرياء إن شاء الله تعالى ولا يخلو شيء منه عن إثم غليظ أو خفيف بحسب ما به الرأفة ولو لم يكن في الرياء إلا أنه يسجد ويركع لغير الله لكان فيه كفاية فانه وإن لم يقصد التقرب إلى الله فقد قصد غير الله ولمعمرى لو عظم غير الله بالسجود لكفر كفر اجابا إلا أن الرياء هو الكفر الخفي لأن المرأى عظم في قلبه الناس فاتصفت تلك العظيمة أن يسجد ويركع فكان الناس هم الملعونون بالسجود وجه ومهما زال قصد تعظيم الله بالسجود وبقي تعظيم الخلق كان ذلك قريبا من الشرك إلا أنه قصد تعظيم نفسه في قلب من عظم عنده بظاهره من نفسه صورة التعظيم لله فمن هذا كان شركا خفيا لا شر كاجليا وذلك غاية الجهل ولا يقدم عليه إلا من خدعه الشيطان وأوهم عنده أن العباد على كون من ضره وقته ورزقه وأجله ومصالح حاله وما له أكثر مما يملكه الله تعالى فذلك عدل بوجهه عن الله قبل وقبل قلبه عليهم ليستعمل بذلك قلوبهم ولو وكره الله تعالى إليهم في الدنيا والآخرة لكان ذلك أهل مكافأة له على صنيعه فإن العباد كلهم عاجزون عن أنفسهم لا يملكون لأنفسهم قوما ولا شرا فكيف يمكنون بترحم هذا في الدنيا فكيف في يوم لا يجزى والدن ولد ولا مولود هو جازع والدن شيئا بل يقول الأنبياء فيه نفسى فكيف يستبدل الجاهل عن ثواب الآخرة ونيل القرب عند الله ما يرتبه بطعمه الكاذب في الدنيا من الناس فلا ينبغي أن نشك في أن المرأى بطاعة الله في سخط الله من حيث الخلق والقياس جميعا هذا إذا لم يقصد الأجر فأما إذا قصد الأجر والحمد جميعا في صدقة وأصلا فهو الشرك الذى يناقش الاخلاص وقد ذكرنا حكمه في كتاب الاخلاص ويدل على ما قلناه من الآثار قول سعيد بن المسيب وعبادة بن الصامت: إنه لا أجر له فيه أصلا.

(بيان درجات الرياء)

اعلم أن بعض أبواب الرياء أشد وأغلظ من بعض واختلافه باختلاف أركانه وتفاوت الدرجات

(١) حديث سمى الرياء الشرك الأصغر أحمد من حديث محمود بن لبيد وقد تقدم ورواه الطبراني من رواية محمود بن لبيد عن رافع بن خديج لحقه في مسند رافع وتقدم قريبا وللحاكم وصح إسناده من حديث شداد بن أوس كذا نص على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الرياء الشرك الأصغر.

الطعام نفسه وتجزئه متعلقا مددها بالكبد والكبد بمثابة النار والصدمة بمثابة القدر وعلى قدر فساد الكبد تقل الحاشية ويضد الطعام ولا ينفصل ولا يصل إلى كل عضو نصيبه وهكذا تأثير الأعضاء كلها من الكبد والطحال والكلىتين ويطول شرح ذلك فمن أراد الاعتبار فليطالع قسريح الأعضاء ليرى العجب من قدرة الله تعالى من تعاضد الأعضاء وتعاونها وتعلق بعضها ببعض في إصلاح الغذاء واستجذاب

فيه وأركانها ثلاثة للراى به والراى لأجله ونفس قصد الرياء . الركن الأول: نفس قصد الرياء وذلك لا يغلو إما أن يكون مجردا دون إرادة عبادة الله تعالى والثواب وإما أن يكون مع إرادة الثواب فإن كان كذلك فلا يغلو إما أن تكون إرادة الثواب أقوى وأغلب أو أضعف أو مساوية لإرادة العبادة فتكون الدرجات أربعة . الأولى: وهى أغلظهم أن لا يكون مراده الثواب أصلا كالفى صلى بين أظهر الناس ولو انفرد لكان لا يصلى بل رعا يصلى من غير طهارة مع الناس فهذا مجرد قصدته إلى الرياء فهو المصوت عند الله تعالى وكذلك من يخرج الصدقة خوفا من مذمة الناس وهو لا يقصد الثواب ولو خلا بنفسه لما أداها فهذه الدرجة العليا من الرياء . الثانية: أن يكون له قصد الثواب أيضا ولكن قصدا ضعيفا بحيث لو كان في الخلو لكان لا يفعله ولا يجعله ذلك القصد على العمل ولو لم يكن قصد الثواب لكان الرياء يحمله على العمل فهذا قريب مما قبله وما فيه من شائبة قصد ثواب لا يستقل بحمله على العمل لا يبق عنه التمسك والإيم . الثالثة: أن يكون له قصد الثواب وقصد الرياء متساويين بحيث لو كان كل واحد منهما خاليا عن الآخر لم يمتعه على العمل فلما اجتماعا انبثت الرغبة أو كان كل واحد منهما مالا انفرد لاستقل بحمله على العمل فهذا قد أفسد مثل ما صلح فترجوان يسلم رأسا برأس لاله ولا عليه أو يكون له من الثواب مثل ما عليه من العقاب وظواهر الأخبار تدل على أنه لا يسلم وقد تكلما عليه في كتاب الإخلاص . الرابعة: أن يكون اطلاع الناس مرجحا ومقويا لنشاطه ولو لم يكن لكان لا يترك العبادة وتوكان قصد الرياء وحده لما أقدم عليه فالذى نظمه والعلم عند الله أنه لا يخط أصل الثواب ولكنه ينقص منه أو يعاقب على مقدار قصد الرياء ويثاب على مقدار قصد الثواب وأما قوله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى أنا أغنى الأغنياء عن الشرك » فهو محمول على ماذا تساوى القصدان أو كان قصد الرياء أرجح . الركن الثانى: الرأى به وهو الطاعات وذلك ينقسم إلى الرياء بأصول العبادات وإلى الرياء بأوصافها . القسم الأول وهو الأغلظ الرياء بأصول وهو على ثلاث درجات: الأولى الرياء بأصل الإيمان وهذا أغلظ أبواب الرياء . صاحبه غلظ في النار وهو الذى يظهر كلنى الشهادة وباطنه مشحون بالكذب ولكنه يرأى بظاهر الاسلام وهو الذى ذكره الله تعالى في كتابه في مواضع شتى كقوله عز وجل - إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد أنك بمرسل الله والله يعلم أنك بمرسل الله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون - أى في دلالتهم بقولهم على ضمايرهم وقول تعالى - ومن الناس من يجادل فى قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصماء وإذا تولى سعى فى الأرض ليغسب ناسا الآية وقال تعالى - وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغلظ - وقال تعالى - يرادون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا مذهبين بين ذلك - والآيات فيه كثيرة وكان الفارق يكثر فى ابتداء الإسلام ممن يدخل فى ظاهر الإسلام ابتداء لغرض وذلك مما يقل فى زماننا ولكن يكثر تفارق من ينسل عن الدين باطنا فيجعد الجنة والنار والدار الآخرة ميلا إلى قول للملحدة أو يعتقد على بساط التمرع والأحكام ميلا إلى أهل الإباحة أو يعتقد كفرا أو بدعة وهو يظهر خلافه فهو لا من الملقين والمرأين المخلصين فى النار وليس وراء هذا الرياء وحال هؤلاء أشد حالهم من الكفار المجاهرين فاتهم جمعوا بين كفر الباطن وتفاق الظاهر . الثانية: الرياء بأصول العبادات مع التصديق بأصل الدين وهذا أيضا عظيم عند الله ولكنه دون الأول بكثير . ومثاله أن يكون مال الرجل فى يد غيره فيأمره بأخراج الزكاة خوفا من ذمه لله يعلم منه أنه لو كان فى يده لما أخرجهما ويدخل وقت الصلاة وهو فى جمع وعادته ترك الصلاة فى الخلو وكذلك يصوم رمضان وهو يشتهى خلوة من الخلق ليعطر وكذلك يحضر الجمعة ولو لا خوف الذمة لكان لا يحضرها أو يصل رحمه أو يبر والديه لاعتن رغبة ولكن

القوة منه للأعضاء
واقسامه إلى الدم
والشمل واللبين انخذه
للولود من بين فرث
ودم لبنا خلصا سائقا
لشاربين فبارك الله
أحسن الخالطين فالعكر
فى ذلك وقت الطعام
وتعرف لطيف الحكم
والقدر فيه من الذكر
وعما يذهب داء الطعام
للغير مزاج القلب أن
يدعو فى أول الطعام
ويسأل الله تعالى
أن يجعله عونا على
الطاعة ويكون
من دعائه: اللهم صل
على محمد وعلى آل محمد
ومارزتنا عما تحب
اجعله عونا لنا على

خوفا من الناس أو يفزوا أو يحج كذلك فهذا مراد منه أصل الإيمان بالله يعتقد أنه لا يبعد
سواه ولو كلف أن يبعد غير الله أو يسجد لغيره لم يفعل ولكنه يترك العبادات للكل وينشط عند
اطلاع الناس فتكون منزلته عند الخلق أحب إليه من منزلته عند الخالق وخوفه من مذمة الناس
أعظم من خوفه من عقاب الله ورغبته في محمدتهم أشد من رغبته في ثواب الله ، وهذا غاية الجهل
وما أجدر صاحبه بالقت وإن كان غير منسل عن أصل الإيمان من حيث الاعتقاد الثالثة : أن لا يراى
بالإيمان ولا بالقرائن ولكنه يراى بالذواقل والسنن التي لو تركها لا يصح ولكنه بكل عناء في الحولة
لتتور رغبته في ثوابها وإثبات لذة الكسل على ما يرجى من الثواب ثم يسه الرياء على فعلها وذلك
تحتور الجماعة في الصلاة وعبادة المريض وأتباع الجنازة وغسل الميت وكالتجديد بالليل وصيام يوم
عرفة وعاشوراء ويوم الاثنين والخميس ، فقد يفعل للرأى جملة ذلك خوفا من الذمة أو طلبا للمحبة
وسلم الله تعالى منه أنه لو خلا بنفسه لما زاد على أداء القرائن فهذا أضعاف ولكنه دون ما قبله فإن
الذي قبله أثر حمد الخلق على حمد الخالق وهذا أيضا قد فعل ذلك واتفق ذم الخلق دون ذم الخالق
فكان ذم الخلق أعظم عنده من عقاب الله ، وأما هذا فلم يفعل ذلك لأنه لم يخف عقابا على ترك النافعة
لو تركها وأنه على الشطر من الأول وعقابه نصف عقابه فهذا هو الرياء بأصول العبادات . القسم
الثاني : الرياء بأوصاف العبادات لا بأصولها وهو أيضا على ثلاث درجات : الأولى أن يراى بفعل ما في
تركه نقصان العبادة كالتي غرضه أن يخفف الركوع والسجود ولا يطول القراءة فإذا رآه الناس
أحسن الركوع والسجود وترك الالتفات ونعم القعود بين السجدين ، وقد قال ابن مسعود من فعل
ذلك فهو استهانة يستهين بها ربه عز وجل : أي أنه ليس بيالى بإطلاع الله عليه في الحولة فإذا اطلع
عليه آدمى أحسن الصلاة ومن جلس بين يدي إنسان متربعا أو متكئا فدخل غلامه فاستوى وأحسن
الجلسة كان ذلك منه تقدما للقلام على السيد واستهانة بالسيد لا محالة . وهذا حال الرأى بتحسين
الصلاة في اللأ دون الحولة وكذلك الذي يتأد بإخراج الركعة من الدنانير الرديئة ومن الحب الرديء
فإذا اطلع عليه غيره أخرجه من الجيد خوفا من مذمته وكذلك الصائم يصوم صومه عن النية
والرفث لأجل الخلق لا لإكالا لعبادة الصوم خوفا من الذمة ، فهذا أيضا من الرياء المحطور لأن فيه
تقدما للمخلوقين على الخالق ولكنه دون الرياء بأصول التطوعات فإن قال الرأى إنما فعلت ذلك
صيانة لأنسنتم عن النية فاتهم إذا رأوا تخفيف الركوع والسجود وكثرة الالتفات أطلقوا اللسان
بالذم والنية وإنما قصدت صياتهم عن هذه المعصية فيقال له هذه مكيدة للشيطان عندك وتلبس
وليس الأمر كذلك فإن ضررك من نقصان صلاتك وهي خدمة منك لمولاك أعظم من ضررك بغيبة
غيرك فلو كان باعثك الدين لكان شغقتك على نفسك أكثر وما أنت في هذا إلا كمن يهدى وصيفة
إلى ملك ليأكل منه فضلا وولاية يتفهلها فيهدى إليه وهي عوراء قبيحة مة مقطوعة الأطراف ولا يالى
به إذا كان لللك وحده وإذا كان عنده بعض غلانه امتنع خوفا من مذمة غلانه وذلك محال بل
من يراعى جانب غلام الملك ينبغي أن تكون مراقبته للملك أكثر ، ثم للرأى في حالتان : إحداهما
أن يطلب بذلك للزلة والمهمة عند الناس وذلك حرام قطعا . والثانية : أن يقول ليس بمحصرني
الإخلاص في تحسين الركوع والسجود ولو خفت كانت صلاتي عند الله ناقصة وآذاني الناس بذمهم
وغيبتهم فاستفيد بتحسين الحية دفع مذمتهم ولا أرجو عليه ثوابا فهو خير من أن أترك تحسين الصلاة
فنفوت الثواب وتحصل الذمة فهذا فيه أدنى نظر ، والصحيح أن الواجب عليه أن يحسن ويخلص
فان لم تحصره النية فينبغي أن يستمر على عادته في الحولة فليس له أن يدفع الذم بالمرأاة بطاعة الله

ما تحب وما ذويت عنا
نما تحب اجعله فراها
لنا فيها تحب .

[الباب الثالث
والأربعون في آداب
الأكال]

فمن ذلك أن يتنعم
بالمح وعظم به روى
عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه قال لم
رضى الله عنه يا
أبا طامك بالمح
واختم بالمح فان اللح
شفاء من سبعين داء
منها الجنون والجذام
والبرص ووجع البطن
ووجع الأضراس
وروت عائشة رضي الله
عنها قالت «بلغ رسول
الله صلى الله عليه وسلم

فإن ذلك استهزاء كما سبق . الدرجة الثانية : أن يرائي بفعل مالا يقصان في تركه ولكن فضله في حكم التسكعة والتسعة لعبادته كالطول في الركوع والسجود ومد القيام وتحسين الهيئة ورفع اليدين واللبادة إلى التكبير الأولى وتحسين الاعتدال والزيادة في القراءة على السورة للعادة وكذلك كثرة الخلوة في صوم رمضان وطول الصمت واختيار الأجود على الجيد في الزكاة واعتبار الرقبة الغالية في الكفارة وكل ذلك مما لو خلا بنفسه لكان لا يقدم عليه . الثالثة : أن يرائي بزيادات خارجة عن نفس النوافل أيضا كخضوره الجماعة قبل القوم وقصده لأصف الأول وتوجهه إلى بين الإمام وما يجري مجراه وكل ذلك مما يعلم الله منه أنه لو خلا بنفسه لكان لا يبالى أبين وقصود مفرح بالصلاة فهذه درجات الرياء بالإضافة إلى ما يرائي به وبضه أعد من بعض والكسل مذموم . الركن الثالث : الرائي لأجله فإن للمرائي مقصودا لاحالة وإنما يرائي لإدراك مال أو جاه أو غرض من الأغراض لاحالة وله أيضا ثلاث درجات : الأولى وهي أعدها وأعظمها أن يكون مقصوده التمسك من معصية كالذي يرائي بعبادته ويظهر التقوى والورع بكثرة النوافل والانتناع عن أكل الشبهات وغرضه أن يعرف بالأمانة فيولي القضاء أو الأوقاف أو الوصايا أو مال الأيتام فيأخذها أو يسلم إليه نفقة الزكاة أو الصدقات ليستأثر بما قدر عليه منها أو يودع الودائع فيأخذها ويجمعها أو تسلّم إليه الأموال التي تنفق في طريق الحج فيخترل بعضها أو كلها أو يتوصل بها إلى استئجار الحجاج ويتوصل بقوتهم إلى مقاصده الفاسدة في العياصى ، وقد يظهر بعضهم زى التصوف وهيئة الخشوع وكلام الحكمة على سبيل الوعظ والتذكير وإنما قصده التحجب إلى امرأة أو غلام لأجل التجوّر وقد يحضرون مجلس العلم والتذكير وحلق القرآن يظهرهن الرغبة في سماع العلم والقرآن وغرضهم ملاحظة النساء والصبيان أو يخرج إلى الحج ومتصوده الظفر بن في الرقعة من امرأة أو غلام وهؤلاء أفضى الرائيين إلى الله تعالى لأنهم جعلوا طاعة ربهم سلا إلى معصيته وأخذوها آلة ومتجر واضعة لهم في فقههم ويقرب من هؤلاء وإن كان دونهم من هو مقترب بجزية آتهم بها وهو مصر عليها ويريد أن ينفي التهمة عن نفسه فيظهر التقوى لنفي التهمة كالذي جحد ودبعة وانهم الناس بها فتصدق بالمال ليقال إنه يتصدق بمال نفسه فكيف يستحل مال غيره ، وكذلك من ينسب إلى فجور بامرأة أو غلام فيدفع التهمة عن نفسه بالخشوع وإظهار التقوى . الثانية : أن يكون غرضه نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا من مال أو نكاح امرأة جميلة أو شريفة كالذي يظهر الحزن والبكاء وبشغل بالالوعظ والتذكير لبذل له الأموال ويرغب في نكاحه النساء فيقصده إما امرأة بيضا لينكحها أو امرأة شريفة على الجملة ، والكالذى يرغب في أن يتزوج بنت عالم عابد فيظهر له العلم والعبادة لرغب في تزويجه ابنته فهذا رياء محظور لأنه طلب بطاعة الله متاع الحياة الدنيا ولكنه دون الأول فإن المطلوب بهذا مباح في نفسه . الثالثة : أن لا يقصد نيل حظ وإدراك مال أو نكاح ولكن يظهر عبادته خوفا من أن ينظر إليه بعين النقص ولا يعد من الخاصة والزهاد ويعتقد أنه من جملة العامة كالذي يمشى مستعجلا فيقطع عليه الناس فيحسن الشئ ويترك المجلة كيلا يقال إنه من أهل اللهو والسهو لأن أهل الوفاة ، وكذلك إن سبق إلى الضحك أو بدامته الزحاح فيخاف أن ينظر إليه بعين الاحتقار فيتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصدعاء وإظهار الحزن ويقول ما أعظم غفلة الآدمي عن نفسه والله يعلم منه أنه لو كان في خلوة لما كان يقول عليه ذلك وإنما يخاف أن ينظر إليه بعين الاحتقار لا بعين التوقير والكالذى يرى جماعة يصلون التراويح أو يتعبدون أو يصومون الخجس والاثنتين أو تصدقون فواقهم خيفة أن ينسب إلى الكسل ويلحق بالعوام ولو خلا بنفسه لكان

في إبهامه من رجله اليسرى لدغة فقال على بذلك الأرض الذي يكون في المبعين فجثا بلمح فوضه في كفه ثم لقم منه ثلاث لقمات ثم وضع بقيته على اللدغة فسكنت عنه » ويستحب الاجتناع على الطعام وهو سنة الصوفية في الربط وغيرها . روى جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من أحب الطعام إلى الله تعالى ما كثرت عليه الأبدى » وروى أنه قيل « يا رسول الله إنا نأكل ولا نشبع

لا يغفل حيثما من ذلك وكالذي يحطش يوم عرفة أو عاشوراء أو في الأشهر الحرم فلا يشرب خوفاً من أن يلم الناس أنه غير صائم فإذا ظنوا به الصوم امتنع عن الأكل لأجله أو يدعى إلى طعام فيستع ليظن أنه صائم وقد لا يصرح بأن صائم ولكن يقول لي عذر وهو جمع بين خبيثين فإنه يرى أنه صائم ثم يرى أنه غفلس ليس بمراء وأنه يفتخر من أن يذكر عبادته للناس فيكون مرأياً فيريد أن يقال إنه سائر لبيادته ثم إن اضطر إلى شرب لم يصبر عن أن يذكر نفسه فيه عذراً صريحاً أو تعريضاً بأن يتصل بمرض يقتضي فرط العطش ويمنع من الصوم أو يقول أفطرت تطليبا لقلب فلان ثم قد لا يذكر ذلك متصلاً بغيره كي لا يظن به أنه يتندر برباء ولكنه يصبر ثم يذكر عذره في معرض حكاية عرضاً مثل أن يقول إن فلانا يحب للإخوان عديد الرغبة في أن يأكل الإنسان من طعامه وقد أُلح على اليوم ولم أجِد بدا من تطيب قلبه ومثل أن يقول إن أي ضيفة القلب مشقة فلنظن أني لو صمت يوماً مرضت فلا تدعى أصوم فهذا وما يجري مجراه من آفات الرياء فلا يسبق إلى اللسان إلا لا سوغ عرق الرياء في الباطن أما المتخلص فإنه لا يزال كيف نظر الخلق إليه فإن لم يكن له رغبة في الصوم وقد علم الله ذلك منه فلا يريد أن يعتقد غيره ما يخالف علم الله فيكون ملبساً وإن كان له رغبة في الصوم فتنفع به علم الله تعالى ولم يشرك فيه غيره وقد يخطر له أن في إظهاره اقتداء غيره به وتحريك رغبة الناس فيه وفيه مكيده وغرور وسيأتي شرح ذلك وشروطه فهذه درجات الرياء ومراتب أصناف الرائيين وجميعهم تحت مقت الله وغضبه وهو من أشد الهلكات وإن من شدته أن في عشاؤه هي أخفى من ديب النمل كما ورد به الخبر يزل فيه حلول العلاء فضلا عن العباد الجاهل بآفات النفوس وغوائل القلوب والله أعلم.

(بيان الرياء الحق الذي هو أخفى من ديب النمل)

اعلم أن الرياء جلي وخفي فالجلي هو الذي يمتحى على العمل وعمل عليه ولو قصد الثواب وهو أجلاء وأخفى منه قليلا هو ما لا يعمل على العمل بمجرده إلا أنه يخفف العمل الذي يريد به وجهه الله كالذي يتعبد التمجيد كل ليلة ويثقل عليه فإذا نزل عنده ضيف تنشيط له وخف عليه وعلم أنه لو لا رجاء الثواب لكان لا يعمل لمجرد رياء الضيفان وأخفى من ذلك ما لا يؤثر في العمل ولا بالتسهيل والتخفيف أيضا ولكنه مع ذلك مستبطن في القلب ومهما لم يؤثر في الدعاء إلى العمل لم يكن أن يعرف إلا بالعلامات وأجلى علاماته أن يسر باطلاع الناس على طاعته قرب عبد بخلص في عمله ولا يعتقد الرياء بل يكرهه ويرده ويتم العمل كذلك ولكن إذا اطلع عليه الناس سره ذلك وارتاح له وروح ذلك عن قلبه شدة العبادة وهذا السرور يدل على رياء خفى منه يرشح السرور ولو لا التفات القلب إلى الناس لما ظهر سروره عند اطلاع الناس فلقد كان الرياء مستكنا في القلب استكنا النار في الحجر فأظهر عنه اطلاع الخلق أثر الفرح والسرور ثم إذا استثمر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك بكراهية فيصير ذلك قوتا وغذاء للفرق الخفي من الرياء حتى يتحرك على نفسه حركة خفية فيتقاضى تقاضيا خفيا أن يتكف سببا يطلع عليه بالتعرض وإلقاء الكلام عرضا وإن كان لا يدعو إلى التصريح وقد يغنى فلا يدعو إلى الاظهار بالطلق تعريضا وتصريحا ولكن بالنمائل كإظهار التحول والصفار وخض الصوت وبسبب الشفتين وجفاف الريق وآثار الدموع وغلبة النعاس الدال على طول التهجيد وأخفى من ذلك أن يغنى بحث لا يريد الاطلاع ولا يسر بظهور طاعته ولكنه مع ذلك إذا رأى الناس أحب أن يبدوه بالسلام وأن يقابلوه بالبشاشة والتوقير وأن يشعروا به وأن ينشطوا في قضاء حوائجهم وأن يساعدهم في البيع والشراء وأن يسعوا له في السكان فإن قصر فيه مقصر فقل ذلك على قلبه ووجد لذلك استبعادا في نفسه كأنه يتقاضى الاحترام مع الطاعة التي أخفها مع أنه لم يطلع عليه ولو

قال لكم خفون
على طعامكم اجتمعوا
واذكروا اسم الله عليه
يارك لك فيه ومن
عادة الصوفية الأكل
على السر وهو سنة
رسول الله صلى الله
عليه وسلم . أخبرنا
الشيخ أبو زرعة
عن القوم بأسناده
إلى ابن ماجه الحافظ
القزويني قال أنا محمد
ابن الحسن قال ثنا أبي
ابن هشام قال ثنا أبي
عن يونس بن القرات
عن قتادة عن أنس
ابن مالك قال ما أكل
رسول الله صلى الله
عليه وسلم على خوان
ولا في سكرجة قال

لم يكن قد سبق منه تلك الطاعة لما كان يستبعد تصير الناس فى حقه ومهما لم يكن وجود البادة كمدحها فى كل ما يتعلق بالخلق لم يكن قد قطع بعم الله ولم يكن خاليعا عن شوب خفى من الرياء أخفى من ديب البخل^(١) وكل ذلك يوشك أن يحبط الأجر ولا يسلم منه إلا الصديقون. وقد روى عن على كرم الله وجهه أنه قال: إن الله عز وجل يقول لقراء يوم القيامة: ألم يكن يرخص عليكم السر أن تكونوا بتدؤون بالسلام ألم تكونوا تضى لكم الحوائج وفى الحديث « لا أجر لكم قد استوفيت أجوركم » وقال عبد الله بن المبارك روى عن وهب بن منبه أنه قال إن رجلا من السواح قال لأصحابه إنا إنما فارقنا الأموال والأولاد مخافة الطغيان تخاف أن نكون قد دخل علينا فى أمرنا هذا من الطغيان أكثر مما دخل على أهل الأموال فى أموالهم إن أحدنا إذا لقي أحب أن يظلم لكان دينه وإن سأل ملكهم فركب فى موكب من الناس فاذا السهل والجبل قد امتلأ بالناس قال السامع ما هذا قيل هذا للثقل قد أظلك فقال للثقل بطعام فأثامه يقل وزيت وقلوب الشجر لجعل يحشو شدة ويأكل أكلا عنيما فقال الملك ابن صاحب؟ فقالوا هذا قال كيف أنت قال كالناس ، وفى حديث آخر يخبر قال للثقل ما عند هذا من خير فاضرف عنه فقال السامع الحمد لله الذى صرفك عنى وأنت لى ذام فلم يزل المخلصون خائفين من الرياء الحفى يجهتدون لذلك فى مخافة الناس عن أعمالهم الصالحة يحرصون على إخفائها أعظم مما يحرص الناس على إخفاء فواحشهم كل ذلك رجاء أن تغسل أعمالهم الصالحة فيجازيهم الله فى القيامة بإخلاصهم على ملا من الخلق إذ علوا أن الله لا يقبل فى القيامة إلا الخالص وعلوا شدة حاجتهم وفاقمهم فى القيامة وأنه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ولا يجرى والله عن ولده ويستغل الصديقون بأنفسهم فيقول كل واحد نفسى نفسى فضلا عن غيرهم فكانوا كزوار بيت الله إذا توجهوا إلى مكة فأنهم يستصحبون مع أنفسهم الذهب الثرى الخالص لهم بأن أرباب البوادي لا يروج عندهم الزائف والتبرج والحاجة تشتت فى البادية ولا وطن يفرغ إليه ولا حميم يتمسك به فلا ينبغى إلا الخالص من النقد فكذا يشاهد أرباب القلوب يوم القيامة والزاد الذى يزودونه له من التقوى فإذن شوائب الرياء الحفى كثيرة لا تنحصر ومهما أدرك من نفسه فزق عين أن يطلع على عبادته إنسان أو بهيمة فيه شعبة من الرياء فانه لما قطع طمعه عن البهائم لم يبال حشره البهائم أو الصبيان الرضع أم غابوا ، اطلموا على حركته أم لم يطلموا فلو كان مخلصا قائما بعم الله لاستحق عقلاء العباد كما استحق صبيانهم ومجانينهم وعلم أن العقلاء لا يقدرون له على رزق ولا أجل ولا زيادة ثواب وتقصان عقاب كالأقدر عليه البهائم والصبيان والمجانين فاذا لم يجد ذلك فيه شوب خفى ولكن ليس كل شوب يحبط للأجر مفسدا للعمل بل فيه تفصيل . فان قلت لما ترى أحدا ينفك عن السرور إذا عرفت طاعته فالسرور مذموم كله أو بعضه محمود وبعضه مذموم . فنقول أولا: كل سرور فليس يذموم بل السرور منقسم إلى محمود وإلى مذموم ، فأما الم محمود فأربعة أقسام: الأول أن يكون قصد إخفاء الطاعة والإخلاص لله ولكن لما اطلع عليه الخلق علم أن الله أعلمهم وأظهر الجليل من أحواله فيستدل به على حسن صنع الله به ونظره إليه وإلطافه به فانه يستر الطاعة والعصية ثم الله يستر عليه العصية ويظهر الطاعة ولا لطف أعظم من ستر التبيح وإظهار الجليل ليكون فرحه بمجمل نظر الله له لا يحمد الناس

فلام كانوا يأكلون؟
قال على السفر وصغر
القيمة ويجود الأكل
بالفخ وينظر بين
يديه ولا يطلع وجوه
الأكليين ويحمد على
رجله اليسرى وينصب
اليمين ويجلس جلسة
التواضع غير متكى
ولا تعزز نهى رسول
الله صلى الله عليه وسلم
أن يأكل الرجل
مشككا وروى أنه
أهدى لرسول الله
صلى الله عليه وسلم
شاة فجاء رسول الله
صلى الله عليه وسلم
على ركبته يأكل
فقال أعرابي ما هذه
الجلسة يا رسول الله ؟

(١) حديث فى الرياء شوائب أخفى من ديب البخل أحمد والطبرانى من حديث أبى موسى الأشعرى
انتوا هذا الشرك فانه أخفى من ديب البخل، ورواه ابن حبان فى الضعفاء من حديث أبى بكر الصديق
وضمعه هو والدارقطنى .

وقيام منزلة في قلوبهم وقد قال تعالى - قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فستأنسوا به أنه عند الله مقبول ففرح به . الثاني أن يستدل باظهار الله الجليل وستره التبع عليه في الدنيا أنه كذلك فدخل في الآخرة إذ قال رسول الله ﷺ «ماستر الله على عبد ذنبا في الدنيا إلا ستره عليه في الآخرة (١)» فيكون الأول فرحا بالقول في الحال من غير ملاحظة للتقبل وهذا الثقات إلى التسليم الثالث أن يظن رغبة للطلعين على الاقتداء به في الطاعة فيتضاعف بذلك أجره فيكون له أجر العاليتين عما يظهر آخرها وأجز السربا تصده أولا ومن اتقى به في طاعة فله مثل أجر أعمال القانتين به من غير أن ينقص من أجورهم شيء وتوقع ذلك جدير بأن يكون سبب السرور فان ظهور محال الربح قد يند وموجب للسرور لا محالة . الرابع أن يعمده المظلومون على طاعته فيفرح بطاعتهم في مدحهم وبهمجهم للطبع ويعيل قلوبهم إلى الطاعة إذ من أهل الايمان من يرى أهل الطاعة فيمته ويحمده أويئمه ويهزأ به أو ينسبه إلى الرياء ولا يحمده عليه فهذا فرح بحسن إيمان عباد الله وعلامة الاخلاص في هذا النوع أن يكون فرحه بحمد غيره مثل فرحه بحمد إياه . وأما للذم وهو الخاسر فهو أن يكون فرحه لقيام منزلة في قلوب الناس حتى يمدحوه ويعظموه ويقوموا بقضاء حوائجهم ويقابلوه بالأكرام في مصادره وموارده فهذا مكروه والله تعالى أعلم .

(بيان ما يحبط العمل من الرياء الخفي والجلي وما لا يحبط)

فقول فيه : إذا عقد العبد العبادة على الاخلاص ثم ورد عليه وارد الرياء فلا يخلو إما أن يرد عليه بعد فراغه من العمل أو قبل الفراغ فان ورد بعد الفراغ سرور مجرد بالظهور من غير إظهار فبذلك لا يفسد العمل إذ العمل قد تم على نعت الاخلاص سالما عن الرياء فباطل بصدقه فبرجوان لا تنطبع عليه أثره لاسيا إذا لم يتكف هو إظهاره والتحدث به ولم يمتن إظهاره وذكره ولكن اتفق ظهوره باظهار الله ولم يكن منه إلا مداخل من السرور والارتياح على قلبه ، نعم لو تم العمل على الاخلاص من غير عذر دياره ولكن ظهرت له بعده رغبة في الاظهار فتحدث به وأظهره فهذا محرف . وفي الآثار والأخبار ما يدل على أنه يحبط قد روى عن ابن مسعود أنه سمع رجلا يقول قرأت البقرة فقال ذلك حظه من أروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل قاله صمت الدهر يا رسول الله فقال له «صمت ولا أفطرت (٢)» قال بعضهم إنما قال ذلك لأنه أظهره وقيل هو إشارة إلى كراهة صوم الدهر وكما كان فيحتمل أن يكون ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ابن مسعود استدلالا على أن قلبه بعد العبادة لم يخل عن عقد الرياء وقصده له لما أن ظهر منه التحدث به إذ يبعد أن يكون ما يظهر أبعاد العمل بطلائع الواب العمل بل الأقيس أن يقال إنه مناب على عمله الذي مضى ومعاقب على سرائره بطلاة الله بعد الفراغ منها بخلاف ما لو تغير عقده إلى الرياء قبل الفراغ من الصلاة فان ذلك قد يطل الصلاة ويحبط العمل وأما إذا ورد وأورد الرياء قبل الفراغ من الصلاة مثلا وكان قد عدى على الاخلاص ولكن ورد في أثناءها وأورد الرياء فلا يخلو إما أن يكون مجرد سرور لا يؤثر في العمل وإما أن يكون رياء باع على العمل فان كان باعاً على العمل وختم العبادة به حبط أجره ، ومثاله أن يكون في تطوع فتجددت له نظارة

(١) حديث ماستر الله على عبد في الدنيا إلا ستره عليه في الآخرة مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث قال لرجل قال صمت الدهر ، صامت ولا أفطرت . مسلم من حديث أبي قتادة قال عمر يا رسول الله كيف بمن صوم الدهر قال لاصام ولا أفطر ولا يطبراني من حديث أسماء بنت يزيد في أثناء حديث فيه قال رجل إلى صائم قال بعض القوم إنه لا يفطر إنه يصوم كل يوم قل النبي صلى الله عليه وسلم لاصام ولا أفطر من صام الأبد لم أجده بانفظ الخطاب .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله خلق عبدا ولم يحاف جبارا عنيدا . ولا يتندى بالطعام حتى يبدأ للقدم أو الشيخ روى حذيفة قال وكنا إذا حضرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما لم يشع أحدنا يده حتى يبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأكل باليمين . روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «لأكل أحدكم يمينه وليترب يمينه ولأخذ يمينه ولعط يمينه فان الشيطان يأكل جهاله ويحرب

أوحى ملك من الملوك وهو ينتهي أن ينظر إليه أريد كرسيا نسيمن ماله وهو يريد أن يطلبه لولا الناس لقطع الصلاة فاستمها خافا من مذمة الناس قد حبط أجره وعليه الاعادة إن كان في فرصة وقد قال **عليه السلام** « العمل كالوعاء إذا طاب آخره طاب أوله ^(١) » أي النظر إلى خاتمه، وروى « أنه من رآه بعمله ساعة حبط عمله الذي كان قبله ^(٢) » وهذا منزل على الصلاة في هذه الصورة لا على الصدقة ولا على القراءة فإن كل جزء من ذلك مفرد لما يطرأ فبصد الباقي دون الماضي والصوم والحج من قبيل الصلاة وأما إذا كان وارد الرياء بحيث لا يمنعه من قصد الاتمام لأجل الثواب كالوحد في جماعة في أثناء الصلاة فصرح بحضورهم وعقد الرياء وقصد تحسين الصلاة لأجل نظرم وكان لولا حضورهم لكان ينمها أيضا فهذا رياء قد أثر في العمل واتهنى باعثا على الحركات فإن غلب حتى اتعجم معه الاحساس بقصد العبادة والثواب وصار قصد العبادة ممنورا فهذا أيضا ينبغي أن يفسد العبادة بها مضى ركن من أركانها على هذا الوجه لأننا كنفي بالنية السابقة عند الاحرام بشرط أن لا يطرأ عليها ما يفسد أو يغيرها ويجعل أن يقال لا يفسد العبادة نظرا إلى حالة القصد وإلى بقاء قصد أصل الثواب وإن ضعف بهجوم قصد هو أغلب منه . ولقد ذهب الحارث المحاسبي رحمه الله تعالى إلى الإحباط في أمره هو أن من هذا وقال إذا لم يرد إلا مجرد السرور بإطلاع الناس على سروراهو كعب للزينة والجلالة قال قد اختلف الناس في هذا فصارت فرقة إلى أنه محبط لأنه قضى العزم الأول وركن إلى حمد الخلوين ولم يتم عمله بالأخلاص وإيمان به العمل بخاتمه ثم قال ولا أنقطع عليه بالحبط وإن لم يتزدد في العمل ولا آمن عليه وقد كتبت أقصيه باختلاف الناس والأغلب على قولي أنه محبط إذا ختم عمله بالرياء ثم قال فإن قيل نداء الحسن رحمه الله تعالى : إنها حالتان فإذا كانت الأولى لم تقصره الثانية . وقد روي « أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله أسر العمل لأحب أن يطلع عليه فيقطع عليه فيفسد قال لك أجزان أجر السرور وأجر الملاينة ^(٣) » ثم تسكلم على الخبر والأثر قال أما الحسن فإنه أراد بقوله لا يضره أي لا يبدع العمل ولا تقصره الخطرة وهو يريد الله ولم يقل إذا عتد الرياء بعد اعتد الاخلاص لم يضره وأما الحديث فيسكنم عليه بكلام طويل يرجع حاصله إلى ثلاثة أوجه : أحدها أنه يحتمل أنه أراد ظهور عمله بعد الفراغ وليس في الحديث أنه قبل الفراغ . الثاني : أنه أراد أن يسره للاقتداء به أو لسرور آخر محمودها ذكرناه قبل لاسرورا بسبب حب المصداقة والتزقة بدليل أنه جعل له به أجرا ولا ذهاب من الأمة إلى أن للسرور بالمصداقة أجرا وغايته أن يفي عنه فكيف يكون له خالص أجره وللرأي أن أجرا . والثالث : أنه قال أكثر من يروي الحديث برويه غير متصل إلى أبي هريرة بل أكثرهم يوقفه على أبي صالح ومنهم من يرفعه فالحكم بالعمومات الواردة في الرياء أولى هذا ما ذكره ولم يقطع به بل أظهر ميلا إلى الإحباط والأقرب عندنا أن هذا القدر إذا لم يظهر أثره في العمل بل بقي العمل صادرا عن باعث الدين وإعسا انضاف إليه السرور بالإطلاع فلا يفسد العمل لأنه لم ينعدم به أصل نيته وبقيت تلك

جهاه ويأخذ جهاه
ويطلى جهاه « وإن
كان للأكل تمرا أو
ماله هم لا يجمع من
ذلك ما يرى ولا يؤكل
على الطبق ولا في كفه
بل يضع ذلك على
ظهر كفه من فيه
ويرميه ولا يأكل من
فدرة الثريد . روى
عبد الله بن عباس
عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال « إذا
وضع الطعام فغذوا من
حاشيته وذروا وسطه
فإن البركة تنزل في
وسطه » ولا ييبس الطعام
روى أبو هريرة رضي الله
عنه قال ما بع رسول
الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث العمل كالوعاء إذا طاب آخره طاب أوله ابن ماجه من حديث معاوية بن أبي سفيان بلفظ إذا طاب أسفل طاب أعلاه وقد تقدم (٢) حديث من رآه بعمله ساعة حبط عمله الذي كان قبله لم أجده بهذا اللفظ وللشيخين من حديث جندب من مع مع الله به ومن رآه يري الله به ورواه مسلم من حديث ابن عباس (٣) حديث إن رجلا قال أسر العمل لأحب أن يطلع عليه فيقطع عليه فيفسدني فقال لك أجزان الحديث البيهقي في شعب الإيمان من رواية كوان عن ابن مسعود ورواه الترمذي وابن حبان من رواية كوان عن أبي هريرة الرجل يعمل العمل فيفسره فإذا اطاع عليه أعجبه قال له أجر السرور والملاينة قال الترمذي غريب وقال إنه روى عن أبي صالح وهو ذكر أنه مرسل .

النية بائنة على العمل وحاملة على الأنعام ، وأما الأخبار التي وردت في الرياء فهي مجموعة على ما إذا لم يرد به إلا الخلق وأما ما ورد في الشركة فهو محمول على ما إذا كان قصد الرياء مساويا لقصد الثواب أو أغلب منه أما إذا كان صريحا بالإضافة إليه فلا يحبط بالكلية ثواب الصدقة وسائر الأعمال ولا يثبت أن قصد الصلاة ولا يمد أيضا أن يقال إن الذي أوجب عليه صلاة خالصة لوجه الله الخالص مالا يشوبه شيء فلا يكون مؤديا للواجب مع هذا الشوب والعلم عند الله فيه وقد ذكرنا في كتاب الاخلاص كلاما في هذا وأوردناه الآن فليرجع إليه فهذا حكم الرياء الطاريء بعد عقد العبادة إما قبل الفراغ أو بعد الفراغ . القسم الثالث : الذي يقارن حال الصدق بأن يتبدى الصلاة على قصد الرياء فإن استمر عليه حتى سلم فلا خلاف في أنه يقضى ولا يمتد صلاته وإن ندم عليه في أثناء ذلك واستنفر ورجع قبل التمام فبطلت عنه صلاة أو جهه قالت فرقة لم تنقض صلاته مع قصد الرياء فليست تأنف وقالت فرقة تلزمه إعادة الأضلاع كالركوع والسجود وتضمنه أضلعه دون تحريم الصلاة لأن التحريم عقد والرياء خاطر في قلبه لا يخرج التحريم عن كونه عقدا وقالت فرقة لا يلزم إعادة شيء بل يستنفر الله بقلبه ويتم العبادة على الاخلاص والنظر إلى خاتمة العبادة كما لو ابتدأ بإخلاص وختم بالرياء لكان يفسد عمله وشبهوا ذلك بشوب أيضا لطعم بنجاسة عارضة فافاد أنزيل العارض على الأصل فقالوا إن الصلاة والركوع والسجود لا تكون إلا لله ولو سجد لغير الله لكان كافرا ولكن اقرن به عارض الرياء ثم زال بالندم والتوب وصار إلى حالة لا يالي محمد الناس وذمهم فنقص صلاته ومذهب الفريقين الآخرين خارج عن قياس الفقه جدها خصوصاً من قال يلزمه إعادة الركوع والسجود دون الافتتاح لأن الركوع والسجود إن لم يصح صارت أضلاعاً زائدة في الصلاة فنقض الصلاة كذلك قول من يقول لو ختم بإخلاص صح نظرا إلى الآخر فهو أيضا منصف لأن الرياء يقدح في النية وأولى الأوقات بمراجعة أحكام النية حال الافتتاح فالتى يستقيم في قياس الفقه هو أن يقال إن كان بائنه مجرد الرياء في ابتداء العقد دون طلب الثواب وامتنال الأمر لم يفتقد افتتاحه ولم يصح ما بعده وذلك فيمن إذا خلا بنفسه لم يصل ولما رأى الناس تحرم الصلاة وكان بحيث لو كان ثوبه نجسا أيضا كان يصل لأجل الناس فهذه صلاة لانية فيها إذا النية عبارة عن إجابة بائنه الدين وههنا لا بائنه ولا إجابة فأما إذا كان بحيث لو لا الناس أيضا لكان يصل إلا أنه ظهر له الرغبة في المهددة أيضا فاجتمع الباعثن فهذا إما أن يكون في صدقة وقراءة وما ليس فيه تحليل وتحريم أو في عقد صلاة وحج فان كان في صدقة فقد عصى بإجابة بائنه الرياء وأطاع بإجابة بائنه الثواب فمن جعل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره - فله ثواب بقدر قصده الصحيح وعقاب بقدر قصده الفاسد ولا يحبط أحدهما الآخر وإن كان في صلاة تقبل الفساد بتطرق خلل إلى النية فلا يخلو إما أن تكون فرضا أو نفلا فان كانت نفلا غلب عليها أيضا حكم الصدقة قد عصى من وجه وأطاع من وجه إذ اجتمع في قلبه الباعثن ولا يمكن أن يقال صلاته فاسدة والافتداء به باطل حتى إن من صلى التراويح وتبين من فرائض حاله أن قصده الرياء باظهار حسن القراءة ولولا اجتماع الناس خلفه خلا في بيت وحده ما حصل لا يصح الاقتداء به فان للصير إلى هذا بعيد جدا بل يظن بالمسلم أنه يقصد الثواب أيضا بطوعه فصح باعتبار ذلك قصد صلاته وبصح الاقتداء به وإن اقرن به قصد آخر وهو به عاص فأما إذا كان في فرض واجتمع الباعثن وكان كل واحد لا يستقل وإنما يحصل الانبعاث بجموعها فهذا لا يسقط الواجب عنه لأن الإيجاب لم يتشعب بائنه فبعباده واستقلاله وإن كان كل بائنه مستقلا حتى لو لم يكن بائنه الرياء لأدى الفرائض ولو لم يكن بائنه الرياء لأنشأ صلاة بطوعه لأجل الرياء فهذا العمل والنظر وهو معتدل جدا فيحتمل أن يقال إن الواجب صلاة خالصة لوجه الله ولم يؤد الواجب الخالص ويحتمل أن يقال الواجب امتثال

طعاما قط إن اشتبه
أكله وإلا تركه وإذا
سقطت اللقمة يأكلها
قد روى أنس بن
مالك رضى الله عنه
عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال وإذا
سقطت لقمة أحدكم
فليدب عنها الأذى
ولأكلها ولا يدعها
للسيطان ويلقى
أصابعه فقدرى جابر
عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال وإذا
أكل أحدكم الطعام
فليتنس أصابعه فإنه
لا يدري في أي طعامه
تكون البركة وهكذا
أمر عليه السلام
بإسقاط التمسع وهو

الأمر يباعث مستقل بنفسه وقد وجد فاقتران غيره به لا يمنع سقوط الفرض عنه كما لو صلى في دار منصوبة فانه وإن كان عاصيا بإيقاع الصلاة في الدار للنسوبة فانه مطيع بأصل الصلاة ومسقط للفرض عن نفسه وتعارض الاحتمال في تعارض البواعث في أصل الصلاة أما إذا كان الرياء في المبادرة مثلا دون أصل الصلاة مثل من يبادر إلى الصلاة في أول الوقت لحضور جماعة ولو خلا لأخرى إلى وسط الوقت ولولا الفرض لكان لا يبتدئ صلاة لأجل الرياء فهذا مما يقطع بصحة الصلاة وسقوط الفرض به لأن باعث أصل الصلاة من حيث إنها صلاة لم يعارضه غيره بل من حيث تعيين الوقت فهذا أبعد عن القدح في النية هذا في رياء يكون باعثا على العمل وحاملا عليه وأما مجرد السرور بإطلاع الناس عليه إذا لم يبلغ أثره إلى حيث يؤثر في العمل فيبعد أن يغسد الصلاة فهذا مآزرها لاها بتأبون الفقه والسائلة غائصة من حيث إن الفقهاء لم يتعرضوا لها في فني الفقه ، والذين خاضوا فيها وتصرّفوا في لاحظوا قوانين الفقه ومقتضى فتاوى الفقهاء في صحة الصلاة وفسادها بل حلّمهم الحرس على تصفية القلوب وطلب الاخلاص على إفساد العبادات بأن الحواطر وما ذكرناه هو الأقصد فيها نراه والعلم عند الله عز وجل فيه وهو عالم التيب والشهادة وهو الرحمن الرحيم .

(بيان دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه)

قد عرفت مما سبق أن الرياء محبط للأعمال وسبب للمقت عند الله تعالى وأنه من كبائر المهلكات وما هذا وصفه لجدير بالتشهير عن ساق الجرد في إزالته ولو بالمجاهدة وتحمل الشاق فلا شفاء إلا في شرب الأدوية للرة البشعة وهذه مجاهدة يضطر إليها العباد كلهم إذ الصبي يخاف ضعف العقل والتعب تمتد العين إلى الخلق كثير الطمع فيهم يرى الناس يتصنع بعضهم لبعض فيطلب عليه حب التصنع بالضرورة ويرسخ ذلك في نفسه وإنما يشعر بكونه مهلكا بعد كمال عقله وقد اقرض الرياء في قلبه وترسخ فيه فلا يقدر على نفسه إلا بمجاهدة شديدة ومكابدة لقوة الشهوات فلا ينفك أحد عن الحاجة إلى هذه المجاهدة ولكنها تنشق أولا وتخف أخرا وفي علاجه مقامان : أحدهما قلع عروقه وأصوله التي منها انتعابه والثاني دفع ما يخطر منه في الحال . لقام الأول : في قلع عروقه واستئصال أصوله وأصله حب للزلة والجاء وإذا فضل رجع إلى ثلاثة أصول وهي : لذة الحمد والفرار من ألم القم والطمع فيها في أبدى الناس ويشهد للرياء بهذه الأسباب وأنها الباعثة للرائي ما روى أبو موسى « أن أعرابيا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية ^(١) » ومعناه أنه يأبى أن يقهر أو يذم بأنه مغرور مغلوب وقال والرجل يقاتل ليري مكانه وهذا هو طلب لذة الجاه والتقدير في القلوب والرجل يقاتل للذكر وهذا هو الحمد باللسان فقال صلى الله عليه وسلم « من قاتل لشكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » وقال ابن مسعود إذا التقى الصفان نزلت اللاتكة فكتبوا الناس على مراتبهم فلان يقاتل للذكر وفلان يقاتل للملك والقنائل للملك إشارة إلى الطمع في الدنيا . وقال عمر رضي الله عنه يقولون فلان شهيد ولعله يكون قد ملا دفع راحلته ورقا وقال صلى الله عليه وسلم « من غزا لا يني إلا عقلا فله مانوى ^(٢) » فهذا إشارة إلى الطمع وقد لا يشتهي الحمد ولا يطعم فيه ولكن يحذر من ألم الدم كالبخل بين الأسخياء وهم يتصدقون بالمال الكثير فانه يتصدق بالقليل كي لا يبخل وهو ليس يطعم في الحمد وقد سبقه غيره . وكالبخل بين الشجان لا يفر من الزحف خوفا من الدم وهو لا يطعم في الحمد وقد هجم غيره على صف القتال ولكن إذا أبى

مسحها من الطعام قال أنس رضي الله عنه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسكات القصعة ولا ينفخ في الطعام قد روت عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « الفخ في الطعام يذهب بالبركة » وروى عبد الله بن عباس أنه قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفخ في طعام ولا في شراب ولا ينفخ في الإناء فافس من الأدب ذلك والخل والبقل على السفر من السنة . قيل إن اللاتكة تحضر للائدة إذا كان

(١) حديث أبي موسى أن أعرابيا قال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية الحديث متفق عليه .

(٢) حديث من غزا لا يني إلا عقلا فله مانوى النسائي وقد تقدم .

من الحمد كره الهم وكالرجل بين قوم يصلون جميع الليل فيصلي ركعات معدودة حتى لا يذم بالكل وهو لا يطمع في الحمد وقد يقدر الانسان على الصبر عن لذة الحمد ولا يقدر على الصبر على ألم التهم ولذلك قد يترك السؤال عن علم هو محتاج إليه خيفة من أن يذم بالجهل وينفي عن علم ويدعى العلم بالحدث وهو به جاهل كل ذلك حلوا من الذم بهذه الأمور الثلاثة هي التي تحرك الرائي إلى الرياء وعلاجه ما ذكرناه في الشطر الأول من الكتاب على الجلة ولكننا نذكر الآن ما يخص الرياء وليس ينبغي أن الانسان إنما يقصد الشيء ويرغب فيه لظنه أنه خير له ونافع ولذيذ إما في الحال وإما في الآخرة علم أنه لذيق في الحال ولكنه ضار في الآخرة سبل عليه قطع الرغبة عنه كمن يعلم أن السبل لذيق ولكن إذا بان له أن فيسبأ أعرض عنه فكذلك طريق قطع هذه الرغبة أن يعلم ما فيه من الضرر ومهما عرف البعد منصرف الرياء وما يغوته من صلاح قلبه وما يحرم عنه في الحال من التوفيق وفي الآخرة من اللذة عند الله وما يمرضه من العقاب العظيم والتمت الشديد والحزى الظاهر حيث ينادى على رموس الحلائق يا فاجر يا غادر يا مرائي أما استحييت إذا شترت بطاعة الله عرض الدنيا وراقت قلوب العباد واستبذرت بطاعة الله ومحببت إلى العباد بالتبضع إلى الله وترينت لهم بالشيء عند الله وتعرضت إليهم بالبعد من الله وتحمدت إليهم بالنعم عند الله وطلبت رضاهم بالتعرض لسخط الله أما كان أحد أهون عليك من الله فهما تفسكر البعد في هذا الحزى وقابل ما حصل له من العباد والذين لهم في الدنيا بما يغوته في الآخرة وبما يحبط عليه من ثواب الأعمال مع أن العمل الواحد ربما كان يرجع بميزان حسنة لو خلس فاذا قصد الرياء حوّل إلى كفة السيئات فترجح به ويهوى إلى النار فلو لم يكن في الرياء إلا إحباط عبادة واحدة لكان ذلك كافياً في معرفة ضرره وإن كان مع ذلك سائر حسنة راجعة فقد كان ينال بهذه الحسنة علو الرتبة عند الله في زمرة النبيين والصدّيقين وقد حط عنهم بسبب الرياء ورد إلى صف النعال من مراتب الأولياء هذا مع ما يمرضه له في الدين ما نشتت لهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق فإن رضا الناس غاية لا تدرك فكل مريض به فريق يسخط به فريق ورضا بعضهم في سخط بعضهم ومن طلب رضاهم في سخط الله سخط الله عليه وأسخطهم أيضاً عليه ثم أي غرض له في مدحهم وإشراحهم الله لأجل مدحهم ولا يزيد مدحهم رزقا ولا أجلا ولا ينفعه يوم قرره وفااته وهو يوم القيامة وأما الطمع فيها في أيديهم فإن يعلم أن الله تعالى هو للسخر للقلوب بالنع والاعطاء وأن الخلق مضطرون فيه ولا رازق إلا الله ومن طمع في الخلق لم يخل من اللذ والحياة وإن وصل إلى الراد لم يخل من اللذة واللهاة فكيف يترك ما عند الله براء كاذب ووم فاسد قد يصيب وقد يخطئ وإذا أصاب فلا تقى لذته بآلم منته ومنذله وأما ذمهم فلم يحذر منه ولا يزيد ذمهم شيئا ما لم يكتبه عليه الله ولا يجعل أجله ولا يؤخر رزقه ولا يجهل من أهل النار إن كان من أهل الجنة ولا يفضله إلى الله إن كان محمداً عند الله ولا يزيد مقتا إن كان محموتا عند الله فالعباد كلهم محزنة لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا هلاكا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا فاذا قرر في قلبه آفة هذه الأسباب وضررها قوت رغبته وأقبل على الله قلبه فإن العاقل لا يرغب فيما يكثر ضرره ويقل نفعه ويكتبه أن الناس لو علموا ما في باطنه من قصد الرياء وإظهار الاخلاص لقتلوه وسيكشف الله عن سره حتى يفضله إلى الناس ويصرفهم أنه مرء ومقتوت عند الله ولو أخلص الله لكشف الله لهم إخلاصه وجبه إليهم وسخرهم له وأطلق السننهم بالمشح والتناء عليه مع أنه لا كمال في مدحهم ولا هصان في ذمهم كما قال شاعر من بني تميم «إن مدحى زين وإن ذمى شين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم

عليها بقلوبت أم سعد
رضي الله عنها قالت
«دخل رسول الله صلى
الله عليه وسلم على عائشة
رضي الله عنها وأنا
عندها فقال هل من
غداء ؟ فقالت عندنا
خبز وعمر وخل فقال
عليه السلام: نعم الآدام
الحل اللهم بارك في الحل
فانه كان إدام الأنبياء
قبلي ولم يفر بيت فيه
خل » ولا يصح على
الطعام فهو من سيرة
الأحاجم ولا يقطع
اللحم والخبز بالسكين
فيه نهى ولا يكتف به
عن الطعام حتى يفرغ
الجمع قد ورد عن ابن
عمر رضي الله عنها

كذبت ذاك الله الذي لإلهه إلهوه (١) ، إذ لارزق إلا في مدحه ولا شين إلا في دمه فأى خير لك في مدح الناس وأنت عند الله مذموم ومن أهل النار وأى شر لك من ذم الناس وأنت عند الله محمود في زمرة القربين فمن أحضر في قلبه الآخرة ونعيمها الويد وللنار والرفعة عند الله استحقاقاً يمتدح بالخلق أيام الحياة مع ما فيه من السكدرات والنصائح واجتمع همهم وانصرف إلى الله قلبه ونخاص من مذلة الرياء ومقاساة قلوب الخلق وانطفئ من إخلاصه أنوار على قلبه ينتشر بها صدره وينفتح بها له من لطائف الكشافات ما يزيد به أنسه بالله ووحشته من الخلق واستغفاره للدنيا واستغفاره للأخرة وسقط محل الخلق من قلبه وانحل عنه داعية الرياء وتذلل له منهج الإخلاص فهذا وما قد مناه في الشطر الأول هي الأدوية الحسية القائمة بممارس الرياء . وأما الدواء المعنوي : فهو أن يعود نفسه إخفاء العبادات وإغلاق الأبواب دونها كما تعلق الأبواب دون القواش حتى يفتح قلبه بسم الله وإطلاعه على عباداته ولا تتأخره النفس إلى طلب علم غير الله به . وقد روى أن بعض أصحاب أبي حمزة الحداد ذم الدنيا وأهلها فقال : أظهرت ما كنت سبيلك أن تخفيه لا لتجلبها بدمعها فلم يرحس في إظهار هذا القدر لأن في ضمن ذم الدنيا دعوى الزهد فيما اقلاوا من الرياء بمثل الإخفاء وذلك يشق في بداية المجاهدة وإذا سبر عليه مدة بالتكليف سقط عنه ثقله وهان عليه ذلك بتواصل لطاف الله وما يعبه عباده من حسن التوفيق والتأييد والتسديد ، ولكن الله لا يغير مائة يوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، فمن العبد المجاهدة ومن الله الهداية ومن العبد قرع الباب ومن الله فتح الباب والله لا يضيع أجر المحسنين - وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً - التمام الثاني : في دفع العارض منه في أثناء العبادة وذلك لا بد من تلهة أيضاً فان من جاهد نفسه وقطع مغارس الرياء من قلبه بالقناعة وقطع الطمع وإسقاط نفسه من أعين الخلق وبين استحقاق مدح الخلق وفيه ذم الشيطان لا يتركه في أثناء العبادات بل يمارسه بخطرات الرياء ولا تنقطع عنه زغاته وهو النفس وميلها لا ينمى بالسكينة فلا بد وأن يشعر لدفع ما يمرض من خاطر الرياء وخواطر الرياء لا تقتدره فقه واحدة كالخاطر الواحد وقد ترادف على التدرج فالأول العلم باطلاع الخلق ورجاء اطلاعهم ثم يتلوه هيجان الرغبة من النفس في حصد وحصول المنزلة عندهم ثم يتلو هيجان الرغبة في قبول النفس له والركون إليه وعقد الضمير على تحقيقه فالأول معرفة والثاني حالة تسمى الشهوة والرغبة والثالث فعل يسمى العزم وتصميم العقد وإنما كمال القوة في دفع الخاطر الأول وردة قبل أن يتلوه الثاني فإذا خطر له معرفة اطلاع الخلق أورد رجاء اطلاعهم دفع ذلك بأن قدماك وللخلق علواً وأول بدعواً والله عالم بحالك فأى فائدة في علم غيره فان حاجت الرغبة إلى لذة الحمد يذكرك ما رزق في قلبه من قبل من آفة الرياء وتعرضه للذمت عند الله في القيامة وخيبته في أحوال أوقاته إلى أعماله فكأن معرفة اطلاع الناس تثير شهوة ورغبة في الرياء فمرة آفة الرياء تثير كراهة له فتقابل تلك الشهوة إذ يتشكر في نعرته لامت الله وبقائه الأليم والشهوة تدعوه إلى القبول والكراهة تدعوه إلى الإباء والنفس تقاوم لاعتادة أقواها وأغلبها فاذن لا بد في رد الرياء من ثلاثة أمور : المعرفة والكراهة والإباء وقد يضرع المبدئي العبادة على عزم الإخلاص ثم يرد خاطر الرياء فيقبله ولا يحضره للفرقة ولا الكراهة التي كان الضمير منطويا عليها وإنما سبب ذلك امتلاء القلب بخوف الدم وحب الحمد واستبداء الحرس عليه بحيث لا يثق في القلب متسع لغيره فيعزب عن القلب المعرفة السابقة بآفات الرياء وخوف عاقبتها إذ لم يبق موضع في القلب

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا وضعت اللسان فلا يقوم رجل حتى ترفع المائدة ولا يرفع يده وإن شبع حتى يفسرغ القوم وليتعل فان الرجل يهمل جلوسه فيقبض يده وعسى أن يكون له في الطعام حاجة » وإذا وضع الحبر لا ينتظر غيره فقد روى أبو موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكرموا الحبر فان الله تعالى سخر لكم بركات السماء والأرض والحديد والبقر وابن آدم ومن أحسن الأدب وأهمه

(١) حديث قال شاعر من بني تميم إن مدحى زين وإن ذمى شين فقال كذبت ذاك الله ، حم من حديث الأنزع بن حابس وهو قائل ذلك دون قوله كذبت ورجاله ثقات إلا أني لأعرف لأني سلة ابن عبد الرحمن سمعاً من الأقرع ورواه الترمذي من حديث البراء وحسنه بلفظ قال رجل إن مدحى .

خال عن شهوة الحمد أو خوف الذم وهو كالذي يحدث نفسه بالحلم وذم النفس ويعزم على التحمل عند جريان حبب الغضب ثم يجرى من الأسباب ما يشتد به غضبه فينسى ساجدة عزمه ويمتلئ قلبه غيظا يمنع من تذكر آفة الغضب ويشغل قلبه عنه فكذلك حلالة الشهوة غلا القلب وتدفع نور المعرفة مثل ممرارة الغضب وإليه أشار جابر بقوله : يا بصا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على أن لا تفر ولم يناسه على الموت فأستبناها يوم حنين (١) حتى نودي يا أصحاب الشجرة فرجعوا . وذلك لأن القلوب استلبت بالخوف فنسيت للمهد السابق حتى ذكروا وأكثرت الشهوات التي تهجم فجاء هكذا نكون ، إذ تنسى معرفة مضرته الداخلة في عقد الإيمان ومهما نسي للمعرفة تظهر الكراهة فان الكراهة عمرة المعرفة ، وقد يتذكر الانسان فيعلم أن الحاطر الذي خطر له هو خاطر الرياء الذي يعرضه لسلط الله ولكن يستمر عليه لشدة شهوته فيغلب هواه عقله ولا يقدر على ترك هذه الحال يدور بالتوبة أو يتشغل عن التفكير في ذلك لشدة الشهوة فكأن من عالم بغيره كلام لا يدعوه إلى فعله إلا رياء الحق وهو يعلم ذلك ولكنه يستمر عليه فكأن الحجة عليه أو كذا إذ قيل داعي الرياء مع علمه بطلانه وكونه مذموما عند الله ولا تنفعه معرفته إذا خلت للمعرفة عن الكراهة وقد تحضر للمعرفة والكراهة ولكن مع ذلك يقبل داعي الرياء ويصعب به لكون الكراهة مضمضة بالإضافة إلى قوة الشهوة وهذا أيضا لا ينفع بكراهته إذ الغرض من الكراهة أن تصرف عن القمل فاذن لا تائدة إلا في أجناع الثلاث وهي المعرفة والكراهة والإباء لإبادة عمرة الكراهة والكراهة عمرة المعرفة وقوة المعرفة بحسب قوة الإيمان ونور العلم وضعت للمعرفة بحسب الغفلة بحسب الدنيا ونسيان الآخرة وقلة التفكير فيما عند الله وقلة التأمل في آفات الحياة الدنيا وعظم نعيم الآخرة وبعض ذلك ينتج بصا ويشره وأصل ذلك كله حب الدنيا وغلبة الشهوات فهو رأس كل خطيئة ومنبع كل ذنب لأن حلالة حب الجاه والنزلة ونعيم الدنيا هي التي تغضب القلب وتسلبه وتحول بينه وبين التفكير في العاقبة والاستقصاء بنور الكتاب والسنة وأتوار العلوم . فان قلت فمن صادف من نفسه كراهة الرياء وحملته الكراهة على الإباء . ولكنه مع ذلك غير خال عن ميل الطبع إليه وجهه له ومنازعة إياه إلا أنه كاره لحبه وليله إليه وغير محب إليه فهل يكون في زمرة المرائين ، فاعلم أن الله لم يكلف الصابر إلا ما تطيق وليس في طاقة المبدع منع الشيطان عن بزغاته ولا قمع الطبع حتى لا يميل إلى الشهوات ولا يترفع إليها وإنما غاية أن يقابل شهوته بكراهة استمثارها من معرفة المواقب وعلم الدين وأصول الإيمان بالله واليوم الآخر فإذ فعل ذلك فهو الغاية في أداء ما كلف به ويدل على ذلك من الأخبار ما روى أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم « شكروا إليه وقالوا تعرض لقربنا أشياء لأن نخر من السماء فتخطفنا الطير أو تهوى بنا الريح في مكان سحيق أحب إلينا من أن نتكلم بها فقال عليه السلام أو قد وجدتموه قالوا نعم قال ذلك صريح الإيمان (٢) » ولم يحدوا إلا الوسواس والكراهة له ولا يمكن أن يقال أراد بصريح الإيمان الوسوسة فلم يبق إلا حمل على الكراهة للساقطة للوسوسة والرياء وإن كان مظهره دون الوسوسة في حق الله تعالى فإذا اندفع ضرر الأعظم بالكراهة فبأن

(١) حديث جابر يا بصا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على أن لا تفر الحديث مسلم مختصرا دون ذكر يوم حنين فرواه مسلم من حديث العباس (٢) حديث شكوى الصحابة ما يعرض في قلوبهم وقوله ذلك صريح الإيمان ، مسلم من حديث ابن مسعود مختصرا سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الوسوسة فقال ذلك بعض الإيمان ، والنسائي في اليوم والليلة وابن حبان في صحيحه ورواه النسائي فيه من حديث عائشة .

أن لا يأكل إلا بعد الجوع ويمسك عن الطعام حين الشبع قد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماملا آدمى وعاشرا من بطنه » ومن عادة الصوفية أن يلتم الحامد إذا لم يجلس مع القوم وهو سنة روى أبو هريرة رضى الله عنه قال قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم « إذا جاء أحدكم خادمه بطعام فإن لم يجلسه معه فليناوله أكلة أو أكلتين فإنه ولي حرمه ودخانه » وإذا فرغ من الطعام يحمده الله تعالى روى أبو سعيد

يندفع بها ضرر الأصغر أولى وكذلك يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عباس أنه قال : **« الحمد لله الذي رد كيد الشيطان إلى الوسوسة ^(١) »** وقال أبو حازم ما كان من تشكك كرمته تشكك لنفسك فلا يضرك ما هو من عدوك وما كان من تشكك فرضيته تشكك لنفسك فتابها عليه فاذن وسوسة الشيطان ومنازعة النفس لا تضرك مهما رددت مرادها بالإباء والكراهة والحواطر التي هي المعلوم والتذكريات والتخيلات للأسباب الهيجية للرياء هي من الشيطان والرغبات ليليل بعد تلك الحواطر من النفس والكراهة من الإيمان ومن آثار العقل إلا أن للشيطان هنا مكيدة وهي أنه إذا عجز عن حمله على قبول الرياء خيل إليه أن صلاح قلبه في الاشتغال بمجادة الشيطان ومطاولته في الرد والجدال حتى يسلبه ثواب الاخلاص وحضور القلب لأن الاشتغال بمجادة الشيطان ومدافعتة انصراف عن سر النجاسة مع الله فيوجب ذلك نقصاناً في منزلته عند الله . وللتخلصون عن الرياء في دفع خواطر الرياء على أربع مراتب : الأولى أن يرفعه على الشيطان فيكذبه ولا يقصر عليه بل يشتغل بمجادته ويطلب الجدل معه لظنه أن ذلك أسلم قلبه وهو على التحقيق نقصان لأنه اشتغل عن مناجاة الله وعن الخير الذي هو بصدده وانصرف إلى قتال قطاع الطريق والتعريض على قتال قطاع الطريق نقصان في السلوك . الثانية : أن يعرف أن الجدل والقتال نقصان في السلوك فيقتصر على تكذيبه ودفعه ولا يشتغل بمجادته . الثالثة : أن لا يشتغل بتكذيبه أيضاً لأن ذلك وقعة وإن قلت بل يكون قد قرى في عقد ضميره كراهة الرياء وكذب الشيطان فيستمر على ما كان عليه مستصعباً للكراهة غير مشتغل بالكذب ولا بالحامسة . الرابعة : أن يكون قد علم أن الشيطان سيحسده عند جريان أسباب الرياء فيكون قد عزم على أنه مهما نزع الشيطان زاد فيه هو فيه من الاخلاص والاشتغال بالله وإخاء الصدقة والبادة غيظاً للشيطان وذلك هو الذي يغيظ الشيطان ويقممه ويوجب بأمره وقنوطه سقى لا يرجع . يروى عن الفضيل بن غزوان أنه قيل له إن فلاناً بكرك قال والله لأغيظن من أمره قيل ومن أمره ؟ قال الشيطان ألهمه اغفر له أي لأغيظنه بأن أطيع الله فيه ومهما عرف الشيطان من عيب هذه العادة كف عنه خيفة من أن يزيد في حسنة . وقال إبراهيم التيمي إن الشيطان ليدعو العبد إلى الباب من الأثم فلا يعطيه وليحدث عند ذلك خيراً فإذ أراه كذلك تركه . وقال أيضاً إذا رآك الشيطان متردداً طمع فيك وإذا رآك مداوماً ملك وقللاك . وضرب الحارث المحاسبي رحمه الله هذه الأربعة مثلاً أحسن فيه فقال : مثالمكم كأربعة قصدوا مجلساً من العلم والحديث لينالوا به فائدة وفضلاً وهداية ورشداً لحسدكم على ذلك ضال مبتدع وخاف أن يعرفوا الحق فتقدم إلى واحد فتمسه وصرفه عن ذلك ودعاه إلى مجلس ضلال فأني فلما عرف إباءه شغله بالمجادلة فاشتغل معه ليرد ضلاله وهو يظن أن ذلك مسلبة له وهو غرض الضال ليفوت عليه بقدر تأخره فلما مر الثاني عليه نهاء واستوقفه فوقف فدفع في حجر الضال ولم يشتغل بالقتال واستعجل ففرح منه الضال بقدر توقفه للدفع فيه ومر به الثالث فلم يلتفت إليه ولم يشتغل بدفعه ولا ببقائه بل استمر على ما كان غلاب منه رجاءه بالسكينة في الرابع فلم يتوقف له وأراد أن يشغله فزاد في محبته وترك الثاني في الشئ فيوشك إن عادوا ومروا عليه مرة أخرى أن يواود الجميع لإلا هذه الأخيرة فانه لا يواوده خيفة من أن يزداد فائدة باستمجاله . فان قلت فإذا كان الشيطان لا يؤمن بزغاته فهل يجب التردد له قبل حضوره للحذر منه انتظاراً لوروده أم يجب التوكل على الله ليكون هو الذي ينافع له أو يجب الاشتغال بالعبادة والنفقة عنه . قلنا اختلف الناس فيه على ثلاثة أوجه : فذهب فرقة من أهل البصرة

قال : **« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أكل طعاماً قال : الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين »** وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : **« من أكل طعاماً قال : الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقني من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه »** ويختل قد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« تحللوا فانه نظافة والنظافة تدعو إلى الإيمان والإيمان مع صاحبه في الجنة »** ويضلل يده بتدروى

(١) حديث ابن عباس الحمد لله الذي رد كيد الشيطان إلى الوسوسة أبو داود والنسائي في اليوم والليلة باللفظ كيد .

إلى أن الأقوياء قد استغنوا عن الحذر من الشيطان لأنهم انقطعوا إلى الله واشتغلوا بحبه فاعز لهم الشيطان وأبس منهم وخس عنهم كما أبس من ضطاء العباد إلى الدعوة إلى الخرواثران فاستمر ملاذ الدنيا عنهم وإن كانت مباحة كالخمر والخنزير فارتحلوا من حبها بالسكينة فلم يبق للشيطان إليهم سبيل فلاحاجة بهم إلى الحذر . وذهبت فرقة من أهل الشام إلى أن التردد للحذر منه إنما يحتاج إليهم من قل يقينه وقص تركه فمن أين بأن لا شريك لله في تقديره فلا يحذر غيره . ويعلم أن الشيطان دليل مخلوق ليس له أمر ولا يكون إلا ما رآه الله فهو انضار والنافع والمارف يستحي منه أن يحذر غيره فالقبح بالوحدانية بنيه عن الحذر وقالت فرقة من أهل العلم لابد من الحذر من الشيطان وما ذكره البصريون من أن الأقوياء قد استغنوا عن الحذر وخلت قلوبهم عن حب الدنيا بالسكينة فهو وسيلة الشيطان يكاد يكون غرورا إذ الأنبياء عليهم السلام لم يتخلصوا من وسواس الشيطان وزغاته فكيف يتخلص غيرهم وليس كل وسواس الشيطان من الشهوات وحب الدنيا بل في صفات الله تعالى وأسمائه وفي تحمين البع والفضل وغير ذلك ولا ينبو أحد من الخطر فيه ولذلك قال تعالى - وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا نحن آتينا الشيطان في أميته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته - وقال النبي ﷺ « إنه ليخان على قلبي » (١) مع أن شيطانه قد أسلم ولا يأمره إلا بخير (٢) فمن ظن أن اختفاه بحب الله أكثر من اشتغال رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء عليهم السلام فهو مغرور ولم يؤمنهم ذلك من كيد الشيطان ولذلك لم يسلم منه آدم وحواء في الجنة التي هي دار الأمن والسرور بعد أن قال الله لهما - إن هذا عدوك ولزوجك فلا يخرجكما من الجنة فتشقى إن كان لا يرجع فيها ولا تحمى وأنتك لانتظما فيها ولا تضحى - ومع أنه لا عنه إلا عن شجرة واحدة وأطلق له وراء ذلك ما أراد فإذا لم يأمن نبي من الأنبياء وهو في الجنة دار الأمن والسعادة من كيد الشيطان فكيف يجوز لغيره أن يأمن في دار الدنيا وهي منبع المحن والفتن ومعدن للآذ والتهوات للتي عنها قال موسى عليه السلام فيها اخترتني تعالى - هذا من عمل الشيطان وقدك حذر الله منه جميع الخلق فقال تعالى - يا بني آدم لا يفتنك الشيطان كما أخرج أبوبكر من الجنة - وقال عز وجل - إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم - والقرآن من أوله إلى آخره تحذير من الشيطان فكيف يدع لأمن منه وأخذ الحذر من حيث أمر الله ببلاني في الاشتغال بحب الله فان من الحب له امتثال أمره وقد أمر بالحذر من العدو كما أمر بالحذر من الكفار فقال تعالى - ولأخذوا حذرهم وأسلحتهم وقال تعالى - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل - فإذا لمك بأمر الله الحذر من العدو الكافر وأنت ترأفان بلزمك الحذر من عدو يراك ولا تراه أولى ولذلك قال ابن حجر عز صدره ولا يراك يوشك أن تنظر به وصيد يراك ولا تراه يوشك أن ينظر بك فأشار إلى الشيطان فكيف وليس في الفتنة عن عدواة الكافر إلا لعل هو شهادة وفي إهمال الحذر من الشيطان التعرض للعار والعقاب الأليم فليس من الاشتغال بقاء الإعراض عما حذر الله وبه يضل مذهب الفرقة الثانية في ظنهم أن ذلك قاصح في التوكل فإن أخذوا الترس والسلاح وجمع الجنود وحرر الخندق لم يقدح في توكل رسول الله ﷺ فكيف يقدح في التوكل الخوف مما خوف الله به والحذر مما أمر بالحذر منه وقد ذكرنا في كتاب التوكل ما بين غلظ من زعم أن معنى التوكل التزوع عن الأسباب بالسكينة وقوله تعالى - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل - لا يناقض امتثال التوكل مهما اعتقد القلب أن الفناء والنافع والمحي والميت هو الله تعالى فكذلك يحذر الشيطان ويعتقد أن الهادي والنزل هو الله ويرى الأسباب وسائط منسوخة كما ذكرنا .

(١) حديث إنه ليخان على قلبي تقدم (٢) حديث إن شيطانه أسلم فلا يأمر إلا بخير تقدم أيضا .

أبو هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من بات وفي يده غمر لم يغسل فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه » ومن السنة غسل الأيدي في طست واحد روى عن ابن عمر رضی الله عنهما أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أرعوا الطسوس وخالفوا الميوس » ويستحب مسح العين يليل اليسد . وروى أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا توضأتم فأنشروا أعينكم للنساء ولا تنفضوا أيديكم فاتها

في التوكل وهذا ما اختاره الحارث المحاسي رحمه الله وهو الصحيح الذي يشهد له نور العلم وما قبله يشبه أن يكون من كلام العباد الذين لم يفرز عليهم ويظنون أن ما بهم عليهم من الأحوال في بعض الأوقات من الاستغراق بالله يستمر على الدوام وهو بيد ثم اختلفت هذه القرعة على ثلاثة أوجه في كيفية الحذر فقال قوم إذا حزننا الله تعالى المدوّ فلا ينبغي أن يكون شيء أغلب على قلوبنا من ذكره والحذر منه والترصد له فانا إن غفلنا عنه لحظة فيوشك أن يهلكنا وقال قوم إن ذلك يؤدي إلى خلو القلب عن ذكر الله واشتغال المهم كله بالشیطان وذلك مراد الشيطان من أن يشتغل بالعبادة ويذكر الله تعالى ولا ينسى الشيطان وعداوته والحاجة إلى الحذر منه فجميع بين الأمرين فانا إن نسيناه ربما عرض من حيث لا نحسب وإن تجردنا لذكره كنا قد أهملنا ذكر الله فالجمع أولى وقال العلماء المحققون غلط الفريقان أما الأول فقد تجرد لذكر الشيطان ونسى ذكر الله فلا يخفى غلظه وإنما أمرنا بالحذر من الشيطان كيلا يصدنا عن الذكر فكيف نجعل ذكره أغلب الأشياء على قلوبنا وهو منتهى ضرر المدوّ ثم يؤدي ذلك إلى خلو القلب عن نور ذكر الله تعالى فإذا قصد الشيطان مثل هذا القلب وليس فيه نور ذكر الله تعالى وقوة الاعتغال به فيوشك أن يظفر به ولا يقوى على دفعه فلم يأمرنا بانتظار الشيطان ولا يادمان ذكره وأما القرعة الثانية فقد عاركت الأولى إذ جمعت في القلب بين ذكر الله والشیطان ويقدّر ما يشتغل القلب بذكر الشيطان ينقص من ذكر الله وقد أضر الله الخلق بذكره ونسيان ماعداه إبليس وغيره فقلق أن يلزم البعد قلبه الحذر من الشيطان ويقرر على قسه عداوته فإذا اعتقد ذلك وصدق به وسكن الحذر فيه فيشتغل بذكر الله ويكبّ عليه بكل الهمة ولا يخطر بباله أمر الشيطان فانه إذا اشتغل بذلك بعد معرفة عداوته ثم خطر الشيطان له تنبه له وعند التنبه يشتغل بدفعه والاعتغال بذكر الله لا يمنع من التيقظ عند نزعة الشيطان بل الرجل ينام وهو خائف من أن يغتبه مهم عند طلوع الصبح فيلزم قسه الحذر وينام على أن يتنبه في ذلك الوقت فيتنبه في الليل مرات قبل أوانه لما أسكن في قلبه من الحذر مع أنه باليوم غافل عنه فاشتغاله بذكر الله كيف يمنع تنبهه ومثل هذا القلب هو الذي يقوى على دفع المدوّ إذا كان اشتغاله بمجرد ذكر الله تعالى قد أمات منه الهوى وأحيا فيه نور العقل والعلم وأماط عنه ظلمة الشهوات فأهل البصيرة أشعروا قلوبهم عداوة الشيطان وترصدوا وألزموها الحذر ثم لم يشتغلوا بذكره بل بذكر الله ودفعوا بالذكر شر المدوّ واستضاءوا بنور الذكر حتى صرفوا خواطر المدوّ وقال القلب برّ أريد تطهيرها من الماء القذر ليتغير منها الماء الصافي فالمشتغل بذكر الشيطان قد ترك فيها الماء القذر والذي جمع بين ذكر الشيطان وذكر الله قد تزج الماء القذر من جانب ولكنه تركه جاريا إلى إلهام جانب آخر يطول تمبه ولا يخف البئر من الماء القذر والبصير هو الذي جعل لجرى الماء القذر سدا وملاها بالماء الصافي فإذا جاء الماء القذر دفعه بالسكر والسد من غير كلفة ومؤنة وزيادة تعب.

(بيان الرخصة في قصد إظهار الطاعات)

اعلم أن في الأسرار للأعمال قائمة بالإخلاص والنجاة من الرياء وفي الإظهار قائمة بالاعتقاد وترغيب الناس في الخير ولكن في آفة الرياء قال الحسن قد علم المسلمون أن السر أحرز الصالحين ولكن في الإظهار أيضا قائمة ولذلك أثنى الله تعالى على السر والعلانية فقال - إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم - والإظهار قسمان أحدهما في نفس العمل والآخره بالتحدث بما عمل . القسم الأول : إظهار نفس العمل كالصدقة في اللأ لترغيب الناس فيها كما روى عن الأنصاري

مراوح الشياطين «
 قيل لأبي هريرة في
 الوضوء وغيره قال
 نعم في الوضوء وغيره.
 وفي غسل اليد بأخذ
 الأضراس باليمين وفي
 الحلال لا يزدد
 ما يخرج بالحلال من
 الأضراس وأما ما يلوكه
 باللسان فلا بأس به
 ويحسب الصنع في
 أكل الطعام ويكون
 أكسكه بين الجمع
 كأكله منفردا فإن
 الرياء يدخل على اليد
 في كل شيء . وصف
 لبعض العلماء بعض
 العباد قائم يثني عليه
 قيل له تصلم به بأسا
 قال نعم رأيت يصنع

الذي جاء بالصرة تتابع الناس بالعطية لما رأوه فقال النبي صلى الله عليه وسلم « من سن سنة حسنة فصل بها كان له أجرها وأجر من اتبعه » (١) وتجري سائر الأعمال هذا الجرى من الصلوة والصيام والحج والزرو وغيرها ولكن الاقتداء في الصدقة على الطباع أغلب ، نعم النازي إذا قام بالحروج فاستمد وعده الرجل قبل القوم تعرضاً لهم على الحركة فذلك أفضل له لأن القزو في أصله من أعمال الملاية لا يمكن إسراره فالبادرة إليه ليست من الاعلان بل هو تعرض مجرد وكذلك الرجل قد رفع صوته في الصلاة بالليل لئله جيرانه وأهله فيتندى به فكل عمل لا يمكن إسراره كالخج والجهاد والجمعة فالأفضل للبادرة إليه وإظهار الرغبة فيه لتعرض بشرط أن لا يكون فيه شواوب الرياء وأما يمكن إسراره كالصدقة والصلوة فان كان إظهار الصدقة يؤدي للتصدق عليه ويرغب الناس في الصدقة فالسر أفضل لأن الإيذاء حرام فان لم يكن فيه إيذاء فقد اختلف الناس في الأفضل فقال قوم السر أفضل من الملاية وإن كان في الملاية قدوة ، وقال قوم السر أفضل من علانية القدوة بها فالملاية للقدوة فأفضل من السر ويبدل على ذلك أن الله عز وجل أمر الأنبياء بإظهار العمل للاقتداء وخصهم بمصنوب النبوة ولا يجوز أن يظن بهم أنهم حرموا أفضل الصالحين ويبدل عليه قوله عليه السلام « له أجرها وأجر من عمل بها » وقد روى في الحديث « إن عمل السر يضاعف على عمل الملاية سبعين ضعفاً وضاعف عمل الملاية إذا استن بسامه على عمل السر سبعين ضعفاً » (٢) وهذا لا وجه للخلاف فيه فانه مهما اتفقت القلب عن شواوب الرياء وتم الاخلاص على وجه واحد في الحالتين فما يتندى به أفضل لاهالة وإنما يخاف من ظهور الرياء ومهما حصلت شائبة الرياء لم ينفعه اقتداء غيره وهلك به فلا خلاف في أن السر أفضل منه ولكن على من يظهر العمل وظننان : إحداهما أن يظهره حيث يعلم أنه يتندى به أو يظن ذلك فلنا ورب رجل يتندى به أهله دون جيرانه وربما يتندى به جيرانه دون أهل السوق وربما يتندى به أهل محله وإنما العالم للسرف هو الذي يتندى به الناس كافة فغير العالم إذا أظهر بعض الطاعات ربما نسب إلى الرياء والتفاق وذموه ولم يتدوا به فليس له الاظهار من غير فائدة وإنما يصح الاظهار بنية القدوة ممن هو في عمل القدوة على من هو في عمل الاقتداء به والثانية أن يراقب قلبه فانه ربما يكون فيه حب الرياء الخفي فيدعوه إلى الاظهار بغير الاقتداء وإنما شهوته التجميل بالعمل ويكونه يتندى به وهذا حال كل من يظهر أعماله إلا الأقوياء المحصلين وقليل مام فلا ينبغي أن يخضع الضعيف نفسه بذلك قبله وهو لا يشعر فان الضعيف مثله مثال الترقى الذي يحسن سياحة ضعفة فنظر إلى جماعة من الترقى فرحمهم فأقبل عليهم حتى تشبوا به فهلكوا وهلك والفرق بالماء في الدنيا أله ساعة وليت كان الهلاك بالرياء مثله لا بل عذابه داهم عند مدينة وهذه منزلة أقدام العباد والعلماء قاتهم يتشبهون بالأقوياء في الاظهار ولا تقوى قلوبهم على الاخلاص فتجب أجورهم بالرياء والتعلق لذلك فامض ومك ذلك أن يعرض على نفسه

في الأكل ومن تصنع في الأكل لا يؤمن عليه التصنع في الصل وإن كان الطعام حلالاً فليقل الحد الذي نعمته تم الصالحات وتنزل البركات اللهم صل على محمد وعلى آل محمد اللهم أطمئنا طيباً واستعملنا صالحاً وإن كان شبهة يقول الحمد لله على كل حال اللهم صل على محمد ولا تجسه عوناً على مسيئتك وليكنز الاستغفار والحزن ويكنى على أكل الشبهة ولا يضحك فليس من يأكل وهو يكتن كبن يأكل وهو يضحك

(١) حديث من سن سنة حسنة فصل بها كان له أجرها وأجر من اتبعه وفي أوله قصة مسلم من حديث جرير بن عبد الله البجلي (٢) حديث إن عمل السر يضاعف على عمل الملاية بسبعين ضعفاً وضاعف عمل الملاية إذا استن بسامه على عمل السر سبعين ضعفاً البيهقي في الشعب من حديث أبي السرداء مقتصر على الشطر الأول بنحوه وقال هذا من أفراد بنية عن غيره المجهولين وقد تقدم قبل هذا بنحو ورويتين وله من حديث ابن عمر عمل السر أفضل من عمل الملاية والملاية أفضل لمن أراد الاقتداء وقال تخرجه بنية عن عبد الملك بن مهران وله من حديث عائشة غضل وأضاعف الذكر الخفي الذي لا يسمعه الحفظة على الذي تسمعه بسبعين ضعفاً وقال تفرد به معاوية بن يحيى الصدقي وهو ضعيف.

أنه لو قيل له أحب العمل حتى يقتدى الناس بما يد آخر من أقرانك ويكون لك في السر مثل أجر الإعلان فإن مال قلبه إلى أن يكون هو للقتدى به وهو النظم للعمل بقائه الرياء دون طلب الأجر واقتداء الناس به ورغبتهم في الخير فأنهم قد رغبوا في الخير بالنظر إلى غيره وأجره قد توفروا عليه مع إسراره لما بال قلبه ميل إلى الاظهار لولا ملاحظته لأعين الحق ومراءاتهم فليحذر البديع النفس فإن النفس خدوع والشيطان مترصد وحب الجاه على القلب غالب وقفا تلم الأعمال الظاهرة عن الآفات فلا ينبغي أن يبدل بالسلامة شيئا والسلامة في الإخفاء وفي الاظهار من الأخطار ما لا يقوى عليه أمثالا فليحذر من الاظهار أولى بنا وبجميع الضمائم . القسم الثاني : أن يتحدث بمافضه بعد الفراغ وحكمه حكم إظهار العمل نفسه والخطر في هذا أشد لأن مؤنة النطق خفيفة على اللسان وقد تجري في الحكاية زيادة ومبالغة وللنفس لغة في إظهار الدعاوى عظيمة إلا أنه لو تطرق إليه الرياء لم يؤثر في إفساد العبادة الماضية بعد الفراغ منها فهو من هذا الوجه أهون والحكم فيه أن من قوى قلبه وتم إخلاصه وصغر الناس في عينه واستوى عنده مدحهم وذمهم وذكر ذلك عند من يرجو الاقتداء به والرغبة في الخير بسببه فهو جائز بل هو مندوب إليه إن صفت النية وسلت عن جميع الآفات لأنه ترغيب في الخير والترغيب في الخير خير وقد قل مثل ذلك عن جماعة من السلف الأقباء . قال سعد بن معاذ ما صليت صلاة منذ أسلمت تحدثت نفسي بغيرها ولا تبعت جنازة تحدثت نفسي بغير ما هي قائلة وما هو مقول لها وما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قولاً قط إلا علمت أنه حق ، وقال عمر رضي الله عنه : ما أبالي أصبحت على عسر أو يسر لأني لا أدري أيهما خير لي ، وقال ابن مسعود : ما أصبحت على حال فتخيت أن أكون على غيرها . وقال عثمان رضي الله عنه : ما تقيت ولا عبت ولا مسست ذكرى يميني منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) وقال شداد بن أوس : ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت حتى أزمها وأخطمها غير هذه وكان قد ذل لثلاثة اثنتا عشرة لثبت بها حتى ندرت القداء ، وقال أبو سفيان لأهله حين حضره الموت : لا يبكوا علي فاني ما أحدثت ذنباً منذ أسلمت . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى : ما قضى الله في قضاء قط فسرت أن يكون قضى لي بغيره وما أصبح لي هوى إلا في مواقع قدر الله فهذا كله إظهار لأحوال الشريعة وفيها غاية الراهة إذا صدرت من رائي بها وفيها غاية الترغيب إذا صدرت من يقتدى به فذلك على قصد الاقتداء جائز لا أقولها بالشرط التي ذكرناها فلا ينبغي أن يسد باب إظهار الأعمال والطاعات بحجة حب التشبه والاقتداء بل إظهار الرائي للعبادة إذا لم يعلم الناس أنه رياء فيه خير كثير للناس ولكنك تشرع للمرائي ، فكمن غلص كان سبب إخلاصه الاقتداء بمن هو مراء عند الله ، وقد روى أن كان يحجاز الإنسان في سكك البصرة عند الصبح فيسمع أصوات الصلبيين بالقرآن من البيوت فتصنف بعضهم كتاباً في دقائق الرياء فتركوا ذلك وترك الناس الرغبة فيه فكانوا يقولون ليت ذلك الكتاب لم يصنف فإظهار الرائي فيه خير كثير لغيره إذا لم يعرف رياؤه ، وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم (٢) كما ورد في الأخبار وبعض المرائين ممن يقتدى به منهم والله تعالى أعلم .

ويقرأ بعد الطعام قل هو الله أحد ولا يلاف قريش ويحنتب الدخول على قوم في وقت أكلهم قد ورد من مثي إلى طعام لم يدع إليه مثي فاسقا وأكل حراما وصمنا انظأ آخر دخل سارقا وخرج مغيرا إلا أن ينفق دخوله على قوم يسلم منهم فرحمهم بمواقفته ويستحب أن يخرج الرجل مع ضيفه إلى باب الدار ولا يخرج الضيف بغير إذن صاحب الدار ويحنتب للضيف التكافؤ إلا أن يكون له نية فيه من كثرة الإنفاق ولا يغل

(١) حديث عثمان قوله ما تقيت ولا عبت ولا مسست ذكرى يميني منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو يعلى الوصلي في معجمه باسناده ضيف من رواية أنس عنه في أثناء حديث وإن عثمان قال يارسول الله فقد كره بلفظ منذ بايعتك قال هو ذاك يا عثمان (٢) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم ما حديثان فالأول متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم في العلم والثاني رواه الترمذي من حديث أنس بسند صحيح وقد تقدم أيضا .

(بيان الرخصة في كتمان الذنوب وكراهة اطلاع الناس عليها وكراهة ذمهم له)

اعلم أن الأصل في الاخلاص استواء السريرة والملاينة كما قال عمر رضي الله عنهما جل عليك بعدل الملاينة قال يا أمير المؤمنين وما عمل الملاينة ؟ قال ما إذا اطلع عليك لم تستحي منه ، وقال أبو مسلم الخولاني ما عملت عملاً أبالي أن يطلع الناس عليه إلا إتياني أهلي والبول والناطئ ، لأن هذه درجة عظيمة لا يتأهلها كل واحد ولا يغفل الإنسان عن ذنوب بقلبه أو بجوارحه وهو غفياً وبكره اطلاع الناس عليها لأسباباً يحتاج به الخواطر في الشهوات والأمانى والله مطلع على جميع ذلك فإرادة البعد لاختفائهم عن العيب ربما يظن أنه رياء محظوظ وليس كذلك بل المحظوظ أنه يستتر ذلك ليرى الناس أنه ودع خائف من الله تعالى مع أنه ليس كذلك فهذا هو ستر للرائى. وأما الصادق الذي لا يرى له ستر للماصي وصح قصده فيه وصح اغتنامه باطلاع الناس عليه في مخافة أوجه : الأول أن يفرح بستر الله عليه وإذا اقتضى اغتمت الله بستره وخاف أن يترك ستره في القيامة إذ ورد في الخبر "أن من ستر الله عليه في الدنيا ذنباً ستره الله عليه في الآخرة" (١) وهذا غم ينشأ من قوة الإيمان. الثاني أنه قد علم أن الله تعالى يكره ظهور للماصي ويحب سترها كما قال صلى الله عليه وسلم "من ارتكب شيئاً من هذه القاذورات فليستر بستر الله" (٢) فهو وإن عصى الله بالذنوب فلم يغفل قلبه عن محبة مآربه الله ، وهذا ينشأ من قوة الإيمان بكراهة الله لظهور الماصي وأثر الصدق فيه أن يكره ظهور الذنوب من غيره أيضاً ويغتم بسببه . الثالث أن يكره ذم الناس له به من حيث إن ذلك يشتم ويشغل قلبه وعقله عن طاعة الله تعالى فإن الطبع يتأذى بالذم وينزع العقل ويشغل عن الطاعة وبهذه العلة أيضاً ينبغي أن يكره الحمد الذي يشغله عن ذكر الله تعالى ويستغرق قلبه ويصرفه عن الذكر ، وهذا أيضاً من قوة الإيمان إذ صدق الرغبة في فراغ القلب لأجل الطاعة من الإيمان. الرابع أن يكون ستره ودرجته فيه لسكراهته لدم الناس من حيث يتأذى بطبعه فإن الذم مؤلم للقلب كما أن الضرب مؤلم للبدن وخوف تألم القلب بالذم ليس بحرام ولا للإنسان به عاص وإعاصيهما إذا جازعت نفسه من ذم الناس ودعته إلى ما لا يجوز حذراً من ذمهم وليس يجب على الإنسان أن لا يهتم بتم الحلق ولا يتألم به ، نعم كمال الصدق في أن تزول عنه رؤيته للخلق فيستوى عنده ذمهم ومادحه لهله أن الضار والنافع هو الله وأن العباد كلهم عاجزون وذلك قليل جداً وأكثر الطباع تتألم بالذم لما فيه من الشعور بالتقصان ورب تألم بالذم محمود إذا كان الدمام من أهل البصرة في الدين فانهم شهداء الله وذمهم يدل على ذم الله تعالى وعلى نقصان في الدين فكيف لا يهتم به ، نعم التمس الذم وهو أن يغم القنوت الحمد بالورع كأنه يحب أن يحمده بالورع ولا يجوز أن يحب أن يحمده بطاعة الله فيكون قد طلب بطاعة الله ثواباً من غيره فإن وجد ذلك في نفسه وجب عليه أن يقابله بالسكراهة الرد. وأما كراهة الذم بالمصية من حيث الطبع فليس بمذموم فله الستر حذراً من ذلك ويصور أن يكون البعد بحيث لا يحب الحمد ولكن يكره الذم وإعاصمائه أن يترك الناس حمدوا وذاقكم من صابرين لذة الحمد لا يصبر على ألم الذم إذ الحمد يطلب للذة وعدم اللذة لا يؤلم وأما الذم فانه مؤلم لطلب الحمد على الطاعة طلب ثواباً على الطاعة في الحال وأما كراهة الذم على المصية فلا محذور فيه إلا الأمر واحد وهو أن يشغله غمه باطلاع الناس على ذنبه عن اطلاع الله فإن ذلك غاية التقصان في الدين بل ينبغي أن يكون غمه باطلاع الله وذمه له أكثر. الخامس أن يكره الذم من حيث إن الدمام عصى الله تعالى ، وهذا من الإيمان وعلامته أن يكره ذمه لغيره أيضاً

ذلك حياء وتكفيا وإذا أكل عند قوم طمافاً قليل عند فراغة إن كان بعد للرب أنظر عندكم الصائمون وأكل طماقكم الأبرار وصلت عليكم للالكة وروى أيضاً عليكم صلاة قوم أبرار ليسوا بالليل وصومون بالتهار . كان بعض الصحابة يقول ذلك . ومن الأدب أن لا يستحق ما يقدم له من طعام وكان بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما ندرى أهم أعظم وزراً الذي يحضر

(١) حديث أن من ستر عليه في الدنيا يستر عليه في الآخرة تقدم قبل هذا بوقفة (٢) حديث من ارتكب من هذه القاذورات شيئاً فليستر بستر الله الحاكم في المستدرك وقد تقدم .

فهذا التوجع لا يفرق بينه وبين غيره بخلاف التوجع من جهة الطبع . السادس : أن يستر ذلك كيلا يقصد بسر إذا عرف ذنبه وهذا وراء ألم القم فإن ألم مؤلم من حيث يشعر القلب بقصد ما هو خسته وإن كان ممن يؤمن سره وقد يخاف سر من يطلع على ذنبه بسبب من الأسباب فله أن يستر ذلك حذرا منه . السابع : مجرد الحياء فانه نوع ألم وراء ألم القم والقصد بالسر وهو خلق كريم يحدث في أول الصبا مهما أشرق عليه نور العقل فيستحي من القبائح إذا شوهدت منه وهو وصف محمود إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحياء خير كله »^(١) وقال عليه السلام « الحياء شعبة من الإيمان »^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم « الحياء لا يأتي إلا بخير »^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب المحي الحليم »^(٤) فالذي يسبق ولا يتألى أن يظهر فسقه للناس جمع إلى الفسق والتبتك والوقاحة فقد الحياء فهو أشد حالاً ممن يستر ويستحي إلا أن الحياء ممتزج بالرياء ومشتبه اشتباه عظيم قل من يتغبط له ويدعى كل مرء أنه مستحي وأن سبب تحسينه العبادات هو الحياء من الناس وذلك كذب بل الحياء خافى ينبعث من الطبع الكريم وتبيح عقبيه داعية الرياء وداعية الاخلاص ويتصور أن يخلص معه ويتصور أن يراى معه ويثانه أن الرجل يطلب من صديق له قرضا وشه لا تسخو باقرضه إلا أنه يستحي من رده وعلم أنه لو راسله على لسان غيره لكان لا يستحي ولا يقرض رياء ولا لطلب الثواب فله عند ذلك أحوال : أحدها أن يشافه بالرد الصريح ولا يتألى فينصب إلى قلة الحياء وهذا فعل من لا يحياء له فان المستحي إما أن يتصل أو يقرض فان أعطى فيصور له ثلاثة أحوال : أحدها أن يجز الحياء بالحياء بأن يبيع الحياء فيقبح عنده الرد فيبيع خاطر الرياء ويقول ينبغي أن تعطى حتى يثى عليك ويحمدك ويثمر اسمك بالسخاء أو ينبغي أن تعطى حتى لا يذمك ولا ينسبك إلى البخل فإذا أعطى فقد أعطى بالرياء وكان المحرك للرياء هو هيجان الحياء . الثاني أن يتعذر عليه الرد بالحياء ويبقى في نفسه البخل فيتندر الاعطاء فيبيع داعي الاخلاص ويقول له إن الصدقة بواحدة والقرض شمان عشرة ففيه أجر عظيم وإدخال سرور على قلب صديق وذلك محمود عند الله تعالى فلتسخر النفس بالاعطاء لذلك فهذا يخلص هيج الحياء بإخلاصه . الثالث أن لا يكون له رغبة في الثواب ولا خوف من مذمته ولا حب لهدمه لأنه لو طلبه مراسلة لكان لا يعطيه فأعطاه بمحض الحياء وهو ما يجده في قلبه من ألم الحياء ولولا الحياء لرده ولو جاءه من لا يستحي منه من الأجانب أو الأراذل لكان يرد . وإن كثرت الحمد والثواب فيه فهذا مجرد الحياء ولا يكون هذا إلا في القبائح كالبخل ومقارعة الذنوب والرائ يستحي من المباحات أيضا حتى إنه يرى مستحجلا في الشيء فيعود إلى الهدوء وأحسنا كجرح إلى الاشباش ويزعم أن ذلك حياء وهو عين الرياء وقد قيل إن بعض الحياء ضعف وهو صحيح والرياء به الحياء محال ليس بقيبح كالحياء من وعظ الناس وإمامة الناس في الصلاة وهو في الصيادين والنساء محمود وفي العقلاء غير محمود وقد تشاهد معصية من شيخ فلتستحي من شيئا أن تنكر عليه لأن من أجل الله إجلال فدى الشية السلم وهذا الحياء حسن وأحسن منه أن يستحي من الله فلا تضيق الأمر بالمحروف فالقوى يؤثر الحياء من الله على الحياء من الناس والضعيف قد لا يقدر عليه ، فهذه هي الأسباب التي يجوز لأجلها ستر القبائح والذنوب . الثامن : أن يخاف من ظهور ذنبه أن يستجري

ما يقدم إليه أو الذي يحقر ما عنده أن يقدمه . ويكره أكل طعام للبهائم وما تكلف به للأعراس والتماري لما عمل للنسوانح لا يؤكل وما عمل لأهل المزاء لا بأس به وما يجري مجراه وإذا علم الرجل من حال أخيه أنه يفرح بالانبساط إليه في التصرف في شيء من طعامه فلا يخرج أن يأكل من طعامه بغير إذنه قال الله تعالى - أو صدقكم - قيل دخل قوم على سفيان الثوري فلم يجدوه ففتحوا الباب وأزولوا السفرة

(١) حديث الحياء خير كله مسلم من حديث عمران بن حصين وقد تقدم (٢) حديث الحياء شعبة من الإيمان متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٣) حديث الحياء لا يأتي إلا بخير متفق عليه من حديث عمران بن حصين وقد تقدم (٤) حديث إن الله يحب المحي الحليم الطبراني من حديث فاطمة وللبزار من حديث أبي هريرة إن الله يحب النقي الحليم للتعفف وفيه لث ابن سليم مختلف فيه .

عليه غيره ويقتدى به وهذه العلة الراحة فقط هي الجارية في إظهار الطاعة وهو القدوة ويحتسب ذلك بالآفة أو بمن يقتدى به وبهذه العلة يفتنى أيضا أن يخفى العاصي أضامصين من أهله وولده لأنهم يتعلمون منه في ستر الذنوب هذه الأغراض الثمانية وليس في إظهار الطاعة عند إلا هذا العذر الواحد ومهما قصد بستر النية أن يخيل إلى الناس أنه ورع كان مرأيا كما إذا قصد ذلك بإظهار الطاعة. فان قلت فهل يجوز لعبد أن يحب أحد الناس له بالصالح وحبه إياه بسببه وقد قال رجل لابي صلى الله عليه وسلم «دلى على ما يحبني الله عليه ويحبني الناس قال ازهد في الدنيا يحبك الله وابذل اليهم هذا الحطام يحبوك» (١) فقول جك حب الناس لك قد يكون مباحا وقد يكون محمدا وقد يكون مذموما فالحمود أن يحب ذلك تعرف به حب الله لك فانه تعالى إذا أحب عبدا حبه في قلوب عباده وللذموم أن يحب جهنم وحدهم على حجبك وغزوك وصلاتك وعلى طاعة يبينها فان ذلك طلب عرض على طاعة الله عاجل سوى ثواب الله والباح أن يحب أن يحبوك لصفات محمودة سوى الطاعات المحمودة للنية فبك ذلك حيك السال لأن ملك القلوب وسيلة إلى الأغراض كملك الأموال فلا فرق بينهما.

(بيان ترك الطاعات خوفا من الرياء ودخول الآفات)

اعلم أن من الناس من يترك العمل خوفا من أن يكون مرأيا به وذلك غلط وموافقة للشيطان بل الحق فيها يترك من الأعمال ومالا يترك خوفا الآفات مائذ كره وهو أن الطاعات تنقسم إلى مالا تترك في عينه كالصلاة والصوم والحج والنزواتها مقامات ومجاهدات إنما قصير لخدمة من حيث إنها توصل إلى حمد الناس وحمد الناس لخدمة وذلك عند اطلاع الناس عليه وإلى ما هو للخدمة وهو أكثر مالا يقتصر على البدن بل يتعلق بالخلق كالخلة والقضاء والولايات والحسبة وإمامة الصلاة والتذكير والتدريس وإتفاق السال على الخلق وغير ذلك مما تعظم الآفة فيه لتعلقه بالخلق ولما فيه من اللذة. القسم الأول الطاعات اللازمة للبدن التي لا تتعلق بالغير ولا لذة في عينها كالصوم والصلاة والحج فنطرات الرياء فيها ثلاث : إحداها ما يدخل قبل العمل فيستحق على الابتداء لرؤية الناس وليس معه باعث الدين فهذا مما يفتنى أن يترك لأنه مصيبة لا طاعة فيه فانه تدرج بصورة الطاعة إلى طلب الزلة فان قدر الانسان على أن يدفع عن نفسه باعث الرياء ويقول لها ألا تستحين من مولاي لا تسخين بالعمل لأجله وتسحين بالعمل لأجل عباده حتى يدفع باعث الرياء وتسقو النفس بالعمل لانه عقوبة للنفس على خاطر الرياء وكفارة له فليستغل بالعمل . الثانية أن يفتنى لأجل الله ولكن يعترض الرياء مع عقد العبادة وأولها فلا يفتنى أن يترك العمل لأنه وجد باعثا دينيا فليشرع في العمل وليجاهد نفسه في دفع الرياء وتخصين الاخلاص بالمعالجات التي ذكرناها من إلزام النفس كراهة الرياء والاباء عن قبول. الثالثة أن يدفع على الاخلاص ثم يطرأ الرياء ودواعيه فيفتنى أن يجاهد في الدفع ولا يترك العمل لكي يرجع إلى عقد الاخلاص ويرد نفسه إليه قهرا حتى يتم العمل لأن الشيطان يدعوك أولا إلى ترك العمل فاذا لم يحب واشتغل في دعوك إلى الرياء فاذا لم يحب ودفعت بقي يقول لك هذا العمل ليس بغناص وأنت مرء وقبحك ضائع فأى فائدة لك في عمل لا إخلاص فيه حتى يحملك بذلك على ترك العمل فاذا تركته فقد حصلت غرضه ومثال من يترك العمل خوفا أن يكون مرأيا كمن سلم إليه مولاة حنطة فيأزوان وقال خلصها من الزؤان وشها منه تقية بالفة فترك أصل العمل ويقول أخلف إن اشتغلت به لم تخلص خلاصا صافيا تيقا ترك العمل من أجله هو ترك الاخلاص مع أصل العمل فلا معنى له من هذا القبيل

(١) حديث قال رجل دلى على ما يحبني الله عليه ويحبني الناس قال ازهد في الدنيا يحبك الله الحديث ابن ماجه من حديث سهل بن سعد بلفظ وازهد فيا في أبدى الناس وقد تقدم .

وأكلوا فدخل سفيان
فصرح وقال كرموني
أخلاق السلف هكذا
كانوا ومن دعى إلى
طعام فلاجابة من
السنة وأؤكد ذلك
الولبة وقد يتخلف
بعض الناس عن
الدعوة تكبرا وذلك
خطأ وإن عمل ذلك
تعتما ورياء فهو أقل
من التكبر . روى
أن الحسن بن علي
مر بقوم من السالكين
الذين يسألون الناس
على الطرق وقد ثروا
كسرا على الأرض
وهو على بقلته قسا
مر بهم سلم عليهم
فردوا عليه السلام

أن يترك العمل خوفاً على الناس أن يقولوا إنه مرآة فيصون الله به فهذا من مكاييد الشيطان لأنه أولاً أساء الظن بالمسلمين وما كان من حقه أن يظن بهم ذلك ثم إن كان فلا يضره قولهم ورضوته نواب البادة وترك العمل خوفاً من قولهم إنه مرآة هو عين الرياء فلو لا حبه لمعديهم وخوفهم من ذمهم لماله ولقولهم قولوا إنه مرآة أو قولوا إنه غلص وأى فرق بين أن يترك العمل خوفاً من أن يقال إنه مرآة وبين أن يحسن العمل خوفاً من أن يقال إنه فافل مقصر بل ترك العمل لأشدهن ذلك فهذه كلها مكاييد الشيطان على العباد الجهال ثم كيف يطمع في أن يتخلص من الشيطان بأن يترك العمل والشيطان لا يخليه بل يقول له الآن يقول الناس إنك تركت العمل ليقال إنه غلص لا يشتهي الشهرة فيضطررك بذلك إلى أن تهرب فان هربت ودخلت سرية تحت الأرض ألقى في قلبك حلاوة معرفة الناس لزهرك وهربك منهم وتعتظيمهم لك بقولهم لك ذلك فكيف تتخلص منه بل لا نجاة منه إلا بأن تلزم قلبك معرفة آفة الرياء وهو أنه ضرر في الآخرة ولا شغ فيه في الدنيا تلزم الكراهة والإباء قلبك وتستمر مع ذلك على العمل ولا تنال وإن نزع العدو نازغ الطبع فان ذلك لا ينقطع وترك العمل لأجل ذلك يجر إلى البطالة وترك الحيرات لما دمت تعبد بائناً دينياً على العمل فلا تترك العمل وجاهد خاطر الرياء وأزم قلبك الحياء من الله إذا دعتك نفسك إلى أن تستبدل بحمد حمد المخوفين وهو مطلع على قلبك ولو اطلع الخلق على قلبك وأنت تريد حمدهم لقتلوك بل إن قدرت على أن تزيد في العمل حياءً من ربك وعقوبة لنفسك فافعل فان قال لك الشيطان أنت مرآة فاعلم كذبه وخدعه بما تصادف في قلبك من كراهة الرياء وإبائه وخوفك منه وجانك من الله تعالى وإن لم تجد في قلبك له كراهية ومنه خوفاً ولم يبق باعث ديني بل مجرد باعث الرياء فاترك العمل عند ذلك وهو بعيد فمن شرع في العمل لله فلا بد أن يبقى معه أصل قصد التوابع . فان قلت قد تغفل عن أقوام ترك العمل مخافة الشهرة . روى أن إبراهيم النخعي دخل عليه إنسان وهو يقرأ فأطبق للصحف وترك القراءة وقال لا يرى هذا أنا قرأاً أكل ساعة . وقال إبراهيم النخعي إذا أعجبك الكلام فاسكت وإذا أعجبك السكوت فتكلم . وقال الحسن أن كان أحدهم يمر بالأذى ما يمنعه من دفعه إلا كراهة الشهرة وكان أحدهم يأتيه البكاء فيصرفه إلى الضحك مخافة الشهرة . وقد ورد في ذلك آثار كثيرة . قلنا هذا جارئة ماورد من إظهار الطنات ممن لا يصح وإظهار الحسن البصري هذا الكلام في معرض الوعظ أقرب إلى خوف الشهرة من البكاء وإمطاة الأذى عن الطريق ثم لم يتركه . وبالجملة ترك الوافل جائز والكلام في الأفضل ، والأفضل إنما يقدر عليه الأقوياء دون الضعفاء فالأفضل أن يتم العمل ويجتهد في الإخلاص ولا يتركه وأرباب الأعمال قد يعالجون أنفسهم بخلاف الأفضل لشدة الخوف فالاعتداء ينبغي أن يكون بالأقوياء وأما إبطاء إبراهيم النخعي للصحف فيمكن أن يكون لهله بأنه سيحتاج إلى ترك القراءة . دخوله واستشاقه بعد خروجه للاشتغال بمكاته فرأى أن لا يراه في القراءة أبعد عن الرياء وهو عازم على الترك للاشتغال به حتى يعود إليه بعد ذلك وأما ترك دفع الأذى فذلك ممن يخاف على نفسه آفة الشهرة وإقبال الناس عليه وشغلهم إياه عن عبادات هي أكبر من رفع خشية من الطريق فيكون ترك ذلك للمحافظة على عبادات هي أكبر منها لا مجرد خوف الرياء وأما قول النخعي إذا أعجبك الكلام فاسكت يجوز أن يكون قد أراد به مباحات الكلام كالنصاحة في الحكايات وغيرها فان ذلك يورث العجب وكذلك العجب بالسكوت البياح محذور فهو عدول عن مباح إلى مباح حذرا من العجب فأما الكلام الحق للدوب إليه فلم ينس عليه على أن الآفة مما تعظم في الكلام فهو واقع في القسم الثاني وإنما كلامنا في العبادات الخاصة بدين العبد بما

وقالوا هم النذاه: ابن رسول الله فقال نعم إن الله لا يحب للتكبرين ثم نفي وركه فزل عن دابته وقعد معهم على الأرض وأقبل يأكل ثم سلم عليهم وركب وكان يقال الأكل مع الأخوان أفضل من الأكل مع اليتامى . وروى أن هارون الرشيد دعا أبا معاوية الضرب وأمر أن يقدم له طعام فلما أكل صب الرشيد على يده في الطست فلما فرغ قال يا أبا معاوية تدرى من صب على يدك ؟ قال لا قال أمير المؤمنين قال

لا يتماق بالباس ولا تنظم فيه الآفات ثم كلام الحسن في تركهم البكاء وإماطة لأذى خوف الشهرة ربما كان حكاية أحوال الضعفاء الذين لا يعرفون الأفضل ولا يدركون هذه الدقائق وإنما ذكره خوفا للناس من آفة الشهرة وزجرا عن طلبها . القسم الثاني : ما يتعلق بالخلق وتعلم فيه الآفات والأخطار وأعظمها الحلافة ثم القضاء ثم التذكير والتدريس والقنوي ثم إتفاق المال . أما الحلافة والإقرار فهي من أفضل العبادات إذا كان ذلك مع العدل والاخلاص وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « ليوم من إمام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاما » (١) فأعظم عبادة يوازي يوم منها عبادة ستين سنة وقال صلى الله عليه وسلم « أول من يدخل الجنة ثلاثة ثلاثة الإمام القسط » (٢) أحدهم وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ « ثلاثة لا ترد دعوتهم الإمام العادل » (٣) أحدهم وقال صلى الله عليه وسلم « أقرب الناس مني مجلسا يوم القيامة إمام عادل » (٤) رواه أبو سعيد الخدري فالإمارة والخلافة من أعظم العبادات ولم يزل الثقلون يتركونها ويمتدحون منها ويهربون من تحملها وذلك لمسا فيهم من عظيم الخطر إذ تحرك بها الصفات الباطنة ويضرب على النفس حب الجاه ولذة الاستيلاء ونقاد الأمور وهو أعظم ملاذ الدنيا فإذا صارت الولاية محبوبة كان الوالي ساعيا في حفظ نفسه ويوشك أن يتبع هواه فيمتنع من كل ما يندفع في جاهه وولايته وإن كان حقا ويقدم على ما يزيد في مكاته وإن كان باطلا وعند ذلك يهلك ويكون يوم من سلطان جائر شرًا من فسق ستين سنة مفهوم الحديث الذي ذكرناه ولهذا الخطر العظيم كان عمر رضى الله عنه يقول من يأخذها بما فيها وكيف لا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « مامن والى عشرة لإجاء يوم القيامة مغلوله يده إلى عنقه أطلقه عدله أو أوقفه جوره » (٥) رواه معقل بن يسار وولاه عمر ولاية فقال يأمر للؤمنين أشمرط قال اجلس وأكرم طي وروى الحسن « أن رجلا ولده النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي خذني قال اجلس » (٦) وكذلك حديث عبد الرحمن بن سمرة إذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم « يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة فالك إن

(١) حديث ليوم من إمام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاما الطبراني والبيهقي من حديث ابن عباس وقد تقدم (٢) حديث أول من يدخل الجنة ثلاثة الإمام القسط الحديث مسلم من حديث عياض بن حماد أهل الجنة ثلاث ذو سلطان مقسط الحديث ولم أرفقه ذكر الأولوية (٣) حديث أبي هريرة ثلاثة لا ترد دعوتهم الإمام العادل تقدم (٤) حديث أبي سعيد الخدري أقرب الناس مني مجلسا يوم القيامة إمام عادل الأصماني في الرغبة والترهيب من رواية عطية العوفي وهو ضعيف عنه وفيه أيضا إسحق بن إبراهيم البياضي ضعيف أيضا (٥) حديث مامن والى عشرة لإجاء يوم القيامة يده مغلوله إلى عنقه لا يفسكه إلا عدله أحمد من حديث عبادة بن الصامت ورواه أحمد والبراز من رواية رجل لم يسم عن سعد بن عبادة وفيما يزيد بن أبي زياد تستكمل فيه ورواه أحمد والبراز وأبو الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة ورواه البراز والطبراني من حديث بريدة والطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس وثوبان وله من حديث أبي الدرداء مامن والى ثلاثة إلا لقي الله مغلوله يمينه الحديث وقد عزي للصف هذا الحديث لرواية معقل بن يسار وللشعبي من حديث معقل بن يسار مامن عبد يستريحه الله رعية لم يحطها بنصيحة إلا لم يرج راحة الجنة متفق عليه (٦) حديث الحسن أن رجلا ولده النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي صلى الله عليه وسلم « يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة فالك إن

يأمر للؤمنين إماما
أكرمت العلم وأجلته
فأجلك الله تعالى
وأكرمك كما أكرمت
العلم .

[الباب الرابع
والرابعون في ذكر
أدبهم في اللباس ونياتهم
ومقاصدهم فيه]

اللباس من حاجات
النفس وضرورتها لدفع
الحر والبرد كما أن
الطعام من حاجات
النفس لدفع الجوع وكما
أن النفس غير قاتنة
بقدر الحاجة من الطعام
بل تطلب الزيادات
والشوائب فكذلك في
اللباس تنفخ فيه ولها
فيه أهوية متتوعة

أوتيتها من غير مسألة أغنت عليها وإن أوتيتها عن مسألة وكلت إليها^(١) » وقال أبو بكر رضى الله عنه لرافع بن عمر لأنامر على اثنين ثم ولى هو الخلافة فقام بها فقال رافع ألم تقل لى لأنامر على اثنين وأنت قد وليت أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال بلى وأنا أقول لك ذلك لمن لم يدرك فيها ضلته بهلة الله ينى لعنة الله ولعل القليل البصيرة يرى ماورد من فضل الإمارة مع ماورد من التلبى عنها متناضا وليس كذلك بل الحق فيه أن الخواص الأقوياء في الدين لا يبنين أن يمتنوا من تقلد الولايات وأن الضعفاء لا يبنين أن يدوروا بها فهلكوا وأعى بالقوى لانيمة الدنيا ولا يستغفروا الطمع ولا تأخذ في الله لومة لائم وهم الذين سقط الخلق عن أعينهم وزهدوا في الدنيا وتبرموا بها وبمخالطة الخلق وقهرروا أنفسهم وملسوها وقلعوا الشيطان فأيس منهم فهو لا يخرجهم إلا الحق ولا يسكنهم إلا الحق ولو زهقت فيهم أرواحهم فهم أهل نيل الفضل في الإمارة والخلافة ومن علم أنه ليس بهذه الصفة فحرم عليه الخوض في الولايات ومن جرب نفسه فرأها صابرة على الحق كافة من الشهوات في غير الولايات ولكن خاف عليها أن تتبرر إذا ذاقته لئلا يولايها وأن تستعمل الجامع وتسلط فإذا الأمر فكره العزل فبداهن خيفة من العزل فهذا قد اختلف العلماء في أنه هل يلزمه الحرب من تقلد الولاية فقالون لا يجب لأن هذا خوف أمر في المستقبل وهو في الحال لا يهدد نفسه إلا قوبة في ملازمة الحق وترك لذات النفس والصحيح أن عليه الاحتراز لأن النفس خداعة مدعية للحق وأعادة الجحير فلو وعدت بالجحير جزما لكان يخاف عليها أن تتبرر عند الولاية فكيف إذا أظهرت التردد والامتناع عن قبول الولاية أهون من العزل بعد الشروع فالعزل مؤلوه هو كاتيل العزل طلاق الرجال فإذا شرع لا تسمح نفسه بالعزل وتحميل نفسه إلى الدهانة وإهمال الحق ونهى به في قهرجهم ولا يستطيع التزوع منه إلى اللوث إلا أن يحزل قهرا وكان فيه عذاب عاجل على كل محب للولاية ومهما مالت النفس إلى طلب الولاية وحملت على السؤال والطلب فهو أمانة الشر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «إنا لانولى أمرنا من سألنا^(٢) » فإذا فهمت اختلاف حكم القوى والضعيف علمت أن نهى أبى بكر رافعا عن الولاية ثم تقلده لها ليس بمتناقض . وأما القضاء فهو وإن كان دون الخلافة والإمارة فهو في مناصها فان كل ذى ولاية أمير أى له أمر نافذ والإمارة محبوبة والطبع والثواب في القضاء عظيم مع اتباع الحق والقباب فيه أيضا عظيم مع الدول عن الحق وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «القضاء ثلاثة قاضيان في النار وقاض في الجنة^(٣) » وقال عليه السلام «من استغنى فقد ذبح بغير سكين^(٤) » حكاه حكم الإمارة يبنين أن تركه الضعفاء وكل من الدنيا وأدانتها وزن في عينه وليقلده الأقوياء الذين لأنأخذهم في الله لومة لائم ومهما كان السلاطين ظلمة وقد يمد القاضي على القضاء لإبداهنتهم وإهمال بعض الحقوق لأجلهم ولأجل التعطين بهم إذ جعل أنه لو حكم عليهم بالحق لمزلوه أولم يطعموه فليس له أن يتقلد القضاء وإن تقلده فليقل أن يطالبهم بالحق ولا يكون خوف العزل عدرا مرخصا له في الإهمال أصلا بل إذا عزل سقطت المهمة عنه فيبنين أن يفرج بالعزل إن كان يقضى لله فان لم تسمح نفسه بذلك فهو إذن يقضى لاتباع الهوى والشيطان فكيف يرتقب عليه ثوابا وهو مع الظلمة في الدرك الأسفل من النار . وأما الوعظ والفتوى والتدريس ورواية

ومكارب مختلفة فالصوفى

بعد النفس في اللباس

إلى متابعة صريح العلم

قيل لبعض الصوفية

توبك همز قال ولكنه

من وجه حلال وقيل له

وهو وسخ قال ولكنه

طاهر فظفر الصادق في

ثوبه أن يكون من وجه

حلال لأنه ورد في الجحير

عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم أنه قال «من

اشتري ثوبا بشرة

مراهم وفي عنده درهم من

حرام لا يقبل الله منه

صرفا ولا عدلا » أى

لا يرضون أن ينافقهم بعد

ذلك نظره فيه أن يكون

طاهرا لأن طهارة

التوب شرط في صحة

(١) حديث عبد الرحمن بن حمزة لانسلى الإمارة الحديث متفق عليه (٢) حديث إنا لانولى أمرنا من سألناه متفق عليه من حديث أبى موسى (٣) حديث القضاء ثلاثة الحديث أصحاب السنن من حديث بريدة وتقدم في العلم وإسناده صحيح (٤) حديث من استغنى فقد ذبح بغير سكين أصحاب السنن من حديث أبى هريرة بلفظ من جعل قاضيا وفي رواية من ولى القضاء وإسناده صحيح .

الحديث وجميع الأسانيد العالية وكل ما يتبع بسببه الجاه ويعظم به القدر فأقته أيضا عظيمة مثل آفة الولايات وقد كان الخائفون من السلف يتدافعون الفتوى ما وجدوا إليه سبيلا وكانوا يقولون حدثنا باب من أبواب الدنيا ومن قال حدثنا فقد قال أوسموا لي ودفن جسر كذا وكذا فطر من الحديث وقال بمعنى من الحديث أنني أشتي أن أحدث ولو اشتيت أن لا أحدث لحدثت والواعظ يهمل في وعظه وتأثر قلوب الناس به وتلاحق بكائهم وزعماتهم وإقبالهم عليه لذة لا توازيها لذة فاذل ذلك على قلبه ما طبعه إلى كل كلام مزخرف يروج عند العوام وإن كان باطلا ويضر عن كل كلام يستتله العوام وإن كان حقا وبصر مصروف المهمة بالكيفية إلى ما يحرك قلوب العوام ويعظم منزلة في قلوبهم فلا يسمع حديثا وحكمة إلا ويكون فرحه به من حيث إنه يصلح لأن يذكره على رأس للنبر وكان ينبغي أن يكون فرحه به من حيث إنه عرف طريق السعادة وطريق سلوك سبيل الدين ليعمل به أولا ثم يقول إذا أتم الله علي هذه النعمة وتبني هذه الحكمة فأقصها ليشاركني في نعمها إخواني السليين فهذا أيضا مما يعظم فيه الحوف والفتنة لحكمه كالحولايات فمن لا باعث له إلا طلب الجاه والمزلة والأكل بالدين والتفاخر والتكاثر فيبني أن يتركه ويخالف الهوى فيه إلى أن ترتاض نفسه وتقوى في الدين همة ويأمن على نفسه الفتنة عند ذلك يعود إليه . فان قلت مهما حكم بذلك على أهل العلم تعطلت العلوم واندرست وعم الجليل كافة الخلق . فتقول قد نهى رسول الله ﷺ عن طلب الإمارة وتوعد عليها (١) حتى قال « إنكم تحرمون على الإمارة وإنها حسرة وندامة يوم القيامة إلا من أخذها بحظها » (٢) وقال « نعمت الرضعة وبشت الفاطمة » (٣) ومعلوم أن السلطنة والإمارة لو تعطلت لبطل الدين والدنيا جميعا وثار القتال بين الخلق وزال الأمن وخرت البلاد وتعطلت للمعيش فلم ينهي عنها مع ذلك ؟ وضرب عمر رضى الله عنه أبي بن كعب رأى قوما يقيمونه هو في ذلك يقول أبي سيد للسليين وكان يقرأ عليه القرآن فنع من أن يقيموه وقال ذلك فتنة على التبع ومذلة على التابع وعمر كان بنفسه مخضب ويعظ ولا يتنع منه . واستأذن رجل عمر أن يعظ الناس إذا فرغ من صلاة الصبح فنهى فقال آتني من نصح الناس فقال أخشى أن تنفخ حتى تبلغ الثريا إذا رأى فيه غايل الرغبة في جاه الوعظ وقبول الخلق والقضاء والخلافة مما يحتاج الناس إليه في دينهم كالوعظ والتدريس والفتوى وفي كل واحد منها فتنة ولذة فلا فرق بينهما فأما قول القائل نهيك عن ذلك يؤدي إلى اندراس العلم فهو غلط إذ نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القضاء لم يؤدي إلى تعطيل القضاء (٤) بل الرياسة وجها يضطر الخلق إلى طلبها وكذلك حب الرياسة لا يترك العلوم تدرس بل لو حبس الخلق وقبوا بالسلال والأغلال من طلب العلوم التي فيها القبول والرياسة لأفلتوا من الحسب وقطعوا السلال وطلبوها وقد وعد الله أن يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم فلا تشغل قلبك بأمر الناس فإن الله لا يجزيهم وانظر لنفسك ، ثم إنى أقول مع هذا إذا كان في البلد جماعة يقومون بالوعظ مثلا فليس في التهي عن إلا امتناع بعضهم وإلا فيعلم أن كلهم لا يمتنعون ولا يكون لذة الرياسة فإن لم يكن

(١) حديث التهي عن طلب الإمارة وهو حديث عبد الرحمن بن مرة لانس للإمارة وقد تقدم قبله بثلاثة أحاديث (٢) حديث إنكم تحرمون على الإمارة وإنها حسرة يوم القيامة وندامة إلا من أخذها بحظها البخاري من حديث أبي هريرة دون قوله إلا من أخذها بحظها ووافد آخره نعمت الرضعة وبشت الفاطمة ودون قوله حسرة وهي في صحيح ابن حبان (٣) حديث نعمت الرضعة وبشت الفاطمة البخاري من حديث أبي هريرة وهو بقية الحديث الذي قبله ورواه ابن حبان بلفظ قبست للرضعة وبشت الفاطمة (٤) حديث التهي عن القضاء مسلم من حديث أبي ذر لا تؤمنون على اثنين ولا ثلثين مال يتيم

الصلاة وما عدا هذين
الظنرين فظفره في
كونه يدفع الحر والبرد
لأن ذلك مصلحة
النفس وبسد ذلك
ما تدعو النفس إليه
فكله فضول وزيادة
ونظير إلى الخلق
والصالح لا ينبغي أن
يلبس الثوب إلا لله
وهو سر المودة
أو لنفسه لدفع الحر
والبرد . وحكى أن
سفيان الثوري رضى
الله عنه خرج ذات يوم
وعليه ثوب قد لبسه
مغلوبا قليل له ولم يعلم
بذلك فتم أن يخلعه
ويضربه ثم تركه وقال
حيث لبست نويت أن

في البلد إلا واحد وكان وعظه نافعا للناس من حيث حسن كلامه وحنن سمته في الظاهر ونخيلته إلى العوام أنه إنما يريد الله بوعظه وأنه تارك للدنيا ومعرض عنها فلا تخمه منه وهوله اشتغل بجاهد نفسك ، فان قال لست أقدر على نفسي فتقول اشتغل بجاهد ، لأننا نعلم أنه لو ترك ذلك لهلك الناس كلهم إذ لا قاتم به غيره ولو واطب وغرضه الجاه فهو المالك وحده وسلامته دين الجميع أحب عندنا من سلامة دينه وحده فنقبله فداء للقوم وهول لمل هذا هو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ^(١) » ثم الواعظ هو الذي يرغب في الآخرة ويهدي في الدنيا بكلامه وبظاهر سيرته ، فأما ما أحدثه الوعاظ في هذه الأعصار من الكلمات الزخرفوا الألفاظ للجمعة القرونة بالأشعار مما ليس فيه تعظيم لأمر الدين وتخويف للمسلمين بل فيه التريفة والتجربة على العاصي بطيارات التكت فيجب إخلاء البلاد منهم فاتهم ثواب الدجال وخلفاء الشيطان وإنما كلامنا في واعظ حسن الوعظ جميل الظاهر يطقن في نفسه حب القبول ولا يقصد غيره وفبا أو ردناه في كتاب العلم من الوعيد الوارد في حق علماء السوء ما يبين لزوم الحذر من فتن العلم وغواثه ، ولهذا قال السبع عليه السلام : يا علماء السوء تصومون وتصلون وتصعدون ولا تعلمون ما تأمرسون وتدرسون ما لا تعلمون فياسوء ما تحكمون تتوبون بالقول والأمانى وتعملون بالموى وما بيني وعنكم أن تتقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق أقول لكم لا تكونوا كالتنخل فخرج منه الدقيق الطيب وبقى فيه التخاله كذلك أنتم تخرجون الحكم من أفواهكم وبقى القل في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنفض من الدنيا شيوته ولا تنقطع منها رغبته بحق أقول لكم إن قلوبكم تبيى عن أعمالكم جعلت الدنيا تحت ألسنتكم والعمل تحت أقدامكم بحق أقول لكم أنشدتم آخرتمكم بصلاح دنياكم فصلاح الدنيا أحب إليكم من صلاح الآخرة فأى ناس أخس منكم لو تعلمون ويسلمكم حتى متى تصفون الطريق للجدلين وتقيمون في محلة التجبرين كأنكم تدعون أهل الدنيا ليركروا هالكهم ملائمة ويسلمكم ما ذابن عن البيت للظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا ينش عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم منه وحشة معطلة يا عبيد الدنيا لا كسيد أنقياء ولا كحار كرام توشك الدنيا أن تفلتمكم عن أصولكم فتلقكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم ثم يندفكم العلم من خلفكم ثم يسلمكم إلى الملك الديان حفاة عراة فرادى فيوقسكم على نواصيكم ثم يجزكم بسوء أعمالكم وقد روى الحرث الحامسي هذا الحديث في بعض كتبه ثم قال هؤلاء علماء السوء شياطين الانس وقتنة على الناس رغبا في عرض الدنيا ورفقتها وآثروها على الآخرة وأذلوا الدين للدنيا فهم في العاجل طر وشين وفي الآخرة هم الحاسرون . فان قلت : فهذه الآفات ظاهرة ولكن ورد في العلم والوعظ غائب كثيرة حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأن يهدي الله بك رجلا خير لك من الدنيا وما فيها ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « أيما داع دعا إلى هدى واتبع عليه كان له أجره وأجر من اتبعه ^(٣) » إلى غير ذلك من فضائل العلم فينبغي أن يقال للعالم اشتغل بالعلم وترك إمرأة الخلق كما يقال لمن خالجه لرياء في الصلاة لا ترك العمل ولكن آتم العمل وجاهد نفسك . فاعلم أن فضل العلم كبير وخطره عظيم

أليسه في الآن في
أغبره إلا لنظر الخلق
فلا أتمن النية الأولى
بهذه. والصرفه خصوصا
بطهارة الأخلاق وما
رزقوا طهارة الأخلاق
إلا بالصلاحة والأهلية
والاستعداد الذي
هيأه الله تعالى لنفوسهم
وفي طهارة الأخلاق
وتضادها تناسب وانع
لوجود تناسب هيئة
النفس وتناسب هيئة
النفس هو للشار إليه
بقوله تعالى - فاذا
صويته ونفخت فيه
من روحي - فالتناسب
هو التسوية فمن
للتناسب أن يصكون
لباسهم مشا كالطعامهم

(١) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم النسائي وقد تقدم قريبا (٢) حديث لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها متفق عليه من حديث سهل بن سعد بن أبي سعيد (٣) حديث أيما داع دعا إلى هدى واتبع عليه كان له أجره وأجر من اتبعه ابن ماجه من حديث أنس بزيادة في أوله ولمسلم من حديث أبي هريرة من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه الحديث .

كفضل الخلافة والإمامة ولا تقول لأحد من عباد الله ترك الدم إذ ليس في نفس العلم آفة وإساءة الآفة في إظهاره بالتصدي للوعظ والتدريس ورواية الحديث ولا حول له إساءة تركه ما دام يجد في نفسه باعثا دينيا مجزوما يباعث الرياء أما إذا لم يحركه إلا الرياء فترك الإظهار أشنع له وألم وكذلك نوافل الصلوات إذا تجرد فيها باعث الرياء وجب تركها أما إذا خطر له وسواس الرياء في أثناء الصلاة وهو لها كاره فلا يترك الصلاة لأن آفة الرياء في العبادات ضعيفة وإنما تعظم في الولايات وفي التصدي للناسب الكبيرة في العلم . وبالجملة فالمراتب ثلاث : الأولى : الولايات والآفات فيها عظيمة وقد تركها جماعة من السلف خوفا من الآفة . الثانية : الصوم والصلاة والحج والعزو وقد تعرض لها أقوياء السلف وضعفاهم ولم يؤثر عنهم الترك لحوف الآفة وذلك لضعف الآفات الداخلة فيها والقدرة على تضييقها مع إتمام العمل بها أدنى قوة . الثالثة : وهي متوسطة بين الرتبين وهو التصدي لمنصب الوعظ والتدريس والرواية والتدريس والآفات فيها أقل مما في الولايات وأكثر مما في الصلاة فالصلاة ينبغي أن لا يتركها الضعيف والقوي ولكن يدفع خاطر الرياء والولايات ينبغي أن يتركها الضعفاء رأسا دون الأقوياء ومناسب العلم بينهما ومن جرب آفات منصب العلم علم أنه بالولادة أشبه وأن الحذر منه في حق الضعيف أسلم وأه أعلم . وهما رتبة رابعة وهي : جمع المال وأخذة للتفرقة على المستحقين فإن في الاتفاق وإظهار السخاء استجلابا للشاء وفي إدخال السرور على قلوب الناس لغة للنفس والآفات فيها أيضا كثيرة ، ولذلك سئل الحسن عن رجل طلب انقوت ثم أمسك وآخر طلب فوق قوته ثم تصدق به فقال القاعد أفضل لما يعرفون من قلة السلامة في الدنيا وأن من اتهم تركها قرينة إلى الله تعالى . وقال أبو الدرداء ما يرني أنني أفتت على درج مسجد دمشق أميب كل يوم حسين ديناراً تصدق بها أما إني لأحرم البيع والشراء ولكني أريد أن أكون من الذين لا تظلمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وقد اختلف العلماء فقال قوم إذا طلب الدنيا من الحلال وسلم منها تصدق بها فهو أفضل من أن يشتغل بالعبادات والنوافل ، وقال قوم الجلوس في دوام ذكر الله أفضل والأخذ والإعطاء يشغل عن الله ، وقال السبيح عليه السلام يطالب الدنيا ليربها تركها لها أبر ، وقال أقل ما فيه أن يشغله إصلاحه عن ذكر الله وذكر الله أكبر وأفضل وهذا فيمن سلم من الآفات فأما من يتعرض لآفة الرياء تركه لها أو الاشتغال بالذكر لا خلاف في أنه أفضل . وبالجملة ما يتعلق بالخلق وللنفس فيه ثلاثة فهم ثلاث الآفات والأحباب أن جعل ويدفع الآفات فإن همز فلينظر وليجتهد وليست قلبه وليرزق ما فيه من الخير بما فيه من الشر . وليفعل ما يدل عليه نور العلم دون ما يميل إليه الطبع . وبالجملة ما يجده أخف على قلبه فهو في الأكثر أشرف عليه لأن النفس لا تشرب إلا بالشر وقفا تستلذ الخير وتميل إليه وإن كان لا يمد ذلك أيضا في بعض الأحوال وهذه أمور لا يمكن الحكم في تفاصيلها بنى وإثبات فهو موكول إلى اجتهد القلب لينظر فيه أدنيه وبدع ما يريه إلى ما يريه ثم قد يقع مما ذكرناه غرور للجاهل فيمسك المال ولا ينفقه خيفة من الآفة وهو عن البخل ولا خلاف في أن تفرقة المال في اللباحات فضلا عن الصدقات أفضل من إمساكه وإنما الخلاف فيمن يحتاج إلى الكسب أن الأفضل الكسب والاتفاق أو التجرد للذكر . وذلك لما في الكسب من الآفات فأما للمال الحاصل من الحلال فخرقه أفضل من إمساكه بكل حال . فان قلت فبأي علامة تعرف العالم والواعظ أنه صادق فخلص في وعظه غير مرید رياء الناس . فاعلم أن ذلك علامات إحداها أنه لو ظهر من هو أحسن منه وعظا أو أغزر منه علما والناس له أشد قبولا فرح به ولم يحسدهم لئلا بأس بالعبطة وهو أن يتنى لنفسه مثل علمه ، والأخرى أن الأكابر إذا حضروا مجلسه لم يتغير كلامه بل بقي كما كان عليه فينظر إلى الخلق بين واحدة والأخرى أن لا يحب اتباع الناس له في الطريق والتي خلفه في الأسواق

وطعامهم مشاكلا
لكلامهم وكلامهم
مشاكلا لحامهم لأن
الناسب الواقع في
النفس مقيد بالعلم
والتشابه والتماثل في
الأحوال يحكم به العلم
ومتصوفة الزمان
ملتزمون بشيء من
الناسب مع مزج
الهوى وما عندهم من
التطلع إلى الناسب
رشح حال سلفهم في
وجود الناسب . قال
أبو سليمان الداراني :
يلبس أحدهم عبادة
بثلاثة دراهم وشهوته
في بطنه بخمسة دراهم
أنكر ذلك لعدم
الناسب فمن خشن

وتلك علامات كثيرة يطول إحصاؤها ، وقد روى عن سعيد بن أبي مرزوق قال كنت جالسا إلى جنب الحسن إذ دخل علينا الحجاج من بعض أبواب المسجد ومعه الحرس وهو على رذون أسفر فدخل المسجد على رذونه فجعل يلتفت في المسجد فلم ير حلقه أحفل من حلقه الحسن فوجه نحو هاتق يبلغ قريبا منها ثم نفي وركة فنزل ومضى نحو الحسن فناداه الحسن متوجها إليه بمأنيته عن ناحية مجلسه قال سعيد وتجاوبت له أيضا عن ناحية مجلسي حتى صار بيني وبين الحسن فرجة وجلس للحجاج فجاء الحجاج حتى جلس بيني وبينه والحسن يشكم بكلامه يشكم به في كل يوم لما قطع الحسن كلامه قال سعيد قلت في نفسي لأبكون الحسن اليوم ولأنظرن هل يحمل الحسن جالس الحجاج إليه أن يزيد في كلامه يتقرب إليه أو يحمل الحسن هية الحجاج أن ينقص من كلامه فتكلم الحسن كلاما واحدا نحو ما كان يشكم به في كل يوم حتى انتهى إلى آخر كلامه فلما فرغ الحسن من كلامه وهو غير مكترث به رفع الحجاج يده فضرب بها على منكب الحسن ثم قال صدق الشيخ وبر فليكن بهذه المجالس وأشباهها فأتخذوها حقا وعادة فانه بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن مجالس الذكر رياض الجنة (١) ولولا ما حملناه من أهر الناس ما غلبتمونا على هذه المجالس لمرقتنا فضله قال ثم افتقر الحجاج فتكلم حتى هجب الحسن ومن حضر من بلاغته فلما فرغ طلق قائم فلما رجع من أهل الشام إلى مجلس الحسن حين قام الحجاج فقال عباد الله السليبي ألا تصبجون أني رجل شيخ كبير وأني أغزو فأكلف فرسا وبئلا وأكلف فسقطا وأن لي ثلثائة درهم من السماء وأن لي سبع بنات من البغال فتكاسن حاله حتى رقى الحسن له وأصمعه والحسن مكب فلما فرغ الرجل من كلامه رفع الحسن رأسه فقال ما لم قاتلهم الله اتخذوا عبادته خولا ومال الله دولا وقتلوا الناس على الدينار والدرهم فاذا غزاهم والله غزا في القسايط المهابطة على البغال السبابة وإذا أغزى أخاه أغزاه طاروا برجالا لما افتقر الحسن حتى ذكرهم بأقبح العيب وأشدّه قدام رجل من أهل الشام كان جالسا إلى الحسن فسمى به إلى الحجاج وحكى له كلامه فلم يلبث الحسن أن أته رسل الحجاج فقالوا أجب الأمير قدام الحسن واشفقتنا عليه من شدة كلامه الذي تتكلم به فلم يلبث الحسن أن رجع إلى مجلسه وهو يتبسم وقفا رأته فاغرا فامضت إيماء كان يتبسم فأقبل حتى قعد في مجلسه فظلم الأمانة وقال إيماء تجالسون بالأمانة كأنكم تظنون أن الحياة ليست إلا في الدينار والدرهم إن الحياة أشد الحياة أن تجالسنا الرجل فظلمن إلى جانبه ثم ينطق فيسمى بنا إلى شرارة من نار إني أنبت هذا الرجل فقال أقصر عليك من لسانك وتوك إذا غزاهم والله كذا وكذا وإذا أغزى أخاه أغزاه كذا لأبالك تخمرض علينا الناس أما إننا على ذلك لاتهم نصيحتك فأقصر عليك من لسانك قال فدفعه الله عنى وركب الحسن حمارا يريد للزول فيبناه هو يسير إذ ألقت فرأى قوما يتبسمون فوقف فقال هل لكم من حاجة أو تسألون عن شيء أو لا فارجموا المايقي هذان من قلب العبد في هذه العلامات وأمثالها تتبين سريرة الباطن ومهما رأيت العلماء يتبايرون ويتحاسدون ولا يتواسنون ولا يتعاونون فاعلم أنهم قد اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فهم الحاسرون اللهم ارحمنا بلطفك بأرحم الراحمين .

(يان ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وما لا يصح)

اعلم أن الرجل قد يبيت مع قوم في موضع فيقومون للتجهد أو يقوم بعضهم فيصلون الليل كله أو يهضه وهو عن قوم في بيته ساعة قرية فإذا رآهم انبت نشاطه للمواظقة حتى يزيد على ما كان يتأده أو يصل مع أنه كان لا يتأد الصلاة بالليل أصلا ، وكذلك قد يقع في موضع يصوم فيه أهل للوضع فينبعث له نشاط في الصوم ولولا هم لما انبت هذا النشاط فهدار بما يظن أن غيرهم يأمره بالواجب

(١) حديث أن مجالس الذكر رياض الجنة تقدم في الأذكار والدعوات .

ثوبه ينفي أن يكون ما كرهه من جنسه وإذا اختلف الثوب والمأكول بدل على وجود انحراف لوجود هوى كامن في أحد الطرفين إما في طرف الثوب لموضع نظر الخلق وإما في طرفه للأكل لفرط الشهوة وكلا الوصفين مرض يحتاج إلى للدواء ليمود إلى حسد الاحتشاد . لبس أبو سليمان الداراني ثوبا غسلا قال له أحمد لولبت ثوبا أجود من هذا فقال ليت قلبي في القلوب مثل القيس في الثياب

ترك للواقعة وليس كذلك على الإطلاق بل له تفصيل لأن كل مؤمن راغب في عبادة الله تعالى وفي قيام الليل وصيام النهار ولكن قد تحوقه العوائق وبمنه الاشتغال وبغلبه التمكن من الشهوات أو تسبويه الغفلة فربما تكون مشاهدة الغير سبب زوال الغفلة أو تدفع العوائق والاشتغال في بعض الواضع فينبغي له النشاط فقد يكون الرجل في منزله تقطعه الأسباب عن التهجيد مثل تمكنه من النوم على فراش وثير أو تمكنه من التمتع بزوجه أو الهادئة مع أهله وأقاربه أو الاشتغال بأولاده أو مطالعة حساب له مع معامله فإذا وقع في منزل غريب اندفعت عنه هذه الشواغل التي تفرغ رغبته عن الخير وحصلت له أسباب باعثة على الخير كمشاهدته إياهم وقد أقبلوا على الله وأعرضوا عن الدنيا فانه ينظر إليهم فينافسهم ويشق عليه أن يستقوى بطاعة الله فتحرك داعيته للدين لا للرياء أو ربما يخارقه النوم لاستنكاره للوضع أو سبب آخر فيفتح زوال النوم وفي منزله ربما يغلبه النوم وربما يضاق إليه أنه في منزله على الدوام والنفس لا تسمح بالتبجد دائماً وتسبح بالتبجد وقتاً قليلاً فيكون ذلك سبب هذا النشاط مع اندفاع سائر العوائق وقد يصير عليه الصوم في منزله ومع أطيب الأطعمة ويشق عليه الصبر عنها فإذا أعوزته تلك الأطعمة لم يشق عليه فتنبت داعية الدين للصوم فان الشهوات الحاضرة عوائق ودوافع تغلب باعث الدين فإذا سلم منها قوى الباعث فهذا وأمثاله من الأسباب يتصور وقوعه ويكون السبب فيه مشاهدة الناس وكونه معهم والشيطان مع ذلك ربما يصد عن العمل ويقول لاتعمل فانك تكون مرايياً إذ كنت لاتعمل في بيتك ولا تزد على صلاتك المعادة وقد تكون رغبته في الزيادة لأجل رؤيتهم وخوفاً من ذمهم ونسبتهم إياه إلى الكسل لاسيما إذا كانوا يظنون به أنه يقوم الليل فان نفسه لا تسمح بأن يسقط من أعينهم فيريد أن يحفظ منزلته وعند ذلك قد يقول الشيطان صل فانك محاسن ولست تصل لأجلهم بل لله وإنما كنت لاتصل كل ليلة لكثرة العوائق وإنما داعيتك لزوال العوائق لا لاطلاعهم وهذا أمر مشتبّه إلا على ذوى البصائر فإذا عرف أن المحرك هو الرياء فلا ينبغي أن يزيد على ما كان يعتاده ولا رخصة واحدة لأنه يسعى الله بطلب محمدة الناس بطاعة الله وإن كان ابتعاه لدفع العوائق وتحرك النبذة والنافسة بسبب عبادتهم فليوافق وعلامة ذلك أن يعرض على نفسه أنه لو رأى هؤلاء يصلون من حيث لا يرونه بل من وراء حجاب وهو في ذلك الوضع يبينه هل كانت نفسه تسخو بالصلاة وهم لا يرونه فان سخت نفسه فليصل فان باعته الحق وإن كان ذلك ينقل على نفسه لو غاب عن أعينهم فليترك فان باعته الرياء وكذلك قد يحضر الإنسان يوم الجمعة في الجامع من نشاط الصلاة مالا يحضره كل يوم ويمكن أن يكون ذلك حب حدم ويمكن أن يكون نشاطه بسبب نشاطهم وزوال غفلته بسبب إقبالهم على الله تعالى وقد يتحرك بذلك باعث الدين ويتأثره نزوع النفس إلى الجاحد فهما علم أن الغالب على قلبه إرادة الدين فلا ينبغي أن يترك العمل بما يهدمه من الجاحد بل ينبغي أن يرد ذلك على نفسه بالكراهية ويستغل بالعبادة وكذلك قد يسكن جماعة فينظر إليهم فيحضره البكاء خوفاً من الله تعالى لامن الرياء ولو سمع ذلك الكلام وحده لم يابكي ولكن بكاء الناس يؤثر في ترقيق القلب وقد لا يحضره البكاء فتيباً كي تارة رياء وتارة مع الصدق إذ يخشى على نفسه قساوة القلب حين يكون ولا تدمع عينه فتيباً كي تكسفاً وذلك عهود وعلامة الصدق فيه أن يعرض على نفسه أنه لو سمع بكاءهم من حيث لا يرونه هل كان يخاف على نفسه القساوة فتيباً كي أم لا فان لم يجد ذلك عند تقدير الاختفاء عن أعينهم فأنما خوفه من أن يقال إنه قاسى القلب فينبغي أن يترك التباكي . قال لقمان عليه السلام لانه : لا ترى الناس أنك تخشى الله ليكرموك وقبلبك فاجبر وكذلك الصيحة والتنفسي والأثني عند القرآن أو الله كره أو بعض مجازي الأحوال

فكان الفقراء يبسون الرقع وربما كانوا يأخذون الحرق من الزابل ويرقون بها نوبهم وقد فعل ذلك طائفة من أهل الصلاح وهؤلاء ما كان لهم معلوم يرجعون إليه فكما كانت رقاعهم من الزابل كانت لقعهم من الأبواب . وكان أبو عبد الله الرفاعي مثاراً على الفقر والتوكل ثلاثين سنة وكان إذا حضر للفقراء طعام لا يأكل معهم فيقال له في ذلك فيقول أنهم فأكلون بحق التوكل وأنا أكل بحق للسكنة ثم

تارة تكون من الصنق والحزن والحرف والنهم والتأسف وتارة تكون لمشاهدة حزن غيره وقساوة قلبه فيتكلف التنفس والأنيب ويتحازن وذلك محمود وقد حقرن به الرغبة فيه لدلالته على أنه كثير الحزن ليعرف بذلك فإن تجردت هذه الداعية فهي الرياء وإن اقترنت بداعية الحزن فإن أباها ولم يخلها وكرهها سلم بكاؤه وتباكيه وإن قبل ذلك وركن إليه بقلبه حبط أجره وضاع صبه وتعرض لسخط الله تعالى به وقد يكون أصل الأنيب عن الحزن ولكن يعمد ويؤيد في رفع الصوت تلك الزيادة رياء وهو محذور لأنها في حكم الابتداء لمجرد الرياء وقد يهيج من الحواف ما لا يملك المبدعه نفسه ولكن يسيقه خاطر الرياء فيقبله فيدعو إلى زيادة تحزين للصوت أو رفع له أو حفظ الهدمية على الوجه حتى يصير به أن استرسلت خشية الله ولكن يحفظ أثرها على الوجه لأجل الرياء وكذلك قد يسمع الله ذكر تضعضع قواه من الحواف فيسقط ثم يستحي أن يقال له إنه سقط من غير زوال عقل وحالة شديدة فيزعق ويتواجد تكلفا ليرى أنه سقط لكونه منشيا عليه وقد كان ابتداء السقطة عن صدق وقد يزول عقله فيسقط ولكن يبق سريرا تجزع نفسه أن يقال حاله غير ثابتة وإنعاهى كبري خاطف فيستديم الزعقة والرقص ليرى دوام حاله وكذلك قد يفتيق بهذا الضعف ولكن يزول ضمير ما فيجزع أن يقال لم تكن غشيت بهجة ولو كان لدام ضمعه فيستديم إظهار الضعف والأنيب فتكفى على غيره يرى أنه يضيف عن القيام ويشايل في الشئ ويقرب الخطأ يظهر أنه ضئيف عن سرعة الشئ فهذه كلها مكاييد الشيطان وتزغات النفس فإذا خطرت فصلاحها أن يذكر أن الناس لو عرفوا خفايا الباطن واطلموا على ضميره لقتوه وإن الله مطلع على ضميره وهو لأعظمنا كجروى عن ذي النون رحمه الله أنه قام وزعق قائم معه شيخ آخر رأى فيه أثر التكلف فقال يا شيخ الذي رآه الحين تقوم بغلس الشيخ وكل ذلك من أعمال اللاتقين وقد جاء في الخبر «تمودوا بالله من خشوع الفائق»^(١) وإنما خشوع الفائق أن تخشع الجوارح والقلب غير خاشع ومن ذلك الاستغفار والاستعاذة بالله من عذابه وغضبه فإن ذلك قد يكون لحاطر خوف وتذكر ذنب وتندم عليه وقد يكون للمراءاة فيه خواطر تدل على القلب متعادة مترادفة متقاربة وهي مع تقاربها متشابهة فراقب قلبك في كل ما يخطر لك وانظر ما هو ومن أين هو فإن كان له فأمضه واحذر مع ذلك أن يكون قد خفي عليك شيء من الرياء الذي هو كد ييب الخجل وكن على وجل من عبادتك أهي مقبولة أم لا ؟ فحذرك على الإخلاص فيها واحذر أن تجدك لحاطر الركود إلى حرمهم بعد الشروع بالإخلاص فإن ذلك مما يكثر إذا خاف أن يخطرك تفكرك في اطلاع الله عليك ومقته لك وتذكر ما قاله أحد الثلاثة الذين حاجوا أيوب عليه السلام إذ قالوا يا أيوب أما علمت أن الله فضل عنه علانيته التي كان يخادع بها عن نفسه ويمزى بسريره وقول بعضهم أعوذ بك أن يرى الناس أني أشراك وانت لي بماقت . وكان من دعاء علي بن الحسين رضي الله عنهما : اللهم إني أعوذ بك أن تحسن لي لامة الصيون ولاتيق وتنسج لك فيا أخو سريري محافظا على رياء الناس من حسي ومضيما لما أنت مطلع عليه مني أبدى للناس أحسن أمرى وأفضى إليك بأسوا عملي بقدر إلى الناس بحسنى وفرار منهم إليك بيسئلي فيعمل بي مقنك وبجب على غضبك أعتقني من ذلك يارب العالمين وقد قال أحد الثلاثة نقر لأيوب عليه السلام يا أيوب ألم تعلم أن الدين حفظوا أعلامهم وأصاوعوا سرائرهم عند طلب الحاجات إلى الرحمن تسود وجوههم فهذه جعل آفات الرياء ، فليراقب البدن قلبه ليقتف عليها ففي الخبر «إن الرياء سبعين بابا»^(٢) وقد عرفت أن بعضه أعمش من بعض حتى إن بعضه

يخرج بين المشاهدين يطلب الكسر من الأبواب وهذا شأن من لا يرجع إلى معلوم ولا يدخل تحت منة . حكى أن جماعة من أصحاب الرقعات دخلوا على بشر بن الحرث فقال لهم يا قوم اتقوا الله ولا تظهروا هذا الزى فانكم تعرفون به وتكرمون له فنتكروا كلهم فقال له غلام منهم الحمد لله الذي جعلنا من يعرف به ويكرم به والله ليظهرن هذا الزى حتى يكون الدين كله لله فقال له بشر أحسنت يا غلام مثلك من يلبس للرقة لسان أحدم

(١) حديث تمودوا بالله من خشوع الفائق البيهقي في الشعب من حديث أبو بكر الصديق وفيه الحارث بن عبيد الإيادي ضفقه أحمد وابن معين (٢) حديث الرياء سبعين بابا مسكدا ذكر

مثل ديب الخل وبعضه أخفى من ديب الخل وكيف يدرك ديهو أخفى من ديب الخل إلا بشدة التقفد والرقابة وليته أدرك بسد بقل اليهود فكيف يطعم في إدراكه من غير تقفد للقلب وامتحان للنفس وتفتيش عن خديعها ، نسال الله تعالى العافية بمنه وكرمه وإحسانه .

(بيان ما يبغي للريد أن يلزم نفسه قبل العمل وبهده وفيه)

اعلم أن أولى ما يلزم الريد قلبه في سائر أوقاته النعانة بعلم الله في جميع طاعاته ولا يقع بغيره إلا بمن لا يخفى إلا الله ولا يرجو إلا الله فأما من خاف غيره وارتجاه اشتهى اطلاعه على محامد أحواله فإن كان في هذه الرغبة قلبه كراهة ذلك من جهة العقل والإيمان لما فيه من خطر التعرض للفتن وليراقب

نفسه عند الطاعات العظيمة الشاقة التي لا يقدر عليها غيره فإن النفس عند ذلك تكاد تقلى حرصا على الافشاء وتقول مثل هذا العمل العظيم أو الخوف العظيم أو البكاء العظيم لو عرفه الخلق منك لجدوا لك في الحاق الحق من يقدر على مثله فكيف ترضى باخفائه فيجعل الناس محلك وينكرون قدرتك ويحرمون

الاعتناء بك قضي مثل هذا الأمر ينبغي أن يثبت قدمه ويتذكر في مقابلة عظم عمله عظم ملك الآخرة ونعيم الجنة ودوامه أبد الآباد وعظم غضب الله ومقته على من طاب بطاعته ثوابا من عباده ويعلم أن إظهاره لغيره محبب إليه وسقوط عذابه وإجباط العمل العظيم فيقول وكيف أتبع مثل هذا العمل

بمحمد الحق ومما جازون لا يقدر على طي رزق ولا أجل فيلزم ذلك قلبه ولا ينبغي أن يأس عنه فيقول إنما يقدر على الاخلاص الأقوياء فأما المخلطون فليس ذلك من شأنهم فيترك المجاهدة في الاخلاص لأن المخلط إلى ذلك أحوى من التثني لأن للتثني إن فسدت نوافله بقيت فرائضة كالتامة والمخلط لا تخلو

فرائضه عن النقصان والحاجة إلى الجبران بالنوافل فإن لم تسلم صار مأخوذا بالقرائن وهلك به فالتخلط إلى الاخلاص أحوج . وقد روى تميم الدماري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يحاسب العبد يوم

القيامة فان قص فرضه قيل انظروا هل له من تطوع فان كان له تطوع أو كل به فرضه إن لم يكن له تطوع أخذ بطريقه فألقى في النار (١) فيأتي المخلط يوم القيامة وفرضه ناقص وعليه ذنوب كثيرة فاجترأه في جبر القرائن وتكفير السيئات ولا يمكن ذلك إلا بخلو النوافل وأما التثني فله في

زيادة الدرجات فان حبط تطوعه بقي من حسناته ما يرجع على السيئات فيدخل الجنة ، فاذن ينبغي أن يلزم قلبه خوف اطلاع غير الله عليه لتصح نوافله ثم يلزم قلبه ذلك بسد الفراغ حتى لا يظهره ولا

يتحدث به وإذا فعل جميع ذلك فينبغي أن يكون وجلا من عمله خائفا أنه ربما داخله من الرياء الحق ما لم يقف عليه فيكون شاكيا في قوله ورده مجوزا أن يكون الله قد أحصى عليه من نيته

الحفية ما مقته بها ورد عمله بسببها ويكون هذا الشك والخوف في دوام عمله وبهده إلا في ابتداء العقد بل فينبغي أن يكون متيقنا في الابتداء أنه محض ما يريد بعمله إلا الله الحق يصح عمله فاذا

الصف هذا الحديث هنا وكأنه تصحف عليه أو على من نقله من كلامه أنه الرياء بالمشاء وإيما هو الرياء بالمروحة والرسوم كتابه بالواو والحديث رواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة بلفظ الرياء سبعون حوبا أيسرها أن يسكن الرجل أمه وفي إسناده أبو معشر واسمه نجيب مختلف فيه

وروى ابن ماجه أيضا من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الرياء ثلاثة وسبعون بابا . وإسناده صحيح هكذا ذكر ابن ماجه الحديثين في أبواب التجارات وقد روى البراء حديث

ابن مسعود بلفظ الرياء بضع وسبعون بابا والشرك مثل ذلك وهذه الزيادة قد يستدل بها على أنه الرياء بالمشاء لا بقرانه مع الشرك والله أعلم (١) حديث تميم الدماري في إكمال فريضة الصلاة بالتطوع

أبو داود وابن ماجه وتقدم في الصلاة .

يقضى زمانه لا يطوى له
ثوب ولا يملك غير
ثوبه الذي عليه .
وروى أن أسير
الأميين عليا رضى الله
عنه لبس قميصا اشتراه
بثلاثة دراهم ثم قطع
كفه من رموس أصابعه
وروى عنه أنه قال
لعمري إن الخطاب إن
أردت أن تأتي صاحبك
فرقع قميصك واخشف
نملك وقصر أملك
وكل دون الشبع .
وحكى عن الجريري
قال كان في جامع بغداد
رجل لا تسكد تجده
إلا في ثوب واحد في
الشتاء والصيف فمثل
عن ذلك فقال قد

شرح ومضت لحظة يمكن فيها الغفلة والنسيان كان الحوف من الغفلة عن شاة خفية أحبطت عمله من رياء أوجب أولى به ولكن يكون رجاءه أغلب من خوفه لأنه استيقن أنه دخل بالإخلاص وشك في أنه هل أفسد برياء فيكون رجاءه أغلب وبذلك تنظم لفته في النجاة والطاعات، والإخلاص يقين والرياء شك وخوفه لذلك الشك جديراً أن يكفر خاطر الرياء إن كان قد سبق وهو غافل عنه ، ولقد يتقرب إلى الله بالسعي في حوائج الناس وإفادة العلم ينبغي أن يلزم نفسه رجاء الثواب على دخول السرور على قلب من قضى حاجته قط ورجاء الثواب على عمل للتعلم ببله قطدون وشكروا مكافأة وحمد وثناء من التعلم والتمتع عليه فإن ذلك يحبط الأجر فهما توقع من التعلم مساعداً في شغل وخدمة أو مرافقة في الشئ الطريق ليستكثر باستتباعه أو تردداً منه في حاجة قد أخذ أجره فلا ثواب له غيره، نعم إن لم يتوقع هو ولم يقصد إلا الثواب على عمله ببله ليكون له مثل أجره ولكن خدمة التلذذ بنفسه قبل خدمته فترجو أن لا يحبط ذلك أجره إذا كان لا ينتظره ولا يريد منه ولا يستبد منه لو قطعه ومع هذا فقد كان العلماء يحذرون هذا حتى إن بعضهم وقع في برهانة قوم فأدوا لاجل برهانه غاف عليهم أن لا يقف معهم من قرأ آية من القرآن أو صعد منه حديثاً خيفة أن يحبط أجره ، وقال شقيق البلخي أهديت لسفيان الثوري ثوباً فردته عليّ فقلت له يا أبا عبد الله لست أنا بمن يسمع الحديث حتى تردده عليّ قال علمت ذلك ولكن أخوك يسمع مني الحديث فأخاف أن يبين قلبي لأخيك أكثر مما يبين لغيره . وجاء رجل إلى سفيان يدبره أودبرين وكان أبوه صديقاً لسفيان وكان سفيان يأبىه كثيراً فقال له يا أبا عبد الله في نفسك من أبي شئ؟ فقال رحمه الله أبك كان وكان وأثنى عليه فقال يا أبا عبد الله قد عرفت كيف صار هذا المسال إليّ فأجاب أن تأخذ هذه تسعين بها عليّ عيالاً قال فقبل سفيان ذلك قال فلما خرج قال لولده يا مبارك الحق فردته عليّ فرجع فقال أبا أن تأخذ مني فلما خرج به حتى رده عليه وكأنه كانت أخوته مع أبيه في الله تعالى ففكره أن يأخذ ذلك قال ولده فلما خرج لم أملك نفسي أن جئت إليه فقلت وبلك أي شئ؟ فبلك هذا حجارة عد أنه ليس لك عيال أما ترسمي أما ترسم إخوتك أما ترسم عيالاً فأكثر عليّ فقال لي يا مبارك تأكلها أنت ههنا مرثياً وأسأل عنها أنا ، فإذا يجب عليّ العالم أن يلزم قلبه طلب الثواب من الله في لهتداء الناس به فقط ويجب عليّ التعلم أن يلزم قلبه حمد الله وطلب ثوابه ونيل التزلة عنده لا عند اللوم وعند الخلق وربما يظن أن له أن يرأى بطاعته لينال عند اللوم رتبة فيتمتع منه وهو خطأ لأن إرادته بطاعته غير الله خسران في الحال والعلم وربما يفيد وربما لا يفيد فكيف يخسر في الحال عملاً قدما على توم علم وذلك غير جائز بل يذبح أن يتسلم لله ويبعد لله ويخدم العلم لله لا يكون له في قلبه منزلة إن كان يريد أن يكون تلمعه طاعة فإن العباد أمروا أن لا يعبداً إلا الله ولا يريدوا بطاعتهم غيره وكذلك من يخدم أبويه لا ينبغي أن يخدمهما لطلب التزلة عندهما إلا من حيث إن رضا الله عنه في رضا الوالدين ولا يجوز له أن يرأى بطاعته لينال بها منزلة عند الوالدين فإن ذلك مصيبة في الحال وسبب كشف الله عن ربه وتفسد منزلته من قلوب الوالدين أيضاً وأما الزاهد العزلة عن الناس فينبغي له أن يلزم قلبه ذكر الله والقناعة بجاهه ولا يخطر بقلبه معرفة الناس بهذه واستعظامهم حمله فإن ذلك يفسد الرياء في صدره حتى تتيسر عليه العبادات في خلوته به وإنما تكون له معرفة الناس باعتزاله واستعظامهم حمله وهو لا يدري أنه الخائف للعلم عليه . قال إبراهيم بن آدم رحمه الله تلمت المعرفة من رهابي قال له سمعان دخلت عليه في صومعته فقلت يا سمعان منذ كم أنت في صومعته قال منذ سبعين سنة قلت لمطامعك قال يا حنفي ومادعك إلى هذا قلت أحبيت أن أعلم قال في كل ليلة حمصة قلت لها الذي يبيع من

كنت ولدت بكثرة لبس
الثياب فرأيت ليلة فما
يرى النائم مكان
دخلت الجفة فرأيت
جماعة من أصحابنا من
التقراء على مائدة
فأردت أن أجلس
معه فإذ جماعة من
اللائكة أخذوا يدي
وأقاموني وقالوا لي
هؤلاء أصحاب ثوب
واحد وأنت لك
فيصان فلا تجلس معهم
فالتفت ونفدت أن
لا ألبس إلا ثوباً واحداً
إلى أن ألقى الله تعالى .
وقيل مات أبو يزيد
ولم يترك إلا قميصه الذي
كان عليه وكان عارية
فردوه إلى صاحبه .

قلبك حتى تكفيك هذه الحصة قال ترى الدبر الذي بمدائك قلت نعم قال إنهم يأتون في كل سنة يوما واحدا فيزبون صومعي ويطوفون حولها ويحيطون فكلما تأملت نفسي عن العبادة كرتها عز تلك الساعة فأنا أحتمل جهد سنة لزم ساعة فاحتل يا حنفي جهد ساعة لمن الأبد فوفر في قلبى للرفة فقال حبك أو أزيدك ؟ قلت بلى قال أنزل عن الصومعة فنزلت فأدلى لى ركوة فيها عشرون حصاة فقال لى أدخل الدبر فقد رأوا ما أدليت إليك فلما دخلت الدبر اجتمع على النصارى فقالوا يا حنفي ما الذى أدلى إليك الشيخ قلت من قوته قالوا فما تصنع به ونحن آحق بهم قالوا سامد قلت عشرون ديناراً فأعطوني عشرون ديناراً فرجعت إلى الشيخ فقال يا حنفي ما الذى صنعت قلت بته منهم قال بكى قلت بشرين ديناراً قال أخطأت لو ساموهم بشرين ألف دينار لأعطوك هذا عز من الاتسبه فانظر كيف يكون عز من تسببه ، يا حنفي أتبل على ربك ودع الذهب والحيه. والتصوّدان استنصار النفس عز الظلة في القلوب يكون باعثاً في الحوة وقد لا يشعر البه به فينبى أن يلزم نفسه الحذر منه وعلاوة سلامته أن يكون الحلقى عنده واليهام بثابة واحدة فلو تغيروا عن اعتقادهم له لم يجرع ولم ينق به ذرعا إلا كراهة ضيقة إن وجدها في قلبه فبردها في الحال بقله وإعانه فانه لو كان في عبادة واطلع الناس كلهم عليه لم يزد ذلك خشوعا ولم يداخله سرور بسبب اطلاعهم عليه فان دخل سرور يسير فهو دليل ضعفه ولكن إذا قدر على رده بكرهه العقل والإيمان وبادر إلى ذلك ولم يقبل ذلك السرور بالر كون إليه فرجى له أن لا ينجب سعيه إلا أن يزيد عند مشاهدتهم في الخشوع والابتياض كي لا ينسبوا إليه فذلك لا بأس به ولكن فيه غرور إذ النفس قد تكون شهوتها الحفية اظهار الحشوع وتتمل بطلب الابتياض فيطالها في دعواها قصد الابتياض بموتى من الله غليظ وهو أنه لو علم أن ابتياضهم عنه إنما حصل بأن جدو كثيرا أو يضحك كثيرا أو يأكل كثيرا قد تسمع نفسه بذلك فإذا لم تسمع وصحت بالعبادة فيشبه أن يكون مرادها التزلة عنهم ولا ينجو من ذلك إلا من تقرر في قلبه أنه ليس في الوجود أحد سوى الله فيعمل عمل من لو كان على وجه الأرض وحده لكان يسعه فلا يلفت قلبه إلى الحاقى إلا خطرات ضعيفة لا يشق عليه إزالتها فإذا كان كذلك لم يتغير بمشاهدة الحاقى ومن علامة الصدق فيه أنه لو كان له صاحبان أحدهما غنى والآخر فقير فلا يجد عند إقبال الغنى زيادة هزة في نفسه ، لا كرامة إلا إذا كان في الغنى زيادة علم أو زيادة ورع فيكون مكرما به بذلك الوصف لا بالغنى فمن كان استرواحه إلى مشاهدة الأغنياء أكثر فهو مرء أو طماع وإلا فالنظر إلى الفقراء يزيد في الرغبة إلى الآخرة ويجب إلى القلب للسكنة والنظر إلى الأغنياء بخلافه فكيف استروح بالنظر إلى الغنى أكثر مما يستروح إلى الفقير ، وقد حكى أنه لم يبر الأغنياء في مجلس أذل منهم فيه في مجلس سفيان الثورى كان يجلسهم وراء الصف ويخدم الفقراء حتى كانوا يشتمون أنهم قراء في مجلسه ، ثم لك زيادة إكرام للغنى إذا كان أقرب إليك أو كان بينك وبينه حق وصداقة سابقة ولكن يكون بحيث لو وجدت تلك العلاقة في قبر لكنت لا تقدم الغنى عليه في إكرام وتوقير البتة فان الفقير أكرم على الله من الغنى لمشارك له لا يكون إلا طماعا في غناه ورياء له ثم إذا سوت بينهما في الجالسة فينبى عليك أن تظهر الحكمة والحشوع للغنى أكثر مما تظهره للفقير وإنما ذلك رياء حتى أو طمع حتى كما قال ابن السالك لجارية له مالى إذا أتيت بئدا ففتح لى الحكمة فقلت الطمع يشعل لسانك وقد صدقت فان اللسان ينطق عند الغنى بما لا ينطق به عند الفقير وكذلك يحضر من الحشوع عنده مالا يحضر عند الفقير ومكابد النفس وخفاياها في هذا الفن لا تنحصر ولا ينحى منها إلا أن تخرج ماسوى الله من قلبك وتتجد بالشفقة على نفسك بشية همرك

وحكى لنا عن الشيخ
حماد شيخ شيخنا أنه
بقى زمانا لا يلبس
الثوب إلا مستأجرا
حتى إنه لم يلبس على
ملك نفسه شيئا
وقال أوجس الحداد
إذا رأيت وضاعة الفقير
في ثوبه فلا ترجو خيره
وقيل مات ابن الكرنى
وكان أستاذ الجنبى
وعليه مرفقة قيل
كان وزن فردكم له
وتخارجه ثلاثة عشر
رطلا قد يكون جمع
من الصالحين على هذا
الزى والتخشن وقد
يسكون جمع من
الصالحين يتكفون
لبس غير للرفع وزى

ولا ترضى لها النار بسبب شهوات منتصبة في أيام متقاربة وتكون في الدنيا كلك من ملوك الدنيا قد أمكنته الشهوات وساعدته الذات ولكن في بذته سقم وهو يخاف الهلاك على نفسه في كل ساعة لو اتسع في الشهوات وعلم أنه لو احتسب وجاهد شهوته عاش ودام ملكه فلما عرف ذلك جالس الأطباء وحارف الصيادلة وعود نفسه شرب الأدوية للرة وصبر على بشاعتها وهجر جميع الذات وصبر على مفارقتها فبدنه كل يوم يزداد تحولا لثة أكله ولكن سقمه يزداد كل يوم تقصا نال شفاها فلهما نازعته نفسه إلى شهوة تفكر في توالى الأوجاع والآلام عليه وأداء ذلك إلى اللوث للفرق بينه وبين ملكته للوجب لشاة الأعداء به ومهما اختد عليه شرب دواء تفكر فيها يستغديه منه من الشفاء الذي هو سبب التمتع بملكه ونجيه في عيشه هنيء. ويدن صحيح وقلب رضى وأمر نافذ فيخفف عليه مهاجرة الذات ومصاراة للكروهات فكذلك للؤمن المرید الملك الآخرة احتسب عن كل مهلك له في آخرته وهى لذات الدنيا وزهرتها فاجترى منها بالقليل واختار التحول والدبول والوحشة والحزن والخوف وترك اللؤاسة بالخلق خوفا من أن يحل عليه غضب من الله فيهلك ورجاه أن ينجو من عذابه بنف ذلك كله عليه هند شدة يقينه وإيمانه باقية أمره وبما أعد له من النعيم القيم في رضوان الله أبد الآباد ثم علم أن الله كريم رحيم لم يزل لعباده المریدين لمصائبه عوناً وبهم رءوفا وعليهم عطفوا ولوشاء لأغنام عن التنب ولكن أراد أن يلوهم ويصرف صدق إرادتهم حكمة منه وعدلا ثم إذا تحمل التنب في بدايته أقبل الله عليه بالمعونة والتيسير وحط عنه الإجماع وسهل عليه الصبر وجب إليه الطاعة ورزقه فيها من لذة اللاتجاة ما بلهيه عن سائر الذات ويقويه على إماتة الشهوات ويتولى سياسته وتقويته وأمدته بمعونته فان الكرم لا يضيع سعى الراعى ولا يغيب أمل المحب وهو الذى يقول : من تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا . ويقول تعالى : لقد طأن شوق الأبرار إلى لقائى وإنى إلى لقائهم أشد شوقا . فليظهر العبد في البداية جده وصفه وخلاصه فلا يوسوسه من الله تعالى على القرب ماهو اللائق بعبوده وكرمه ورافته ورحمته . ثم كانت ذم الجاه والرياء والحمد لله وحده.

﴿ كتاب ذم الكبير والمعجب ﴾

(وهو الكتاب التاسع من ربيع المهلكات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الخالق البارئ الصور العزيز الجبار المتكبر العلى الذى لا يضمنه عن مجده واضع الجبار الذى كل جبار له ذليل خاضع وكل متكبر في جناب عزه مسكين متواضع فهو التبار الذى لا يدفعه عن مراده دافع التنى الذى ليس له شريك ولا منازع القادر الذى يهر أبصار الخلاق جلاله وهماؤه وقهر العرش الجيد استواؤه واستعلاؤه واستيلاؤه وحصر ألسن الأنبياء وصفه وتواؤه وارضع عن حد قدرتهم إسعواؤه واستعصاؤه فاعترف بالجزع عن وصف كنه جلاله ملائكته وأنياءه وكسر ظهور الأكاسرة عزه وعلاؤه وقصر أيدي القياصرة عظمتهم وكبرياؤه فالعظمة إزاره والكبرياء رداؤه ومن نازعه فيها قصمه بداء اللوث فأعجزه دواؤه جل جلاله وتقدس أسماؤه، والصلاة على محمد الذى أنزل عليه النور للتشرف بضاؤه حتى أشرقت بنوره أكناف العالم وأرجاؤه وعلى آله وأصحابه الذين هم أحياء الله وأولياؤه وخيرته وأصفياءه وسلم تسليما كثيرا .

(كتاب ذم الكبير والمعجب)

القرءاء ويكون بينهم في ذلك ستر الحال أو خوف عدم الهروض بواجب حق للرقصة وقيل كان أبو حفص الحداد يلبس الناعم وله بيت فرش فيه الرمل لله كان ينام عليه بلاوطا وقد كان قوم من أصحاب الصفة يكرهون أن يجالوا بينهم وبين التراب عاتلا ويكون لبس أبي حفص الناعم بلم ونية يلقي الله تعالى بصحتها وهكذا الصادقون إن لبسوا غير الخشن من الثوب لينة تكون لهم في ذلك فلا يترض

[أما بعد] قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قل الله تعالى الكبرياء دأى والمظلة إزارى فمن نازعنى فيها فسمته» (١) وقال عليه السلام: «ثلاث مهلكات: شح مطاع وهوى متبع وإعجاب اللب بنفسه» (٢) والكبر والعجب داءان مهلكان والتكبر واللجب سقيان مريضان وهما عند الله عقوبات بضغان وإذا كان القصد في هذا الربع من كتاب إحياء علوم الدين شرح للمهلكات وجب إضاح الكبر والعجب فانهما من قبائح اللزديات ونحن نستقصي ياتهما من الكتاب في شطرين شطري الكبر وشرط في العجب: الشطر الأول من الكتاب في الكبر وفيه بيان ذم الكبر وبيان ذم الاختيال وبيان فضيلة التواضع وبيان حقيقة التكبر وآفته وبيان من يشكبر عليه ودرجات التكبر وبيان مآبه التكبر وبيان البواعث على التكبر وبيان أخلاق للتواضعين وما فيه يظهر الكبر وبيان علاج الكبر وبيان امتحان النفس في خلق الكبر وبيان الممود من خلق التواضع والذموم منه.

(بيان ذم الكبر)

قد ذم الله الكبر في مواضع من كتابه ودم كل جبار متكبر فقال تعالى: «ما صرف عن آياتي الذين يشكرون في الأرض غير الحق» وقال عز وجل: «كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار» وقال تعالى: «استغفروا وخاب كل جبار عنيد» وقال تعالى: «إنه لا يحب للمتكبرين» وقال تعالى: «قد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا» وقال تعالى: «إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين» ودم الكبر في القرآن كثير وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من جبن» وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يقول الله تعالى الكبرياء دأى والمظلة إزارى فمن نازعنى واحدا منهما ألقته في جهنم ولا أبالي» (٣) وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: «التقى عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمر على الصفا فوافقا ففضي ابن عمرو وأقام ابن عمر عريكة فقالوا ما يريك يا أبا عبد الرحمن فقال هذا يعني عبد الله بن عمرو زعم أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر أكرهه الله في النار على وجهه» (٤) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيه ما أصابهم من العذاب» (٥) وقال سليمان بن داود عليهما السلام يوما للطير والإنس والجن والبهائم أخرجوا عن جوفائي ما نفي من الإنس وما نفي من الجن فرفع حتى سمع زجل لللائكة بالتنسيع في السموات ثم خفض حتى سمع أقدامه البحر فسمع صوتا لو كان في قلب صاحبك مثقال ذرة من كبر لحسفت به أبعد مما رفعت وقال

(١) حديث قال الله تعالى الكبرياء دأى والمظلة إزارى فمن نازعنى فيها فسمته الحاكم في المستدرک دون ذکر المظلة وقال صحيح على شرط مسلم وتقدم في العلم وسأى بعد حديثين بلفظ آخر (٢) حديث ثلاث مهلكات الحديث البراء والطبرانی والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند ضعيف وتقدم فيه أيضا (٣) حديث لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان مسلم من حديث ابن مسعود (٤) حديث أبي هريرة يقول الله تعالى الكبرياء دأى والمظلة إزارى فمن نازعنى واحدا منهما ألقته في جهنم مسلم وأبو داود وابن ماجه واللفظ له وقال أبو داود قد ذمه في النار وقال مسلم عذبه وقال رداه وإزاره بالنسبة وزاد مع أبي هريرة أبا سعيد أيضا (٥) حديث عبد الله بن عمرو من كان في قلبه مثقال حبة من كبر كرهه الله في النار على وجهه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان من طريقه بإسناد صحيح (٦) حديث لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين الحديث الترمذی وحسنه من حديث سلمة بن الأكوع دون قوله من العذاب.

عليهم غير أن ليس
الحسن والرفع يصلح
لسائر القراء بنية
التقليل من الهدايا
وزهرتها وهبتها وقد
ورد «من ترك نوب
جمال وهو قادر على
لبسه ألبسه الله تعالى
من حلل الجنة» وأما
ليس التامع فلا يصلح
إلا لعالم بحاله بسير
بصفات شه متفقد
خفى شهورات النفس
يلقى الله تعالى بحسن
النسبة في ذلك فلحسن
النسبة في ذلك وجوه
متعددة يطول شرحها
ومن الناس من لا يقصد
ليس نوب بعينه
لا تحسبوا تولا لنسوته

صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار عنق له أذنان تسمعان وعينان تبصران ولسان ينطق يقول وكلت ثلاثة: بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إلها آخر وبالمنصورين ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة بخيل ولا جبار ولا سيء للملكة ^(٢) » وقال ^(٣) « تحاجت الجنة والنار قالت النار أوثرت بالتكبرين والتعجبين وقالت الجنة مالي لا يدخلني إلا ضغائن الناس وسقاظهم وهجنهم فقال الله لجنه إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال النار إنما أنت عدائي أعذب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ماؤها ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « بشى البعد عبد نجبر واعتدى ونسى الجبار الأعلى بشى البعد عبد نجبر واختال ونسى الكبير التتال بشى البعد عبد غفل وصها ونسى القابروالبى بشى عبد عتا وبشى ونسى البذا والتتهى ^(٥) » وعن ثابت أنه قال « بلغنا أنه قيل لرسول الله ما أعظم كبر فلان قال أليس بعد الموت ^(٦) » وقال عبد الله بن عمرو: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنه وقال إني أمركا بالتنتين وأنها كا عن التنتين أنها كاعن الشرك والكبر وأمركا بلا إله إلا الله فإن السموات والأرضين وما فيهن لو وضعت في كفة لليزان ووضعت لا إله إلا الله في الكفة الأخرى كانت أرجح منها ولو أن السموات والأرضين وما فيهن كانتا حلقة فوضعت لا إله إلا الله عليها لتصمنا وأمركا بسبحان الله وبعمده فأبصاة كل شيء وبها يرقى كل شيء ^(٧) » قال السبيح عليه السلام: طوبى لمن علمه الله كتابه ثم لم يتجربا. وقال صلى الله عليه وسلم « أهل النار كل جطرى جواظ مستكبر جماع مناع وأهل الجنة الضغائن ^(٨) » وقال صلى الله عليه « وسلم « إن أجبرك إلينا وأقربكم منا في الآخرة أحاسنكم أخلاقا وإن أبغضكم أخلاقا وبسكننا النار وارون التشدقون التفتيقون قالوا يا رسول الله قد علمنا التثارة وللشدقون والتفتيقون قال التفتيقون ^(٩) » وقال صلى الله عليه وسلم « يحشر للتكبرون يوم القيامة في مثل صور القدر تطوم الناس ذراعى مثل صور الرجال يلوهم كل شيء من الصغار ثم يساقون إلى سبعين في جهنم قاله بولس يلوهم نار الأبار يسقون من طين الحبال عصارة أهل النار ^(١٠) » وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم

بل يلبس ما يبدعه الحق عليه فيكون بحكم الوقت وهذا حسن وأحسن من ذلك أنه يتفقد نفسه فيه فإن رأى لنفسه شهرا وشهوة خفية أو جلية في الثوب الذي أدخله الله عليه يخرج به إلا أن يكون حاله مع الله ترك الاختيار فسد ذلك لا يسه إلا أن يلبس الثوب الذي ساقه الله إليه وقد كان شيخنا أبو العجيب السهروردي رحمه الله لا يتجبد بهيمة من اللبوس بل كان يلبس ما يتفق من غير تعدد تكلف

(١) حديث يخرج من النار عنق له أذنان الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة وقوله حسن صحيح غريب (٢) حديث لا يدخل الجنة جبار ولا بخيل ولا سيء للملكة تنتم في أسباب الكسب والتعاش والمعروف خائف مكان جبار (٣) حديث تحاجت الجنة والنار قالت النار أوثرت بالتكبرين والتعجبين الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث بشى البعد عبد نجبر واعتدى ونسى الجبار الأعلى من حديث أسماء بنت حميس بزيادة فيه مع تقديم وتأخير وقال غريب وليس إسناده بالقوى ورواه الحاكم في المستدرک وصححه ورواه البيهقي في الشعب من حديث نعيم بن حماد ووضعه (٥) حديث ثابت بلغنا أنه قيل لرسول الله ما أعظم كبر فلان فقال أليس بعد الموت البيهقي في الشعب هكذا مرسل بلفظ نجبر (٦) حديث عبد الله بن عمرو إن نوحا لما حضرته الوفاة دعا ابنه وقال إني أمركا بالتنتين وأنها كاعن التنتين أنها كا عن الشرك والكبر الحديث أحمد والبخارى في كتابه الأدب والحاكم بزيادة في نفسه قال صحيح الاسناد (٧) حديث أهل النار كل جطرى جواظ مستكبر جماع مناع وهذه الزيادة عندهما من حديث حارثة بن وهب الخزاعي ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر (٨) حديث إن أجبرك إلينا وأقربكم منا في الآخرة أحاسنكم أخلاقا الحديث أحمد من حديث أبي ثعلبة الخشني لفظه إلى ومضى وفيه انقطاع ومكحول لم يسمع من أبي ثعلبة وقد تقدم في رواية للنفس أول الحديث (٩) حديث يحشر للتكبرون يوم القيامة ذرا في صور الرجال الحديث الترمذي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وعنه حسن غريب

« يحشر الجبارون والتكبرون يوم القيامة في صور الدرّ تطوّم الناس لهوائهم على الله تعالى ^(١) » وعن محمد بن واسع قال دخلت على بلال بن أبي بردة فقلت له يا بلال إن أباك حدثني عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن في جهنم واديا يقال له هبيب حق على الله أن يسكنه كل جبار فإياك يا بلال أن تكون ممن يسكنه ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن في النار قصرا يجعل فيه للتكبرون ويطلق عليهم ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « اللهم إني أعوذ بك من نقخة الكبرياء ^(٤) » وقال « من فارى روحه جسده وهو برى من ثلاث دخل الجنة: الكبر والله بن والذلول ^(٥) » الآثار: قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : لا يحقرن أحد أحدًا من المسلمين فإن صغير المسلمين عند الله كبير ، وقال وهب لمّا خلق الله جنة عدن نظر إليها فقال أنت حرام على كل متكبر. وكان الأحنف بن قيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره فجاء يوما ومصعب ماذّ رجليه فله بهنهما وقد الأحنف فزحمه بعض الزحمة فرأى أثر ذلك في وجهه فقال هبّا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين ، وقال الحسن العجبي من ابن آدم ينسل الحرء يده كل يوم مرة أو مرتين ثم يعارض جبار السموات ، وقد قيل في - وفي أنفسكم أفلا تبصرون - هو سبيل الفاطم والبول ، وقد قال محمد بن الحسين ابن علي ما دخل قلب امرئ شئ من الكبر قط إلا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل أو أكثر. وسئل سلمان عن الديعة التي لاتنعف معها حسنة فقال الكبر، وقال النعمان بن بشير على النبي إن الشيطان مصالي وغلوها وإن من مصالي الشيطان وغلوها البطر بأنهم الله والفخر باعطاء الله والكبر على عباد الله واتباع الهوى في غير ذات الله ، نسأل الله تعالى العفو والعافية في الدنيا والآخرة عنه وكرمه . (يان ذم الاختيال وإظهار آثار الكبر في الشئ وجبر الثياب)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا ينظر الله إلى رجل يمرّ إزاره بطرا ^(٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « بينا رجل يمشي في برده إذ أهبطته نفسه غلظف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة ^(٧) » . وقال صلى الله عليه وسلم « من جرّ ثوبه خيلاء لا ينظر الله إليه يوم القيامة » وقال

(١) حديث أبي هريرة يحشر الجبارون والتكبرون يوم القيامة في صور الدرّ الحديث البراء هكذا حصصا دون قوله الجبارون وإسناده حسن (٢) حديث أبي موسى إن في جهنم واديا يقال له هبيب حق على الله أن يسكنه كل جبار أبو يعلى والطبراني والحاكم وقال صحيح الإسناد قلت فيه أنزه بن سنان ضعه ابن معين وابن جبان وأورد له في الضعفاء هذا الحديث (٣) حديث إن في النار قصرا يجعل فيه للتكبرون ويطلق عليهم البيهقي في الشعب من حديث أنس وقال توابيت مكان قصرا وقال فيقتل مكان يطبق وفيه أبان بن أبي عياش وهو ضيف (٤) حديث اللهم إني أعوذ بك من نقخة الكبرياء لم أره بهذا اللفظ وروى أبو داود وابن ماجه من حديث جبير بن مطعم عن النبي ﷺ في أثناء حديث أعوذ بالله من الشيطان من نقخة وقته وهززه قال نقخة الشعر ونقخة الكبر وهززه الونة والأههب السنان من حديث أبي سعيد الخدري نحوه تسكّم فيه أبو داود وقال الترمذي هو أشهر حديث في هذا الباب (٥) حديث من فارى روحه جسده وهو برى من ثلاثة دخل الجنة : الكبر والدين والذلول الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث ثوبان وذكر للصف لهذا الحديث هنا موافق للشهور في الرواية أنه الكبر بالوحدة والراه لكن ذكر ابن الجوزي في جامع السائدين عن الدارقطني قال إن عساهو السكّن بالتون والراي وكذلك أيضا ذكر ابن مردويه الحديث في تفسير - والذين يكثرزون الذهب والفضة - (٦) حديث لا ينظر الله إلى من جرّ إزاره بطرا متفق عليه من حديث أبي هريرة . (٧) حديث بينا رجل يمشي في برده قد أهبطته نفسه الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة .

واختيار ، وقد كان يلبس العمامة بشرة دنائير وبابس العمامة بدائق. وقد كان الشيخ عبد القادر رحمه الله يلبس هيئة مخصوصة ويشطيلس وكان الشيخ علي بن الهيثم يلبس لبس قسراء السواد وكان أبو بكر القراء بزنجان يلبس فروا خشنا كأحاد العوام ولكل في لبسه وهيئة نيّة صالحة وشرح تفاوت الأقدام في ذلك يطول ، وكان الشيخ أبو السعود رحمه الله حاله مع الله ترك الاختيار وقد يساقى إليه الثوب

جذباهم قالا اللهم ضمه وإن وضع نفسه قالا اللهم ارفعه ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن تواضع في غير مسكنة وأنفق مالا جمعه في غير مصيبة ورحم أهل الدل والسكنة وخالف أهل الفقه والحكمة ^(٢) » وعن أبي سلمة الدين عن أبيه عن جده قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا بقاء وكان صائما فأتيناه عند إفطاره بقدر من لبن وجعلنا فيه شيئا من عسل فلما رفضه وذاق وجد حلوة العسل فقال ما هذا ؟ قلنا يا رسول الله جعلنا فيه شيئا من عسل فوضعه وقال ما ينبغي أن لا أحرمه ومن تواضع لله رفضه الله ومن تكبر وضعه الله ومن اقتصد أغناه الله ومن بذر أقره الله ومن أكره ذكر الله أحبه الله ^(٣) » وروى « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في نفر من أصحابه في بيته بأكلون فقام سائل على الباب وبه زمانة يتكره منها فأذن له فلما دخل أجلسه رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذه ثم قال له اطمع فكان رجلا من قريش اشماؤه منكره فقامت ذلك الرجل حتى كانت به زمانة مثله ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « خيرني بين أمرين أن أكون عبدا رسولاً أو ملكاً نبياً فلم أدرهما أختار وكان صفي من الثلاثة جبريل فرقت رأسي إليه فقال تواضع لربك قتلت عبدا رسولاً ^(٥) » وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : إنما أقبل صلاتك من تواضع لمطعمي وللمعاطم على خفي وأكرم قلبه خوفاً وقطع نهاره بذكرى وكف نفسه عن الشهوات من أجل وقال ^(٦) « الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين التقى ^(٧) » وقال المسيح عليه السلام : طوبى للمتواضعين في الدنيا هم أصحاب النابر يوم القيامة طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا هم الذين يرتون الفردوس يوم القيامة طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون إلى الله تعالى يوم القيامة . وقال بعضهم بل نبي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا هدى الله عبداً للإسلام وحسن صورته وجعله في موضع غير شائن له ورزقه مع ذلك تواضعاً فلذلك من صفوة الله ^(٨) » وقال صلى الله عليه وسلم « أربع لا يعطيه الله إلا لمن أحب الصمت وهو أول العبادات

(١) حديث مأمون أخذ إلا دمه ملكان وعليه حكمة يمكنها بها الحديث القليل في الضعفاء والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة والبيهقي أيضاً من حديث ابن عباس وكلاهما ضعيف (٢) حديث طوبى لمن تواضع في غير مسكنة الحديث النبوي وابن قانع والطبراني من حديث ركب المصري والبراز من حديث أنس وقد تقدم بعضه في العلم وحضه في آفات اللسان (٣) حديث أبي سلمة الدين عن أبيه عن جده قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا بقاء وكان صائماً الحديث وفيه من تواضع رفضه الله الحديث رواه البراز من رواية طلحة بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله عن أبيه عن جده طلحة فقد ذكر نحوه دون قوله ومن أكثر من ذكر الله أحبه الله ولم يقل بقاء وقال الذهبي في البراز إنه خبر منكر وقد تقدم ورواه الطبراني في الأوسط من حديث عائشة قالت أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قدس فيه لبن وعسل الحديث وفيه أما إلى لا أزعج أنه حرام الحديث وفيه من أكثر ذكر الوت أحبه الله وروى الرفوع منه أحمد وأبو يعلى من حديث أبي سعيد دون قوله ومن بذر أقره الله وذكر أقره قوله ومن أكثر ذكر الله أحبه الله وتقدم في ذم الدنيا (٤) حدث السائل الذي كان به زمانة منكره وأنه صلى الله عليه وسلم أجلسه على فخذه ثم قال اطمع الحديث لم أجده أصلاً والوجود حديثاً كالمعجم مجزوم رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث جابر وقال الترمذي غرب (٥) حديث خيرني بين أمرين عبداً رسولاً وملكاً نبياً الحديث أبو يعلى من حديث عائشة والطبراني من حديث ابن عباس وكلاهما حديث ضعيف (٦) حديث الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين التقى ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين مرسل وأسنده الحاكم أوله من رواية الحسن عن عمرة وقال صحيح الإسناد (٧) حديث إذا هدى الله عبداً للإسلام وحسن صورته الحديث الطبراني موقوف على ابن مسعود نحوه وفيه السعدي مختلف فيه

أن يختار الله له هيئة
مخصوصة فيكثر الجأ
إلى الله والافتقار إليه
ويسأله أن يره أب
الزى إلى الله تعالى
وأصلحه لدينه ودنياه
لكونه غير صاحب
غرض وهوى في زى
بينه فله تعالى يفتح
عليه ويعرفه زيا
مخصوصاً فيلزم
بذلك الزى فيكون
لبسه بالله ويكون هذا
أتم وأكمل من
يكون لبسه لله . ومن
الناس من يتوفر حظه
من العلم وينسبط بما
يسطه الله فيليس
الثوب عن علم

والتوكل على الله والتواضع والزهد في الدنيا ^(١) » وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 « إذا تواضع العبد ربه الله إلى السماء السابعة ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « التواضع لا يزيد العبد
 إلا رفعة فتواضعوا يرحمكم الله ^(٣) » وروى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطمع فجاء
 رجل أسود به جذري قد تشقر فجعل لا يجلس إلى أحد إلا قام من جنبه فأجلسه النبي صلى الله عليه
 وسلم إلى جنبه ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إنه ليعجبني أن يعمل الرجل الشيء في يده يكون
 مهنة لأهله يدفع به الكبر عن نفسه ^(٥) » وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه يوماً مالي لأرى
 عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة ؟ قال التواضع ^(٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا
 رأيتم التواضعين من أمي فتواضعوا لهم وإذا رأيتم التكبرين فتكبروا عليهم فإن ذلك مذلة لهم
 وصغار ^(٧) » . الآثار : قال عمر رضي الله عنه : إن العبد إذا تواضع لله رفع الله حكمته وقال انمش
 رفضك الله وإذا تكبر وعدا طوره رخصه الله في الأرض وقال أخساً خسأك الله فهو في نفسه كبير
 وفي أمين الناس حقير حتى إنه لأحقر عندهم من الحزير . وقال جرير بن عبد الله : انتهت مرة إلى
 شجرة تحتها رجل نائم قد استظل بنطع له وقد جاوزت الشمس النطع فسويته عليه ثم إن الرجل استيقظ
 فإذا هو سلمان الفارسي فذكرت له ما صنعت فقال لي يا جرير تواضع لله في الدنيا فإنه من تواضع لله في الدنيا
 ربه الله يوم القيامة يا جرير أندرى ما ظلة النار يوم القيامة ؟ قلت لا قال إنه ظلم الناس بعضهم بعضاً
 في الدنيا . وقالت عائشة رضي الله عنها إنكم لتفعلون عن أفضل العبادات التواضع . وقال يوسف بن
 أسباط : يجرى قليل الورع من كثير العمل ويجزى قليل التواضع من كثير الاجتهاد . وقال الفضيل
 وقد سئل عن التواضع ماهو ؟ قال أن تخضع للحق وتقادة ولولو سمعته من صبي قبلته ولو سمعته من أجهل
 الناس قبلته . وقال ابن المبارك : رأس التواضع أن تضع نفسك عندهم من ذل في نعمة الدنيا حتى تملأه
 ليس لك بدنيك عليه فضل وأن ترفع نفسك عن هو فوقك في الدنيا حتى تملأه ليس له بدنيك عليك
 فضل . وقال قتادة : من أعطى مالا أو جالا أو ثياباً أو علماً لم يتواضع فيه كان عليه وبالاً يوم القيامة .
 وقيل أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام : إذا أئمت عليك بنعمة فاستقبلها بالاحتكاكة أعني عليك .

(١) حديث أربع لا يعطيهن الله إلا من يحب الصمت وهو أول العبادة والتوكل على الله والتواضع
 والزهد في الدنيا الطبراني والحاكم من حديث أنس أربع لا يصيبن إلا بعجب الصمت وهو أول العبادة
 والتواضع وذكر الله وقلة الشيء قال الحاكم صحيح الإسناد قلت فيه العوام بن جويرية قال ابن حبان
 يروي للوضوحات ثم روى له هذا الحديث (٢) حديث ابن عباس إذا تواضع العبد ربه الله رأسه إلى
 السماء السابعة البيهقي في الشعب نحوه وفيه زمة بن صالح ضعفه الجمهور (٣) حديث إن التواضع
 لا يزيد العبد إلا رفعة الحديث الأصفهاني في التزغب والترهب من حديث أنس وفيه شرح من الحسين
 وهو ضيف جداً ورواه ابن عدي من حديث ابن عمر وفيه الحسن بن عبد الرحمن الاحتياضي
 وخارجة بن مصعب وكلاهما ضيف (٤) حديث كان يطمع فجاءه رجل أسود به جذري فجعل لا يجلس
 إلى أحد إلا قام من جنبه فأجلسه النبي صلى الله عليه وسلم إلى جنبه لم أجده هكذا والعروء أكله
 مع مجذوم رواه أبو داود والترمذي وقال غريب وابن ماجه من حديث جابر كما تقدم (٥) حديث
 إنه ليعجبني أن يعمل الرجل الشيء في يده فيكون مهنة لأهله يدفع به الكبر عن نفسه ، غريب
 (٦) حديث مالي لا أرى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة ؟ قال التواضع ، غريب أيضا
 (٧) حديث إذا رأيتم التواضعين من أمي فتواضعوا لهم وإذا رأيتم التكبرين فتكبروا عليهم
 فإن ذلك لهم مذلة وصغار ، غريب أيضا .

وإيقان ولا يالي بما
 لبسه ناعما ليس أو خشنا
 وربما ليس ناعما
 ونفسه فيه اختيار
 وحظ وذلك الحظ فيه
 يكون مكفره المردودا
 عليه موهوبا له بواقته
 الله تعالى في إرادة نفسه
 ويكون هذا الشخص
 تام التزكية تام الطهارة
 محبوبا مهادا يسارع الله
 تعالى إلى مراده ومعا به
 غير أن ههنا مزية قدم
 لكثير من اللدعين .
 حكى عن يحيى بن معاذ
 الرازي أنه كان يليس
 الصوف والمخلفان في
 ابتداء أمره ثم صار في
 آخر عمره يلبس الناعم
 قليل لأبي يزيد ذلك

وقال كعب ما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فشكرها لله وتواضع بها لله لإعطاء الله نعمها في الدنيا ورفع بها درجة في الآخرة وما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فلم يشكرها ولم يتواضع بها لله إلا لانه الله نعمها في الدنيا وفتح له طبقا من النار يذبه به إن شاء الله أو يتجاوز عنه. وقيل لعبد الملك ابن مروان أي الرجال أفضل؟ قال من تواضع عن قدره وزهد عن رغبة وترك النصره عن قوة. ودخل ابن الهكاه على هرون فقال يا أمير المؤمنين إن تواضعك في شرفك أشرف لك من شرفك فقال ما أحسن ما قلت فقال يا أمير المؤمنين إن امرأ آناه الله جمالا في خلقته وموضا في حبه وبسط له في ذات يده نصف في جماله وولسى من ماله وتواضع في حبه كتب في ديوان الله من خالص أولياء الله فدهاهرون بدواة وقرطاس وكتبه يده . وكان سليمان بن داود عليهما السلام إذا أصبح تصفح وجوه الأغنياء والأشراف حتى يجيء إلى السالكين فيقعد معهم ويقول مسكين مع مساكين . وقال بعضهم كما تكره أن يراك الأغنياء في الثياب الدون فكذلك فاكروه أن يراك الفقراء في الثياب للرفعة . وروى أنه خرج يونس وأيوب والحسن بن داود كرون التواضع فقال لهم الحسن أتدرون ما التواضع؟ التواضع أن تخرج من منزلك وتلتقي مسلما إلا رأيت له عليك فضلا . وقال مجاهد: إن الله تعالى لما أغرق قوم نوح عليه السلام هضمت الجبال وتطاوت وتواضع الجودي فرفعه الله فوق الجبال وجعل قرار السفينة عليه . وقال أبو سليمان : إن الله عز وجل اطاع على قلوب الأديمين فلم يجد قلبا أشد تواضعا من قاب موسى عليه السلام فغصه من بينهم بالكلام . وقال يونس بن عبيد وقد انصرف من عرفات لم أشك في الرحمة لولائي كنت معهم إلى أخفى أنهم حرموا بسبي ويقال أرفع ما يكون المؤمن عند الله أوضع ما يكون عند شمه وأوضع ما يكون عند الله أرفع ما يكون عند شمه . وقال زياد البكري : الزاهد يغير تواضع كالشجرة التي لا تثمر . وقال مالك بن دينار : لو أن مناديا ينادي ياب السجد ليخرج شر كم رجلا والله ما كان أحد يسبقني إلى الباب إلا رجلا بفضل قوة أوسمي قال فلا بلغ ابن المبارك قوله قال بهذه صار مالك مالكا . وقال الفضيل : من أحب الرياسة لم يباح أبدا . وقال موسى بن القاسم : كانت نحمدنا زلزلة وريح حمراء فذهبت إلى محمد بن مقاتل فقلت يا أبا عبد الله أنت إمامنا فادع الله عز وجل لنا فيكي ثم قال إني لم أكن سبب هلاككم قال فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال إن الله عز وجل رفع عنكم بداء محمد بن مقاتل وجاء رجل إلى النبي رحمه الله فقال له ما أنت؟ وكان هذا ذابا وعادته فقال أنا النقطة التي تحت الباب قل له النبي أباد شاهداك أو تجعل نفسك موضعا . وقال الشيباني في بعض كلامه : ذلي عطل ذل البرود . ويقال من يرى لنفسه قيمة فليس له من التواضع نصيب . وعن أبي الفتح بن شخرف قال رأيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه في المنام فقلت له يا أبا الحسن عظمي فقال لي ما أحسن التواضع بالأغنياء في مجالس الفقراء رغبة منهم في ثواب الله وأحسن من ذلك تبه الفقراء على الأغنياء ثقة منهم بالله عز وجل . وقال أبو سليمان : لا يتواضع البديع حتى يعرف شمه وقال أبو يزيد : مادام البديع يظن أن في الخلق من هو شر منه فهو متكبر قليل له فيكون متواضعا؟ قال : إذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا وتواضع كل إنسان على قدر معرفته بربه عز وجل ومعرفته بنفسه . وقال أبو سليمان : لو اجتمع الخلق على أن يضعوني كائنا ما كان عند نفسي ما قدروا عليه . وقال عروة بن الورد : التواضع أحد مصابيح الشرف وكل نعمة محمود عليها إلا التواضع . وقال يحيى بن خالد البرمكي : الشرف إذا تنسك تواضع والسفيه إذا تنسك تعاظم . وقال يحيى بن . ما ذ : التكبر على ذوى التكبر عليك بماله تواضع . ويقال التواضع في الحقائق كلام حسن وفي الأغنياء أحسن والتكبر في الحقائق كلام قبيح

قال مسكين يحيى لم
يسبر على الدون
فكيف يسبر على
التحف ومن الناس من
يسبق إليه علم ماموف
يدخل عليه من
لللبوس قبله محمودا
فيه وكل أحوال
الصادقين على اختلاف
تنوعها مستحسنة
- قل كل يعمل على
شاكنه فربكم أعلمين
هو أهدي سبيلا -
وليس الخشن من
التيب هو الأحب
والأولى والألم للبد
والأبعد من الآفات .
قال مسفة بن عبد الملك
دخلت على عمر بن

وفي المقام أفتيح ، ويقال لأعزّ إلّا لمن تذلل لله عز وجل ولا رخصة لإلّا لمن تواضع لله عز وجل ولأمن إلّا لمن خاف الله عز وجل ولا ربح إلّا لمن ابتاع نفسه من الله عز وجل . وقال أبو طي الجوزجاني : النفس معجونة بالكبر والحرص والحسد فمن أراد الله تعالى هلاكه منع منه التواضع والصبيحة والقناعة وإذا أراد الله تعالى به خيرا لطف به في ذلك فإذا هاجت في نفسه نار الكبر أدركها التواضع مع نصرة الله تعالى وإذا هاجت نار الحسد في نفسه أدركتها الصبيحة مع توفيق الله عز وجل وإذا هاجت في نفسه نار الحرص أدركتها القناعة مع عون الله عز وجل . وعن الجنيّد رحمه الله أنه كان يقول يوم الجمعة في مجلسه لولائه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ويكون في آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم ^(١) ما تكلمت عليكم . وقال الجنيّد أيضا : التواضع عند أهل التوحيد تكبر ولعل مراده أن التواضع يثبت نفسه ثم يضمها وللوح لا يثبت نفسه ولا رها شيئا حتى يضمها أو رفضها وعن عمرو ابن شبة قال كنت بمكة بين الصفا والروة فرأيت رجلا راكبا بقة وبين يديه غلمان وإذا هم يستفون الناس قال ثم عدت بعد حين فدخلت بغداد فكنت على الجسر فإذا أنا برجل حاف حاسر طويل الشعر قال فجعلت أنظر إليه وأنامله فقال لي مالك تنظر إلى قتلته لشهرك رجلا رأيت بمكة ووصفت له الصفة فقال له أنا ذلك الرجل قتلته ما فعل الله بك ؟ قال إني ترفضت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعي الله حيث يترفع الناس . وقال المقريّة : كنا نهاب إبراهيم النخعي هيبة الأمير وكان يقول إن زمانا صرت فيه قبيح الكوفة زمان سوء وكان عطاء السلي إذا سمع صوت الرعد قام وقعد وأخذ به بطنه كأنه امرأة ماخض وقال هذا من أجلى بصيكم ، لومات عطاء لاستراح الناس . وكان بشر الحافي يقول سلوا على أبناء الدنيا بترك السلام عليهم ودعا رجل لعبد الله بن المبارك قال أعطاك الله ما ترجوه فقال إن الرجاء يكون بعد المعرفة فأبى المعرفة . وتخارعت قريش عند سلمان الفارسي رضى الله عنه يوما فقال سلمان لكنني خلقت من نطفة قدرة ثم أعود جيفة منقطة ثم آتني البرزاق فان هلك فأننا كريم وإن خف فأننا لثيم . وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : وجدنا الكرم في التقوى والنفي في اليقين والشرف في التواضع . نسأل الله الكريم حسن التوفيق .

(بيان حقيقة الكبر وآفته)

اعلم أن الكبر ينقسم إلى باطن وظاهر : فالباطن هو خلق في النفس والظاهر هو أعمال تصدر عن الجوارح واسم الصّبر بالخلق الباطن أحق وأما الأعمال فانها ثمرات لتلك الخلق وخلق الكبر موجب للأعمال ولذلك إذا ظهر على الجوارح يقال تكبر وإذا لم يظهر يقال في نفسه كبر فالأصل هو الخلق الذي في النفس وهو الاسترواح والركون إلى رؤية النفس فوق للتكبر عليه فان الكبر يستدعي متكبّرا عليه ومتكبّرا به وبه ينفصل الكبر عن العجب كما سيأتى فان العجب لا يستدعي غير العجب بل لو لم يخلق الإنسان إلا وحده تصور أن يكون معجبا ولا يتصور أن يكون متكبّرا إلا أن يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك الثبر في صفات الكمال فلهذا يكون متكبّرا ولا يكفي أن يستعظم نفسه ليكون متكبّرا فانه قد يستعظم نفسه ولكنه يرى غيره أعظم من نفسه أو مثل نفسه فلا يتكبر عليه ولا يكفي أن يستحقّر غيره فانه مع ذلك لو رأى نفسه أحقر لم يتكبر ولو رأى غيره مثل نفسه

(١) حديث يكون في آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم الترمذى من حديث أبي هريرة إذا اتخذنا في دولنا الحديث وفيه كان زعيم القوم أرذلهم الحديث وقال غريب وله من حديث أبي بن طالب إذا ضلّت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء فذكر منها وكان زعيم القوم أرذلهم ولا ينيهم في الحلية من حديث حذيفة من اقتراب الساعة اثنان وصبيان خصلة فذكرها منها فبقيا فخرج من فضالة ضعيف

عبد العزيز أعوده في مرمره فرأيت قبحة وسخا قتل لامرأته فاطمة اغسلوا ثياب أمير المؤمنين قتلت فعمل إن شاء الله قال ثم عدته فاذا القميص على حاله قتل فاطمة ألم أحرّم أن تنسلوه ؟ قالت والله ماله ليمس غير هذا . وقال سالم كان عمر بن عبد العزيز من ألين الناس لباسا من قبل أن يسلم إليه الخلافة فلما سلم إليه الخلافة ضرب رأسه بين ركبتيه وبكى ثم دعا بطهاره رثة فلبسها . وقيل لمات أبو الدرداء وجد في ثوبه أربعون

لم يشك بل يبنى أن يرى لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره فعنده هذه الاعتقادات الثلاثة يحصل فيه خالق الكبر لأن هذه الرؤية تنفي الكبر بل هذه الرؤية وهذه العقيدة تنفخ فيه فيحصل في قلبه اعتداد وهرة وفرح وركون إلى ما اعتقده وعز في نفسه بسبب ذلك فذلك العزة والهرة والركون إلى العقيدة هو خلق الكبر ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم «أعوذ بك من نخة الكبرياء» (١) وكذلك قال عمر أخشى أن تنتفخ حتى تبلغ الثريا للذي استأذنه أن يخطب بعد صلاة الصبح فكان الإنسان مهما رأى نفسه بهذه العين وهو الاستعظام كبر وانتفخ وتمزز فالكبر عبارة عن الحالة الحاصلة في النفس من هذه الاعتقادات وتسمى أيضا عزة وتعظما ولذلك قال ابن عباس في قوله تعالى - إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه - قال عظمة إيلينوها ففسر الكبر بتلك العظمة ثم هذه العزة تقتضي أعمالا في الظاهر والباطن هي ثمرات ويسمى ذلك تكبرافاته مهما عظم عنده قدره بالإضافة إلى غيره حقر من دونه وازدراء وأقصاء عن نفسه وأبعد وترفع عن مجالسته ومؤاكلته ورأى أن حقه أن يقوم ماثلا بين يديه ولا بخدمة عنته فان كان أشد من ذلك استنكف عن استخدامه ولم يجعله أهلا للقيام بين يديه ولا بخدمة عنته فان كان دون ذلك فأنت من مساوته وتقدم عليه في مضائق الطرق وارتفع عليه في المحافل وانتظر أن يبدأه بالسلام واستبعد تصغيره في قضاء حوائجه وتعجب منه وإن حاج أو ناظر أنف أن يرد عليه وإن عاظ استنكف من القبول وإن وعظ عنف في النصح وإن رد عليه شيء من قوله غضب وإن علم لم يرفق بالمعلمين واستنكفهم واتهمهم وأمتن عليهم واستندهم وينظر إلى العامة كأنه ينظر إلى الجبر استجهلا لهم واستحقارا والأعمال الصادرة عن خلق الكبر كثيرة وهي أكثر من أن تحصى فلا حاجة إلى تعدادها فاتها مشهورة فهذه هو الكبر وآفته عظيمة وغالته هائلة وفيه هلك الخواص من الخلق ولما ينكف عنه البعاد والزهاد والعلماء فضلا عن عوام الخلق وكيف لا تنظم آفته وقد قال صلى الله عليه وسلم «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر» (٢) وإنما صار حجابا دون الجنة لأنه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين كلها وتلك الأخلاق هي أبواب الجنة والكبر وعزة النفس يغلق تلك الأبواب كلها لأنه لا يقدر على أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه وفيه شيء من العز ولا يقدر على التواضع وهو رأس أخلاق التقيين وفيه العز ولا يقدر على ترك الحمد وفيه العز ولا يقدر على الصدق وفيه العز ولا يقدر على ترك الغضب وفيه العز ولا يقدر على كظم الغيظ وفيه العز ولا يقدر على ترك الحمد وفيه العز ولا يقدر على النصيحة اللطيفة وفيه العز ولا يقدر على قول النصيحة وفيه العز ولا يقدر على الإذراء بالناس ومن اغتياهم وفيه العز ولا يمتثل للتطويل فإمام خلق ذمهم إلا لصاحب العز والكبر مضطر إليه ليحفظ به عزه وما من خالق محمود إلا وهو عاجز عنه خوفا من أن يغوته عزه فمن هذا لم يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من نوى الدنمية متلازمة والبعض منها دافع إلى البعض لاحالة وشر أنواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحق والاتحاد له وفيه وردت الآيات التي فيها ذم الكبر والتكبرين قال الله تعالى - ولللاشكة بأسطا أيديهم - إلى قوله - وكنتن عن آياته تستكبرون - ثم قال - ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها بئس مثوى المتكبرين - ثم أخبر أن أشد أهل النار عذابا أشد من عتيا على الله تعالى فقال - ثم لنزعن من كل شيعة أبهم أشد على الرحمن عتيا - وقال تعالى - فالدين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون - وقال عز وجل - يقول الدين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنهم لكنا مؤمنين -

(١) حديث أعوذ بك من نخة الكبرياء تقدم فيه (٢) حديث لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر تقدم فيه .

رفعة وكان عطاؤه
أربعة آلاف . وقال
زيد بن وهب : لبس
علي بن أبي طالب
قبضا رازيا وكان إذا
مدّ كفه بلغ أطراف
أصابعه فغابه الخوارج
بذلك فقال أنبيوني
علي لباس هو أجد
من الكبر وأجد رآن
يقتدى بي السلم
وقيل : كان عمر
رضي الله عنه إذا رأى
علي رجلا نوبين
رفيقين علاه بالبردة وقال
دعوا هذه البرقات
لنساء . وروى عن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه قال نوروا
قلوبكم بلباس الصوف

وقال تعالى - إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين - وقال تعالى - سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بين الحق - قبل في التفسير سأرفع فهم القرآن عن قلوبهم وفي بعض التفسيرين سأحجب قلوبهم عن اللكوت . وقال ابن جريج سأصرفهم عن أن يتكبروا فيها ويتبرأوا بها . ولذلك قال المسيح عليه السلام إن الزرع ينبت في السهل ولا ينبت على الصفا كذلك الحكمة تعمل في قلب للتواضع ولا تعمل في قلب للتكبر ألا ترون أن من جمع رأسه إلى السقف شجه ومن طأطأ أظله وأكبه فهذا مثل ضربته للتكبرين وأنهم كيف يحرمون الحكماء لذلك ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم جحود الحق في حد التكبر والكشف عن حقيقته ، وقال « من سفه الحق وغصص الناس (١) » .

(بيان التكبر عليه ودرجاته وأقسامه وثمرات التكبر فيه)

اعلم أن التكبر عليه هو الله تعالى أو رسوله أو سائر خلقه وقد خلق الإنسان ظلو ما جهوا لافتار به يتكبر على الخلق وتارة يتكبر على الخالق فأذن التكبر باعتبار التكبر عليه ثلاثة أقسام : الأول التكبر على الله وذلك هو أغشى أنواع التكبر ولا مثار له إلا الجهل المحض والاطيان مثل ما كان من عمود فانه كان يحدث نفسه بأن يقابل رب السماء وكما يحكى عن جماعة من الجهلة بل ما يحكى عن كل من ادعى الربوبية مثل فرعون وغيره فانه لتكبره قال أنا ربكم الأعلى إذ استنكف أن يكون عبدا لله . ولذلك قال تعالى - إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين - وقال تعالى - لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون - الآية وقال تعالى - وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا . القسم الثاني التكبر على الرسل من حيث تمزج النفس ورفضها عن الاقياد لبشر مثل سائر الناس وذلك تارة يصرف عن الفكر والاستيعار فيبقى في ظلمة الجهل بكبره فيمتنع عن الاقياد وهو ظان أنه حق فيه وتارة يمتنع مع للفرقة ولكن لا تطاوعه نفسه للاقياد للحق والتواضع للرسل كما حكي الله عن قولهم - أنؤمن لبشرين مثلنا - وقولهم - إنهم إلهنا بشر مثلنا - ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون - وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا - وقالوا لولا أنزل عليه ملك - وقال فرعون فيما أخبر الله عنه - أو جاءهم للملائكة مقترنين - وقال الله تعالى سواستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق - فتكبر هو على الله وعلى رسوله جميعا . قال وهب قال له موسى عليه السلام آمن ولكم ملك قال حتى أشاور هاما فشاور هاما فقال هاما بيننا أنت رب عبد إذصرت عبدا تعبدا فاستنكف عن عبودية الله وعن اتباع موسى عليه السلام وقالت قريش فيما أخبر الله تعالى عنهم - لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم - قال قتادة عظيم القريتين هو الوليد بن القيرة وأبو مسعود الثقفي طلبوا من هو أعظم رياسة من النبي صلى الله عليه وسلم إذ قالوا اغلام بتم كيف يشاء الله إلى أن قال تعالى - أقم يقيمون رحمة ربك - وقال الله تعالى - ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا سألوا استحقاقهم واستعباداً لتقديمهم وقالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف نجلس إليك وعندك هؤلاء وأشاروا إلى قراء السليين فازدروهم بأعينهم لفرهم وتكبروا عن مجالستهم فأقر الله تعالى هؤلاء تطرد الذين يدعون ربهم بالقادة والشيء - إلى قوله - ما عليك من حسابهم - وقال تعالى - واسم

فانه مذكور في الدنيا ونور في الآخرة وإياكم أن تضدوا دينكم محمد الناس وثناهم وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم احتذى ضلين فلما نظر إليهما أحبه حبسهما فوجد الله تعالى قيل له في ذلك فقال خشيت أن يمرض عني ربي فتواضعت له لاجرم لا يبيتان في منزلي لما تخوفت للقت من الله تعالى من أجلهما فأخرجهما فدفعهما إلى أول مسكين ليه ثم أمر فاعترى له ثلثان محصوران . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس

(١) حديث التكبر من سفه الحق وغصص الناس مسلم من حديث ابن مسعود في أثناء حديث وقال بطر الحظي وغصط الناس ورواه الترمذي فقال من بطر الحق وغصص الناس وقال حسن صحيح ورواه أحمد من حديث عتبة بن عامر بالفظ الصنف ورواه البيهقي في الشعب من حديث أبي رجانة هكذا .

نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا - (١) ثم أخبر الله تعالى عن تعجبهم حين دخلوا جهنم إذ لم يروا الذين أزدروهم فقالوا لئلا نرى رجلاً كنا نعدهم من الأشرار قيل يعنون عماراً وبلاً وصيباً والقنود رضى الله عنهم ثم كان منهم من منه الكبر عن الفكر والمعرفة فجعل كونه صلى الله عليه وسلم همماً ومنهم من عرف ومنه الكبر عن الاعتراف قال الله تعالى عبراً عنهم - فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به - وقال - وجعدوا بها واستيقظوا أنفسهم ظلماً وعلواً - وهذا الكبر قرب من التكبر على الله عز وجل وإن كان دونه ولكنه تكبر على قبول أمر الله والتواضع لرسوله . القسم الثالث : التكبر على العباد وذلك بأن يستعظم نفسه ويستحقر غيره فتأبى نفسه عن الانقياد لهم وتدعوه إلى الترفع عليهم فيزدريهم ويستصغرهم ويأبى عن مساواتهم وهذا وإن كان دون الأول والثاني فهو أيضاً عظيم من وجهين : أحدهما أن الكبر والعز والعلوطة والعلو لا يليق إلا بالملك القادر فأما البعد الملوك الضعيف العاجز الذى لا يقدر على شئ فمن أين يليق بحاله الكبر فهما تكبر البعد قد نازع الله تعالى في صفة لا تليق إلا بعجله ، ومثاله أن يأخذ العالم قلندرة الملك فوضها على رأسه ويجلس على سريره لما أعظم استحقاؤه للفت وما أعظم تهدفه للخرى والكمال وما أشد استجراره على مولاه وما أقبح ما تعاطاه ، وإلى هذا المعنى الإشارة بقوله تعالى والعظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيها قصمته هـ أى أنه خاص صفى ولا يليق إلا بى والنزاع فيه منازع في صفة من صفاتى وإذا كان الكبر على عباده لا يليق إلا به فمن تكبر على عباده قد حدى عليه إذ الذى يسترذل خواص غداً الملك ويستخدهم ويرفع عليهم ويستأثر بمحاق الملك أن يستأثر به منهم فهو منازع له في بعض أمره وإن لم يبلغ درجته درجته من أرواد الجلوس على سريره والاستبداد بملكه فخلق كلهم عباد الله وله العظمة والكبرياء عليهم فمن تكبر على عبد من عباد الله فقد نازع الله في حقه ، ثم الفرق بين هذه المنازعة وبين منازعة ما هو الفرق بين منازعة الملك في استصغار بعض عبده واستخدهم وبين منازعته في أصل الملك . الوجه الثانى الذى تعظم به ذنبه الكبر أنه يدعو إلى مخالفة الله تعالى في أوامره لأن التكبر إذا جمع الحق من عبد من عباد الله استنكف عن قبوله وتشمر لجده ولذلك ترى الناظرين في مسائل الدين يزعمون أنهم يباحثون عن أسرار الدين ثم إنهم يتجادلون بمجادد التكبرين ومهما اتضح الحق على لسان واحد منهم أنف الآخر من قبوله وتشمر لجده واحتمل لدفعه بما يقدر عليه من التلبس وذلك من أخلاق الكافرين والمناقضين إذ وصفهم الله تعالى فقال - وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغفلون - فكل من يناظر للبلية والإغما لا يفتن الحق إذا ظفر به فقد شاركهم في هذا الحق وكذلك يحمل ذلك على الأئمة من قبول الوعظ كما قال الله تعالى - وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم - وروى عن عمر رضى الله عنه أنه قرأها فقال إنا لله وإنا إليه راجعون قام رجل بأمر بالمعروف فقتل فقام آخر فقال فتلون الذين يأمرُونَ بالقسط من الناس فقتل التكبر الذى خالفه والذى أمره . وكبراً وقال ابن مسعود كفى بالرجل إغماً إذا قيل له اتق الله قال عليك تسك وقال يُؤْتِي لرجل لا كل يمينك قال لا أستطيع فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا استطعت فما منه إلا كبره قال فما رقبها بعد ذلك (٢) هـ

(١) حديث قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تجلس إليك وعندهك هؤلاء الحديث في نزول قوله تعالى - ولا تطرد الذين يدعون ربهم - مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص إلا أنه قال قال للثركون وقال ابن ماجه قالت قريش (٢) حديث قال لرجل كل يمينك قال لا أستطيع فقال لا استطعت الحديث مسلم من حديث سلمة بن الأكوع .

الصوف واحتذى
المصوف وأكل مع
البيد وإذا كانت
النفس حلت الآفات
فالوقوف على دماغها
وحنى شهواتها وكمن
هواها عسر جداً
فالائق والأجسد
والأولى الأخذ بالأحوط
وترك ما يريب إلى ما
لا يريب ولا يجوز للبعد
الدخول في السعة إلا
بعد إقناع علم السعة
وكل تزكية النفس
وذاك إذا غابت النفس
بنية هواها للتبس
وتخلصت النية وتسد
التصرف بدم صريح
واضح وللزعة أقوام
يركبوها وبراعونها

لأرؤن التزول إلى
الرخس خوفا من
قوت فضيلة الزهد في
الدنيا واللباس الناعم
من الدنيا وتقبل من
رقي ثوبه رقي دينه
وقد رخص من ذلك
لفظ لا يلزم بالزهد
ووقف على رخصة
الفرع. وروى علقة
عن عبد الله بن
مسعود رضي الله عنه
عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال
لا يدخل الجنة كل من
كان في قلبه مثقال ذرة
من الكبر فقال رجل
إن الرجل يحب أن
يمكث ثوبا بحسنائه
حسنا فقال النبي عليه

(١) حديث قول ثابت بن قيس بن هاشم إن امرؤ فحب إلي من الجاهل ما ترى الحديث وفيه الكبر من بطر الحق ونغمس الناس مسلم والترمذي وقد تقدم قبله حديثين (٢) حديث الكبر من سمع الحق ونغمس الناس تقدم به (٣) حديث آفة العلم الجلاء . قلت هكذا ذكره للصف وللرؤف آفة العلم النسيان وآفة الجاهل الجلاء هكذا رواه القضاة في مسند الشباب من حديث علي بسند ضعيف . وروى عنه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس آفة الجاهل الجلاء وفيه الحسن بن عبد الجيد الكوفي لابدرى من هو حدث عن أبيه عديث موضوع قاله صاحب اللزائم .

وإنما العلم الحقيقي ما يعرف به البدر به ونفسه خطر أمره في لقاء الله والحجاب منه وهذا يورث الحشية والتواضع دون التكبر والأمن قال الله تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - فأما ما وراء ذلك كعلم الطب والحساب واللغة والشعر والنحو وفصل الحسومات وطرق المبادلات فإذا تجرد الإنسان لها حق امتلا منها امتلا بها كبرا وثقاها وهذه بأن تسمى صناعات أولى من أن تسمى علوما بل العلم هو معرفة العبودية والربوبية وطريق العبادة وهذه تورث التواضع غالبا . السبب الثاني أن يخوض البعد في العلم وهو خبيث الدخلة ردىء النفس سيء الأخلاق فإنه لم يشغل أولاه بهذيب نفسه وتركه قلبه بأنواع المجاهدات ولم يرض نفسه في عبادة ربه فبقى خبيث الجوهر فاذا خاض في العلم أى علم كان صادف العلم من قلبه منزلا خبيثا فلم يطب ثمره ولم يظهر في الخبر أثره وقد ضرب به وبه لهذا مثلا فقال العلم كالغيث ينزل من السماء ساقيا فتشرب به الأشجار ببروقها فتحول على قدر طوعها فيزداد للحرارة والحلو حلوة فكذلك العلم يحفظه الرجال فتحول على قدر همهم وأهوائهم فيزيد التكبر كبرا والتواضع تواضعا وهذا لأن من كانت همته التكبر وهو جاهل فاذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به فازداد كبرا وإذا كان الرجل خائفا مع جهله فازداد علما علم أن الحجة قد تدركت عليه فيزداد خوفا واشفاقا وذلا وتواضعا فالعلم من أعظم ما يتكبر به ولذلك قال تعالى لنبية عليه السلام - واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين - وقال عز وجل - ولو كنت فظا غليظ القلب لانقضوا من حولك - ووصف أولياءه فقال - أدلة على المؤمنين أعز على الكافرين - وكذلك قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه البيهقي رضى الله عنه « يكون قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن أقرأ منا ومن أعلم منا ثم التفت إلى أصحابه وقال أولئك منك أي الأمة أولئك هم وقود النار (١) » ولذلك قال عمر رضى الله عنه لا تسكنوا جيرة العلماء فلا يبين علمكم بمجملكم ، ولذلك استأذن نعيم الدار عمر رضى الله عنه في القصص فأبى أن يأذن له وقال إنه الدين واستأذنه رجل كان إمام قوم أنه إذا سلم من صلاته ذكرهم فقال إني أخاف أن تمتنع حتى تبلغ الثريا وصلى حذيفة يقوم فلما سلم من صلاته قال لثلاثين إماما غيري أولئسان وحادنا فأبى رأيت في نفسي أنه ليس في القوم أفضل مني فاذا كان مثل حذيفة لا يسلم فكيف يسلم الضعفاء من متأخري هذه الأمة فاستأذنه على بسيط الأرض علما يستحق أن يقال له عالم ثم إنه لا يحركه عز العلم وخلاؤه فإن وجد ذلك فهو صديق زمانه فلا ينبغي أن يفارق بل يكون النظر إليه عبادة فضلا عن الاستفادة من أنفاسه وأحواله لو عرفنا ذلك ولو في أقصى الصين لسينا إليه رجاء أن تشعلنا بركته وتسرى إلينا سيرته وسجنته وهيبات فأبى يسمح آخر الزمان بثلمهم فهم أرباب الإقبال وأصحاب الدول قد اغرقوا في القرن الأول ومن يلهم بل يعز في زماننا عالم يختلج في نفسه الأسف والحزن على فوات هذه الحصة فذلك أيضا إما معدوم وإما عزز ولولا بشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله « سيأتي على الناس زمان من تمسك فيه بغير ما أتم عليه نجاة (٢) » لكان جدريا بنا أن نتحتم واليباض بالله تعالى ورطة اليأس والقنوط مع ما نحن عليه من سوء أعمالنا ومن لنا أيضا بالتمسك بغير ما كانوا عليه ولبتنا تمسكنا بغير عشرة . فنسأل الله تعالى أن ياملنا بما هو أهله ويستر علينا قبائح أعمالنا كما يقضي كرمه وفضله . الثاني : العمل والعبادة وليس يغلو عن رذيلة العز والتكبر واستهالة قلوب الناس

السلام إن الله جميل يحب الجمال « فتكون هذه الرخصة في حق من يلبس لاهوى نفسه في ذلك غير مفتخر به ومعتال فأما من لبس الثوب للفتاخر بالدنيا والتكابر بها قد ورد فيه وعيد . روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أزره المؤمن إلى نصف الساق فيما بينه وبين الكعبين وما كان أسفل من الكعبين فهو في النار من جر إزاره بطرا لم ينظر الله إليه يوم القيامة فيما رجع عن كان قبلكم يتقشر في

(١) حديث البيهقي يكون قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن أقرأ منا الحديث ابن المبارك في الزهد والرفائق (٢) حديث سيأتي على الناس زمان من تمسك بغير ما أتم عليه نجاة أحد من رواية رجل عن أبي ذر .

الزهاد والباد ويتبرع الكبر منهم في الدين والدنيا أما في الدنيا فهو أنهم يرون غيرهم يزاريهم أولى منهم بزيارة غيرهم ويتوقون قيام الناس بقضاء حوائجهم وتوقيهم والتوسع لهم في المجالس وذكرهم بالبر والخير والتقوى وتهدئهم على سائر الناس في المخلوط إلى جميع ما ذكرناه في حق النساء وكأنهم يرون عبادتهم منه على الحاق وأما في الدين فهو أن يرى الناس هالكين ويرى نفسه ناهيا وهو الهالك تحقفا مهما رأى ذلك لأن هذا القول منه يدل على أنه مژدر بمخالق الله مقتر بالله آمن من أهلهم (١) وإنما قال ذلك لأن هذا القول منه يدل على أنه مژدر بمخالق الله مقتر بالله آمن من مكره غير خائف من سطوته وكيف لا يخاف ويكفيه شرا احتفاؤه لصبره قال صلى الله عليه وسلم « كفى بالمرء شرا أن يحقر أخاه للسل » (٢) وكمن من الفرق بينه وبين من يحبه الله ويظمه لعباده يستظمه ويرجوه مالا يرجوه لنفسه فالخلاق يدركون النجاة بتظيمهم إياه أن فهم يتقربون إلى الله تعالى بالذنوب منه وهو يتمت إلى الله بالثبته والتباعد منهم كأنه مترفع عن مجالستهم لما أجدرهم إذا حوسه لصلاحه أن يقلبهم الله إلى درجة في العمل وما أجدره إذا ازدراهم بيته أن ينقله الله إلى حد الهمال كما روى أن رجلا في بني إسرائيل كان يقال له خلب بن إسرائيل لكثرة فساده من رجل آخر يقال له عابد بن إسرائيل وكان على رأس العابد غمامة نظله فلما مر الخلب به قال الخلب في نفسه أنا خلب بن إسرائيل وهذا عابد بن إسرائيل فجلس إليه لعل الله يرحمني فجلس إليه فقال العابد أنا عابد بن إسرائيل وهذا خلب بن إسرائيل فكيف يجلس إلى فأنت منه وقال له قم غي فأوحى الله إلى نبي ذلك الزمان مرهما فليستا في العمل فقد غفرت للخلع وأجبت عمل العابد. وفي رواية أخرى فتحوالت الغمامة إلى رأس الخلب وهذا يعرفك أن الله تعالى إنما يريد من العبيد قلوبهم فالجالب الماصي إذا تواضع هية لله وذله خوفا منه فقد أطاع الله بقلبه فهو أطوع لله من العالم بالتكبر والعابد العجب، وكذلك روى أن رجلا في بني إسرائيل أتى عابدا من بني إسرائيل فوطئ على رقبته وهو ساجد فقال ارفع فو الله لا يفر الله لك فأوحى الله إليه أيها التأتلى على بل أنت لا يفر الله لك (٣) وكذلك قال الحسن وحق إن صاحب الصوف أشد كبرا من صاحب الطرز الخزائي أن صاحب الخبز يذلل لصاحب الصوف ويرى الفضل له وصاحب الصوف يرى الفضل لنفسه وهذه الآية أيضا قلنا ينفك عنها كثير من العباد وهو أنه لو امتنح به مستخف أو آذاه مؤذ استبعد أن يفر الله له ولا يشك في أنه صار محموتا عند الله ولو آذى مسلما آخر لم يستكر ذلك الاستنكار وذلك لعظم قدر نفسه عنده وهو جهل وجمع بين التكبر والعجب واعتار بالله وقد ينتهي الحق والنبوة بعضهم إلى أن يتحدى ويقول سترن ما يجري عليه وإذا أصيب بنسكة زعم أن ذلك من كراماته وأن الله ما أراد به لإشفاء غليله والانتقام له منه مع أنه يرى طبقات من الكفار يسبون الله ورسوله وعرف جماعة آذوا الأنبياء صلوات الله عليهم فنهض من قتلهم ومنهم من ضرهم ثم إن الله أهمل أكرهم ولم يعاقبهم في الدنيا بل رعا أسلم بعضهم فلم يصبه مكرهه في الدنيا ولا في الآخرة ثم الجاهل الفلور يظن أنه أكرم على الله من أنبيائه وأنه قد انتقم له بما لا ينتقم لأنبيائه به ولعله في ممت الله بالعجب والكبر وهو غافل عن هلاك

رأته إذ أحبه رداؤه
غلف الله به الأرض
فهو يتجامل فيها إلى
يوم القيامة والأحوال
تختلف ومن صح حاله
بصحة عليه صحت نيته
في ما كوله وملبوسه
وسائر تصاريفه وفي
كل الأحوال يستقيم
ويستمد باستقامة
الباطن مع الله تعالى
ويقدر ذلك تستقيم
تصاريف العبد كلها
بحسن توفيق الله
تعالى .

[الباب الخامس
والأربون في ذكر
فضل قيام الليل]
قال الله تعالى - إذ
يشيكم الناس أمنة

(١) حديث إذا سمعت الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث كفى بالمرء شرا أن يحقر أخاه للسل ، مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ امرؤ من الشر (٣) حديث الرجل من بني إسرائيل الذي وطئ على رقبته عابد من بني إسرائيل وهو ساجد فقال ارفع فو الله لا يفر الله لك الحديث أبو داود والحاكم من حديث أبي هريرة في قصة العابد الذي قاله المصطفى والله لا يفر الله لك أبدا وهو بغير هذه الساقاة وإسناده حسن .

نفسه فهذه عقيدة القنبرين ، وأما الأكياس من العباد فيقولون ما كان يقوله عطاء السلي حين كان
 تهب ربح أوتنع صاعقة ما يصيب الناس ما يصيبهم إلا بسبي ولومات عطاء لتخلصوا وما قاله الآخر بعد
 انصرافه من عرفات كنت أرجو الرحمة لجميعهم لولا كوني فيهم فانظر إلى الفرق بين الرجلين هذا يتق
 الله ظاهرا وباطنا وهو وجل على نفسه مزدور لعله وسعيه وذلك ربما يشمر من الرياء والكبر والحسد
 والنيل ما هو ضحكة للشيطان به ثم إنه يمتن على الله ببدله ومن اعتقد جزأه ما أنه فوق أحد من عباد الله فقد
 أحبط بجهله جميع عمله فان الجمل أخفى العاصي وأعظم شيء يبعد البعدين الله وحكمه لنفسه بأنه خير
 من غيره جهل محض وأمن من مكر الله ولا يأمن مكر الله إلا القوم الحاسرون ولذلك روى أن رجلا ذكر
 بخير للنبي صلى الله عليه وسلم فأقبل ذات يوم فقالوا يا رسول الله هذا الذي ذكرناه لك فقال إني أرى
 في وجهه سعة من الشيطان فلم يوقف على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم سألتك
 بالله حديثك فتسك أن ليس في القوم أفضل منك قال اللهم نعم ^(١) قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بنور النبوة ما استكن في قلبه سعة في وجهه وهذه آفة لا ينفك عنها أحد من العباد إلا من عصمه الله
 لكن العلماء والعباد في آفة الكبر في ثلاث درجات. الدرجة الأولى: أن يكون الكبر مستترا في قلبه يرى
 نفسه خيرا من غيره إلا أنه يجتهد ويتواضع ويفعل فعل من يرى غيره خيرا من نفسه وهذا قدر سخ
 في قلبه شجرة الكبر ولكنه قطع أغصانها بالكفاية. الثانية: أن يظهر ذلك على أفضاله بالترفع في
 المجالس والتقدم على الأقران وإظهار الانكار على من يقصر في حقه وأدنى ذلك في العالم أن يصرخه
 للناس كأنه معرض عنهم وفي العابد أن يعبس وجهه ويقطب جبينه كأنه منزّه عن الناس مستغفر لهم
 أو غضبان عليهم وليس يعلم السكبن أن الورع ليس في الجبهة حتى تقطب ولا في الوجه حتى يعبس ولا في
 الخد حتى يصمر ولا في الرقبة حتى تغطأ ولا في الذيل حتى يضم إنما الورع في القلوب قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم «التقوى ههنا وأشار إلى صدره» ^(٢) فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 «أكرم الخلق وأتقاهم وكان أودهم خلقا وأكثرهم بشرا وتبها وتبسا وتبسا» ^(٣) ولذلك قال الحارث
 ابن جزء الزبيدي صاحب رسول الله ﷺ يجيئ من القراء كل طليق مضحك فأما الذي تلقاه بشر
 وبلقاء بعبوس عين عليك بعله فلا أكثر الله في المسلمين مثله ولو كان الله سبحانه وتعالى يرضى ذلك
 لما قال لتبسه صلى الله عليه وسلم وأخض جناحك إن اتبعك من المؤمنين - وهو لاء الذين يظهر أثر الكبر
 على شمائلهم فأحوالهم أخف حالا ممن هو في الرتبة الثالثة وهو الذي يظهر الكبر على لسانه حتى
 يدعو إلى الدعوى والفاخرة والباهة وتزكية النفس وحكايات الأحوال والقامات والتشعر لعلبة التغير
 في العلم والعمل أما العابد فانه يقول في معرض التفاخر لغيره من الصابدين هو وما عمله ومن أين زهده
 فيقول اللسان فيهم بالتقصير ثم يمتن على نفسه ويقول إني لم أنظر منذ كذا وكذا ولا أنام الليل وأختم
 القرآن في كل يوم وفلان ينام سحرا ولا يكثر القراءة وما يجرى مجراه وقد يزكي نفسه ضمنا فيقول
 قصدني فلان بسوء فهل ولد وأخذ ماله أو مرض أو ما يجرى مجراه يدعي الكرامة لنفسه وأما ما بهاته
 فهو أنه لو وقع مع قوم يصلون بالليل قام وصلى أكثر مما كان يصل وإن كانوا يصبرون على الجوع
 فيكلف نفسه الصبر ليقلبهم ويظهر له قوته ويحجزهم وكذلك يشدد في العبادة خوفا من أن يقل غيره

(١) حديث أن رجلا ذكر بخير للنبي صلى الله عليه وسلم فأقبل ذات يوم فقالوا يا رسول الله هذا الذي
 ذكرناه لك فقال إني أرى في وجهه سعة من الشيطان الحديث أحمد والبر والدار قطعي من حديث
 أنس (٢) حديث التقوى ههنا وأشار إلى صدره مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٣) حديث
 كان أكرم الخلق وأتقاهم الحديث تقدم في كتاب أخلاق النبوة .

منه وينزل عليكم من
 السماء ماء ليطهركم به
 ويذهب عنكم رجز
 الشيطان - زلت هذه
 الآية في السامعين يوم
 بدر حيث نزلوا على
 كتيب من الرمل
 تسوخ فيه الأقدام
 وحوافر الدواب وسبقهم
 المشركون إلى ماء بدر
 العظمى وغلبهم عليها
 وأصبح المسلمون بين
 عدوت وجنب وأصابهم
 الظمأ فوسوس لهم
 الشيطان أنكم تزعمون
 أنكم على الحق وفيكم
 نبي الله وقد غلب
 المشركون على الماء
 وأنتم تصلون عشرين
 وجنسين فكذب

أعبد منه أو أقوى منه في دين الله وأما العالم فإنه يتفاخر ويقول أنا متفوق في العلوم ومطلع على الحقائق ورأيت من الشيوخ فلانا وفلانا ومن أنت وماضلاك ومن لقيت وما الذي سمعت من الحديث كل ذلك ليصرفه ويعظم نفسه وأما باباهاة فهو أنه يجتهد في الناظرة أن يظلب ولا يظلب ويسرطول الليل والنهار في تحصيل علوم يتجمل بها في المحافل كالناظرة والجدل وتحسين العبارة وتسجيع الألفاظ وحفظ العلوم الثرية ليغرب بها على الأقران ويتعظم عليهم ويحفظ الأحاديث ألفاظها وأسانيدها حتى يرد على من أخطأ فيها فيظهر فضله وتقصان أقرانه ويبرح منهما أخطأ واحدهم لم يرد عليه ويسوء إذا أصاب وأحسن خيفة من أن يرى أنه أعظم منه فهذا كله أخلاق الكبر وآثاره التي يثمرها التتزز بالعلم والعمل وأين من يغلو عن جميع ذلك أو عن بعضه فليت شعري من الذي عرف هذه الأخلاق من نفسه وسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر» (١) كيف يستعظم نفسه ويتكبر على غيره ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنه من أهل النار وإعما العظيم من خلا عن هذا ومن خلا عنه لم يكن فيه تعظم وتكبر والعالم هو الذي فهم أن الله تعالى قال له إنك عندنا قدرا مالم تر نفسك قدرا فان رأيت لها قدرا فلا قدر لك عندنا ومن لم يعلم هذا من الدين فاسم العالم عليه كذب ومن علمه لزمه أن لا يتكبر ولا يرى لنفسه قدرا فهذا هو التكبر بالعلم والعمل. الثالث: التكبر بالحب والنسب فالذي له نسب شريف يستحق من ليس له ذلك النسب وإن كان أرفع منه عملا وعلما وقد يتكبر بعضهم فيرى أن الناس له أموال وعبيد ويأنف من مخالطهم وبجالتهم وتكرهه على اللسان والتفاخر به فيقول لغيره يا بنطي وباهندي وبأرمني من أنت ومن أبوك فانا فلان ابن فلان وأين لك ذلك أن يكلفني أو ينظر إلى ومع مثلي تتكلم وما يجري مجراه وذلك عرق دقيق في النفس لا ينفك عنه نسب وإن كان صالحا وعاقلا إلا أنه قد لا يترشح منه ذلك عند اعتدال الأحوال فان غلبه غضب أطاع ذلك نور بصيرته وترشح منه كما روى عن أبي ذر أنه قال «قالت رجلا عند النبي ﷺ قلت له يا ابن السوداء فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا باذر طف الصاع طف الصاع ليس لابن البيضاء في ابن السوداء فضل» (٢) قال أبو ذر رحمه الله فاضطجعت وقلت للرجل تم قطعاً على خدي فانظر كيف نهى رسول الله ﷺ أن يرى لنفسه فضلا بكونه ابن بيضاء وأن ذلك خطأ وجهل وانظر كيف تاب ووقع من نفسه شجرة الكبر بأخص قدم من تكبر عليه إذ عرف أن العز لا يقمعه إلا الذل ومن ذلك ما روى أن رجلين تفاخرا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما للآخر أنا فلان ابن فلان فمن أنت لأم لك فقال النبي صلى الله عليه وسلم «افتخر رجلا عند موسى عليه السلام فقال أحدهما أنا فلان ابن فلان حتى عدتعة فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام قل الذي افتخر بل التسعة من أهل النار وأنت عاشرهم» (٣) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليدعن قوم الفخر بآبائهم وقد صاروا لحما في جهنم وليكونن أهون على الله من الجمالان التي تدرف بآنائها القدر» (٤) . الرابع: التفاخر بالجمال وذلك أكثر

تزوجون الظفر عليهم
فأنزل الله تعالى مطرا
من السماء سال منه
الوادي فغرب السكون
منه واغتسلوا وتوضوا
وسقوا الدواب وملثوا
الأسقية ولبد الأرض
حتى ثبت بالأقدام قال
الله تعالى - وثبت به
الأقدام. إذ يوحى ربك
إلى الملائكة أني معكم -
أمسدم الله تعالى
بالملائكة حتى غلبوا
للكركين ولكل آية
من القرآن ظهر
وبطن وحد ومطلع
والله تعالى كما جعل
الناس رحمة وأمنة
للمصابة خاصة في تلك
الواقعة والحادثة فهو

(١) حديث لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر تقدم (٢) حديث أبي ذر قال رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم قلت له يا ابن السوداء الحديث ابن البار في البر الوصلة مع اختلاف ولأحمد من حديثه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له انظر فانك لست بخير من أحمرو ولا أسود إلا أن فضله يتقوى (٣) حديث أن رجلين تفاخرا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما للآخر أنا فلان ابن فلان فمن أنت لأب لك الحديث عبد الله بن أحمد في زوائد السنن حديث أبي بن كعب بإسناد صحيح ورواه أحمد موقوفا على معاذ بقصة موسى فقط (٤) حديث ليدعن قوم الفخر بآبائهم وقد صاروا لحما في جهنم أوليكونن أهون على الله من الجمالان الحديث أبو داود والترمذي وحسنه

ما جرى بين النساء وبدعو ذلك إلى التنقص والتلب والغبية وذكر عيوب الناس ومن ذلك ما روى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت « دخلت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يدي هكذا أي أنها قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : قد اغتبتها ^(١) » وهذا منشؤه خفاء التكبر لأنها لو كانت أيضا قصيرة لما ذكرتها بالتقصير فكأنها أعتبت بقاتنها واستقصرت المرأة في جنب نفسها فقالت ما قالت . الخامس : التكبر بالمسال وذلك يجري بين الملوك في خزانهم وبين التجار في بضائعهم وبين الدعايق في أراضيتهم وبين التجميلين في لباسهم وخيولهم ومراكبهم فيستحققر الفنى الفقير ويتكبر عليه ويقول له أنت مكء ومسكين وأنا لو أردت لاشتريت مثلك واستخدمت من هو فوقك ومن أنت وما مكء وأثاث بيتى يساوى أكثر من جميع مالك وأنا أغنى في اليوم مالا تأكله في سنة وكل ذلك لاستعظامه للفنى واستحقاقه للفقير وكل ذلك جهل منه بفضيلة الفقر وآفة الفنى وإليه الإشارة بقوله تعالى - فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا - حتى أجابه فقال - إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا فسئى رى أن يؤتىنى خيرا من جنتك ويرسل عليا حسبانا من السماء فتجيب صعيدا زلقا أو يصيح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا - وكان ذلك منه تكبرا بالمال والولد من الله عاقبة أمره بقوله - يا ليتنى لم أشرك بربى أحدا - ومن ذلك تكبر قارون إذ قال تعالى إخبارا عن تكبره - فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه ود حظه عظيم - السادس : التكبر بالقوة وشدة البطش والتكبر به على أهل الضعف . السابع : التكبر بالأبناج والأصناف والتلازمة والتمسان وبالعشيرة والأقارب واليئى ذلك بين الملوك في الكثرة بالجنود وبين العلماء في الكثرة بالمستفيدين . وبالجمله فكل ما هو نعمة وأمكن أن يستعد كال وإن لم يكن في نفسه كالا أمكن أن يتكبر به حتى إن الخنثى ليتكبر على أقرانه بزيادة معرفته وقدرته في صنعة الخنثى لأنه يرى ذلك كالا فيفتخر به وإن لم يكن فعله إلا نكالا وكذلك الفاسق قد ينتخر بكثرة الشرب وكثرة الفجور بالنسوان والتمسان والتكبر به لظنه أن ذلك كالج وإن كان مخلطا فيه فهذه جماع ما يتكبر به العباد بعضهم على بعض فيتكبر من يدلى بشئ منه على من لا يدلى به أو على من يدلى بما هو دونه في اعتقاده وربما كان مثله أو فوقه عند الله تعالى كالعالم الذى يتكبر بعلمه على من هو أعلم منه لظنه أنه هو الأعلم ولحسن اعتقاده في نفسه . نسأل الله العون بلطفه ورحمته إنه على كل شئ قدير .

(بيان البواعث على التكبر وأسبابه المهيجة له)

اعلم أن التكبر خلق باطن وأما ما يظهر من الأخلاق والأفعال فهو ثمرة وتبعية ويبنى أن تسمى تكبرا ويخص اسم التكبر بالمنى الباطن الذى هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير وهذا الباطن له موجب واحد وهو العجب الذى يتعلق بالتكبر كما سيأتى معناه فانه إذا عجب بنفسه وطمع به وعلمه أو بشئ من أسبابه استعظم نفسه وتكبر وأما التكبر الظاهر فأسبابه ثلاثة : سبب في التكبر وسبب في التكبر عليه وسبب فيما يتعلق بغيرهما . أما السبب الذى في التكبر فهو العجب والذى يتعلق بالتكبر عليه هو الحقد والحسد والذى يتعلق بغيرهما هو الرياء فتصير الأسباب بهذا الاعتبار أربعة العجب والحقد والحسد والرياء . أما العجب فقد ذكرنا أنه يورث التكبر الباطن والتكبر الباطن يورث التكبر الظاهر في الأعمال والأقوال والأحوال . وأما الحقد فانه يعمل على التكبر من غير عجب كالذى يتكبر

وابن جبان من حديث أبي هريرة (١) حديث عائشة دخلت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يدي هكذا أي أنها قصيرة الحديث تقدم في آفات اللسان .

رحمة هم المؤمنيين
والناس قسم صالح
من الأقسام العاجلة
للمريدن وهو أمانة
لقلوبهم عن منازعات
النفس لأن النفس
بالنوم تستريح ولا
تشكو الكلال والتعب
إذ في شكايتها وتعبها
تصدير القلب
وباحترامها بالنوم
بشرط العلم والاعتدال
راحة القلب لما بين
القلب والنفس من
الواطأة عند طمأنينتها
للمريدن السالكين
تقدير القلب ما بين
ثلاث الليل والنهار يوما
حق لا يشترط الجسد
فيكون ثمان ساعات

على من يرى أنه مثله أو فوقه ولكن قد غضب عليه بسبب سبق منه فأورثه الغضب حقدا ورسخ في قلبه بضئه فهو لذلك لا تطاوعه نفسه أن يتواضع له وإن كان عنده مستحقا للتواضع فكأن من ردل لا تطاوعه نفسه على التواضع لواحد من الأكابر لحقدته عليه أو بضئه له وبجمله ذلك يرد الحق إذا جاء من جهته وعلى الأئمة من قبول نصحه وعلى أن يجتهد في التقدم عليه وإن علم أنه لا يستحق ذلك وعلى أن لا يستحله وإن ظلمه فلا يحتدر إليه وإن سبق عليه ولا يسأله عما هو جاهل به وأما الحسد فإنه أيضا يوجب البغض للمحسود وإن لم يكن من جهته إيذاء وسبب يقتضى الغضب والحقد ويدعو الحسد أيضا إلى جحد الحق حتى يمنع من قبول النصيحة وتعلم العلم فكأن من جاهل يشاق إلى العلم وقد بقي في رذيلة الجهل لاستكفائه أن يستفيد من واحد من أهل بلده أو أقاربه حسدا وبضا عليه فهو يمرض عنه ويتكبر عليه مع معرفته بأنه يستحق التواضع بغضل عليه ولكن الحسد يمنعه على أن يمايله بأخلاق التكبرين وإن كان في باطنه ليس يرى نفسه فوقه . وأما الرياء فهو أيضا يدعو إلى أخلاق التكبرين حتى إن الرجل لينظر من يعلم أنه أفضل منه وليس بينه وبينه معرفة ولا محاسبة ولا حقد ولكن يتمتع من قبول الحق منه ولا يتواضع له في الاستفادة خيفة من أن يقول الناس إنه أفضل منه فيكون باعته على التكبر عليه الرياء المجرى ولو خلا معه بنفسه لكان لا يتكبر عليه وأما الذي يتكبر بالعجب أو الحسد أو الحقد فإنه يتكبر أيضا عند الحاجة به مهما لم يكن معها ثالث وكذلك قد يتمنى إلى نسب شريف كاذبا وهو يعلم أنه كاذب ثم يتكبر به على من ليس ينتسب إلى ذلك النسب ويرتفع عليه في المجالس ويتقدم عليه في الطريق ولا يرضى بمساواته في الكرامة والتوقير وهو عالم باطننا بأنه لا يستحق ذلك ولا كبر في باطنه لمعرفته بأنه كاذب في دعوى النسب ولكن بجمله الرياء على أفعال التكبرين وكأن اسم التكبر إنما يطلق في الأكثر على من يفعل هذه الأفعال عن كبر في الباطن صادر عن العجب والنظر إلى الغير بعين الاحتقار وهو إن سمى متكبرا فلاجل التشبه بأفعال الكبر . نسأل الله حسن التوفيق والله تعالى أعلم .

(بيان أخلاق التواضعين ومجامع ما يظهر فيه أثر التواضع والتكبر)

اعلم أن التكبر يظهر في شمائل الرجل كسر في وجهه ونظيره شرا وإطرافه رأسه وجلسه متزجا وأمتكنا وفي أقواله حتى في صوته ونغمته وصيغته في الإيراد ويظهر في مشيته وتبخره وتيامه وجلسه وحركاته وسكاته .^(١) تعاطيه لأعدائه وفي سائر تقلباته في أحواله وأقواله وأعماله فمن التكبرين من يجمع ذلك كله ومنهم من يتكبر في بعض ويتواضع في بعض فهذا التكبر بأن يجب قيام الناس له أو يبين يديه وقد قال على كرم الله وجهه من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار فليتنظر إلى رجل قاعد يبين يديه قوم قيام . وقال أنس لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك^(٢) . ومنها أن لا يمشي إلا ومعه غيره بمعنى خلفه . قال أبو الدرداء لا يزال العبد يزدد من الله جدا ما مشى خلفه . وكان عبد الرحمن بن عوف لا يعرف من عبيده إذا كان لا يتميز عنهم في صورة ظاهرة ، ومشي قوم خلف الحسن البصري فنتهم وقال ما يبقى هذا من قلب العبد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الأوقات يمشي مع بعض الأصحاب فيأمرهم بالتقدم ويمشي في غمارهم^(٣) . إما لتعليم غيره أو لينفي عن نفسه وساوس الشيطان بالكبر والعجب

(١) حديث أنس لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له الحديث تقدم في آداب الصلوة وفي أخلاق النبوة (٢) حديث كان في بعض الأوقات يمشي مع الأصحاب فيأمرهم بالتقدم أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي أمامة بسند ضعيف جدا أنه خرج يمشي إلى البقيع فبعه أصحابه فوقف فأمروا أن يتقدموا

لنوم ساعتين من ذلك
يجعلهما للريد بالبار
وست ساعات بالليل
وزيد في أحدهما
وينقص من الآخر
على قدر طول الليل
وقصره في الشتاء
والصيف وقد يكون
بحسن الإرادة وصدق
الطلب ينقص النوم
عن قدر تلك ولا
يضر ذلك إذا صار
بالتدرج عادة وقد
يجعل تقل السهر وقلة
النوم وجود الروح
والأنس فإن النوم
طعمه بارد رطب ينفع
الجسد والماغ ويسكن
من الحرارة واليبس
الحادث في المزاج فإن

وهو من الكبر دخل رجل وعليه جدري قد تفسر على رسول الله صلى الله عليه وعنده ناس من أصحابه يأكلون لما جلس إلى أحد إلا قام من جنبه فأجلسه النبي صلى الله عليه وسلم إلى جنبه^(١) وكان عبدالله بن عمر رضى الله عنهما لا يجلس عن طعامه مجذوما ولا أرض ولا مبتلى إلا أقدم على مائدته . ومنها أن لا يتأطى يده شفا في بيته والتواضع خلافة روى أن عمر بن عبد العزيز أنه ليلة ضيف وكان يكذب فكاد السراج يطفأ فقال الضيف أقوم إلى الصباح فأصلحه فقال ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه قال أفأبنيه الغلام فقال هي أول نومة نلها فقام وأخذ البطيخ وملا الصباح زينا فقال الضيف فمت أنت بنفسك يا أمير المؤمنين فقال ذهب وأنا عمر ورجعت وأنا عمر ما نقص مني شيء وغير الناس من كان عند الله متواضعا . ومنها أن لا يأخذ متاعه ويعمله إلى بيته وهو خلاف عادة للتواضعين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك^(٢) وقال علي كرم الله وجهه لا ينقص الرجل الكامل من كاله ما حمل من شيء إلى عياله وكان أبو عبيدة بن الجراح وهو أمير يحمل سحلا له من خشب إلى الحمام وقال ثابت بن أبي مالك رأيت باهريرة أقبل من السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة لمروان فقال أوسع الطريق للأمير يا ابن أبي مالك . وعن الأصمعي بن نباتة قال كآنى أنظر إلى عمر رضى الله عنه معلقا لحا في يده اليسرى وفي يده اليمنى الدرة بدور في الأسواق حتى دخل رحله . وقال بعضهم رأيت عليا رضى الله عنه قد اشترى لحما بدرهم فحمله في ملحفته فقلت له أحمل عنك يا أمير المؤمنين فقال لا ، أبو العيال أحق أن يعمل . ومنها اللباس إذ يظهر به التكبر والتواضع وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « البذانة من الإيمان »^(٣) فقال هرون سألت معانا عن البذانة فقال هو الدون من اللباس وقال زيد بن وهب رأيت عمر ابن الخطاب رضى الله عنه خرج إلى السوق ويده الدرة وعليه إزاره قرأ أربع عشرة قرعة بعضها من آدم ويعوب علي كرم الله وجهه في إزاره مرقوع فقال يقندي به المؤمن ويغشم له القلب وقال عيسى

ومضى خلفهم فقلل عن ذلك فقال إني سمعت خفك نعالكم فأشفقت أن يقع في نفسي شيء من الكبر وهو منكسر فيه جاعة ضعفاء (١) حديث إخراجهم الثوب الجديد في الصلاة وبداؤه بالخليج. قلت المعروف نزع الثراكم الجديد ورد الثراكم الحاقق أوزع الحصة وليس الأتجانية وكلاهما تقدم في الصلاة (٢) حديث أنس كانت الوليدة من ولائد المدينة تأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث تقدم في آداب العيشة (٣) حديث الرجل الذي به جدري وإجلاسه إلى جنبه تقدم قريبا (٤) حديث حمله متاعا إلى بيته أبو يعلى من حديث أبي هريرة في شرائه للراويل وحمله وتقدم (٥) حديث المذاذة من الإعسان أوداود وابن ماجه من حديث أبي أمامة بن ثعلبة وقد تقدم .

قص عن التلّ ضر
الدماغ وغشى منه
اضطراب الجسم فاذا
تاب عن النوم روح
القلب وأنه لا يضر
تقصه لأن طيبة
الروح والأُنس باردة
رُبلة كلبية النوم
وفد قصر مدة طول
الليل بوجود الروح
تقصير بالروح أوقات
الليل الطويلة كالقصية
كإقباله الوصلية
وسنة المهجر سنة
يفسر الليل لأهل
الروح . قل عن
طبي : بقرآنه قال :
منذ أربعين سنة
ما أحزنى إلا طلوع
ال فجر . وقيل لبعضهم

عليه السلام جودة الثياب خيلاء في القلب . وقال طاوس إن لأعجل ثوبين هذين فأنت كرفلي ماداما
تحيين . وروى أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله كان قبل أن يستخلف تشتري له الحلة بألف
دينار فيقول ما أجودها لولا خشونة فيها فما استخلف كان يشتري له الثوب بخمسة دراهم فيقول
ما أجوده لولائه قبل له أن لباسك وصرارك وعطرك بأمر المؤمنين قال إن في هذا أثر أقوالها
لم تلق من الدنيا طبقة إلا تآقت إلى الطبقة التي فوقها حتى إذا ذآقت الخلقة وهي أرفع الطباق تآقت
إلى ما عند الله عز وجل . وقال سعيد بن سويد صلى بنا عمر بن عبد العزيز الجمعة ثم جلس وعليه
قميص مرقوع الجلب من بين يديه ومن خلفه فقال رجل بأمر المؤمنين إن الله قد أعطاك فلو لبست
فكسر رأسه مليا ثم رفع رأسه فقال إن أفضل القصد عند الجبنة وإن أفضل الفروع عند القدرة . وقال
صلى الله عليه وسلم « من ترك زينة له ووضع ثيابا حسنة تواضعا له وإنشاء لمرضاته كان حقا على الله
أن يدخره عبقري الجنة (١) » فان قلت قد قال عيسى عليه السلام : جودة الثياب خيلاء القلب .
وقد سئل نبينا صلى الله عليه وسلم عن الجبال في الثياب هل هو من الكبر فقال لا ولكن من سنه
الحق وخمس الناس (٢) فكيف طريق الجمع بينهما . فاعلم أن الثوب الجديد ليس من ضرورته
أن يكون من التكبر في حق كل أحد في كل حال وهو الذي أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو الذي عرفه رسول الله ﷺ من حال ثابت بن قيس إذ قال إن امرؤ جيب إلى من الجبال ماري (٣)
فصرف أن يلبس إلى النظافة وجودة الثياب لا لتكبر على غيره فانه ليس من ضرورته أن يكون من
الكبر وقد يكون ذلك من الكبر كما أن الرضا بالثوب البهيم قد يكون من التواضع وعلامة التكبر
أن يطلب التجميل إذا رآه الناس ولا يالي إذا اتفرد بنفسه كيف كان وعلامة طالب الجلال أن يحب
الجلال في كل شيء ولو في خلوته وحتى في سنور داره فذلك ليس من التكبر فاذا انقسمت الأحوال
نزل قول عيسى عليه السلام على بعض الأحوال على أن قوله خيلاء القلب يعني قد تورث خيلاء في
القلب وقول نبينا صلى الله عليه وسلم إنه ليس من الكبر يعني أن الكبر لا يوجب ويجوز أن لا يوجب
الكبر ثم يكون هو مورثا للكبر ، وبالجملة فالأحوال تختلف في مثل هذا والحبوب الوسط من
اللباس الذي لا يوجب شهرة بالجودة ولا لإزداء . وقد قال صلى الله عليه وسلم « كلوا واشربوا
والبسوا وتصدقوا في غير سرف ولا حجة (٤) » . وإن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده (٥) وقال
بكر بن عبد الله المزني البسوا ثياب اللوك وأميئوا قلوبكم بالحشمة وإنما خاطب بهذا قوما يطلبون
التكبر بثياب أهل الصلاح . وقد قال عيسى عليه السلام : ما لكم تأتونني وعليكم ثياب الرهبان
وقلوبكم قلوب الدناب الضواري البسوا ثياب اللوك وأميئوا قلوبكم بالحشمة . ومنها أن يتواضع
بالاحتال إذا سب وأودى وأخذ حقه فذلك هو الأصل ، وقد أوردنا ما نقل عن السلف من احتال
الأذى في كتاب الغضب والحسد . وبالجملة فجامع حسن الأخلاق والتواضع سيرة النبي صلى الله عليه
وسلم فيه فينبغي أن يقتدى به . ومنه ينبغي أن يعلم . وقد قال أبو سلمة : قلت لأبي سعيد الخدري

كيف أنت والليل قال
ما رايته قط يرى
وجهه ثم ينصرف
وما تأملته . وقال
أبو سليمان الداراني
أهل الليل في ليهم
أشد لذة من أهل النهي
في لهوم . وقال بعضهم
ليس في الدنيا شيء
يشبه نعيم أهل الجنة
إلا ما يجده أهل التلحق
في قلوبهم . الليل من
حلاوة النجاة خلقة
للتجاة نواب عاجل
لأهل الليل . وقال
بعض العارفين إن
الله تعالى يطلع على
قلوب المستغفلين في
الأسحار فيملؤها نورا
قد رالفوائد على قلوبهم

(١) حديث من ترك زينة له ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله الحديث أبو حميد الماليني في مسند الصوفية
وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عباس من ترك زينة لله الحديث وفي إسناده نظر (٢) حديث سئل
عن الجبال في الثياب هل هو من الكبر فقال لا ، الحديث تقدم غير مرة (٣) حديث إن ثابت بن قيس
قال لبي صلى الله عليه وسلم إن امرؤ جيب إلى الجبال الحديث هو الذي قبله هي فيه السائل وقد تقدم
(٤) حديث كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا حيلة للنسائي وابن ماجه من رواية
عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٥) حديث إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده الترمذي
وحسنه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أيضا وقد جعلها للصف حديثا واحدا .

ما ترى فيها أحدث الناس من اللبس والشرب والركب وللعلم فقال يا ابن أخي: كل له واشرب لله واللبس لله وكل شيء من ذلك دخله زهو أو مباحة أو رياء أو سمعة فهو مصيبة وسرف وعالج في بيتك من الخدمة ما كان يعالج رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته كان يلفف الناضح ويقلل البير ويقم البيت ويغلب الشاة ويخفف النمل ويرقع الثوب ويأكل مع خادمه ويطحن عنه إذا أعيا ويشترى الشيء من السوق ولا يمنعه من الحياء أن يلقه يده أو يجلعه في طرف ثوبه وينقلب إلى أهله يصافح النقي والفقير والكبير والصغير ويسلم مبتدئاً على كل من استقبله من صغير أو كبير أسوداً وأحمر أو أبيض من أهل الصلاة ليست له حلة لمدخله وحلة لمخرجه لا يستحي من أن يجيب إذا دعى وإن كان أشعث أغبر ولا يخقر مادي إليه وإن لم يجد إلا حشف الدقل لا يرفع غداء لشاء ولا عشاء لعداء هين المؤنة لئلا يخلق كرم الطبيعة جيل للعائشة طلق الوجه بسام من غير ضحك عزوز من غير عبوس شديد في غير عنف متواضع في غير مغبة جواد من غير سرف رحيم لكل ذي قربى ومسلم رقيق القلب دائم الإطراق لم يشتم قط من شيع ولا يمد يده من طمع، قال أبو سلمة قد دخلت على عائشة رضي الله عنها فحدثتني بما قال أبو سعيد في زهد رسول الله ﷺ فقالت ما أخطأ منه حرفاً ولقد قصر إذا ما أخبرك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلئ قط شبعاً ولم يبت إلى أحد شكوى وإن كانت الفاقة لأحب إلي من البشار والتي وإن كان ليظل جامعاً يلتوى ليلته حتى يصبح فما يمنعه ذلك عن صيام يومه ولو شاء أن يسأل ربه فيؤتي بكنوز الأرض ومعارها ورغد عيشها من مشارق الأرض ومغاربها لفعل وربما بكيت رحمته بما أوتي من الجوع فأفسح بطنه يدي وأقول نفسي لك الفداء لو بلغت من الدنيا بقدر ما يوتك ويملكك من الجوع يقول يا عائشة إخواني من أولى العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا فليصبروا على حالمهم وقد صبروا على زهيمهم فأكرم ما بهم وأجزل ثوابهم فأجدي أستحي إن رفعت في ميسقي أن يقصر بي ذنوبهم فأصبر أياً ما سيرة أحب إلي من أن ينقص حظي غدا في الآخرة وما من شيء أحب إلي من الحقوق إخواني وأخلائي قالت عائشة رضي الله عنها فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله عز وجل (١). فما قل من أحواله صلى الله عليه وسلم يجمع جملة أخلاق للتواضع فمن طلب التواضع فليقتد به ومن رأى نفسه فوق عمله صلى الله عليه وسلم ولم يرض لنفسه بما رضى هو به فما أشد جهله فلقد كان أعظم خلق الله منصباً في الدنيا والدين فلا عز ولا رضة إلا في الاقتداء به ولذلك قال عمر رضي الله عنه: إنا قوم أعزنا الله بالإسلام فلن نطلب العز في غير ما لعنا عتب في بذاة همت عند دخوله الشام. وقال أبو الدرداء: اعلم أن الله عباداً يقال لهم الأبدال خلف من الأبدال هم أوتاد الأرض فلما انقضت النبوة أبدل الله مكانهم قوماً من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لم يضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلاة ولا حسن حلية ولكن يصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدر لجميع المسلمين والنصيحة لهم ابتغاء مرضاة الله صبر من غير تخبين وتواضع في غير مذلة وهم قوم اصطفاهم الله واستخلصهم لنفسه وهم أربعمائة صديقاً أو ثلاثون رجلاً فلوهم على مثل يقين إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله قد أنشأ من خلفه واعلم يا أخي أنهم لا يلعنون شيئاً ولا يؤذونه

(١) حديث أبي سعيد الخدري وعائشة قال الخدري لأبي سلمة عالج في بيتك من الخدمة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج في بيته كان يلفف الناضح وفيه قال أبو سلمة قد دخلت على عائشة فحدثتني بذلك عن أبي سعيد فقالت ما أخطأ ما قصر أو ما أخبرك أنه لم يمتلئ قط شبعاً الحديث بطوله لم أقف لهما على إسناد.

فستتبر ثم تقتصر من قلوبهم القوائد إلى قلوب الأفين. وقد ورد أن الله تعالى أوحى في بعض ما أوحى إلى بعض أنبيائه أن لي عبداً يحبوني وأحبهم ويشفقون إلي وأستأق إليهم ويذكرونهم وأذكروهم وينظرون إلي وأنظر إليهم فإن حدثت طريقتهم أحببتك وإن عدلت عن ذلك مقتك قال يارب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالتهار كإراعي الراعي عنده ويخون إلي غروب الشمس كإعني الطير إلى أوكارها فإذا

ولا يجفرونه ولا يظاولون عليه ولا يحسدون أحدا ولا يحرمون على الدنيا هم أطيب الناس خبر أو أليهم عريكة وأسخام نفسا علامتهم السخاء وسجيتهم البشاعة وصفتهم السلامة ليسوا اليوم في خشية وغدا في غفلة ولكن مداومين على حلهم الظاهر وهم فبا بينهم وبين ربهم لا تندرهم الرياح العواصف ولا الحيل المجرأة قلوبهم تصمد اربابا إلى الله واشتاقا إليه وقدماء في استباق الحيرات وأولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون . قال الراوي : قتل يابا الدرداء ما سمعت بصفة أشد على من تلك الصفة وكيف لي أن أبلغها فقال ما بينك وبين أن تكون في أوسعها إلا أن تكون تبغض الدنيا فانك إذا أبغضت الدنيا أقبلت على حب الآخرة وبغدر حيك للآخرة زهد في الدنيا وبغدر ذلك تبصر ما ينشك وإذا علم الله من عبد حسن الطلب أفرغ عليه السداد واكتشفه بالصحة . واعلم يا ابن أخي أن ذلك في كتاب الله تعالى النزل . إن الله مع الذين اتقوا والله بهم محسنون . قال يحيى ابن كثير : فظننا في ذلك فما تلذذ التلذذون بمثل حب الله وطلب مرضاته . اللهم اجعلنا من محبي المحبين لك يارب العالمين فانه لا يصلح لحبك إلا من ارتضيتهم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(بيان الطريق في معالجة الكبر واكتساب التواضع له)

اعلم أن الكبر من الهلكات ولا يخلو أحد من الخلق عن شيء منه وإزالته فرض عين ولا يزول بمجرد التقى بل بالمعالجة واستعمال الأدوية القامعة له وفي معالجته مقامان : أحدهما استئصال أصله من سنخه وقلع شجرته من مغرسها في القلب . الثاني دفع العارض منه بالأسباب الخاصة التي بها يتكبر الانسان على غيره . للقام الأول : في استئصال أصله وعلاجه على وعمل ولا يتم الشفاء إلا بتجموعهما أما المسمى فهو أن يعرف نفسه ويعرف ربه تعالى ويكتفي بذلك في إزالة الكبر فانه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم أنه أذل من كل ذليل وأقل من كل قليل وأنه لا يليق به إلا التواضع والذلة وللهامة وإذا عرف ربه علم أنه لا يليق العظمة والكبرياء إلا بالله أما معرفته ربه وعظمته ومجده فالتقوى فيه يطول وهو منتهى علم الكاشفة وأما معرفته نفسه فهو أيضا بطول ولكننا نذكر من ذلك ما ينفع في إثارة التواضع والذلة ويكتفي أن يعرف معنى آية واحدة في كتاب الله فان في القرآن علم الأولين والآخرين لمن فتحت بصيرته وقد قال تعالى : قل الإنسان ما أكفره من أي شيء خلقه من نقطة خلقه قدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره . فقد أشارت الآية إلى أول خلق الانسان وإلى آخر أمره وإلى وسطه فلينظر الانسان ذلك ليفهم معنى هذه الآية أما أول الانسان فهو أنه لم يكن شيئا مذكورا وقد كان في حيز العدم دهورا بل لم يكن لعدمه أول وأي شيء أحس وأقل من الجو والعدم وقد كان كذلك في القدم ثم خلقه الله من أرذل الأشياء ثم من أقدرها إذ قد خلقه من تراب ثم من نقطة ثم من علة ثم من مضغة ثم جعله عظاما ثم كسا العظم لحما قد كان هذا بداية وجوده حيث كان شيئا مذكورا فما صار شيئا مذكورا إلا وهو على أحسن الأوصاف والنعوت إذ لم يخلق في ابتدائه كاملا بل خلقه جمادا ميتا لا يسمع ولا يبصر ولا يحس ولا يتحرك ولا ينطق ولا يطمش ولا يدرك ولا يعلم فبدأ بموته قبل حياته وبضغفه قبل قوته وبجعله قبل عله وبمياه قبل بصره وبصممه قبل سمعه وبكبه قبل نقطته وبضلالت قبل هدايه وبفقره قبل غناه وبسجزه قبل قدرته فهذا معنى قوله . من أي شيء خلقه من نقطة خلقه قدره . ومعنى قوله . هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا إنا خلقنا الانسان من نقطة أمشاج نتليه . كذلك خلقه أولا ثم امتن عليه فقال . ثم السبيل يسره . وهذا إشارة إلى ما تيسر له في مدة حياته إلى الموت وكذلك قال . من نقطة أمشاج نتليه فجعلنا سميا بصيرا إنا هديناه

جنهم الليل واختلط
الظلام وخال كل حبيب
عجبيه نصبوا لي
أفئداهم واقترشوا لي
وجوههم وناجسوني
بكلامي وتعلقوا لي
يلفاني فبين صارخ
وباك وبين متأوه
وشاك يرمي ما يتحملون
من أجلى وبسمى
ما يشكون من حي
أول ما أعطيهم أن
أقذف من نوري في
قلوبهم فيخبرون عني
كما أخبر عنهم والثاني
لو كانت السموات
السبع والأرضون
وما فيها في موازينهم
لاستقلتها لهم والثالث
أقبل بوجهي عليهم

السبيل إما حاكراً وإما كفوراً - ومعناه أنه أحياء بعد أن كان جماداً ميتاً تراباً أولاً ونطفة ثانياً وأصممه بعدما كان أصم وبصره بعدما كان أعمى وأفاقه بعدما كان فاقداً للبصر وقواه بعد الضعف وعلمه بعد الجهل وخلق له الأعضاء بما فيها من العجايب والآيات بعد الفقد لها وأغناه بعد الفقر وأشبعه بعد الجوع وكساه بعد العرى وهدهد بعد الضلال فانظر كيف دبره وصوّره وإلى السبيل كيف يسره وإلى طينان الإنسان ما كلفه وإلى جبل الإنسان كيف أظهره فقال - ألم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين - ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم حسر تنكثون - فانظر إلى نعمة الله عليه كيف شفه من تلك النكث والفتنة والحشة والقذارة إلى هذه الرفعة والكرامة فصار موجوداً بعد الصمم وحياء بعد الموت وناطقاً بعد البكم وبصيراً بعد العمى وقوياً بعد الضعف وعالماً بعد الجهل ومهدياً بعد الضلال وقادراً بعد المعجز وغنياً بعد الفقر فكان في ذاته لا شيء ولا شيء "أخس" من لا شيء "وأي قوة أقل" من الصمم المحض ثم صار بالله شيئاً وإنما خلقه من التراب الدليل الذي يوطأ بالأقدام والنطفة القذرة بعد الصمم المحض أيضاً ليرفه خسة ذاته فيعرف به نفسه وإنما أكل النعمة عليه ليرف بها ربه ويعلم بها عظمته وجلاله وأنه لا يليق الكبرياء إلا به جلّ - وعلا ولذلك آمنّ عليه فقال - ألم نجعل له عينين ولساناً وشفتين وهديناه للتبدين - وعرف خسته أولاً فقال - ألم يك نطفة من مئى ثم كان علقه - ثم ذكر مته عليه فقال - غلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى - ليوم وجوده بالتناسل كما حصل وجوده أولاً بالاختراع فمن كان هذا بدؤه وهذه أحواله فمن أين له البطور والكبرياء والتعز والخيلاء وهو على التحقيق أخسّ الأخصاء وأضعف الضعفاء ولكن هذه عادة الخبيثين إذا رفع من خسته فصح بأنّه وتظم وذلك لدلالة خسة أوله ولا حول ولا قوة إلا بالله، نعم لو أنك وفوض إليه أمره وأدام له الوجود باختياره لحاز أن يطغى وينسى للبداً والنسيى ولكنه سلط عليه في دوام وجوده الأمراض المهائلة والأسقام العظيمة والآفات المختلفة والطباع المتضادة من اللزق والبغم والريح والدم يهيم البعض من أجزائه البجس شاء أم أبى رضى أم سخط فيجوع كرها ويعطى كرها ويمرض كرها ويعوت كرها لا يملك لنفسه نقماً ولا ضراً ولا خيراً ولا شراً يريد أن يعلم الشيء فيجبهه ويريد أن يذكر الشيء فينساه ويريد أن ينسى الشيء وينفل عنه فلا ينفل عنه ويريد أن يصرف قلبه إلى ما بهمه فيجول في أودية الوسواس والأفكار بالاضطرار فلا يملك قلبه قلبه ولا نفسه نفسه وينسى الشيء وربما يكون هلاكه فيه ويكره الشيء وربما تكون حياته فيه يستلك الأطمعة وتهلكه وترديه ويستبشع الأدوية وهي تنغمه ونحيه ولا يأمن في لحظة من ليله أو نهاره أن يسلب صممه وبصره وتلفح أعضاؤه ويغتلس عقله ويغطف روحه ويسلب جميع ما بهواه في دنياه فهو مضطر ذليل إن ترك بقاء وإن اختطف في عبد مملوك لا يقدر على شيء من نفسه ولا شيء من غيره فأى شيء أفضل منه لو عرف نفسه وأنى يليق الكبر به لو لا جهله فهذا أوسط أحواله فليتأمل. وأما آخره ومورده فهو الموت للشار إليه بقوله تعالى - ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره - ومعناه أنه يسلب روحه وصممه وبصره وعلمه وقدرته وحسه وإدراكه وحركته فيعود جماداً كما كان أول مرة لا يبقى إلا شكل أعضائه وصورته لا حسي فيه ولا حركته ثم يوضع في التراب فيصير جيفة منتنة فقرة كما كان في الأول نطفة مدبرة ثم تلي أعضاؤه وتنتث أجزاؤه وتتخر عظامه ويصير رمياً رفاتاً يأكله الدود أجزائه فيبندى - بعديته فيقلعها ويغديه فيقطعها ويسائر أجزائه فيصير روتا في أجواف الديدان ويكون جيفة يهرب منه الحيوان ويستقذره كل إنسان ويهرب منه لشدة الإثتان وأحسن أحواله أن يعود إلى ما كان فيصير تراباً يسهل منه الكبريان ويصير منه البنيان فيصير مفقوداً بعد ما كان موجوداً فصار كأن لم يكن بالأمر حسيداً

أنفستى من أثقلت
بوجهى عليه أيلم أحد
ما أريد أن أعطيه
فالسائق للرب إذا خلا
في ليله بتناجله ربه
انتشرت أنوار إلهه على
جميع أجزاء نهاره
ويصير نهاره في حمية
إليه وذلك لامتلاء قلبه
بالأنوار فتكون حركاته
وتصاريفه بالآبار
تصدر من منبع
الأنوار المجتمعة من
الليل ويصير قلبه في
قبة من قباب الحق
مسدداً حركاته موفرة
سكاته. وتودرد ومن
صلى بالليل - من وجهه
بالنهار - ويجوز أن
يكون لمنين: أحدهما

كان في أول أمره أمدا مديدا وليته بقي كذلك فما أحسنه لو ترك زبا ، لابل يحبه بدطول إلى
 ليقاسي شديد البلاء فيخرج من قبره بعد جمع أجزائه للتفرقة ويخرج إلى أهوال القيامة فينظر إلى
 قيامة قائمة وساء مشقة ممزقة وأرض مبدلة وجبال مسيرة ونجوم منكسرة وقوس منكسرة وأهوال
 مظلمة وملائكة غلاظ شداد وجهم ترقرق وجهه ينظر إليها المجرم فيتنحسر ويرى مصائب منشورة
 فيقال ٤ اقرأ كتابك فيقول وما هو ؟ فيقال كان قد وكل بك في حياتك التي كنت تضح بها
 وتكبر بنعيمها وتفتخر بأسبابها ملكان رقيان يكبان عليك ما كنت تتطرق به أو تملح من قليل
 وكثير وتخير وقطعير وأكل وشرب وقيام وقعود قد نسيت ذلك وأحساء الله عليك فهم إلى الحساب
 واستعد للجواب أو تساق إلى دار المذاب فينقطع قلبه فرقا من هول هذا الخطاب قبل أن تنتشر
 الصحيفة ويشاهد ما فيها من مخازيه فإذا شاهده قال يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يناد صغير ولا كبيرة
 إلا أحسها - فهذا آخر أمره وهو معنى قوله تعالى - ثم إذا شاء أنشره - فمالئ هذا حاله والتكبر
 والتعظيم بل ماله ولقبح في لحظة واحدة فضلا عن البطر والأشر فقد ظهر له أول حاله ووسطه ولو
 ظهر آخره والياد بالله تعالى ربما اختار أن يكون كليا أو خزيرا ليصير مع الياءم زبا ولا يكون
 إنسانا يسمع خطابا أو يلقى عذابا وإن كان عند الله مستحقا للنار فالحزير أشرف منه وأطيب وأرفع
 إذ أوله التراب وآخره التراب وهو يعمزل عن الحساب والمذاب والكلب والحزير لا يهرب منه الخلق
 ولورأى أهل الدنيا العبد للذنوب في النار لصعقوا من وحشة خلقته وقبح صورته ولو وجدوا ربحه
 لما توا من قتله ولو وقعت قطرة من شرابه الذي يسقي منه في بحار الدنيا لاصارت أنثى من الجيفة فمن
 هذا حاله في العاقبة إلا أن يصفو الله عنه وهو على شك من العقوبة كيف يفرج ويستر وكيف يتكبر
 ويتجبر وكيف يرى نفسه شيئا حتى يستبدله فضلا وأي عديم لم يذب ذنبا استحق به العقوبة إلا أن
 يصفو الله الكريم بفضلته ويجبر الكسر بمنه والرجاء منه ذلك لكرمه وحسن الظن به ولا قوة إلا بالله
 أرايت من جنى على بعض الملوك فاستحق بجنائنه ضرب ألف سوط لحبس إلى السجن وهو ينتظر أن
 يخرج إلى العرض وتقام عليه العقوبة على ملا من الخلق وليس يدري أي شيء عنه أم لا كيف يكون ذلك
 في السجن أقرى أنه يتكبر على من في السجن ومامن عبد مذنب إلا والدنيا سجنه وقد استحق العقوبة
 من الله تعالى ولا يدري كيف يكون آخر أمره فيكفيه ذلك حزنا وخوفا وإشفاقا ومهاونا ولا فناء
 العلاج العلوي القامع لأصل الكبر وأما العلاج العملي فهو التواضع به بالفعل ولأسرار الخلق بالمواظبة على أخلاق
 للتواضعين كما وصفناه وحكيائهم من أحوال الصالحين ومن أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إنه
 «كان يأكل على الأرض ويقول إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد» (١) «وقيل لسان لا تلبس ثوبا جديدا
 فقال إنما أنا عبد فإذا اعتقت يوما لبست جديدا أشار به إلى التقى في الآخرة ولا يتم التواضع بدلالة المعرفة
 إلا بالعمل ولذلك أمر العرب الذين تكبروا على الله ورسوله بالإيمان وبالصلاة وبقيل الصلاة عماد الدين
 وفي الصلاة أسرار لأجلها كانت عمادا ومن جعلتها ما فيها من التواضع بالثقل قائما وبالركوع والسجود
 وقد كانت العرب قديما بأنفون من الانحناء فكان يسقط من يد الواحد سوطه فلا يثنى لأخذه
 وينقطع شراك نعله فلا ينكس رأسه لإصلاحه حتى قال حكيم بن حزام يا بني النبي صلى الله عليه وسلم
 على أن لا آخر إلا قائما فبايه النبي صلى الله عليه وسلم عليه ثم قه وكل إيمانه بعد ذلك (٢)

أن للشكاة تستبر
 بالمصباح فإذا صار
 سراج اليقين في القاب
 زهر بكثرة زيت العمل
 بالليل فيزداد الصباح
 إشراقا وتكسب
 مشكاة القاب نورا
 وضياء . كان يقول
 سهل بن عبد الله
 اليقين نار والإقرار
 قبيلة والعمل زيت
 وقد قال الله تعالى
 - ساءم في وجوههم
 من أثر السجود - وقال
 تعالى - مثل نوره
 كشكاة فيها مصباح -
 فنور اليقين من نور
 الله في زجاجة القلب
 يزدد ضياء بزيت
 العمل حتى زجاجة

- (١) حديث كان يأكل على الأرض ويقول إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد تقدم في آداب للعيشة
- (٢) حديث حكيم بن حزام يا بني رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا آخر إلا قائما الحديث رواه أحمد مقتصر على هذا وفيه إرسال خفي .

فلما كان السجود عندهم هو منتهى القلة والضعف أمروا به لتتكسر بذلك خيالاتهم وبزول كبرهم ويستقر التواضع في قلوبهم وبه أمر سائر الخلق فإن الركوع والسجود والتلويح قائما هو العمل الذي يقتضيه التواضع فكذلك من عرف نفسه فليستظر كل ما يتقاضاه الكبر من الأفعال فليؤاظ على يفيضه حتى يصير التواضع له خلقا فان القلوب لا تتخلق بالأخلاق المحمودة إلا بالعلم والعمل جميعا وذلك لغناه العلاقة بين القلوب والجوارح وسر الارتباط الذي بين عالم الملك وعالم الملكوت والقلب من عالم الملكوت . للعلامة الثاني : فيما يمرض من التكبر بالأسباب السبعة المذكورة وقد ذكرنا في كتاب ذم الجاه أن الكمال الحقيقي هو العلم والعمل فأما ما عداها مما يغني بالموت فكمال وهمي فمن هذا يصير على العالم أن لا يتكبر ، ولكننا نذكر طريق العلاج من العلم والعمل في جميع الأسباب السبعة . الأول النسب فمن يتره الكبر من جهة النسب فليداو قلبه بمعرفة أمرين : أحدهما أن هذا جعل من حيث إنه تميز بكمال غيره ، ولذلك قيل :

لئن غرت بآباء ذوى شرف قد صدقت ولكن يشى ما ولدوا

فالتكبر بالنسب إن كان خبيثا في صفات ذاته فمن أين يجبر خسته بكمال غيره بل لو كان الذي ينسب إليه حيا لكان له أن يقول الفضل لي ومن أمت وإنما أنت دودة خلقت من بولى أتقرى أن الدودة التي خلقت من بولى إنسان أشرف من الدودة التي من بولى فرس هيأت بل لها متساويان والشرف للإنسان لا للدودة . الثاني أن يعرف نسبة الحقيقي فيعرف آباء وجده فان آباء القريب نقطة قدرة وجهه البعيد تراب ذليل وقد عرفه الله تعالى نسبة فقال - الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من صلالة من ماء مهين - فمن أصله التراب المهين الذي يبدى بالأقدام ثم خرج طينة حتى صار حيا مسنونا كيف يتكبر وأحسن الأعيان ما إليه انتسابه إذ قال بالأذى من التراب ويا أئمن من الحماة ويا أئمن من اللعنة فان كان كونه من أيه أقرب من كونه من التراب فقول : افتخر بالقريب دون البعيد فالتلطفة واللطفة أقرب إليه من الأب فليحقر نفسه بذلك ثم إن كان ذلك يوجب رفة لقربه فالأب الأمل من التراب فمن أين رفته وإذا لم يكن له رفة فمن أين جاءت الرفة لولمه فاذا نزل أصله من التراب وفصله من النطفة فلا أصل له ولا فصل وهذه غاية خسة النسب فالأصل يوطأ بالأقدام والفصل تفصل منه الأبدان ، فهذا هو النسب الحقيقي للإنسان ومن عرفه لم يتكبر بالنسب ويكون مثله بعد هذه المعرفة وانكشف الغطاء له عن حقيقة أصله كرجل لم يزل عند نفسه من بين هاشم وقد أخبره بذلك والداه فلم يزل فيه نخوة الشرف فينبأ هو كذلك إذ أخبره عدول لابنك في قولهم إنه ابن هندی حجام يتعاطى القاذورات وكشفوا له وجه التلبس عليه فلم يبق له شك في صدقهم أتقرى أن ذلك يبقى شيئا من كبره لابل يصير عند نفسه أحقر الناس وأذلهم فهومن استشار آخرى لحته في شغل عن أن يتكبر على غيره ، فهذا حال البصير إذا تضرع في أصله وعلم أنه من النطفة واللطفة والتراب إذ لو كان أبوه ممن يتعاطى نقل التراب أو يتعاطى الدم بالحجارة أو غيرهما لكان يعلم به خسة نفسه لماسة أعضائه أيه للتراب والدم فكيف إذا عرف أنه في نفسه من التراب والدم والأعضاء القفيرة التي يتره عنها هو في نفسه . السبب الثاني : التكبر بالجمال ودواؤه أن ينظر إلى باطنه نظرا القفلة ولا ينظر إلى الظاهر نظرا البهائم ، ومهما نظر إلى باطنه رأى من القبايح ما يكدر عراجه تميزه بالجمال فانه وكل به الأقذار في جميع أجزائه الرجيع في أمعائه والبول في مثانته والخطأ في أنفه والبراق في فيه والوسخ في أذنيه والدم في عروقه والصديد تحت بشرته والصدان تحت إبطه فيسل الفاطي يد في كل يوم دفعة أو دفتين ويرتد كل يوم الخلاص مرة أو مرتين ليخرج من باطنه ما لوراه بهينه

القلب كالكوكب
الدرى وتمسك آثار
الزجاجة على مشكاة
القالب وأيضا يلين
القلب بشار السور
ويسرى إليه إلى القالب
فيلين القالب للين القالب
فيقشاهان لوجود اللين
الذي عرهما . قال الله
تعالى - ثم تليين جلودهم
وقلوبهم إلى ذكر الله -
وصف الجلود باللين كما
وصف القلوب باللين
فاذا امتلأ القلب بالنور
ولان القالب بما يسرى
فيه من الأنس
والسرور يسدج
الزمان والمكان في نور
القلب ويسدج فيه
الكلم والآيات والنور

لاستغفره فضلا عن أن يسه أو يشمه كل ذلك ليعرف قدرته وذله هذا في حال توسطه وفي أول أمره خلق من الأقدار الثنية الصور من النطقه ودم الحيز وأخرج من مجرى الأقدار إذ خرج من الصلب ثم من الله كرم مجرى البول ثم من الرحم مفيض دم الحيز ثم خرج من مجرى القدر . قال أنس رحمه الله : كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يخطبنا فيقتر إلينا أنفسنا ويقول خرج أحدكم من مجرى البول مرتين ، وكذلك قال طاوس لممر بن عبد العزيز ما هذه مشية من في بطنه خرم إذ رآه يبتخر وكان ذلك قبل خلافة وهذا أوله ووسطه ، ولو ترك نفسه في حياته يوما لم يتعدها بالتنظيف والتسل ثارت منه الأتان والأقدار وصار أتق وأقندر من اللدواب اللهم الله لا تتمدها تسها قط فانا نلظ أنه خلق من أقدار وأسكن في أقدار وسيموت فيمير جيفة أقدر من سائر الأقدار لم يتعثر بحاله الذي هو تكفراه للدمن وكون الأزهار في البوادي فينبأ هو كذلك إذ صار هشيا لم تدرو الرياح ، كيف ولو كان جماله باقيا وعن هذه القبايح خاليا لكان يجب أن لا يتكبر به على القبيح إذ لم يكن تسبح القبيح إليه فينفيه ولا كان جمال الجليل إليه حتى يحمده عليه ، كيف ولا يقاه له بل هو في كل حين يتصور أن يزول بمرض أو جدرى أو قرحة أو سبب من الأسباب فك من وجوه جملة قد سمعت بهذه الأسباب فمعرفة هذه الأمور تنزع من إقبال داه الكبر بالجمال لمن أكثر تأمها . السبب الثالث : التكبر بالقوة والأيدى ويعنه من ذلك أن يعلم ماسلط عليه من العلل والأمراض وأنه لو توجع عرق واحد في يده لصار أعجز من كل عاجز وأذل من كل ذليل وأنه لو سلبه اللدباب شيئا لم يستغفر منه وأن بقة لو دخلت في أنفه أو ثمة دخلت في أذنه لقتله وأن عوكة لو دخلت في رجله لأعجزته وأن حمى يوم تحلل من قوته مالا يتعبر في مدة فمن لا يطيق عوكة ولا يقاوم بقولا لا يقدر على أن يدفع عن نفسه ذباية فلا ينبغي أن يتعثر بقوته ثم إن قوى الإنسان فلا يكون أقوى من حمار أو بقرة أو فيل أو جمل وأى اختار في صفة يسبقك فيها البهائم . السبب الرابع والخامس : التي وكثرة اللال وفي معناه كثرة الأتباع والأنصار والتكبر بولاية السلاطين والتكبر من جهتهم وكل ذلك تكبر بمعنى خارج عن ذات الانسان كالجمال والقوة والعلم ، وهذا أقبح أنواع الكبر فان التكبر بحاله كأنه متكبر بفكره وداره ولو مات فكره وانهدمت داره لعاد ذللا والتكبر يتسكين السلطان وولايته لا بصفة في نفسه بنى أمره على قلبه هو أشد غليانا من القدر فان تغير عليه كان أذل الخلق وكل متكبر بأمر خارج عن ذاته فهو ظاهر الجهل ، كيف والتكبر بالثنى لو تأمل لراى في اليهود من يزيد عليه في الثنى والثروة والتجمل فأف لشرف يسبقك به اليهودى وأف لشرف يأخذه السارق في لحظة واحدة فيعود صاحبه ذليلا مفلسا فهذه أسباب ليست في ذاته وما هو في ذاته ليس إليه دوام وجوده وهو في الآخرة وبال ونسكال فالتفاخر به غاية الجهل وكل ما لبس إليك فليس لك وشى ومن هذه الأمور ليس إليك بل إلى واهبه إن أجهك وإن استرجه زال عنك وما أنت إلا عبد لمولوك لا تقدر على شيء ومن عرف ذلك لا بد وأن يزول كبره ، ومثاله أن يفخر النافل بقوته وجاهه وماله وحرته واستقلاله وسعة منزله وكثرة خيوله وغلمانة إذ شهد عليه شاهدان عدلان عند حاكم منصف بأنه دقيق لفلان وأن أبوه كانا مملوكين له فم ذلك وحكم به الحاكم فجاء مالهك فأخذه وأخذ جميع ما في يده وهو مع ذلك غشى أن يعاقبه وينكل به لتفريطه في أمواله وتقصيره في طلب مالهك ليعرف ان له مالكا ثم نظر العبد فرأى نفسه محبوسا في منزل قد أهدقت به الحيات والقاربان والهوام وهو في كل حال على وجل من كل واحدة منها وقد بقي لا يملك نفسه ولا ماله ولا يعرف طريقا في الخلاص اليه أقرى من هذا حاله هل يفخر بقدرته وثروته وقوته وكاله أم تذلل نفسه وتخضع ؟ وهذا حال كل

وتشرق الأرض أرض
القالب نور ربها إذ
يصير القلب معاء
والقالب أرضا وقدة
تلاوة كلام الله في محل
للاجابة تستر كون
الكائنات والكلام
المجيد يكونه ينوب
عن سائر الوجود في
مزاخرة صفو الشهود
فلا يبقى جيتد للفس
حديث ولا يسمع
لها جسى حيسى وفى
مثل هذه الحالة يتصور
تلاوة القرآن من
فأعته إلى خاتمة من
غير وسوسة وحديث
تس وذلك هو القتل
العظيم . الوجه الثانى
قوله عليه السلام

عاقب بصرفاته يرى غشه كذلك فلا يملك رقبته وبدنه وأعضائه وماله وهو مع ذلك بين آفات وشبهات وأمرض وأسقام هي كالتقارب والحليات يخاف منها الهلاك فمن هذا حاله لا يتكبر بقوة وقدرته إذ يعلم أنه لا قدرة له ولا قوة فلهذا طريق علاج التكبر بالأسباب الحاركة وهو أوهن من علاج التكبر بالعلم والعمل فالتواضع كاللأن في النفس جذيران بأن يفرح بهما ولكن التكبر هما أيضا نوع من الجهل خفي كالسند كره.

السبب السادس : الكبر بالعلم وهو أعظم الآفات وأغلب الأدوية وأبدها عن قبول العلاج بالإشدة شديدة وجهه جيد وذلك لأن قدر العلم عظيم عند الله عظيم عند الناس وهو أعظم من قدر المال والجمال وغيرها بل لا قدر لهما أصلا إلا إذا كان معهما علم وعمل، وذلك قال كعب الأحبار : إن العلم طغيانا كطغيان المال، وكذلك قال عمر رضي الله عنه العالم إذا زلزل زلته عالم فيجز العالم عن أن لا يستعظم نفسه بالإضافة إلى الجاهل لكثرة مناطق الشرع بغضائل العلم ولن يقدر العالم على دفع الكبر إلا بعمرة أمرين : أحدهما أن يعلم أن حجة الله على أهل العلم أكد وأنه محتمل من الجاهل ما لا يحتمل غيره من العالم فإن من عصى الله تعالى عن معرفة وعلم بغيته أغشى إذ لم يحض حق نعمة الله عليه في العلم وذلك قال صلى الله عليه وسلم « يؤتى بالهالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالراحا فيطيف به أهل النار فيقولون مالك ؟ فيقول كنت آمر بالخير ولا أتبه وأهمل عن الشر وآتبه^(١) » وقد مثل الله سبحانه وتعالى من يعلم ولا يعمل بالحمار والسكاب فقال عز وجل مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا - أراد به علماء اليهود ، وقال في بلم بن باعوراء - وائل عليهم نبأ الذي أتيناها فأنسلخ منها - حتى بلغ - فله كمثل السكاب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث - قال ابن عباس رضي الله عنهما : أوتي يعلم كتابا فأخذ إلى شجوات الأرض أي سكن جبه إليها فله بالسكاب - إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث - أي سواء أتتبه الحكمة أو لم أوتيه لا يدع شهوته ويكنى العالم هذا الحظر فأى عالم لم يتبع شهوته وآتى عالم ليا أمر بالخير الذي لا يتبه فيها خطر لعالم عظيم قدره بالإضافة إلى الجاهل فليتنسك في الحظر العظيم الذي هو صده فأن خطرته أعظم من خطر غيره كما أن قدره أعظم من قدر غيره فهذا بذالك وهو كمالك المخاطر بروحه في ملكه لكثرة أعدائه فإنه إذا أخذ وقهر انتهى أن يكون قد كان قتيلا فكمن عالم يشتهي في الآخرة سلامة الجاهل والعايد بالله منه فهذا الحظر يمنع من التكبر فإنه إن كان من أهل النار فالخزير أفضل منه فكيف يتكبر من هذا حاله فلا ينبغي أن يكون العالم عند نفسه أكبر من الصحابة رضوان الله عليهم وقد كان بعضهم يقول : يا ليتني لم تلدن أي وبأخذ الآخر تبته من الأرض ويقول يا ليتني كنت هذه التبتة ويقول الآخر ليتني كنت طيرا أو كلبا ويقول الآخر ليتني لم ألك شيئا مذكرا أو كلبا ذلك خوفا من خطر العاقبة فكأنوا يرون أنفسهم أسوأ حالا من الطير ومن التراب ومهما طال فكره في الحظر الذي هو صده زال بالكسبة كبره ورأى نفسه كأنه شر الخلق ومثاله مثال عبد أمره سيده بأمر ضرع فيها بقره بعضها وأدخل النقصان في بعضها وشك في بعضها أنه هل أداها على ما يرتضيه سيده أم لا فأخبره خبر أن سيده أرسل إليه رسولا يخرج به من كل ما هو فيه عريانا ذليلا ويلقي على بابه في الحر والشمس زمانا طويلا حتى إذا ضاق عليه الأمر وبلغ به المجهود أمر برفع حسابه وفتش عن جميع أعماله قلبها وكثيرها ثم أمر به إلى سجن شيق وعذاب دائم لا يروح عنه ساعة وقد علم أن سيده قد فعل بطوائف من عبده مثل ذلك وعفا عن بعضهم وهو لا يدري من أي الفريقين يكون فإذا تنكر

(١) حديث يؤتى بالهالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتابه الحديث متفق عليه من حديث أسامة ابن زيد بلفظ يؤتى بالهالم ويهدم في العلم

« من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار » معناه أن وجوه أموره التي يتوجه إليها تحسن وتداركها للمونة من الله الكريم في تصاريفه ويكون معانا في مصدره ومورده فيحسن وجهه مقاصده وأفعاله وينتظم في سلك السداد مسددا أوقاته لأن الأفعال تستقيم باستقامة القلب [الباب السادس والأربعون في ذكر الأسباب اللينة على قيام الليل وأدب النوم] فمن ذلك أن البعد يستقبل الليل عند غروب شمس تجدد الوضوء ويقدم مستقبلا

في ذلك انكسرت قسه وذل وبطل عزه وكبره وظهر حزنه وخوفه ولم يتكبر على أحدهم الخلق بل تواضع رجاء أن يكون هو من شفاعة عند نزول العذاب فكذلك العالم إذا تكبر فهاضيمنه أو امر به بجنائيات على جوارحه وبذنوب في باطنه من الرياء والحقد والحسد والسبب والتفاخي وغيره وعلم مما هو يصدده من الخطر العظيم فارق كبره لامحالة . الأمر الثاني : أن العالم يصرّف أن الكبر لا يليق إلا بالله عز وجل وحده وأنه إذا تكبر صار محموتا عند الله فبعضاً وقد أحب الله منه أن تواضع وقاله إنك عندي قدرا مالم تر نفسك قدرا فلا قدر لك عندي فلا بد أن يكلف تصميا عليه مولاه منه وهذا يزيل التكبر عن قلبه وإن كان يستيقن أنه لا ذنب له مثلاً أو تصور ذلك وهذا زال التكبر عن الأنبياء عليهم السلام إذ علواً أن من تازع الله تعالى في رداء الكبرياء قسه وقد أمرهم الله بأن يصفروا أنفسهم حتى يطمع عند الله معلم فهذا أيضاً مما يمهت على التواضع لامحالة . فان قلت فكيف يتواضع للفاسق للتظاهر بالنسب وللمبتدع وكيف يرى قسه دونهم وهو عالم فابد وكيف يحمل فضل العلم والعبادة عند الله تعالى وكيف يخيه أن يخطر بباله خطر العلم وهو يعلم أن خطر الفاسق وللمبتدع أكثر . فاعلم أن ذلك إنما يمكن بالتفكير في خطر الحاتمة بل ونظر إلى كافر لم يكن أن يتكبر عليه إذ يتصور أن يسل الكافر فيختم له بالإيمان ويضل هذا العالم فيختم له بالكفر والكبر من هو كبير عند الله في الآخرة والسلب والحزير أي رتبة من هو عند الله من أهل النار وهو لا يدري ذلك فكف من مسلم نظر إلى عمر رضي الله عنه قبل إسلامه فاستحقه وازدراه لكفره وقد رزقه الله الاسلام وفاق جميع المسلمين إلا أبكر وحده فالعواقب مطوية بين الباد ولا ينظر الماقل إلا إلى العاقبة وجميع الفضائل في الدنيا تراء للعاقبة فاذن من حق البعد أن لا يتكبر على أحد بل إن نظر إلى جاهل قال هذا عصى الله بجمل وأنا عصيته بلم فهو أعز مني وإن نظر إلى عالم قال هذا قد علم على علم فكيف أكون مثله وإن نظر إلى كبير هو أكبر منه سناً قال هذا قد أطاع الله قبل فكيف أكون مثله وإن نظر إلى صغير قال إن عصيت الله قبله فكيف أكون مثله وإن نظر إلى مبتدع أو كافر قال ما يدري الله يختم له بالاسلام ويختم لي بما هو عليه الآن فليس دوام الهداية إلى كمال يكن ابتداءها إلى فملاحظة الحاتمة يقدر على أن ينفي الكبر عن قسه وكل ذلك بأن يعلم أن الكمال في سعادة الآخرة والتقرب من الله لا فإ ينظر في الدنيا مما لا يجاء له ولعمري هذا الخطر مشترك بين التكبر والتكبر عليه ولكن حق على كل واحد أن يكون مصروف المحبة إلى قسه مشغول القلب بخوفه لما قبله لأن يشتغل بخوف غيره فان الشفيق بسوء الظن مولع وشدة كل إنسان على قسه فاذا حبس جماعة في جنايتهم وعدوا بأن ضرب رقابهم لم يتفرغوا لتكبر بعضهم على بعض وإن معهم الخطر إذ يغفل كل واحد عن قسه عن الالتفات إلى قسه غيره حتى كأن كل واحد هو وحده ومعنيته وخطره . فان قلت فكيف أبض للبتدع في الله وأبض الفاسق وقد أمرت بضعها ثم مع ذلك أتواضع لهما والجمع بينهما متناقض . فاعلم أن هذا أمر مشبه يلتبس على أكثر الخلق إذ يمتزج فضيقت في إنكار البعده والتقرب بغير النفس والادلال بالعلم والورع فكف من عابدها له وعالم مغرور إذا رأى فاسقا جلس بجنبه أو هجمه عنده ونزعه عنه بغير باطن في قسه وهو ظان أنه قد غضب لله كما وقع لعابد بن إسرائيل مع خليلهم وذلك لأن الكبر على الطبع ظاهر كونه شراً والحذر منه ممكن والكبر على الفاسق وللمبتدع وشبه التضييق لله وهو خير فان الضبيان أيضاً يتكبر على من غضب عليه وللتكبر يرضف وأحدهما يشر الآخر ويوجهيه وهما يمتزجان ملتصقان لا يميز بينهما إلا بالوهم والقي يخلصك من هذا أن يكون الحاضر على قلبك عند مشاهدة المبتدع أو الفاسق أو عند أمرهما بالمعروف ونهيهما عن المنكر ثلاثة أمور :

القلب منتظراً جميع
الليل وصلاته للرب
مقياً في ذلك على أنواع
الأذكار ومن أولها
التسبيح والاستغفار
قال الله تعالى ليته -
واستغفر قد نيك وسبح
محمد ربك بالخش
والابكار ومن ذلك أن
يواصل بين السجدين
بالصلاة أو بالتلاوة
أو بالذكر وأفضل ذلك
الصلاة فانه إذا واصل
بين السجدين ينسل
من باطنه آثار
السكينة الحادثة في
أوقات التبار من رؤية
الحق ومخالطتهم وسماج
كلامهم فان ذلك كله
له أثر وخش في القلوب

أحدها التفاتك إلى ماسبق من ذنوبك وخطاياك ليصغر عند ذلك قدرك في عينك . والثاني أن تكون ملاحظتك لما أنت متميز به من العلم واعتقاد الحق والعمل الصالح من حيث إنها نعمة من الله تعالى عليك فله النة فيه لالك قترى ذلك منه حتى لا تعجب بنفسك وإذا لم تعجب لم تسكبر . والثالث ملاحظة إيهام عاقبتك ، وعاقبته أنه ربما يختم لك بالسوء ويختم له بالخير حتى يشملك الخوف عن التسكبر عليه . فان قلت : فكيف أغضب مع هذه الأحوال ؟ فأقول : تغضب لمولوك وسيدك إذ أمرك أن تغضب له لالتفكك وأنت في غضبك لا ترى نفسك ناجيا وصاحبك هالكا بل يكون خوفك على نفسك بما علم الله من خفايا ذنوبك أكثر من خوفك عليه مع الجهل بالحكمة، وأعرفك ذلك بمثال لئلا أنه ليس من ضرورة الغضب لله أن تسكبر على الغضوب عليه وترى قدرك فوق قدره .

فأقول : إذا كان للملك غلام وولد هوقرة عنه وقد وكل الغلام بالولد ليراقبه وأمره أن يضرب به مهما أساء أدبه واشتغل بما يليق به ويغضب عليه فان كان الغلام عجا مطيعا لمولاه فلا يجد بأن يغضب مهما رأى ولده قد أساء الأدب وإنما يغضب عليه لمولاه ولأنه أمره به ولأنه يريد التقرب باستئصال أمره إليه ولأنه جرى من ولده ما يكره مولاه فيضرب ولده ويغضب عليه من غير تسكبر عليه بل هو متواضع له يرى قدره عند مولاه فوق قدر نفسه لأن الولد أعز لأحالة من الغلام ، فاذن ليس من ضرورة الغضب التسكبر وعدم التواضع فكذلك يمكنك أن تنظر إلى اللبندع والفاق وتظن أنه ربما كان قدرها في الآخرة عند الله أعظم لما سبق لهما من الحسن في الأزل ولما سبق لك من سوء القضاء في الأزل وأنت غافل عنه ، ومع ذلك فتغضب بحكم الأمر بحجة لمولوك إذ جرى ما يكرهه مع التواضع لمن يجوز أن يكون عنده أقرب منك في الآخرة ، فهكذا يكون بعض العلماء الأكياس ينضم إليه الخوف والتواضع . وأما الغرور فانه يتكبر ويرجو نفسه أكثر مما يرجوه لغيره مع جهله بالعاقبة ، وذلك غاية الضرر فهذا سبيل التواضع لمن عصى الله أو اعتقد البدعة مع الغضب عليه ومجانبة بحكم الأمر . السبب السابع : التسكبر بالورع والعبادة وذلك أيضا قنعة عظيمة على العباد وسيله أن يلزم قلبه التواضع لساير العباد وهو أن يعلم أن من يتقدم عليه بالعلم لا ينبغي أن يتكبر عليه كيفما كان لما عرفة من فضلة العلم ، وقد قال تعالى - هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - . وقال صلى الله عليه وسلم « فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي ^(١) » إلى غير ذلك مما ورد في فضل العلم ، فان قال العابد : ذلك للعامل بعلومه وهذا عالم فاجر ، فيقال له : أما عرفت أن الحسنات يذهبن السيئات ، وكأن العلم يمكن أن يكون حجة على العالم فكذلك يمكن أن يكون وسيلة له وكفارة لذنوبه وكل واحد منهما ممكن ، وقد وردت الأخبار بما يشهد بذلك ، وإذا كان هذا الأمر غائبا عنه لم يجز له أن يحتقر عالما بل يجب عليه التواضع له . فان قلت : فان صح هذا فينبني أن يكون للعالم أن يرى نفسه فوق العابد لقوله عليه السلام « فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي » . فاعلم أن ذلك كان ممكنا لو علم العالم عاقبة أمره وخاتمة الأمر مشكوك فيها فيحتمل أن يموت بحيث يكون حاله عند الله أشد من حال الجهال الفاسق لئلا يتأذى واحد كان يحسبه مينا وهو عند الله عظيم وقد مقت به ، وإذا كان هذا ممكنا كان على نفسه خاتما فاذا كان كل واحد من العابد والعالم خاتما على نفسه وقد كلف أمر نفسه لأمر غيره فينبني أن يكون الطالب عليه في حق نفسه الخوف وفي حق غيره الرجاء وذلك يمنعه من التسكبر بكل حال فهذا

(١) حديث فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي الترمذي من حديث أبي أمامة وتقدم في العلم .

حتى النظر إليهم يعقب كدرا في القلب بدركه من يرق صفاء القلب فيكون أثر النظر إلى الخلق للبصرة كاللذني في السنين للبصر وبالمواصلة بين الشاؤون يرجى ذهاب ذلك الأثر . ومن ذلك ترك الحديث بعد الشاء الآخرة فان الحديث في ذلك الوقت يذهب طراوة النور الحادث في القلب من مواصلة الشاؤون ويقيد عن قيام الليل سببا إذا كان عريا عن يقظة القلب ، ثم تجديد الوضوء بعد الشاء الآخرة أيضا

حال العابد مع العالم فأما مع غير العالم فهم منقسمون في حقه إلى مستورين وإلى مكشوفين فينبغي أن لا يتكبر على المستور فلهه أقل منه ذنوبا وأكثر منه عبادة وأشد منه جبا لله . وأما المكشوف حاله إن لم يظهر لك من الذنوب إلا ما يزيد عليه ذنوبك في طول عمرك فلا ينبغي أن تتكبر عليه ولا يمكن أن تقول هو أكثر مني ذنبا لأن عدد ذنوبك في طول عمرك وذنوب غيرك في طول العمر لا قدر على إحسانها حتى تمل الكثرة ، ثم يمكن أن تعلم أن ذنوبه كأشدها كالورأيت منه القتل والشرب والزنا ومع ذلك فلا ينبغي أن تتكبر عليه إذ ذنوب القلوب من الكبر والحسد والرياء والغفل واعتقاد الباطل والوسوسة في صفات الله تعالى وتحيل الخطأ في ذلك كل ذلك شديد عند الله فرجما جرى عليك في باطنك من خفايا الذنوب ما صرت به عند الله مخفوتا وقد جرى للناسق الظاهر الفسق من طاعات القلوب من حب الله وإخلاص وخوف وتظيم ما أنت خال عنه وقد كفر الله بذلك عنه سيئاته فيكشف الغطاء يوم القيامة فتراه فوق نفسك بدرجات فهذا ممكن والإمكان البعيد فبا عليك ينبغي أن يكون قريبا عندك إن كنت مشفقا على نفسك فلا تتكبر فيها هو يمكن لتكبرك فيها هو وخوف في حقه فانه لا ترز وازرة وزر أخرى وعذاب غيرك لا يخفف شيئا من عذابك فاذا فكرت في هذا الخطر كان عندك شغل شاغل عن التكبر وعن أن ترى نفسك فوق غيرك ، وقد قال وهب بن منبه ماتم عقل عبد حتى يكون فيه عشر خصال فمد تسعة حتى بلغ العاشرة فقال العاشرة وما العاشرة بها ساد مجده وبها علا ذكره أن يرى الناس كلهم خيرا منه وإنما الناس عنده فرقتان : فرقة هي أفضل منه وأرفع وفرقة هي شر منه وأدنى فهو يتواضع للفرقتين جميعا فقلبه إن رأى من هو خير منه سره ذلك وتبني أن يلحق به وإن رأى من هو شر منه قال لعل هذا يتنجو وأهلك أنا فإلهام الإختام من العاقبة ويقول لعل بر هذا باطن فذلك خير له ولا أدري لعل فيه خلقا كريما بينه وبين الله فيه حجة الله وحبوب عليه ونعمته له بأحسن الأعمال ويرى ظاهر فذلك شر في فلا يأمّن فيها أظهره من الطاعة أن يكون دخلها الآفات فأحبطها ثم قال خفيته كل غله وساد أهل زمانه فهذا كلامه . وبالجملة فإن جوز أن يكون عند الله شقيا وقد سبق القضاء في الأزل بشقوته لما له سبيل إلى أن يتكبر بحاله من الأحوال ، نعم إذا غلب عليه الخوف رأى كل أحد خيرا من نفسه وذلك هو الفضيلة كما روى أن عابدا أوى إلى جبل فقيل له في النوم اثنت فلانا الاسكاف فله أن يدعو لك فأناه فساه له عن عمله فأخبره أنه يصوم النهار ويكتب فيصدق يرضه ويطعم عياله يرضه فرجع وهو يقول إن هذا الحسن ولكن ليس هذا كالنفرخ لطاعة الله فأتى في النوم ثانيا فقيل له اثنت فلانا الاسكاف فقل له ما هذا الصغار الذي يوجبك فأناه فساه له فقل له ما رأيت أحدا من الناس إلا وقع لي أنه سينجو وأهلك أنا فقال العابد بهدوء الذي يدل على فضيلة هذه الحسنة قوله تعالى - يؤتون ما آتوا وتلوهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون - أي أنهم يؤتون الطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها وقال تعالى - إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون وقال تعالى - إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين - وقد وصف الله تعالى للأنبياء عليهم السلام مع تقدسهم عن الذنوب ومواظبتهم على العبادات على الدوام بالاشتغال فقال تعالى غير أنهم - يسيحون الليل والنهار لا يفترون - وهم من خشية مشفقون - ففي رال الاشتغال والحذر مما سبق به القضاء في الأزل وينكشف عند غائبة الأجل غلب الأمن من مكر الله وذلك يوجب الكبر وهو سبب الهلاك فالكبر دليل الأمن والأمن مهلك والتواضع دليل الخوف وهو مسعد ، فاذن ما غسده العابد بإضمار الكبر واحتارة الخلق والنظر إليهم بسين الاستعارة أكثر مما يصلحه بظاهر الأعمال فهذه معارف بها يزال داء الكبر عن القلب

ممكن على قيام الليل .

حكى لي بسن الفقراء

عن شيخ له بخراسان

أنه كان ينقل في الليل

ثلاث مرات مرة بعد

العشاء الآخرة ومرة

في أثناء الليل بعد

الابتداء من النوم

ومرة قبل الصبح

فللنوم والنقل بعد

العشاء الآخرة أثر

ظاهر في تيسير قيام

الليل ومن ذلك التعود

على الذكر أو القيام

بالصلاة حتى يذهب

النوم فان التعود على

ذلك يبين على سرعة

الابتداء إلا أن يكون

واقفا من نفسه وعادته

فيتمتع بالنوم

لاغير إلاأن النفس بعد هذه المعرفة قد تضررت التواضع وتدعى البراءة من الكبر وهي كاذبة فإذا وقعت الواقعة عادت إلى طبيعتها ونسيت وعدها فمن هذا لاينبغي أن يكتفى في الدواوة بمجرد المعرفة بل ينبغي أن تسكن بالعدل وتجرب بأفعال التواضعين في مواقع هيجان الكبر من النفس ، وبإيانه عن النفس بنفس امتحانات هي أدلة على استخراج مافي الباطن وإن كانت الامتحانات كثيرة: الامتحان الأول أن ينظر في مسألة مع واحد من أقرانه فإن ظهر شيء من الحق على لسان صاحبه فقل عليه قوله والاشياده والاعتراف به والشكر له على تنبيهه وتمريضه وإخراجه الحق فذلك يدل على أن فيه كبرا دفينا فليقل الله فيه ويشغل بهلاجه ، أمامن حيث العلم فبأن يذكر نفسه خسة نفسه وخطيئة له وأن الكبر لايبقي إلاالباطن تعالى وأما العمل فبأن يكلف نفسه ماتقل عليه من الاعتراف بالحق وأن يطلق اللسان بالحمد والثناء ويقر على نفسه بالهجر ويشكره على الاستفادة ويقول ماأحسن ماغفلت له وقد كنت غافلا عنه جزاك الله خيرا كما نهى له فالسكة صالة المؤمن فإذا وجدها ينبغي أن يشكر من دله عليها فإذا واطب على ذلك مرات متوالية صار ذلك له طبعاً وسقط ثقل الحق عن قلبه وطالبه تقبوله ومهما ثقل عليه التناء على أقرانه بما فيهم فقيه كبر فإن كان ذلك لايشغل عليه في الخلوة ويشغل عليه في اللأ فليس فيه كبر وإنما فيه رياء فليعالج الرياء بمحاذراته من قطع الطمع عن الناس ويذكر القلب بأن منغته في كاله في ذاته وعندالله لا عند الخلق إلى غير ذلك من أدوية الرياء وإن ثقل عليه في الخلوة وللأ جميعا فقيه الكبر والرياء جميعا ولاينفعه التخلص من أحدهما ما لم يتخلص من الثاني فليعالج كلا الاديان فانهما جميعا مهلكان . الامتحان الثاني أن يجتمع مع الأقران والأمثال في المحافل ويقدمهم على نفسه ويمشي خلفهم ويجلس في الصدور تحتهم فإن ثقل عليه ذلك فهو متكبر فليواطب عليه تسكفا حتى يسقط عنه ثقله فبذلك يرايه الكبر وهم الشيطان مكيدة وهو أن يجلس في صف النعال أو يجمل بينه وبين الأقران بعض الأردال فيظن أن ذلك تواضع وهو عين الكبر فإن ذلك يخف على شوق التكبرين إذ يوهون أنهم تركوا مكانهم بالاستحقاق والتفضل فيكون قد تكبر وتكبر باظهار التواضع أيضا بل ينبغي أن يقدم أقرانه ويجلس بينهم بينهم ولايحط عنهم إلى صف النعال فذلك هو الذي يخرج خبث الكبر من الباطن . الامتحان الثالث أن يجيب دعوة الفقير ويسر إلى السوق في حاجة الرقاء والأقارب فإن ثقل ذلك عليه فهو كبر فإن هذه الأفعال من مكارم الأخلاق والثواب عليها جزيل ففوق النفس عنها ليس إلاالحب في الباطن فليشتغل بإزالته بالمواظبة عليه مع تذكر جميع ما ذكرناه من المعارف التي تزيل داء الكبر . الامتحان الرابع أن يحمل حاجة نفسه وحاجة أهله ورقاته من السوق إلى البيت فإن أبت نفسه ذلك فهو كبر أورياء فإن كان يشغل ذلك عليه خلو الطريق فهو كبر وإن كان لايشغل عليه إلامع مشاهدة الناس فهو رياء وكل ذلك من أمراض القلب وعاله الهلكة له إن لم تدارك وقد أهمل الناس طب القلوب واشتغلوا بطب الأجساد مع أن الأجساد قد كتبت عليها الموت لاهالة القلوب لا لتدرك السعادة إلا بسلامتها إذ قال تعالى - إلامن أن الله بقلوبهم - ويروي عن عبدالله بن سلام أنه حمل حزمة حطب قليل له يأباه يوسف قد كان في غلظناك وبنتك ما بكهيك قال أجل ولكن أردت أن أجرب نفسي هل تنكر ذلك فلم يقع منها بما أعطته من العزم من ترك الأثرة حتى جر بها أهي صادقة أم كاذبة وفي الخبر ومن حمل الفاكهة أو الشيء قد برى من الكبر (١) . الامتحان الخامس أن يلبس ثيابا بذلة فإن خور النفس عن ذلك في اللأ رياء وفي الخلوة كبر . وكان عمر بن عبدالعزيز رضي الله

ويستجلبه ليقوم في وقته للممود وإلا فالنوم عن القلب هو الذي يصلح للمريدين والطالبيين وبهذا وصف المحبون قبل نومهم نوم الغرق وأكلهم أكل الرضى وكلامهم ضرورة فمن تام عن غلبة بهم مجتمع متعلق بقيام الليل يوفق لقيام الليل وإنما النفس إذا أطمعت ووطئت على النوم استرسلت فيه وإذا أزهمت بصدق العزيمة لاسترسلت في الاستمرار وهذا الازعاج في النفس بصدق العزيمة

(١) حديث من حمل الشيء والفاكهة قد برى من الكبر البهيقي في الشعب من حديث أبي أمامة وضعفه بإفظ من حمل بضاعته .

عنه له مسح بلبسه بالليل وقد قل على الله عليه وسلم «من اعتقل البعير ولبس الصوف قد برى من الكبر» (١). وقال عليه الصلاة والسلام «إنما أنا عبد كل بالأرض وألبس الصوف وأعتل البعير وألق أصابعي وأجيب دعوة للملوك، فمن رغب عن سقني فليس مني» (٢). وروى أن أبا موسى الأشعري قيل له إن أنوما يتخلفون عن الجمعة بسبب ثيابهم فلبس عبادة فصل في ثيابها الناس وهذه مواضع يجمع فيها الرياء والكبر فياغتنس بالملأ فهو الرياء ، وما يكون في الخلوة فهو الكبر ، فأعرف فان من لا يعرف السر لا يتقيه ، ومن لا يدرك اللرض لا يداويه .

(بيان غاية الرضا في خلق التواضع)

اعلم أن هذا الخلق كسائر الأخلاق له طرفان وواسطة: فطرفة الذي يميل إلى الزيادة يسمى تكبرا وطرفة التي يميل إلى النقصان يسمى تخاسا ومثله ، والوسطية - تواضعا - والهمودان تواضع في غير مثله ومن غير تخاسس فان كلا طرفي الأمور ذميم. وأحب الأمور إلى الله تعالى أو ساطعها من يتقدم على أمثاله فهو متكبر ومن يتأخر عنهم فهو متواضع أي وضع شيئا من قدره الذي يستحقه والمزيد على عليه يسفوف وهذا أيضا غير محمود بل الممدود عند الله العدل ، وهو أن يعطى كل ذي حق حقه فيبذل أن تواضع على هذا لأفترانه ومن يقرب من درجته فأما تواضع للسوق بالقيام والشرق الكلام والرفق في السؤال وإجابة دعوته والسمي في حاجته وأمثال ذلك وأن لا يرى نفسه خيرا منه بل يكون على نفسه أخوف منه على غيره فلا يحقره ولا يستغفره وهو لا يعرف خاتمة أمره ، فأذن سبيله في اكتساب التواضع أن يتواضع للأقران ولمن دونهم حتى يخف عليه التواضع الممدود في محاسن العادات ليزول به الكبر عنه فان خف عليه ذلك فقد حصل له خلق التواضع وإن كان يقل عليه وهو يفعل ذلك فهو متكسب لا متواضع بل الخلق ما يصد عنه الفعل بسهولة من غير تقل ومن غير روية فان خف ذلك وصار بحيث يثقل عليه رعاية قدره حتى أحب الخلق والتخاسس فقد خرج إلى طرف النقصان ، فليعرف نفسه وأذليس للؤمن أن تذل نفسه إلى أن يعود إلى الوسط الذي هو الصراط المستقيم وذلك غاي في هذا الخلق وفي سائر الأخلاق والليل عن الوسط إلى طرف النقصان وهو الخلق أهون من الليل إلى طرف الزيادة بالتكبر أن الليل إلى طرف التبذير في اللال أحمد عند الناس من الليل إلى طرف البخل ، وقهاية التبذير ونهاية البخل مذمومان وأحدهما أخف ، وكذلك نهاية التكبر ونهاية النقص والتذلل مذمومان وأحدهما أرفع من الآخرة والممدود المطلق هو العدل ووضع الأمور مواضعها كما يجب وعلى ما يجب كما يعرف ذلك بالشرع والمادة ، ولتقتصر على هذا القدر من بيان أخلاق الكبر والتواضع .

الشرط الثاني : من الكتاب في العجب وفيه بيان ذم العجب وآفاته وبيان حقيقة العجب والإدلال وحدها وبيان علاج العجب على الجملة وبيان أقسام مابه العجب وتفصيل علاجه .

(بيان ذم العجب وآفاته)

اعلم أن العجب مذموم في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . قال الله تعالى «ويوم نحين إذ عجبتمكم كفرتمكم فلم تكن عنكم شيئا» - ذكر ذلك في معرض الإنكار وقال عز وجل - وظنوا أنهم ما نفعهم حصونهم من الله فأنامهم الله من حيث لم يحتسبوا - فرد على الكفار في إعجابهم بحصونهم وشوكتهم وقال تعالى - وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - وهذا أيضا يرجع إلى العجب بالعدل . وقد

(١) حديث من اعتقل البعير ولبس الصوف قد برى من الكبر البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة زيادة فيه وفي إسناده القاسم البعري ضيف جدا .

(٢) إنما أنا عبد كل بالأرض وألبس الصوف الحديث تقدم بعضه ولم أجد بقيته .

هو التجافي الذي قال الله تعالى - تجافي جنوبهم عن الضاحج - لأن لهم قيام الليل وصدق العزيمة يحمل بين الجنب والضاحج نبوا متجافيا وقد قيل للنفس نظران : نظر إلى تحت لاستغناء الأقسام البدنية ونظر إلى فوق لاستغناء الأقسام العلوية الروحانية . فأرباب العزيمة تجافت جنوبهم عن الضاحج لنظرهم إلى فوق إلى الأقسام العلوية الرحمانية فأعطوا النفوس حقيبا من النوم ومنعوا حاطمها فالنفس

يجب الانسان بمل هو عظمى فيه كما يجب بمل هو مصيب فيه . وقد صلى الله عليه وسلم
 ثلاث مهلكات شح مطامع وهو متبع وإعجاب للرء بنفسه (١) وقال لأبي ثعلبة حيث ذكر آخر
 هذه الأمة ، قال « إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا وإعجاب كل ذي رأى برأيه فعليك تنسك » (٢) .
 وقال ابن مسعود : الملاك في اثنين القنوط والعجب وإنما جمع بينهما لأن السعادة لاتزال إلا بالهمى
 والطلب والجد والتشمر والقنوط لا يسمى ولا يطلب والعجب بمتقد أنه قد سعد وقد ظفر بمراده فلا يسمى
 فالوجود لا يطلب والمحال لا يطلب والسعادة موجودة في اعتقاد العجب حاصلة له ومستحيلة في اعتقاد
 القنوط فن هنا جمع بينهما . وقد قال تعالى - فلا تزكوا أنفسكم - قال ابن جرير معناه إذا عملت
 خيرا فلا تقل عملت . وقال زيد بن أسلم لا تبروها أى لا تعتقدوا أنها بارة وهو من العجب ووقى طلحة
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد بنفسه فأكب عليه حتى أصيبت كفه فكأنه أعجبه فله
 العظيم إذا فده بروحه حتى جرح فخرس ذلك عمر فيه فقال ما زال يصر في طلحة تاو منذ أصيبت أسيمة
 مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) والتأو هو العجب في اللغة إلا أنه لم ينقل فيه أنه أظهره واحترق مسلما
 ولما كان وقت الشورى قال له ابن عباس أين أنت من طلحة قال ذلك رجل فيه نخوة ، فإذا كان
 لا يتخلص من العجب أمثالهم فكيف يتخلص الضعفاء إن لم يأخذوا حذرهم . وقال مطرف لأن أبيت
 نائما وأصبح نادما أحب إلى من أن أبيت قائما وأصبح مصعبا . وقال صلى الله عليه وسلم « لو لم يندبوا
 لحشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك العجب العجيب » (٤) فجعل العجب أكبر القنوط . وكان بشر بن منصور
 من الذين إذا رزوا ذكر الله تعالى والدار الآخرة تلو انظمتهم على العبادة فأطال الصلاة وماورجل خلفه ينظر
 قططن له بشر ، فلما أنصرف عن الصلاة قال له لا يجيبك ما رأيت منى فان يلبس لهنه الله فندب الله
 تعالى مع للاتكة مدة طويلة ثم صار إلى ماصار إليه . وقيل لعائشة رضى الله عنهما فيكون الرجل
 مسيئا قالت إذا ظن أنه حسن وقد قال تعالى - لا يبطلوا صدقاتكم بالبن والأذى والآن نتيجة استعظام
 الصدقة واستعظام العمل هو العجب ، فظهر بهذا أن العجب مذموم جدا .

(بيان آفة العجب)

اعلم أن آفات العجب كثيرة فان العجب يدعو إلى الكبر لأنه أحد أسبابه كأذكرناه فيتولد من العجب
 الكبر ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تحصى هذا مع الباد . وأما مع الله تعالى فالعجب يدعو إلى
 نسيان القنوط وإهمالها فينسى ذنوبه لا يذكرها ولا يتفقدنا لظنه أنه مستغن عن تفقدها فينكهاها وما
 يتذكره منها فيستغفره ولا يستعظمه فلا يجتهد في تداركه وتلافيه بل يظن أنه بغيره . وأما العبادات
 والأعمال فانه يستعظمها ويتجبح بها وعن على الله فعلها وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتحكيم فينسى
 إذا أعجب بها عمنى عن آفاتهما ومن لم يتفقد آفات الأعمال كان أكثر سعيه صانعا فان الأعمال الظاهرة
 إذا لم تكن خالصة خفية عن الشواحب قلما تنفع وإنما يتفقد من يعلب عليه الإشفاق والخوف

(١) حديث ثلاث مهلكات الحديث تقدم غير مرة (٢) حديث أبى ثعلبة إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا
 وإعجاب كل ذي رأى برأيه فعليك بنفسك أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه وقد تقدم (٣) حديث
 وقى طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكب عليه حتى أصيبت كفه البخارى من رواية قيس
 ابن أبى حازم قال رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبي صلى الله عليه وسلم (٤) حديث لو لم يندبوا لحشيت
 عليكم ما هو أكبر من ذلك العجب العجيب البزار وابن حبان في الضعفاء والبيهقى في الشعب من حديث
 أنس وفيه سلام بن أبى الصفاء قال البخارى منكر الحديث . وقال أحمد حمن الحديث ورواه
 أبو منصور الدبلى في مستند الفردوس من حديث أبى سعيد بسند ضعيف جدا .

بما فيها مركز من
 القراية والجدية ترسب
 وتستخلص وتستقل
 النوم . قال الله تعالى
 - هو الذى خلقكم من
 تراب - وللا دى بكل
 أصل من أصول خلقه
 طيبة لازمة له .
 والرسوب صفة التراب
 والكلل والتقاعد
 والتناوم بسبب ذلك
 طيبة فى الانسان ،
 فأرأب الهمة أهل العلم
 الذين حكم الله تعالى لهم
 بالعلم في قوله تعالى آمن
 هو قامت آناه الليل
 ساجدا وقائما - حتى
 قال - قل هل يستوى
 الذين يعلمون والذين
 لا يعلمون - حكم لهؤلاء
 الذين قاموا بالليل بالعلم

دون العجب والعجب يتر نفسه ورأيه وبأسن مكر الله وعذابه ويظن أنه عند الله بكان وأنه عند الله منه وحقا بأعماله التي هي نعمة من نعمه وعطية من عطائه وبخرجه العجب إلى أن يقف على نفسه وبمحدثها وبزكيا وإن أعجب رأيه وعمله وعقله من ذلك من الاستفادة ومن الاستفادة والسؤال فيسبب نفسه ورأيه ويستكشف من سؤال من هو أعلم منه وربما يجب بالرأى الخطأ الذي خطره فيفرح بكونه من خواطره ولا يفرح بخواطر غيره فيصر عليه ولا يسمع نصيح ناصح ولا وعظ واعظ بل ينظر إلى غيره بين الاستجبال ويصر على خطئه فإن كان رأيه في أمر ديني فيحقق فيه وإن كان في أمر دني لا سيما فيما يتعلق بأصول العقائد فيهلك به ولواتهم نفسه ولم يبق رأيه واستضاء بنور القرآن واستعان بلفظ الدين وروايل على مدارسة العلم وتابع سؤال أهل البصيرة لكان ذلك يوصله إلى الحق، فهذا وأمثاله من آفات العجب فلذلك كان من الهلكات ومن أعظم آفاته أن يفتري السم لظنه أنه قد فاز وأنه قد استغنى وهو الهالك الصريح الذي لا شبهة فيه . نسأل الله تعالى العظيم حسن التوفيق لطاعته .

(بيان حقيقة العجب والإدلال وحدهما)

اعلم أن العجب إنما يكون بوصف هو كالأحالة وللعالم كمال نفسه في علم وعمل ومال وغيره جالنا : إحداهما أن يكون خائفا على زواله ومشفقا على تذكره أو سلبه من أصله فهذا ليس بمعجب والأخرى أن لا يكون خائفا من زواله لكن يكون فرحا به من حيث إنه نعمة من الله تعالى عليه لا من حيث إضافته إلى نفسه وهذا أيضا ليس بمعجب وله حالة ثالثة هي العجب وهي أن يكون غير خائف عليه بل يكون فرحا به مطمئنا إليه ويكون فرحه به من حيث إنه كمال ونعمة وخير ورفعة لا من حيث إنه عطية من الله تعالى ونعمة منه فيكون فرحه به من حيث إنه صفته ومنسوب إليه بأنه له لا من حيث إنه منسوب إلى الله تعالى بأنه منه فهما غلب على قلبه أنه نعمة من الله مهما شاء سلها عنه زال العجب بذلك عن نفسه فاذن العجب هو استعظام النعمة والركون إليها مع أنسيان إضافتها إلى النعم فإن انضاف إلى ذلك أن غلب على نفسه أن له عند الله حقا وأنه منه بكان حتى يتوقع بعمله كرامة في الدنيا واستبعد أن يجري عليه مكروه استبعادا يزيد على استبعاده ما يجري على الفاسق سمى هذا إدلالا بالعمل فسكانه يرى لنفسه على الله دالة وكذلك قد يعطى غيره شيئا فيستعظمه وعن عليه فيكون معجبا فإن استخدمه أو اقترح عليه الاقتراحات أو استبعد تخلفه عن قضاء حقوقه كان مدلا عليه وقال قتادة في قوله تعالى - ولا تغن تستكبر - أي لا تدل بعملك وفي الخبر « إن صلاة اللد لا ترفع فوق رأسه ولأن تضحك وأنت متفرق بذنبك خير من أن تبكي وأنت مدل بعملك » (١) والإدلال وراء العجب فلا مدل وهو معجب ورب معجب لا يدل إذ العجب يصل بالاستعظام ونسيان النعمة دون توقع جزاء عليه والإدلال لا يتم إلا مع توقع جزاء فإن توقع إجابة دعوتك واستكبر دها يباطنه وتجب منه كان مدلا بعمله لأنه لا يتعجب من رد دعاء الفاسق ويتعجب من رد دعاء نفسه لذلك فهذا هو العجب والإدلال وهو من مقدمات الكبر وأسبابه ، والله تعالى أعلم .

(بيان علاج العجب على الجملة)

اعلم أن علاج كل علة هو مقابلة سببها بشفه وعلو العجب الجهل الجهل فضلنا العلة للضادة لذلك الجهل فقط فلنفرض العجب بفعل داخل تحت اختيار المبدأ للعبادة والصداقة والتزو وسياية الخلق وإصلاحهم فإن العجب بهذا أغلب من العجب بالجمال والقوة والنسب وما لا يدخل تحت اختياره ولا يراه من شفه فنقول : الورع التقوى والعبادة والعمل الذي به يجب إنما يجب به من حيث إنه فيه (١) حديث إن صلاة اللد لا ترفع فوق رأسه الحديث لم أجده أصلا .

فهم لموضع عليهم
أزججوا النفوس عن
مقار طبيعتها وروقها
بالنظر إلى الذات
الروحانية إلى ذرا
حقيقتها فتجافت
جنوبهم عن الضائع
وخرجوا من صفة
الذات المراجع . ومن
ذلك أن يغيب العادة
فإن كان ذا وسادة
يترك الوسادة وإن
كان ذا وطاء يترك
الوطاء وقد كان يستعظم
يقول لأن أرى في يدي
شيطانا أحب إلى من
أن أرى وسادة فانها
تدعوني إلى النوم
وتنشير العادة في
الوسادة والنطاء

فهو محله وبجراه أو من حيث إنه منه وبسببه وبقدرته وقوته فإن كان يعجب به من حيث إنه فهو هو محله وبجراه يجري فيه وعليه من جهة غيره فهذا جهل لأن المحل مسخر وجري لا يدخله في الإيجاد والتحصيل فكيف يعجب بما ليس إليه وإن كان يعجب به من حيث إنه هو منه وإليه وباختياره حصل وبقدرته ثم فينبغي أن تأمل في قدرته وإرادته وأعضائه وسائر الأسباب التي بها يتم عملها بها من أين كانت له فإن كان جميع ذلك نعمة من الله عليه من غير حق سبق له ومن غير وسيلة يدلي بها فينبغي أن يكون إعجابه بعبود الله وكرمه وفضله إذ أفاض عليه ما لا يستحق وآثره به على غيره من غير سابقة ووسيلة فهما برز الملك للعلماء ونظر إليهم وخلع من جملتهم على واحد منهم لالصفة فيه والوسيلة ولا لجمال ولا لخدمة فينبغي أن تعجب للتم عليه من فضل الملك وحكمه وإثارة من غير استحقاق وإعجابه بنفسه من أين وما سببه ولا ينبغي أن يعجب هو بنفسه ، ثم يجوز أن يعجب البديق للملك حكم عدل بالانظم ولا يقدم ولا يؤخر إلا للسبب فلو أنه تنطق في صفة من الصفات المهدومة بالباطل لما انتفى الاشارة بالعلمة ولما آثرني بها فيقال وتلك الصفة أيضا هي من خلعة الملك وعطيته التي خصصك بها من غيرك من غير وسيلة أو هي عطية غيره فإن كانت من عطية الملك أيضا لم يكن لك أن تعجب به بل كان لو أعطاك فرسا فلم تعجب به فأعطاك غلاما فصرت تعجب به وتقول إنما أعطاني غلاما لأن صاحب فرس فأما غيره فلا فرس له فيقال وهو الذي أعطاك الفرس فلا فرق بين أن يعطيك الفرس والغلام معا أو يعطيك أحدهما بعد الآخر فإذا كان الكل منه فينبغي أن يعجبك جوده وفضله لا نفسك وأما إن كانت تلك الصفة من غيره فلا يعد أن تعجب بتلك الصفة وهذا يتصور في حق اللوك ولا يتصور في حق الجبار القاهر ملك اللوك اللغرد باختراع الجميع اللغرد بإيجاد الوصف والصفة فانك إنما أعجبت بعبادتك وقلت وقتي للعبادة لحي له فيقال ومن خالق الحب في قلبك فتقول هو فيقال فالحب والعبادة كلاهما نعمتان من عنده ابتدأك بهما من غير استحقاق من جهتك إذ لا وسيلة لك ولا علاقة فيكون الإعجاب بعبوده إذ أنهم بوجودك ووجود صفاتك ووجود أعمالك وأسباب أعمالك إذا لامني لعجب العابد بعبادته وحجب العالم بملءه وحجب الجليل بجماله وحجب النبي ببناءه لأن كل ذلك من فضل الله وإنما هو محل لقبض فضل الله تعالى وجوده والمحل أيضا من فضله وجوده . فان قلت : لا يمكن أن أجعل أعمالي وآتي أمانتها فاني أنتظر عليها ثوابا ولو لا أنها عمل لما انتظرت ثوابا فان كانت الأعمال مخلوقة لله على سبيل الاختراع فمن أين لي الثواب وإن كانت الأعمال متى وبقدرتي فكيف لا أعجب بها . فأعلم أن جوابك من وجهين : أحدهما هو صريح الحق والآخر فيه مسامحة . أما صريح الحق فهو أنك وقدرتك وإرادتك وحركتك وجميع ذلك من خلق الله واختراعه لما عملت إذ عملت وما صليت إذ صليت وما رميت إذ رميت ولكن الله رعى فهذا هو الحق الذي انكشف لأرباب القلوب بمشاهدة أوضح من إبطار العين بل خلقك وخلق أعضائك وخلق فيها القوة والقدرة والصحة وخلق لك العقل والملم وخلق لك الإرادة ولو أردت أن تنفي شيئا من هذا عن نفسك لم تقدر عليه ثم خلق الحركات في أعضائك مستبدا باختراعها من غير مشاركة من جهتك معه في الاختراع إلا أنه خلقه على ترتيب فلم يخلق الحركة مالم يخلق في العضو قوة وفي القلب إرادة ولم يخلق إرادة مالم يخلق علما بالمراد ولم يخلق علما مالم يخلق القلب الذي هو محل العلم قدره في الخلق شيئا يهديه هو الذي خيل لك أنك أوجدت مملك وقد غلطت ، وإيضاح ذلك وكيفية الثواب على عمل هو من خلق الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم فإنه أليق به فارجع إليه ، ونحن الآن نزيل إشكالك بالجواب الثاني الذي فيه مسامحة ما وهو أن تعجب أن العمل حصل بقدرتك فمن أين قدرتك ولا يتصور العمل إلا بوجودك

والوطاء تأخير في ذلك
ومن ترك شيئا من
ذلك والله عالم بنيه
وعزيمته يشبه على ذلك
بتيسير مرام ومن ذلك
خفة للعدة من الطعام
ثم تناول ما يأكل من
الطعام إذا اقترن بذكر
الله وبقطة الباطن
أعان على قيام الليل
لأن بالذكر ينهب
داؤه فان وجد للطعام
تفلا على المدة فينبغي
أن يعلم أن قله على
القلب أكثر فلا ينم
حق يذب الطعام
بالذكر والتلاوة
والاستغفار قال بعضهم
لأن أنقص من عشائي
لعمه أحب إلي من

ووجود عملك وإرادتك وقدرتك وسائر أسباب عملك وكل ذلك من الله تعالى لئلا يفتخر الإنسان بالقدرة فالتقديرة مفتاحه وهذا المفتاح بيد الله ومهما لم يعطك المفتاح فلا يمكنك العمل فالعبادات خزائن بها يتوصل إلى السعادات ومفاتيحها القدرة والإرادة والعلم وهي يد الله لئلا يفتخر الإنسان بالدنيا مجموعة في قلعة حصينة ومفتاحها بيد خازن ولو جلست على بابها وحول حيطانها أقفست لم يمكنك أن تنظر إلى دينار مما فيها ولو أعطاك المفتاح لأخذته من قريب بأن تبسط يدك إليه فتأخذه فقط فإذا أعطاك الخازن المفتاح وسلطك عليها ومكنك منها فهدت يدك وأخذتها كان إعجابك بإعطائه الخازن المفتاح أو بما إليك من مد اليد وأخذها فلا تشك في أنك ترى ذلك نعمة من الخازن لأن القوة في تحريك اليد بأخذ المال قريبة وإنما الشأن كله في تسليم المفتاح فكذلك مهمل خلقت القدرة وسلطت الإرادة الجازمة وحركت البدن والعواشي والبواعث وصرفت عنك اللواتع والصوراف حتى لم يبق صارف إلا دفع ولا باعث إلا وكل بك فالعمل حين عليك وتحريك البواعث وصرفت العواشي ونهيت الأسباب كلها من الله ليس شيء منها إليك فمن العجايب أن تعجب بنفسك ولا تعجب بمن إليه الأمر كله ولا تعجب بمجوده وفضله وكرمه في إشارته إليك على الفساق من عباده إذ سلط بدواعي الفساد على الفساق وصرفها عنك وسلط أعداء السوء ودعاة الشر عليهم وصرفهم عنك ومكنهم من أسباب الشهوات واللذات وزواها عنك وصرف عنهم بواعث الخير ودواعيها وسلطها عليك حتى تيسر لك الخير وتيسر لهم الشر فعل ذلك كله بك من غير وسيلة سابقة منك ولا جرة سابقة من الفاسق العاصي بل آثر لك وقدمك واسطفاك بغضه وأبعد العاصي وأغفاه بدمه لئلا يعجب إعجابك بنفسك إذا عرفت ذلك فأذن لاتصرف قدرتك إلى اللقدور لا بتسلط الله عليك داعية لا بتجديس لئلا يحالها على مخالفتها فكأنه الذي اضطرك إلى الفعل إن كنت فاعلا تحقيقا فله الشكر والثناء ولا شك في كتاب التوحيد والتوكل من بيان تسلسل الأسباب والسميات ما تستبين به أنه لا فاعل إلا الله ولا خالق سواه والعجب ممن يتعجب إذا رزقه الله عقلا وأقره عن أفاض عليه المال من غير علم فيقول كيف منعتني قوت يوتي وأنا المائل المائل وأفاض على هذا نعيم الدنيا وهو المائل الجاهل حتى يكاد يرى هذا ظنا ولا يدري للفرور أنه لو جمع له بين العقل والمال جميعا لكان ذلك بالظلم أشبه في ظاهر الحال إذ يقول الجاهل الفقير يارب لم جمعت له بين العقل والنبي وحرمتني منها فإني لا أجمعتهما إلى أو هلا رزقتني أحدهما وإلى هذا أشار على رضى الله عنه حيث قيل له ما بال العلاء قراءا فقال إن عقل الرجل محسوب عليه من رزقه والعجب أن المائل الفقير ربما يرى الجاهل الذي أحسن حالا من نفسه ولو قيل له هل تؤثر جملة وغناه عوضا عن عقلك وقدرتك لامتنع عنه فأذن ذلك يدل على أن نعمة الله عليه أكبر فلم يتعجب من ذلك والراءة الحسنة الفقيرة ترى الحلى والجواهر على الدمية الشيعة فتعجب وتقول كيف يحرم مثل هذا الجمال من الزينة ويخص مثل ذلك التبع ولا يدري للفرور أن الجمال محسوب عليها من رزقها وأنها لو خيرت بين الجمال وبين التبع مع الفنى لآثرت الجمال فأذن نعمة الله عليها أكبر وقول الحكميم الفقير المائل بقله يارب لم حرمتني الدنيا وأعطيتها الجاهل كقول من أعطاه الملك فرسا فيقول أيتها الملك لم لاتعطيني الغلام وأنا صاحب فرس فيقول كنت لاتعجب من هذا لو لم أعطك الفرس فبئ آتى ما أعطيتك فرسا أصارت نعمتي عليك وسيلة لك وحببة تطلب بها نعمة أخرى ؟ فهذه أو هام لاتخلو الجاهل عنها ومنشأ جميع ذلك الجهل وزوال ذلك بالعلم الحق بأن البديع وعمله وأوصافه كل ذلك من عند الله تعالى نعمة ابتداء بها قبل الاستحقاق وهذا ينبي العجب والإدلال وبورث الخضوع والشكر والخوف من زوال النعمة ومن عرف هذا لم يتصور أن يجب

أن أقوم ليله والأحوط أن يوتر قبل النوم فإنه لا يدري ماذا يحدث ويسد طوره وسواكه عنده ولا يدخل النوم إلا وهو على الطهارة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا نام البديع وهو على الطهارة عرج بروحه إلى العرش فكانت رؤياه صادقة وإن لم ينم على الطهارة فصررت روحه عن البلوغ فتكون المنامات أضغاث أحلام لا تصدق » والريد للتأهل إذا نام في الفراش مع الزوجة ينتفض وضوءه باللسس ولا يفته بذلك فائدة

بعله وعمله إذ يعلم أن ذلك من الله تعالى ولذلك قال داود عليه السلام يارب مأتى ليله إلا وإنسان من آل داود قائم ولا يأتى يوم إلا وإنسان من آل داود صائم . وفي رواية ما تكرر ساعته من ليل أو نهار إلا وعابد من آل داود يبدك ما يصيل وإما يصوم وإما يذكرك فأوحى الله تعالى إليهما داود من أين لهم ذلك إن ذلك لم يكن إلا من ليل ولا وعادى إليك ما قويت وسألك إلى نفسك . قال ابن عباس : إنما أصاب داود ما أصاب من القنب يصيبه بعله إذ أضافه إلى آل داود مدلاه حتى وكل إلى نفسه فأذنب ذنبا أورثه الحزن والندم . وقال داود : يارب إن بنى إسرائيل يسألونك إبراهيم وإسحق ويعقوب فقال إني ابتليتهم فصبروا فقال يارب وأنا إن ابتليتني صبرت فأذل بالصل قبل وقته فقال الله تعالى فاني لم أخبرهم بأى شيء ابتليهم ولا فى أى شهر ولا فى أى يوم وأخبرني في سنتك هذه وشهرتك هذا ابتليك غدا بإسراء فاحزن نفسك فوقع فيا وقع فيه وكذلك لما اتكل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين على قوتهم وكثرتهم ونسوا فضل الله تعالى عليهم وقالوا لانتلب اليوم من قلة (١) وكلاهما إلى أنفسهم فقال تعالى - ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تخن عنكم شيئا وضاعت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين - . روى ابن عيينة أن أيوب عليه السلام قال إلهي إنك ابتليتني بهذا البلاء وما ورد على أمر إلا آثرت هواك على هواي فنودي من غمامة بعشرة آلاف صوت يا أيوب أتى لك ذلك أمى من أين لك ذلك ؟ قال فأخذ رمادا ووضع على رأسه وقال منك يارب منك يارب فرجع من نسيانه إلى إضافة ذلك إلى الله تعالى ولهذا قال الله تعالى - ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما كنا منكمن من أحد أبدا - وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه وهم خير الناس «ما منكم من أحد ينجي عمله قالوا ولأنت يا رسول الله ؟ قال ولا أنا إلا أن يتخمدني الله برحمته (٢) » ولقد كان أصحابه من بعده يمتنون أن يكونوا ترابا وتينا وطيرا مع صفاء أعمالهم وقلوبهم فكيف يكون لدى بصيرة أن يجب بعله أو يدل به ولا يخاف على نفسه فاذن هذا هو العلاج القامع لمادة العجب من القلب ومهما غلب ذلك على القلب شمله خوف سلب هذه النعمة عن الانحجاب بها بل هو ينظر إلى الكفار والفساق وقد سلبوا نعمة الإيمان والطاعة بنير ذنب أذنوبه من قبل فيخاف من ذلك فيقول إن لا يأتى أن يجر من غير جناية ويعطى من غير وسيلة لا يأتى أن يعود ويسترجع ما وهب فك من مؤمن قد ارتد - ومطيع قد فسق وختم له بسوء وهذا لا يبق معه عجب بحال ، والله تعالى أعلم .

(بيان أقسام مابه العجب وتفصيل علاجه)

اعلم أن العجب بالأصناف التي بها يتكبر كما ذكرناه وقد يجب بما لا يتكبره كعجبه بالرائى الخطأ الذى يزين له بجعله فإبه العجب بحمانية أقسام : الأول أن يجب يدينه في جهالته وهيبته ومجته وقوته وتائب أشكاله وحسن صورته وحسن صوته وبالجملة تفصيل خلقته فلفتت إلى جمال نفسه ويبنى أنه نعمة من الله تعالى وهو بمرضة الزوال في كل حال وعلاجه ما ذكرناه في السكر بالجمال وهو التفكير في أقدار باطنه وفي أول أمره وفي آخره وفي الوجوه الجليلة والأبدان الناعمة أنها كيف تمزقت في التراب وأنتفت في القبور حتى استقرتها الطباع . الثاني : البطش والقوة كما حكى عن قوم عاد

- (١) حديث قولهم يوم حنين لانتلب اليوم من قلة البقي في دلائل النبوة من رواية الربيع بن أنس مرسل أن رجلا قال يوم حنين لن تلعب اليوم من قلة فسق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأزال الله عز وجل - ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم - ولابن مردويه في تفسيره من حديث أنس لما اتقوا يوم حنين أعجبتهم كثرتهم قالوا اليوم قتال ففروا ، فيه الفرع بين فضلة صفته الجمهور (٢) حديث ما منكم من أحد ينجي عمله الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة .

النوم على الطهارة مالم
يترسل في الشفاذ
النفس باللس ولا يدم
بقطة القلب فأما إذا
استرسل في الالتذاذ
وغفل فتجب الروح
أيضا مكان صلاته
ومن الطهارة التي تشر
صدق الرؤيا طهارة
الباطن عن خدش
الهوى وكدورة عجة
البدن والتزوء عن
أنجاس الغل والحقد
والحدود وقد ورد «من
أوى إلى فراشه لا ينوى
ظلم أحد ولا يعتقد على
أحد غفلة ما جاترم»
وإذا طهرت النفس
عن الرذائل انجلت
مرآة القلب وقابل

حين قالوا فيما أخبر الله عنهم - من أشد منا قوة - وكما استكمل عوج على قوته وأعجب بها فانتزع جبلا
ليطبقه على عسكر موسى عليه السلام فكتب الله تعالى تلك القطعة من الجبل بقرعه هدمضيف للفتار
حتى صارت في عنقه وقد يتكل المؤمن أيضا على قوته كما روى عن سلمان عليه السلام أنه قال: لأطوفن
الليلة على مائة امرأة ولم يقل إن شاء الله تعالى لحرم ما أراد من الولد^(١) وكذلك قوله داود عليه السلام
إن ابتائني صبرت وكان إحميا منه بالقوة فلما ابتلى بالمرأة لم يصبر ويورث العجب بالقوة الهجوم في
الحروب وإلقاء النفس في التهلكة والبادرة إلى الضرب والقتل لكل من قصد بالسوء وعلاجه
ما ذكرناه وهو أن يعلم أن حمى يوم تضعف قوته وأنه إذا أعجب بها ربما جلبها الله تعالى بأذى آفة
يسلبها عليه . الثالث : العجب بالعقل والكياسة والتفطن لدقائق الأمور من مصالح الدين والدنيا ومخرجه
الاستبعاد بالرأى وترك الشورى واستجهال الناس الخالفين له ولرأيه ويخرج إلى فقه الإسفاد إلى أهل
العلم إغراما عنهم بالاستغناء بالرأى والعقل واستعقار لهم وإهانة وعلاجه أن يشكر الله تعالى على
ما رزق من العقل ويفكر أنه بأذى مرض يصيب دماغه كيف يوسوس ويغن حيث يضحك منه
فلما من أن يسلب عقله إن أعجب به ولم يقل بشكره وليس تقصر عقله وعلم أنه ما لوفى من
العلم إلا قليلا وإن اتسع علمه وأن ما جهله مما عرفة الناس أكثر مما عرفة فكيف بعالم عرفة الناس
من علم الله تعالى وأن يتهم عقله وينظر إلى الحق كيف يسجون بمقولهم ويضحك الناس منهم فيحذر
أن يكون منهم وهو لا يدري فإن القاصر العقل قط لا يملك قصور عقله فينبى أن يعرف مقدار عقله
من غيره لامن نفسه ومن أعدائه لامن أصدقائه فإن من يدانته ينش عليه فيزيده عجباً وهو لا يظن
بنفسه إلا الخير ولا يظن ليلهم نفسه فيزداد به عجباً . الرابع : العجب بالنسب الشريف كعجب الهاشمية
حق يظن بعضهم أنه ينحدر بشرف نسب ونجاة آباءه وأنه مغفور له وبخيل بعضهم أن جميع الحق
له موال وعبيد وعلاجه أن يعلم أنه مهما خالف آباءه في أفعالهم وأخلاقهم وظن أنه ملحق بهم فقد
جهل وإن اقتدى بآبائه فما كان من أخلاقهم العجب بل الخوف والإزراء على النفس واستعظام الحق
ومدانة النفس ولقد شرفوا بالطاعة والعلم والحاصل الحميدة لا بالنسب فليتشرف بما شرفوا به وقد
ساوهم في النسب وشاركهم في القبائل من لم يؤمن بالله واليوم الآخر وكانوا عند الله شرار من الكلاب
وأخس من الخنازير ولذلك قال تعالى - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى - أى لا غاوت في أنسابكم
لا جعاعكم في أصل واحد ثم ذكر فائدة النسب فقال - وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا - ثم إن أن الشرف
بالتقوى لا بالنسب فقال - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - ولما نبأ رسول الله ﷺ من أكرم الناس من
أكيس الناس لم يقل من ينشئ إلى نسي ولكن قال أكرمهم أكثرهم للوثة ذكر أو أكرمهم له استعدادا^(٢)
وإنما نزلت هذه الآية حين أذن بلال يوم الفتح على الكعبة فقال الحارث بن هشام وسيل بن عمرو
وخالد بن أسيد هذا العبد الأسود يؤذن قال تعالى - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - وقال النبي
صل الله عليه وسلم «إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية أى كبرها كلهم بنو آدم وادم من رباب^(٣)»

الوحي المفوظ في النوم
وانتفتح فيه عجائب
النسب وغرائب الأبناء
ففي الصديقين من
يكون في منامه مكالمة
ومحادثة فيأمره الله
تعالى وينهاه ويغفبه
في المنام ويصرفه
ويكون موضع ما ينتفع
له في نومه من الأمر
والنهي كالأمر والنهي
الظاهر يسمى الله تعالى
إن أدخل بهما بل
تكون هذه الأوامر
أكدا وأعظم وقصا لأن
الخالفات الظاهرة
تحموها النسب
والثاني من الأدب
كم لا ذنب له وهذه
أوامر خاصة تملق بحاله

- (١) حديث قال سلمان لأطوفن الليلة بمائة امرأة الحديث البخاري من حديث أبي هريرة
- (٢) حديث لما قيل له من أكرم الناس من أكيس الناس قال أكرمهم للوثة ذكرنا الحديث
- ابن ماجه من حديث ابن عمر دون قوله وأكرم الناس وهو بهذه الزيادة عند ابن أبي الدنيا في
- ذكر الوثة آخر الكتاب (٣) حديث إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية الحديث أبو داود
- والترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة ورواه الترمذي أيضا من حديث ابن عمر وقال غريب .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم « يا معشر قريش لا تأتي الناس بالأعمال يوم القيامة وتأتون بالدينار تعملونها على رقابكم تقولون يا محمد يا محمد فأقول هكذا أي أعرض عنكم ^(١) » فبين أنهم إن مالوا إلى الدنيا لم ينفعهم نسب قريش « ولما نزل قوله تعالى - وأندر عشيرتك الأقرين - ناداهم بطنا بعد بطن حتى قال يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم اصملا لأفسيك فإني لأغني عنكما من الله شيئا ^(٢) » فمن عرف هذه الأمور وعلم أن شرفه بقدر تقواه وقد كان من عادة آباءه التواضع اتقى بهم في التقوى والتواضع وإلا كان طاعنا في نسب نفسه بلسان حاله «هما اتسمى إليهم ولم يشبههم في التواضع والتقوى والخوف والإشفاق . فان قلت فقد قال صلى الله عليه وسلم بعد قوله لفاطمة وصفية « إني لأغني عنكما من الله شيئا إلا أن لك رحما سألها يلاها ^(٣) » وقال عليه الصلاة والسلام « أرجو سليم شفاعتي ولا يرجوها بنو عبد المطلب ^(٤) » فذلك يدل على أنه سيخص قرائته بالشفاعة . فاعلم أن كل مسلم فهو منتظر شفاعته رسول الله صلى الله عليه وسلم والنسب أيضا جدير بأن يرجوها لكن بشرط أن يتق الله أن يضرب عليه فإنه إن يضرب عليه فلا يأذن لأحد في شفاعته لأن القنوب منقسمة إلى ما يوجب القتل فلا يؤذن في الشفاعة وإلى ما يباح عنه بسبب الشفاعة كالقنوب عند ملوك الدنيا فإن كل ذي مكانة عند الملك لا يقدر على الشفاعة فيها اشتد عليه غضب الملك فمن القنوب ملا تتجى منه الشفاعة وعنه العبارة بقوله تعالى - ولا يشفعون إلا لمن أراضى - وبقوله - من ذا الذي يشفع عنده إلا بأذنه - وبقوله - ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له - وبقوله - فما تنفعهم شفاعتنا الشافعين - وإذا انقسمت القنوب إلى ما يشفع فيه وإلى ما لا يشفع فيه وجب الخوف والإنشاق لعمالة ولو كان ذنب تقبل فيه الشفاعة لم الأمر قريشا بالشفاعة ولما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة رضي الله عنها عن اللصية ولكن يأذن لها في اتباع الشبوات لتكمل لذاتها في الدنيا ثم يشفع لها في الآخرة لتكمل لذاتها في الآخرة فاللهما في القنوب وترك التقوى اتسكلا على رجاء الشفاعة يضاهي إهمالك الرعش في شجواته أعبادا على طبيب حاذق قريب مشفق من أب أو أخ أو غيره وذلك جهل لأن سعى الطبيب ومهنته وحذنه تنفع في إزالة بعض الأمراض لا في كلها فلا يجوز ترك الحجة مطلقا أعبادا على مجرد الطب بل للطبيب أثر في الجملة ولكن في الأمراض الخفيفة وعند غلبة اعتدال للزجاج فهكذا ينبغي أن تفهم عبارة الشفاء من الأنبياء والصالحين للأقارب والأجانب فإنه كذلك قطعا وذلك لازيل الخوف والحذر وكيف يزيل وخير الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وقد كانوا يتمنون أن يكونوا بها من خوف الآخرة مع كمال ثنوا وحسن أعمالهم وصفاء قلوبهم وما سمعوه من وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بإمام بالجنة خاصة وسائر المسلمين بالشفاعة عامة ولم يتكلموا عليه ولم يفرق الخوف والخشوع قلوبهم ،

(١) حديث يامعشر قريش لا تأتي الناس بالأعمال يوم القيامة وتأتون بالدينار تعملونها على رقابكم الحديث الطبراني من حديث عمران بن حصين إلا أنه قال يامعشر بني هاشم وسند ضعيف (٢) حديث لما نزل قوله تعالى - وأندر عشيرتك الأقرين - ناداهم بطنا بعد بطن حتى قال يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة ورواه مسلم من حديث عائشة (٣) حديث قوله بعد قوله للحداد لفاطمة وصفية ألا إن لك رحما سألها يلاها مسلم من حديث أبي هريرة بلطف غير أن لك رحما سألها يلاها (٤) حديث أرجو سليم شفاعتي ولا ترجوها بنو عبد المطلب الطبراني في الأوسط من حديث عبد الله بن جعفر وفيه أصبر من حوشب عن إسحاق ابن واصل وكلاما ضئيف جدا .

فيا بينه وبين الله تعالى
فاذا أدخل بها غشى
أن ينقطع عليه طريق
الإرادة ويكون في
ذلك الرجوع عن الله
واستيجاب مقام القتل
فإن ابتلى العبد في بعض
الأحيان بكسل وقصور
عزيمة يمنع من تجديد
الطهارة عند التوب بعد
الحدث يمسح أعضائه
بالماء مسحاً يخرج
بهذا القدر عن زمرة
النافلين حيث تقاعد
عن فصل التيقظين
وهكذا إذا كسل عن
القيام عقب الأتباء
يجتهد أن يستاك
ويمسح أعضائه بالماء
مسحاً حتى يخرج في

فكيف يجب بنفسه ويشكل على الشفاعة من ليس له مثل محبتهم وسابقتهم . الخامس : العجب بنسب السلاطين الظلة وأعوانهم دون نسب الدين والعلم ، وهذا غاية الجهول وعلاجه أن يتفكر في محازبهم وما جرى لهم من الظلم على عباد الله والفساد في دين الله وأنهم المقوتون عند الله تعالى ولو نظر إلى صورهم في النار وأناتهم وأقدارهم لاستكف منهم ولترأى من الانتساب إليهم ولأنكر على من نسب إليهم استغفاروا واستحقاروا لهم ولو انكشف له ذلك في القيامة وقد تماق الحصباء بهم وللانكسار آخذون بنواصيرهم يحرونهم على وجوههم إلى جهنم في مظالم العباد لتبرأ إلى الله منهم ولكن انتسابه إلى السكك والخزير أحب إليه من الانتساب إليهم حتى أولاد الظلة إن عصمهم الله من ظلمهم أن يشكروا الله تعالى على سلامة دينهم ويستغفروا آباءهم إن كانوا مسلمين ، فأما العجب بنسب الجهل بعض : السادس : العجب بكثرة العدد من الأولاد والحكم والصلان والمشيئة والأقارب والأضار والأيتام كما قال الكفار - نحن أكثر أموالاً وأولاداً - وكما قال المؤمنون يوم حين لا تنقلب اليوم من قلة وعلاجه ما ذكرناه في الكبر وهو أن يتفكر في ضعفه وضعفه وأن كلهم عبيد محجزة لا يعلكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً . و - كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله - ثم كيف يجب بهم وأنهم سيفترقون عنه إذا مات فيدفن في قبره ذليلاً مهيناً وحده لا يرافقه أهل ولا ولد ولا قريب ولا حميم ولا شعيير فيسلونهم إلى البلى والحليات والقنابر والديدان ولا يفتنون عنه شيئاً وهو في أوج أوقاته إليهم وكذلك يهربون منه يوم القيامة - يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه - الآية ، فأى خير فيمن يفارقك في أشد أحوالك ويهرب منك وكيف تعجب به ولا ينفك في القبر والقيامة وعلى الصراط إلا عملك وفعل الله تعالى فكيف تتكلم على من لا ينفك، وتنتسب نعم من يملك نعمك وضرك وموتك وحياتك . السابع : العجب بالمال كما قال تعالى إخباراً عن صاحب الجنتين إذ قال - أنا أكثر منك مالاً وأعز نقراً - « ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً غنياً جلس بجنبه فقير فاقبض عنه وجمع ثيابه فقال عليه السلام : أخشيت أن يمدو إليك قفرك » (١) وذلك للعجب بالنقى وعلاجه أن يتفكر في آفات المال وكثرة حقوقه وعظم غوائله وينظر إلى فضيلة الفقراء وسبقهم إلى الجنة في القيامة وإلى أن المال غاد ورأى ولا أصل له وإلى أن في اليهود من يزيد عليه في المال وإلى قوله عليه الصلاة والسلام « بينا رجل يتختر في حقله قد أعجبت نفسه إذ أمر الله الأرض فأخذته فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة » (٢) « أشار به إلى عقوبة إعجابها بماله ونفسه، وقال أبوذر « كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فقال لي يا أباذر ذر أرفع رأسك فرفعت رأسي فإذا رجل عليه ثياب جياذ ثم قال أرفع رأسك فرفعت رأسي فإذا رجل عليه ثياب خلة فقال لي يا أباذر هذا عند الله خير من قراب الأرض مثل هذا » (٣) « وجميع ما ذكرناه في كتاب الزهد وكتاب فم الدنيا وكتاب ذم المال بين حقارة الأغنياء وشرف الفقراء عند الله تعالى فكيف يصور من المؤمنين أن يجب بثروتهم بل لا يغلو المؤمنين عن خوف من تقصيره في القيام بحقوق المال في أخذه من حله ووضع في حقه ومن لا يفي ذلك فقصيره إلى الحزى والبوار فكيف يجب بماله . الثامن : العجب بالرأى الخطأ . قال تعالى - أقم زين له سوء عمله فآه حسناً - وقال تعالى - وهم يحسبون أنهم

تقلبته وانتباهاته عن زمرة المنافقين في ذلك فضل كثير لمن كثرت نومه وقيل قيامه . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستاك في كل ليلة مراراً عند كل نوم وعند الانتباه منه ويستقبل القبلة في نومه وهو على نوعين فأما على جنبه الأيمن كاللحدود وإما على ظهره مستقبلاً للقبلة كالبيت السجى ويقول بأصم اللهم وضعت جنسي وبك أرفعه اللهم إن أمسكت نفسي فأغفر لها وارحمها وإن أزلتها فأحفظها بما

(١) حديث رأى النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً غنياً جلس بجنبه فقير فاقبض منه الحديث ورواه أحمد في الزهد (٢) حديث بينا رجل في حلة قد أعجبت نفسه الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٣) حديث أبي ذر كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فقال لي يا أباذر أرفع رأسك فرفعت رأسي الحديث وفيه هذا عند الله خير من قراب الأرض مثل هذا إن جان في صحيحه .

يخسرون صنما - وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ذلك يخلب على آخر هذه الأمة (١) وبذلك هلكت الأم السالفة إذا تفرقت فرقا ففعل معجب برأيه وكل حزب بما لديهم فرحون ، وجميع أهل البدع والضلال إنما أسروا عليها لجهنم بأرائهم والسبب بالبدعة هو استعسان ما يسوق إليه المعوى والكسوة مع ظن كونه حقا ، وعلاج هذا السبب أشد من علاج غيره لأن صاحب الرأى الخطأ جاهل بحسبك ولوعرفه لتركه ولا يبالغ الداء الذى لا يعرف والجهل داء لا يعرف فتمسر مداواته جدا لأن المعارف يشترط على أن يبين للجاهل جهله ويزيله عنه لا إذا كان معجبا برأيه ووجهه فان لا يصفى إلى المعارف ويوجهه قد سلط الله عليه بيلة تهلكه وهو يظنها نعمة فكيف يمكن علاجه وكيف يطلب الحرب مما هو سبب سعادته فى اعتقاده وإنما علاجه على الجملة أن يكون منها لرأيه أبدا لا يقتربه إلا أن يسهده له قاطع من كتاب أوسنة أو دليل على صحيح جامع لشروط الأدلة ولن يعرف الإنسان أدلة الشرع والعقل وشروطها ومكان التلطفها إلا بقرينة تامة وعقل ثابت وجد وتشمير فى الطلب وممارسة للكتاب والسنة ومجالسة لأهل العلم طول العمر ومداينة للعلوم ومع ذلك فلا يؤمن عليه التلطف ببعض الأمور والصواب لمن لم يتفرغ لاسترقاق عمره فى العلم أن لا يخوض فى اللذاهب ولا يصنى إلى الوالاهب معها ولكن يعتقد أن الله تعالى واحد لا شريك له وأنه - ليس كمثل شئ - وهو السميع البصير - وأن رسوله صادق فيما أخبره ويتبع سنة السلف ويؤمن بجملة ما جاء به الكتاب والسنة من غير بحث وتقرير وسؤال عن تفصيل بل يقول آمنا وصدقنا بشتى التقوى واجتناب الماصى وأداء الطاعات والشفقة على السليين وسائر الأعمال فان خاض فى اللذاهب والبدع والتعصب فى العقائد هلك من حيث لا يشعر ، هذا حق كل من عزم على أن يشتغل فى عمره بشئ غير العلم ، فأما الذى عزم على التجرد للعلم فأقول مهم له معرفة الدليل وشروطه وذلك مما يطول الأمر فيه والوصول إلى اليقين والمعرفة فى أكثر الطلاب جديدين لا يقدرون على إلا الأقوياء للزبدون بنور الله تعالى وهو عزيز الوجود جدا ، فقل الله تعالى الصمة من الضلال ونوذه من الاعتراض غيالات الجاهل .

ثم كانت ذم الكبر والسبب والحمد لله وحده وحمينا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله التلى العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

﴿ كتاب ذم الغرور ﴾

(وهو الكتاب العاشر من ربيع للهلكات من كتب إحياء علوم الدين)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى يده مقاليد الأمور ، ويبدعه مفاتيح الخبرات والشرور ، وخرج أوليائهم من الظلمات إلى النور ، ومورد أعماله ورحمات الغرور ، والصلاة على محمد وخرج الخلائق من الدجور ، وعلى آله وأصحابه الذين لم تحرم الحياة الدنيا ولم يجرم بالله الغرور ، صلاة تتوالى على عمر الدهور ومكر الساعات والشهور . [أما بعد] فلتفتح السعادة التيقظ والفتنة ومنع الشقاوة الغرور والفتنة فلان نعمة لله على عباده أعظم من الإيمان والرفقة ولا وسيلة إليه سوى انسراح الصدر بنور البصيرة ولا نعمة أعظم من السكفر والصحية ، ولا داعى إليها سوى عمى القلب بظلمة الجهالة فلا كياس وأرباب البصائر

(١) حديث أنه يخلب على آخر هذه الأمة الاحجاب بالرأى هو حديث أبى ثعلبة التميمي فاذا رأيت شحا مطاها وهو متجا وإحجاب كل ذى رأى برأيه فليكن خاصة نفسك وهو عند أبى داود والترمذى .

﴿ سكتاب ذم الغرور ﴾

تحفظ به عبادك الصالحين
اللهم إني أسألت جسدي
إليك ووجهي وجهي
إليك وفوضت أمري
إليك وألجأت ظهري
إليك رهبة منك ورغبة
إليك لملجأ ولا منجى
منك إلا إليك آمنت
بكنايك الذى أنزلت
ونبيك الذى أرسلت
اللهم قفى عذابك يوم
تبث عبادك الحمد لله
الذى حكم قهر الحمد
الله الذى بطن ظهير
الحمد لله الذى ملك
تقدر الحمد لله الذى
هو يحيى الموتى وهو
على كل شئ قدير اللهم
إني أعوذ بك من
غضبك وسوء عقابك

فلوهم كشكاة فيها مصباح للمصباح في زجاجة الزجاجه كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور وافتخرون قلوبهم كظلمات في بحر لجى يشاء موج من فوقه موج من فوئه صاحب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فسا له من نور فالأكياس هم الذين أراد الله أن يهديهم فخرج صدورهم للاسلام والهدى وافتخرون هم الذين أراد الله أن يضلمهم فجعل صدورهم ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء والتور هو الذى لم تفتح بصيرته ليكون يهداية نفسه كفيلا وبقي في العمى فاختار الهوى قائدا والشيطان دليلا ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا، وإذا عرف أن التور هو أم الشقاوات ومنبع الهلكات فلا بد من شرح مداخله ومخارجيه وتفصيل ما يكثر وقوع التور فيه ليحذره الريد بعد معرفته فينتبه فالوفاق من العباد من عرف مداخل الآفات والصادقات أخذ منها حذره ونهى على الحزم والبصيرة أمره ونحن نشرح أجناس مجارى التور وأصناف الفتن من القضاة والعلماء الصالحين الذين اغتروا بجمادى الأمور، الجلية ظواهرها القبيحة سرورها ونشر إلى وجهه اغترارهم بها وعقلتهم عنها فان ذلك وإن كان أكثر مما يحصى ولكن يمكن التنبيه على أمثلة تفتى عن الاستقصاء وقرق الفتن كثيرة ولكن بمجموعهم أربعة أصناف. الصنف الأول من العلماء. الصنف الثانى من العباد. الصنف الثالث من للتصوفة. الصنف الرابع من أرباب الأموال والفتن من كل صنف فرق كثيرة وجهات غرورهم مختلفة فهم من رأى النسكر معروفًا كالذى يتخذ للسجد ويخرقها من اللال الحرام ومنهم من لم يميز بين ما يرمى فيه لنفسه وبين ما يرمى فيه لله تعالى كالواظم الذى غرضه القبول والجلال ومنهم من يترك الأهم ويشغل بغيره ومنهم من يترك الفرض ويشغل بالكلفة ومنهم من يترك اللباب ويشغل بالفتن كالذى يكون همه فى الصلاة مقصورا على تصحيح حركات الحروف إلى غير ذلك من مداخل لاتضح إلا بتفصيل الفرق وضرب الأمثلة ولنبداً أولاً بذكر غرور العلماء ولكن بعد بيان ذم التور وبيان حقيقته وحده.

(بيان ذم التور وحقيقته وأمثله)

اعلم أن قوله تعالى - فلا تترنك الحياة الدنيا ولا ترنك باه التور - وقوله تعالى - ولولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وقرتكم الأماني - الآية. كاف فى ذم التور وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «حبذا نوم الأكياس وفطرم كيف يبينون سهر الحق واجتهادهم ولشغلهم من صاحب تقوى ويقين أفضل من ملء الأرض من الفتنين (١)» وقال صلى الله عليه وسلم «الكي من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحق من أتبع نفسه هواها ونهى على الله (٢)» وكل ما ورد فى فضل العلم وذم الجهل فهو دليل على ذم التور لأن التور عبارة عن بعض أنواع الجهل إذا الجهل هو أن يحتد الشيء وراءه وخلاف ما هو به والتور هو جهل لأن كل جهل ليس بتور بل يستدعى التور مغرورا فيه مخصوصا ومغرورا به وهو الذى يخرقه فما كان الجهل للمتقدين يوافق الهوى وكان السبب للوجوب للجهل شبهة وغيلة فاسدة يظن أنها دليل ولاتكون دليلا على الجهل الحاصل بغرور افتقر هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان فمن اعتقد أنه على خير إما فى العاجل أو فى الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور وأكثر الناس يظنون بأنفسهم

(١) حديث حبذا نوم الأكياس وفطرم الحديث ابن أبى الدنيا فى كتاب اليقين من قول أبى الدرداء بسجوه وفيه اشغلاخ وفى بعض الروايات أبى الورد موضع أبى المرداء ولم أجد مرفوعا (٢) حديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت الحديث الترمذى وابن ماجه من حديث شداد بن أوس

وشر عبادك وشر الشيطان وشركه وقرأ خمس آيات من البقرة الأربع من الأول الآيات الخامسة - إن فى خلق السموات والأرض - وآية الكرسي، وآمن الرسول. وإن ربكم الله. وقد ادعوا الله، وأول سورة الحديد وآخر سورة الحشر وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد والموذنين، وينفخن فى يديه ويمسح بها وجهه وجسده وإن اضف إلى ما قرأنا من أول الكهف وعشرا من آخرها فحسن ويقول لهم

الحير وهم غطثون فيه فأكثر الناس إذن مغرورون وإن اختلفت أصناف غرورهم واختافت درجاتهم حتى كان غرور بعضهم أظهر وأشد من بعض وأظهرها وأعدها غرور الكفار وغرور العصاة والفساق فيورد لهما أمثلة لحقيقة الفرور . المثال الأول : غرور الكفار فهم من غرته الحياة الدنيا ومنهم من غره بالله الفرور أما الذين غرهم الحياة الدنيا فهم الذين قالوا النقد خير من النسبة والدينا نقدوا الآخرة نسبة فهم إذن خير فلا بد من إشارتها وقالوا اليقين خير من الشك ولذات الدنيا به ولذات الآخرة شك فلا ترك اليقين بالشك وهذه أقيسة فاسدة تشبه قياس إبليس حيث قال - أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين - وإلى هؤلاء الاشارة بقوله تعالى - أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون - وعلاج هذا الفرور إما بتصديق الإيمان وإما بالبرهان أما التصديق بمجرد الإيمان فهو أن يصدق الله تعالى في قوله - ما عندكم ينفذ وما عند الله باق - وفي قوله عز وجل - وما عند الله خير - وقوله - والآخرة خير وأبقى - وقوله - وما الحياة الدنيا إلا لمتاع الفرور - وقوله - فلا تركنكم الحياة الدنيا - وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك طوائف من الكفار فقلدهم وصدقوه وآمنوا به ولم يطالبوه بالبرهان (١) . ومنهم من قال نشدتك الله أبشك الله رسولا ؟ فكان يقول نعم فيصدق (٢) وهذا إيمان العامة وهو يخرج من الفرور وينزل هذا منزلة تصديق الصبي والله في أن حضور للكتب خير من حضور لللب مع أنه لا يدري وجه كونه خيرا وأما العرفة بالبيان والبرهان فهو أن يعرف وجه فساد هذا القياس الذي نظمه في قلبه الشيطان فان كل مغرور فلفرور مسبب وذلك السبب هو دليل وكل دليل فهو نوع قياس يقع في النفس ويورث السكون إليه وإن كان صاحبه لا يشعر به ولا يقدر على نظمه بالفاظ العلماء فالقياس الذي نظمه الشيطان فيه أصلا ن : أحدهما أن الدنيا نقد والآخرة نسبة وهذا صحيح والآخر قوله إن النقد خير من النسبة وهذا محل التلبس فليس الأمر كذلك بل إن كان النقد مثل النسبة في التقادير والتصور فهو غير وإن كان أقل منها فالنسبة خير فان الكافر الفرور يبدل في تجارتها درهما ليأخذ عشرة نسبة ولا يقول النقد خير من النسبة فلا تركه وإذا حذره الطبيب القواكه ولذات الأطلعة ترك ذلك في الحال خوفا من ألم المرض في المستقبل فقد ترك النقد ورضى بالنسبة والتجار كلهم يركبون البحار ويتبعون في الأسفار هذا لأجل الراحة والريح نسبة فان كان عشرة في ثاني الحال خيرا من واحد في الحال فأنسب ثلاثة الدنيا من حيث مدتها إلى مدة الآخرة فان أقصى عمر الانسان مائة سنة وليس هو عشر عشر من جزء من ألف جزء من الآخرة فكانه ترك واحد ليأخذ ألف الف ليأخذ مائة لاهية به ولا واحد وإن نظر من حيث النوع رأى لذات الدنيا مكدره مشوبة بأنواع النقصات ولذات الآخرة صافية غير مكدره فان ذلك غلط في قوله النقد خير من النسبة فهذا غرور منشؤه قبول لفظ مقام معشور أطلق

(١) حديث تصديق بعض الكفار بما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وإيمانهم من غير مطالبة بالبرهان هو مشهور في السنن من ذلك قصة إسلام الأنصار ويعتبرهم وهي عندنا حديث جابر وفيه حتى بشنا الله إليه من يرب فأويناه وصدقناه فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويقره القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه الحديث وهي عند أحمد بإسناد جيد (٢) حديث قول من قاله نشدتك الله أبشك الله رسولا فيقول نعم فيصدق متفق عليه من حديث أنس في قصة ضلم بن ثعلبة وقوله لنبي صلى الله عليه وسلم أنه أرسلك للناس كلهم فقال اللهم نعم وفي آخره فقال الرجل أنت بما جئت به وللطبراني من حديث ابن عباس في قصة ضلم قال نشدتك به أهو أرسلك بما أتتنا كتبك وأتتنا رسلك أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن ننع اللات والعزى قال نعم الحديث .

أيقظني أحب الساعات
إليك واستمعي
بأحب الأعمال إليك
التي تقر بيني إليك زلفي
وتبعني من سخطك
بعدا أسألك فخطي
وأستغفره فخطي
وأدعوك فتسجيب لي
ولا تولني غيوك ولا
رفع عني سترك ولا
تنفذ كرك ولا تجافي
من الغافلين . ورد
أن من قال هذه
الكلمات يث الله
تعالى إليه ثلاثة
أملأه يوقظونه للصلاة
فان صلى ودعا آمنا
دعائه وإن لم يمتعبدت
الأملأه في الهواء وكتب

وأريد به خاص فضّل به للضرور عن خصوص معناه فإن من قال النقد خير من النسبة أراد به خيرامن نسبة هي مثله وإن لم يصرح به وعند هذا يفرغ الشيطان إلى القياس الآخر وهو أن اليقين خير من الشك والآخره شك وهذا القياس أكثر فسادا من الأول لأن كلا أصليه باطل إذ اليقين خير من الشك إذا كان مثله والافتاناجر في تنبه على يقين وفي ربحه على شك والتفقه في اجتباذه على يقين وفي إدراكه رتبة العلم على شك والصيد في تردده في التقتص على يقين وفي الظفر بالصيد على شك وكذا الحزم ذاب المعلاء بالاعتاق وكل ذلك ترك لليقين بالشك ولكن التاجر يقول إن لم أجبر بقيت جالسا وعظم ضرري وإن أجبرت كان تمي قليلا وربحي كثيرا وكذلك المريض يشرب الدواء البشع الكريه وهو من الشفاء على شك ومن مرارة الدواء على يقين ولكن يقول ضرر مرارة الدواء قليل بالإضافة إلى ما أخافه من المرض والوئد فيكذلك من شك في الآخرة فواجب عليه بحكم الحزم أن يقول أيام الصبر لئلا وهو منتهى العمر بالإضافة إلى ما يقابل من أمر الآخرة فإن كان ما قبل فيه كذباً فيه يوقن في إلا التمس أيام حيان وقد كنت في العدم من الأزل إلى الآن لا أتسم فأحسب أنني بقيت في العدم وإن كان ما قبل صدقاً فأبقى في النار أبداً الآباد وهذا لا يطاق . ولهذا قال علي كرم الله وجهه لبعض اللحددين إن كان ما قبلته حقا فقد تخلّصت وتخلّصنا وإن كان ما قبلته حقا فقد تخلّصنا وهلكت وما قال هذا عن شك من في الآخرة ولكن كلف للحد على قدر عقله وبين له أنه وإن لم يكن متيقنا فهو مفرور . وأما الأصل الثاني من كلامه وهو أن الآخرة شك فهو أيضا خطأ بل ذلك يقين عند المؤمنين ولقيته مندر كان: أحدهما الإيمان والتصديق تقليداً للأتبياء والملاء وذلك أيضا يزيل الضرور وهو مدرك يقين الموائم أو أكثر الخراس ومثالم مثال مريض لا يعرف دواء علة وقد اتفق الأطباء وأهل الصناعة من عند آخرهم على أن دواءه التبت الغلاني فانه تظمن نفس المريض إلى تصديقهم ولا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين الطبية بل يثق بقولهم ويعمل به ولو بقي سواي أو متوه يكذبهم في ذلك وهو يعلم بالتأثير وقرائن الأحوال أنهم أكثر منه عدداً وأغزر منه فضلا وأعلم منه بالطلب بل لا علم له بالطلب فيعلم كذبه بقوله ولا يستد كذبهم بقوله ولا يفت في عليهم بسببه ولو اعتمد قوله وترك قول الأطباء كان متوها مفروراً فكذلك من نظر إلى المقرين بالآخرة والمخبرين عنها والقائلين بأن التقوى هو الدواء النافع في الوصول إلى سعادتها وجدّم خير خلق الله وأعلام رتبة في البصرة والمعرفة والعقل وهم الأتبياء والأولياء والحكام والعلاء وابتمهم عليه الخلق على أصنافهم وشذ منهم آحاد من البطالين غلبت عليهم الشهوة ومالت نفوسهم إلى التمتع فظلم عليهم ترك الشهوات وعظم عليهم الاعتراف بأنهم من أهل النار فجدوا والآخرة وكذبوا الأتبياء فكما أن قول النبي وقول السواي لا يزيل طمأنينة القلب إلى ما وافق عليه الأطباء فكذلك قول هذا النبي الذي استرته الشهوات لا يشكك في صحة أموال الأتبياء والأولياء والملاء وهذا القدر من الإيمان كاف لجملة الخلق وهو يقين جازم يستحث على العمل لأعمال الضرور ويؤله. وأما المدرك الثاني لمعرفة الآخرة فهو الوحي للأتبياء والألّام والأولياء ولا تظن أن معرفة النبي عليه السلام لأمر الآخرة ولأمور الدين تقليد لجبريل عليه السلام بالسباع منه كما أن معرفتك تقليد للنبي صلى الله عليه وسلم حتى تكون معرفتك مثل معرفته وإنما يختلف القلق فقط وهيئات فان التقليد ليس بمعرفة بل هو اعتقاد صحيح والأتبياء عارفون ومعنى معرفتهم أنه كشف لهم حقيقة الأتبياء كما هي عليها فشاهدوها بالبصرة الباطنة كما تشاهد أنت المحسوسات بالبصر الظاهر فيخبرون عن مشاهدة لآمن صاع وتقليد وذلك بأن يكشف لهم عن حقيقة الروح وأنه من أمر الله تعالى وليس المراد بكونهم من أمر الله الأمر الذي يقابل النبي ، لأن ذلك الأمر كلام الروح ليس بكلام ، وليس المراد بالأمر

لهم ثواب عبادتهم
ويسبح ويحمد ويكبر
كل واحد ثلثين ثلاثين
ويتم المائة بلا إله إلا
الله والله أكبر ولا حول
ولا قوة إلا بالله العلي
العظيم .

[الباب السابع
والأربعون في أدب
الانتباه من التسموم
والعمل بالليل]

إذا فرغ المؤمن من أذان
المغرب يصلي ركعتين
خفيفتين بين الأذان
والإقامة وكان الملاء
يصلون هاتين الركعتين
في البيت يعملون بهما
قبل الخروج إلى الجماعة
كيلا يظن الناس أنهم

الشأن حتى يكون المراد به أنه من خلق الله قطع لأن ذلك عام في جميع المخلوقات بل العالم عاقلان عالم
الأمر وعالم الحق والله الخلق والأمر فالأجسام ذات الكمية والقادر من عالم الحق إذا الخلق عبارة عن
التقدير في وضع اللسان وكل موجود منزعه عن الكمية والقادر فانه من عالم الأمر وشرح ذلك سر الروح
ولا رخصة في ذكره لاستنصار أكثر الخلق بسماحه كسر القدر البقي من حيث إنشائه فمن عرف سر الروح
قد عرف نفسه وإذا عرف نفسه فقد عرف ربه وإذا عرف نفسه وربه عرف أنه أمر رباني بطبعه
وفطرته وأنه في العالم الجسماني غريب وأن هبوطه إليه لم يكن بمقتضى طبعه في ذاته بل بأمر عارض
غريب من ذاته وذلك العارض الغريب ورد على آدم صلى الله عليه وسلم وعبر عنه بالمصيبة وهي التي
حطت عن الجنة التي هي ألقى به بمقتضى ذاته فأتى جوار الرب تعالى وأنه أمر رباني وحينئذ إلى جوار
الرب تعالى له طبع ذاتي لأن يصرفه عن مقتضى طبعه عوارض العالم الغريب من ذاته فينسى عند
ذلك نفسه وربه ومهما فعل ذلك فقد ظلم نفسه إذ قيل له - ولا تسكنوا كاذبين نسوا الله أنساهم أنفسهم
أولئك هم الفاسقون - أي الخارجون عن مقتضى طبعهم ومظنة استحقاقهم يقال فسقت الربطة عن
كاسها إذا خرجت عن معدنها القطري وهذه إشارة إلى أسرارهم وتلاشت شاق روائعها العارفون وتشتت
من سماع ألفاظها القاصرون فاتها تضريرهم كما تضر رياح الورد بالجعل وتبر أعينهم الضعيفة كاتبر
الشمس أبصار الخفافيش وانفتح هذا الباب من سر القلب إلى عالم الكسوت يسمى معرفة ولاية
ويسمى صاحبه وليا وعارفا وهي مبادئ مقامات الأنبياء وآخر مقامات الأولياء أول مقامات الأنبياء
ولنرجع إلى الغرض المطلوب فالقصود أن غرور الشيطان بأن الآخرة شك يدفع إماميتين تقليدي وإما
يصيرة ومشاهدة من جهة الباطن والمؤمنون بالسنتهم وبقائهم إذا ضيعوا أو أمارا لله تعالى وهجروا
الأعمال الصالحة ولا يسوا الشعوب والمعاصي فهم مشاركون للسكران في هذا الغرور لأنهم أثروا الحياة
الدنيا على الآخرة نعم أمرهم أخف لأن أصل الإيمان بمعصية عن عقاب الأبد فيخرجون من النار ولو
بذبحين ولكم أيضا من الغرورين فأنهم اعترفوا بأن الآخرة خير من الدنيا ولكنهم مالوا إلى الدنيا
وآثروها ويجرد الإيمان لا يكفي للورق قال تعالى - وإني لفجار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى -
وقال تعالى - إن رحمت الله قريب من المحسنين - ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم - لا إيمان أن تعبد
الله كأنك تراه (١) وقال تعالى - والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر - فوجد العبرة في جميع كتاب الله تعالى بنوط بالاعسان والعمل الصالح
جميعا لا بالاجنان وحده فهو لا أيضا مغرورون أغنى المطمئنين إلى الدنيا القرحين به الترفين بنعيمها
المعين لها الكارهين للموت خيفة قوات لذات الدنيا دون الكارهين له خيفة لما بعدهم هذا مثال الغرور
بلدنيا من الكفار والمؤمنين جميعا . ولذا ذكر للغرور بالله مثالين من غرور الكافرين والعاصين فأما
غرور الكفار بالله فأناله قول بعضهم في أنفسهم وبالسنتهم إنه لو كان لله من معادفن أحق بهم غيرنا
وعن أوفر حظائهم وأسعد حالا كما أخبر الله تعالى عنه من قول الرجلين المتجاورين إذ قالوا ما ظن
الساعة فأعانة وثني رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها فقلبوا وجهه أمرها كما نقل في التفسير أن الكافر منهما
بن قصرا بألف دينار واشترى بستانا بألف دينار وخدمما بألف دينار وتزوج امرأة على ألف دينار وفي
ذلك كله يظن للؤمن ويقول اشتريت قصرا وبغرب ألا اشتريت قصرا في الجنة لا يفي واشترت
بستانا بغرب وبغني ألا اشتريت بستانا في الجنة لا يفي وخدمما لا يفتون ولا يمتون وزوجة من المحور
العين لا يموت وفي كل ذلك يرد عليه الكافر ويقول ما هناك شيء موافق من ذلك فهو أكاذيب وإن كان

سنة مرتبة فيقتدى
بهم ظنا منهم أنها سنة
وإذا صلى المغرب صلى
ركعتي السنة بعد المغرب
يعجل بها فاتها
برضان مع الفريضة
يقرأ فيها بقل يأنها
السكران وقد هو الله
أحذمهم على ملائكة
الليل والصكرام
الكاتبين فيقول مرجبا
علائكة الليل مرجبا
بالمسكين السكرين
الكاتبين اكتب في
صحيفتي أني أشهد أن
لا إله إلا الله وأشهد أن
محمد رسول الله وأشهد
أن الجنة حق والنار
حق والحوض حق

فليكونن لي في الجنة خير من هذا وكذلك وصف الله تعالى قول العاص بن وائل إذ يقول - لاوتين مالا وولدا - قال الله تعالى ردّا عليه - أطلع التيب أم اتخذ عند الرحمن عبدا كلا - سروي عن خباب ابن الأرت أنه قال - وكان لي على العاص بن وائل دين بخت أنفاسه فلم يقض لي قتلتي إلى أخذه في الآخرة ، فقال لي إذا صرحت إلى الآخرة فإن لي هناك مالا وولدا أنفسيك منه فأقول الله تعالى قوله - أفرأيت الذي كفر بآتنا وقال لاوتين مالا وولدا (١) - وقال الله تعالى - ولئن أنفقنا رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن لي عند الله حسنى - وهذا كله من الرور بالله . وسببه قياس من أنيسة إليسى نمود بالله منه ، وذلك أنهم ينظرون مرة إلى نعم الله عليهم في الدنيا فيقيسون عليها نعمة الآخرة وينظرون مرة إلى تأخير العذاب عنهم فيقيسون عليه عذاب الآخرة كما قال تعالى - ويقولون في أنفسهم لولا يبدئنا الله بما نول - فقال تعالى جوابا لقولهم - حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير - ومرة ينظرون إلى المؤمنين ، وهم قراء شعث غبر فيزدرون بهم ويستحقرونهم ، فيقولون - أهؤلاء من الله عليهم من بيننا - ويقولون - لو كان خيرا ما سبقونا إليه - وترتيب القياس الذي نظمته في قلوبهم أنهم يقولون قد أحسن الله إلينا بنعم الدنيا وكل حسن فهو بحسبنا فانه يحسن أيضا في المستقبل كما قال الشاعر :

قد أحسن الله فيما مضى هكذا يحسن فيما بقي

ولما بقيس للمستقبل على الماضي بواسطة الكرامة والحلم إذ يقول لولا أني كريم عند الله وهبوب لما أحسن إلى والتبليس تحت ظنه أن كل محسن يحل لابل تحت ظنه أن إتمامه عليه في الدنيا إحسان فقد اغتر بالله إذ ظن أنه كريم عنده بدليل لا يدل على الكرامة بل عند ذوى البصائر يدل على الهوان . ومثاله أن يكون للرجل عيذان صغيران يفضض أحدهما ويحب الآخر ، فإحدى محبة بينهما من القلب ويلزمه للكتب ومحبة فيه ليعلمه الأدب ويمنعه من الفواكه وما ملاذ الأطماع التي تضره بسقيه الأدوية التي تنفعه والذي يفضض يهمله ليعيش كيف يريد فيقلب ولا يدخل للكتب ويأكل كل ما يشتهى فيظن هذا العبد الهمل أنه عند سيده محبوب كريم لأنه مكنه من شهواته ولذاته وساعده على جميع أغراضه فلم يمتنع ولم يحجر عليه وذلك محض الرور وهكذا انضم الدنيا ولذاتها فأتاهم ملكات ومبعدات من الله ولأن الله يحصى عبده من الدنيا وهو محبة كما يحصى أحدكم مرضعة من الطعام والشراب وهو محبة (٢) هكذا ورد في الخبر عن سيد البشر . وكان أرباب البصائر إذا أقبلت عليهم الدنيا حزنوا وقولوا ذنب عجلت عقوبته ورأوا ذلك علامة للفت والاحمال ، وإذا أقبل عليهم الفقر قالوا مرجا بشعار الصالحين . والرور إذا أقبلت عليه الدنيا ظن أنها كرامة من الله ، وإذا صرحت عنه ظن أنها هوان كما أخبر الله تعالى عنه إذ قال - فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن وأما إذا ما ابتلاه فقد رزقه عليه رزقه فيقول ربي أهان - فأجاب الله عن ذلك - كلا - أي ليس كما قال إنما هو ابتلاء نمود بالله في شر البلاء ونسأل الله التثبيت في أن ذلك غرور . قال الحسن كذبهما جميعا بقوله كلا يقول ليس هذا بأكرامى ولا هذا بهوانى ولكن الكرم من أكرمت بطاعى غنيا كان أو فقيرا . والبيان من أخته بمصطفى غنيا كان أو فقيرا وهذا الرور علاجه معرفة دلائل الكرامة والهوان إما بالبصيرة أو بالتقليد . أما البصيرة فبان يحرف وجه كون الالتفات

والشفاعة حقيق
والصراط والسيران
حق ، وأشهد أن
الساعة آتية لا ريب
فيها وأن الله يمتحن
في القبور اللهم أودعك
هذه الشهادة ليوم
حاجتي إليها . اللهم
احطط بها وزري
واغفرها ذنبي وقل
بها ميزان وأوجب لي
بها أمانى وتجاوز عني
يا أرحم الراحمين فإن
واصل بين الشاهدين
في مسجد جماعته
يصكون جامعا بين
الاعتكاف ومواصلة
العشادين وإن رأى
انصرافه إلى منزله وإن
لواصل بين العشادين

(١) حديث خباب بن الأرت قال كان لي على العاص بن وائل دين بخت أنفاسه الحديث في نزول قوله تعالى - أفرأيت الذي كفر بآياتنا - الآية البخاري ومسلم (٢) حديث إن الله يحصى عبده من الدنيا وهو محبة الحديث الترمذي وحسنه الحاكم وصححه من حديث قتادة بن النعمان .

إلى شهود الدنيا بعدا عن الله ووجه كون التباعد عنها مقربا إلى الله ويدرك ذلك بالإلهام في منازل العارفين والأولياء وشرحه من جملة علوم الكسافة ولا يليق بلم العامة. وأما معرفته بطريق التقليد والتصديق فهو أن يؤمن بكتاب الله تعالى ويصدق رسوله وقد قال تعالى - أيعسبون أن مانعهم به من مال وبين ناسرع لهم في الخيرات بل لا يشعرون - وقال تعالى - سنستدرجهم من حيث لا يعلمون - وقال تعالى - فتحنا عليهم أبواب كل شيء إذا فرحوا بما أتوا أخذناهم بئنة فآذاهم مبلسون - وفي تفسير قوله تعالى - سنستدرجهم من حيث لا يعلمون - أنهم كلما أخذوا ذنبا أخذناهم بنعمة يزيد غرورهم وقال تعالى - إنما على لهم ليزدادوا إثما - وقال تعالى - ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار - إلى غير ذلك ما ورد في كتاب الله تعالى وستة رسوله فمن آمن به تخلس من هذا الغرور فإن منشأ هذا الغرور الجهل بالله وبصفاته فان من عرفه لا يأمن مكرو ولا يفتن بأشكال هذه الخيالات الفاسدة وينظر إلى فروع وهامان وقارون وإلى ملوك الأرض وما جرى لهم كيف أحسن الله إليهم ابتداء ثم دمهم تدميرا فقال تعالى - هل تحس منهم من أحد - الآية وقد حذر الله تعالى من مكرو واستدراج فقال - فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون - وقال تعالى - ومكروا مكرا ومكرونا مكرا وهم لا يشعرون وقال عز وجل ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين - وقال تعالى - إنهم يكيدون كيدا وأكيد كيد المفلول الكافرين أمهلهم رويدا - فكما لا يجوز لعبد المعمل أن يستدل بأهل السيد إياه وتعكبه من التمس على حب السيد بل ينبغي أن يحذر أن يكون ذلك مكرا منه وكيدا مع أن السيد لم يحذره مكر نفسه فإن عجب ذلك في حق الله تعالى مع تحذره استدراج أولى فاذن من آمن مكر الله فهو مقرو ومنشأ هذا الغرور أنه استدلل بنم الدنيا على أنه كريم عند ذلك النعم واحتمل أن يكون ذلك دليل الهوان ولكن ذلك الاحتمال لا يوافق الهوى فالشيطان بواسطة الهوى يحيل بالقاب إلى ما يوافقه وهو التصديق بدلالته على السكرامة وهذا هو حد الغرور . المثال الثاني : غرور العاصي من المؤمنين بقوله إن الله كريم وإننا نرجو عفوه واتكلم على ذلك وإهمالهم الأعمال وتحسين ذلك بقسمة غنيمهم واغترارهم رجاء وظنهم أن الرجاء مقام محمود في الدين وأن نعمة الله واسعة ورحمته شاملة وكرمه عظيم وأين معاصي العباد في محار رحمته وإننا موحدون ومؤمنون فخرجوه بوسيلة الإيمان وربما كان مستند رجائهم التمسك بسلح الآباء وعلو رتبتهم كاغترار الصلوة بنسبهم ومخالفة قسيرة آباءهم في الخوف والتقوى والورع وظنهم أنهم أكرم على الله من آباءهم إذا آباؤهم مع غاية الورع والتقوى كانوا خائفين وهم مع غاية الفسق والتجور آمنون وذلك نهاية الاغترار بالله تعالى قياسي الشيطان للعلاوية أن من أحب إنسانا أحب أولاده وأن الله قد أحب آباءكم فيحبكم فلا تحتاجون إلى الطاعة وينسى الغرور أن نوحا عليه السلام أراد أن يستصحب ولده معه في السفينة فلم يرد فكان من الفريقين - فقال رب إنني من أهلي - فقال تعالى - يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح - وأن إبراهيم عليه السلام استغفر لأبيه فلم ينفعه ، وأن نبينا صلى الله عليه وسلم وحلى كل عبد مصطفي استأذن ربه أن يزور قبر أمه ويستغفر لها فأذن له في الزيارة ولم يؤذن له في الاستغفار فجلس يبكي على قبر أمه لرفته لها بسبب القربة حتى أبكى من حوله (١) فهذا أيضا اغترار بالله تعالى وهذا لأن الله تعالى يحب الطبع ويبغض العاصي فكأنه لا يبغض الأب للطبع يبغضه لولد العاصي فكذلك لا يحب الولد العاصي

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم استأذن أن يزور قبر أمه ويستغفر لها فأذن له في الزيارة ولم يؤذن له في الاستغفار الحديث مسلم من حديث أبي هريرة .

في ينشأ أصل لديه
وأقرب إلى الاخلاص
وأجمع لهم لفيلد .
وسئل رسول الله عليه
السلام عن قوله تعالى
- تتجافى جنوبهم عن
الضاحج - فقال هي الصلاة
بين المشايخ وقال
عليه السلام « عليكم
بالصلاة بين المشايخ
فإنها تذهب ببلغة
الآثار وتهدب آخرة »
ويجعل من الصلاة بين
المشايخ ركعتين
بمسورة السروج
والطاري ثم ركعتين
بعد ركعتين يقرأ في
الأولى عشر آيات من
أول سورة البقرة
والآيتين « اللهم

عنه للآب للطيع ولو كان الحب يسرى من الأب إلى الولد لأوشك أن يسرى البغض أيضا بل الحق أن لا تزر وزر أخرى ، ومن ظن أنه ينجو بتقوى أبيه كمن ظن أنه يشبع بكل أبيه ويرى يشرب أبيه ويصير عالما بتعلم أبيه ويصل إلى السكبة ويراه يمشي أبيه فالتقوى قرض عين فلا يجزي فيه والد عن ولده شيئا وكذا العكس وعند الله جزاء التقوى - يوم يفر الرء من أخيه وأمه وأبيه - إلا على سبيل الشفاعة لمن لم يشتد غضب الله عليه فيأذن في الشفاعة كما سبق في كتاب الكبر والعجب . فان قلت فأين النطق في قول العصاة والفجار إن الله كريم وإننا نرجو رحمته وبغفرته وقد قال أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيرا فما هذا إلا كلام صحيح مقبول الظاهر في القلوب . فاعلم أن الشيطان لا ينوي الإنسان إلا بكلام مقبول الظاهر محدود الباطن ولولا حسن ظاهره لما اغتد به في القلوب ولكن النبي صلى الله عليه وسلم كشف عن ذلك فقال « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها ونهى عن الله » (١) وهذا هو النبي عليه السلام في غير الشيطان اسمه فهما رجاء حتى خدع به الجهال وقد شرح الله الرجاء فقال - إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله - يعني أن الرجاء بهم ألق وهذا لأنه ذكر أن أبواب الآخرة أجر وجزاء على الأعمال قال الله تعالى - جزاء بما كانوا يعملون - وقال تعالى - وإنما توفون أجوركم يوم القيامة - أفترى أن من استعجز على إصلاح أوان وشروط له أجرة عليها وكان الشارط كريما يعني بالوعد مهما وعد ولا يخلف بل يزيد فجاهد الأجير وكسر الأواني وأفسد جميعها ثم جلس ينتظر الأجر وبزعم أن للستاجر كريم أقره العقلا في انتظاره متمنيا مغرورا أو راجيا وهذا للجهل بالفرق بين الرجاء والقرعة قيل للحسن قوم يقولون ترجواوه وضيقوا العمل فقال هيهات هيهات تلك أمانهم يرجعون فيها من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه . وقال مسلم بن يسار : لقد سجدت البارحة حتى سقطت ثنيتاي فقال له رجل إننا لرجوا الله فقال سلم هيهات هيهات من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه وكأ أن الذي يرجو في الدنيا ولدا وهو بعد لم ينكح أو نكح ولم يجمع أو جامع ولم يزل فهو معتوه فكذلك من رجا رحمة الله وهو لم يؤمن أو آمن ولم يعمل صالحا أو عمل ولم يترك المعاصي فهو مغرور فكأ أنه إذا نكح ووطئ وأزاد بقي مترددا في الولد يخاف ويرجو فضل الله في خلق الولد ودفع الآفات عن الرحم وعن الأم إلى أن يتم فهو كيس فكذلك إذا آمن وعمل الصالحات وترك السيئات وبقي مترددا بين الخوف والرجاء يخاف أن لا يقبل منه وأن لا يدوم عليه وأن يختم له بالسوء ويرجو من الله تعالى أن يشته بالقول الثابت ويحفظ دينه من سواق مكرات اللوث حتى يموت على التوحيد ويحرس قلبه عن الليل إلى الشهوات بقية عمره حتى لا يعيل إلى المعاصي فهو كيس ومن عدا هؤلاء فهم القورون بالله - وسوف يطون حين يرون العذاب من أهل سيلا - . ولعلهم نبأه بعد حين - وعند ذلك يقولون كأ خبر الله عنهم - ربنا أبعرنا وصعنا فأرجعنا نعمل صالحا إنا موقنون - أي علمنا أنه كالا يولد إلا بواقع ونكح ولا ينبت زرع إلا بحراثة وبذر فكذلك لا يحصل في الآخرة ثواب وأجر إلا بعمل صالح فأرجعنا نعمل صالحا فقد علمنا الآن صدقك في قولك - وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى - كما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير - أي ألم نسمعك سنة الله في عباده وأنه - توفي كل نفس ما كسبت - . وأن - كل نفس بما كسبت رهينة - فما الذي عرکم بالله بعد أن سمعتم وعقلتم - قالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير -

(١) حديث السكيس من دان نفسه تقدم قريبا .

واحد إلى آخر الآيتين وخمس عشرة مرة قل هو الله أحد وفي الثانية آية الكرسي وآمن الرسول وخمس عشرة مرة قل هو الله أحد ويقرأ في الركعتين الأخيرتين من سورة الزمر والواقعة ويصلى بعد ذلك ماشاء فان أراد أن يقرأ نعتيائين حزبه في هذا الوقت في الصلاة أو غيرها وإن شاء صلى عشرين ركعة خفيفة بسورة الاخلاص والفاخرة ولولو اصل بين المشائين ركعتين يطيلهما لحسن وفي هاتين الركعتين يطيل القيام

فإن قلت فأين مظنة الرجاء وموضعه المأمود . فاعلم أنه محمود في موضعين : أحدهما في حق العاصي للتمكك إذا خطرت له التوبة فقال له الشيطان وأنى تقبل توبتك فيقتطع من رحمة الله تعالى فيجب عند هذا أن يقطع القنوط بالرجاء ويتذكر - إن الله يفر الذنوب جميعا - وأن الله كريم يقبل التوبة عن عباده وأن التوبة طاعة تسكف الذنوب قال الله تعالى - قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم وأنبياء إلى ربكم - أحرمم بالإنيابة وقال تعالى - وإنى لنفاز لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى - فإذا توقع النفرة مع التوبة فهو راج وإن توقع النفرة مع الإصرار فهو مغرور كما أن من ضاق عليه وقت الجملة وهو في السوق فخطره أن يسمى إلى الجملة فقال له الشيطان إنك لا تدرك الجملة فأقم على موضعك فكذب الشيطان ومرة يبدو وهو يرجو أن يدرك الجملة فهو راج وإن استمر على التجارة وأخذ يرجو تأخير الإمام للصلاة لأجله إلى وسط الوقت أو لأجل غيره أو لسبب من الأسباب التي لا يرفعها فهو مغرور. الثاني أن تغتر نفسه عن فضائل الأعمال ويقتصر على القرائن فيرجى نفسه فهم الله تعالى وما وعده الصالحين حتى يثبت من الرجاء نشاط العبادة فيقبل على الفضائل ويتذكر قوله تعالى - قد أنضح المؤمنين الذين هم في صلاتهم خاشعون - إلى قوله وأولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون - فالرجاء الأول يقطع القنوط للناس من التوبة والرجاء الثاني يقطع القنوط للمؤمنين من النشاط والتشمر فكل توقع حث على توبة أو على تشمر في العبادة فهو رجاء وكل رجاء أوجب فتورا في العبادة وركونا إلى البطالة فهو غرة كما إذا خطر له أن يترك الذنوب ويشغل بالعمل فيقول له الشيطان مالك وإلياءه نفسك وتنديها ولك رب كريم غفور رحيم فيفتقر بذلك عن التوبة والعبادة فهو غرة وعند هذا واجب على البد أن يستعمل الخوف فيخوف نفسه بغضب الله وعظم عقابه ويقول إنه مع أنه غافر الذنوب وقابل التوب شديد العقاب وإنه مع أنه كريم خلده السكاف في النار أبدا مع أنه لم يضره كفرهم بل سلط العذاب والمحن والأحراض والملل والفقر والجوع على جملة من عباده في الدنيا وهو قادر على إزالتها فمن هدم مسكنه في عباده وقد خوفه فكيف لا أخافه وكيف أغتر به فالحوف والرجاء قائدان وسائقان يثبتان الناس على العمل فلا يسيث على العمل فهو بمن وغرور ورجاء كافة الخلق هو سبب فتورهم وسبب إقبالهم على الدنيا وسبب إعراضهم عن الله تعالى وإهمالهم السعي للآخرة فذلك غرور قد أخبر ^(١) وذكر أن المرور سيغلب على قلوب آخر هذه الأمة ^(٢) وقد كان ما وعده به صلى الله عليه وسلم فقد كان الناس في الأعصار الأول يواطون على البيادات ويؤتون مآثورا وقلوبهم وجة أنهم إلى ربهم راجعون يخافون على أنفسهم وهم طول الليل والنهار في طاعة الله يلقون في التقوى والحذر من الشهوات والشهوات ويكون على أنفسهم في المحلوات وأما الآن ترى الخلق آمنين مسرورين مطمئنين غير خائفين مع إكبابهم على المعاصي وانها كهم في الدنيا وإعراضهم عن الله تعالى زاعمين أنهم واتقوا بكرم الله تعالى وفضلهم رجوعون لغفوه ومغفرتهم كأنهم يزعمون أنهم عرفوا من فضله وكرمه مالم يعرفه الأنبياء والصالحين والسلف الصالحون فإن كان هذا الأمر يدرك بالحق وينال بالمعنى فعلا إذ كان بكاء أولئك وخوفهم وحزنهم وقد ذكرنا تحقيق هذه الأمور في كتاب الخوف والرجاء وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فإرواه بمقلين يسار وبأى على الناس زمان يخلق فيه القرآن في قلوب الرجال كما تخلق الشياطين على الأبدان أمرهم كله يكون

(١) حديث إن المرور يغلب على آخر هذه الأمة تقدم في آخر ذم الكبر والعجب وهو حديث أبي ثعلبة في إيجاب كل رأى برأيه .

تأبى القرآن حظه
أومكرا آية فيها الدعاء
والتلاوة مثل أن يقرأ
مكررا - ربنا عليك
توكلنا وإليك أنبأنا
وإليك النصير - أو آية
أخرى في معناها
فيكون جامعا بين
التلاوة والصلاة والدعاء
ففي ذلك جمع اللهم
وظفر بالفضل ثم صلى
قبل العشاء أربعا
وبسدها ركعتين ثم
ينصرف إلى منزله
أو موضع خلوته فيصلي
أربعا أخرى وقد كان
رسول الله صلى الله عليه
وسلم يصلي في بيته أول
ما يدخل قبل أن يجلس
أربعا ويقرأ في هذه

طعنا لاخوف منه إن أحسن أحدكم قال يتقبل مني وإن أساء قال يغفر لي^(١) فأخبر أنهم يضعون الطمع موضع الخوف لجهلهم بتغوييات القرآن وما فيه وعمله أخبر عن التصاري إذا قال تعالى - غلف من بدم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا - ومعناه أنهم ورثوا الكتاب أي هم علماء يأخذون عرض هذا الأدنى أي شهواتهم من الدنيا حراما كان أو حلالا وقد قال تعالى - ولئن خاف مقام ربه جنتان - ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيدسوا القرآن من أوله إلى آخره تحذير وتخويف لا يتفكر فيه متفكر إلا يطول حزنه ويسظم خوفه إن كان مؤمنا بما في وتري الناس يهذونه هذا يخرجون الحروف من مخارجها ويتناظرون على خضفها ورثوها ونسبوا كأنهم يقرءون شعرا من أشعار العرب لا يهتمهم الالتفات إلى معانيه والعمل بما فيه وهل في العالم زور يذبل هذا فهذه أشعة القور بالله وبيان الفرق بين الرجاء والقور وقرب منه غرور طوائف لهم طاعات ومعاصي إلا أن معاصيهم أكثر ذم يتوقعون للثقرة ويظنون أنهم ترجع كفة حسناتهم مع أن ما في كفة السيئات أكثر وهذا غاية الجهل ترى الواحد يتصدق بدرهم ممدودة من الحلال والحرام ويكون ما يتناول من أموال المسلمين والشبهات أضاعه ولعل ما تصدق به من أموال المسلمين وهو يتكلم عليه ويظن أن أكل ألف درهم حرام يقاومه التصديق بشرة من الحرام أو الحلال وما هو إلا كمن وضع عشرة دراهم في كفة ميزان وفي الكفة الأخرى ألفا وأراد أن يرفع الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة ذلك ظنا به، نعم . ومنهم من يظن أن طاعته أكثر من معاصيه لأنه لا يحاسب نفسه ولا يتفقد معاصيه وإذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالتى يستغفر الله بلسانه أو يسبح الله في اليوم مائة مرة ثم يفتاب للمسلمين وعزى أعراضهم ويتكلم بما لا يرضاه الله طول النهار من غير حصر وعدد ويكون نظره إلى عدوسه أنه استغفر الله مائة مرة وغفل عن هديانه طول نهاره الذى لو كتبه لكان مثل تسبيحه مائة مرة وألف مرة وقد كتبه الكرام الكاتبون وقد أوعده الله بالعقاب على كل كلمة قال - ما يظن من قول إلا لديه رقيب عتيد - فهذا أبدا يتأمل في فضائل التسبيحات والتبليات ولا يلتفت إلى ما ورد من عقوبة التفتاين والكذابين والفسامين والناقضين يظهرون من الكلام ما لا يضرهم ولا يغير ذلك من آفات اللسان وذلك بعض القور ولعمري لو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه أجره النسخ لما يكتبونه من هديانه الذى زاد على تسبيحه لكان عند ذلك يكف لسانه حتى عن جملة من مهماته وما نطق به في قرائته كان يده ويعسبه ويوازنه بتسبيحاته حتى لا يفضل عليه أجره نسخة فيأجب لها بحاسب نفسه ويحتاج خوفا على قيراط يفته في الأجرة على النسخ ولا يحتاج خوفا من قوت الدروس الأخرى ونسبه ماهذه لإمصية عظيمة لمن تفكر فيها لقد دفنا إلى أمر إن شككنا فيه كنا من الكفرة الجاحدين وإن صدقنا به كنا من الحق المبرورين فهاهذه أعمال من يصدق بمجاهدة القرآن وإنا نبأ إلى الله أن نكون من أهل الكفران فيسبحان من صدنا عن التنبه واليقين مع هذا البيان وما أجدر من يقدر على تسليط مثل هذه الغفلة والقور على القلوب أن يخشى ويتق ولا يخرجه اسكالا على أباطيل النى وتعاليل الشيطان والهوى والله أعلم .

(بيان أصناف للقرآن وأقسام فرق كل صنف وهم أربعة أصناف)

الصنف الأول : أهل العلم والقرون منهم فرق . ففرقة أحكموا العلوم الشرعية والعقلية وتمعقوا فيها واشتغلوا بها وأهلوا فقد الجوارح وحفظها عن المعاصي وإقامها الطاعات واعتزلوا بعلومهم وظنوا

(١) حديث معقل بن يسار يأتى على الناس زمان يخلق فيه القرآن في قلوب الرجال الحديث يؤمنصور الديلى في مسند الفردوس من حديث ابن عباس نحوه بسند فيه جهالة ولم أره من حديث معقل.

الأربع سورة لقمان
وبس - وح - الدخان
وتبارك للكون وأراد
أن يخفف فقرا فيها
آية الكرسي وآمن
الرسول وأول سورة
الحديد وآخر سورة
الحشر وصلى بعد
الأربع إحدى عشرة
ركعة يقرأ فيها ثلثائة
آية من القرآن من
- والساء والطارق - إلى
آخر القرآن ثلثائة آية
هكذا ذكر الشيخ
أبو طالب المكي رحمه
الله وإن أراد قراءتها
القدر في أقل من هذا
العدد من الركعات
وإن قرأ من سورة

أنهم عند الله بكان وأنهم قد بدوا من العلم مبلغا لا يعذب الله مثلهم بل يقبل في الحق شفاعتهم وأنه لا يظلمهم بذنوبهم وخطاياهم لكرامتهم على الله وهم مغرورون فأنهم لو نظروا بين البصيرة وندموا أن العلم علان علم معاملة وعلم مكاشفة وهو العلم بالله وبصفاته المسمى بالعادة علم المعرفة ، فأما العلم بالمعاملة كعرفة الحلال والحرام وسعرفة أخلاق النفس الذمومة والمحمودة وكيفية علاجها والفرار منها فهي علوم لأفراد إلا للعمل ولولا الحاجة إلى العمل لم يكن لهذه العلوم قيمة وكل علم يراد للعمل فلا قيمة له دون العمل فمثال هذا كخرس به علة لايزيلها إلا دواء مركب من أخلاط كثيرة لا يجرها إلا حاذق الأطباء فيسعى في طلب الطبيب بعد أن هاجر عن وطنه حتى عثر على طبيب حاذق فعلمه الدواء وفصله الأخلاط وأنواعها ومقاديرها ومعادنها التي منها يجتنب وعلمه كيفية دق كل واحد منها وكيفية خلطه ومجته فعمل ذلك وكتب منه نسخة حسنة بخط حسن ورجع إلى بيته وهو بكرها ويعلمها المرضى ولم يشتغل بشربها واستعمالها أكثرى أن ذلك يخفى عنه من مرضه شيئا هيئات هيئات لو كتب منه ألف نسخة وعلمه ألف مريض حتى شفي جميعهم وكره كل ليلة ألف مرة لم يشنه ذلك من مرضه شيئا إلا أن يزن الذهب ويشترى الدواء ويغاطله كما تعلم ويشربه ويصبر على مرارته ويكون شربه في وقته وبعد تقديم الإحباء وجميع شروطه وإذا فعل جميع ذلك فهو على خطر من شفائه فكيف إذا لم يشربه أصلا فهما ظن أن ذلك بكيفية ويشفيه فقد ظهر غروره وهكذا الفقيه الذي أحكم علم الطاعات ولم يعملها وأحكم علم المعاصي ولم يجتنبها وأحكم علم الأخلاق للذمومة ومازكى نفسه منها وأحكم علم الأخلاق للمحمودة ولم يتصف بها فهو مغرور إذ قال تعالى «قد أفلح من زكاه» لم يقل قد أفلح من تعلم كيفية تركيبتها وكتب علم ذلك وعلمه الناس وعند هذا يقول له الشيطان لا يتركك هذا المثال فإن العلم بالدواء لا يزيل المرض وإنما مطلبك القرب من الله ونوابه والعلم يجلب الثواب ويتلو عليه الأخبار الواردة في فضل العلم فإن كان السكينة معتوها مغرورا وافق ذلك مراده وهواه فاطمأن إليه وأكمل العمل وإن كان كسيفا يقول للشيطان أتذكرني فضائل العلم وتنسيني ماورد في العالم الفاجر الذي لا يعمل بعلمه كقوله تعالى «فقله كمثل الكلب» وكقوله تعالى «مثل الذين حملوا الدوارة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا» فأى خزي أعظم من التمثيل بالكلب والحمار وقد قال ﷺ «من ازداد علما ولم يزد هدى لم يزد من الله إلا بعدا» (١) وقال أيضا «يلقى العالم في النار فتدلى أفتابه فيدور بها في النار كما يدور الحمار في الرعي» (٢) وكقوله عليه الصلاة والسلام «شر الناس العلماء السوء» (٣) وقول أبي الدرداء: «ويل للذي لا يعلم مرة ولو شاء الله لعلمه وويل للذي يعلم ولا يعمل سبع مرات : أي أن العلم عليه إذ يقال له ماذا عملت فما علمت وكيف قضيت فشكر الله وقال ﷺ «أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه» (٤) فهذا والله ما هو إلا عذر في كتاب العلم في باب علامة علماء الآخرة أكثر من أن يحصى إلا أن هذا أيضا لا يوافق هوى العالم الفاجر وما ورد في فضل العلم يوافق فيه الشيطان قلبه إلى ما يهواه وذلك عين القصور فانه إن نظر بالبصيرة فمثاله ما ذكرناه وإن نظر بعين الايمان فالنبي أخبره بفضيلة العلم هو الذي أخبره بدم العلماء السوء وإن حالهم عند الله أشد من حال الجهال فيمد ذلك اعتقاده أنه على خير مع تأكد حجة الله عليه غاية القصور وأما الذي يدعى علوم المكاشفة كالعلم بالله وبصفاته وأسمائه وهو مع ذلك يعمل العمل وينسب أمر الله وحدوده فقروا أشد وشأله مثال من أراد خدمته فعرف الله معرفته وأوصافه ولو نكسه وطوله وعرضه وعادته ومجته

(١) حديث من ازداد علما ولم يزد هدى الحديث تقدم في العلم (٢) حديث يلقى العالم في النار فتدلى أفتابه الحديث تقدم غير مرة (٣) حديث شر الناس العلماء السوء تقدم في العلم (٤) حديث أهد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله تعالى بعلمه تقدم فيه

الملك إلى آخر القرآن وهو ألف آية فهو خير عظيم كثير وإن لم يحفظ القرآن يقرأ في كل ركعة خمس مرات قل هو الله أحد إلى عشر مرات إلى أكثر ولا يؤخر الوتر إلى آخر التهجيد إلا أن يكون واقفا من نفسه في عاداتها بالانتباه للتهجد فيكون تأخير الوتر إلى آخر التهجيد حيث أفضل ، وقد كان بعض العلماء إذا أوتر قبل النوم ثم قام بتهجد يصلي ركعة يشفع بها وزره ثم يتغسل ما شاء ويوتر في آخر ذلك وإذا كان الوتر من أول

ولم يتعرف ما يحبه ويكرهه وما يهضب عليه وما يرضى به أو عرف ذلك إلا أنه قصد خدمته وهو ملائس لجميع ما يهضب به وعليه وعاطل عن جميع ما يحبه من زى وهيته وكلام وحركة وسكون. فورد على الملك وهو يريد التقرب منه والاختصاص به متلطفا بجميع ما يكرهه الملك عاطلا عن جميع ما يحبه متوسلا إليه بعرفته له والنسب واسمه وبلبه وصورته وشكله وعادته في سياسة غلمانة ومعاملة رعبته فهذا مغرور جدا لو ترك جميع ما عرفه واشتغل بعرفته فقط ومعرفة ما يكرهه ورعبه لكان ذلك أقرب إلى نيله المراد من قربته والاختصاص به بل تصديره في التقوى واتباعه للشهوات يدل على أنه لم ينكشف له من معرفة الله إلا الأساسى دون المائى إذ لو عرف الله حق معرفته لحببه واتقاء فلا ينصور أن يعرف الأسد عاقل ثم لا يتقه ولا يخافه وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام خفى كما تخاف السبع الضارى نعم من يعرف من الأسد لونه وشكله واسمه قد لا يخافه وكأنه ما عرف الأسد فن عرف الله تعالى عرف من صفاته أنه يهلك العالمين ولا يبالي ويعلم أنه مسخر في قدرة من لو أهلك مثله آلافا مؤلفة وأبد عليهم العذاب أبد الآباد لم يؤثر ذلك فيه أثرا ولم تأخذه عليه رقة ولا اعتراه عليه جزع ولذلك قال تعالى - إنما غشى الله من عباده العلماء - فأنقذ الزبور رأس الحكمة خفية الله وقال ابن مسعود كفى بخشية الله علما وكفى بالاعتزاز بالله جهلا واستغنى الحسن عن مسألة فأجاب قبيله إن فقهاءنا لا يقولون ذلك فقال وهل رأيت قبيها قط العقيه القائم ليله الصائم نهاره الزاهد فى الدنيا وقال مرة العقيه لا يدارى ولا يمسارى ينشر حكمة الله فان قبلت من حمد الله وإن ردت عليه حمد الله فاذن العقيه من قبه عن الله أمره ونهيه وعلم من صفاته ما أحبه وما كرهه وهو العالم ومن يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين. وإذا لم يكن بهذه الصفة فهو من اللغزوين. وفرقة أخرى: أشكوا العلم والعمل فواظبوا على الطاعات الظاهرة وتركوا المعاصى إلا أنهم لم يتفقوا قلوبهم ليمحو عنها الصفات للغمومة عند الله من الكبر والحسد والرياء وطلب الرياسة والعلاء وإرادة السوء للأقران والنظر والمطلب الشهرة فى البلاد والعباد وربما لم يعرف بعضهم أن ذلك مذموم فهو مكب عليها غير متحز عنها ولا يلتفت إلى قوله **﴿عَلَيْكُمْ﴾** «أذى الرياء شرك ^(١)» وإلى قوله عليه السلام «لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر ^(٢)» وإلى قوله عليه الصلاة والسلام «الحسد يأكل الحسنات كأن كل النار الحطب ^(٣)» وإلى قوله عليه الصلاة والسلام «حب الشرف والمال يبتنان النفاق كما يبت الماء البقل ^(٤)» إلى غير ذلك من الأخبار التى أو ردها فى جميع ربيع الهالكات فى الأخلاق الذمومة فهؤلاء زينو أظواهرهم وأهملوا بواطنهم ونسوا قوله صلى الله عليه وسلم «إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم ^(٥)» فعمدوا للأعمال وما تهجدوا القلوب والقالب هو الأصل إذ لا يجوز إلا أن الله يقبض سالم ومثال هؤلاء كثير الحش ظاهرها جس وباطنها نئ أو كثير الزوال ظاهرها ميزن وباطنها جيفة أو كبيت مظلم باطنه وضع سراج على سطحه فاستثار ظاهره وباطنه مظلم أو كرجل قصد الملك ضيافته إلى داره فقبض باب داره وترك المزابل فى صدر داره ولا غنى أن ذلك غرور بل أقرب مثال إليه رجل زرع زراعا فنبت ونبت معه حشيش فبسه فأمز بتقية الزرع عن الحشيش فقلعه من أصله فأخذ يحرق رموسه وأطرافه فلا تزال تقوى أصوله فتنبت لأن مغارس المعاصى هى الأخلاق الذميمة فى القلب فمن

الليل يصل إلى يد الور
ركنتين جالسا يقرأ
فيهما يدا زلزلت
والهاكم وقيل قل
الركنتين قاعدا عزلة
الركمة قائما يشفع له
الور حتى إذا أراد
التهجد يأتي به ويوتر
فى آخر تهجده ونية
هاتين الركنتين نية
النفل لا غير ذلك
وكثيرا ما رأيت الناس
يفتاضون فى كيفية
نيتهم وإن قرأ فى كل
ليلة السجعات وأضاف
إليها سورة الأعلى
فتصير سنا فقد كان
العلماء يفرون هذه
السور ويترقبون
بركتها فإذا استيقظ

- (١) حديث أدنى الرياء شرك تقدم فى ذم الجاه والرياء (٢) حديث لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر تقدم غير مرة (٣) حديث الحسد يأكل الحسنات الحديث تقدم فى العلم وغيره (٤) حديث حب الشرف والمال يبتنان النفاق فى القلب الحديث تقدم (٥) حديث إن الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم الحديث تقدم.

لا يظهر القلب منها لانهم له الطاعات الظاهرة لإلزام الآفات الكثيرة بل هو كريش ظهر به الجرب وقد أمر بالطلاء وشرب الدواء فالطلاء ليزيل ما على ظاهره والدواء ليقطع مادته من باطنه فتنقح بالطلاء وترك الدواء وبقي يتناول ما يزيد في السادة فلا يزال يطلى الظاهر والجرب دائم به يتجر من البادة التي في الباطن. وفرقة أخرى : علوا أن هذه الأخلاق الباطنة مذمومة من جهة الشرع إلا أنهم لعجب بأنفسهم يظنون أنهم منصفون عنها وأنهم أرفع عند الله من أن يتبليهم بذلك وإنما يتبلى به العوام دون من يبلغ مبلغهم في العلم فأما هم فأعظم عند الله من أن يبيناهم ثم إظهار عليهم محاييل الكبر والرياسة وطلب العلو والشرف قالوا ما هذا كبر وإنما هو طلب عز الدين وإظهار شرف العلم ونصرة دين الله وإزغام أنف المخالفين من المتبعين وإن لولست البدون من الثياب وجلست في البدون من المجالس لسمحت بي أعداء الدين وفرحوا بذلك وكان ذلي ذلا على الاسلام ونسى القرو أن عدو الله الذي حذر منه مولاه هو الشيطان وأنه يفرح بما يفعله ويسخر به وينسى أن النبي صلى الله عليه وسلم بماذا نصر الدين وبماذا أرغم الكافرين ونسى ما روى عن الصحابة من التواضع والتبذل والقناعة بالقرى والمسكنة حتى عوتب عمر رضي الله عنه في بذاة زيه عند قدومه إلى الشام فقال : إنا قوم أعزنا الله بالاسلام فلا نطلب العز في غيره ثم هذا القرو يطلب عز الدين بالثياب الرقيقة من القصب والديق والابريص المحرم والخير والراكب ويرزعم أنه يطلب به عز العلم وشرف الدين وكذلك هم أطلقوا اللسان بالحسد في أقرانه أوفين رد عليه شيئا من كلامه لم يظن بنفسه أن ذلك حسد ولكن قال إنما هذا غضب للحق ورد على البطل في عدوانه وظلمه ولم يظن بنفسه الحسد حتى يستفاد أنه لوطن في غيره من أهل العلم أو من غيره من رياسة وزوج فيها هل كان غضبه وعداوته مثل غضبه الآن فيكون غضبه لله أم لا ينضب مهما طمن في عالم آخر ومنع بل ربما يفرح به فيكون غضبه لنفسه وحسده لأنهم من حيث باطنه وهكذا يرأى بأعماله وعلومه وإذا خطر له خاطر الرياء قال هيأت إنما غرضي من إظهار العلم والعمل اقتداء الخلق بليبتدوا إلى دين الله تعالى فيخلصوا من عقاب الله تعالى ولا يتأبد القرو أن ليس يفرح باقتداء الخلق بغيره كما يفرح باقتدائه به فلو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يد من كان كمن له عبيد مرضى يريد معالجتهم فانه لا يفرق بين أن يحصل شفاؤهم على يده أو على يد طبيب آخر وربما يذكر هذا له فلا يخليه الشيطان أيضا ويقول إنما ذلك لأنهم إذا هتدوا إلى كان الأجرى والثواب لي فأنا فرحى ثواب الله لا يقول الخلق قولي هذا ما يظنه بنفسه والله مطلع من ضميره على أنه لو أخبره نبي بأن ثوابه في الجحيم وإخفاء العلم أكثر من ثوابه في الاطمار وحسن مع ذلك في سجن وقيد بالسلاسل احتال في هدم السجن وحل السلاسل حتى يرجع إلى موضعه الذي به تظهر رياسته من تدريس أو وعظ أو غيره وكذلك يدخل على السلطان ويتودد إليه ويثنى عليه ويتواضع له وإذا خطر له أن التواضع لسلطين الظلة حرام قال له الشيطان هيأت إنما ذلك عند الطمع في العلم فأما أنت ففرضك أن تتفجع للسليين وتدفع الضرر عنهم وتدفع شر أعدائك عن نفسك والله يعلم من باطنه أنه لو ظهر لبعض أقرانه قبول عند ذلك السلطان ضار يشتمه في كل مسلم حتى دفع الضرر عن جميع السليين نقل ذلك عليه ولو قدر أن أن يقبح حاله عند السلطان بالطن فيه والكذب عليه لقل وكذلك قد يتهى غرور بعضهم إلى أن يأخذ من ماله وإذا خطر له أنه حرام قال له الشيطان هذا مال لا مالك له وهو لمصلحة السليين وأنت إمام السليين وعالمهم ويك قوام الدين أفلا تعلمك أن تأخذ قدر حاجتك فيقترب هذا التلبس في ثلاثة أمور : أحدها في أنه مال لا مالك له فانه يعرف أنه يأخذ الخارج من السليين وأهل السواد والذين أخذ منهم أحياء وأولادهم وورثتهم أحياء وغاية الأمر وقوع الخلط

من النوم فمن أحسن الأدب عند الانتباه أن يذهب يباطه إلى الله ويصرف فكره إلى أمر الله قبل أن يحول الفكر في شيء سوى الله ويستغل اللسان بالذكر فالصديق كالطفل الكلف بالشيء إذا نام ينام على هيئة الشيء وإذا انتبه يطلب ذلك الشيء الذي كان كلف به وعلى حسب هذا الكلف والشغل يكون اللوث والقيام إلى الحشر فليظن وليعتبر عند انتباهه من اليوم ما هم فانه هكذا يكون عند القيام من القبر إن

في أموالهم ومن غصب مائة دينار من عشرة أنسى وخلطها فلا خلاف في أنه ماله حرام ولا يقال هو مال لملك له ويجب أن يقسم بين العشرة ويرد إلى كل واحد عشرة وإن كان ماله كل واحد قد اختلط بالآخر الثاني في قوله إنك من مصالح السليين وبك قوام الدين ، ولعل القدر فسد دينهم واستحووا أموال السلاطين ورغبوا في طلب الدنيا والاقبال على الرئاسة والإعراض عن الآخرة بسببه أكثر من الدين زهدوا في الدنيا ورفضوها وأقبلوا على الله فهو على التحقيق دجال الدين وقوام مذهب الشياطين لإمام الدين إذا إمامه هو الذي يقتدى به في الإعراض عن الدنيا والاقبال على الله كالأنبياء عليهم السلام والصحابة وعلاء السلف . والدجال هو الذي يقتدى به في الإعراض عن الله والاقبال على الدنيا فعمل موهنا أشنع للمسلمين من حياته وهو زعم أنه قوام الدين ومثله كما قال المسيح عليه السلام لعالم السوء إنه كصخرة وقص في قم الوادي فلا هي تشرب لئلا ولاهي ترك للنام يخلص إلى الزرع وأصناف غرور أهل العلم في هذه الأعصار للتأخرة خارجة عن الحصر وفيما ذكرناه تنبيه القليل على الكثير ، وفرقة أخرى أحكوا العلم وطهروا الجوارح وزينوها بالطاعات واجتنبوا طواغيت المصالح وتفقدوا أخلاق النفس وصفات القلب من الرياء والحسد والمقدور والكبر وطلب الملوك واجادوا أنفسهم في التبري منها وقلموا من القلوب منابتها الجلية القوية ولكنهم بعد مغرورون إذ ذقت في زوايا القلب من خفايا مكاييد الشيطان وخبايا خداع النفس ماذق ونمض مدرك فلم يفتنوا لها وأهموها وإعما مثاله من يريد تقية الزرع من الحشيش فدار عليه وفشش عن كل حشيش رآه فقلعه إلا أنه لم يفتش على مالم يخرج رأسه بعد من تحت الأرض وظن أن الكل قد ظهر وبرز وكان قد ثبت من أصول الحشيش شجب لطاف فانبسط تحت التراب فأهملها وهو يظن أنه قد اقتلعها فإذا هو بها في غفلته وقد ثبت وقويت وأفسدت أصول الزرع من حيث لا يدري فكذلك العالم قد يفعل جميع ذلك وينهل عن الرقابة للخفايا والتفقد للدقائق فقرأ يسر ليه ونهاره في جمع العلوم وترتيبها وتحسين ألفاظها وجمع التصانيف فيها وهو يرى أن باعته الحرس على إظهار دين الله ونشر شريعته ولعل باعته الحق هو طلب الذكر وانتشار الصيت في الأطراف وكثرة الرحلة إليه من الأفاق وانطلاق الألسنة عليهثناء والديج بالزهد والورع والعلم والتقديم له في الهمات وإشارته في الأغراض والاجتماع حوله للاستفادة والتقليد بحسن الاصفاء عند حسن اللفظ والإيراد والتمتع بتحريك الرووس إلى كلامه والبيكا عليه والتحميم منه والفرج بكثرة الأصحاب والأتباع والمستفيدين والسرور بالتخصيص بهذه الخاصية من بين سائر الأقران والأشكال للجمع بين العلم والورع وظاهره أن هذا التسكين بمن إطلاق لسان الطعن في الكافة للقلبين على الدنيا لاعتقدهم بمعية الدين ولكن عن إدلال بالتميز واعتداد بالتخصيص ولعل هذا التسكين للفرور حياته في الباطن بما انتظم له من أمر وإدارة وعز وإتقان وتوفير وحسن تناء فتوثيرت عليه القلوب واعتقدوا فيه خلاف الزهد بما يظهر من أعماله فساء يفتشوا عليه قلبه وتختلط أوراذه وظواهره وعساه يثدر بكل حيلة لنفسه وزبعا يحتاج إلى أن يكذب في تغطية عيه وعساه يؤثر بالكرامة وللإعارة من اعتقده فيه الزهد والورع وإن كان قد اعتقده فيه فوق قدره وينبؤ قلبه ممن عرف حقه فله وورعه وإن كان ذلك على وفق حاله وعساه يؤثر ببعض أصحابه على بعض وهو يرى أنه يؤثره تقدمه في الفضل والورع وإعما ذلك لأنه أطوع له وأبغى لمراهه وأكثر تناء عليه وأشد إعاضا إليه وأحرص على خدمته ولطمهم يستفيدون منه ويرغبون في العلم وهو يظن أن قبولهم له لاختلاصه وصدقه وقيامه بحق علمه فيحمد الله تعالى على ما يسر على لسانه من منافع خلقه ويرى أن ذلك مكفر لدنوبه ولم يتفقد مع نفسه تصحيح النية فيه وعساه لو عهد بمثل ذلك الثواب على إشارته الجول

كان همه الله فهمه هو والإفهمه غير الله والمبد إذا اتبه من النوم فيأفنه عائد إلى طهارة الفطرة فلا يدع الباطن يتغير بشير ذكر الله تعالى حتى لا يذهب عنه نور الفطرة الذي انتبه عليه ويكون فائرا إلى ربه يياضه خوفا من ذكر الأغيار ومهمسا وفي الباطن بهذا للبار قد اتقى طريق الأنوار وطرق النفحات الإلهية لجذب أن تصب إليه أقسام الليل انصبايا وبيرجاب القرب له مولا وماكبا ويقول

والعزلة وإخفاء العلم لم يرغب فيه لفقدته في العزلة ولا إخفاء لئلا القبول وعزة الرئاسة ولعل مثل هذا هو المراد بقول الشيطان من زعم من بنى آدم أنه بعلمه امتنع من فيجبهه وقع في جباله وغشاء بصنف ويجتهد فيه طائفا أنه يجمع علم الله ليتفهم به وإنما يريد به استطارة اسمه بحسن التصنيف فلو ادعى مدح تصنيفه ومحا منه اسمه ونسبه إلى نفسه نقل عليه ذلك مع علمه بأن ثواب الاستفادة من التصنيف إنما يرجع إلى الصنف والله يعلم بأنه هو الصنف لا من ادعاه ولله في تصنيفه لا يخلو من التنازع على نفسه إما سرهيا بالدعوى الطويلة العريضة وإما ضمنا بالطنن في غيره ليستبين من طعنه في غيره أنه أفضل ممن طعن فيه وأعظم منه علما ولقد كان في غنية عن الطعن فيه ، ولله يحكى من الكلام للزيف ما يزيد تزييفه فيزيره إلى قائله وما يستحسنه فله لا يزيه إليه ليظن أنه ممن كلامه فينقله بينه كالسارق له أو يشيره أدنى تغير كالذي يسرق لقيصا فيتخذ قباء حتى لا يعرف أنه مسروق ، ولله يجتهد في تزيين ألقائه وتسميته وتحسين نظمه كيلا ينسب إلى الركاكة ويرى أن غرضه ترويع الحكمة وتحسينها وتزيينها ليكون أقرب إلى نفع الناس وعشاء غافلا عما روى أن بعض الحكماء وضع ثلثمائة مصحف في الحكمة فأوحى الله إلى نبي زمانه قل له قد ملأت الأرض ثقاقا وإنى لأتقيل من ثقاقك شيئا ولعل جماعة من هذا الصنف من المقربين إذا اجتمعوا ظن كل واحد بنفسه السلامة عن عيوب القلب وخفائهم فلو اختلفوا وتبع كل واحد منهم فرقة من أصحابه نظر كل واحد إلى كثرته من بقمه وأنه أكثر بما أو غيره فيفرح إن كان أتباعه أكثر وإن علم أن غيره أحق بكثره أتباعه ثم إذا انفرقوا واشتغلوا بالإفادة تمارروا وتحادسوا ولعل من يختلف إلى واحد منهم إذا انتطح عنه إلى غيره نقل كل قلبه ووجد في نفسه ثغرة منه فبعد ذلك لا يهتز باطنه لإكرامه ولا يشتمر لقضاء حوائجه كما كان يشتمر من قبل ولا يحرص على التنازع عليه كما اتفق مع علمه بأنه مشغول بالاستفادة ولعل التحيز منه إلى فئة أخرى كان أقم له في دينه لآفة من الآفات كانت تلحقه في هذه الفئة وسلامته عنها في تلك الفئة فوقع ذلك لا تزول الثغرة عن قلبه ولعل واحدا منهم إذا تحركت فيه مبادئ الحسد لم يقدر على إظهاره فيقتل بالطنن في دينه وفي ورعه ليجعل غضبه على ذلك ويقول إنما غضبت لدين الله للنفس ، ومهما ذكرت عيوبه يئن بديه ربما فرح له وإن أتى عليه ربما ساءه وكرهه وربما قطب وجهه إذا ذكرت عيوبه يظهر أنه كاره بعية المسلمين وسر قلبه راض به ومريد له والله مطلع عليه في ذلك ، فهذا وأمثاله من خفايا القلوب لا يغفلن له إلا الأكياس ولا يتزهد عنه إلا الأقوياء ولا مطمع فيه إلا المتأملان من الضعفاء إلا أن أقل الدرجات أن يعرف الإنسان عيوب نفسه ويسوءه ذلك ويكرهه ويحرص على إصلاحه فإذا أراد أنه بعد خيرا بصره بعيوب نفسه ومن سرته حسنته وساءت سميت فهو مرجو الحال وأمره أقرب من المرور الزكي لنفسه للمتن على الله بعمله وعلمه الظان أنه من خيار خلقه فتعوز باقه من الثقة والاعتقاد ومن اللفرقة خفايا العيوب مع الإجمال ، هذا غرور الدين حصول العلوم الهمة ولكن قصروا في العمل بالعلم ، ولندكر الآن غرور الدين فتعوز من العلوم بحالهمهم وتركوا اللهم وهم بمنزلة إما لاستغنائهم عن أصل ذلك العلم وإما لاتصايرهم عليه ، فهم فرقة انقصروا على علم الفتاوى في الحكومات والخصومات وتفاصيل المعاملات الدينية الجارية بين الخلق لصالح العباد وخصوصا اسم الفقه بها وموه الفقه وعلم المذهب وربما ضيعوا مع ذلك الأعمال الظاهرة والباطنة فلم ينقدوا الجوارح ولم يغرسوا اللسان عن النية ولا البطن عن الحرام ولا الرجل عن الشئ إلى السلاطين وكذا سائر الجوارح ولم يغرسوا قلوبهم عن الكبر والحسد والرياء وسائر الهلكات فهملوا منغرورون من وجهين : أحدهما من حيث العمل والآخر من حيث العلم . أما العمل فقد ذكرنا وجه الغرور فيه وأن مثاله

بالسان الحمد الذي
أحيانا بعد ما أمانتا
وإليه النشور ويقرأ
المشر الأواخر من
سورة آل عمران ثم
يقصد الماء الطهور
قال الله تعالى - وينزل
عليكم من السماء ماء
ليطهركم به - وقال
عز وجل - أنزل من
السماء ماء فسال
أودية بقدرها - قال
عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما الماء
القرآن والأودية
القلوب فسالت
بقدورها واحتملت
ما وسعت والماء مطهر
والقرآن مطهر والقرآن
بالطهير أجدر بالماء

مثال المريض إذا تعلم نسخة الدواء واشتغل بتكراره وتعليمه لأبيل مثاله مثال من به علة البواسير والبرسام وهو مشرف على الهلاك وحاج إلى تعلم الدواء واستعماله فاشتغل بتعلم دواء الاستحاضة وبشكل تكرار ذلك ليلا ونهارا مع علمه بأنه رجل لا يحبس ولا يستحاض ولكن يقول ربما تنفع علة الاستحاضة لامرأة وتساؤني عن ذلك وذلك غاية الضرور فكذلك التفقه للساكنين قد يسقط عليه حب الدنيا واتباع الشهوات والحسد والكبر والرياء وسائر الهلكات الباطنة وربما غمطه اللوث قبل التوبة والاتلاف فيلقى الله وهو عليه غضبان فترك ذلك كله واشتغل بعم السلم والإجارة والظهار والعمان والمجارات والديارات والدعاوى والبيئات وبكتاب الحليس وهو لا يحتاج إلى شيء من ذلك قط في عمره نفسه وإذا احتاج غيره كان في الفتن كثرة فيشتغل بذلك ويغرس عليه لما فيه من الجاه والرياسة والسلب وقد دهاج الشيطان وما يشمر إذ يظن للضرور بنفسه أنه مشغول بغرض دينه وليس يدري أن الاشتغال بغرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين معصية ، هذا لو كانت نيته صحيحة كما قال وقد كان قصد بالقه وجه الله تعالى فإنه وإن قصد وجه الله فهو باشتغاله به معرض عن فرض عينه في جوارحه وقلبه فهذا غروره من حيث العمل ، وأما غروره من حيث العلم فيشتغل على علم الفتاوى وظن أنه علم الدين وترك علم كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وربما طعن في المحدثين وقال إنهم ثقة أخبار وحلة أسفار لا يفقهون وترك أيضا علم تهذيب الأخلاق وترك الفقه عن الله تعالى بإدراكه جلالة وعظمته وهو العلم الذي يورث الخوف والحيمة والخشوع ويحمل على التقوى قراءة آيات من الله مقترابه متكلما على أنه لا بد وأن يرجمه فإنه قوام دينه وأنه لو لم يشتغل بالفتاوى لتسلط الحلال والحرام لقد ترك العلوم التي هي أهم وهو غافل مغرور وسبب غروره ما سمع في الشرع من تعظيم الفقه ولم يذكر أن ذلك الفقه هو الفقه عن الله ومعرفته صفاته الخفية والمرجوة ليستشعر القلب الحرف ويلزم التقوى إذ قال تعالى - فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون - والذي يحصل به الانذار غير هذا العلم فإن مقصود هذا العلم حفظ الأموال وشروط المعاملات وحفظ الأبدان بالأموال وبدفع القتل والمجارات والمسالق في طريق الله آله والدين من كبرياء العلم المهم وهو معرفة سلوك الطريق وقطع عقبات القلب التي هي الصفات المذمومة فهي الحجاب بين الصديق الله تعالى وإذا مات مولانا بتلك الصفات كان محجوبا عن الله فتاله في الاقتصار على علم الفقه مثال من اقتصر من سلوك طريق الحج إلى علم خرز الراوية والخف ولا شك في أنه لو لم يكن لتسلط الحج ولكن اقتصر عليه ليس من الحج في شيء ولا بسبيله وقد ذكرنا شرح ذلك في كتاب العلم ومن هؤلاء من اقتصر من علم الفقه على الخلافات ولم يهجم إلا على طريق المجادلة والإثام وإلحاق الخصوم ودفع الحق لأجل القليل القليل المباحة فهو طول الليل والنهار في التفتيش عن مناقضات أرباب المذاهب والتفتع ليويلب الأقران والتنافس لأنواع التسيبيات المؤذية وهو لا هم سباع الإنس طبعهم الأبداء وهم السفه ولا يقصدون العلم إلا لقرورة وما يلزمهم لمباهات الأقران فكل علم لا يحتاجون إليه في المباحة كعلم القلب وعلم سلوك الطريق إلى الله تعالى بمحو الصفات المذمومة وتبديلها بالمحمودة فانهم يستحقرون ويسمون الزويق وكلام الوعاظ وإنما التفتيش عندهم معرفة تفاصيل العريضة التي تجري بين المتصارعين في الجدل وهؤلاء قد جمعوا ما جمعه الدين من قبلهم في علم الفتاوى لكن زادوا إذا اشتغلوا بما ليس من فروض الكفايات أيضا بل جميع دقائق الجدل في الفقه بدعة لم يفرها السلف ، وأما أدلة الأحكام فيشتغل عليها علم المذهب وهو كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومهم معايبها وأما حيل الجدل من الكسر والقلب وفساد الوضع والتركيب والتمدية فانما أبدعت لإظهار القلة والإلحاق وإقامة سوق الجدل بها ضرور هؤلاء أشد

يقوم غيره مقامه والقرآن والملم لا يقوم غيرها مقامها ولا يسد مدوها فالداء الطهور يظهر الظاهر والعلم والقرآن يظهران الباطن ويذهبان رجز الشيطان فالعلم غفلة وهو من آثار الطبع وجدير أن يسكون من رجز الشيطان لما فيه من النفعة عن الله تعالى وذلك أن الله تعالى أمر بقبض القبضة من التراب من وجه الأرض فكانت القبضة جهة الأرض والجلدة ظاهرها بشرية وباطنها أدمة قال الله تعالى

كثيراً وأقبح من غرور من قبلهم . وفرقة أخرى اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة في الأهواء والزهد في الخلق وتبعية مناقضاتهم واستكثروا من معرفة القالات المختلفة واشتغلوا بتعلم الطرق في مناظرة أولئك وإخافهم واقتروا في ذلك فرقا كثيرة واعتقدوا أنه لا يكون لمبدع عمل إلا يصح إيمان إلا بأن يتعلم جدلهم وما سموه أدلة عقائدهم وظنوا أنه لا أحد أعرف بالله وبصفاته منهم وأنه لا إيمان لمن لم يتقدم منهم ولم يتعلم عنهم ودعت كل فرقة منهم إلى نفسها ثم هم فرقتان مثاقفة فالتصاهى التي تدعو إلى خير السنة والحقة هي التي تدعو إلى السنة والفرور شامل للجميع . أما المثاقفة فلثقلها عن ضلالها وظنها بنفسها النجاة وهم فرقة كثيرة يكفر بعضهم بضأ وإما أثبت من حيث إنها لم تنه رأيا ولم تحكم أولا شروط الأدلة ومنهاجها فرأى أحدهم الشبهة دليلا والدليل شبهة . وأما الفرقة الحقة فأنما اغترابها من حيث إنها ظنت بالجدل أنه أم الأمور وأفضل القربات في دين الله وزعمت أنه لا يتم لأحد دينه ما يخص ويشت وأن من صدق الله ورسوله من غير بحث وتحرر دليل فليس يؤمن أو ليس كامل الإيمان ولا مقرب عند الله فهذا الظن القاسد قطع أمحارها في تعلم الجدل والبحث عن القالات وهذيان البدعة ومناقضاتهم وأهلوا أنفسهم وقلوبهم حتى عميت عليهم ذنوبهم وخطاياهم الظاهرة والباطنة وأحد من يظن أن اشتغاله بالجدل أولى وأقرب عند الله وأفضل ولكنه لا تذاذه بالقلبية والإخام وقلة الرئاسة وعز الانتماء إلى الدب عن دين الله تعالى عميت بصره فلم يلتفت إلى القرن الأول فان النبي صلى الله عليه وسلم شهد لهم بأنهم خير الخلق وأنهم قد أذكروا كثيرا من أهل البدع والهوى لما جلولوا أعمارهم وودينهم غرض الخصومات والمجادلات وما اشتغلوا بذلك عن تفقد قلوبهم وجوارحهم وأحوالهم بل لم يتسكلموا فيه إلا أن حيث رأوا حاجة وتوصوا بحاجات يقولون قد كروا بقدر الحاجة ما يدل الضال على ضلاله وإذا رأوا مصرا على ضلاله هجروه وأعرضوا عنه أو ينضوه في الله ولم يلزموا للملاحاة معه طول العمر بل قالوا إن الحق هو الدعوة إلى السنن من السنة ترك الجدل في الدعوة إلى السنة إذ روى أبو أمامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال وما ضل قوم قط بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل (١) « وخرج رسول الله ﷺ يوما على أصحابه وهم يتجادلون ويغصون ففضب عليهم حتى كأنه في في وجهه حب الزمان (٢) حرمة من الغضب فقال: «الهدأ بضم هذا أمرتم أن تقرروا كتاب الله بضمه يعرضوا إلى ما أمرتم به فاعملوا وما نهيتهم عنه فاتواهم فقد جزم عن ذلك وكانوا أولى خلق الله بالحجاج والجدال ثم إنهم رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بحث إلى كافة أهل اللل فلم يحد معهم في مجلس مجادلة لإلزام وإفحام وتحقيق حجة ودفع سؤال وإيراد إلزامها جادلهم إلى تلاوة القرآن للزلز عليهم ولم يزد في المجادلة عليه لأن ذلك يشوش القلوب ويستخرج منها الإشكالات والفتنة ثم لا يقدر على عوها من قلوبهم وما كان يعجز عن مجادلتهم بالفتنات ودقائق الأقيسة وأن يعلم أصحابه كيفية الجدل والإلزام ولكن الأكياس وأهل الحزم لم يفتروا بهذا وقالوا لو نجح أهل الأرض وهلكنا لم تنفعنا نجاتهم ولو نجحنا وهلكوا لم يضرنا هلاكهم وليس علينا في المجادلة أكثر مما كان على الصحابة مع اليهود والنصارى وأهل اللل وما ضيعوا العمر بتحرير مجادلتهم فلاننا نفضح السم ولا نصرفه إلى ما ينفعنا في يوم قهرنا وفائقنا ولم نخوض فيها لا نأمن على أنفسنا الخطأ في تضاعفه ثم رى أن البدع ليس يترك بدته بمجداله بل يزيده التعصب والخصومة تشددا في بدته فاشتغل بمخاصمة تسمى ومجادلتها لتترك الدنيا للأخرة أولى هذا لو كنت لم أنعن الجدل

(١) حديث ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل تضم في العلم وفي آفات السان (٢) حديث خرج يوما على أصحابه وهم يجادلون ويغصون فضضب حتى كأنه في في وجهه حب الزمان الحديث تقدم.

- إن خالق البشر طين - فالبشرة والبشر عبارة عن ظاهره وصورة هو الأدمية عبارة عن باطنه وأدميته والأدمية جمع الأخلاق الحميدة وكان التراب موطنه آدماء إبليس ومن ذلك اكتسب ظلمة وصارت تلك الظلمة محبوبة في طينة الآدمي ومنها الصفات للدمومة والأخلاق الرديئة . ومنها الظلمة والسوء فإذا استعمل بالظن رجز الشيطان عنه رجز الشيطان وأثر وطأته ويحكم له بالسلم والخروج من

والحسومة فكيف وقد نهيت عنه وكيف أدعو إلى السنة بترك السنة فالأولى أشققد نسي وأنظر من صفاتها ما ينضه الله تعالى وما يحبه لأنزه عما ينضه وآتسك بما يحبه . وفرقة أخرى: اشتغال الوعظ والتذكير وأعلام رتبة من يتسكف في أخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والصبر والشكر والتوكل والزهد واليقين والإخلاص والصدق ونظائرهم من مفرورون يظنون بأنفسهم أنهم إذا تسكفوا بهذه الصفات ودعوا الخلق إليها فقد صاروا موصوفين بهذه الصفات وهم منسكون عنها عند الله إلا عن قدر يسير لا ينفك عنه عوام السلفين وغرور هؤلاء أشد الغرور لأنهم يسبون بأنفسهم غاية الإعجاب ويظنون أنهم ما تجرأوا في علم الحجة إلا وهم محبون لله وما قدروا على تحقيق دقائق الإخلاص إلا وهم مخلصون وما تقوا على خفايا عيوب النفس إلا وهم عنها منزهون ولولا أنه مقرب عند الله ما عرفه معنى القرب والبعد وعلم السلوك إلى الله وكيفية قطع النازل في طريق الله فالسكينة بهذه الظنون يرى أنه من الحاققين وهو آمن من الله تعالى ويرى أنه من الراجين وهو من اللقرين العريقين ويرى أنه من الراسخين بقضاء الله وهو من الساخطين ويرى أنه من التوكلين على الله وهو من التشكيكين على العز والجاه والمال والأسباب ويرى أنه من المخلصين وهو من الرائبين بل يصف الإخلاص بترك الإخلاص في الوصف ويصف الرياء بذكره وهو يرأى بذكره ليعتد فيه أنه لولا أنه مخلص لما اهتدى إلى دقائق الرياء ويصف الزهد في الدنيا لشدة حرصه على الدنيا وقوة رغبته فيها فهو يظهر الدعاء إلى الله وهو منه فار وغوف بالله تعالى وهو منه آمن ويذكر بالله تعالى وهو له ناس ويقرب إلى الله وهو منه متباعد ويحث على الإخلاص وهو غير مخلص ويضم الصفات للذمومة وهو بها متصف ويصرف الناس عن الحقائق وهو على الخلق أشد حرصا لو منع عن جملة الذي يدعو الناس فيه إلى الله لفانقت عليه الأرض بما رحبت وزعم أن غرضه إصلاح الخلق ولو ظهر من أقرانه من أمثل الخلق عليه وصلحوا على يديه لما ت غما وحسدا ولو أثنى أحد من الترددون إليه على بعض أقرانه لكان بعض خلق الله إليه هؤلاء أعظم الناس غرة وأبعدم عن التنبيه والرجوع إلى السداد لأن للرغب في الأخلاق الممدودة وللنفر عن الذمومة هو العلم بنوائلها وفوائدها وهذا قد علم ذلك ولم ينفعه وخشاه حب دعوة الخلق عن العمل به فيبد ذلك بماذا يعالج وكيف سبيل تخويفه وإنما الخوف ما يتلوه على عباد الله فيخافون وهو ليس بخائف نعم إن ظن نفسه أنه موصوف بهذه الصفات الممدودة يمكن أن يدل على طريق الامتحان والتجربة وهو أن يدعى مثلاً حب الله فما الذي تركه من محاب نفسه لأجله ويدعى الخوف فما الذي امتنع منه بالخوف ويدعى الزهد فما الذي تركه مع القدرة عليه لوجه الله تعالى ويدعى الأنس بالله فمق طابت له الخفوة ومن استوحش من مشاهدة الخلق لا بل يرى قلبه يتنق بالحلاوة إذا أحقق به المريدون وتراه يستوحش إذا خلا بالله تعالى فهل رأيت محبا يستوحش من محبوبه ويستوحش منه إلى غيره فالأكياس يمتحنون أنفسهم بهذه الصفات ويطلبونها بالحقيقة ولا يقنعون منها بالزويق بل بموتقى من الله غليظ والمفترون يحسنون بأنفسهم الظنون وإذا كشف الغطاء عنهم في الآخرة يفتضحون بل يطرحون في النار فتندلق أفتابهم فيدور بها أحدم كاي دور الحمار بالرحى كما ورد به الخبر لأنهم يأسرون بالخير ولا يأتونه وينهون عن الشر ويأتونه وإنما وقع الغرور هؤلاء من حيث إنهم يصادفون في قلوبهم شيئا ضيقا من أصول هذه الماني وهو حب الله والخوف منه والرضا بفضله ثم قدروا مع ذلك على وصف المنازل العالية في هذه الماني فظنوا أنهم ما قدروا على وصف ذلك وما رزقهم الله علمه وما نفع الناس بكلامهم فيها إلا لاصافهم بما وذهب عليهم أن القبول للكلام والكلام للمعرفة وجريان اللسان والمعرفة للعلم وأن كل ذلك غير الانصاف بالصفة

حيز الجهل فاستعمال
الظهور أمر شرعي له
تأثير في نور القلب
بإزاء النوم الذي هو
الحكم الطبيعي الذي
له تأثير في تكدير
القلب فيذهب نور هذا
بظلمة ذلك ولهذا رأى
بعض السلفاء الوضوء
عما مست النار وحكم
أبو حنيفة رحمه الله
بالوضوء من التهمة
في الصلاة حيث رآها
حكما طبيعيا جالبا للآثم
والآثم رجس من
الشیطان والماء يذهب
رجس الشيطان حتى
كان بعضهم يتوضأ
من التوبة والكذب
وعند الضبط لظهور

فلم يفارق أحد المسلمين في الانصاف بصفة الحب وال خوف بل في القدرة على الوصف بل بعبارة أدمنه
وقلّ خوفه وظهر إلى الخلق بيله وضمف في قلبه حب الله تعالى ، وإنما مثاله مثال مريض يصف
للرض وصف دواء فصاحته وصف الصحة والشفاء وغيره من الرضى لا يقدر على وصف الصحة
والشفاء وأصابه ودرجاته وأصفاته فهو لا يفارقهم في صفة المرض والانصاف به وإنما يفارقه في الوصف
والعلم بالحب فظه عند علمه بحقيقة الصحة أنه صحيح غاية الجهل فكذلك العلم بالخوف والحب
والتوكل والزهد وسائر هذه الصفات غير الانصاف بمقتاتها ، ومن التيسر عليه وصف الحقائق
بالانصاف بالحقائق فهو مغرور فهذه حالة الوعاظ الذين لا عيب في كلامهم بل مناج وعظم مناج
وعظ القرآن والأخبار وعظ الحسن البصري وأمثاله رحمة الله عليهم . وفرقة أخرى . منهم عدلوا
عن التناج الواجب في العظ وهم وعظ أهل هذا الزمان كافة إلا من عصمه الله عن الدور في بعض
أطراف البلاد إن كان ولنا نعرفه فاشتغلوا بالطامات والشطط وتلقوا كلات خارجة عن قانون الشرع
والعمل طلبا للأغراب ، وطاعة شفقوا بطائرات السكت وتسجيع الألفاظ وتلقفها كأثر همهم
بالأمسج والاستشهاد بأشعار الوصال والفراق وغرضهم أن تكثر في مجالسهم الزغاث والتواجدلو
على أغراض فاسدة فهؤلاء شياطين الانس خلوا أو ضلوا عن سواء السبيل فإن الأولين وإن لم يصلحوا
أنقسم قد أصلحوا غيرهم وصححو كلامهم وعظهم ، وأما هؤلاء فانهم يصدون عن سبيل الله
ويجرون الخلق إلى الضور بالله بلفظ الرجاء فيزيدم كلامهم جرأة على المعاصي ورغبة في الدنيا
لا سيما إذا كان الواعظ متزينا بالثياب والجليل والمراكب فانه تشبه هيئة من فرقة إلى قدمه بشدة
حرصه على الدنيا فما يغسده هذا الضور أكثر مما يصلحه بل لا يصلح أصلا ويضل خلقا كثيرا ولا
يغني وجه كونه مغرورا . وفرقة أخرى منهم فتعوا بحفظ كلام الزهاد وأحاديتهم في ذم الدنيا فهم
يحفظون الكلمات على وجهها ويؤدونها من غير إحاطة بمعانيها فيضمهم بفعل ذلك على الناس ،
وبعضهم في الحاربي ، وبعضهم في الأسواق مع الجلساء وكل منهم يظن أنه إذا تميز بهذا القدر
عن السوق والجندي إذ حفظ كلام الزهاد وأهل الدين دونهم قد أفلح ونال الرضى وصار مغفورا
له وأمن عقاب الله من غير أن يحفظ ظاهره وباطنه عن الآثام ولكنه يظن أن حفظه لكلام أهل
الدين يكفي ، وغرور هؤلاء أظهر من غرور من قبلهم . وفرقة أخرى استغرقوا أوقاتهم في علم
الحديث أمعن في سماعه وجمع الروايات الكثيرة منه وطلب الأسانيد الثرية العالية فهمة أحدهم أن
يدور في البلاد ويرى الشيوخ يقول أنا أروى عن فلان ولقد رأيت فلانا ومعنى من الاستناد ما ليس
مع خيرى ، وغرورهم من وجوه : منها أنهم كلمة الأسفار فانهم لا يعرفون الناية إلى فهم معاني
السنة فسلمهم قاصر وليس معهم إلا النقل ويظنون أن ذلك يكفيهم . ومنها أنهم إذا لم يفهموا معانيها
لا يميلون بها وقد يفهمون بعضها أيضا ولا يميلون به . ومنها أنهم يتركون العلم الذى هو عرض عين
وهو معرفة علاج الضرب ويشتغلون بشكثير الأسانيد وطلب العالي منها ولا حاجة بهم إلى شئ من ذلك .
ومنها وهو الذى أكب عليه أهل الزمان أنهم أيضا لا يقيمون بشرط السماع فان السماع بمجرد وإن
لم تكن له فائدة ولكنه مهم في نفسه للوصول إلى إثبات الحديث إذ التفتهم بعد الإثبات والعمل بعد
التفهم فالأول السماع ثم التفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر وهؤلاء اقتصروا من الجملة على السماع
ثم تركوا حقيقة السماع ترقى الصبي يحضر في مجلس الشيخ والحديث يقرأ والشيخ ينام والصبي يلبس
ثم يكتب اسم الصبي في السماع فإذا كبر تصدى ليسمع منه والبالغ الذى يحضر ربما يغفل ولا يسمع
ولا يبنى ولا يثبت وربما يشتغل بمحدث أو نسخ والشيخ الذى يقرأ عليه لو صح وغير ما يقرأ عليه

النفس وتصرف
الشیطان في هذه
الواطن ، ولو أن
التحفظ السراعى
المراتب الحاسب كلما
انطلقت النفس في مباح
من كلام أو ماسا كنة
إلى مخالطة الناس أو
غير ذلك مع ما هو برضا
تحليل عقد العزيمة
كالجوش فيما لا يجرى
قولا وضلا عقب ذلك
بتجديد الوضوء ثبت
القلب على طهارته
وتزاهته ولصكان
الوضوء لصفاء البصيرة
بثابة الجفن الذى
لا يزال بخفة حركته
يجلو البصر وما يحلقها
إلا العالمون - فتفكر

لم يشعر به ولم يعرفه ، وكل ذلك جهل وغرور . إذ الأصل في الحديث أن يسمه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحفظه كاسمه وبرويه كما حفظه فتكون الرواية عن الحفظ والحفظ عن السماع فان هجرت عن سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمته من الصحابة أو التابعين وصار سماعك عن الراوي كسماعك من سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أن تسمى لتسمع تحفظ وتروى كما حفظت وتحفظ كما سمعت بحيث لا تنير منه حرفا ولو غير غيرك منه حرفا أو أخطأ علمت خطأه ولحفظك طريقان : أحدهما أن تحفظ بالقلب وتستدعيه بالذكر والتكرار كما تحفظ ما جرى على سمعك في مجاري الأحوال . والثاني أن تكتب كما تسمع وتصحح للكتاب وتحفظه حتى لا يصل إليه يد من يغيره ويكون حفظك للكتاب معك وفي خزانتك فانه لو امتدت إليه يد غيرك ربما غيره فاذا لم تحفظه لم تستمر بتغييره فيكون محفوظا بقلبك أو بكتابك فيكون كتابك مذكرا لما سمعته وتأمين فيه من التغيير والتحرير ، فاذا لم تحفظ لالقلب ولا بالكتاب وجرى على سمعك صوت غفل وفارقت المجلس ثم رأيت نسخة ذلك الشيخ وجرت أن يكون مافيه مغيرا أو غافرا حرف منه للنسخة التي سمعتها لم يجر لك أن تقول سمعت هذا الكتاب فانك لا تدري لملك لم تسمع مافيه بل سمعت شيئا يخالف مافيه ولو في كلمة ، فاذا لم يكن معك حفظ بقلبك ولا نسخة صحيحة استوتقت عليها لتقابل بها فمن أين تعلم أنك سمعت ذلك وقد قال الله تعالى - ولا تقف ما ليس لك به علم - وقول الشيخوخ كاهم في هذا الزمان إنا سمعنا مافي هذا الكتاب إذ لم يوجد بالشرط الذي ذكرناه فهو كذب صريح . وأقل شروط السماع أن يجري الجميع على السمع مع نوع من الحفظ يشعر معه بالتغيير ، ولو جاز أن يكتب سماع الصبي والتافل والتأثم والذي ينسخ لجاز أن يكتب سماع المجنون والصبي في اللفظ ، ثم إذا بلغ الصبي وأفاق المجنون يسمع عليه ولا خلاف في عدم جواز قبول جاز ذلك لجاز أن يكتب سماع الجنين في البطن فان كان لا يكتب سماع الصبي في اللفظ لأنه لا يفهم ولا يحفظ فالصبي الذي يلعب والتافل والشغول بالنسخ عن السماع ليس يفهم ولا يحفظ وإن استجرا جاهل فقال يكتب سماع الصبي في اللفظ فليكتب سماع الجنين في البطن فان فرق بينهما بأن الجنين لا يسمع الصوت وهذا يسمع الصوت لما ينفع هذا وهو إنما ينقل الحديث دون الصوت فليقتصر إذا صار شيخا على أن يقول سمعت بعد بلوغى آتى في صباى حضرت مجلسا يروى فيه حديث كان يقرع صمى صوته ولا أدري ما هو فلا خلاف في أن الرواية كذلك لا تصح وما زاد عليه فهو كذب صريح ولو جاز إثبات سماع التركي الذي لا يفهم العربية لأنه سمع صوتا غفلا لجاز إثبات سماع صبي في لفظه وذلك غاية الجهل ، ومن أين يأخذ هذا ؟ وهل للسمع مستند إلا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأذاها كما سمعها »^(١) وكيف يؤذى كما سمع من لا يدري ما سمع فهذا الخش أنواع القروور وقد بلى بهذا أهل الزمان ولو أخطأ أهل الزمان لم يحدوا شيئا إلا الذين سمعوه في الصبا على هذا الوجه مع الفتلة إلا أن للمحدثين في ذلك جاها وقبول لا غفلا للساكنين أن يشترطوا ذلك فيقول من يجتمع لذلك في حلقهم فينقص جاههم ونقل أيضا أحاديثهم التي قد سمعوها بهذا الشرط بل ربما عدوها ذلك واقتضوا فاصطلحوا على أنه ليس يشترط إلا أن يقرع صمعه بمدمة وإن كان لا يدري ما يجري ، وصحة السماع لا تنصرف من قول المحدثين لأنه ليس من علمهم بل من علم

فما نهيتك عليه تجد بركه وآثره ، ولو اغتسل عند هسنة للتجذبات والعوارض والانتباه من النوم لكان أزيد في توير قلبه ولكان الأجدر أن البدي يقتل لكل فريضة بأذلا مجهوده في الاعتماد لمناجاة الله وبجسد غسل الباطن بصدق الإنابة وقد قال الله تعالى - منيين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة - قدم الإنابة للدخول في الصلاة ولكن من رحمة الله تعالى وحكم الحنيفية السهلة السمعة أن يرفع الحرج وعوض

(١) حديث نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها الحديث أصحاب السنن وابن حبان من حديث زيد ابن ثابت والترمذي وابن ماجه من حديث ابن مسعود وقال الترمذي حديث حسن صحيح وابن ماجه فقط من حديث جبير بن مطعم وأنس .

علماء الأصول باللقه وما ذكرناه مقطوع به في قوانين أصول الفقه فهذا غرور هؤلاء ولوصمواعلى الشرط لكانوا أيضا مغرورين في انصارهم على النقل وفي إثناء أعمارهم في جمع الروايات والأسانيد وإعراضهم عن مهمات الدين ومعرفة معاني الأخبار بل الذى يقصد من الحديث سلوك طريق الآخرة ربما يكفيه الحديث الواحد عمره كما روى عن بعض الشيوخ أنه حضر مجلس السماع فسكر أول حديث روى قوله عليه الصلاة والسلام « من حسن إسلامه المرء تركه ما لا ينبغي »^(١) فقام وقال يكفينى هذا حتى أفرغ منه ثم أسمع غيره ، فهكذا يكون سماع الأكياس الذين يحدرون الغرور . وفرقة أخرى : اشتغلوا بعلم النحو واللغة والشعر وغريب اللغة واغترتوا به وزعموا أنهم قد غفلهم وأنهم من علماء الأمة إذ قوام الدين بالكتاب والسنة وقوام الكتاب والسنة بعلم اللغة والنحو فأثنى هؤلاء أعمارهم في دقائق النحو وفي صناعة الشعر وفي غريب اللغة ومثاله من يفتى جميع المعرف تلم الحط وتصحيح الحروف وتحسينها ويؤمن أن العلوم لا يمكن حفظها إلا بالكتابة فلا بد من تعلمها وتصحيحها ولو عقل لعم أنه يكفيه أن يتعلم أصل الحط بحيث يمكن أن يقرأ كيفما كان والباقي زيادة على الكتابة وكذلك الأدب لو عقل لعرف أن لغة العرب كلغة الترك والاضحى عمره في معرفة لغة العرب كالاضحى له في معرفة لغة الترك والمهندد وإنما فارقها لغة العرب لأجل ورود الشريعة بها فيسكنى من اللغة علم التريسين في الأحاديث والكتاب ومن النحو ما يتماهى بالحديث والكتاب فأما التمسق فيه إلى درجات لا تنهاهى فهو فضول مستغنى عنه ثم لو اقتصر عليه وأعرض عن معرفة معاني الشريعة والعمل بها فهذا أيضا مغرور بل مثاله مثال من ضيع عمره في تصحيح مخارج الحروف في القرآن واقتصر عليه وهو غرور إذ القصد من الحروف المعانى وإنما مخارج الحروف ظروف وأدوات ومن احتاج إلى أن يشرب السكجيين ليزول ما به من الصفراء وضع أوقاته في تحمين القمح الذى يشرب فيه السكجيين فهو من الجهال الغرورين فكذلك غرور أهل النحو واللغة والأدب والقراءات والتدقيق في مخارج الحروف مهما تعمقوا فيها ونجدوا لها وعرجوا عليها أكثر مما يحتاج إليه في تعلم العلوم التى هى فرض عين فالأب الأفضى هو العمل والذى فوقه هو معرفة العمل وهو كالقشر للعمل وكاتب بالإضافة إلى ما فوقه وما فوقه هو سماع الألفاظ وحفظها بطريق الرواية وهو قشر بطريق بالإضافة إلى المعرفة ولب بالإضافة إلى ما فوقه وما فوقه هو العلم باللغة والنحو وفوق ذلك وهو القشر الأعلى العلم بمخارج الحروف والقانون بهذه الدرجات كلهم مقترنون إلا من أخذ هذه الدرجات منازل فلم يصرح عليها إلا بقدر حاجته فتجاوز إلى ما وراء ذلك حتى وصل إلى لباب العمل فطالب بحقيقة العمل قلبه وجوارحه ورجى عمره في حمل النفس عليه وتصحيح الأعمال وتصفيها عن الشوائب والآفات فهذا هو القصد المندوم من جملة علوم الشرع وسائر العلوم خدع له وسائل إليه وقشور له ومنازل بالإضافة إليه وكل من لم يبلغ القصد فقد خاب سواء كان في المنزل القريب أو في المنزل البعيد وهذه العلوم لما كانت متعلقة بعلوم الشرع اغتر بها أربابها . فأما علم الطب والحساب والصناعات وما يعلم أنه ليس من علوم الشرع فلا يتعد أصحابها أنهم ينالون المنة بها من حيث إنها علوم فسكران الغرور بها أقل من الغرور بعلوم الشرع لأن العلوم الشرعية مشتركة في أنها محموده كما يشارك القشر اللب في كونه محمودا ولكن المأمود منه لعينه هو المنتهى والثاني محمود للوصول به إلى المقصود الأفضى فمن أخذ القشر مقصودا وعرج عليه فقد اغتر به . وفرقة أخرى : عظم غرورهم

بالوضوء عن القسل وجواز أداء مقترضات بوضوء واحد دضا للخرج عن عامة الأمة وللخوأس وأهسل العزبة مطالبات من يواظمن تحك عليهم بالأولى وتلجئهم إلى سلوك طريق الأذى فاذا قام إلى الصلاة وأراد استفتاح التجد يقول الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا ويقول سبحان الله والحمد لله والكلمات عشر مرات ويقول الله أكبر ذو الملك والمكسوت والجبروت والكبرياء والعظمة والجلال

(١) من حسن إسلام المرء تركه ما لا ينبغي الترمذى وقال غريب وابن ماجه من حديث أبى هريرة وهو عند مالك من رواية على بن الحسين مرسل وقد تقدم .

في فن الفقه فظنوا أن حكم البعد عنه وبين الله يتبع حكمه في مجلس القضاء فوضوا الحيل في دفع الحقوقي وأسأوا تأويل الألفاظ للبهمة وانغثروا بالظواهر وأخطأوا فيها وهذا من قبيل الخطأ في الفتوى والغرور فيه والخطأ في الفتاوى مما يكثر ولكن هذا نوع عم الكفاة إلا الأكاس منهم فتشبه إلى أمثلة : فمن ذلك قوام بأن المرأة متى أبرأت من الصداق برى الزوج بينه وبين الله تعالى وذلك خطأ بل الزوج قد يسىء إلى الزوجة بحيث يضيق عليها الأمور بسوء الخلق فتضطر إلى طلب الخلاص فتبرئ الزوج لتخلص منه فهو إبراء لاطل طيبة قبي وقد قال تعالى - فان طبعن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا - وطية النفس غير طيبة القلب قد يريد الإنسان بقلبه مالا تطيب به نفسه فانه يريد الحماة بقلبه ولكن تكرهها نفسه وانما طيبة النفس أن تسمح نفسها بالإبراء لاجن ضرورة تقابل حتى إذا ردت بين ضررين اخارت أهونها فبئس مصادرة على التحقيق باكره الباطن نعم القاضي في الدنيا لا يطلع على القلوب والأغراض فينظر إلى الإبراء الظاهر وأنها لم تتركه بسبب ظاهر والاكره الباطن ليس يطلع الخلق عليه ولكن مهما تصدى القاضي الأكبر في صيد القيامة للقضاء لم يكن هذا محسوبا ولا مفيدا في تحصيل الإبراء وذلك لاجل أن يؤخذ مال إنسان إلا بطيب نفس منه فهو طلب من الانسان لاطل ملا من الناس فاستحيا من الناس أن لا يطيبه وكان يود أن يكون سؤاله في خلوة حتى لا يطيبه ولكن خاف المأثممة الناس وخاف ألم تسليم المال وردت نفسه بينهما فاختار أهون الأئين وهو ألم التسليم فسله فلا فرق بين هذا وبين الصادرة إذ معنى المصادرة لإيلام البدن بالصوت حتى يصير ذلك أقوى من ألم القلب يدل للمال فيختار أهون الأئين والسؤال في مظنة الحياء والرأء ضرب القلب بالسوط والفرق بين ضرب الباطن وضرب الظاهر عند الله تعالى فان الباطن عند الله تعالى ظاهر وإنما حاكم الدنيا هذا الذي يحكم بالملك بظاهر قوله وهبت لأنه لا يمكنه الوقوف على مالى القلب وكذلك من يعطى اختار لشر لسانه أو لشر سماعته فهو حرام عليه وكذلك كل مال يؤخذ على هذا الوجه فهو حرام ألا ترى ما جاء في قصة داود عليه السلام حيث قال بسد أن غفره بإرب كيف لي بخصي فأمر بالاستحلال منه وكان ميتا فأمر ببدائه في صخرة بيت للقدس فنادى بأوربا فأجابه ليك يا بني الله أخرجه من الجنة فإذا تريد ؟ فقال إني أسأت إليك في أمر فبه لي قال قد فعلت ذلك يا بني الله فالصرف وقد ركن إلى ذلك فقال له جبريل عليه السلام هل ذكرت له ما فعلت ؟ قال لا قال فارجع فبين له فرجع فناداه فقال ليك يا بني الله فقال إني أذنبت إليك ذنبا قال ألم أهب لك قلبي الإنسانى ماذلك الذنب قال ما هو يا بني الله ؟ قال كذا وكذا وذكر هان المرأة فاضلع الجواب ، فقال يا أوربا ألا تحبين قال يا بني الله ما هكذا يفعل الاتيياء حتى أقف معك بين يدي الله فاستقبل داود اليك والصراع من الرأس حتى وعده الله أن يستوبه منه في الآخرة ، فهذا يبينك أن الهبة من غير طيبة قلب لا تقيد وأن طيبة القلب لا تحصل إلا بالمعرفة فكذلك طيبة القلب لا تكون في الإبراء والهبة وغيرها إلا إذا خلى الإنسان واختاره حتى تلبث الدواهي من ذات نفسه لأن تضطر بواعثه إلى الحركة بالحيل والالزام ومن ذلك هبة الرجل مال الزكاة في آخر الحول من زوجته وأنها لمعها لاسقاط الزكاة فالفقيه يقول سقطت الزكاة فان أراد به أن مطالبة السلطان والبيعاس سقطت عنه قد صدق فان مطعمي نظرم ظاهر الملك وقد زال وإن ظن أنه يسل في القيامة ويكون كمن لم يملك المال أو كمن باع حاجته إلى البيع لاطل هذا القصد فما أعظم جهله بفقه الدين وسر الزكاة فان سر الزكاة بتطهير القلب عن رذيلة البخل فان البخل مهلك قال صلى الله عليه وسلم

والقدرة اللهم لك الحمد
أنت نور السموات
والأرض ولك الحمد
أنت بهاء السموات
والأرض ولك الحمد
أنت قيوم السموات
والأرض ولك الحمد
أنت رب السموات
والأرض ومن فيهن
ومن عليهن أنت الحق
وملك الحق وقاؤه
حق والجنة حق والنار
حق والنيون حق
ومحمد عليه السلام حق
اللهم لك أسلمت وبك
آمنت وعليك توكلت
وبك خاسمت وإليك
حاجت فاعف عني ما قدمت
وما أخرت وما أمرت
وما أعلنت أنت للعلم

«ثلاث مهلكات سمع مطاع (١)» وإتيان صار شجعة مطاعاً بما فعله وقبله لم يكن مطاعاً فقد تم هلاكه بما يظن أن فيه خلاصه فإن الله مطلع على قلبه ووجه المال وحرصه عليه وأنه بلغ من حرصه على المال أن استنبت الجبل حتى يسد على نفسه طريق الخلاص من البخل بالجبل والقرور ومن ذلك إباحة الله مال الصالح للفقير وغيره بقدر الحاجة والفقهاء للقرور لا يميزون بين الأمان والفضول والكسوات وبين الحاجات بل كل مالا ترمعونهم إلا به يرونه حاجة وهو محض القرور بل الدنيا خلقت لحاجة العباد إليها في العبادة وسلك طريق الآخرة فكل ما تناوله العبد للاستعانة به على الدين والعبادة فهو حاجته وما عدا ذلك فهو فضوله وشهوته ولودهننا نصنع غرور الفقهاء في أمثال هذا لما لنا فيه مجلدات والغرض من ذلك التنبيه على أمثلة تعرف الأجناس دون الاستيعاب فإن ذلك يطول . الصنف الثاني : أرباب العبادة والعمل والقرورون منهم فرق كثيرة فمنهم من غروره في الصلاة ومنهم من غروره في تلاوة القرآن ومنهم في الحج ومنهم في الزهد و منهم في الزهد وكذلك كل مشغول بفتح من مناهج العمل فليس خالياً عن غرور إلا الأكياس وقليل مأم . فمنهم فرقة : أهلوا القرائن واشتغلوا بالفاضل والنوافل وربما تعمقوا في الفضائل حتى خرجوا إلى الصدوان والسرف كالذي تغلب عليه الوسوسة في الوضوء فيبالغ فيه ولا يرضى الماء المحكوم بطهارته فيوضي السرع ويقدر الاحتمالات البعيدة قربة في النجاسة وإذا آل الأمر إلى أكل الحلال قدر الاحتمالات القربة بعيدة وربما أكل الحرام المحض ولو انقلب هذا الاحتياط من الماء إلى الطعام لكان أشبه بسيرة الصحابة إذ توسأ محرر رضى الله عنه بماء في جرة نصرانية مع ظهور احتمال النجاسة وكان مع هذا يدع أبواباً من الحلال مخافة من الوقوع في الحرام ثم من هؤلاء من يخرج إلى الاسراف في صب الماء وذلك منهى عنه (٢) وقد يطول الأمر حتى يضيع الصلاة ويخرجها عن وقتها وإن لم يخرجها أيضاً عن وقتها فهو مغرور لما فاتته من فضيلة أول الوقت وإن لم ينه فهو مغرور لاسرافه في الماء وإن لم يدرف فهو مغرور لتضييعه العمر الذي هو أعز الأشياء فيما له مندوحة عنه إلا أن الشيطان يصد الخاق عن الله بطريق سني ولا يقدر على صد العباد إلا بما يغيل إليهم أنه عبادة فيصدمهم عن الله بمثل ذلك . وفرقة أخرى : غلب عليها الوسوسة في نية الصلاة فلا يدعه الشيطان حتى يعقد نية صحيحة بل يشوش عليه حتى توفته الجماعة ويخرج الصلاة عن الوقت وإن تم تكبيره فيكون في قلبه بعد تردد في صحة نيته وقد يوسوسون في التكبير حتى قد يغيرون صيغة التكبير لشدة الاحتياط فيه يفعلون ذلك في أول الصلاة ثم يفتلون في جميع الصلاة فلا يحضرون قلوبهم ويفترون بذلك ويطنون أنهم إذا تمعوا أنفسهم في تصحيح النية في أول الصلاة وتميزوا عن العامة بهذا الجهد والاحتياط فهم على خير عند ربهم . وفرقة أخرى : تغلب عليهم الوسوسة في إخراج حروف الفاتحة وسائر الأذكار من خارجها فلا يزال يحنط في التشديدات والفرق بين الضاد والظاء وتصحيح مخارج الحروف في جميع صلاته لإيمانه غييره ولا يتفكر فيها سواء ذاهلاً عن معنى القرآن والالتفات به وحصر الفهم إلى أسراره وهذا من أقبح أنواع الغرور فإنه لم يكلف الخلق في تلاوة القرآن من تحقيق مخارج الحروف إلا بما جرت به عادتهم في الكلام .

(١) حديث ثلاث مهلكات الحديث تقدم غير مرة (٢) حديث النهي عن الاسراف في الوضوء الترمذي وضعه وابن ماجه من حديث أبي بن كعب إن للوضوء شيطاناً يقال له الوهلان الحديث وتقدم في عجائب القلب .

وأنت لا تأخر لإله إلا
أنت اللهم آت نفسي
تقواها وزكها أنت خير
من زكها أنت وليها
ومولاه اللهم اهدني
لأحسن الأخلاق
لا يهدي لأحسنها إلا
أنت واصرف عني سيئها
لا يصرف عني سيئها إلا
أنت أسألك مشقة
البائس للسكين
وأدعوك دعاء الفقير
الذليل فلا تجعلني
بدعائك رب حقياً
وكن بي روفاً رحماً
يا خير السائلين
ويا أكرم المصلين ثم
يصلي ركعتين تحية
الطهارة يقسراً في
الأولى بعد الفاتحة

ومثال هؤلاء مثل من حمل رساله إلى مجلس سلطان وأمر أن يؤذ به على وجهه فأخذ يؤذي الرسالة ويتأق في مخارج الحروف ويكررها ويبيدها مرة بعد أخرى وهو في ذلك غافلاً عن مقصود الرسالة ومراعاة حرمة المجلس لأحراره بأن تقام عليه السباسة ويرد إلى دار المجانين ويحكم عليه بقصد العقل. وفرقة أخرى : اغتروا بقرأة القرآن فيهدونه هذا وربما يخطونه في اليوم والليلة مرة وتولسان أحدهم يجرى به وقلبه يترد في أودية الأمان إذ لا يتفكر في معاني القرآن لينزجر بزواجه ويتعظ وعظمه ويقف عند أوامره ونواهيه ويعتبر بعواض الاعتبار فيه إلى غير ذلك مما ذكرناه في كتاب تلاوة القرآن من مقاصد التلاوة فهو مغرور يظن أن القصد من إزال القرآن المهمة به مع الفتنه عنه. ومثله : مثال عبد كتب إليه مولاه ومالكة كتابا وأشار عليه فيه بالأوامر والنواهي فلم يصرف عنايته إلى فهمه والعمل به ولكن اقتصر على حفظه فهو مستمر على خلاف ما أمره به مولاه إلا أنه يكرر الكتاب بصوته وتقمته كل يوم مائة مرة فهو مستحق للعقوبة ومهما ظن أن ذلك هو اللزامة فهو مغرور . نعم تلاوته إنما تراد لكيلا ينسى بعد لحظه وحفظه يراذل المعناه ومعناه يراد العمل به والانتفاع بمعانيه وقد يكون له صوت طيب فهو يقرؤه ويتذبه ويترق باستناده ويظن أن ذلك لغة مناجاة الله تعالى ومصاح كلامه وإنما هي لذته في صوته ولورده إلحائه بشعر أو كلام آخر لانه بذلك اللذات فهو مغرور إذ لم يتفقد قلبه فيعرفه أن لذته بكلام الله تعالى من حيث حسن نظمه ومعانيه أو بصوته. وفرقة أخرى : اغتروا بالصوم وربما صاموا الدهر أوصاموا الأيام التريفة وهم في الإغفطون اليهتهم عن القية وخواطرهم عن الرياء وبطونهم عن الحرام عند الإفطار والستهم عن المحبان بأنواع الفضول طول النهار وهو مع ذلك يظن بنفسه الخير فيعمل الفرائض ويطلب الفتل ثم لا يقوم بحقه وذلك غاية القورور . وفرقة أخرى : اغتروا بالخير فيخرجون إلى الحج من غير خروج عن اللظام وقضاء الديون واسترضاء الوالدين وطلب الزاد الحلال وقد يفعلون ذلك بعد سقوط حجة الاسلام ويضيئون في الطريق الصلاة والفرائض ويجوزون عن طهارة الثوب والبدن ويعرضون لمسكس الظلمة حق يؤخذ منهم ولا يخذرون في الطريق من الرث والحصام وربما جمع بعضهم الحرام وأتقنه على الرقضاء في الطريق وهو يطلب به السمعة والرياء فعسى الله تعالى في كسب الحرام وألوا في إتقائه بالرياء ثانيا فلا هو أخذه من حله ولا هو وضعه في حقه ثم يحضر البيت بقلب ملوث بذائل الأخلاق وذميص الصفات لم يقدم تطهيره على حضوره وهو مع ذلك يظن أنه على خير من ربه فهو مغرور . وفرقة أخرى : أخذت في طريق الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ينكر على الناس وأمرهم بالخير وينسى نفسه وإذا أمرهم بالخير عنف وطلب الرياسة والعزة وإذا بشر منكرها ورد عليه غضب وقال أنا المحتسب فكيف تنكر على وقد يجمع الناس إلى مسجد ومن تأخر عنه أغلظ القول عليه وإنما غرضه الرياء والرياسة ولوقام بتعهد المسجد غيره لحرد عليه بل منهم من يؤذن ويظن أنه يؤذن لله ولوجاه غيره وأذن في وقت غيبته قامت عليه القيامة وقالم أخدق وزوجحت على مرتبي وكذلك قد يتفقد إمامة مسجد ويظن أنه على خير وإنما غرضه أن يقال إنه إمام للمسجد فلو تقدم غيره وإن كان أودع وأعلم منه قل عليه . وفرقة أخرى : جاؤوا بمكة أو المدينة واغتروا بمكة ولم يراقبوا فوهمهم ولم يظهروا ظاهريهم وباطنيهم قتلهم معلقة يلاهم ملتفة إلى قولهم من عرفه أن فلانا مجاور بذلك وتراه يتحدى ويقول قد جاورت بمكة كذا كذا سنة وإذا سمع أن ذلك فيبيع تركه صريح التحدى وأحب أن يعرفه الناس بذلك ثم إنه قد يجاور ويعد عين طمعه إلى وساخ أموال الناس وإذا جمع من ذلك شيئا شبع به وأمسك لم تسمح نفسه بلقمة تصدق بها على قبر فيظهر فيه الرياء والبخل

- ولولائم إذ ظلموا أنفسهم - الآية وفي الثانية - ومن يحمل صوا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله شفورا رجا ويستغفر بعد الركعتين مرات ثم يستفتح الصلاة بركتين خفيفتين إن أراد يقرأ فيما بآية الكرسي وأمن الرسول وإن أراد غير ذلك ثم يصلي ركعتين طويلتين هكذا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يتجدد هكذا ثم يصلي ركعتين طويلتين أقصر من الأولتين وهكذا يدرج إلى أن

والطمع وجمة من المهلكات كان عنها يعزل لو ترك المجاورة ولكن حب الخدمة وإن يقال إنه من المجاورين أئمه المجاورة مع الضمغ بهذه الرذائل فهو أيضا مغرور وما من عمل من الأعمال وعبادة من العبادات إلا وفيها آفات فمن لم يعرف مداخل آفاتهما واعتمد عليها فهو مغرور ولا يعرف شرح ذلك إلا من جملة كتب إحياء علوم الدين فيعرف مداخل الغرور في الصلاة من كتاب الصلاة وفي الحج من كتاب الحج والزكاة والتلاوة وسائر القربات من الكتب التي ترتبها فيها وإنما الغرض الآن الإشارة إلى جماع ما سبق في السكب . وفرقة أخرى زهدت في المال وتعت من اللباس والطعام بالدون ومن السكن بالساجد وظنت أنها أدركت رتبة الزهاد وهو مع ذلك راغب في الرياسة والمجاهة إما بالعلم أو بالوعظ أو بمجرد الزهد فقد ترك أهون الأمور وباء بأعظم المهلكين فإن المجاهة أعظم من المال ولو ترك المجاهة وأخذ للمال كان إلى السلامة أقرب فهذا مغرور إذ ظن أنه من الزهاد في الدنيا وهو لم يفهم معنى الدنيا ولم يدرك أن منتهى لذاتها الرياسة وأن الراغب فيها لا بد وأن يكون مناققا وحسودا ومتكبرا ومراثيا ومتصفا بجميع خباثت الأخلاق نعم وقد يترك الرياسة ويؤثر الخلو والعزلة وهو مع ذلك مغرور إذ يتطول بذلك على الأغنياء ويخشن معهم الكلام وينظر إليهم بعين الاستعقار ويرجو لنفسه أكثر مما يرجو لهم ويعجب بعمله ويتصف بجملة من خباثات القلوب وهو لا يدري وربما يعطى المال فلا يأخذه خيفة من أن يقال بطل زهده ولو قيل له إنه حلال غنقه في الظاهر ورده في الحقيقة لم يسمع به نفسه خوفا من ذم الناس فهو راغب في حمد الناس وهو من الأبواب الدنيا ويرى نفسه أنه زاهد في الدنيا وهو مغرور ومع ذلك فرح لا يغلو من توقير الأغنياء وتقدبهم على الفقراء والويل إلى الرديين له والذين عليه والنفرة عن السالكين إلى غيره من الزهاد وكل ذلك خدعة وغرور من الشيطان تعود بالله من في العباد من يشدد على نفسه في أعمال الجوارح حتى ربما يصلى في اليوم واليلة مثلاً ألف ركعة ويحضر القرآن وهو في جميع ذلك لا يخطر له مراعاة القلب وتفقد وتطهير من الرياء والكبر والعجب وسائر المهلكات فلا يدري أن ذلك مهلك وإن علم ذلك فلا يظن بنفسه ذلك وإن ظن بنفسه ذلك توهم أنه مغفوره لعمله الظاهر وأنه غير مؤاخذ بأحوال القلب وإن توهم فيظن أن العبادات الظاهرة ترجع بها كفة حسنة وهيئات وذرة من ذى تقوى وخلق واحد من أخلاق الأكياس أفضل من أمثال الخيالات عملا بالجوارح ثم لا يخو هذا المغرور مع سوء خلقه مع الناس وخشوته وتلوث باطنه عن الرياء وحب النساء فإذا قيل له أنت من أتاد الأرض وأولياء الله وأحبابه فرح للغرور بذلك وصدق به وزاده ذلك غرورا وظن أن تركية الناس له دليل على كونه مرضيا عند الله ولا يدري أن ذلك لجمل الناس بخباث باطنه . وفرقة أخرى حرصت على النوافل ولم يعظم اعتدادها بالقرائن ترى أحدهم يفرح بصلاة الضحى وصلاة الليل وأمثال هذه النوافل ولا يجد للفرصة لذة ولا يشتد حرصه على المبادرة بها في أول الوقت وينسى قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه « ما تقرب المتقربون إلى بئس أداء ما اقترضت عليهم ^(١) » وترك الترتيب بين الخبرات من جملة الشرور بل قد يتعين على الإنسان فرضان : أحدهما يموت والآخر لا يموت ، أو فضلان أحدهما يضيئ وقته والآخر يتسع وقته فان لم يحفظ الترتيب فيه كان مغرورا ونظائر ذلك أكثر من أن تحصى فان النصية ظاهرة والطاعة ظاهرة وإعما النامض تقديم بعض الطاعات على بعض كتقديم القرائن كلها على النوافل وتقديم فروض الأعيان على فروض الكفايات وتقديم فرض كفاية لأقام به على ما قاربه غيره وتقديم الأهم ^(١) حديث ما تقرب للمتقربون إلى بئس أداء ما اقترضت عليهم ، البخاري من حديث أبي هريرة بافظ ما تقرب إلى عبيد .

يصلى اثني عشرة ركعة
أو ثمان ركعات أو يزيد
على ذلك فان في ذلك
فضلا كثيرا والله أعلم .
[الباب الثامن
والأربعون في تهديم
قيام الليل]
قال الله تعالى - والذين
يبيتون لربهم سجدا
وقياما - وقيل في تفسير
قوله تعالى - فلا تعلم نفس
ما أخفى لهم من قرة
أعين جزاء بما كانوا
يعملون - كان محلهم
قيام الليل وقيل في
تفسير قوله تعالى
- استنبوا بالصبر
والصلاة - استنبوا
بصلاة الليل على مجاهدة
النفس ومصارعة العدو

من فروض الأعيان على مادونه وتقدم مايفوت على مالا يفوت وهذا كما يجب تقديم حاجة الوالدة على حاجة الوالد إذ « مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل ٤ : من أبر يارسول الله . قال أمك ثم من ذل أمك . قال ثم من قال أمك . قال ثم من قال أبك . قال ثم من . قال أدناك أدناك »^(١) فينبغي أن يبدأ في الصلاة بالأقرب ، فإن استويا فبالأحوج فإن استويا فبالأقرب والأورع وكذلك من لا ينفق ماله بنفقة الوالدين والحج فرمما يحج وهو مغرور بل ينبغي أن يقدم حقهما على الحج وهذا من تقديم فرض أم على فرض هو دونه وكذلك إذا كان على العبد ميماد ودخل وقت الجمعة فاجتمع ثبوت الاشتغال بالوفاء بالوعد ممصية وإن كان هو طاعة في نفسه ، وكذلك قد تصيب ثوبه النجاسة فغسل القول على أبويه وأهله بسبب ذلك فالنجاسة محذورة وإبداؤها محذورة . والحذر من الإيذاء أهم من الحذر من النجاسة . وأمثلة تقابل المحذورات والطاعات لا تنحصر . ومن ترك الترتيب في جميع ذلك فهو مغرور ، وهذا غرور في غاية المموض لأن للفرور فيه في طاعة إلا أنه لا يفتن لصيرورة الطاعة ممصية حيث ترك بها طاعة واجبة هي أهم منها ومن جعلته الاشتغال بالذهب والحلاف من الفقه في حق من بقى عليه شغل من الطاعات والماعى الظاهرة والباطنة المتعلقة بالجوارج المتعلقة بالقلب لأن مقصود الفقه معرفة ما يحتاج إليه غيره في حوائجه ، فعرفة ما يحتاج هو إليه في قلبه أولى به إلا أن حب الرياسة والجلالة ولذة البهاة وقهر الأقران والتقدم عليهم يعنى عليه حتى يفتن به مع نفسه ويظن أنه مشغول بهم دينه . الصنف الثالث للتصوفة وما أغلب الفرور عليهم وللفرور منهم فرق كثيرة . ففرقة منهم وهم متصوفة أهل الزمان إلا من عصمه الله اغتروا بالزنى والمهبة والنطق فساعدوا الصادقين من الصوفية في زهيم وهيتهم وفي أدبائهم وفي أديابهم ومرامهم واصطلاحاتهم وفي أحوالهم الظاهرة في السماع والرقص والطهارة والصلاة والجلوس على السجادات مع إطراق الرأس وإدخاله في الحبيب كالتمسك وفي تنفس الصعداء وفي خفض الصوت في الحديث إلى غير ذلك من التبال والمهيات فلما تسكفوا هذه الأمور وتشبهوا بهم فيها ظنوا أنهم أيضا صوفية ولم يتعبوا أنفسهم قط في المجهود والرياسة ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجلية وكل ذلك من أوائل منازل التصوف ولو فرغوا عن جميعها لما جاز لهم أن يعدوا أنفسهم في الصوفية كيف ولم يحرموا قط حولها ولم يسوموا أنفسهم شيئا منها بل يتكالبون على الحرام والشبهات وأموال السلاطين ويتنافسون في الرغبة والفلس والمهبة ويتحاسدون على التقير ولتطهير وعزق بعضهم أعراض بعض مما خالفه في شيء من غرضه . وهؤلاء غرورهم ظاهر ومثالهم مثل امرأة هوز سميت أن الشجمان والأبطال من القاتلين ثبتت أسماؤهم في الديوان ويقطع لكل واحد منهم قطر من أقطار الملكة فتأت نفسها إلى أن يقطع لها مملكة فليست درعا وضمت على رأسها منغرا وتعلمت من رجز الأبطال آياتا وتعودت إيراد تلك الآيات تنغمات حتى تيسررت عليها وتعلمت كيفية بختهم في الميدان وكيف تحريكهم الأيدي وتلقفت جميع شأنهم في الزنى والنطق والحركات والسكنات ثم توجهت إلى للمسكر ليثبت اسمها في ديوان الشجمان فلما وصلت إلى للمسكر أنفدت إلى ديوان العرض وأمر بأن يجرى عن المغفر والدرع وينظر مآمنه وتمتحن بالمبارزة مع بعض الشجمان ليعرف قدر عنايتها في الشجاعة فلما جردت عن المغفر والدرع فإذا هي هوزة ضيقة زمنة لا تطيق حمل الدرع والمغفر ؟ قليل لها أجث للاستهزاء بالملك وللاستخفاف بأهل حضرة والتلبس عليهم

(١) حديث من أبر قال أمك الحديث الترمذى والحاكم وصححه من حديث زيد بن حكيم عن أبيه عن جده وقد تقدم في آداب الصعبة .

وفي الخبر « عليكم قيام الليل فإنه مرضة لربكم وهو دأب الصالحين قيلكم ومناة عن الأئمة وملقا للوزر ومذهب كيد الشيطان ومطرقة للداء عن الجسد . وقد كان جمع من الصالحين يقومون الليل كله حتى تقل ذلك عن أربعين من التابعين كانوا يصلون القداء بوضوء المشاء . منهم سعيد بن المسيب وقضيل بن عياض . ووهيب بن الورد . وأبو سليمان الداراني . وطى بن بكار . وحبيب الجسمى . وكهمس ابن الهبال . وأبو حازم . ومحمد بن المسكدر . وأبو حنيفة رحمه الله

خذوها فألقوها فقام الفيل لسخفها فألقيت إلى الغيل فهكذا يكون حال المدعين للتصوف في الباطنة إذا كشف عنهم الغطاء وعرضوا على القاضي الأكبر الذي لا ينظر إلى الزم والرقع بل إلى سر القلب. وفرقة أخرى : زادت على هؤلاء في الضرور إذ شق عليها لا تشاء بهم في بذقة الثياب والرضا بالدون وأرادت أن تتظاهر بالتصوف ولم تجهد بدأ من التزين بزيم فتركوا الحرير والإبريسم وطلبوا الرقعات النفيسة والقوطة الرقيقة والسجادات المصبغة ولبسوا من الثياب وهو أرفع قيمة من الحرير والإبريسم وظن أحدهم مع ذلك أنه متصوف بمجرد لون الثوب وكونه رقيقا ونسي أهم إنما لو أنوا الثياب ثلثا يطول عليهم غسلها كل ساعة لإزالة الوسخ ، وإنما لبسوا الرقعات إذ كانت ثيابهم مخزقة فكانوا يرقونها ولا يلبسون الجديد . فأما تقطيع القوطة الرقيقة قطعة قطعة وخياطة الرقعات منها فمن أين يشبه ما اعتادوه هؤلاء أظهر حماقة من كافة المذاهب فإنهم يتعمنون بنفس الثياب ولديهم الأطعمة ويطردون رغد العيش ويأكلون أموال السلاطين ولا يجنبون المعاصي الظاهرة فضلا عن الباطنة وهم مع ذلك ينظرون بأنفسهم الخير وشر هؤلاء مما يتعدى إلى الخلق إذ يهلك من يقتدى بهم ومن لا يقتدى بهم تفسد عقيدته في أهل التصوف كافة ويطن أن جميعهم كانوا من جنسه فيطول اللسان في الصادقين منهم وكل ذلك من شؤم التشبهين وشرهم . وفرقة أخرى : ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاورة المقامات والأحوال وللزينة في عين الشهود ولوصول إلى القرب ولا يعرف هذه الأمور إلا بالأسماء والألفاظ لأنه تلقف من ألفاظ الطامات كالتفهو يرددها ويطن أن ذلك أعلى من علم الأولين والآخرين فهو ينظر إلى الفقهاء والفكرين والمحدثين وأصناف العلماء بعين الازدراء فضلا عن العوام ، حتى إن الفلاح ليترك فلاحته والحدائق يترك حياكنه ويلزمهم أياما معدودة ويلتفت منهم تلك الكلمات المزيفة فيرددها كأنه يتسكع عن الوحى وغير عن سر الأسرار ويستحقر بذلك جميع العباد والعلماء ، فيقول في العبادة أنهم أجروا متعبون ، ويقول في العلماء أنهم بالحديث عن الله محجوبون ويدعى لنفسه أنه الواصل إلى الحق وأنه من القربين ، وهو عند الله من الفجار النافقين ، وعند أرباب القلوب من الخلق الجاهلين لم يحكم قط علما ولم يهذب خلقا ولم يرتب عملا ولم يراقب قلبا سوى اتباع الهوى وتلقف الهديان وحفظه . وفرقة أخرى : وقفت في الإباحة وطولوا بساط الشرع ورفضوا الأحكام وسووا بين الحلال والحرام ببعضهم يزعم أن الله مستغن عن عمل فلم أحب نفسي . وبعضهم يقول : قد كلف الناس تطهير القلوب عن الشهوات وعن حب الدنيا وذلك محال فقد كلفوا ما لا يمكن ، وإنما يفترون من لم يجرب . وأما نحن فقد جربنا وأدركنا أن ذلك محال ، ولا يعلم إلا الحق أن الناس لم يكلفوا قلع الشهوة والغضب من أصلها بل إنما كلفوا قلع مادتها بحيث يتقاع كل واحد منهما لحكم العقل والشرع . وبعضهم يقول الأعمال بالجوارح لا وزن لها ، وإنما النظر إلى القلوب وتقلوبنا والله بحب الله وواصلته إلى معرفة الله وإنما نخوض في الدنيا بأبداننا وتقلوبنا عاكفة في الحضرة الربوبية فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب ويرحمون أنهم قد ترقوا عن رتبة العوام واستغنوا عن تهذيب النفس بالأعمال البدنية وأن الشهوات لاتصدهم عن طريق الله لقوتهم فيها ويرفون درجة أنفسهم على درجة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إذ كانت تصدهم عن طريق الله خطيئة واحدة حتى كانوا يبيكون عليها وينوحون سنين متواليات وأنصاف غرور أهل الإباحة من التشبهين بالصوفية لا تحصى وكل ذلك بناء على غايلط ووساوس يخدعهم الشيطان بهلاشغفهم بالمجاهدة قبل أحكام العلم ومن غير إقداء بشيخ متفنن في الدين والعلم صالح للاقتداء به وإحصاء أنصافهم بطول.

تعالى وغيرهم عداهم
وسامهم بأنسابهم
الشيخ أبو طالب الكي
في كتابه قوت القلوب
لمن يحجز عن ذلك
يستحب له قيام ثلثه أو
ثلاثة ، وأقول الاستحباب
سدس الليل فلما أن
ينام ثلث الليل الأول
ويقوم نصفه وينام
سدسه الآخر أو ينام
النصف الأول ويقوم
ثلثه أو ينام السدس .
روى أن داود عليه
السلام قال يارب إني
أحب أن أتبدلك فأني
وقت أقوم فأوحى الله
تعالى إليه : إذا دو
لائتم أول الليل ولا
آخره فإنه من قام أوله
نام آخره ومن قام آخره
نام أوله ولكن قم
وسط الليل حتى

وفرقة أخرى : جاوزت حد هؤلاء واجتنبت الأعمال وطلقت الحلال واشتغلت بتفقد القاب وصار أحدهم يدعى لل مقامات من الزهد والتوكل والرضا والحب من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات وشروطها وعلاماتها وآفاتها ، فمنهم من يدعى الوجد والحب لله تعالى ويؤمن أنه والله بالله ولله قد تخيل في الله خيالات هي بدعة أو كفر فيدعى حب الله قبل معرفته ثم إنه لا يغفل عن مقارفة ما يكره الله عز وجل وعن إثارة هوى نفسه على أمر الله وعن ترك بعض الأمور حياء من الحق ولو خلا لما تركه حياء من الله تعالى وليس يدري أن كل ذلك يناقض الحب وبضهم ربما يميل إلى القناعة والتوكل فيخوض البوادي من غير زاد ليصح دعوى التوكل وليس يدري أن ذلك بدعة لم تنقل عن السلف والصحابة وقد كانوا أعرف بالتوكل منه فافهموا أن التوكل المحاطرة بالروح وترك الزاد بل كانوا يأخذون الزاد وهم متوكلون على الله تعالى لاهل الزاد وهذا ربما يترك الزاد وهو متوكل على سبب من الأسباب وائق به وما من مقام من المقامات النجيات إلا وفيه غرور وقد اغتر به قوم وقد ذكرنا مداخل الآفات في ربيع النجيات من الكتاب فلا يمكن إعادتها ، وفرقة أخرى : ضيق على نفسها في أمر القوت حتى طلبت منه الحلال الخالص وأهلوا تفقد القاب والجوارح في غير هذه الحيلة الواحدة ، ومنهم من أهمل الحلال في مطعمه وملبسه ومسكنه وأخذ يتعمق في غير ذلك وليس يدري السكينة أن الله تعالى لم يرض من عبده بطلب الحلال قط ولا يرضى بسائر الأعمال دون طلب الحلال بل لا يرضيه إلا تشدد جميع الطاعات والمعاشي ، فمن ظن أن بعض هذه الأمور يكفيك وينجيه فهو مغرور . وفرقة أخرى : ادعوا حسن الحلق والتواضع والسماحة قصدوا خدمة الصوفية فجعلوا قوما وتكفؤوا بخدومتهم واتخذوا ذلك شبكة للرياسة وجمع المال وإسماغرضهم التكبر وهم يظهرون الحمة والتواضع وغرضهم الارتفاع وهم يظهرون أن غرضهم الارفاق وغرضهم الاستباحتهم ويظهرون أن غرضهم الخدمة والتبعية ثم إنهم يجمعون من الحرام والشبهات وينفقون عليهم لتكثير أتباعهم ونشر بالخدمة اسمهم وبضهم يأخذ أموال السلاطين ينفق عليهم وبضهم يأخذها لينفق في طريق الحج على الصوفية ويؤمن أن غرضه البر والافتقار وباعث جميعهم الرياء والسحمة وآية ذلك إهمالهم لجميع أوامر الله تعالى عليهم ظاهرا وباطنا ورضاهم بأخذ الحرام والافتقار منه ومثال من ينفق الحرام في طريق الحج لارادة الخير كمن يعمر مساجد الله فيطينها بالمذرة ويؤمن أن قصده العمارة . وفرقة أخرى : اشتغلوا بالمجاهدة وتهذيب الأخلاق وتطهرت النفس من عيوبها وصاروا يستمعون فيها فاتخذوا البحث عن عيوب النفس ومعرفة خدعها علما وحرقة فهم في جميع أحوالهم مشغولون بالتحصن عن عيوب النفس واستقبات دقيق الكلام في آفاتنا فيقولون هذا في النفس عيب والغفلة عن كونه عيبا عيب والاتفات إلى كونه عيبا عيب ويستغفون فيه بكلمات مسلسلة تضعيف الأوقات في تلقينها ومن جعل طول عمره في التفتيش عن عيوب وتحرير علم علاجها كان كمن اشتغل بالتفتيش عن عواقب الحج وآفاته ولم يسلك طريق الحج لذلك لا ينفيه . وفرقة أخرى : جاوزوا هذه التزنية وأبدوا أسوأ الطرق وانفتح لهم أبواب المعرفة فكلموا تشمعو من مبادئ المعرفة رائحة تعجبا ومنها وفروا بها وأعجبهم غرايتها فتفتيت قلوبهم بالاتفات إليها والتفكير فيها وفي كيفية افتتاح بابها عليهم وانسداده على غيرهم وكل ذلك غرور لأن عجائب طريق الله ليس لها نهاية فلو وقف مع كل محبة وتفتيدها نصرت خطاه وحرم الوصول إلى النصد وكان مثاله مثال من قصد مسكافراى على باب ميدان روضة فيها أنوار وأنوار لم يكن قد رأى قبل ذلك مثلهما فوقف ينظر إليها ويتعجب حتى فاتته الوقت الذي يمكن فيه لقاء الملك . وفرقة أخرى : جاوزوا هؤلاء ولم ياتفتوا إلى ما يفيض عليهم من الأنوار في

تخلوون وأخلو بك وارفع إلى حوائجك ويكون القيام بين نومتين وإلا فيغالب النفس من أول الليل ويشغل فإذا غلبه النوم ينام فإذا انتبه يتوضأ فيكون له قومتان ونومتان ويكون ذلك من أفضل ما يفعله ولا يصلي وعنده نوم يشغله حتى الصلاة والثلاوة حتى يمتلئ ما يقول ، وقد ورد « لا تكابدوا الليل » وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن فلانة تصلي من الليل فإذا غلبها النوم تخلت بجملته تهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال « لصل أحدكم من الليل ما تيسر

الطريق ولا إلى ما ينسر لهم من المطايا الجزيلة ولم يعرجوا على الفرج بها واللائعات إليها جادين في السير حتى قاربوا فوصلوا إلى حد القربة إلى الله تعالى فظنوا أنهم قد وصلوا إلى الله فتوقوا وغلطوا فان الله تعالى سيعين حجاب من نور لا يصل السالك إلى حجاب من تلك الحجب في الطريق إلا بظن أنه قد وصل ، وإليه الإشارة بقول إبراهيم عليه السلام إذ قال الله تعالى إخبارا عنه - فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي - وليس المعنى به هذه الأجسام اللبثية فانه كان يراها في الصغر ويعلم أنها ليست آلهة وهى كثيرة وليست واحدا والجهال يظنون أن الكوكب ليس بإله فثقل إبراهيم عليه السلام لا يخره الكوكب الذى لا يخر السواكية ، ولكن للراد به أنه نور من الأنوار التى هى من حجب الله عز وجل وهى على طريق السالكين ولا يتصور الوصول إلى الله تعالى إلا بالوصول إلى هذه الحجب وهى حجب من نور بعضها أكبر من بعض وأصغر الثيرات الكوكب فاستعير له لفظه وأعظمها الشمس وبينهما رتبة القمر فم يزل إبراهيم عليه السلام لما رأى ملكوت السموات حيث قال تعالى - وكذلك ترى إبراهيم ملكوت السموات والأرض - يصل إلى نور بعد نور ويتخيل إليه في أول ما كان يلقاه أنه قد وصل ثم كان يكشف له أن وراءه أمرا فيترق إليه ويقول قد وصلت فيكشف له ما وراءه حتى وصل إلى الحجاب الأقرب الذى لا وصول إلا بعده فقال هذا أكبر فلما ظهر له أنه مع عظمه غير خال عن الهوى في حضيض النفس والاعطاط عن ذروة النكال - قال لأحب الأولين - إلى وجه وجهى للذى فطر السموات والأرض - وسالك هذه الطريق قد تفرقت في الوقوف على بعض هذه الحجب وقد يفتقر بالحجاب الأول وول الحجب بين الله وبين العبد هو نفسه فانه أيضا أمر ربانى وهو نور من أنوار الله تعالى : أعنى سر القلب الذى تتجلى فيه حقيقة الحق كله حتى إنه ليسع لجملة العالم ويحيط به وتتجلى فيه صورة الكل وعند ذلك يشرق نوره إشراقا عظيما إذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه وهو في أول الأمر محجوب بمشكاة هى كالسائر له فإذا تجلى نوره وانكشف جمال القلب بعد إشراق نور الله عليه ربما انفتحت صاحب القلب إلى القلب فىرى من جماله الفائق ما يدهشه وربما يسبق لسانه في هذه الدهشة فيقول أنا الحق فان لم يتضح له ما وراء ذلك اغتر به ووقف عليه وهلك وكان قد اغتر بكوكب صغير من أنوار الحضرة الإلهية ولم يصل بعد إلى القمر فضلا عن الشمس فهو مفرور وهذا محل الالتباس إذ التجلى يلبس بالتجلى فيه كاليتبس لون ما يترامى في المرآة بالمرآة فيظن أنه لون المرآة وكما يلبس مافى الزجاج بالزجاج كما قيل :

رقى الزجاج ورقت الحجر فتشابهها فتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

وبهذه العين نظر النصارى إلى المسيح فرأوا إشراق نور الله قد تلاذفه فغلطوا فيه كمن يرى كوكبا في مرآة أو في ماء فيظن أن الكوكب في المرآة أو في الماء فيعديده إليه يأخذه وهو مفرور وروايات الغرور في طريق السلوك إلى الله تعالى لا تخلص في مجلدات ولا تستقصى إلا بعد شرح جميع علوم المكاشفة وذلك مما لا رخصة في ذكره ولعل القدر الذى ذكرناه أيضا كان الأولى تركه إذ السالك لهذا الطريق لا يحتاج إلى أن يسمع من غيره والذى لم يسلكه لا ينتفع بسماعه بل ربما يستضر به إذ يورثه ذلك دهشة من حيث يسمع مالا يفهم ولكن فيه فائدة وهو إخراج من الغرور الذى هو فيه بل ربما يصدق بأن الأمر أعظم مما يظنه ومما يتخيله بذهنه المختصر وخياله القاصر وجده لا تخرف ويصدق أيضا بما يحكى له من المكاشفات التى أخبر عنها أولياء الله ومن عظم غروره ربما أضمر كذباً بما يسمعه الآن كما يكذب بما سمعه من قبل . الصنف الرابع : أرباب الأموال والمترون منهم فرق

فاذا غلبه النوم فليتم
وقال عليه السلام :
« لاتسادوا هذا الدين
فانه متين فمن يشاده
يغلبه » ولا تنفضن إلى
نفسك عبادة الله
ولا يلبق بالطالب ولا
يتقنى له أن يطلع الفجر
وهو نائم لأن يكون
قد سبق له في الليل
قيام طويل فيعذر في
ذلك على أنه إذا استيقظ
قبل الفجر بساعة مع
قيام قليل سبق في
الليل يكون أفضل
من قيام طويل ثم
النوم إلى بعد طلوع
الفجر فاذا استيقظ
قبل الفجر يكثر
الاستغفار والتسبيح
ويتنم تلك الساعة وكما
يسلى بالليل مجلس
قليل بعد كل ركعتين

ففرقة منهم : يعمدون على بناء المساجد والمدارس والرباطات والتماطر وما يظهر للناس كافة يكتبون أساميهم بالأجر عليها ليتخذوا ذكرهم ويقيموا لوت أثرهم وهم يظنون أنهم قد استحقوا المغفرة بذلك وقد اغتروا فيه من وجهين : أحدهما أنهم يبنونها من أموال اكتسبوها من الظلم والتهب والرشا والبهائم المظنونة فهم قد تعرضوا لسخط الله في كسبها وتعرضوا لسخطه في إنفاقها وكان الواجب عليهم الاستئذان عن كسبها فاذن قد عصوا الله بكسبها فالواجب عليهم التوبة والرجوع إلى الله ودها إلى ملاكها إما بأعبائها وإما يرد بدلها عند المعز فان عجزوا عن الملاك كان الواجب ردها إلى الورثة فان لم يبق للمظلوم وارث فالواجب صرفها إلى أهم الصالح وربما يكون الأهم التفرقة على المساكين وهم لا يعلمون ذلك خيفة من أن يظهر ذلك للناس فيبنون الأبنية بالأجر وغرضهم من بنائها الرياء وجلب الثناء وحرصهم على بقائها لبقاء أسمائهم المكتوبة فيها للبقاء الخير . والوجه الثاني أنهم يظنون بأنفسهم الإخلاص وقصد الخير في الإنفاق على الأبنية ولو كلف واحد منهم أن ينفق دينارا ولا يكتب اسمه على الموضع الذي أنفق عليه لشفق عليه ذلك ولم تسمح به نفسه والله مطلع عليه كتب اسمه أو لم يكتب ولولا أنه يريد به وجه الناس لا وجه الله لما افتقر إلى ذلك . وفرقة أخرى : ربما اكتسب المال من الحلال وأنفقت على المساجد وهي أيضا مغرورة من وجهين : أحدها الرياء وطلب الثناء فانه ربما يكون في جواره أو ببلده فقراء وصرف المال إليهم أهم وأفضل وأولى من الصرف إلى بناء المساجد وزينتها وإنما يخفى عليهم الصرف إلى المساجد ليطهر ذلك بين الناس . والثاني أنه يصرف إلى زخرفة المسجد وتزيينه بالقشور التي هي منهي عنها وشاغلة قلوب المصلين ومخططة أبصارهم (١) والمقصود من الصلاة الخشوع وحضور القلب وذلك يفسد قلوب المصلين ويعطشون بهم بذلك ووبال ذلك كله يرجع إليه وهو مع ذلك يفتقر به ويرى أنه من الخيرات وبعد ذلك وسيلة إلى الله تعالى وهو مع ذلك قد تعرض لسخط الله تعالى وهو يظن أنه مطيع له ويمتثل لأمره وقد شوش قلوب عباد الله بما زخرفه من المسجد وربما شوقهم به إلى زخارف الدنيا فيشبهون مثل ذلك في يوتهم وبشتغلون بطلبه ووبال ذلك كله في رقبته إذ المسجد للتواضع ولحضور القلب مع الله تعالى . قال مالك ابن دينار : أتى رجلان مسجدا فوقف أحدهما على الباب وقال مثلي لا يدخل بيت الله فكتبه المسكان عند الله صديقا فكذا يذنبني أن تعظم المساجد وهو أن يرى تلويث المساجد بدخوله فيه بنفسه جناية على المسجد لأن يرى تلويث المساجد بالحرام أو يزخرف الدنيا منته على الله تعالى ، وقال الحارثيون للمسيح عليه السلام انظر إلى هذا المسجد ما أحسنه فقال أمي أمي بحق أقول ليس لك بيتك الله من هذا المسجد حجرا قائما على حجر إلا أهلكه بذنوب أهله إن الله لا يعبأ بالذهب والفضة ولا بهذه الحجارة التي تعجبكم شيئا وإن أحب الأشياء إلى الله تعالى القلوب الصالحة بها يعمر الله الأرض وبها يخرب إذا كانت على غير ذلك . وقال أبو النرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا خرقتم مساجدكم وحلیم مصاحفكم فالدمار عليكم (٢) » وقال الحسن « إن رسول الله ﷺ لما أراد أن يبنى مسجد المدينة أتاه جبريل عليه السلام فقال له ابنه سبعة أذرع طولاً في السماء لا تزخرفه ولا تنقشه (٣) » وفروا هذه من حيث

ويسبح ويستغفر
ويصلي على رسول الله
صلى الله عليه وسلم
فانه يجد بذلك ترويعا
وقوة على القيام وقد
كان بعض الصالحين
يقول هي أول نومة فان
انقضت ثم عدت إلى
نومة أخرى فلا أنهم
الله عني . وحكي
لي بعض الفقهاء عن
شيخ له أنه كان يأمر
الأصحاب بنومة واحدة
بالليل وأكلة واحدة
ليوم واللييلة . وقد
جاء في الخبر « فمن
الليل ولو قدر حلب
شاة » وقيل يكون
ذلك قدر أربع ركعات
وقدر ركعتين . وقيل
في تفسير قوله تعالى
- تؤتي الملك من تشاء
وتنزعه الملك ممن تشاء -

(١) حديث النهي عن زخرفة المساجد وتزيينها بالقشور البخاري من قول عمر بن الخطاب أكن الناس ولا تحمر ولا تصفر (٢) حديث إذا زخرفت مساجدكم وحلیم مصاحفكم فالدمار عليكم ابن المبارك في الزهد وأبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف موقوفا على أبي النرداء (٣) حديث الحسن مرسل لما أراد أن يبنى مسجد المدينة أتاه جبريل فقال ابنه سبعة أذرع طولاً في السماء ولا تزخرفه ولا تنقشه له أجده .

إنه رأى النكر وانسل عليه . وفرقة أخرى : ينفقون الأموال في الصدقة على الفقراء والساكنين
ويطلبون به المحافل الجامعة ومن الفقراء من عاده الشكر والإنشاء المعروف ويكرهون التصديق
في السر ويرون إخفاء الفقير لما يأخذ منهم جناية عليهم وكفرنا وربما يحرسون على إضاق المال
في الحج فيحبون مرة بعد أخرى وربما تركوا جيرانهم جياعا ولذلك قال ابن سعد في آخر الزمان
يكثر الحاج بلا ميب يهون عليهم السفر ويبسط لهم في الرزق ويرجعون مهزومين مسولين يهوى بأحدهم
بغيره بين الرمال والقفار وجاره مساور إلى جنبه لا يؤاسيه وقال أبو نصر التمار إن رجلا جاء يودع بشر
ابن الحرث وقال قد عزمت على الحج فتأمرني بشيء فقال له كم أعددت للنفقة فقال ألني درهم دل
بشر فأى شيء تبغى بحجك تزهدا أو احتياقا إلى البيت أو ابتغاء مرضاة الله قال ابتغاء مرضاة الله دل
فان أصبت . مرضاة الله تعالى وأنت في منزلك وتنفق ألني درهم وتكون على يقين من مرضاة الله
تعالى أنهدل ذلك قال نعم قال اذهب فأعطها عشرة أنفس مديون بقضى دينه وقدير برم شئ ومعي
يخى عياله ومرى يتم بفرحه وإن قوى قلبك تعطيا واحدا فاعمل فان إدخالك السرور على قلبك السلم
وإغاثة اللهمان وكشف الضر وإغاثة الضعيف أفضل من مائة حجة بعد حجة الاسلام قم فأخرجهم كما أمرناك
ولا فقل لنا مافى قلبك فقال بابا نصر سفري أقوى في قلبي فتبسم بشر رحمه الله وأقبل عليه وقال له
للسال إذا جمع من وسخ التجارات والشبهات انتضت النفس أن تقضى به وطرا فظهرت الأعمال
الصالحات وقد آلى الله على نفسه لئن لا يقبل إلا عمل التقين . وفرقة أخرى : من أرباب الأموال
اشتغلوا بها يحفظون الأموال ويمسكونها بحكم البخل ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التي لا يحتاج فيها
إلى نفقة كصيام النهار وقيام الليل وختم القرآن وهم مغرورون لأن البخل المهلك قد استولى على
بواطنهم فهو يحتاج إلى قمع اخراج للسال فقد اشتغل بطلب فضائل هو مستغن عنها ومثاله مثال من
دخل في ثوبه حبة وقد أشرف على الهلاك وهو مشغول بطبخ السكنجين ليسكن به الصفراء ومن
قتلته الحبة متى يحتاج إلى السكنجين ، ولذلك قيل لبشر إن فلانا الذى كثير الصوم والصلاة قدال
للسكين ترك حاله ودخل في حال غيره . وإنما حال هذا إطعام الطعام للجبايع والانفاق على الساكنين فهذا
أفضل له من تجويعه نفسه ومن صلاته لنفسه مع جمعه لاريا ومنعه للفقراء . وفرقة أخرى : غلبهم
البخل فلا تسمح نفوسهم إلا بأداء الزكاة فقط ثم إنهم يخرجون من المال الحبيب الردى الذى يرغبون
عنه ويطلبون من الفقراء من يخدمهم ويتردد في حاجاتهم أو من يحتاجون إليه في المستقبل للاستئجار
في خدمة أو من لهم فيه على الحجة غرض أو يسلمون ذلك إلى من يعينه واحد من الأكابر ممن يستظهر
بحشمه لينال بذلك عنده منزلة فيقوم بحاجاته وكل ذلك مفسدة للنية ومحبطات للعمل وصاحبه
مغرور ويظن أنه مطيع لله تعالى وهو فاجر إذ طلب عبادة الله عوضا من غيره فهذا وأمثاله من غرور
أصحاب الأموال أيضا لا يحصى وإنما ذكرنا هذا القدر للتنبيه على أجناس الرور . وفرقة أخرى :
من عوام الحاق وأرباب الأموال والفقراء اغتروا بحضور مجالس الذكر واعتقدوا أن ذلك يغنيهم
ويكفيهم وأخذوا ذلك عادة ويظنون أن لهم على مجرد سماع الوعظ دون العمل ودون الاعتاط
أجرا وهم مغرورون لأن فضل مجلس الذكر لكونه مرغبا في الخير فان لم يمتزج الرغبة فلا خير فيه
والرغبة المحمودة لأنها تمت على العمل فان ضمنت عن العمل فلا خير فيها وما راد له فإذا
ضمر عن الأداء إلى ذلك القير فلا قيمة له وربما يخر بما يسمعه من الواعظ من فضل حضور
المجلس وفضل البكاء وربما تدخله رقة كرامة النساء فيبكي ولا عزم وربما سمع كلاما عوفا فلا يزيد على
أن يصفق يديه ويقول بإسلام سلم أو نموذ بالله أو سبحان الله ويظن أنه قد أتى بالحركة وهو مغرور

هو قيام الليل ومن
حرم قيام الليل كلا
وفنورا في العزبة
أو تهاونا به لقلة
الاعتداد بذلك
أو اغترارا بحاله فيليك
عليه فقد قطع عليه
طريق كبير من الخير
وقد يكون من أرباب
الأحوال من يكون له
إيواء إلى القرب ويجد
من دعة القرب ما يفتقر
عليه داعية الشوق
ويرى أن القيام واقوف
في مقام الشوق وهذا
يغلط فيه ويهلك به
خاق من اللدعين
والذى له ذلك ينبغي
أن يعلم أن استمرار
هذه الحالة متعذر
والإنسان متعرض
للقصور والتخلف
والشهة ولا حائلة أجل

وإنما مثاله مثال المريض الذي يحضر مجالس الأطباء فيسمع ما يجري أو الجامع الذي يحضر عنده من يصف له الأطعمة الذبذبة الشهية ثم يصرف وذلك لا ينفي عنه من مرضه وجوعه وشيئا كذلك سماع وصف الطاعات دون العمل بها لا ينفي من الله شيئا فكل وعظم بغير منكصة تغييرا بغير أفعالها حتى قيل على الله تعالى إقبالا قويا أو ضعيفا وتعرض عن الدنيا فذلك الوعظ زيادة حجة عليك فإذا رأيته وسيلة كنت مغرورا . فان قلت لما ذكرته من مداخل الفرور أفس لا يتخلص منه أحد ولا يمكن الاحتراز منه وهذا يوجب اليأس إلا بقوى أحد من البشر على الحذر من خفايا هذه الآفات . فأقول الانسان إذا قترت همته في شيء أظهر اليأس منه واستعظم الأمر واستوعر الطريق وإذا صرح منه الهوى اهتدى إلى الحيل واستنبط بدقيق النظر خفايا الطرق في الوصول إلى الغرض حتى إن الانسان إذا أراد أن يستنزل الطير المحلق في جو السماء مع بعده منه استنزه وإذا أراد أن يخرج الحوت من أعماق البحار استخرجها وإذا أراد أن يستخرج الذهب أو الفضة من تحت الجبال استخرجها وإذا أراد أن يقتبس الوحوش المعلقة في البراري والصحارى اقتصها وإذا أراد أن يستخرج السباع والطيور عظيم الحيوانات استخرجها وإذا أراد أن يأخذ الحيات والأفاعي ويحبسها أخذها واستخرج الدرياق من أجوافها وإذا أراد أن يتخذ الدجاج للون النقش من ورق الثوب اتخذها وإذا أراد أن يعرف مقادير السكواكب وطولها وعرضها استخرج بدقيق الهندسة ذلك وهو مستقر على الأرض وكل ذلك باستنباط الحيل وإعداد الآلات فسخر القوس للركوب والسكب للسيف وسخر البازي لانتساب الطيور وهباً للشبكة لاصطياد السمك إلى غير ذلك من دقائق حيل الآدمي كل ذلك لأن همه أمر دنياه وذلك معين له على دنياه فلو أهمه أمر آخرته فليس عليه إلا شغل واحد وهو تقويم قلبه فيجوز عن تقويم قلبه وتخذهل وقال هذا محال ومن الذي يقدر عليه وليس ذلك بمحال لو أصبح وجهه هذا المحال وحده كما يقال « لو صرح منك الهوى أرشدت للحيل » فهذا شيء لم يجز عنه السلف الصالحون ومن اتبعهم بإحسان فلا يجز عنه أيضا من صدقت إرادته وقويت همته بل لا يحتاج إلى عشر تعب الحلق في استنباط حيل الدنيا ونظم أسبابها . فان قلت قد قربت الأمر فيه مع أنك أكثر من ذكر مداخل الفرور فبم ينجو العبد من الفرور . فأعلم أنه ينجو منه بثلاثة أمور : بالعقل والعلم والعرفة فهذه ثلاثة أمور لا بد منها . أما العقل فأعني به الفطرة الفريزية والنور الأعلى الذي به يدرك الانسان حقائق الأشياء فالفطنة والسكيس فطرة الحق والبلادة فطرة والبلد لا يقدر على التحفظ عن الفرور فصفا العقل وذكاء الفهم لا بد منه في أصل الفطرة فهذا إن لم يطر عليه الانسان فاكتفا بغير يمكن . نعم إذا حصل أصله أمكن تقويته بالممارسة فأساس السعادات كلها العقل والسياسة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « تبارك الله الذي قسم العقل بين عباده أشدنا ^(١) » إن الرجلين ليستوي عملهما وورعها وصومها وصلاتها ولكنهما يتفاوتان في العقل كالذرة في جنب أحد وما قسم الله خلفه حظا هو أفضل من العقل واليقين . وعن أبي الدرداء أنه قيل « يا رسول الله أرأيت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل ويحج ويحتمر ويتصدق ويغزو في سبيل الله ويهود المريض ويشيع الجنائز ويحب الضيف ولا يعلم منزله عند الله يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إنما يجزي على قدر عقله ^(٢) » وقال

من حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما استغنى عن قيام الليل وقام حتى تورمت قدماء وقد يقول بعض من يحاج في ذلك إن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك تشريعا فنقول ما بالنا لا نتبع تشريعه وهذه دقيقة قطع أن رؤية الفضيلة في ترك القيام وإدعاء الإيذاء إلى جناب القرب واستواء النوم واليقظة امتلاء وإبتلاء حالي وهو تقيد بالحال وتحكيم للحال وتحكيم من الحال في البعد والأقوياء لا يتحكم فيهم الحال ويصرفون الحال في صور الأعمال فهم متصرفون في الحال لا الحال متصرف فيهم

(١) حديث تبارك الذي قسم العقل بين عباده الحديث الترمذي الحكيم في نوادر الأصول لمن رواية طائوس مرسل وفي أوله قصة وإسناده ضعيف ورواه نحوه من حديث أبي حميد وهو ضعيف أيضا (٢) حديث أبي الدرداء أرأيت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل الحديث وفيه إنما يجزي في قدر عقله الخطيب في التاريخ وفي أسماء من روى عن مالك من حديث ابن عمر وضعفه ولم أر من حديث أبي الدرداء.

أنس «أثنى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أخيراً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف عقله؟ قالوا يا رسول الله يقول من عبادته وفضله وخلقه قد دل كيف عقله فإن الأحقق بسبب محمته أعظم من جُور الفاجر وإنما يقرب الناس يوم القيامة على قدر عهدهم» (١) وقال أبو الورداء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن رجل شدة عبادة سأل عن عقله فإذا قلوا حسن قال رد جوابه وقلوا غير ذلك قال لن يبلغ (٢) وذكر له شدة عبادة رجل فقال كيف عقله قالوا ليس بشيء قال لن يبلغ صاحبكم حيث تظنون قاله كاه صحيح وغريزة العقل نعمة من الله تعالى في أصل القطرة فإن فاتت ييلاده وحماة فلا تدارك لها . الثاني : العرفة وأعني بالعرفة أن يعرف أربعة أمور: يعرف نفسه ويعرف ربه ويعرف الدنيا ويعرف الآخرة فيعرف نفسه بالعبودية والذل ويكونه غريباً في هذا العالم وأجنبياً من هذه السموات البهيمية وإعما الواقع له طبعاً هو معرفة الله تعالى والنظر إلى وجهه فقط فلا يتصور أن يعرف هذا عالم يعرف نفسه ولم يعرف ربه فليست من على هذا بما ذكرناه في كتاب المحبة وفي كتاب شرح محبته القلب وكتاب التنسك وكتاب الشكر إذ فيها إشارات إلى وصف النفس وإلى وصف جلال الله ويحصل به التنبيه على الجملة وكال معرفة وراهه فإن هذا من علوم المكاشفة ولم يطلب في هذا الكتاب إلا في علوم العامة وأما معرفة الدنيا والآخرة فيستعين عليهما بما ذكرنا في كتاب ذم الدنيا وكتاب ذكر اللوت ليقين له أن لانبسبة للدنيا إلى الآخرة فإذا عرف نفسه وره ويعرف الدنيا والآخرة نار من قلبه بمعرفة الله حب الله وبمعرفة الآخرة شدة الرغبة فيها وبمعرفة الدنيا الرغبة عنها وبصيرهم أموره ما يؤمله إلى الله تعالى وينفقه في الآخرة وإذا غلبت هذه الإرادة على قلبه صحت نيته في الأمور كلها فإن أكل مثلاً أو اشتغل بقضاء الحاجة كان قصده من الاستعانة على سلوك طريق الآخرة وصحت نيته واندفع عنه كل غرور منشؤه تجاذب الأغراض والتزوع إلى الدنيا والجاه والمال فإن ذلك هو الفساد للنية ومادامت الدنيا أحب إليه من الآخرة وهو نفسه أحب إليه من رضا الله تعالى فلا يمكنه التخلص من الغرور فإذا غلب حب الله على قلبه بمعرفة الله بنفسه الصادرة عن كمال عقله فيحتاج إلى للمنى الثالث وهو العلم أعنى العلم بمعرفة كيفية سلوك الطريق إلى الله والتمسك بما يقرب به من الله وما يبعده عنه والتمسك بأفان الطريق وعقباته وغوائله وجميع ذلك قد أودعناه كتب إحياء علوم الدين فيعرف من ريع العبادات شروطها فروعها وآفاتنا فيتقها ومن ريع العادات أسرار العايش وما هو مضطر إليه فيأخذ به بأبد التمرع وما هو مستغن عنه فيبرض عنه ومن ريع الهالكات يعلم جميع العقبات المانعة في طريق الله فإن النافع من الله الصفات للذمومة في الخلق فيعلم للذموم ويعلم طريق علاجه ويعرف من ريع التجليات الصفات المحمودة التي لا بد وأن توضع خلفاً عن للذمومة بعد محوها فإذا أحاط بجميع ذلك أمكنه الحذر من الأنواع التي أشرنا إليها من التورود أصل ذلك كله أن يطلب حب الله على القلب ويسقط حب الدنيا منه حتى تقوى به الإرادة وتصح به التيقن لا يحصل ذلك إلا بالمعرفة التي ذكرناها . فإن قلت فإذا فعل جميع ذلك فما الذي يخاف عليه . فأقول يخاف عليه أن يغدعه الشيطان ويدعوه إلى نصح الخلق ونشر العلم ودعوة الناس إلى ما عرفه من دين الله فإن الله لا يريد التخلص إذا فرغ من تهذيب نفسه وأخلاقه وراقب القلب حتى صفاه من جميع المكدرات واستوى على الصراط المستقيم وصرفت الدنيا في عينه فتركها وانقطع طمعه عن الخلق فلم يلتفت إليهم ولم يبق إلا هم

(١) حديث أنس أثنى على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال كيف عقله الحديث داود بن الحبر في كتاب العقل وهو ضيف وتقدم في العلم (٢) حديث أبي الورداء كان إذا بلغه عن رجل شدة عبادة سأل عن عقله الحديث الترمذي الحكيم في النوادر وابن عدى ومن طريقه البيهقي في الشعب وضعفه.

فليعلم ذلك فإننا رأينا
من الأصحاب من كان
في ذلك ثم انكشف لنا
بتأييد الله تعالى أن
ذلك وقوف وقشور .
قبل للحسن بأباعد
إني أيت معافي وأحب
قيام الليل وأعدت
طهورى لما بال لأقوم
قل ذنوبك قد كنت
فليحذر العبد في نهارة
ذنوباً تقيده في إليه
وقال النووى رحمه
الله حرمت قيام الليل
سبعة أشهر بذنب
أذنبته قبل له ما كان
الذنب قل رأيت رجلاً
بكاء فقلت في نفسي
هذا مراء . وقال
بضمهم : دخلت على
كرز بن وبرة وهو
يسكن قلعت ما بالك أنك
نمى بعض أهلكت فقال

واحد وهو الله تعالى والتلذذ بذكره ونجاته والشوق إلى لقائه وقد هجر الشيطان عن إغوائه إياه
 من جهة الدنيا وشهوات النفس فلا يطعمه نيايته من جهة الدين ويدعوه إلى الرحمة على خلق الله
 والشفقة على ذنوبهم والنصح لهم والدعاء إلى الله فينظر البعد برحمته إلى العبد فيراهم حيارى في أمرهم
 سكارى في ذنوبهم صامعا قد استولى عليهم للرض وهم لا يشعرون وقد دوا الطيب وأسر فواعي المطب
 نغلب على قلبه الرحمة لهم وقد كان عنده حقيقة العرفه بما يهيمهم وبين لهم ضلالهم ويرشدهم إلى
 سعادتهم وهو يقدر على ذكرها من غير تعب ومؤنة ولزوم غرامة فكان مثله ككل رجل كان بهدا
 عظيم لا يطاق أله وقد كان لذلك يسهر ليله ويقلق نهاره لا يأكل ولا يشرب ولا يتحرك ولا يتصرف
 لشدة ضربان الألم فوجد له دواء عفوا صفوا من غير مخن ولا تعب ولا مرارة في تناوله فاستمتع به فبرى
 وصح فطاب نومه بالليل بعد طول سهره وهدأ بالهار بعد شدة القلق وطاب عيشه بعد نهاية السكدر
 وأصاب لذة العافية بعد طول السقام ثم نظر إلى عدد كثير من السالين وإذا بهم تلك العلة يسيروا فطال
 سهرهم واشتد قلقهم وارتفع إلى السماء أنيهم فنذكر أن دواءهم هو الذي يعرفونه يدرك على شفاههم بأسهل
 ما يكون وفي أرجى زمان فأخذته الرحمة والرأفة ولم يجد فصحة من نفسه في التراضي عن الاشتغال
 بعلاهم فكذلك العبد الخالص بعد أن اعتدى إلى الطرق وشفى من أمراض القلوب شاهد الخلق وقد
 مرضت قلوبهم وأعضل دأؤهم وقرب هلاكهم وإشفاؤهم وسهل عليه دواؤهم فأنبت من ذات نفسه
 عزم جازم في الاشتغال بنصحهم وحرصه الشيطان على ذلك رجاء أن يجد مجالا للفتنة فلما اشتغل بذلك
 وجد الشيطان مجالا للفتنة فدعاه إلى الرياسة دعاء خبيث أخفى من ديب الخلق لا يشعر به إلا بعد فزول
 ذلك الدبيب في قلبه حتى دعاه إلى التصنع والتزين للخلق بتحسين الألفاظ والصفات والحركات والتصنع
 في الزى والمهيئة فأقبل الناس إليه يعظمونه ويجلونه ويوقرونه توقيرا يزيد على توقير الملوك إذ رأوه
 شافيا لأدوائهم يحض الشفقة والرحمة من غير طمع فصار أحب إليهم من آبائهم وأمهاتهم وأقاربهم فأزروه
 بأبدانهم وأمواتهم وصاروا له خولا كالعبد والخدم فقدموه وقد فسد موه في المحافل وحكوه على الملوك
 والسلاطين فندد ذلك انتشر الطبع وارتاحت النفس وذاقت لذة يالها من لذة أصابت من الدنيا شهوة
 يستعقر معها كل شهوة فكان قد ترك الدنيا فوق في أعظم لذاتها فندد ذلك وجد الشيطان فرصة وامتدت
 إلى قلبه يده فهو يستعمله في كل ما يحفظ عليه تلك اللذة وأمارة انتشار الطبع وركون النفس إلى
 الشيطان أنه لو أخطأ فرد عليه بين يدي الحاق غضب فاذا أنكر على نفسه ما وجده من الغضب بادر الشيطان
 نغيل إليه أن ذلك غضب لله لأنه إذا لم يحسن اعتقاد الريدين فيه انقطعوا عن طريق الله فوق في
 المرور فرميا أخرجه ذلك إلى الوقعة يردن على فوق في النية المحظورة بعد تركه الحلال
 للتسع ووقع في السكر الذي هو تمرد عن قبول الحق والشكر عليه بعد أن كان بمحذر من طوارق
 الخطرات وكذلك إذا سبقه الضحك أو تفر عن بعض الأوراد جازعت النفس أن يطلع عليه فيسقط قوله
 فأنسج ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء وربما زاد في الأعمال والأوراد لأجل ذلك والشيطان يغيب إليه
 إنك إنما فعلت ذلك كيلا يفر رأيهم عن طريق الله فيترك الطريق بتركه وإتمامك خدعة وغرور
 بل هو جزء من النفس خيفة فوت الرياسة ولذلك لا تجزع نفسه من اطلاع الناس على مثل ذلك
 من أفرانه بل ربما يحب ذلك ويتبشربه ولو ظهر من أفرانه من مالت القلوب إلى قبوله وزاد أثر
 كلامه في القبول على كلامه شق ذلك عليه ولولا أن النفس قد استبشرت واستلقت الرياسة لكان
 يفتن ذلك إذ مثاله أن يرى الرجل جماعة من إخوانه قد وقعوا في بئر ونطخى رأس البئر بحجر
 كبير فنجسوا عن الرق من البئر بسببه فرق قلبه لإخوانه نجاء ليرفع الحجر من رأس البئر فشق
 عليه فجاءه من أعانه على ذلك حتى تيسر عليه أو كفاه ذلك ونجاه بنفسه فيعظم بذلك فرحه لإهالة

أشد قلت وجمع يولك
 قال أشد قلت وما ذلك
 قال باب منافع وستى
 مسبل ولم أقرأ حزى
 البارحة وماذا كإلا
 بذنب أحدثته . وقال
 بعضهم : الانسلام
 عقوبة وهذا صحيح
 لأن الراعى للحفاظ
 بحسن تحفظه وعلو
 بحاله يقدر ويتمكن
 من سد باب الاحتلام
 ولا يتطرق الاحتلام
 إلا على جاهل بحاله أو
 مهمل حكم وقته وأدب
 حاله ومن كل تحفظه
 ورعايته وقيامه بأدب
 حاله قد يكون من ذنبه
 للوجب للاحتلام ووضع
 الرأس على الوسادة إذا
 كان ذاعزبة في ترك
 الوسادة وقد يتهمل للوم
 ووضع الرأس على

إذ غرضه خلاص إخوانه من البئر فإن كان غرض الناصح خلاص إخوانه المسلمين من النار فإذا ظهر من أماته أو كفاه ذلك لم يثقل عليه أرايت لو اهتموا جميعهم من أنفسهم أكان ينبغي أنه يثقل ذلك عليه إن كان غرضه هدايتهم فإذا اهتموا بشيره فلم يثقل عليه ومهما وجد ذلك في نفسه دعاه الشيطان إلى جميع كباثر القلوب وفواحش الجوارح وأهلكه فتموذ باقه من زينغ القلوب بعد الهدى ومن اعوجاج النفس بعد الاستواء . فان قلت فني يصح له أن يشتغل بنصح الناس . فأقول إذا لم يكن له قصد إلا هدايتهم لله تعالى وكان يود لو وجد من يعبه أو لو اهتموا بأنفسهم وأطلع بالكية طمعه عن ثباتهم وعن أموالهم فاستوى عنده حمدهم وذمهم فلم يبال بذهمهم إذا كان الله بحمده ولم يفرح بحمدهم إذا لم يقرن به حمد الله تعالى ونظر إليهم كما ينظر إلى السادات وإلى الهام أما إلى السادات فمن حيث إنه لا يتكبر عليهم ويرى كلمهم خيرا منه لجله بالخاصة وأما إلى الهام فمن حيث انقطاع طمعه عن طلب التزلة في قلوبهم فانه لا يبالي كيف تراه الهام فلا يترتب لها ولا يتصنع بل راعى المشايخ إنما غرضه رعاية المشايخ ودفع القتب عنها دون النظر للمشايخ إليه فلم يراهم سائر الناس كلام المشايخ التي لا يلتفت إلى نظرها ولا يبالي بها لا يسلم من الاشتغال باصلاحهم نعم ربما يصلحهم ولكن يفسد نفسه باصلاحهم فيكون كالسراج يضيء لغيره ويخرب في نفسه . فان قلت فلو ترك الوعظ والوعظ إلا عند نيل هذه الدرجة لحلت الدنيا عن الوعظ وخربت القلوب . فأقول قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حب الدنيا رأس كل خطيئة ^(١) » ولو لم يحب الناس الدنيا لهلك العالم وبطلت المعاش وهلكت القلوب والأبدان جميعا إلا أنه صلى الله عليه وسلم علم أن حب الدنيا مهلك وأن ذكر كونه مهلكا لا يترفع الحب من قلوب الأكثرين لا أقلين الذين لا تخرب الدنيا بتركهم فلم يترك النصح وذكر مافي حب الدنيا من الخطر ولم يترك ذكره خوفا من أن يترك نفسه بالشهوات المهلكة التي سلطها الله على عباده ليسوقهم بها إلى جهنم تصديقا لقوله تعالى - ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين - فكذلك لا تزال ألسنة الوعاظ مطلقة لحب الرياسة ولا يدعونها بقول من يقول إن الوعظ لحب الرياسة حرام كما لا يدع الحلق الشرب والزنا والسرقة والرياء والظلم وسائر المعاصي بقول الله تعالى ورسوله إن ذلك حرام فانظر لنفسك وكن فارغ القلب من حديث الناس فان الله تعالى يصلح خلقا كثيرا بانفساد شخص واحد أو شخصين - ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض - وإن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم فانما يخشى أن يفسد طريق الاعتقاد فأما أن تخرس ألسنة الوعاظ ووراءهم باعث الرياسة وحب الدنيا فلا يكون ذلك أبدا . فان قلت فان علم الريد هذه السكينة من الشيطان فاشتغل بنفسه وترك النصح أو نصح وراعى شرط الصدق والاخلاص فيه فما الذي يخاف عليه وما الذي يبيح فيه من الأخطار وحبال الاعتراض . فأعلم أنه بقي عليه أعظمه وهو أن الشيطان يقول له قد أعجزتني وأملت مني بذكائك وكال عقلك وقد قدرت على جملة من الأولياء والكبراء وما قدرت

(١) حديث حب الدنيا رأس كل خطيئة البيهقي في الشعب من حديث الحسن مرسلا وقد تقدم في كتاب فم الدنيا .

تم الجزء الثالث من تخرين أحاديث الإحياء لحافظ العراقي
وبليه الجزء الرابع ، وأوله : كتاب التوبة

عليك لما أصبرك وما أعظم عند الله قدرك وعملك إذ قواك على قهرى ومكنتك من التطن للجب
مداخل غرورى فيصنى إليه ويصدقه ويسبب بنفسه في فراقه من الضرور كله فيكون إهمابه بنفسه
غاية الضرور وهو الهلك الأكبر فالمجب أعظم من كل ذنب وذلك قال الشيطان يا ابن آدم إذا ظننت
أنك بملك تخلصت منى فبجهدك قد وقتت في حبالى . فان قلت فلو لم يجب بنفسه إذ علم أن ذلك
من الله تعالى لانه وإن مثله لا يقوى على دفع الشيطان إلا بتوفيق الله ومعوته ومن عرف ضعف
نفسه وهجره عن أقل القليل فإذا تدبر على مثل هذا الأمر العظيم علم أنه لم يجر عليه بنفسه بل بالله
تعالى لما الذى يخاف عليه بعد نفى السبب ، فأقول : يخاف عليه الضرور بفضل الله والثقة بكرمه
والأمن من مكروه حتى يظن أنه يبقى على هذه الوتيرة في المستقبل ولا يخاف من الفترة ولا انقلاب يكون
حاله الانسكال على فضل الله فقط دون أن يقارنه الخوف من مكروه ومن أمن مكر الله فهو خاسر
جدا بل سبيله أن يكون مشاهدا جملة ذلك من فضل الله ثم خائفا على نفسه أن يكون قد سدت
عليه صفة من صفات قلبه من حب دنيا ورياء وسوء خلق والتفات إلى عز وهو غافل عنه ويكون
خائفا أن يسلب حاله في كل طرفة عين غير آمن من مكر الله ولا غافل عن خطر الحاقبة وهذا خطر
لا يحصى عه وخوف لا نجاة منه إلا بعد مجاوزة الصراط وذلك لما ظهر الشيطان لبعض الأولياء
في قت النزاع وكان قد بقى له نفس فقال أفلت منى يا فلان فقال لا بعد وذلك قيل : الناس كلهم هلكى
إلا المالمون والمالمون كلهم هلكى إلا المالمون والمالمون كلهم هلكى إلا المخلصون والمخلصون
على خطر عظيم فإذا من الضرور هالك والمخلص النار من الضرور على خطر فذلك لا يفارق الخوف
والحذر قلوب أولياء الله أبدا .

فنسأل الله تعالى الدون والتوفيق وحسن الحاقبة ، فان الأمور بخواتمها .
تم كتاب ذم الضرور وبه تم ربيع المهاركات ، ويتلو في أول ربيع التلجيات كتاب التوبة
والجدة ، أولا وآخرا وصلى الله وسلم على من لا نبى بعده وهو حسبي ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة
إلا بالله العلى العظيم .

تم الجزء الثالث من إحياء علوم الدين
وبه الجزء الرابع ، وأوله : كتاب التوبة .

عقد الشيطان على رأسه
ثلاث عقد فان قد
وذكر الله تعالى انحلت
عقدة وإن توحأ انحلت
عقدة أخرى وإن صل
ركعتين انحلت العقد
كلها فأصبح نشيطا
طيب النفس وإلا
أصبح كسلان خبيث
النفس « وفي خبر آخر
« إن من نام حتى يصبح
بال الشيطان في أذنه »
والذى يغلبه شيا من الليل
كثرة الاهتمام بأمور
الدنيا وكثرة أشغال
الدنيا وإتباع الجوارح
والاستلاء من الطعام
وكثرة الحديث واللغو
والغنى وإجمال القبول
والموقف من يشتم وقته
وعرف داءه ودواءه
ولا يهمل فيهمل .

صفحة	صفحة
٥١	٢ (كتاب شرح عجائب القلب)
٥٤	وهو الكتاب الأول من ربيع الهلكتات
الرياضة	٣
٥٦	٣ يان معنى النفس والروح والقلب والفضل وما هو للراديهذه الأسامي
على الجلة	٥
٥٩	٥ يان جنود القلب
٦١	٦ يان أمثلة القلب مع جنوده الباطنة
عودها إلى الصحة	٧
٦٢	٧ يان خاصية قلب الانسان
٦٣	١٠ يان مجامع أوصاف القلب وأمثلته
٦٤	١٢ يان مثل القلب بالاضافة إلى العلوم خاصة
٦٥	١٥ يان حال القلب بالاضافة إلى أقسام العلوم العقلية والدينية والدنيوية والأخرية
٦٦	١٧ يان الفرق بين الإلهام والتعلم والفرق بين طريق الصوفية في استكشاف الحق وطريق النظائر
٦٧	١٩ يان الفرق بين اللقامين بثال محسوس
٦٨	٢٢ يان شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف في اكتساب المعرفة لامن التعلم ولامن الطريق المعتاد
٦٩	٢٥ يان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها
٧٠	٣٠ يان تفصيل مداخل الشيطان إلى القلب
٧١	٣٩ يان ما يؤخذ به العبد من وساوس القلوب وهما وخواطرها وقصودها وما يفي عنه ولا يؤخذ به
٧٢	٤٢ يان أن الوسواس هل يتصور أن ينقطع بالكلية عند الذكر أم لا
٧٣	٤٤ يان سرعة قلب القلب وانقسام القلوب في التنوير والنبات
٧٤	٤٧ (كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلب وهو الكتاب الثاني من ربيع الهلكتات
٧٥	٤٨ يان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق
٧٦	
٧٧	
٧٨	
٨١	
٨٦	
البطن	
٩٣	
٩٥	
٩٦	
٩٨	
١٠١	
والعين	

صفحة	مفحة
١٥٤	آلة السابعة عشرة كلام ذي اللسانين
١٥٦	آلة الثامنة عشرة للدس
١٥٧	يان ماعل المدوح
١٥٨	آلة التاسعة عشرة النقلة عن دقائق الخطأ في فحوى الكلام
١٥٩	آلة العشرون سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف الخ
١٦٠	(كتاب ذم الغضب والحق والחסد) وهو الكتاب الخامس من ربيع الهلكتات
١٦١	يان ذم الغضب
١٦٣	يان حقيقة الغضب
١٦٥	يان أن الغضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة أم لا
٢٦٨	يان الأسباب المبيجة للغضب
١٦٩	يان علاج الغضب بعد هيجانه
١٧١	يان فضيلة كظم الغيظ
١٧٢	يان فضيلة الحلم
١٧٥	يان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام
١٧٧	القول في معنى الحق وتأمله وفضيلة الغفو والرفق
١٧٧	فضيلة الغفو والاحسان
١٨١	فضيلة الرفق
١٨٣	القول في ذم الحسد وفي حقيقة وأدبائه ومعالجته وغاية الواجب في إزالته
١٨٥	يان ذم الحسد
١٨٥	يان حقيقة الحسد وحكمه وأقسامه ومراتبه
١٨٨	يان أسباب الحسد والنافعة
١٩٠	يان السبب في كثرة الحسدين الأمتثال والأقران والإخوة وبني الم والأقارب وتأكده وقلته في غيرهم وضفه
١٩٢	يان الدواء الذي ينقي مرض الحسد من القلب
١٠٤	(كتاب آفات اللسان)
١٠٥	وهو الكتاب الرابع من ربيع الهلكتات
١٠٥	يان عظم خطر اللسان وفضيلة الصمت
١٠٨	آلة الأولى من آفات اللسان الكلام فيما لا ينبغيك
١١١	آلة الثانية فضول الكلام
١١٢	آلة الثالثة الخوض في الباطل
١١٣	آلة الرابعة الرأاء والجدال
١١٥	آلة الخامسة المحسومة
١١٦	آلة السادسة التصر في الكلام بالتشدد وتكلف السجع والقصاحة الخ
١١٧	آلة السابعة الفحش والسب وبذاءة اللسان
١١٩	آلة الثامنة اللعن
١٢٣	آلة التاسعة الغناء والشعر
١٢٤	آلة العاشرة للزاح
١٢٨	آلة الحادية عشرة السخرية والاستهزاء
١٢٩	آلة الثانية عشرة إفشاء السر
١٢٩	آلة الثالثة عشرة الوعد الكاذب
١٣٠	آلة الرابعة عشرة الكذب في القول واليمين
١٣٤	يان ما رخص فيه من الكذب
١٣٦	يان الحذر من الكذب بالمعاريض
١٣٨	آلة الخامسة عشرة النية
١٤٠	يان معنى النية وحدودها
١٤٢	يان أن النية لا تقتصر على اللسان
١٤٣	يان الأسباب الباعثة على النية
١٤٥	يان العلاج الذي به يمنع اللسان عن النية
١٤٧	يان تحريم النية بالقلب
١٤٨	يان الأعذار للرخصة في النية
١٥٠	يان كفارة النية
١٥١	آلة السادسة عشرة التهمة
١٥٢	يان حد التهمة وما يجب في ردها

صفحة	صفحة
٢٦٨ (كتاب ذم الجاه والرياء)	١٩٥ بيان القدر الواجب في نفى الحسد عن القاب
وهو الكتاب الثامن من ربيع	١٩٦ (كتاب ذم الدنيا)
للهلكات وفيه شطران	وهو الكتاب السادس من ربيع
٢٦٩ الشطر الأول في حب الجاه والشهرة	للهلكات
وفيه بيان ذم الشهرة وبيان فضيلة	١٩٧ بيان ذم الدنيا
الحقول الخ	٢٠٦ بيان للواعظ في ذم الدنيا وصفها
بيان ذم الشهرة وانتشار الصيت	٢٠٩ بيان صفة الدنيا بالأمثلة
٢٧٠ بيان فضيلة الحول	٢١٤ بيان حقيقة الدنيا وماهيها في حق العبد
٢٧١ بيان ذم حب الجاه	٢١٩ بيان حقيقة الدنيا في نفسها وأشغالها
٢٧٢ بيان معنى الجاه وحقيقته	التي استغرقت هم الخلق حتى أنسهم
٢٧٣ بيان سبب كون الجاه محبوا بالطبع	أنفسهم وخالفهم ومصدرهم ومورد
حق لا يخلو عنه قلب إلا بشديد المجاهدة	٢٢٥ (كتاب ذم البخل وذم حب المال)
٢٧٦ بيان الكمال الحقيقي والكمال الوهمي	وهو الكتاب السابع من ربيع
الذي لاحقيقة له	للهلكات
٢٧٨ بيان ما محمد من حب الجاه وما يذم	٢٢٦ بيان ذم المال وكراهة حبه
٢٧٩ بيان السبب في حب السدح والثناء	٢٢٨ بيان مدح المال والجمع بينه وبين الذم
وارتياع النفس به وميل الطبع إليه	٢٣٠ بيان تفصيل آفات المال وفوائده
وبعضها للذم وتقرتها منه	٢٣٢ بيان ذم الحرص والطمع ومدح القناعة
٢٨٠ بيان علاج حب الجاه	والأيسر لها في أيدي الناس
٢٨١ بيان وجه العلاج لحب السدح وكراهة الذم	٢٣٥ بيان علاج الحرص والطمع والدواء
٢٨٣ بيان علاج كراهة الذم	الذي يكتسب به صفة القناعة
٢٨٤ بيان اختلاف أحوال الناس في الذم والذم	٢٣٧ بيان فضيلة السخاء
٢٨٥ الشطر الثاني من الكتاب في طلب الجاه	٢٤٢ حكايات الأسخياء
والسزلة بالبادات وهو الرياء وفيه	٢٤٧ بيان ذم البخل
بيان ذم الرياء إلى آخره	٢٥٠ حكايات البخل
٢٨٦ بيان ذم الرياء	٢٥١ بيان الإيثار وفضله
٢٩٠ بيان حقيقة الرياء وما يرامى به	٢٥٣ بيان حد السخاء والبخل وحقيقتها
٢٩٣ بيان درجات الرياء	٢٥٥ بيان علاج البخل
٢٩٧ بيان الرياء الخفي الذي هو أخفى من	٢٥٧ بيان مجموع الوظائف التي على العبد
ديب الخلل	في ماله
٢٩٩ بيان ما يحبط العمل من الرياء الخفي	٢٥٨ بيان ذم التقى ومدح الفقر
والجلي ، وما لا يحبط	
٣٠٢ بيان دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه	

صفحة	صفحة
٣٤٤	٣٠٨
يان أخلاق للتواضعين وجماع ماينظر فيه أثر التواضع والتكبر	يان الرخصة في قصد إظهار الطاعات
٣٤٨	٣١١
يان الطريق في معالجة التكبر واكتساب التواضع له	يان الرخصة في كتمان الذنوب وكراهة اطلاع الناس عليه وكراهة ذمهم له
٣٥٨	٣١٣
يان غاية الرياضة في خلق التواضع الشطر الثاني من الكتاب في العجب وفيه بيان ذم العجب وآفاته الخ	يان ترك الطاعات خوفا من الرياء ودخول الآفات
٣٥٩	٣٢٠
يان آفة العجب	يان مايصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق ومالايصح
٣٦٠	٣٢٣
يان حقيقة العجب والإدلال وحدها يان علاج العجب على الجملة	يان ماينبغي للفريد أن يلزم نفسه قبل العمل وبعده وفيه
٣٦٣	٣٢٦
يان أقسام مابه العجب وتفصيل علاجه	(كتاب ذم الكبر والمجب)
٣٦٧	وهو الكتاب التاسع من ربيع للهلكات وفيه شطران
(كتاب ذم الغرور)	٣٢٧
وهو الكتاب العاشر من ربيع للهلكات وفيه بيان ذم الكبر الخ	الشطر الأول من الكتاب في الكبر وفيه بيان ذم الكبر الخ
٣٦٨	٣٢٩
يان أوصاف الغرور وحقيقته وأمثله	يان ذم الاختيال وإظهار آثار الكبر في الشئ وجر الثياب
٣٧٦	٣٣٠
يان أوصاف الغرور وأقسام فرق كل صنف وهم أربعة أصناف	يان فضيلة التواضع
أصنف الأول أهل العلم والمفترون منهم فرق	٣٣٤
٣٨٩	يان حقيقة الكبر وآفه
الصنف الثاني أرباب العبادة والعمل وللمفترون منهم فرق كثيرة الخ	٣٣٦
٣٩٢	يان للتكبر عليه ودرجاته وأقسامه ونمرات الكبر فيه
الصنف الثالث التصوفة والمفترون منهم فرق كثيرة الخ	٣٣٨
٣٩٥	يان مابه التكبر
الصنف الرابع أرباب الأموال والمفترون منهم فرق الخ	٣٤٣
	يان البواعث على التكبر وأسبابه النتيجة له

[تمت]

فهرس

بقية عوارف المعارف للسهروردي الذي بالهامش

صفحة	صفحة
٢٤٧ الباب التاسع والثلاثون في فضل الصوم وحسن أثره	٢ الباب الثلاثون في تفاصيل أخلاق الصوفية
٢٥٤ الباب الأربعون في اختلاف أحوال الصوفية بالصوم والإنظار	١١٠ الباب الحادى والثلاثون في ذكر الأدب ومكانه من التصوف
٢٦٥ الباب الحادى والأربعون في آداب الصوم ومهامه	١٢٣ الباب الثانى والثلاثون في آداب الحضرة الالهية لأهل القرب
٢٧٨ الباب الثانى والأربعون في ذكر الطعام ومافيه من الصالحة والفسدة	١٣٩ الباب الثالث والثلاثون في آداب الطهارة ومقدماتها
٢٩٥ الباب الثالث والأربعون في آداب الأكل	١٥١ الباب الرابع والثلاثون في آداب الوضوء وأسراره
٣١٥ الباب الرابع والأربعون في ذكر أدهم في اللباس ونياتهم ومقاصدم فيه	١٦١ سنن الوضوء ثلاثة عشر
٣٤٠ الباب الخامس والأربعون في ذكر فضل قيام الليل	١٦٢ الباب الخامس والثلاثون في آداب أهل الخصوص والصوفية في الوضوء
٣٥٣ الباب السادس في ذكر الأسباب المعينة على قيام الليل وأدب النوم	١٧٣ الباب السادس والثلاثون في فضيلة الصلاة وكبر شأنها
٣٧٠ الباب السابع في أدب الانتباه من النوم والعمل بالليل	١٨٩ الباب السابع والثلاثون في وصف صلاة أهل القرب
٣٩١ الباب الثامن والأربعون في تقسيم قيام الليل	٢٢٥ الباب الثامن والثلاثون في ذكر آداب الصلاة وأسرارها